القرآن والتاريخ

د. رأفت عماري

A Religion Research Institute Publication

اصدار معهد الأبحاث الدينية

ISBN 0-9765024-1-0

Printed in the United States of America.

First Edition, January 2014

This book can be purchased directly online at
www.religionresearchinstitute.org
www.rrimedia.com

or by contacting RRI through e-mail at
info@religionresearchinstitute.org

الفهرس

مقدمة

مناقشة منشأ ديانة تاريخياً هو من أهم الامتحانات لفحص مصداقية ادعاءاتها. فرغم ما تتراكم على ادعاءات مؤسسي تلك الديانة من محاولات تثبيت ادعاءات مؤسسها، أو مؤسسيها، تبقى الحقيقة من جهة تلك الديانة محصورة في الفترة التي عاشها ذلك المؤسس أو المؤسسين. ودراسة حياة المؤسس وتحليل البيئة الدينية والاجتماعية التي عاش فيها والمراجع التي اعتمد عليها في تأسيس ديانته هي أهم مبادئ لتقييم ديانته، وفحص ادعاءاته وادعاءات ديانته.

ونستطيع ان نقول اليوم ان كل ديانة في العالم من السهل تتبُّع مراحل نشأتها. إذ عادةً تكون قد برزت في فترة ما في التاريخ، رغم أنها استفادت من عوامل محلية عاش وسطها المؤسس. فهي ديانة محلية رغم كل الجسور مع ديانات أخرى التي استثمرها المؤسس، ورغم الإضافات التي نسخها من ديانات أخرى. إذ بات موضوع فحص مراحل تطور ديانة نسبة لازدياد المعرفة وعلم الآثار أمراً مسهلاً. وانني أعيد القارئ لكتابي" النجم الأكبر" لفهم مراحل عبادة "الله" في شبه الجزيرة العربية.

اما بالنسبة للإيمان في الكتاب المقدس فهو ليس ادعاءً نشأ في جيلٍ، أو بثّه رجلٌ مدّعٍ في جيل ما، لكي نساويه مع باقي الديانات. ولكنه اعلان قد شرع الله في الإعلان عنه في عصور مختلفة، مؤيِّداً ذلك في المعجزات، كما حصل زمن موسى في إخراج الشعب من مصر بآيات عظيمة. ثم تكرّر الإعلان في مراحل في التاريخ بدعوة أنبياء قد عمل الله معهم آيات ومعجزات عظيمة، مثل إيليا واليشع. والأهم من ذلك ان هؤلاء الأنبياء الذين عاشوا في فترات متباعدة منذ عصر ابراهيم إلى المسيح، قد تنبئوا بدقةٍ عن تجسد الله بصورة بشر، وموته كانسان من اجل فداء البشرية ثم قيامته. وتنبئوا بتفاصيل دقيقة عن رجوع المسيح ثانية، وعن علامات سياسية وأدبية هامة يمر بها العالم في مرحلة رجوعه.

فالإيمان المُعلَن في الكتاب المقدس، ليس ثمرة ادعاء إنسان عاش في بيئة مُحدَّدة، قد تأثر بمعتقداتها، وارتكز على ادعاءات أخرى كما هو محمد والإسلام. ولكن هو اعلان الله عبر كل العصور، التي وضعها الله كمصداقية تاريخية، تدل على انه هو

مصدرها، إذ هو موجود في كل عصر وتكلم في كل عصر، لذلك فان كلمته في كل العصور لها هدف وتعلن هويته ومقاصده في التاريخ. الأمر الذي تعجز اي ديانة ان تقدم مثل تلك المصداقية.

وعندما ندرس أسفار الكتاب المقدس، نجد أنها كُتبت من أشخاص قد عاشوا في الزمن الذي كتبوا عنه. وان كتاباتهم عكست بدقة الحالة الاجتماعية والسياسية التي عاشوا فيها. ذلك رغم ان بعضهم قد كتب في قرون كثيرة قبل العصر الميلادي. فنرى كتابات موسى في القرن الخامس عشر قبل الميلاد عن عصر الآباء، أي عصر ابراهيم وإسحاق ويعقوب، تعكس تماما ميزات العصر الذي عاش به هؤلاء الآباء، أي في بداية الألف الثاني قبل الميلاد. مما يدل على ان موسى، إضافة لقيادته من الروح القدس ان يكتب، لا بد قد اعتمد أيضا على مذكرات مكتوبة من أحد الآباء، قد وصلت إليه عن طريق يوسف، الذي أصبح بفضل حكمة الله عليه رجلاً مسئولاً في مصر. وأعيد القارئ إلى الفصل الذي أتحدث به عن ابراهيم في التاريخ وفي الكتاب المقدس والقرآن، لكي يتأكد من هذه الحقائق.

كذلك فان مراجعة الكتابات الشرق أوسطية، خاصة الأشورية والكلدانية، ومقارنتها في الكرونولوجيا التاريخية لأسفار العهد القديم التي كانت موازية لها في الكرونولوجيا التاريخية، نجد ان سرد العهد القديم يتفق مع المعطيات التاريخية وحقائقها. مما يؤكد بأننا لسنا نقرأ كتابات قد كُتبت في وقت لاحق، ونُسبت لأسماء الأنبياء الكتّاب، ولكنها كتابات قد كُتبت من أشخاص قد عاشوا في الجيل الذي أعلنوا أنهم عاشوا فيه وكتبوا فيه. والنبوات التي ذكرها هؤلاء كتّاب الوحي الإلهي، والتي تمت في العهد الجديد، تكشف أنهم ليسوا فقط كتّابا عاشوا في الزمن الذي صرّحوا أنهم عاشوا فيه، ولكن قد تكلم الله من خلالهم، مُقدِّماً رسالته التي اتفقوا جميعا على موضوعها الأساسي: وهو مجيء الله في الجسد وموته كانسان من اجل فداء البشرية، وقيامته من الأموات، وعودته لكي يدين الأحياء والأموات.

في مناقشة القرآن تاريخياً نرى انه مكتوبٌ من شخص واحد عاش في القرن السابع الميلادي. وانه اعتمد على أفكار بعض الجماعات الجاهلة في جيله، لكي يُعرِّف ويصف بعض الحوادث التاريخية القليلة التي تطرّق إليها. فهو لم ينجح ولا في حالة واحدة ان يقرن ادعاءَه في مصداقية تاريخية واحدة. كما انه وضع في قرآنه أسماء أشخاص قد ظنهم أنهم عاشوا في التاريخ، جاعلاً إياهم أنبياء او حكماء مُرسلين من الله، مثل لقمان، ولكنهم في الحقيقة أسماء خيالية في كتابات خرافية، معروف تاريخ كتاباتها. كما أدخل على قرآنه خرافات كلاسيكية مشهورة. فكيف ممكن ان يُعطى له أي مصداقية انه كان يكتب تحت إرشاد وأمر من الله، وهو خالي من أي مصداقية تاريخية؟! فكثيرون ممن عاشوا في عصره مثل البيزنطيين، الذين قام في وسطهم مؤرخون على درجة رفيعة من الدقة في التأريخ، كانوا أكثر منه إدراكاً للحقائق التاريخية وتمييزا بين ما هو خرافي وما هو حقيقي وصحيح. وحتى سكان مكة أنفسهم الذين ميّزوا كثيراً من خرافاته

أنها "خرافات الأولين"، كانوا في وعي في انتشار الخرافات التي أدخلها محمد في قرآنه، بين جماعات جاهلة في جيلهم، واستخفوا بذلك في سور القرآن التي جعلت من هذه الخرافات حقائق ووحياً من "الله".

رأيت ان أعطي لكل موضوع قرآني يتعلق بالتاريخ متسعه، مُفنِّداً ادعاءات القرآن بناء على التاريخ الرسمي، المدعوم من الوثائق التاريخية والمنقوشات المختلفة. وفي بعض الحالات مُقدِّما المراجع التي قد أعتمد محمد عليها في صياغة ادعائه. والمجتمعات والثقافات والديانات التي تبنت كثيرا من الخرافات القرآنية قبل محمد وفي زمانه أيضا.

انني أقدِّم هذا الكتاب للمسلم الذي يود ان يعرف الحقيقة بعيداً عن التعصب الاعمى المنغلق عن البحث. كذلك أقدِّمه للباحث الذي يود ان يدرس المصادر التي جعلت محمد ان يقع في الاخطاء التاريخية الكثيرة. وأيضا اقدِّمه للقارئ العادي المهتم في دراسة الاسلام، واسلوب تفنيد ادعاءاته.

رأفت عماري -2013

هل نستطيع أن نعرف؟

نعيش في عصر نستطيع ان نميِّز بين أفكار الأولين وأخطاءَهم عن حقائق كثيرة بتنا نعرفها اليوم. فأفكار القدماء في طريقة المعالجة، بات كثير منها مرفوضاً من أطبائنا اليوم، الذين تقدمت معرفتهم في علم التشريح لجسد الإنسان، وما يحويه كل عضو من نوع خلايا وأنسجة بما يمر بها من أعصاب وشرايين وأوردة. كذلك ما يهاجم جسد الإنسان من عوامل تسبِّب له المرض، والطريقة التي بها يُعالج المرض سواء من خلال الجراحة الحديثة أو استخدام العلاجات الطبية مثل المضادات الحيوية. فلا يستطيع أي إنسان اليوم ان يقول انه لا يستطيع ان يعرف فيما إذا معرفتنا اليوم في الطب هي أدق وأفضل من معرفة الأقدمين الذين عاشوا في عصر محمد وما قبله.

وهكذا فان معرفتنا اليوم في المنقوشات الكثيرة، مثل تلك التي وجدها علماء الآثار في شبه الجزيرة العربية، سواء منقوشات ثمودية أو لحيانية أو سبأيه، أو غيرها من المنقوشات. كذلك معرفتنا في المنقوشات الشرق الأوسطية بشكل عام، مثل منقوشات ما بين النهرين ومصر وسوريا وفلسطين. كذلك الموجودات الأثرية الكثيرة التي وجدها علماء الآثار من خلال حفرياتهم، قد زودتنا بمعلومات جديدة عن التاريخ القديم. وهناك الكتب التاريخية التي كُتبت من مؤرخين مشهورين كالمؤرخين اليونانيين والرومان. ونسخ الكتب القديمة التي تمّ دراستها وترجمتها إلى بعض لغات العالم. كل هذه جعلت مفهوم الباحث اليوم للتاريخ أهم من نظرة أي جماعة قديمة عاشت في التاريخ. خاصة التي عاشت في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع ميلادي، والتي كانت مفصولةً عن ركب الحضارة في مناطق أخرى من العالم، كالتي كانت معروفة في بعض مناطق أوروبا والإمبراطورية البيزنطية. فلا يستطيع اي إنسان اليوم يملك مقداراً من الحكمة، ان يدّعي بان المعلومات التي كان يعرفها العرب الجاهليون في جيل محمد عن التاريخ القديم في الشرق الأوسط، الذي سبق محمد بآلاف السنين، هي أهم من مدارس التاريخ في جامعاتنا المعاصرة.

فالمنطق الصحيح يدلنا على أننا نستطيع ان نعرف ونميز الصحيح من الخرافي. حتى ولو لبس الخرافي صورةً دينيةً وادعاءً في وحي، فذلك لن يعفيه من ان يُفحص على ضوء التاريخ الرسمي والموثَّق، ويُكشف انتماءه لوجهة نظر الجماعات المحدودة

المعرفة والجاهلة في جيل محمد. فالانسان المسلم ليس معذوراً، إذا ما ثابر في التمسُّك في القرآن، الذي يعكس وجهة نظر سكان الجاهلية من جهة التاريخ. فهو يستطيع ان يعرف ويميّز الخطأ من الصواب، إذا ما درس وجهة نظر القرآن في الأمور التاريخية، وقارنها في الحقائق التاريخية الموثقة من التاريخ الرسمي.

ولكي ينال المسلم مساعدة في معرفة الحقيقة، يجب عليه أن يرفع أولاً الغلاف الديني عن هذا المنسوب لوحي "الله". فتلبيس كنز كاذب في غلاف كنز، لا يحوّله إلى كنز حقيقي. وعليه أيضا ان يضع جانبا كتابات الكتّاب المسلمين، الذين في القرون التي تلت القرن السابع قد ابتدعوا تاريخاً جديداً مُنفصلاً عن التاريخ الرسمي، دون أي توثيق سابق. اذ المعلومات التي قدموها قد نشأت منهم وفي جيلهم.

واخيراً، هناك أمر أساسي على المسلم ان يتبناه، لكي يستفيد من هذا الكتاب وينال المعرفة الصحيحة التي تعدّه لنوال مساعدة الله في بحثه. وهو ان يكون مستعداً ان يعرف. وان يكون هدفه في البحث هو اكتشاف الحق، الذي يحرِّره من الكذب والباطل والادعاء، مهما كان ذلك الادعاء مقبولاً من الجميع في بلاده. وان يكون مستعداً ان يتخذ قراراً نحو مشيئة الله. ذلك شرط قد وضعه المسيح لمن يريد ان يبحث في الحق، كما قال في انجيل يوحنا:

"إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ-أي مشيئة الآب السماوي- يَعْرِفُ التَّعْلِيمَ، هَلْ هُوَ مِنَ اللهِ، أَمْ أَتَكَلَّمُ أَنَا مِنْ نَفْسِي." انجيل يوحنا 7 : 17

إذ الدراسة بدون قلب مفتوح لإرادة الله واستعداد لعمل مشيئته، سوف تكون معلومات عامة تتبخر من النفس سريعا. وتُزاحم من النزعة التعصبية التي لن تؤكِّد وتسلِّم بالحقيقة رغم وضوحها.

قبيلة عاد

عاد في القرآن والتاريخ

فوضى القرآن في الكرونولوجيا التاريخية من جهة قبيلتي عاد وثمود

تميَّز سرد القرآن في جهل صاحبه في الكرونولوجيا التاريخية. أي التسلسل التاريخي كما هو محقق لدينا من معرفتنا في تاريخ الأمم وتاريخ ظهورها في التاريخ. فلا يستطيع كاتب في عصرنا ان يجعل الرومان مثلا انهم ظهروا قبل عصر ابراهيم أي قبل الألف الثاني قبل الميلاد. ولو ادّعى شخص ايطالي في أيامنا، مُتحزِّبٌ لتاريخ الرومان، ان الرومان قد كان لهم حضارة قديمة سبقت السومريين، وان الإمبراطورية الرومانية المعروفة لدينا في تاريخها ما هي إلا "روما ثانية " تلت الأولى بآلاف السنين، فأنه سوف يُعتبر من رجال التاريخ في أيامنا انه يهذي. ومع ذلك هذا ما يلتجأ إليه بعض المسلمين، لكي يتحرروا من أخطاء القرآن الشنيعة في الكرونولويجيا التاريخية. فعندما يضع القرآن بعض القبائل التي ظهرت في وقت ما في التاريخ، انها ظهرت في أزمنة غابرة بعيدة جدا مثل عصر نوح، فلن يجدو محاولة حل معضلة القرآن من خلال الادعاء ان تلك القبائل كان لها ظهورين الاول قديما جدا، والثاني هو ذاك الظهور الذي تُعرف به القبائل تاريخيا. ان متبني هذه الحجة يشبه ذلك الذي يدّعي ان الإمبراطورية الرومانية كانت قبل آلاف السنين من ظهورها الحقيقي في التاريخ.

ونقدِّم مثالاً يبيِّن فوضى محمد بالنسبة للتسلسل التاريخي في السرد القرآني، ومحاولة المسلمين الخروج من المأزق هو التاريخ الذي وضع القرآن فيه قبيلتي عاد وثمود. فالقرآن وضع عادا في الجيل الثاني بعد نوح. مع أنها، ان كانت قد ظهرت في التاريخ، تكون قد ظهرت في القرن الثاني م. وادّعى المسلمون ان القرآن قد قصد في عاد بأنها " عاد الأولى"، دون أي توثيق لادعائهم هذا.

وعاد، ان ظهرت في التاريخ، تكون قبيلة صغيرة قد عاشت في القرن الثاني بعد الميلاد في شمال شبه الجزيرة العربية. لقد ألّف كلاوديس بطليموس الذي ولد عام 90 م.

وعاش في مدينة الإسكندرية بمصر، ومات في العام 168، كتاباً عن الجغرافية، وذلك في الجزء الاول من القرن الميلادي الثاني. ومن القبائل التي ذكرها في إحدى الخرائط التي رسمها، كانت قبيلة Oaditae؛ كثيرون حقّقوا هذه القبيلة بعاد، وأنها كانت موجودة في المنطقة الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية. ومن هؤلاء، نذكر الباحث فورستر[1].

ولكن هناك باحثين مثل ولهاوزن، يعتقد بان قبيلة عاد لم تُوجد في التاريخ. وان اسم القبيلة مبني على سوء استخدام للتعبير. فبدل ان تكون "منذ زمن عاد"، تكون "منذ عاد" التي تعني "من ذي القِدم"[2].

لقد حدَّد بطليموس مكان قبيلة Oaditae في شرق خليج العقبة. والحقيقة هي أن أحداً من الجغرافيين لم يذكر هذه القبيلة قبل بطليموس؛ فعلى الرغم ان الكتّاب الكلاسيكيين مثل بلينيوس Plinius، ويدعى بالانكيزية Pliny، الذي كتب حوالي 69-70 الميلادي، قد ذكروا كافة القبائل التي كانت موجودة في المنطقة، الا أنهم لم يذكروا قبيلة عاد. ومن هؤلاء أيضاً سترابو Strabo الذي كتب قبل بلينيوس. هناك أيضاً كلاسيكيون آخرون مثل أجاثار شيديس Agatharchides في الإسكندرية، الذي كتب حوالي 145-132 قبل الميلاد، ووصف المنطقة بدقة، ولكنه لم يذكر هذه القبيلة. كل هذه المعطيات تدلّ على أن قبيلة عاد - إن كانت قد وُجدت هناك قبيلة عاد في التاريخ - كانت صغيرة، وظهرت فقط في القرن الميلادي الثاني. ولا يُعرف مدة بقائها كقبيلة مُميَّزة، لكن من الأرجح انها قد اندمجت في قبائل أكبر في المنطقة، مثل قبيلة ثمود.

ورغم وصف الجغرافيين لقبيلة عاد بأنها كانت صغيرة، وتحتل مساحة قليلة في منطقة خليج العقبة، فقد ادّعى محمد بأن هذه القبيلة سكنت الأرض في الجيل الثاني بعد جيل نوح. فنقرأ عن عاد في السورة السابعة "الأعراف" والعدد 69 :

" واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة"

وفي سورة "المؤمنون" (23) يتكلم القرآن عن نوح. ونقرأ في الآيات 31 و32:

"ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين. فأرسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من إله غيره..."

فبحسب القرآن، أنه بعد انقضاء قرن من الزمان على نوح، صار هناك شعب عملاق اسمه عاد، ملأ مناطق من الأرض. وقد أطلق عليه القرآن اسم "إرم ذَاتِ الْعِمَادِ"(سورة الفجر 89 : 7)، أي باني مدن في آرام لها أعمدة، مما جعل الكثيرين من المسلمين يعتقدون أن دمشق هي إحدى مدن عاد. ولكن السؤال هنا: كيف أنه بعد نوح بقرن من الزمان، أي 100 سنة فقط، صار هذا الشعب كثير العدد بحيث بنى مدناً؟ فنوح وعائلته الذين دخلوا الفلك كانوا ثمانية أشخاص، كما نقرأ في سفر التكوين، الإصحاح السابع والعددين 6 و 7:

"وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الارْضِ فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وامرأته وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إلى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ."

وفي الإصحاح التاسع والعددين 18 و 19 ، نقرأ:

" وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَاما وَحَاما وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أبو كَنْعَانَ. هَؤُلاءِ الثَّلاثَةُ هُمْ بَنُو نُوحٍ. وَمِنْ هَؤُلاءِ تَشَعَّبَتْ كُلُّ الأرض.

ويذكر الإصحاح العاشر والعدد الاول من سفر التكوين، ان أبناء نوح أنجبوا أولاداً بعد الطوفان فقط. وهناك ذكر في الإصحاح العاشر والأعداد 21-31 لنسل سام:

" وَسَامٌ ابُو كُلِّ بَنِي عَابِرَ اخُو يَافَثَ الْكَبِيرُ وُلِدَ لَهُ ايْضا بَنُونَ. بَنُو سَامَ: عِيلامُ وَاشُّورُ وَارْفَكْشَادُ وَلُودُ وَارَامُ. وَبَنُو ارَامَ: عُوصُ وَحُولُ وَجَاثَرُ وَمَاشُ. وَارْفَكْشَادُ وَلَدَ شَالَحَ وَشَالَحُ وَلَدَ عَابِرَ. وَلِعَابِرَ وُلِدَ ابْنَانِ: اسْمُ الْوَاحِدِ فَالَجُ لانَّ فِي ايَّامِهِ قُسِمَتِ الارْضُ. وَاسْمُ اخِيهِ يَقْطَانُ. وَيَقْطَانُ وَلَدَ الْمُودَادَ وَشَالَفَ وَحَضَرْمَوْتَ وَيَارَحَ وَهَدُورَامَ وَاوزَالَ وَدِقْلَةَ. وَعُوبَالَ وَابِيمَايِلَ وَشَبَا. وَاوفِيرَ وَحَوِيلَةَ وَيُوبَابَ. جَمِيعُ هَؤُلاءِ بَنُو يَقْطَانَ. وَكَانَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ مِيشَا حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَفَارَ جَبَلِ الْمَشْرِقِ. هَؤُلاءِ بَنُو سَامَ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ كَالْسِنَتِهِمْ بِارَاضِيهِمْ حَسَبَ امَمِهِمْ."

فلا ذكر لابن سُمّي عاد أو ثمود كما يدّعي القرآن، على الرغم ان الكتاب المقدس ذكر أسماء أبناء لسام قد صاروا آباء لأمم معروفة في التاريخ. كما لا يذكر التاريخ أن لعاد وثمود، القبيلتين العربيتين اللتين ظهرتا مؤخرا (ثمود في القرن الثامن قبل المسيح، وعاد، إن كانت قد وُجدت في التاريخ، تكون قد ظهرت في القرن الثاني بعد المسيح) أي أثر ضمن الشعوب القديمة، التي سجّلها الكتاب المقدس في سفر التكوين. وهذا ما يلغي ادّعاء القرآن بوجود تلك القبيلتين بعد نوح بقرن وقرنين.

وهناك شيء أخر جدير بالاعتبار، وهو ان أولاد سام قد وُلدوا بعد الطوفان. يقول سفر التكوين 11 : 10

"هَذِهِ مَوَالِيدُ سَامٍ: لَمَّا كَانَ سَامٌ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ وَلَدَ ارْفَكْشَادَ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِسَنَتَيْنِ"

وتوجد بين ارفكشاد ويقطان (الذي أتت منه القبائل التي عاشت في شرقي وجنوبي العربية) ثلاثة أجيال. وهناك فترة زمنية مضت قبل أن يولد يقطان اخي فالج وابن عابر. أي ما يزيد على مائتي سنة:

" وَعَاشَ ارْفَكْشَادُ خَمْسا وَثَلاثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ شَالَحَ. وَعَاشَ شَالَحُ ثَلاثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ عَابِرَ. وَعَاشَ عَابِرُ ارْبَعا وَثَلاثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ فَالَجَ. وَعَاشَ فَالَجُ ثَلاثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ رَعُوَ." (تكوين 11 :12-18)

هناك احتمال كيف وقع المصدر الجاهلي الذي اعتمد عليه محمد في خطأه: لا بد ان الجاهليين قد سمعوا من اليهود ان يقطان، وهو والد القبائل التي سكنت في العربية، وُلد بعد قرن من الطوفان (مع انه قد ولد بعد قرنين من الطوفان، اذ حسبنا ان السنين التي عاشها كل فرد حتى ولد الاخر هي ما قصده سفر التكوين. من حيث ان الفكرة

الحقيقية هي ان هذه الأسماء عبارة عن اشخاص هامة هي رؤوس سلالات. وان قوله عاش فلان كذا سنة حتى ولد فلاناً، يُقصد بها السنين التي عاشها قبل ان يولد الفرد الذي ولد من نسله الفرد المشهور المُعتبر كابنه، وهو اهم شخص في سلالته)، فظن الجاهليون ان عاداً وثموداً قد انحدرتا من أولاد يقطان، فخلصوا إلى نتيجة إن قبيلة عاد قد وجدت بعد نوح بقرن من الزمان.

ولكن الحقيقة هي أنه بعد قرن من الطوفان، لا يمكن لنسل سام أن يزيد عن 80 إلى 180 شخصاً. وعندما نبتدئ من يقطان، فان نسله لن يزيد بعد قرن من الزمان على 180 شخصاً. فلم تكن هناك بعد قرنين من الطوفان، أي قبيلة عربية بعد، وانما عائلات صغيرة من نسل يقطان. فكيف يذكر القرآن عن عاد أنها قبيلة عظيمة تملأ الأرض، بعد قرن واحد فقط على موت نوح؟! ولو افترضنا أن عاداً وثموداً قد انحدرتا من نسل الابن الخامس لسام، وهو آرام، فإننا نواجه نفس المعضلة. فبعد قرنين من الزمان لم يصبح أولاد آرام: عُوصُ وَحُولُ وَجَاثَرُ وَمَاشُ (التي أتت منهم القبائل الآرامية) قبائل، بل كانوا عائلات صغيرة.

وفكرة ان عاداً كانت اول أمة بعد نوح، نجدها في اشعار بعض شعراء الجاهلية. وقال بعض طيء:

وبالجبلين معقل صعدنا اليه بسمر الصعاد

ملكناه في أوليات الزمان من بعد نوح ومن قبل عاد[3]

لقد خلق محمد معضلة عويصة للمسلمين، عندما وضع قبيلتي عاد وثمود في عصر يلي عصر نوح، الذي لا شك قد عاش قبل الالف السادس قبل الميلاد. وهو ما جعل الكثيرين المحاولة من الخروج من هذا المأزق، ولكن عبثاً. وقد عمد ابن اسحق الذي توفي حوالي عام 774 ميلادي (أي بعد 150 سنة من هجرة محمد للمدينة) الى تغيير السلالات المذكورة في سفر التكوين، بطريقة تناسب أخطاء القرآن التاريخية. فقد أضاف ابن اسحق أسماء إلى سلالة سام ابن نوح، المذكورة في سفر التكوين. وهذه الأسماء المضافة هي من الأسماء التي كانت معروفة في جيل ابن اسحق، ولم تكن معروفة حتى قبل عصره بأربعة قرون. وقد أدخل على لائحة أسماء أولاد سام اسمَ عاد كابن لعوص، المذكور في سفر التكوين 10 : 21-24 أنه ابن آرام ابن سام ابن نوح. ثم غيَّر ابن إسحاق سلالة نوح، مُعرّباً إياها[4].

عندما اختلق ابن إسحاق اسم عاد كابن لعوص، لم يكن يعلم بأن قبيلة عوص الآرامية كانت في زمن أيوب قبيلة واحدة، لم تتجزأ بعد إلى قبائل معروفة في التاريخ، لكي يلصق بها اسم عاد. وذلك بين القرنين التاسع والسادس قبل الميلاد، تاريخ أحداث كتاب أيوب. ولكن ابن إسحاق، ومن اجل مسايرة أخطاء محمد في القرآن، قد جعل قبيلة عاد كبكر قبيلة عوص، وذلك في القرن الثاني بعد الطوفان. وهنا أوجد أزمةً كبيرةً، إذ

أنه في تاريخ الآراميين، لم تعرف قبيلة عوص قبيلةً قد انبثقت منها في العراق أو سوريا تحت اسم عاد.

واذا قبلنا جدلاً ادّعاء ابن إسحاق بأن عاداً هو ابن لعوص ابن آرام ابن سام، فذلك لن يحل معضلة خطأ القرآن هذا. فآرام، الابن الخامس لسام، لا يُعقل أنه قد ولد بعد 40 أو 50 سنة من الطوفان. كما أن عوصاً كابن لآرام، لا يمكن انه قد ولد بعد 70 أو 80 سنة من الطوفان. وإذا سلّمنا بأن عاد هو ابن لعوص، فلا يكون قد ولد بعد قرن من الطوفان، أو أنه كان ما يزال طفلا. فكيف يكون له أبناء في نفس القرن بعد نوح، وتكون منحدرةً منه في نفس القرن قبيلة عظيمة لها مدن بأعمدة- ارم ذات العماد- كما يسميها القرآن. وكيف يكون له نبي- هود – اسمه مشهور في التاريخ بحسب القرآن، حتى ان رجلاً في مصر قد حذَّر المصريين وفرعون من دينونة مثل تلك التي أتت على قبيلة عاد التي لم تسمع لرسالة هود ؟!

ولقد اعتُبر ابن اسحق من قبل المثقفين في زمانه كاذباً ودجالاً. فنقرأ مثلاً عن مالك بن انس وهشام بن العروة بن الزبير، وهما من أهم أقطاب التقليد الإسلامي:

"يكادان يخرجانه من حظيرة المحدثين، أهل الصدق والثقة، ولا يدّخران وسعاً في اتهامه بالكذب والدّجل. ذلك إلى اتهامات أخرى رُمي بها ابن إسحاق، كالتدليس، والقول بالقدر، والتشيع، والنقل عن غير الثِّقات، وصنع الشعر ووضعه في كتابه، والخطأ في الأنساب"[5].

ومع ذلك، فقد اصبحت في أجيال لاحقة، كتابات أمثال ابن إسحاق وعبيد بن شريه وابن الكلبي وابن عباس، أساساً لتاريخ جديد مغاير للتاريخ الرسمي المُبرهن والذي يتبناه بقية سكان العالم. وهذا التاريخ الجديد الذي وضعه هؤلاء، دون الاستناد إلى أي وثيقة تاريخية، هو من أجل دعم أخطاء القرآن التاريخية الفادحة.

وبناء على السلالة التي ابتدعها ابن اسحق، فقد ادّعى ابن خلدون (الذي عاش بين عامي 1332 – 1406 م) ان قبيلة عاد قد احتلت جنوب شبه الجزيرة العربية وجزءاً من شرق افريقيا، وأنها بنت مدينة دمشق واحتلت مصر[6]. لقد ابتدع ابن خلدون هذه الادعاءات دون الاستناد إلى أي وثيقة أو دعم تاريخي يؤيِّده. فلا نجد لادّعاءاته هذه أي كتابة أو شاهد من علم الآثار يدعمها. فقد وجد المسلمون بين قبور جنوب العربية قبراً في حضرموت، فادّعوا انه قبر "هود"، الاسم الذي ادّعى القرآن انه كان نبياً لعاد، وذلك دون أي دليل أو كتابة تؤكِّد هذا، ودون سابق تلميح الى ذلك قبل العصر الإسلامي.

مصادر محمد الجاهلية من جهة عاد

لقد كانت عاد-ان وُجدت في التاريخ- قبيلة عربية تعيش حياة البداوة. ولم تعرف شيئاً من المدنية وفن البناء المعماري لكي يميّزها عن أمم الأرض، ويُظهرها متفوقةً على بقية سكان الأرض، كما يدّعي القرآن. فقد ظهرت خرافات عن عاد وسط شعب

جاهل، وتمَّ تبنّيها من قبل أشخاص حوت أشعارهم خرافات، مثل أمية بن أبي الصلت[7] ابن عمة محمد، الذي عُرف عنه في تبني خرافات انتشرت وسط جماعات تميل الى تصديق الخرافات. ومن هؤلاء الشعراء أيضاً متمم بن نُوَيْرة، الذي كان قد أدرك الإسلام في ذلك الوقت. فهؤلاء لم يكتبوا أشعارهم، بما فيهم أمية بن أبي الصلت، قبل زمن طويل من بروز الاسلام. ولذلك يمكننا استنتاج أن محمداً قد نقل أفكاراً عن قبيلة عاد من أمية، ولم يأت بشيء تاريخي جديد. وقد خُدع من أفكار كتلك التي كان يبثُّها أمية.

كيف لمثل هذه الأشعار التي ظهرت قبل الإسلام بقرن من الزمان على أبعد تقدير، وبعضها كان معاصراً للإسلام، ان تكون موضع ثقة حين تتكلم عن عهد نوح، الذي كان قبل الميلاد بعدة آلاف من السنين؟ هذا في وقت فشل الشعر الجاهلي في ان يذكر بدقة، أشياء حصلت قبل الإسلام بقرن واحد. ويقول جواد علي في هذا:

"كيف يمكن الثقة في هذه الأقوال المنسوبة لأزمان بعيدة قبل الإسلام، في حين ان نفس الرواة قد اختلفت ذاكرتهم واضطربت في تذكير حوادث حدثت قبيل الإسلام، وزمن الإسلام نفسه"[8]

ولقد ذكر الطبري رواية تقول إن محمداً كان يستمع إلى قصص عن عاد[9]. الأمر يؤكد لنا أن الخرافات التي ذكرها محمد في القرآن حول عاد، كانت منتشرةً وسط جماعات مُحدَّدة بين الجاهليين.

مصادر القرآن من جهة عِظم طول سكان عاد: التأثير المندائي والمانوي، وانتشار الخرافات المانوية لمكة

العبارة "زادكم في الخلق بسطة" الموجودة في سورة الأعراف والآية 69، تشير الى ان محمداً كان متأثراَ بالكتابات المانوية، التي تدّعي بأن الناس الذين عاشوا على الأرض زمن الطوفان كانوا عمالقة، وطوال القامة جداً. هذه الفكرة موجودة في كتاب لماني مؤسس المانوية، اسمه "العمالقة" The Giants. ونجد أيضا مثل هذه الأفكار في كتب غنوسية أخرى تبناها المانويون. وجذور هذه الخرافات ترجع إلى كتاب اخنوخ الاول، الذي يعود إلى ما بين القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، حيث نقرأ ان الملائكة تزوجوا بنات الناس، "والنساء نتيجة لذلك قد حبلن وولدن عمالقة عظاماً يبلغون ثلاثة آلاف ذراعا من الطول(حوالي 4500 قدم)"[10]. ونحن نعلم تمسُّك الأحباش بكتاب اخنوخ، حيث كانوا في مكة في زمن محمد بأعداد كبيرة.

كما أن الخرافة القرآنية عن الملاكين هاروت وماروت اللذين نزلا إلى بابل وعلّما السحر للناس، مأخوذة من عدة مصادر تأثرت بكتاب اخنوخ الاول، ومن بينها كتابات مندائية. ففكرة ان ملاكاً ينزل ليسكن بين الناس، هي فكرة مألوفة في كتب المندائيين. فالكتاب المندائي حاران جاويتا Haran Gawaita يذكر ان Surbis Ruha، وهو ملاك من ملائكة الظلمة، قد نزل وسكن بين المندائيين لكي يغويهم[11]. وهو الأمر الذي يذكّرنا بادّعاء القرآن حول نزول هاروت وماروت في بابل، لكي يعلّما السحر والتفريق

بين الرجل وامرأته. وهناك في الكتب السحرية المندائية ما يعكس قصة هاروت وماروت في القرآن بطريقة دقيقة. فنقرأ ان ملائكة الكواكب قد نزلت إلى المدن الرئيسية لأرض ما بين النهرين (المقصود هنا بابل)، وقالوا:

"باسم الملائكة التي تفصل أو تفرّق، ليكن هناك انفصال أو تفريق بين النساء والرجال"[12].

ونحن نعلم تأثير الصابئة المندائيين على محمد من خلال الأحناف، إذ ان مؤسس الأحناف زيد بن عمرو بن نُفيل كان يذهب إلى الموصل، حيث كانت تعيش جماعات من المندائيين، وكان يسأل عن الديانة. وهناك أيضا تأثيرات مانوية على محمد من جهة تلك الخرافات، حيث يوجد مثيل لها في كتاب ماني "العمالقة "[13].

والعلاقة بين محمد والمانويين في مكة مؤكَّدة، بسبب ان كثيرين من أفراد قبيلة قريش قد اعتنقوا المانوية. وكان المانويون يُدعون في مكة بالزنادقة. وعندما يذكر العرب الزنادقة، فهم يعنون بالدرجة الأولى أتباع ماني الذين يؤمنون بالثنوية، أي ان هناك خالقاً للعالم النوراني الصالح، وخالقاً شريراً لعالم الظلمة[14].

وكون ان المانويين هم المقصودون بالزنادقة، واضح من كتابات المؤرخين العرب. فياقوت الحموي مثلاً يتكلم عن قرى في الصين ومناطق قريبة منها، معظم سكانها زنادقة على مذهب ماني، ويميزهم عن المجوس، فيقول:

"وأكثر أهلها عبدة نيران على مذهب المجوس ومنهم زنادقة على مذهب ماني".[15]

وهذا ما يؤكد على أن لقب زنادقة الذي استخدمه الكتّاب والمحدثين العرب، كان يُقصَد به المانويون أتباع ماني.

ويذكر الابشيهي عن الأديان التي تسللت إلى بعض القبائل العربية ويقول:

"وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الجزيرة"[16].

ويبدو ان هذا قد حصل بسبب تجارة قريش مع العراق وسوريا، بحيث نجد بين الأسماء العربية اسم ماني. كما نقرأ في حديث منقول من الحاكم في كتابه "المستدرك على الصحيحين" هذه العبارة:

"أخبرنا علي بن عبد الرحمن بن ماني"[17] .

ويذكر اليعقوبي عن العرب:

"وتزندق منهم قوم، فقالوا بالثنوية"[18]

والثنوية هي مبدأ من أصل فارسي، تبناه ماني وأشاعه.

ولقد كان للمانوية تأثير شديد على شمال العربية منذ وقت مُبكِّر؛ فقد آمن بها عمرو العربي حاكم الحيرة (بين عامي 270-300)، الذي دافع عن المانوية وساعد على

انتشارها في المناطق العربية[19]. ويؤكِّد الجغرافي ابن رسته وصول البعثات التبشيرية إلى مكة من الحيرة، وهو ما تؤكده مصادر تاريخية عربية - مثل ابن قتيبة – الذي تحدث عن إحضار بعض القريشيين هذه البدعة إلى مكة.[20] من هنا نفهم أن أفكار المانوية كانت مألوفةً في مكة وقريش، وان محمداً قد نسخ كثيراً من أفكارهم، خاصة في موضوع الوحي.

وربما يكون تفنيد المسيحيين للمانوية، كما فعل افرام السرياني وغيره[21]، قد مهّد لهرب بعض المانويين الى مكة. كما أن استخدام الفرس للمانويين ضد الرومان، ربما هيَّأ لاضطهاد المانويين في المناطق الرومانية، مما جعلهم يبحثون عن مناطق خالية من سلطة الرومان ليسكنوا فيها، مثل العربية. ويكتب الباحث اسموسن Asmussen:

> "كان حكم هرمازد الاول ابن شابور قصيرا (حوالي عام) لكي يستطيع ماني ان يدبّر اموره. وعلى اي حال كانت الديانة مُحتمَلة. وكانت هذه الديانة تُدعى "استقامة" كما نجدها مثلا في الكتابات the Coptic Homilies 67, 22, and the Parthian M 4575. وسريعا ديانة ماني دخلت مناطق حوض البحر المتوسط الجنوبية والوسطى، الى سوريا وفلسطين (كمثال ارسالية المانوية جوليا الى غزة، كما وصفها Marcus Diaconus في كتابه Life of Porphyrios) وايضا الى شمال شبه الجزيرة العربية"[22]

موضوع عاد الأولى وعاد الثانية

بعض المسلمين يتخذون الآية 50 في السورة 50 (النجم) التي تقول "وأنه أهلك عاداً الأولى"، لكي يدّعوا بأنه كانت هناك عادان: العاد القديمة أو الغابرة (والتي يعتبرون أنها كانت في جنوب شبه الجزيرة العربية)، وعاد أخرى ظهرت في شمال العربية في منطقة خليج العقبة. ولكن الحقيقة هي أن القرآن وصف عاد "كأولى"، لسبب اعتبار محمد سكانها أنهم الجيل الثاني بعد نوح، أي كأول أمة بعد نوح، ولم يقصد ان يميّزها عن عاد أخرى حديثة.

بعض المسلمين أيضا ينظرون إلى سورة الأقحاف (46) والآية 21 التي تقول "واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأقحاف"، لكي يستخرجوا منها أفكاراً اخرى لم يقصدها مؤلف القرآن. فيقولون إن قبيلة عاد الأولى عاشت "بالاحقاف" الذي يعتبرون أنه مكان في جنوب شبه الجزيرة العربية، أي في صحراء الربع الخالي على حدود حضرموت. ولا أدرى كيف يمكن للربع الخالي، وهو من أكثر صحاري العالم قساوة، ويخلو من الحضارات والسكان، ان يستضيف شعباً هو الأقوى بحسب المسلمين، حتى انه احتلّ كل جنوب العربية وشرق افريقيا، وكان له بحسب القرآن مدناً بأعمدة (إرم ذات العماد). ولكن القرآن تكلم عن هود على اعتباره نبي قبيلة عاد، انه أنذر أو هدّد شعب عاد في دينونة تأتي بواسطة الاحقاف، التي هي رياح رملية صحراوية تهب باستمرار على شبه الجزيرة العربية. والترجمة الانكليزية للقرآن تعبِّرعن ذلك بوضوح. فترجمة عبد الله يوسف علي مثلاً تترجم تلك الفقرة من الآية بهذه الكلمات:

He warned his people about the winding sand-tracts

وما يؤيِّد ذلك هو ادّعاء القرآن هبوب تلك الريح على عاد، كما نقرأ في الآيتين 24 و25 من نفس السورة "ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء". ولقد فهم الكتّاب المسلمون الأوائل كلمة الاحقاف على أنها رمل عظيم. ويقول العيني:

"قوله بالاحقاف جمع حقف بكسر الحاء وهو رمل مستطيل مرتفع فيه اعوجاج من احقوقف الشيء إذا اعوجَّ "[23] .

ويقول البكري الأندلسي عن الاحقاف: "ويقال للرمل إذا عظم واستدار: حقف"[24].

والحقيقة هي أن القرآن قصد أن عاد الأولى سكنت في شمال شبه الجزيرة العربية، وأن ثمود سكنت في نفس المنطقة رأساً بعد ان حطَّمت الريح عادا الأولى. ولقد حدَّد القرآن تلك المنطقة، حيث وصف بيوتها بأنها تُنحت في صخور الجبال. ونحن نعلم ان تلك البيوت المنحوتة في الصخر وُجدت في منطقة مُحدَّدة في شبه الجزيرة العربية، بالقرب من مدينة الحجر. وكانت مدينة الحجر نبطية (كما سنرى عند مناقشتنا لموضوع ثمود). وفي سورة الأعراف (7) والآية 69 يتحدث كاتب القرآن عن عاد قائلا:

"واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة"

ثم حطمهم. وبعد ذلك بدأ محمد في الآيتين 73 و74 الحديث عن قبيلة ثمود، كمن جاءت مباشرةً لتحل محل قبيلة عاد التي دُمرت بحسب ادعائه، ولتسكن نفس أرضها. تقول الآيتان:

"والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ... واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا .."

من الواضح هنا ادّعاء محمد بأن "عاد الأولى" التي ذكر أنها كانت موجودة في الجيل الذي أتى بعد نوح، قد سكنت في المنطقة حيث كانت البيوت منحوتة في الصخر، والتي حدّدها في سورة الحجر (15) والآية 80 بأنها مدينة الحجر. فنقرأ في الآيات 80-82 :

"لقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين. وأتيناهم بآياتنا فكانوا عنها معرضين. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين"

نحن نعلم ان مدينة الحجر تقع في الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية، وقد بُنيت من قِبل الأنباط، وهم الشعب المعروف عنه في شبه الجزيرة العربية بتخصصه في بناء البيوت من خلال نحْتها في الصخر. لذلك نرى ان قصد محمد من "عاد الأولى" هو قبيلة عاشت قبل قبيلة ثمود في شمال شرقي شبه الجزيرة العربية، وليس قبيلة عاشت في جنوب شبه الجزيرة العربية. وقد اعتبر محمد أن هذه القبيلة كانت موجودة في الجيل الثاني بعد جيل نوح، مع العلم ان عاد قد ظهرت في نفس منطقة ثمود ابتداءً من القرن

الثاني للميلاد، بينما ثمود بدأت بالظهور في القرن الثامن قبل الميلاد فقط (كما سوف أناقش ذلك لاحقا).

يدّعي الكتّاب المسلمون ان "عاد الأولى" عاشت في جنوب العربية، وتلاشت قبل قرنين أو ثلاثة من العصر الميلادي. ولكن فاتهم انه لم توجد قبيلة أو أمة عاشت في جنوب شبه الجزيرة العربية، دون ان يكون تاريخها مُسجل بغنى في الموجودات الأثرية، مثل الكتابات والنقوش على الحجارة والجدران والبوابات والأضرحة والمعابد وعلى الآنية المختلفة، بالإضافة إلى النصب التي هي ألواح تذكارية، وقطع العملة. فلا شيء من مثل هذا يدعم رأي هؤلاء الكتّاب حول عاد، التي لا يوجد أي أثر عنها في آثار جنوب شبه الجزيرة العربية، التي هي من أغنى آثار العالم، وذلك لأن قلة الإمطار في المنطقة تساعد على حفظ الآثار من التلف. فحتى أدنى الشعوب التي عاشت في جنوب العربية، تركت مئات المنقوشات والموجودات الأثرية التي تدل على تاريخها.

أصل خرافة هود النبي الذي ادّعى محمد انه نبي لقبيلة عاد

لا يمكن ان يكون هود اسماً عربياً بل يهودياً. فهو اسم قاضٍ من قضاة إسرائيل. وكان العرب في زمن محمد يطلقون اسم هود على اليهود. وهذا مؤكَّد من استخدام القرآن لكلمة هود في حديثه عن اليهود، كما نقرأ في الآية 135 من سورة البقرة:

" وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ..."

أما هود المذكور في القرآن، فيؤكِّد الباحثون أنه شخص يهودي، لديه ابن يدعى دانيال، وكان يدعو الى اعتناق اليهودية في شبه الجزيرة العربية، قبل مجيء محمد بحوالي قرن من الزمان. ومن هؤلاء الباحثين سيرجنت[25] .R.B. ويوجد أيضاً باحثان مشهوران متخصصان في تاريخ شبه الجزيرة العربية، هما F.V.Winnett و W.L.Reed، يعتقدان بان هوداً هو عبارة عن شخص يهودي كان يدعو لليهودية في شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي[26]، حيث انتشرت اليهودية بصورة خاصة في جنوب العربية، وبعض المناطق في شمالها. وفي وقت لاحق نشأت خرافات حول اسم هود، وصار يعتبر كنبي لقبيلة عاد، التي عاشت في فترة زمنية قريبة من عصر محمد (سبق ورأينا انها عاشت في القرن الثاني بعد الميلاد). وهذا يتفق مع العادات التي كانت سائدة عند العرب في الجاهلية وزمن محمد، في نسج خرافات حول الأسماء التي يسمعون عنها.

بالنسبة إلى الموضع الذي يُعتبر أنه قبر هود، فهو بركان قديم كان قد انفجر فأهلك ما حوله. وتؤيد الكتب العربية ذلك، حيث ورد فيها ان اصواتاً كالرعد كانت تخرج من البركان، وانه كان يقذف حمماً. ومن هنا نشأت قصة قبر هود وعذاب عاد. من بين الباحثين الذين تطرقوا لذلك فون كريمر [27].

تضارب ومتناقضات في القرآن من جهة دينونة عاد

يوجد تناقض واضح في الطريقة التي أجرى فيها القرآن القضاء على قبيلة عاد. ففي سورة "المؤمنون" تم القضاء عليها من خلال صيحة:

" فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غُثاء" سورة "المؤمنون" 23 والآية 41.

وينسب المسلمون هذه الصيحة الى الملاك جبرائيل[28]. والصابئون المندائيون ينسبون صيحات دينونة لبثاهيل، الذي صار يُعرف عندهم لاحقا بجبريل.(سوف نناقش ذلك في موضوع جذور الصيحات القرآنية).

ولكن سورة الاحقاف 46 : 24 تنسب دينونة عاد الى الريح:

"فلما رأوه عارضا مُستقبِل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطِرُنا، بل هو ما استعجلتم به ريح عذاب أليم".

بمعنى آخر، يدّعي القرآن ان أهل قبيلة عاد رأوا غيمةً في الفضاء آتية لاستقبالهم، ولما صاروا تحتها، أتت ريح وأهلكتهم جميعاً وحطمت بيوتهم. فالقرآن يصوّر عاد كقبيلة صغيرة جدا، يمكن لأعضائها أن يتجمعوا تحت غيمة محدودة. وهذا يتضارب مع الادعاء القرآني بأنهم أول أمة في الأرض بعد نوح، ولديهم مدن بأعمدة. فالقرآن يجمع كل أعضاء القبيلة تحت غيمة، لكي يخاطبهم نبيهم ويذكّرهم بالقصاص قبل إهلاكهم. فنرى أن محمداً يعامل هذه الأمة التي سبق وصوّرها بانها عظيمةٌ وقد انتشرت في الأرض بعد نوح، كأنها جزء من حي في قرية عربية. وهذا كمثل إنسان يسرد قصة على مجموعة من الأطفال، فيقول لهم ان الله جمع كل الأوروبيين تحت غيمة، وأنذرهم ثم أبادهم. فمحمد لم ينتبه الى انه وضع أبعادا عظيمة للقبائل والأمم التي أراد ان يحطّمها في التاريخ، وعند إبادة شعوبها أظهرهم كسكان قرية أو مدينة صغيرة. وكما فعل مع قبيلة ثمود الذي حصر سكانها في مدينة الحجر، وأبادهم فيها، هكذا حصر سكان عاد تحت غيمة قبل أن يهلكهم.

كما أن محمداً لم ينتبه الى التناقضات التي خلقها. فهو ذكر في سورة "المؤمنون" انه أبادهم بصيحة.

"فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غُثاء" سورة المؤمنون أي 23 والآية 41.

ورأينا ان تلك الصيحة قد أطلقها جبريل. الا أنه نسب الإبادة هنا إلى الريح، بعد ان جمع الشعب تحت غيمة. فيبدو ان محمداً لا يراجع الآيات التي يذكرها في الماضي، لكي لا يقع في التناقضات، أو انه ينسى الآيات السابقة ومضمونها، أو انه لا يدرك ان مستمعيه ينتبهون للتناقضات، وأنهم يهتمون لفحصها بقدر ما يطربون للسجع.

الدينونة من خلال الريح في الزرادشتية، ومصادر محمد الزرادشتية

أحيانا تتم الدينونات في القرآن بواسطة الريح، مع ان العادة هي ان تُنسب الى الصيحة أو الزجرة التي يقوم بها جبريل.

قد أتى سلمان الفارسي الذي كان كاهناً للنار في الديانة الزرادشتية، إلى محمد واعتنق الإسلام. وفي لقائه الأول معه، أهداه محمد بيضة من ذهب، وهو ما كان يعادل ثروة من المال حينذاك. من الواضح ان محمداً رأى في سلمان الفارسي مرجعاً هاماً للاطلاع من خلاله على الزرادشتية. ورغم ان الآيات المدنية التي تستند على الديانة الزرادشتية مصدرها سلمان الفارسي، ولكنه لم يكن مرجع محمد الوحيد في الديانة الفارسية. فهناك آيات مكية قد سبقت إسلام سلمان الفارسي. فالفارسية كانت ديانةً معروفة في شبه الجزيرة العربية، كإحدى الديانات الرئيسية فيها. وقد انتشرت في قبيلة تميم التي كانت في علاقة حميمة في قريش بسبب اشراف تميم على الحج حول مكة. وهناك ما يدل على انتشار الزرادشتية في قريش نفسها. فقد انتشرت الزندقة في قريش. ويذكر الابشيهي عن الأديان التي تسللت إلى بعض القبائل العربية ويقول:

"وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الجزيرة"[29] .

ومع ان كلمة "زندقة" صارت تمثّل المانوية بالدرجة الاولى. ولكن كان المعنى الاصلي يشير للديانة الزرادشتية. وذلك لسببين. الاول هو كلمة "زند" او "زندا" التي تشير لكتب زندا افستا الزرادشتية. فهناك تعبير Zand-i-Avesta التي تعني "تفسير الأفستا". ولكن في وقت لاحق صارت بعض المخطوطات الفارسية الزرادشتية تُدعى ب Avesta-o-Zand (or Zand-i-Avesta) اي كتاب الأفستا مع تفسيره. فكانت كلمة "زنديق" لقب لمن يؤمن بكتب الزند.

والسبب الثاني هو ان كلمة زندقة ارتبطت في الثنوية التي هي اهم العقائد الزرادشتية. ويذكر اليعقوبي عن العرب:

"وتزندق منهم قوم، فقالوا بالثنوية"[30]

والثنوية هي مبدأ من أصل فارسي، تبناه لاحقا ماني وأشاعه. فيصح القول انه كان يُقصد بالزنادقة كل من اتبع الثنوية مثل الزرادشتيين والمانويين.

وليس غريبا انتشار الزرادشتية في قريش، من حيث علاقة قريش بالحيرة، المدينة العربية في العراق التي كانت تحت الفرس. فكان القرشين يرسلون اولادهم للحيرة لكي يتعلموا الثقافة الفارسية، كمثال النضر بن الحارث. طبيعي ان يتعلموا ديانة الفرس.

فكانت الزرادشتية في متناول محمد في مكة، وذلك قبل تعرّفه على سلمان الفارسي في المدينة. واتهام قريش لقرآن محمد انه بلسان أعجمي اي فارسي كان في مكة. كما نرى في سورة النحل اي 16:103، والتي هي سورة مكية:

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ

اي يعلّمه شخص أعجمي. ذلك يدل على تلقي محمد في مكة معلومات من شخص فارسي او مطلع بالثقافة الفارسية، كان يسكن مكة.

وذلك يفسِّر لنا سبب وجود أفكار زرادشتية كثيرة قامت عليها خرافات القرآن. وفي الحقيقة، فان موضوعات قرآنية مثل تكوين الكون وعلامات الأيام الأخيرة، تم اقتباس غالبيتها من الديانة الزرادشتية.

والدينونة بواسطة الريح هي إحدى الوسائل التي يُقضى بها على شعوب كما نرى في الأسفار الزرادشتية. فنجد مثلاً في سفر رام ياست، الذي هو من الأسفار الفهلوية، ان أهورا مازدا إله الزرادشتيين، يقدم تقدمات إلى فايو Vayu إله الهواء أو الريح، طالبا منه ان يدين عالم الشر[31]. وإله الهواء هذا يملك قدرة عظيمة، بحيث انه قادرٌ على إفراغ الأرض من سكانها. ونقرأ أيضا في Ram Yast، أن Dahaka Azi المعروف من العرب باسم الضحاك، وهو شخصية خرافية معادية للأمة الإيرانية، قدّم طلباً إلى إله الهواء فايو Vayu ليفرغ الأرض من سكانها، ولكن فايو رفض طلبته[32].

وجميع الدينونات في الزرادشتية تُجرى إما بواسطة الريح أو بواسطة صيحة يصرخها إله أو ملاك. وهذا نراه أيضاً في القرآن، إذ أن الدينونة تحصل بواسطة الريح أو صرخة جبريل، الذي حلّ مكان ملاك الريح أو العاصفة في الزرادشتية.

ويوجد في الزرادشتية الريح الصالح الذي يجري القضاء على خليقة اهريمان إله الشر. ومن ناحية أخرى، يوجد ريح شيطان ينتمي الى خليقة اهريمان، الذي يقوم بأعمال تدمير وخراب في العالم الجيد الذي خلقه اهورا مازدا. فهذا النوع من الثنائية او الثنوية معروف في الزرادشتية، بحيث نجد ان شيطان الريح أو العاصفة قد دمّر المدينة التي ولد بها زرادشت. فبصيحة واحدة من هذا الشيطان رُفعت المدينة إلى السماء، ثم قُلبت رأسا على عقب (راجع سفر دنكارد الكتاب السابع والإصحاح الثاني[33]). نفس هذه الفكرة استعارها القرآن، حيث نجد ان صرخة جبريل قلبت مدينتي سدوم وعمورة رأساً على عقب.

وإله الريح في الزرادشتية موكّلٌ أيضا في إجراء القضاء على أشخاص وشعوب ترفض الرسالة الزرادشتية. فنراه يحمل ملكين متمردين عاليا في الهواء، ويتركهما معلقين في تلك الحالة كقصاص لهما[34]. هذا الامر الذي نراه مُقتبسَاً في قصة القضاء القرآني على قبيلة عاد، التي رفضت الإيمان بهود. فيقول ابن عباس إن الريح كان يحمل رجال قبيلة عاد ومواشيها، ويطير بهم في السماء، ثم يضربهم في الأرض[35].

في خاتمة هذا البحث

نرى إذا القرآن يدّعي بأن قبيلةً عاشت في القرن الميلادي الثاني، أنها عاشت في القرن الثاني بعد نوح. ويجعلها تنتشر في الأرض بمدن ذوات أعمدة، بينما هي في الواقع، ان وُجدت في التاريخ، كانت قبيلة تعيش حياة البداوة في شمال شبه الجزيرة العربية بالقرب من خليج العقبة. ويتبنى القرآن خرافة معروفة بان الناس بعد زمن نوح كانوا أصحاب طول خرافي، فيطبق هذه الخرافة على قبيلة عاد البدوية، التي اخترع لها نبياً باسم يهودي هو هود، قبل أن يهلكها بصرخة مندائية أو بريح على الطريقة الزرادشتية. ونحن، بناء على التقدُّم في علم الآثار ودراسة الكتب التاريخية، مثل كتابات الجغرافيين اليونانيين، صار لنا معرفة في قبائل شمال شبه الجزيرة العربية، أكثر من الشعب الذي كان في زمن محمد في الجاهلية. اعتقد بان موضوع مقارنة المعلومات التي يقدمها لنا علم الآثار، بالخرافات التي كانت منتشرة في زمن محمد، سوف تساعد المسلمين على تقييم محمد وقرآنه بناءً على التاريخ الموثق، وستساعدهم على التحرر من فكرة الوحي الذي ادّعاه محمد لقرآنه.

ونقول ان الفكرة التي كانت لدى الجاهليين عن بعض الشعوب القريبة نسبياً منهم، مثل عاد، لا يمكن تبنيها في أيامنا الحاضرة، لان الشعوب السامية التي انبثقت من سام معروفة لدينا، كما أن لغاتها أيضا. وفي علم الاركيولوجيا، هي مطابقة تماماً لما ذكره الكتاب المقدس عنها. فالقرآن هو انعكاس لنظرة جاهلية خاطئة للتاريخ، بحيث أنه لا يمكننا محو اكتشافات عصرنا العلمي من جهة التاريخ وعلم الاركيولوجيا، وتبني الأفكار الجاهلية التي قام عليها القرآن.

قبيلة ثمود

ثمود في القرآن والتاريخ

من المعروف تاريخياً أن قبيلة ثمود لم تظهر قبل القرن الثامن قبل الميلاد. ففي نهاية ذلك القرن، هاجمت ثمود وقبائل عربية أخرى الحدود الأشورية، وانكسرت أمام سرجون الثاني ملك أشور، الذي نقل بعضاً من أهالي تلك القبائل وأسكنهم في مدينة السامرة، ونقل سكان السامرة إلى أماكن أخرى[36]. ففي عام 715 قبل الميلاد، قد تصدى سرجون الثاني لقبائل عربية كانت تهدد الحدود الجنوبية لمملكته. وهذه القبائل كانت ثمود وKhaiapa وIbadidi وMarsimani[37].

وفي سورة الحِجْر (15) والآيات 80-84، اعتبر محمد أن الثموديين هم سكان مدينة الحجر. وادّعى في القرآن أن قبيلة ثمود قد بادت نهائياً من خلال صيحة سحرية:

"لقد كذّب أصحاب الحِجْر المرسلين. وأتيناهم بآياتنا فكانوا عنها معرضين. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين".

فادّعى محمد أن سكان الحِجْر ثموديّون. والحِجْر هي مدينة قد احتلها الأنباط من اللحيانيين في القرن الاول ق.م.، ونحتوا بيوتها في الصخر خلال القرن الميلادي الأول. واعتبر محمد أن الثموديين هم الجيل الثالث بعد نوح، مباشرةً بعد قبيلة عاد التي اعتبرها الجيل الثاني بعد نوح. وهذا ما توضحه سورة الأعراف (7) والآيتان 73 و 74:

"والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله... واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ..."

أي أنهم ورثوا الأرض بعد هلاك عاد، الذين كانوا بحسب القرآن في الجيل الثاني بعد نوح، كما نقرا في سورة المؤمنون:

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ(سورة المؤمنون أي 23:31)

ورأينا في سورة الأعراف والآيتين 73 و74 ان الثموديين يأتون بحسب محمد رأسا بعد عاد. أي ورثوا الأرض بعد ان تم تدمير عاد. ذاك يعني انه قد وضع ثمود في الجيل الثالث بعد نوح.

الطبري يفسر الآية بقوله:

"يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صالح لقومه واعظا لهم: وَاذْكُرُوا أيها القوم نعمة الله عليكم، إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ يقول تخلفون عادا في الأرض بعد هلاكها"

من حيث ان عاد كانت في الجيل الثاني بعد طوفان نوح، معناه ان ثمود هي في الجيل الثالث. ويستخدم القرآن في سورة 23 والآية 31 كلمة قرن كجيل. نرى إذاً ان كلمة "جيل" هي مرادفة لـ "قرن". فمن المُؤكَّد القول ان القرآن قد عنى ان ثموداً عاشت في القرن أو الجيل الثالث بعد طوفان نوح.

ومن خلال الأحاديث يتأكد لنا أيضاً أن محمداً قصد أن الثموديين قد سكنوا مدينة الحِجْر، ودينوا فيها، حيث أنه مرّ بالمدينة في أثناء حملة تبوك. نقرأ في صحيح البخاري وصحيح مسلم:

" أن النبي صلعم لما مر بالحجر قال: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم). ثم تقنع بردائه وهو على الرحل".
"عن ابن عمر أن رسول الله، لما نزل الحجر في غزوة تبوك، أمرهم أن لا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها. فقالوا قد عجنا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين، ويهرقوا ذلك الماء."[38]

على رغم الحقائق التاريخية التي تؤكد بقاء ثمود حتى القرن الميلادي الخامس، فقد آمن المسلمون عبر التاريخ بأن ثمودا قد أُبيدت من الوجود ابتداء من القرن الثالث بعد طوفان نوح.

هذا الاعتقاد نراه عبر مراحل التاريخ الاسلامي. فعلى سبيل المثال، ذكر بعض الإخباريين المختصين بالسلالات، ان قبيلة ثقيف التي كانت تسكن الطائف هي من نسل ثمود. فاعترض الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان من قبيلة ثقيف، وكان والياً على العراق في العصر الاموي، وقال بما معناه ان أولئك الذين يدّعون بأن أهل ثقيف هم من نسل ثمود، هم إما قد كذبوا أو ضلوا، حيث ان ثموداً قد هلكت منذ زمان كما قال القرآن[39]. فنرى كيف ان القرآن قد ترك تأثيراً على عقول المسلمين، وحتى الحكام منهم، بأن ثموداً قد هلكت كلها ولم يبق من نسلها أحدٌ.

من الواضح ان محمداً كان جاهلاً في تاريخ ثمود الحقيقي. فالقبيلة كانت قد ظهرت في القرن الثامن قبل الميلاد، واستمر وجودها كقبيلة منظمة حتى القرن الميلادي الخامس، ثم امتزجت مع القبائل الأخرى في شمال شبه الجزيرة العربية، ولم تحدث لها تلك الإبادة الكلية.

من السهل رؤية كيف ان محمداً عندما كان يريد ان يجلب دينونة على شعوب وأمم معينة، كان يخترع أو يستخدم صرخةً أو ريحاً، على الرغم من أن تلك الأمم كانت معروفة عند مؤرخي الأمم المتمدنة، الذين كتبوا عن حروب تلك الشعوب وملوكهم والكثير من نشاطاتهم التجارية. فالثموديون قد ذُكروا في الكتابات الأشورية والكلدانية، كما في معظم كتابات المؤرخين والجغرافيين اليونان والرومان الذين زاروا شمال شبه الجزيرة العربية. فالمؤرخون ذكروا الثموديين ابتداءً من القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن الخامس ميلادي، أي إلى زمن قريب من محمد. وقد أكّدوا أن ثموداً تواجدت في شمال العربية كقبيلة منظَّمة، حتى القرن الخامس ميلادي. ومع ذلك، فقد آمن المسلمون عبر مراحل التاريخ المختلفة، بأن ثموداً قد أُبيدت في القرن الثالث بعد نوح.

تاريخ الحجر الحقيقي

تبعد مدينة الحجر حوالي 24 كيلومترا عن مدينة ديدان القديمة، والتي تُدعى اليوم بمدائن صالح. ولم تكن المدينة قديمة كما يدّعي القرآن. فمدينة ديدان التي كانت عاصمة اللحيانيين، وكانت الحجر موقعاً بسيطاً تابعاً لها، قد بُنيت في واحة في القرن التاسع قبل الميلاد، بواسطة قبيلة ديدان المنحدرة من قيشان، الابن الثاني لقطورة التي ولدته لإبراهيم بعد وفاة سارة (راجع سفر التكوين 25 : 1). واحتل اللحيانيون المنطقة من الديدانيين، وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد. ولم يكن هناك خط بري يربط فلسطين باليمن قبل القرن التاسع أو العاشر ق. م.، وذلك بسبب عدم وجود مدن في شمال العربية مثل ديدان وتيماء وقيدار، التي بُنيت في القرن التاسع ق. م. وما بعدها. وكانت هذه المدن محطات لتزويد القوافل بالطعام والماء.

والحجر قد نحتها الأنباط في الصخر خلال القرن الميلادي الأول[40]. وعندما قام الرومان بحملتهم في غرب العربية حوالي عام 23 ق. م.، كان يرافقهم المؤرخ والجغرافي اليوناني سترابو، الذي ذكر في تقريره عن الحملة وصول الجيش إلى مدينة الحجر التي سماها Egra. وذكر أيضا أن والي المدينة كان Aretas، قرابة لملك الأنباط المدعو Obodas[41].

وقد عُرف الأنباط بأنهم الشعب الوحيد في تاريخ شبه الجزيرة العربية، وربما في كامل منطقة الشرق الأوسط، الذين نحتوا بيوتهم بهذه الطريقة. والمكان الذي احتله الأنباط كان أصلاً قرية لحيانيه.

وعلى رغم أن المدينة قد بُنيت لأول مرة، ونُحتت بيوتها في الصخر من قبل الأنباط في القرن الأول الميلادي، إلا أن محمداً ادّعى بأن المدينة كانت موجودة خلال الجيل الثالث بعد نوح (الذي لا شك قد عاش قبل الالف السادس قبل الميلاد).

وقد نسَبَ محمد بناء المدينة الى قبيلة ثمود، على رغم أن أهلها لم ينحتوا بيوتاً في الصخر أبداً كما كان يفعل الأنباط. والمدينة هي نبطية، على رغم أن بعض الثموديين عاشوا في المدينة ومحيطها في خيام، وذلك حين ازدهرت المدينة بعد الميلاد.

وكانت مدينة الحجر في الأصل موقعا لحيانياً. فكتابات لحيانيه على الجدران تؤكد بان الموقع كان لحيانيا قبل ان احتله الأنباط ونحتوا به بيوتهم في الصخر[42]. ونعلم ان احتلال اللحيانيين لمدينة ديدان كان خلال الفترة التي ساد بها الفرس بلاد ما بين النهرين، كذلك أثناء الفترة اليونانية المعروفة بالعصر الهليني Hellenistic وهي الحقبة الخاصة في تاريخ الإغريق بعد الاسكندر المقدوني.

ومن الممكن تتبّع تاريخ مملكة لحيان في ديدان بسهولة، إذ يعود أول ظهور لها إلى العصر الفارسي والعصر الهليني. وهو ما نستدلّ عليه من خلال كتابات معينة في ديدان بحسب الباحثين F.V.Winnett وW.L.Reed[43]

نستنتج من هنا بأن مدينة الحِجْر، كموقع لحياني صغير، قد بُنيت لأول مرة في القرن الرابع قبل الميلاد. وقد حكمها مؤسس المملكة اللحيانية في الفترة ما بين 330-320 ق.م. والمعلومات عن الملوك الذين تعاقبوا على لحيان بعد مؤسسها موثّقةٌ جيداً. فالملك شحرو الثاني Shahru II حكم المدينة بين عامي 320 – 305 ق.م. وتنتهي السلالة بالملك العاشر، مسعودو Mas'udu، الذي ملك بين عامي 120- 100 قبل الميلاد[44]. وقد استولى الأنباط على المدينة بعد الملك مسعودو.

الباحثون وعلماء الآثار السعوديون والحِجْر

وحقيقة أن الثموديين لم يسكنوا في مدينة الحِجْر هي أمر يعترف به علماء الآثار المسلمون. فقد كتبت الكاتبة السعودية حليمة مظفر مقالاً في جريدة ''الشرق الأوسط''، العدد رقم 10146، والصادر في 8 سبتمبر عام 2006، تستشهد فيه بعلماء آثار عرب، حيث قالت:

أكد عدد من علماء الآثار والمختصين لـ «الشرق الأوسط»، أنهم لم يعثروا حتى الآن على دليل علمي أثري خلال الحفريات الأثرية التي قاموا بها، يعود بهم إلى أن الثموديين قد سكنوا المنطقة المشهورة بمدائن صالح، التي تبعد عن شمال شرق محافظة العلا بـــ 22 كم، وذهبوا إلى أن الآثار والواجهات الجبلية المنحوتة قصورا هي عبارة عن مقابر نبطية، ولا يزيد عمرها على 2100 سنة تقريبا.

وقال عالم الآثار الدكتور فرج الله أحمد يوسف لـ «الشرق الأوسط»: ان كل الواجهات المنحوتة في الحجر هي مقابر نبطية، وأقدم تأريخ لواجهة منحوتة بها يعود لسنة 100 قبل الميلاد، وليس لهذه الواجهات المنحوتة أي صلة بقوم ثمود، الذين ينسبون للنبي صالح ممن حل عليهم العذاب.

وأضاف: مدائن صالح في أساسها لم تنسب للنبي صالح، وإنما لرجل اسمه صالح من بني العباس بن عبد المطلب، نسبت إليه في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، وقد ذكر ذلك الدكتور عبد الرحمن الأنصاري عالم الآثار السعودي المعروف خلال أبحاثه وكتبه.

وتابع فرج الله حديثه قائلا: خلال الحفريات التي تمت للبحث عن المنطقة السكنية للأنباط، الذين بقيت قبورهم في الجبال لم نعثر على أي نقش أو كلمة واحدة تقصد ثمود وتثبت على الأقل أن الثموديين سكنوا هذه المنطقة، وكل ما عثر عليه هو نقوش وكتابات لحيانيه ونبطية، بينما تم العثور على كلمة ثمود واحدة في جنوب منطقة تبوك وليس في العلا.

وحول إصدار هيئة كبار العلماء فتوى منع إحياء المنطقة، وعدم السماح بالسكن فيها، باعتبارها منطقة قوم النبي صالح، يقول فرج الله: لقد أصدرت هيئة كبار العلماء هذه الفتوة عام 1392هـ في عدم الإحياء والسكن في منطقة مدائن صالح، استناداً إلى اجتهادات المفسرين للأحاديث النبوية، التي أفادت بالمرور السريع وتحريم الشرب والأكل بها، كونها منطقة عذاب الثموديين قوم صالح، من دون التأكد من حقيقة ذلك، بالرجوع إلى علماء الآثار أو ما توصل إليه علم الآثار من نتائج في المنطقة.

وأكد ما ذهب إليه فرج الله، مساعد مدير وحدة الآثار والمتاحف في منطقة العلا مطلق سليمان المطلق، الذي أوضح أن كافة الواجهات المنحوتة في منطقة الحجر، التي يصل عددها إلى 132، هي عبارة عن مقابر أسرية نبطية، وأن التحليل الكيميائي، الذي تم إجراؤه لبقايا العظام البشرية في هذه المقابر، أثبت أنها تعود في تاريخها إلى 100 سنة ما قبل الميلاد، حيث بدأت الحضارة النبطية في منطقة الحجر، وقال: ليس صحيحا الزعم الذي يقول إن بعض الواجهات التي لم تكتمل عليها عملية النحت أو تخلو منها هي ثمودية، وهو زعم واجتهاد فردي مردود لعدم وجود إثبات علمي على ذلك.

وأشار المطلق، الذي رافق سابقا «الشرق الأوسط» خلال جولتها في مدائن صالح والمناطق الأثرية بالعلا، إلى أن الأدلة الشرعية في القرآن والحديث النبوي، هي وحدها التي تم الاستناد إليها في تحديد المنطقة ونسبتها لقوم صالح، من دون الاستناد إلى أدلة علمية أثرية.

ورد عالم الآثار الدكتور خالد أسكوبي، من وكالة الآثار والسياحة الزعم، الذي يذهب إلى وجود فئة من الواجهات الجبلية في المدائن الخالية من النحت على أنها ثمودية قائلا: خلال دراستي العلمية لم أسمع برأي يقول ذلك، وهو رأي اجتهادي وليس علمياً. وتابع: إلى الآن وخلال ثلاث حفريات أجريناها في منطقة الحجر (مدائن صالح) لم نعثر على أي دليل أثري يرجع لثمود قوم صالح، وكل الذي عثرنا عليه هو نبطي بشكل جازم.

جدير بالذكر أن «الشرق الأوسط» التي زارت منطقة مدائن صالح نشرت تقريراً مفصلاً بتاريخ 14 مايو 2006 عما تحويه المنطقة وما تثيره من جدل تاريخي وديني، مستندة إلى آراء عديدة منها لعلماء غربيين بحثوا في المنطقة، منهم عالم الآثار البريطاني البروفيسور جون هيلي من جامعة مانشستر، حيث أكد عبر بحثه المنشور في الأطلال، حولية الآثار السعودية، أن كافة الآثار المنحوتة في الحجر تعود للأنباط، نافياً اعتقاد المسلمين بأن تكون هناك علاقة للنبي صالح وقومه بالمكان.

وهناك مقال لعبد العزيز العنزي نُشر في عدة مجلات، مثل عكاظ السعودية الاسبوعية التي تصدر في جدة، في العدد 2112 الذي كان قد نُشر يوم الجمعة الموافق 30 مارس2007:

ويعتقد الكثير من الناس أن اسم مدائن صالح تعود تسميتها إلى نبي الله صالح عليه السلام. وهذا خطأ شائع يجب الانتباه إليه، حيث بدأ الناس يتعارفون على هذا المسمى منذ القرن الثامن الهجري. ويذكر ابن ناصر الدين محمد عبد الله نقلاً عن أبي محمد القاسم البرزالي: ان مدائن صالح التي تبعد عن محافظة العلا 32 كلم ينسب اسمها إلى صالح، وهو من بني العباس بن عبد المطلب. أما قبل ذلك فكان يطلق عليها مسمى "الحِجر".

(محمد القاسم البرزالي وهو المعروف بــ "علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الأشبيلي الدمشقي"، المتوفى سنة 739 هـ)

يوجد في مدينة ديدان القديمة حوض حجري، هو عبارة عن حجر كبير أسطواني الشكل ومجوَّف، قطره يزيد على 12 قدماً، وارتفاعه سبعة أقدام. ويظن كثيرون من المسلمين انه في هذا الحوض كان يحلب صالح ناقته، فيمتلئ بالحليب. لكن علماء الآثار أمثال Jaussen and Savignac يعتقدون أن الحوض كان خزاناً للماء في وسط معبد، وكان متصلاً به تماثيل موضوعة على قاعدة، نُحتت عليها كتابات مكرسة لتلك التماثيل[45].

اعتبار الحجر أنه جزء من معبد وثني، وليس له علاقة بــ "صالح"، هو أمرٌ مُسَلَّمٌ به من قبل المثقفين السعوديين. فمثلاً، هناك مقال من تحقيق وتصوير تركي بن ابراهيم القهيدان، منشور في جريدة الرياض اليومية، عدد رقم 12565، الصادر يوم الجمعة الموافق 15 نوفمبر، عام 2002 يقول:

يقع المعبد القديم (محلب الناقة) في الخريبة بمدينة العلا، وهو عبارة عن حوض حجري، يمكن النزول إلى وسطه بواسطة درجات منحوتة من الحجر، ويعرف بمحلب الناقة. وهو في الحقيقة أحد عناصر معبد قديم يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد. ويرى بعض الباحثين أن هذا الحوض يتوسط معبد كبير آلهة دولة لحيان، بدليل وجود عدد من التماثيل والأصنام التي كانت تحيط به. ولا اعرف كيف تحول هذا المعبد إلى محلب،

ويبدو ان الأمر مجرد ربط بين محلب الناقة الذي جاء ذكره في القرآن. ويبدو ان هذا الحوض كان صخرة صماء ثم تم نحتها بهذا الشكل لحفظ الماء في هذا المعبد.

انقراض الثموديين نهائيا في القرن الثالث بعد نوح بحسب القرآن

قد ادّعى محمد أن القبيلة قد دينت من خلال صيحة، ولم يعد لها أثر بعد. نقرأ ذلك في سورة هود (11) والآيتين 67 و68:

"وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. كأن لم يغنوا فيها. ألا إن ثمودا كفروا ربهم. ألا بُعدا لثمود."

الفقرة الأخيرة تعني "كأنهم لم يُوجدوا فيها ... لقد انتُزع ثمود". ولكننا نعلم أن ثمود عاشت في شمال العربية كقبيلة منظَّمة، حتى القرن الخامس الميلادي.

قد يحاول بعض المسلمين أن يدّعي بأن العدد القليل من الناس الذين آمنوا مع صالح، قد عادوا وتكاثروا. ولكن في الحقيقة قد قصد القرآن أن سكان مدينة الحِجر، الذين جعلهم محمد ثموديين وحصر الثموديين فيها، قد انقرضوا، ولم يعد الثموديون أمة فيما بعد. ولكن هذا يخالف التاريخ. فمحمد ادّعى أيضاً أن القبيلة قد دينت من خلال صيحة، ولم يعد لها أثر بعد. نقرأ ذلك في سورة هود (11) والآيتين 67 و68:

"وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. كأن لم يغنوا فيها. ألا إن ثمودا كفروا ربهم . ألا بُعدا لثمود"

الفقرة الأخيرة تعني "كأنهم لم يُوجدوا فيها ... لقد انتزع ثمود". وعن هذا ينقل الطبري كلام ابن عباس:

"كأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها كأن لم يعيشوا فيها "[46].

والحقيقة، أنه عندما يستخدم القرآن تعبير "بُعدا" في دينونة قوم، فهو يقصد فناءهم التام، كما أورد عن دينونة سكان العالم في زمن نوح. فانه في نفس سورة هود، وهي رقم 11 (الآية 44) استخدم نفس الكلمة للتعبير عن هلاك جميع سكان العالم:

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ. وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

وهناك أيضاً تساؤل: إذا كان الثموديون قد انقرضوا وبقي منهم المؤمنون فقط، أي "جماعة صالح"، وأن الثموديين الباقين هم من نسل أولئك، فلماذا لا نرى في الكتابات الثمودية أي ذكر لصالح، والناقة، وصيحة جبريل، والدينونة التي أتت على شعبهم من خلال تلك الصيحة؟ لماذا لا يوجد أي تراث توحيدي لنسل هؤلاء الثموديين المؤمنين؟!

"صالح"- هل يجوز إدخال هذا الاسم على شعب يعيش قريباً من عصر نوح؟

أما بالنسبة لصالح، الاسم الذي ادّعى محمد في القرآن بأنه أُرسل نبياً لقبيلة ثمود، فهو من الأسماء العربية الحديثة نسبياً، وله معنىً دقيقٌ في اللغة العربية كما هو مفهوم من كلمة "صالح". ولا يمكن إلصاق هذا الاسم بعهد نوح أو بالأجيال التالية له، كما يدّعي كاتب القرآن الذي قال إن صالح عاش في الجيل الثالث بعد نوح.

اسم صالح ينتمي الى اللغة العربية الحديثة نسبياً

واللغةُ العربية لم تُعرف قبل القرن العاشر قبل الميلاد كحد أقصى. فالكتابات الثمودية القديمة، وهي أقدم لغة عربية، تختلف عن اللغة العربية الأحدث، حيث ظهرت فيها أسماء مثل "صالح". ولم يتمكن علماء الآثار من قراءة الكتابات الثمودية القديمة بتدقيق، لسبب اختلافها الكبير عن اللغة العربية[47]. فالعربية هي لغة حديثة مقارنةً باللغات السامية الأخرى، وقد انبثقت من اللهجات العربية في شمال شبه الجزيرة العربية. أما لغة قبائل اليمن، فهي بعيدة جداً عن العربية. وأقدم اللهجات العربية في الشمال هي الثمودية، ولكنها بعيدة جداً عن العربية، ومنقوشاتها التي تعود الى لقرن السادس قبل الميلاد ليست مفهومة.

وأقدم ما يعرفه عِلمُ الآثار باللغة العربية بصورتها القريبة لطورها الحالي، هو نقشُ عجلِ بن هفعم، الذي يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، وهو مكتوب بخط المسند (الخط الحبشي واليمني القديم)، وقد عُثر عليه في قرية الفاو (في السعودية). وهناك نقش آخر وُجد في صحراء النقب، ويُدعى عين عبدات، ويعود إلى القرن الثاني بعد الميلاد، وقد كُتب بالحروف النبطية. وهناك أيضاً نقشُ النمارة (في الصحراء السورية) الذي يعود إلى عام 328 ميلادي، وهو خط نبطي قريب نسبياً من الخط العربي. ويصف النقشُ ملكَ الحيرة امرئ القيس بن عمرو بأنه ملك العرب.

عدم وجود هذا الاسم في اللغات الأقرب إلى عصر نوح

لو كان تعبير "صالح" قديماً، وينتمي إلى فترة قريبة من عصر نوح كما ادّعى القرآن، لكان قد ظهر في اللغات السامية الأقرب إلى عصر نوح من العربية، كاللغة الأكادية والآرامية والعبرية. ولكنه بحسب خبراء اللغات السامية غير موجود في تلك اللغات.

البروفسور ريتشارد افربك ، وهو متخصص في اللغات السامية، ويُعتبر مرجعاً مهماً لهذه اللغات في الجامعات الأميركية، أجرى بحثاً عن كلمة "صالح" في اللغات السامية القديمة، ولم يجدها، لا كإسم ولا كصفة. فهو إذا اسمٌ عربي حديث. وهذا أمر هام في تفنيد فكرة وجود نبي باسم صالح، قد عاش في شمال شبه الجزيرة العربية. فلو ادّعى إنسان بأن هناك نبياً قد عاش في ايطاليا قبل ألفي عام، فنحن لا نبحث في قاموس اللغة

الايطالية عن هذا الاسم، ذلك لأن اللغة الايطالية هي حديثة، وقد انبثقت لهجاتها من اللاتينية قرابة القرن العاشر الميلادي، وظهرت بشكلها الرسمي في زمن دانتي في القرن الرابع عشر م. فقبل ألفي عام، لم يكن الايطاليون يتحدثون الايطالية، وإنما اللاتينية. لذلك، فإننا نبحث عن اسم ذلك الشخص في اللغة اللاتينية وليس الايطالية.

وهكذا، فان شعب شمال شبه الجزيرة العربية، الذي عاش في زمن قريب من عصر نوح كشعب سامي، لم يكن يتكلم اللغة العربية التي ظهرت في القرن العاشر قبل الميلاد، وإنما كان يتحدث لغة سامية قديمة. فإننا نبحث عن اسم صالح في اللغات السامية الأقدم، مثل الأكادية والآرامية والعبرية. وحيث أنه لا يوجد هذا الاسم في اللغات السامية القديمة، فلا يُعقل أن شخصاً بهذا الاسم قد وُجد في عصر قريب من عصر نوح، أو حتى في عصر أقرب إلينا من ذلك، كالعصر الأكادي الذي بدأ منذ حوالي 2500 قبل المسيح، حيث كانت اللغة الأكادية هي المسيطرة في المنطقة، ثم تبعتها اللغة الآرامية، التي انبثقت منها لغات سامية أخرى. فإذا كان اسم صالح غير موجود في مثل تلك اللغات، وفيما انبثق عنها من لغات سامية أحدث، فكيف نستطيع ان ننسبه إلى عصر أقدم سبق ظهور تلك اللغات؟

والحقيقة هي أن اسم صالح هو اسم عربي حديث له معنى مُحدَّد. فهو منبثق من الصلاح. ولقد وُجد تعبير صالح كواحد من صفات أو أسماء الآلهة الحسنى في نصوص الصفويين. كذلك كلمة "رحم" أي رحيم، و"رحمن" أي الرحمن[48]. والكتابات الصفوية تعود إلى القبائل التي نزحت من شمال شبه الجزيرة العربية إلى الاردن وسوريا وفلسطين، وتعود إلى ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الرابع م. وسُميت بالصفوية لأنها اكتُشفت في الصفا، الأراضي البركانية في جنوب شرق دمشق.

هوية صالح الحقيقية

وبحسب الباحثين F.V.Winnett and W.L.Reed فإنهما يضعان احتمال أن يكون صالحٌ عبارة عن مسيحي كان يعظ في تلك المنطقة، وأنه جاء بعد الأنباط، وأن لا علاقة له بالثموديين بتاتا[49]. وهناك نصٌ ثمودي قديم مكتوب تيمُّناً بالمسيح يسوع، يدل على انتشار المسيحية في شمال العربية[50].

والحقيقة هي أن الأسماء التي ظهرت بعد الميلاد، تصل إلى بعض الجماعات في الجاهلية وكأنها تنتمي إلى عصور قديمة، سابقةٍ للعصور التي يعرف العالمُ الحاضر عنها من خلال علوم الآثار والمراجع التاريخية، التي باتت معروفةً للمؤرخين والباحثين. فقبيلة عادْ التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي، كما سبق ورأينا من خلال بحثنا في قبيلة عادْ والقرآن، قد اعتبرها بعض الجاهليين أقدم أمة ظهرت في الأرض بعد نوح. وهكذا، لا عجب لدى جماعة من الجاهليين، إذا ما تحوّل اسمُ مبشّرٍ بالمسيح قد زار شمال شبه الجزيرة العربية في عصر ما بعد الميلاد، فأصبح ينتمي إلى القرن الثالث بعد نوح. فالجاهليون كانت تنقصهم معرفة الكرونولوجيا التاريخية. فصار من السهل ان

يُخدَعوا لدى سماعهم أسماء مثل عادْ وصالح، من أنها تُنسَب إلى أقدم العصور القريبة من عصر نوح. فكان محمد في سرده للقرآن ضحيةً لهذه الظاهرة الجاهلية.

محمد واستعمال عناصر الكرونولوجيا الجاهلية في السرد

والملاحظ أنه كانت هناك نَزعةٌ واضحةٌ لدى محمد لإدخال في القرآن ما كانت تؤمن به بعضُ الجماعاتِ السائجة في جيلهِ، عن شخصياتٍ وأَعلامٍ وخُرافاتٍ، وذلك في سَرده لقصص أشخاصٍ ذكرها الكتاب المقدس. وذلك في محاولة منه للظهور بمظهر العارف بأحداث الكتاب المقدس. ويمكن تشبيه هذا الأمر، كأن يتجرأ أحدهم على إدخال قصصِ وخُرافاتِ "ألف ليلة وليلة" في التاريخ الروماني، وكأنها حقائق تاريخية تكمّل هذا التاريخ المثبت بالبراهين.

فلقد وضع محمد الثموديين وعاد وأنبياءهم على لسان موسى في القرآن، وكأنهم أعلام مثل نوح. بينما في الواقع لم يذكر موسى عنهم شيئاً البتة. فنقرأ في سورة ابراهيم:

> وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ . أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ. جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (سورة ابراهيم الآيات 8 و 9)

وفي سورة غافر، يوجد سرد عن مؤمن من قوم فرعون، يُحذِّر فرعون والمصريين من أن يصيبَهم ما أصاب قومَ عاد وثمود:

> وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ. وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ سورة غافر أي 40: 30 و31

هذه الآيات توحي وكأن ثمود وعاد قبيلتان مشهورتان ومعروفتان لدى المصريين وموسى في جيله، وتؤكد على أن دينونةً مشهورةً في تاريخ العالم قد حدثت لكلٍ منهما، حتى أن "مؤمناً من آل فرعون" يحذر المصريين من مواجهة نفس المصير. فكيف يحذّر موسى شعبَ مصر من هاتين القبيلتين، وهو لم يذكرهما في سلالات الشعوب التي صنّفها، ولم يتطرق إليهما وإلى قصة ناقة صالح بتاتاً، على الرغم أنه كتب خمسة أسفار؟! هذا بالإضافة إلى أن أحداً من أنبياء العهد القديم وكتّاب العهد الجديد لم يذكر هاتين القبيلتين.

خرافة ناقة صالح في القرآن

ناقة ثمود وصالح هي قصة مختصَرة بشكل كبير في القرآن. فكثير من تفاصيل هذه الخرافة لا نعرفها من القرآن نفسه، بل من مفسّري القرآن، ومن شعر أمية بن أبي الصلت. فمثلاً، لا يتحدث القرآن عن كيفية خروج الناقة. ولكننا نعرف من مفسّري القرآن أنها خرجت من الصخر[51].

ويقول مفسّرو القرآن إن الصخرة تمخضت، وولدت الناقة. وكانت الناقةُ حاملاً، وولدت ابنها[52]. ويُحدد مفسّرو القرآن أن اسم الصخرةِ حيث خرجت الناقة هو "كاتبة". إذ طلب قوم صالح أن تخرج من الصخرة ناقةٌ تمخض[53].

وفي حديث منسوب إلى محمد في تاريخ الطبري، نجد تفاصيل عن عقر الناقة، وكيف هرب ابنها إلى الجبل، وكيف ان الله جعل الجبل يرتفع علواً، حتى لم يصل إليه حتى الطير... الخ[54]. فمؤلف القرآن اعتمد على تفاصيل خرافةٍ موجودةٍ في عصره، ولخّصها في القرآن ببضع آيات غير مفهومة، بدون التفاصيل التي هي خارج النص القرآني.

خرافة الناقة في شعر أمية بن أبي الصلت.

وهناك شعرٌ لأمية بن أبي الصلت يتحدث فيه عن عقر الناقة، مما يُحتمل ان يكون هذا الشعر هو مصدر الخرافة القرآنية[55]. فمن الأبيات التي قالها أمية عن الناقة:

كثمود التي تفتكت الدين   عتيا وام سقب(ولد الناقة) عقيرا

وفي أبيات أخرى نراه يذكر سقبَ الناقة، أي ولدَها المشهور، ورجوعَ السقب إلى الصخرة ورغوَه، وتفاصيلَ أخرى عن خرافة الناقة[56]. فنرى إذاً أن أمية يعطي تفاصيل أكثر عن الخرافة مما يذكره القرآن. فلا يمكن أن يُقال عن سَرد قصة الناقة في القرآن، بأنه وحيٌ مباشَر من الله لمحمد. ومن حيث أن المسلمين لا يؤمنون بأن أمية بن أبي الصلت كان نبياً، فهو ليس إذا وحياً من الله لأمية، بل خرافة نشأت في عصره.

اتفاق خرافة الناقة مع نهج خرافات شبه الجزيرة العربية الوثنية القديمة

هذا النهج من الخرافات، أي إخراج آلهة أو حيوانات مؤلهه من صخور، كان مألوفاً في الأدب والكتابات الوثنية. نرى مثلاً في التقليد الروماني لعبادة الإله مثرا، أنه يولد أو يخرج من صخرة. الصخرة هي أمه واسمها Genetrix جنتركس[57].

ونهج الخرافة يتفق أيضاً مع الميثولوجيا في شبه الجزيرة العربية. فمثلاً، كان أهل ثقيف يعتقدون بأن اللات كان إنساناً من ثقيف، ودخل الصخرة، فصار يُعبد. وهناك عبارةٌ منسوبة لعمرو بن لحي أنه قال لأهل ثقيف بأن ربهم قد دخل الصخرة:

إن ربكم كان اللات فدخل في جوف الصخرة[58]

من هنا يأتي إيمان الجاهليين بأن ذاتياتٍ وكائناتٍ يمكن لها ان تدخل الصخرة وتخرج منها. ويمكن لآلهةٍ حيوانية وإنسانية وغيرِها مما كانت تُعبد في الجاهلية، أن تدخل الصخرة وتخرج منها. وهذا ما يفسر تماشي خرافة ناقة صالح في القرآن، مع الخرافات الجاهلية العربية، على رغم أنها من أصل زرادشتي فارسي في جوهرها، كما سأُبيّن لاحقاً.

ونلاحظ في قصة الناقة أن ابنها، بعد ان عُقِرت أمُه، قد دخل الصخرة. مما يشير الى أن قصة الناقة تتفق مع طبيعة الخرافات الجاهلية، حيث كان ممكناً في مفهوم الجاهليين أنَّ كائناتٍ تخرج من صخرةٍ، وتعود لتدخل فيها. لذلك نستطيع أن نفهم كيف أن صخوراً كبيرة في شبه الجزيرة العربية كانت تعطي انطباعاً لسكانها بأنها آلهة، أو خرجت منها آلهة، أو دخلتها آلهة. وجبل الحواره هو مثال على ذلك. وهو جبل أملس يَعتقد مُعظم المسلمين أن منه خرجت الناقة، وإليها عاد الحُوار (ولد الناقة يُدعى حوار من لحظة ولادته إلى ان يُفطم. وإذا فُصل عن أمه فهو فصيل).

وكانت للناقةِ في بعض القبائل أهميةٌ كالآلهة. فمثلاً، كانت بعضُ القبائلِ العربيةِ مثل قبيلة "إياد" تتباركُ بالناقة[59]، تماماً مثلما يتبارك الهندوس بالبقر. وهذا يجعلنا نعتقد بأن ناقة صالح كانت مَعبودةً من بعض القبائل في عصر محمد، أو في جيل سابق له. والفكرة بأنها تخرج من صخرةٍ محددةٍ في منطقة الحِجْر، توحي بأن تلك الصخرة كانت معبودةً عند سكان تلك المنطقة. والفكرة بأنها تشرب جميع الماء المعيّن للشعب، تعكس صورة تأليهية لناقة، وذلك في نظر شعب خرافي جاهلي.

وكانت بعض الناقات تُرى من قبل الجاهليين على أنها كائناتٌ صالحة. لذلك كانوا يربطون ناقةً بالقرب من مدفن آبائهم، حتى عندما يُحشرون في وقت القيامة، يركبون تلك الناقات. وهذا نراه في شعرٍ لجريبة بن أشيم، يحثّ فيه ابنَه على اختيار ناقةٍ صالحة، لكي يُحشر معها ويركبها "يوم الحشر":

يا سعد اما أهلكن فإنني   أوصيك أن أخا الوصاة الأقرب

لا أعرفن أباك يحشر خلفكم   تعبا يخرَ على اليدين وينكب

واحمل أباك على بعير صالح   وتقى الخليئة انه هو أصوب

ولَقَلَّ لي مما جمعت مطيّة   في الحشر أركبها اذا قيل : اركبوا[60]

الخرافة الزرادشتية ونقاط الالتقاء مع الخرافة العربية القرآنية

فكرةُ القرآن عن ثمود وصالح والناقة مأخوذةٌ من خرافةٍ زرادشتية مشهورة. فالكتب الزرادشتية تتحدث عن ثور له مهام خاص، كما هو مذكور في السفر الزرادشتي المعروف ب Selection of Zad-Sparam[61].

وخلاصة الخرافة الزرادشتية هي كما يلي: كان الفرسُ في حالةِ عَداوةٍ مستمرة مع شعبٍ يُذكر مِراراً في الكتب الزرادشتية تحت اسم Turan توران، وهم قبائلُ آسيويةٌ إيرانية لم تَقبل الزرادشتية في البداية. وكان التورانيون يهاجمون باستمرار الحدودِ الإيرانية، الأمر الذي جعل الكهنة يرفعون صلواتٍ حارةً إلى أهورا مازدا، إله الزرادشتيين. استجاب أهورا مازدا تضرّعاتهم، من خلال إخراج ثورٍ خاصٍ بهم بطريقةٍ معجزيه.

الكتب الزرادشتية لا تَذكرُ كيف أتى أهورا مازدا بمثل هذا الثور المؤلّه: هل مِن صخرة أو نبات أو بطريقة أخرى؟ فلم تَذكر النصوصُ الزرادشتية أن أهورا مازدا قد خلق ثوراً، مما يوحي بأن الثور قد أتى به أهورا مازدا بطريقة سحرية[62]، تماماً كما أخرج "الله" الناقة بواسطةِ صالح من صخرة.

وأصبح هذا الثور تحدّياً لكل شعب توران. فقد صار يراقبُ الحدودَ، رافساً بعقبيه أي شخصٍ كان يَودُّ تجاوزَ الحدود نحو الأراضي الإيرانية، ويهدِّد أيَّ جيش يود مهاجمة أو شن اعتداء على بقعة إيرانية. وهكذا أصبح الثور مُنازعاً كبيراً لشعبٍ كبير، ومُنتقِماً لكل تعدٍ، مُتحكِّماً بالحدود. كما يصفه سفر دنكارد Dincard بأنه هو الذي يُعيِّن الحدودَ ويراقبُ تطبيقَ القانون[63]، الأمر الذي جعل التورانيين أن يتآمروا على الثور، ويرسلوا رجلاً لكي يؤذيه أو يعقره، مما أدى إلى موته[64].

نتيجة لذلك، غضب أهورا مازدا، وانتقم من شعب توران، جالباً عليهم دينونة. أنظر إلى القصة في سفر Selection of Zad –Sparam والإصحاح الثاني عشر والأعداد 7-21.

والقرآن يكرر الخرافة تحت اسم ناقة. فبعد مجادلاتٍ كثيرة بين صالح، نبيِّ "الله" لثمود بحسب القرآن، وشعبِ ثمود، يُخرِج "الله" ناقةً من صخرة. إنها طريقةٌ مباشرة في استحضار جمل من العدم، مثل طريقة أهورا مازدا في استحضار ثور.

وقد أُحضرت هذه الناقة من "الله" كقصاص ضد شعب ثمود، نتيجةً لتجاوزاتهم. فصارت الناقة تهديداً لثمود، تماماً كما كان الثور يهدِّد شعب توران. واختار صالح نظاماً به تسيطر الناقة على شعب ثمود، ويصبح الشعبُ تحت رحمتها. وهذا النظام يجعل عَين الماء الذي يعتمد عليه الشعب للشرب، تحت سيطرة الناقة. فعيّن صالح يوماً تشرب فيه كل قبيلة ثمود من العين، على أن يكون اليوم التالي مُخصَّصاً للناقة فقط. وينزعج الثموديون من هذه الناقة، إذ حين يأتي دورُها كانت تشرب كل الماء، وتجبر شعبَ ثمود على طاعة كل الترتيبات القاسية المرتَّبة من "الله" ومن صالح لأعضاء القبيلة. إنه نفس مجرى القصة الزرادشتية التي فيها يجعل الثورُ شعبَ توران أن يخضع لنظام الحدود المعيّن من أهورا مازدا.

تعريب الخرافة الزرادشتية بعناصرها الأصلية

والحقيقة هي أن هذه الخرافة الزرادشتية قد أخذت مجراها المحلي المناسب لشبه الجزيرة العربية: فالمياه وينابيعها القليلة حلّت محل الحدود الحقيقية المتنازَع عليها. فلم تكن هناك في مناطق شبه الجزيرة العربية، خاصة في الشمال، مُنازعةٌ على حدود بين القبائل، مثلما كان النزاعُ على الماء وبعض الينابيع القليلة الموجودة في الواحات. من هنا نفهم كيف أن الحدود بين شعب توران والإيرانيين، قد حلَّ محلها الماء في الخرافة العربية والقرآنية، وكيف أن الناقة صارت في مركزٍ تُجبِرُ من خلاله شعبَ ثمود على

احترامِ النظام المفروض من ''الله'' وصالح، بطريقةٍ تتطابق مع قصة إجبار الثور شعبَ توران على احترام الحدود الموضوعة من أهورا مازدا.

تعود الخرافة القرآنية لكي تلتقي في أصلها الزرادشتي. ففي سرده للقصة، يقول القرآن إن شعب ثمود قد تآمر ضد الناقة، التي تحدّت رغبتَهم في كسْر النظام المفروض من ''الله'' وصالح، تماماً كما تآمر شعب توران ضد الثور، الذي أجبرهم على احترام نظام الحدود المفروض من أهورا مازدا. وكما تم عقرُ الثور من قبل أحد التورانيين إثر مؤامرة دبَّروها ضده، هكذا أيضاً تم ترتيب مؤامرةٍ من قبل ثمود ضد الناقة، تكون نتيجتُها أن يقوم فردٌ من القبيلة بعقرها. ونرى أهورا مازدا ينتقم من كل التورانيين، الأمر الذي نراه في القرآن، حيث ينتقم ''الله'' للناقة بإدانة كل قبيلة ثمود.

عادةً ما تجتاز الخرافات حدودَ الأمم نحو أممٍ أخرى، بدرجاتٍ متفاوتةِ الاختلافِ في نصِّ الخرافةِ ولونها. ولكننا نرى الخرافة الزرادشتية هنا تجتاز الحدود نحو شبه الجزيرة العربية بتغييراتٍ طفيفة، الى درجةٍ أنه يسهُل التعرُّف على أصلها الزرادشتي، تماماً كما يتعرّف الصياد على الغزال الذي يجتاز من حدود إلى أخرى، حتى ولو ان ذلك الغزال يعاني من جفاف الصحراء حيث هو يجتاز. من هنا نرى بأن اجتياز خرافة الثور إلى العربية هو أمرٌ واضح، على رغم أن تلك الخرافة قد أُلبست بعض الصفات التي تنتمي الى شبه الجزيرة العربية.

الثموديون يسكنون خارج المدينة النبطية

ادّعى محمد أن كل الثموديين سكنوا في مدينة الحِجْر، مع أنهم كانوا قبيلة عظيمة من أهم قبائل شمال شبه الجزيرة العربية، حيث اتسعت رقعة ديارهم لتشمل جزءاً كبيراً من المنطقة. وكان محمد يرى البيوت المنحوتة في الصخر في منطقة الحِجْر، كما تؤكد الكتب التي تناولت سيرته، وكان يَنسب تلك البيوت للثموديين. مع أنه معروفٌ أنها ليست بيوتاً، بل على الأغلب قبور، قد نحتها الأنباط الذين بنوا المدينة بعدما احتلوا الموقع من اللحيانيين. فالموضع يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد. وكما ذكرنا سابقاً، فإن بعض الثموديين قد نصبوا خيامهم في منطقة الحِجْر، وذلك بعد القرن الميلادي الثاني. ولم يكونوا هم السكان الرئيسيين للمدينة، بل الأنباط. ولكن محمداً اعتبرهم سكان المدينة منذ القرن الثالث بعد نوح، مع أن الثموديين لم يظهروا قبل القرن الميلادي الثامن، ولم يُعرَف أن أحداً منهم سكن مدينة الحِجْر قبل بناء المدينة من قِبل الأنباط، في القرن الاول قبل الميلاد أو القرن الأول بعده.

كما جعل محمد الثموديين يفنون نهائياً من خلال صرخة، كما لو أن كل شعب ثمود كان يقطن مدينة الحِجْر، وقد تم فناؤهم منذ زمن طويل، أي في الجيل الثالث بعد نوح. وهذه مغالطاتٌ تاريخية وجغرافية بالغة، قد قَبِلها بعض الجهلاء من عديمي المعرفة والثقافة في الجاهلية.

لم يكن الثموديون قط من سكان الحِجْر، ولم ينحتوا البيوت في الصخر كما يدّعي القرآن. وكان الأنباط في الواقع هم الذين نحتوا تلك البيوت، حيث ارتبط بهم هذا النوع من الفن المعماري. وتلك البيوت والقبور المنحوتة في الصخر في مدينة الحِجْر، موثقةٌ تاريخياً باعتبارها مبنيةً من قِبَل الأنباط، وذلك من خلال الكتابات النبطية الكثيرة التي ما زالت موجودة على تلك البيوت والأبنية والقبور والأنصاب التذكارية، والتي تُعتبر في مجموعها كآثار نبطية في الدرجة الثانية في الأهمية، بعد آثارهم الموجودة في عاصمتهم البترا.

وفي حقيقة الأمر، فإن المنقوشات الثمودية على الحجارة لم توجد في مدينة الحِجْر، وإنما في الضواحي. وهي قليلة جداً لكي نعتبر أن السكان الأصليين للمدينة كانوا ثموديين. وهنا نسأل القارئ أن يرجع إلى أبحاث علماء الآثار مثل وينت Winnet وريد Reed، المتخصصين في علم آثار منطقة شمال شبه الجزيرة العربية، للتأكد من هذه الحقائق. وهناك أمر آخر نستدل عليه من هؤلاء العلماء، وهو أن هذه المنقوشات القليلة التي تُعزى للثموديين، مكتوبةٌ باللغتين النبطية والثمودية، واللتين تعودان لسنين متأخرة، بدايةً من عام 267 ميلادي[65].

هذا يكشف لنا أن مجيء الثموديين إلى تلك المنطقة، لم يحصل قبل القرن الميلادي الثاني أو الثالث، وذلك بعد عدة قرون من احتلال الأنباط للمدينة. فقد جاء الثموديون إلى نواحي مدينة الحجر طلباً للعيش، وذلك بعد أن ازدهر الخط التجاري البري الموازي للبحر الأحمر، والذي كان يربط اليمن بشمال شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي نعرف أنه قد حدث حوالي القرنين الثاني والثالث للميلاد. وهذه المجموعات من الثموديين لم تكن تسكن في المدينة، ولكنها كانت ترابط حولها في خيام، لأنه معروف عن الثموديين أنهم عاشوا حياة البداوة.

ذكر الجغرافيون والمؤرخون اليونانيون والرومان قبيلة ثمود، في فترة ما بعد الميلاد وما قبله. وهناك ذِكْر للثموديين أنهم كانوا ضمن الجيش الروماني خلال القرن الميلادي الرابع، كما نرى في الوثيقة التاريخية الرومانية المشهورة المسمّاة Notitia Dignitatum[66]. ونفس الوثيقة تتحدث عن وحدتين ثموديتين في الجيش البيزنطي: واحدة في فلسطين، والأخرى في مصر[67]. وفرقة الفرسان الثمودية كانت مرابطة في Veteranorum Scenae، وهي موقع روماني في مصر[68]. ولكن محمداً قد ادّعى أنهم قد فنوا من التاريخ في القرن الثالث بعد نوح، كما رأينا في سورة هود والآيتين 67 و68.

نلخص أخطاء القرآن التاريخية

وباختصار، فإن أخطاء القرآن التاريخية من جهة ثمود هي كالتالي:

أولاً: إن قبيلة ثمود بحسب القرآن قد ظهرت في القرن الثالث بعد نوح، في الوقت الذي يؤكد التاريخ أنها ظهرت فقط ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد.

ثانياً: الادّعاء بأن الثموديين قد بنوا مدينة الحِجر، وكانوا ينحتون بيوتهم في الصخر. فهم لم يبنوا بيوتهم قط في الصخر، ولم يبنوا مدينة الحِجر، ولكن الأنباط هم الذين بنوها، إذ هم الوحيدون في الشرق الأوسط الذين كانوا يبنون بيوتهم في الصخر.

ثالثاً: يدّعي القرآن ان كل قبيلة ثمود قد عاشت في الحجر. بينما كانت ثمود قبيلة كبيرة جدا، انتشرت في معظم شمال شبه الجزيرة العربية، وامتدت في المناطق الصحراوية بين شبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين.

رابعاً: أقام القرآن نبياً لقبيلة ثمود اسمه صالح، في القرن الثالث بعد نوح. ولقد رأينا أن ذلك الاسم لا يتفق مع الأسماء السامية القديمة.

خامساً: القرآن يدّعي بأن الثموديين انقرضوا بسبب صيحة، في القرن الثالث بعد نوح. والواقع أنهم استمروا كقبيلة مُنظَّمة حتى القرن الخامس بعد الميلاد، إلى فترة قريبة نسبياً من ظهور الإسلام.

اعتراضات جوهرية على خرافة الناقة

في نهاية هذا البحث نقدم اعتراضاتنا التالية:

القصة موضوعة في هيكلية غير تاريخية، تتعارض مع علم الآثار والتاريخ، باعتراف علماء الآثار العرب.

القصة تعارض المبدأ الإلهي في مسألة إخراج كائنات حية من الجماد. وهي تشبه الخرافات العربية التي تؤمن بالمسخ، وفي دخول الإلهة إلى الصخور كما دخل اللات الصخرة. فالله لن يخلق آدمَ آخر من تراب، لأنه وضع نظاماً لولادة كل الجنس البشري طبيعياً من آدم الاول.

ثم أن الله لم يسبِق له أن جعل حيواناً، مثل بقرة أو ناقة، في أن يُخلق بشكل خاص. فقد جعل الله لآدم أهميةً بأن خلقه من تراب، ونفخ فيه نسمة الحياة، ثم خلق حواء من أحد أضلاعه، ليشير إلى وحدة العائلة المؤلفة من رجل وامرأة. ولكنه لم ينزل لكي يجعل من خلق أي حيوان آية، لأن الإنسان هو تاج الخليقة الذي خُلقت باقي المخلوقات لأجله، وليست الحيوانات هي موضوعَ الخليقة وهدفَها. فهذه قد خُلقت دُفعةً واحدة، دون أن يكون هناك تخصيص لحيوان معين، وكأن له أهمية خاصة ينافس من خلالها مركز الإنسان في نظر الله. بينما نجد في الخرافة القرآنية وكأن الناقة صارت هي تاج الخليقة، وأصبحت أهم من الإنسان، كآية تكون موضوع تركيز الله. وصار لها أيضاً امتيازات أعظم من التي كانت لكل سكان ثمود، كأن يُخصَّص لها يومٌ تشرب فيه لوحدها، بينما يشرب باقي الناس في يوم آخر.

كما أن أهمية الناقة صارت أعظم من كل الناس في التاريخ، إذ أنه لم يسبق لله أن دان أمةً أو شعباً بسبب موت إنسان. فكثيراً ما قَتل بنو إسرائيل الأنبياء، دون أن ينتقم الله لهم بإبادة الشعبِ وتحطيمِ مُدنهِم. وفي أيامنا، كما كان عبر التاريخ، يُقتلُ الآلافُ من المؤمنين الأتقياء على يد الحكوماتِ والشعوبِ المقاومة للإيمان، دون أن ينتقم الله لهم بتحطيم مدن تلك الشعوب، أو إبادتهم. ولكن بحسب هذه الخرافة، يَدين الله كل شعبِ ثمود، بسبب موت هذه الناقة. وهذا ما يجعلها كإلهة، تفوق بقيمتها قيمة الجنس البشري. كما أن الخرافة توحي بأن عواطف الله تجاه الناقة، أهم من نظرته لسكان قبيلة، بحيث يظهرون وكأنهم حشرات يجوز إبادتها في سبيل ناقة.

ونلاحظ أن كل دينونات القرآن هي بدون مُبرِّر، كمثل هذه الحالة، أو كحالة تدمير كل مدينة أنطاكيا، لسبب أن جماعةً لم تقبل المرسلين، أو تدمير شعب مديان لسبب أنهم قد عوّجوا الموازين. فالله لم يسبق له أن أباد شعباً كاملاً بسبب عدم قبولهم رسالةَ نبيٍ، أو ارتكابهم بعض الخطايا. إن دينونات الله عبر التاريخ كانت محددةً، كأن يدين شعباً بسبب تقديم أولادهم كمحرقات لآلهتهم، كالكنعانيين، أو بسبب ممارسات جنسية شاذة: ذكور بذكور وإناث بإناث، كشعب سدوم وعمورة. ولم يسبق أن الله أباد شعوباً لأنها وثنية أو لأنها رفضت رسالة نبي.

ويظهر الطابع الميثيولوجي في القصة. فمن يتبناها يجهل حجم ثمود ومدى اتساع رقعة انتشارها في تاريخ شبه الجزيرة العربية.

القول بأن ناقةً تشرب الماء في يوم مُخصص لها، فيما يُخصصُ يوم آخر لتشرب فيه كل قبيلة ثمود، التي يتغذى جميع أبنائها على حليب هذه الناقة وحدها، يشير إلى أن محمداً لا بد كان يجهل حجم قبيلة ثمود الحقيقي، التي سكنت منطقة واسعة في شمال شبه الجزيرة العربية، وكانت أقوى قبيلة عربية، بحيث قادت حربا ضد أعظم مملكة في القرن الثامن قبل الميلاد، وهي الأشورية. وانتشارُ القبيلة في شمال شبه الجزيرة العربية، ظاهرٌ من خلال غنى كتاباتها في مناطق مختلفة. فالكتابات الثمودية تُقسم إلى ثلاثة أنواع: نجدية، حجازية وتبوكية. وذلك يدل على مدى انتشار الثموديين في تلك المناطق[69]، بحيث كانت لهم قرى في الصحاري. فقد وُجدت للثموديين نقوشٌ في مواضع متباعدة، كالتي في أقصى الحدود الأردنية مع العراق. ذلك يدل على مدى انتشار شعب ثمود، بحيث أن فكرة القرآن عن صراع هذا الشعب مع ناقة، ودينونته بأكمله بالطريقة التي ذكرها القرآن في مدينة الحِجْر غير الثمودية، هو أمرٌ غيرُ منطقي، ومخالفٌ لحقيقة اتساع مدى سكن الثموديين، على مساحة تشمل جزءاً من الأردن، وطرفَ الصحراء العراقية، ومعظمَ شمال العربية[70].

فالقول بأن الناقة تشرب ماء بئرٍ في يوم مخصص لها، وفي اليوم الثاني تشرب قبيلة ثمود، يجعل تلك البئر كبحيرة كبيرة، الأمر الذي لا ينطبق مع واقع شبه الجزيرة العربية التي لا يوجد فيها بحيرات. كما أنه لا توجد بحيرة في مدينة الحِجْر، لكي يُبرر كاتب القرآن قصته. كما أن الأمر يعاكس المنطق. فهو كمثل القول بأن هناك بقرةً تشرب

ماءَ بلادٍ مثل الأردن أو سوريا، ثم يشرب كامل سكان هاتين الدولتين الماء في اليوم الثاني. وفي اليوم الذي لا يشرب السكان الماء، يحلبون البقرة ويتغذون على حليبها.

ثم أن حَشْرَ قبيلةِ ثمود كلها في مدينةٍ لم تَسكن فيها أبداً، مثل الحِجْر، وإدانتها بصيحة، هو مثل الادّعاء بأن كل سكان سوريا يعيشون في مدينة إربد الأردنية، وقد فنوا جميعهم بصيحة واحدة. إذاً، هي خرافة بِدائية تدلُّ على عَدم فَهم مَن وضعها في قرآنِه أبعادها الخرافية، وعلى سَذاجة وجَهل الجماعة التي قبلتها في عصره.

الخرافة غيرُ موجودةٍ في الكتابات الثمودية، وكذلك اسم صالح. فلو كان الثموديون الذين عاشوا في التاريخ هم من نسل صالح وأصدقائه الذين لم يفنوا بالصيحة، لكانوا مؤمنين، أو لبقيَ ذِكْرُ جَدهم المؤمن صالح مستمراً عبر العصور، ولذكروا شيئاً عن القصة وعن صالح.

لقد جعل القرآن صالحاً عبارةً عن نبيٍ عظيمٍ للعرب في التاريخ، تماماً كما كان موسى للإسرائيليين. ولكن لو وُجد نبيٌ باسم صالح، فما كان الله سيسمح للثموديين بأن ينسوه. وما كان ليجعل جميع أنبياء الكتاب المقدس ان يغفلوا عن اسمه وقصته مع شعبه، كما جعل الكتاب المقدس بعهديه ان يتحدث عن أيوب رغم انه لم يكن إسرائيليا.

من المستحيل أن ينجح إنسان بإدخال وحيٍ جديدٍ لم يوحِ به الله عبر التاريخ. هذا الأمر هو ما يميّز الحق كما هو مدوّن في الكتاب المقدس عن ادّعاءات القرآن، الذي أضاف أسماء أنبياء، مثل صالح وهود وشعيب، إلى قبائل وأمم في التاريخ، دون أن تكون هناك شهادة عن وجود مثل هذه الأسماء التي ابتدعها كاتب القرآن في الأمم والقبائل.

القرآن والمديانيون

لقد وضع محمد المديانيين في عصر قريب من سدوم وعمورة، ثم نزعهم نهائياً من التاريخ في ذلك العصر

لم يكن الثموديون الشعب الوحيد الذي حكم عليه محمد في قرآنه في الاندثار. ولكن هناك أيضا شعوباً أخرى مثل المديانيين جعلها محمد تعاني نفس المصير. فقد وضع محمد المديانيين في عصر قريب من سدوم وعمورة، ثم نزعهم تماما من التاريخ. في سورة هود (11) والآية 89، قد ادّعى محمد بوجود نبي للمديانيين تحت اسم شعيب. وجعل شعيب يخاطب المديانيين بهذه الكلمات:

"ويا قوم لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح. وما قوم لوط منكم ببعيد"

الغريب ان محمداً جعل اسمي صالح وهود كأنهما نبيان مشهوران وعَلمان هامان في تاريخ عبادة الله في التاريخ، تماما كما كان نوح عَلماً مشهوراً. وجعل هذين الاسمين على مسامع شعب مديان، الذي نعرف انه عاش في المرحلة الأولى من تاريخه في سيناء. وكأن المديانيين كانوا يعرفون عن صالح وهود. وفي سورة ابراهيم، أي رقم 14 والآية 9، جعل ثموداً وعاداً ونبيهما المنسوبين من القرآن للقبيلتين، انهما معروفان على مسامع المصريين وفرعون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد زمن موسى. إذ القرآن يدّعي بان موسى قد حذّر فرعون بأنه سوف يحدث له ما حدث لشعب نوح وثمود وعاد. وهذه المداخلات غير التاريخية هي في الحقيقة طفولية. من حيث انه – كما سبق ورأينا- لم يعرف التاريخ قبيلة ثمود قبل القرن الثامن قبل الميلاد. وأما قبيلة عاد، ان وُجدت عبر التاريخ، تكون قبيلة صغيرة لم يسمع بها أحد خارج عن شبه الجزيرة العربية، وتكون قد ظهرت في القرن الثاني بعد الميلاد، وامتُصّت من قبائل شمال شبه الجزيرة العربية في نفس القرن. وأما اسما صالح وهود اللذين ادّعى القرآن انهما نبيان مشهوران في الجيل الثاني والثالث بعد نوح فلم يسمع بهم أحد في التاريخ. فكيف غضّ الله الطرف عن

تعاملاته ومعجزاته في شعبين وإخراجه ناقة من صخرة ودينونته لشعبين عن طريق ريح أو صرخة لو حدثت فعلا، ولم ينذر بهما شعوب أخرى وشعب إسرائيل في كتب الأنبياء في العهد القديم والعهد الجديد، وهو قد تطرق لدينونات شعوب كثيرة في العالم كما هي مسجلة في كتب العهد القديم؟! فدينونة العالم زمن نوح مُسجَّلة، ودينونة سدوم وعمورة مُسجَّلة في العهدين القديم والجديد عدة مرات، كذلك دينونة مصر. وهناك دينونات لعشرات الشعوب التي كان موطن بعضها أبعد من موطني عاد وثمود. ولكن الدينونات الموضوعة من القرآن بين دينونة الطوفان زمن نوح وبين دينونة سدوم وعمورة، وهي دينونة ثمود وعاد، قد نسي الله ان يذكرها لأحد من أنبيائه، وهو أمر غير معقول. فالقرآن أدخل الخرافات العربية زمن محمد المُختصّة في قبائل عربية، كأنها مشهورة ورجالاتها كأعلام في مستوى نوح بل أكثر من نوح، حتى ان مصر وفرعون يُوصفان في القرآن أنهم على علم في تلك الدينونات والأعلام الخرافية التي سجّلها مؤلف القرآن.

دينونة القرآن لمديان في زمن بعيد جدا

وهنا يضيف القرآن دينونة في زمن تاريخي بعيد على شعب مشهور وهو المدياني. فقد جعل دينونة مديان قريبةً زمنياً من دينونة سدوم وعمورة، التي حدثت في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. فبالنسبة لتسلسل محمد التاريخي يكون المديانيون قد عاشوا في القرن العشرين أو التاسع عشر قبل الميلاد.

عندما يذكر الكتاب المقدس تاريخ المديانيين يُبيِّن غير ذلك. فالمديانيون جاءوا من زواج ابراهيم بقطورة، الزوجة التي أخذها ابراهيم بعد موت زوجته سارة. فنقرأ في سفر التكوين الإصحاح 25 والأعداد 1-4:

"وَعَادَ ابْرَاهِيمُ فَاخَذَ زَوْجَةً اسْمُهَا قَطُورَةُ. فَوَلَدَتْ لَهُ زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمَدَانَ وَمِدْيَانَ وَيِشْبَاقَ وَشُوحا. وَوَلَدَ يَقْشَانُ: شَبَا وَدَدَانَ. وَكَانَ بَنُو دَدَانَ: اشُّورِيمَ وَلَطُوشِيمَ وَلاُمِّيمَ. وَبَنُو مِدْيَانَ: عَيْفَةُ وَعِفْرُ وَحَنُوكُ وَابِيدَاعُ وَالْدَعَةُ. جَمِيعُ هَؤُلاءِ بَنُو قَطُورَةَ."

نرى إذا بان أب المديانيين هو الابن الرابع لقطورة. ولم يكن قد أصبح نسله شعباً أو امة قبل القرن السابع عشر قبل الميلاد.

في الآيتين 94 و95 من سورة هود نقرأ كيف يدّعي كاتب القرآن في اندثار المديانيين من التاريخ بواسطة صيحة:

"ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا. واخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. كأن لم يغنوا فيها. الا بُعدَ المدين كما بَعِدت ثمود".

والمعنى للجزء الأخير من الآية 94 والآية 95 كما هو متفق عليه من الترجمات القانونية للقرآن ومن المفسرين هو كالتالي: "انهم اصبحوا في ديارهم جاثمين وكأنهم لم

يقطنوا ابدا فيها. آه، كيف نُزع مديان كما نُزعت ثمود". وقد سبق ورأينا انه عندما يستخدم القرآن تعبير "الا بُعد المدين او بُعداً لثمود" فهو يقصد انقراض تام للقبيلة، مثلما رأينا كيف ان القرآن قد استخدم هذا التعبير في القول بهلاك كل سكان العالم بالطوفان زمن نوح. ففي سورة هود وهي رقم 11 (الآية 44) يستخدم نفس التعبير، لكي يقول ان جميع سكان العالم قد هلكوا:

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

نزع المديانيين من التاريخ في عصر قريب من عصر لوط يبيّن كيف تعامل محمد بسرعة وفي الحال مع شعوب العالم مُستخدِماً صيحات سحرية. فقد أظهر جهلَه المدقع في تاريخ هذه الشعوب. ليس فقط أظهر جهله في تسلسل هذه الشعوب وتاريخ ظهورها في التاريخ. ولكن قد نزع شعوباً من التاريخ قد عاشت إلى زمن قريب من عصره، إذ نزعها في أزمنة غابرة تبعد عنه آلاف السنين.

المديانيون في الكتاب المقدس

لقد ذُكر المديانيون 39 مرة في الكتاب المقدس. حيث هناك ذِكر لهم في عصور مختلفة من زمن يوسف. لقد عاش المديانيون في جنوبي سيناء. ثم امتدوا في سكانهم نحو منطقة خليج العقبة وجنوبي أدوم. وعُرفوا في تجارتهم مع الشعوب المجاورة خاصة مصر وإسرائيل. ونرى الكتاب المقدس يرافق ذكرهم من بداية نشأتهم. فنقرأ في سفر التكوين 37: 28

"فاجتاز رجال مديانيون تجار. فسحبوا إخوته يوسف واصعدوه من البئر وباعوا يوسف... بعشرين من الفضة ".

لم يكن المديانيون بعد أمة زمن يوسف، ولكن جماعات من التجار تتجر بين جلعاد ومصر.

وفي سفر الخروج هرب موسى من مصر وجاء للسكنى بينهم في سيناء. الأمر الذي يدل انه في حوالي عام 1525 قبل الميلاد كانت جنوب سيناء جزءاً من أرض مديان. فقد عاش موسى وسطهم مدة أربعين سنة في جنوب سيناء. ورغم ان موسى كان له إقامة مع رعوئيل كاهن مديان الذي صار حموه إذ تزوج موسى ابنته، لكن لم يذكر ابدا عن اندثار مديان الذي يدّعي القرآن حدوثه، مع انه أعطى في سفر التكوين تفاصيل عن شعوب كثيرة بعيدة عن الشعب المدياني حيث كان يسكن.

لا شك معرفة موسى عن المديانيين تفوق حتى معرفتنا عنهم اليوم. ولقد ذكر موسى كثيراً من رجالات الله ولم يذكر شعيب. فكم كانت معرفة موسى أهم من معرفة محمد وسكان الجاهلية، الذين لم يكن عندهم معرفة في علم الآثار أو مراجع عن المديانيين. وذكر موسى في سفر التكوين 25: 4 عن الخمسة أولاد، الذين انحدرت من

نسلهم القبائل المديانية: "عيفة وعِفر وحنوك وابيداع وألدعَة ". فلو حدثت تلك الصيحة لكانت الموضوع الرئيسي الذي تكلم عنه موسى في تطرقه للمديانيين. ولقد ذكر موسى عن ملكي صادق وعن انوش واخنوخ. ولو كان هناك في التاريخ اسم شعيب لكان أقرب على موسى من شعوب ورجالات آخرين كان قد ذكرهم موسى. ولقد هُزم المديانيون من موسى في صحراء سيناء، أي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

وقد ذكرَ سفر القضاة عن تحالف المديانيين مع الاسماعيليين زمن جدعون. وسكناهم معا في سيناء وحربهم مع جدعون، وذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وفي أخبار الأيام الاول الإصحاح الاول وعدد 46، يذكر الكتاب المقدس اسم ملك أدومي، وهو هدد بن بدد، الذي كسر مديان في بلاد مؤاب. الأمر الذي يدل على ان مديان قد امتدت في نفوذها في مناطق من مؤاب.

ويذكر أنبياء العهد القديم عن تجارة مديان بين إسرائيل وسبا اليمنية. وسفر اشعياء 60: 6 يذكر مديان وعيفة وتجارتهم في الذهب والبخور والتوابل. وسفر حبقوق 3: 7 يتكلم عن (خيام مديان). ولقد عاش حبقوق حوالي 619 قبل الميلاد.

المديانيون في التاريخ الرسمي

يدّعي القرآن بان " الصيحة " قد أخذت المديانيين وكأنهم لم يكونوا في التاريخ، أي نزعتهم الصيحة كما نزعت الصيحة أيضا ثموداً بحسب محمد في القرآن. والحقيقة فقط شخص لم يدرس قط التاريخ سوف يُؤخذ بهذه الأقوال. ان ذلك الادّعاء القرآني مثل القول بفناء الأشوريين في زمن بعيد في التاريخ، مع ان نسل الأشوريين قد استمروا عبر التاريخ حتى أيامنا.

فالمديانيون وبشكل خاص قبيلة عيفة المنحدرة من بكر مديان، قد ذُكروا في الكتابات الأشورية. هناك مثلا كتابات منقوشة لسرجون الثاني تعود لسنة 715 و716 قبل الميلاد تذكر عيفة. وعيفة وباقي القبائل المديانية كانت تتجر على خط التوابل الذي كان يأتي من الهند، مارا في اليمن ومتجهاً نحو الهلال الخصيب. وكانت عيفة تنظم إلى تحالفات مع قبائل أخرى للحرب ضد الأشوريين والكلدانيين.

ويذكر سفر أو كتاب Judith يهوديت، وهو من كتب الأبوكريفا ويعود للقرن الرابع ق. م.، عن هجوم نبوخذنصر على شمال العربية ومديان الخ. ومن جملة ما يذكر:

"لقد حاصر جميع المديانيين، وحرق خيامهم، وسلب مواشيهم"
سفر يهوديت 2 : 26

وقد ذكر الكتّاب اليونانيون الذين عاشوا قبل المسيح المديانيين عدة مرات. ويذكر بطليموس(من القرن الثاني ميلادي) مدينة Modiama مدياما[71]، حققها موسل Musil في مديان[72]. وذكر يوسيفس فلافيوس Flavius Josephus (37-101 م) مدينة Madiané. ولقد ذكر Eusebius، المؤرخ المسيحي المشهور والذي عاش بين عامي

260 و339 ميلادي، بان مدينة Madiam مديام مسماة نسبة لأحد الأولاد الذين أتوا من زواج ابراهيم بقطورة – بمعنى أخر مديان الذي هو أحد أولاد قطورة - وقد حدَّد مكانها باتجاه الصحراء حيث سكنى Saracens السراسنة[73] جنوب شرق العقبة. مما يدل على بقاء المديانيين كشعب إلى ما بعد العصر الميلادي بقرون.

ولقد ذُكر المديانيين من المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس من قيصرية Procopius of Caesarea. ولد بروكوبيوس في نهاية القرن الخامس ميلادي، وكتب في بداية القرن السادس للميلاد. وقد ذكرَ المديانيين تحت اسم Maddeni اذ كانوا يعيشون في زمانه في نفس المنطقة، أي حول خليج العقبة[74]. مما يدل على بقاء المديانيين كشعب إلى ما بعد العصر الميلادي بقرون، أي عبر القرن الخامس والسادس ميلادي.

ولقد كُشفت آثار المدينة من علماء الآثار، وحُقِّقت أنها مدينة المديانيين. ومن المكتشفين الحديثين للمدينة Sir R. Burton. في الاصحاح الثاني عشر من كتابه The Gold Mines of Midian يقدم دراسة مفصَّلة عن عاصمة المديان .[75]

بقاء المديانيين إلى ما بعد ظهور الإسلام

وهناك ما يدل على بقاء المديانيين في العصر الإسلامي. كما نفهم من سيرة ابن هشام قد ورد خبر "مدين" في العصر الإسلامي، وذلك في غزوة زيد بن حارثة لجذام في (حِسْمى)[76]. ولقد ذكر الكتّاب المسلمون بان مدين كانت في العصر الإسلامي موجودةً في أرض جذام. وذكر ياقوت الحموي مدين عن أفراد في جيله:

> "قال أبو زيد : مدين على بحر القلزم-أي البحر الأحمر- محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى ... قال: ورأيت هذه البئر مغطاة، قد بني عليها بيت. وماء أهلها من عين تجري. ومدين اسم القبيلة، وهي في الإقليم الثالث: طولها إحدى وستون درجة وثلث، وعرضها تسع وعشرون درجة". وذكر أيضا عن رهبان مَدْيَن[77].

مما يدل على انتشار المسيحية في القبيلة. ونفهم من مجموع هذا الاستشهاد أن قبيلة مدين كانت موجودةً في العصر الإسلامي، وان عاصمتها مدين كانت مدينةً كبيرةً، بحيث انها كانت أكبر من مدينة تبوك. وكانت ما زالت في نفس منطقة مدين، أي حوالي خليج العقبة.

وذكر ابن منظور عن شاعر من مدين واسمه أبو الهميسع. ويقول ابن منظور عنه:

> "وكان أَبو الهميسع ذكر أَنه من أَعراب مَدْيَنَ وكنا لا نكاد نفهم كلامه"[78].

من هذا الشاهد نفهم بأنه كان هناك بدو ينتمون إلى مديان، وكانت لغتهم تختلف عن اللغة العربية حتى في عصر ابن منظور، بحيث كان يصعب على ابن منظور فهم كلام شاعر منهم.

جهل أتباع محمد في زمانه في أسس التاريخ، وحقيقة فقدان القرآن مصداقيته نسبة لمداخلاته الطفولية في تطرقه للتاريخ

ان ادّعاء القرآن بسورة هود أي رقم 11 والآيتين 94 و95 بان المديانيين قد نُزعوا من التاريخ في فترة قريبة من عصر لوط، أي العصر الذي أدان الله سدوم وعمورة، هو خطأ تاريخي جسيم. وواضح بان الصحابة أتباع محمد في جيله كانوا بدون اقل معرفة في التاريخ، ويجهلون عن القبائل التي كانت تسكن قريبة منهم، أي في شمال شبه الجزيرة العربية مثل المديانيين. فهل يتصرّف المسلمون اليوم مثلهم، متجاهلين التاريخ الموثق، ومدافعين عن كتاب لا يملك أي مستوى من المنطق التاريخي، وممتلئ في خرافات ومداخلات طفولية بالنسبة للتاريخ التي يستعفى حتى طالب الصف الابتدائي ان يروِّجها؟

للأسف مع إقرار المسلمين بان محمداً قد محا المديانيين عن وجه الأرض في زمن لوط ولم يعد لهم وجود بحسب نظره، ومع انتباههم بان المديانيين قد استمروا حتى بعد قرون من الإسلام، لكنهم لا ينتبهوا إلى ان تصريح محمد هذا قد ألغى مصداقية القرآن تماماً. وكثيرون من مفسري القرآن، مثل القرطبي[79] وغيره من مفسري القرآن، قد أيّدوا إدعاء القرآن ان المديانيين قد دينوا وانتهوا من التاريخ بواسطة صيحة جبريل. فلم يكن هناك استعداد عند الكثيرين في مقارنة ادّعاء محمد على ضوء الحقائق التاريخية.

لماذا كان يقص محمد مثل تلك الدينونات والقصص على الناس

وكان محمد يقدِّم بسهولة أمثلة من الدينونات على شعوب كان بعض الذين حوله يعرفون انها قد وُجدت في التاريخ، رغم ان محمداً لم يكن يعرف عن تاريخ تلك الشعوب. وهدف محمد كان في أن يترك انطباعاً جيداً وتأثيراً على مستمعيه بأنه يستقبل وحياً من الله عن تاريخ تلك الشعوب، وانه يعرف من خلال الوحي كل شيء عن أي امة كان العرب في زمانه يعرفون انها وُجدت. وقد نسب مرارا لله كلمات مثل "العليم الفهيم"، أي الذي يعلم كل شيء. فلأن الله يعلم بكل شيء، فمحمد أيضا من خلال وحيه يعلم بكل شيء، ولا يمكن ان يبقى صامتاً نحو أي موضوع حتى عن تاريخ الأمم. ولذلك كان مستعداً أن يقدِّم سرداً عن ذي القرنين، أي الاسكندر المقدوني، مُستخدِماً الخرافات التي ظهرت في زمانه عنه. وهي خرافات، كما سوف نرى في الإصحاح المخصص عن المقدوني، مأخوذة من كتاب خرافي اسمه Pseudo Callisthenes وجعله مسلماً ينشر الإسلام في العالم، وجعله يحجز جوج وماجوج خلف سد بين جبلين إلى نهاية الأيام.

فمحمد كنبي الله بحسب ادّعائه لم يكن له ان يصمت عن أي موضوع، وادّعى انه يعرف كل شيء عن أي قبيلة أو امة. فكان محمد يسأل عادة الصحابة سؤالاً، فيجيبوا "الله ورسوله أعلم". ولم يسبق ان محمداً قد اعترض على ذلك وأن وبّخهم قائلا لهم: ذلك لا يعلمه سوى الله. ولكنه كان يسكت عندما يسمع مثل تلك العبارة، إذ كان يريد ان يظهر

انه يعرف كل شيء مثل الله، وان الله حالا يقدم له المعرفة عن أي شيء. لذلك لم يكن له ان يصمت من جهة موضوع المديانيين. فكان يجب ان يعرّفهم من خلال كلمة الوحي القرآني، بغض النظر عن التاريخ. لذلك وضعهم زمن لوط وأزالهم من التاريخ في ذلك العصر بواسطة صرخة جبريل.

والحقيقة كان محمد وأصحابه جاهلين من جهة المديانيين، ولم يكن يدرون بان هناك باحثين عند البيزنطيين ووثائق كثيرة عن المديانيين وتاريخهم. وان مدينتهم الرئيسية كانت موجودة في زمانهم. ولم يكن محمد وأصحابه في معرفة عن دقة الكتاب المقدس حول المديانيين. الأمر الذي جعل محمداً ان يختار ان يُبهِر سامعيه في معرفته الموحاة من الله، بدل ان ينتبه على ان أقواله سوف تُمتحن يوما من النقد الموضوعي التاريخي.

شيء آخر وهو ان هناك أسباباً أخرى جعلت محمد ان يخلق قصصاً وديونات على أمم، وهو انه كان تحت نقد من سكان مكة. فقد كانوا يقولون عن محمد انه كان إنساناً مثلهم بدون تفوق روحي. لم يروا في محمد حياةَ قداسةٍ وتقوى. لكن لاحظوا ان اهتمامه الاول كان النساء. ولقد اتهموا محمد بأنه كان كاهناً، أي واحد من كهان الجن وساحر. وكانت هناك حوارات كثيرة بين محمد والمكيين. ولقد ادّعى ان نفس الحوارات قد كانت قد جرت بين أنبياء العهد القديم -أو أسماء أنبياء قد ابتُدعت من جماعات جاهلية-وبين شعوبهم. ولذلك كان محمد يريد ان يلغي اتهامات المكيين ضده من خلال الإدّعاء بان أنبياء التاريخ قد اتُهموا بنفس الاتهامات.

تحليل لادعاء محمد عن وجود نبي تحت اسم شعيب

لم يَدّعي المديانيون قط بإيمان توحيدي. وإذا ظهر نبي من الله في أمة لا يمكن ان تنسى هذه الأمة نبيها حتى ولو رُفض في جيله. فالله كان سوف يجعل رسالته ان تحيا في الأجيال اللاحقة. وهذا نعرفه من خلال ما حدث لأنبياء الكتاب المقدس. فمثلا قد رُفض النبي ارميا من ملوك إسرائيل وشعب إسرائيل، ولكن رسالته عاشت في إسرائيل، وأصبح في نظر الإسرائيليين في وقت لاحق واحداً من أعظم أنبيائهم. ونفس الشيء يُقال عن ميخا بن نملة وآخرين أيضا. وإيليا قد اضطُهد من الملك أخاب وابنه، ولكنه أصبح في وقت لاحق من أهم أنبياء العهد القديم.

وعندما نأتي إلى ادعاء محمد عن شعيب، لا نجد له أي ذكر في التاريخ؛ فلا نجد أي وثيقة تاريخية في شبه الجزيرة العربية تذكر اسم شعيب كنبي لمديان. الأمر الذي يجعلنا نعتقد بان اسم شعيب قد ابتُدع زمن قريب من محمد أو في عصره. أو انه اسم النبي اشعياء بالنسبة لبعض الجاهليين.

ترجيح ان شعيباً كان اشعياء بالنسبة لبعض الجماعات في الجاهلية

يقول محمد في أحد أحاديثه عن شعيب بأنه "خطيب الأنبياء"[80]، جاعلاً إياه أهم نبي في التاريخ القديم. وهذا غريب من حيث انه لم يغفل الكتاب المقدس عن ذكر اسم أي نبي دعاه الله، حتى اسم أيوب الذي لم يكن عبرياً، وسكن في ارض عوص التي هي على الحدود الغربية لمنطقة بابل. أي ابعد بكثير عن إسرائيل من سيناء موطن المديانيين قديما. ولم يذكر أحدٌ من الأنبياء أو أحدٌ في تاريخ الشعب القديم عن اسم شعيب. كما ان المديانيين لم يذكروا انه كان لهم نبيا تحت اسم شعيب، رغم اتصالهم الوثيق مع موسى الذي عاش وسطهم مدة أربعين سنة قبل ان يقود إسرائيل في الخروج من مصر.

وفي مراجعة التقليد الإسلامي عن اسم شعيب، نرى الكتّاب المسلمين مثل المسعودي يضعون شعيباً زمن ملوك يهوذا[81]. ونحن نعلم ان أشهر نبي الذي تنبأ زمن أربعة من ملوك يهوذا هو اشعياء. ومن حيث ان محمداً قد ذكر عن شعيب انه خطيب الأنبياء، فذاك اللقب يصح على اشعياء النبي، الذي نبواته في سفر اشعياء موضوعة بقالبٍ شعري مُميَّز. ولا بد ان محمداً أو بعض القبائل العربية المتهودة، قد سمعت اليهود في شبه الجزيرة يترنمون في نبوات اشعياء وشعره، حيث ان اشعياء تكلم عن مديان وقوافلها، فظنّوا ان اشعياء مُرسلٌ لمديان كنبي. ويعزِّز هذا الرأي التشابه في اللفظ باللغة العربية بين اشعياء وشعيب، مما يجعلنا ان نعتقد ان شعيباً هو الاسم العربي الذي اتخذته بعض القبائل العربية المتهوِّدة لاشعياء. إلا انه قد فات محمد بان اشعياء قد عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، وليس في القرن التاسع عشر أو الثامن عشر قبل الميلاد، كما وضع محمد شعيباً كنبي لمديان قريبا من عصر سدوم وعمورة. كما ان اشعياء لم يكن نبياً لمديان، ولكن عاش طيلة حياته في مدينة اوروشليم كنبي لسبط ومملكة يهوذا.

وبعض الكتّاب المسلمين يودون ان يحقِّقوا شعيباً بيثرون حمو موسى. ولكن لا يوجد تشابه بين الكلمتين إطلاقا. ولم يسبق ان يثرون قد سمِّي باسم مشابه لشعيب.

دعوة للمسلمين في إعادة تقييم الأمور

ليس من الحكمة التمسُّك في كتاب مثل القرآن فيه أخطاء تاريخية صارخة مثل التي تطرقنا إليها. فمجموعات الأوس والخزرج والمسلمون الذين تبعوا محمداً من مكة كانوا على مستوى من الجهل والسذاجة، بحيث فاتهم تمييز مثل تلك الأخطاء الجسيمة في كلام محمد من ناحية تاريخية. ولكن على المسلمين اليوم ان لا يقبلوا ما قبلته تلك المجموعات التي كانت بدون ثقافة تاريخية، وكانت عاجزة ان ترفع صوتها أمام محمد وتعترض أو تشكك في أقواله. فمن الخطورة ربط المصير الأبدي للنفس في ادّعاءات رجل قد تلا مثل تلك الآيات المليئة في الأخطاء الطفولية من ناحية تاريخية، حتى ولو ادّعى أنها آتية من الله. فكيف يمكن ان يكون ذلك الذي تحدث بلغة طفولية في الأمور التاريخية ان يكون على صواب عندما يتحدث في أمور المصير الأبدي للنفس؟!.

أدعـو الإخـوة المسـلمين إلـى دراسـة الكتـاب المقـدس بـالحري، الـذي يتمتـع فـي كرونولوجيا، أي تسلسل تاريخي فريد وصحيح، رغم انه يتحدث عن مئـات الشـعوب فـي التـاريخ. والأكثـر مـن ذلـك فـان الكتـاب المقـدس يحـوي علـى 300 نبـوة عـن المسـيح: ألوهيته، وموته في الجسد كفارة عن خطايا الجنس البشري وقيامته، وتفاصيل كثيرة عن حياتـه التـي عاشـها علـى الأرض. تفتـيش الكتـاب المقـدس فـي روح الصـلاة يقـود إلـى التعــــرُّف علــــى الحـــــق وقيــــادة الـــــنفس لمقابلــــة الله الحقيقـــــي روحيـــــاً.

أنطاكية في القرآن

محمد في القرآن يدّعي ان صرخة قد حطّمت مدينة أنطاكية في القرن الاول الميلادي

الصرخة التي استُخدمت في القرآن مرارا كثيرة لتحطيم ونزع أمما من التاريخ، قد استخدمها محمد أيضا لإبادة شعب أنطاكية في العصر الميلادي. فنقرأ في سورة ياسين (36) ابتداء من الآية 13:

"واضرب لهم مثلا. أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون. إذ أرسلنا إليهم اثنين. فكذّبوهما فعززنا بثالث. فقالوا إنا إليكم مُرسلون. قالوا ما انتم إلا بشر مثلنا. وما أنزل الرحمن من شيء إن انتم إلا تكذبون. قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون. وما علينا إلا البلاغ المبين. قالوا إنا تطيّرنا بكم. لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم . وليمسّنكم منا عذاب أليم"

وفي الآية 29 يدّعى القرآن

"إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون"

محمد قد قصد أنطاكية من الآيات القرآنية السابقة

ناقلو أحاديث محمد وكتّاب سيرته قد أكدوا ان المدينة المقصودة من السورة القرآنية هي مدينة أنطاكية في آسيا الصغرى. فابن اسحق اعتمادا على وهب بن منبه كذلك ابن عباس يذكران أنطاكية[82]. ويقول كل من الالوسي والقرطبي:

"والقرية كما روى عن إبن عباس وبريدة وعكرمة إنطاكية"[83]. "هذه القرية هي أنطاكية في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي"[84]

ومن بين مفسري القرآن الذين أكّدوا ان أنطاكية هي المدينة المقصودة نذكر إضافة للقرطبي[85] أبو حيان[86] وابن كثير[87]. ومن بين المؤرخين المسلمين نذكر المسعودي[88].

كذلك الكتب المختصة في تحديد الظروف التي أتت بها الآيات القرآنية وأسباب ما يسمى بالتنزيل، أجمعت على ان أنطاكية هي المدينة المقصودة في القرآن. نذكر مثلا كتاب التسهيل في علوم التنزيل[89]. جميعها تقول بان المرسلين كانوا رسل المسيح لأنطاكية.

والنص القرآني يدل على ان محمداً قد كان في فكره الرسولين برنابا وبولس اللذين بشّرا وعلّما في أنطاكية. ولقد عُزِّزت خدمتهما في وقت لاحق بوصول سيلا، الأمر الذي نراه مُعبَّرا عنه في كلمات القرآن "فعززنا بثالث". ولكن التهديد في الرجم لم يأتِ عليهم في أنطاكية كما القرآن يوحي، ولكن في أنطاكية أخرى موجودة في إقليم بسيديا. واضح ان محمداً قد فشل في ان يتذكر بدقة الإرسالية لمدينة أنطاكية وباقي الرحلات التبشيرية، كما هي مذكورة في كتاب أعمال الرسل في العهد الجديد. فنقرأ في أعمال الرسل أن الروح القدس أرسل بولس وبرنابا في رحلة تبشيرية. ثم لحقهما مرقص في أنطاكية بسيديا، وهناك أراد الشعب ان يرجمهم. ففي تصوُّر محمد ان أنطاكية بسيديا هي مدينة أنطاكية الرئيسية، قد حاول ان يجمع بين الأحداث التي حصلت في مدينة أنطاكية مع تلك التي حصلت في أنطاكية بسيديا، مشكِّلاً فقرة واحدة من الاثنتين. فمن عادته ان يقدِّم إصحاحات من الكتاب المقدس في جملة أو فقرة واحدة مشوشة ومخلوطة من معلومات خيالية خرافية.

ولعل مفسرو القرآن، مثل ابن كثير، قد نقلوا عن آخرين يذكرون اسم مرقص تحت اسم "يوحنا". إذ معروف ان مرقص اسمه "يوحنا مرقص". ويذكرون اسم بولس تحت اسم "بوليس"[90]. ويذكر المسعودي اسمَ بولس كواحد من الذين قصدهم القرآن في الرواية[91]. مما يدل على تحقُّق المفسرين المسلمين من ان القرآن قد قصد رحلات بولس نحو أنطاكية، مصحوباً ببعض تلاميذه مثل يوحنا مرقص.

وناقلو أحاديث محمد الرئيسيين أكّدوا ان مدينة أنطاكية قد دُمرت مع ملكها بسبب تلك الصيحة. نذكر من هؤلاء الناقلين قتادة، وهو يعتبر مرجع لتفسير أهم أحاديث محمد. وايضا ابن عباس[92]. ويقول القرطبي:

"وصاح جبريل صيحة مات كل من بقي منهم من الكفار"[93]

ونجد مثل هذه الصرخات السحرية في الديانات الوثنية الشرق أوسطية، فالكتب المندائية مثلا تحوي مثل هذه الصرخات: فهم ينسبون هذه الصرخات إلى ألهتهم خاصة الشخصية النورانية الهامة عندهم التي خلقت الأرض، وهي بثاهيل المسمّى أيضا منهم بجبريل.

الكتّاب المسلمون يحاولون ان يفسّروا الخرافة القرآنية

ولكن بالرغم من تلك الحقائق، نجد ان المحدثين المسلمين الأوائل مثل ابن إسحاق ووهب بن منبه، يحتضنون تلك الادعاءات غير المنطقية وغير التاريخية لمحمد. وفي

سعيهم في تثبيتها نراهم يبنون عليها خرافات وقصصا غير تاريخية. والحقيقة من حيث ان محمداً قد أدخل في القرآن خرافات وقصصا غير تاريخية، نجد ان المحدثين المسلمين الأوائل يختلقون تاريخاً فوق ادعاءات محمد، وذلك من اجل ان يجعلوا القرآن ككتابٍ مُوثَّقٍ في عيون السذج الذين يجهلون تماما عناصر التاريخ. إذ هم توّاقون للدفاع عن محمد، حتى على حساب تجاهل التاريخ الرسمي وتبني معلومات وتاريخ مزيف مُبتدع من هؤلاء المُحدِّثين.

وابن إسحاق مُعتمِدا على وهب بن منبه وكعب الأحبار، يقول:

"كان في مدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يقال له انطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس، يعبد الأصنام، صاحب شِرْك. فبعث الله المرسلين وهم ثلاثة: صادق وصادوق وشلوم. فقدّم الله إليه والى مدينته منهم اثنين، فكذبوهما، ثم عزّز الله بثالث"

يستمر ابن إسحاق يقص بان هؤلاء كانوا من تلاميذ المسيح. وعندما أصر فرعون بان يقتل هؤلاء التلاميذ المُرسلين من المسيح لأنطاكية، قد أباد الله فرعونَ وكلَّ سكان المدينة. ثم يقول ابن إسحاق مُفسِّراً القرآن:

"فأهلك ذلك الملك وأهل أنطاكيا، فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية"[94]

نرى بان سرد المحدثين المسلمين مؤيدٌ من شهادة أشخاص مثل قتادة وابن عباس[95].

وهذا السرد للمحدثين المسلمين الذي من خلاله كانوا يحاولون تثبيت سرد محمد الخرافي في القرآن، يُظهِر مدى التشويش الذي كان لدى هؤلاء المحدثين من جهة التاريخ الرسمي وجهلهم بأصوله. ومدى سذاجة الشعب الذي كان يصغي لادعاءاتهم وللتاريخ المزيف الذي اخترعوه. فمعروف بان الفراعنة قد اختفوا قرونا قبل العصر المسيحي. ومدينة أنطاكية قد بُنيت من Selecus Nicator واحد من القادة الأربعة الذين خلفوا الاسكندر المقدوني. فقد بنى Selecus المدينة حوالي سنة 300 قبل الميلاد على ذكرى Antiochus أحد أعضاء عائلته. إضافة لذلك فان عاصمة الفراعنة كانت في مصر ولم تكن أبدا بين سوريا وآسيا الصغرى كما كانت مدينة أنطاكية.

واسم "فرعون" الذي ادّعى المحدثون المسلمون انه كان ملكا على أنطاكية: هو "انطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس" وهو لقب لملوك العائلة السلوقية التي حكمت سوريا بعد ان مات الاسكندر المقدوني. ولم يكونوا هؤلاء يحكمون في العصر الروماني حيث قامت المسيحية.

كل ذلك إنما يدل على مدى جهل المحدثين المسلمين عندما كانوا يدّعون في كتابة تاريخ جديد يؤيِّد خرافة القرآن. فقد مزجوا العصور القديمة مع الأحدث. ونقلوا شخصيات تاريخية مثل الفراعنة إلى بلاد أخرى ومدن لم تكن موجودة زمن الفراعنة.

وهذا النوع من المزج لم يكن ليسقط به صبي يعيش في بلاد متحضرة في عصرهم. ومع ذلك ما زال المسلمون اليوم يعتبرون هؤلاء المحدثين المسلمين كمراجع هامة للتاريخ، ويتخذون من كتاباتهم حججاً لتثبيت ادعاءات القرآن غير التاريخية.

مصادر محمد النصرانية تخوّله ان يذكر شيئاً عن إرسالية بولس وبرنابا في أنطاكية

من أين قد تعلّم محمد عن الإرسالية في أنطاكية كما جاءت في أعمال الرسل ؟ عندما ندرس عن حياة محمد نعلم انه كان يُدرَّس من أشخاص كانوا على معرفة في الإيمان المسيحي، والبعض منهم كانوا من الهراطقة النصارى. من بين هؤلاء كان ورقة ابن نوفل.

اختبارات محمد السلبية واستعانة خديجة بورقة لتحويلها الى نبوة

فقد كان ورقة بن نوفل ابن عم خديجة زوجة محمد الأولى. ولقد كانت خديجة قد استعانت به من اجل تغيير اختبارات محمد السلبية التي حدثت له في حراء، إلى وحيٍ ونبوةٍ. وذلك بعد ان عاد محمد من حراء حيث كان يصرف أوقات كثيرة، مُخبِراً إياها بان روحاً ادّعى انه جبريل، قد أمره ان يقرأ كتاباً خانقاً إياه ثلاث مرات. ولقد عاد محمد مذعوراً ومكتئباً، ومُتَّهِماً الشيطان بما حدث له من اختبارات سلبية مريعة. فنقرأ في صحيح البخاري:

"...وهو في غار حراء، فجاءه الملاك فقال: اقرأ، قال: (ما أنا بقارىء). قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم}). فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: (زملوني زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: (لقد خشيت على نفسي)"[96].

والعيني يقول بان الغط هو الخنق[97]. مؤكدا بذلك حقيقة خنق محمد من "جبريل".

صيغة أخرى مُستخدمة في موضوع خنق محمد يؤكد موضوع الخنق. يقول ابن منظور:

سَأَبه يَسْأَبُه سَأْباً: خَنَقَه؛ وقيل: سَأْبه خَنَقَه حتى قَتَلَه. وفي حديث المَبْعَثِ: فأَخذ جبريلُ بحَلْقِي، فسأَبَني حتى أَجْهَشْتُ بالبكاءِ؛ أَراد خَنَقَني؛ يقال سأَبْتُه وسَأَتُّه إذا خَنَقْتَهُ. قال ابن الأَثير: السَّأْبُ: العَصْر في الحَلْق، كالخَنْق[98].

ويقول ابن الاثير:

سأب: في حديث المَبْعث "فأخذَ جِبريلُ بحلْقي فسأَبني حتى أجْهَشْتُ بالبُكاء" السَّأْب: العَصْر في الحَلْق كالخَنق[99].

ويقول السهيلي:

وقوله في الحديث فغطَّني، ويروى: فسَأبَني، ويروى: سَأتَني، وأحسبه أيضا يروى: فَذَعَتِني وكلها بمعنى واحد وهو الخنق والغم[100]

وهناك كلمة أخرى مُستخدَمة في ابن هشام وهي "غتَّني"[101]. وكلمة غتّه المستخدمة من كتب السيرة تعني كما نراها في المنجد "خنقه"[102].

يبدو واضحا من اسلوب تعامل هذه الروح مع محمد ان الامر كان يتعلق بأكثر من حادثة واحدة. ولكن سلسلة تعاملات مع محمد بالخنق لكي يستسلم اخيرا ويكون عنده رعباً دائماً من هذا الروح بحيث لا يجرؤ ان يعصه. وعندما نحلل اول تعامل "جبريل" مع محمد ومحاولته خنقه اياه، نرى ان في أكثر من حالة لم يقرأ ما أمره "جبريل" ان يقرأ. حقيقة انها سلسلة من التعاملات نراها في السيرة الحلبية:

"ثم لا يخفي ان كلام هذا البعض، وهو انه جاءه ليلة السبت وليلة الاحد، ثم ظهر له يوم الاثنين... وحينئذ لا يبعده قوله في الليلة الثانية "ما قرأت شيئا" لان المراد لم يتقدم لي قراءة قبل مجيئك الي، ولا يبعده ايضا قوله "ما أدري ما أقرأ"[103].

واضح ان هناك تكرار لمجيء جبريل لمحمد وخنقه اياه، وانه في المرات الاولى لم يقرأ. واحتمال انه لم يتقدم له بالقراءة المرة الاولى مرفوض من حيث ان بقية الاخباريين يذكرون انه تقدم له في القراءة.

نلاحظ في الصيغة التي يقدمها الاخباريون، منهم ابن اثير كما ذكرنا سابقا، ان الروح قد خنق محمد واضعا يده على حلقه. وكابسا وعاصرا إياه، ولكن دون ان يحقق جبريل غايته فلم يقرأ محمد. اذ حاول محمد ان يتراجع عن مهمة التعامل مع روح مرعب مثل هذا يذلّه ويخنقه، يتراجع بحجة انه لا يقرأ. وهذا يدل على ان حديث الاخباريين هنا يتعلق في اولى تعاملات محمد مع الروح المنتحل جبريل، حيث كان محمد لم يتطبع بعد منه وكان يحاول ان يتهرب منه. وكان محمد في محاولات الخنق هذه يأخذه الجهد، أي يصعب عليه التنفس.

وفكرة مقاومة الذين يتعرضون لمحاولة تطبيع من الشياطين من اجل ان يخضعوا لعرافة معينة او مهمة يود الشيطان ان يستخدمهم بها، هي معروفة في حالات كثيرة في الانثروبولوجيا.

ولكي يتخلص محمد من هذا الذي انتحل هوية جبريل، حاول ان يرمي بنفسه من على جبل:

" ثم زحفت ترجف بوادري، ثم دخلت على خديجة؛ فقلت: زملوني، زملوني! حتى ذهب عني الرَّوْع، ثم أتاني فقال: يا محمد، انت رسول الله. قال فهممت ان اطرح نفسي من حَالقٍ من جبل، فتبدّى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمد أنا جبريل، وأنت رسول الله. ثم قال: اقرأ، فقلت ما أقرأ؟ قال: فأخذني فغتَّني ثلاث مرات، حتى بلغ مني الجهد .... "[104]

ونحن نعلم من الأنثروبولوجيا انه عندما يفشل الذين يلاحقهم الشيطان من اجل تطبيعهم لمهمة الوساطة له، من التخلص من الشيطان فانهم يحاولون ان ينتحروا.

واستمرت ملاحقة "جبريل" لمحمد. ولكن في مرات أخرى بعد ان حاول الروح ان يخنقه بطريقة أكثر قساوة وهي بنمط واضعا اياه على فمه وانفه، قد شعر محمد بانه الموت، كما يقول. فاستسلم محمد له لئلا يعود يفعل به ذلك. ونرى ان في استخدام الخنق مع النمط قد استسلم هذه المرة رأسا من اول مرة قائلا للروح الخانق: ماذا اقرأ

"فجاءني وانا نائم بنمط "وهو ضرب من البسط. وفي رواية "جاءني وانا نائم بنمط من ديباج، فيه كتاب اي كتابة، فقال أقرأ، فقلت: ما أقرأ فغطني، أو فغتَّني "اي غمني بذلك النمط، بان جعله على فمه وأنفه قال "حتى ظننت انه الموت، ثم ارسلني فقال اقرأ اي من غير هذا المكتوب، فقلت: ماذا أقرأ. وما أقول ذلك الا افتداء منه: أي تخلصا منه ان يعود لي بمثل ما صنع. اي انما استفهمت عما أقرأه، ولم انف خوفا ان يعود لي بمثل ما صنع عند النفي ... فقرأتها فانصرف عني."[105]

فقد استسلم محمد في الحادثة السابقة: وهي عندما خنقه الروح بواسطة وضع نمط على فمه وانفه بحيث شعر محمد انه امام الموت لا محالة. عندها خضع نهائيا للروح وبدأ يقرأ. وهي تسليم بسبب اليأس، حيث لا تجد النفس وسيلة للتخلص من قوة الشيطان المُطبِّع للملبوس، وهي ظاهرة معروفة في مثابرة الشيطان في تطبيع الذين يختارهم لمهمة عرافة من خلال الخنق بالدرجة الاولى حتى تستسلم فريسته كليا.

ولقد استخدمت خديجة ابن عمها ورقة لكي تقنع محمد انه قد نال دعوةً للنبوة. ولقد أصبح ورقة بن نوفل المصدر الرئيسي لمحمد في بداية خروجه بآيات قرآنية، خاصة الآيات التي تتعلق في العقائد التي من أصل النصرانية الهرطقية كالأبيونية، الهرطقة التي انضم إليها ورقة. التي كانت تتبنى بعض التشريعات الموسوية، مثل الختان. وتلك قد راقت لورقة، إذ كان قد اعتنق اليهودية من قبل. وكانت هناك هرطقت نصرانية تنادي بان يسوع هو فقط نبي، والبعض منها كان يقول بان يسوع لم يُصلب، ولكن قد صُلب آخر قد تغير إلى شكل يسوع. وهذه بين العقائد التي علّمها ورقة إلى محمد. ونعلم بان تلك العقيدة قد ادّعاها للمرة الأولى سيمون الساحر في مدينة السامرة، والذي كان قد انتهره بطرس الرسول. ولكن في وقت لاحق ادّعى سيمون الساحر انه المسيح، وانه لم يُصلب ولكن قد ظنَّ اليهود انه قد صُلب[106]. ولقد أسس سيمون الهرطقة التي باتت تُعرف ب Simonianism. ولقد صار لهرطقته رواجاً في وقت لاحق، حيث قد تبنّاها كثيرون من الغنوصيين . وكان هؤلاء الغنوصيين مُمثَّلين في مكة زمن محمد. في وقت لاحق تبنى بعض الغنوصيين فكرة سيمون الساحر، مثل Basilides الذي ادّعى ان سمعان القيرواني الذي سخَّره الجنود الرومان في حمل الصليب خلف يسوع قد تغيّر على شكل يسوع، وصلب اليهود سمعان ظانين انه يسوع [107]. وهذه الفكرة قد نقلها ورقة بن نوفل إلى القرآن.

محمد يبحث عن مصادر جديدة بعد موت ورقة

وقد اعترف كتبة السيرة المحمدية بعد موت ورقة بان "الوحي قد فتر". فنقرأ في صحيح البخاري: "ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي"[108]، الأمر الذي جعل محمداً ان يبحث عن مصادر أخرى، مثل الكتاب المقدس والتعاليم المسيحية والخرافات البيزنطية، إضافة لخرافات وتشريعات أخرى كالزرادشتية والصابئية. ونقرأ في سيرة ابن هشام الكلمات التالية:

"كان محمد كثيرا ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر، عبد لبني الخضرمي، فكانوا يقولون والله ما يعلِّم محمدا كثيرا مما يأتي به الا جبر النصراني، غلام بني الخضرمي"[109].

هنا عبد نصراني لم يعتنق أبدا الإسلام، ومع ذلك نجد ان محمداً يخصص وقته كل يوم للذهاب إليه. وليس ان جبراً كان يأتي محمد. الأمر الذي يكشف أهمية جبر لمحمد كمصدر للكتاب المقدس والعقائد النصرانية. وكان لمحمد علاقات مع نصارى اخرين، من بينهم يسار. "بالنسبة لمراجع محمد النصرانية: راجع مصادر محمد غير الدقيقة في موضوع خرافة الفتية النائمين في افسس".

والمصادر الإسلامية تتحدث عن جبر انه كان رومياً، وهو التعبير المُستخدم في منطقة مكة للرعايا البيزنطيين. ويقولون انه قد جمع الكتب. والإخباريون يقولون بان عائلة الخضرمي كان لها عبدين: جبر ويسار. وان هذين العبدين كانا يقرئان التوراة وان محمداً كان يمر بهما لكي يستمع إلى قراءاتهما.

وهناك نصارى بيزنطيين آخرين كان محمد يجتمع بهم مثل بلعام أو يعيش. وقد كان عبداً لبني الحضرمي. ولقد كان المكيون يرون محمداً عندما كان يدخل إليهم، وقالوا ان محمداً كان يتعلم منهم[110].

وهناك هراطقة آخرون مثل الرهبان كان محمد في اتصال بهم، من بينهم الراهب بحيرا. لقد كان بحيرا يعيش في سوريا، وفي التدقيق في بصرى الشام على الخط التجاري الذي كان يأتي من مكة. ولقد كان محمد منذ حداثته يرافق عمه ابو طالب في رحلاته التجارية إلى سوريا، وكان يقف عند صومعة بحيرا في منطقة بصرى الشام[111]، أي مدينة في حوران[112]. وتعترف كتب سيرة محمد ان ابو طالب في صحبة محمد "كانوا كثيرا ما يمرون به"[113].

لقد ذكرتُ هذه الحقائق لكي انبّر على ان محمداً لم يكن بدون تلك المصادر التي كان لها شيئا من المعرفة في الكتاب المقدس، الأمر الذي يفسِّر وجود بعض التلميحات في القرآن لبعض قصص مذكورة في الكتاب المقدس. ومن بينها الرحلة التبشيرية لبرنابا وبولس وسيلا.

وكان محمد يمتلك كتباً سريانية، قد سخّر زيد بن ثابت لتعلم السريانية من اجل ان يترجمها له. سوف أتطرق لذلك لاحقا.

خرافة من السهل التحقق من زيفها

فالسرد الخرافي الموجود في القرآن، مُنسوب انه حدث ليس في عصر بعيد جدا عن العصر الميلادي، كأن يجعل التحقق من صدقه أمرٌ صعب جدا، وموضوع تفنيده كأنه مستحيل. ولكن قد نُسب انه حدث في العصر الميلادي، حيث كل شيء هام قد حدث هو موثق من المؤرخين. كذلك فان السرد الخرافي للقرآن غير منسوب انه حدث في قرية موضوعة في طرف الأرض الشرقي أو الغربي، مما قد يجعل البحث في موضوع صدقها أمرا صعباً. حتى انه من الصعب على الكتّاب المسلمين الذين عاشوا في قرون لاحقة التحقق من صدقه، من حيث ان كثيرا من المناطق النائية في العالم لم تكن مُكتشفة بعد في زمانهم. ولكن قد نُسبت هذه الخرافة القرآنية انها قد حدثت في مدينة رئيسية في الإمبراطورية الرومانية، وهي أنطاكية التي كانت مع روما وأثينا والإسكندرية المدن الأربعة الرئيسية في الإمبراطورية. فقد كانت في موقع استراتيجي هام بين روما والشرق الأوسط، كذلك كانت مركزاً هاماً لعدد من المؤرخين والفلاسفة الذين سجّلوا حتى الحوادث الصغيرة التي حدثت في المدينة. وبعضهم قد كتبوا كتباً عن تاريخ آسيا والعالم. ومع ذلك لم يذكر احدٌ منهم تلك الفاجعة التي يدّعي القرآن أنها حدثت للمدينة، أي أنها قد دُمرت من صيحة الملاك جبرائيل.

من المستحيل إضافة حادثة مثل هذه على كتاب أعمال الرسل

هناك أمر آخر حري بالذكر: وهو انه كيف فشل رسل المسيح عن ذكر دينونة قد حدثت أمام أعين ثلاثة رجال مهمين من رفقائهم، وهم بولس وبرنابا وسيلا؟ تلك الحادثة، لو فعلا حدثت، لكانت من الحوادث الرئيسية المُسجَّلة في سفر أعمال الرسل. فمن حيث طبيعة ذلك الادعاء ووزنه المثير ونتائجه الوخيمة والمتسعة، لو فعلا قد حدث، لاستحق انتباهاً أكثر من أي حادثة قد ذكروها في أنطاكية وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى. فمثلاً نجد ان سفر أعمال الرسل قد ذكر قضاءً حدث على ساحر اسمه عليم الساحر، الذي ضُرب بالعمى لأنه كان يقاوم الإنجيل المُعلن من بولس وبرنابا إلى الوالي سارجيوس (راجع أعمال الرسل 13: 6-12). فكم كان سيكون قضاء مدينة أنطاكية – لو حدث - موضوعاً رئيسياً وكخبرٍ عظيم مُسجَّلا في أعمال الرسل.

خبر ما كان سوف يفوت آباء الكنيسة

ثم كيف ان آباء الكنيسة في أنطاكية والمدن حولها والذين كانوا متعددين، قد فاتهم ذكر تلك الصيحة؟ فالتفاصيل التي ذكرها آباء الكنيسة حول مدينة أنطاكية، كما عن مدن أخرى حيث ذهب الرسل والمرسلين الأوائل، قد ملأت عشرات المجلدات. لم يفوتهم ذكر حتى الأمور الفضولية أو تلك التي هي ثانوية في الأهمية. حتى ذكر سرد أمور ذات طابع أسطوري لم تحدث وقد فنّدها هؤلاء الآباء. فكيف فشل كل هؤلاء الآباء عن ذكر

حادثة التي بحسب القرآن كانت أعظم حادثة مأساوية: فاجعة عظيمة لم يُنسب ان حدث نظيرها في أي مدينة في جيلهم بل في كل الأجيال ؟!

خلو المصادر الرومانية من ذكر لخرافة مثل القرآنية انها قد حدثت في أنطاكية

كما سبق وذكرتُ بان تلك الصيحة قد حطَّمت بحسب القرآن سكان مدينة كبيرة في عصر ليس بعيداً عنا، ولكن في العصر الميلادي، وفي منطقة حيث كان هناك كثيرون من المؤرخين اليونانيين والرومان. وهؤلاء المؤرخون والفلاسفة لم يفشلوا في ذكر أي حادثة قد حدثت في أيامهم، وحتى في مناطق بعيدة عن مدنهم. حتى أنهم قد ذكروا القرى الصغيرة في شبه الجزيرة العربية وذلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد. وقد وصفوا أيضا الخرافات التي تبنتها شعوب آسيا وعادات وتقاليد القبائل في شرق افريقيا، إضافة إلى تطرقهم إلى الخرافات التي سردتها شعوب كانت قريبة منهم التي ادّعت أنها حدثت في وسطهم. فكيف كان لهم ان يفشلوا في ذكر صيحة جبريل التي بحسب محمد في القرآن قد حطمت مدينة أنطاكية في لحظة واحدة ؟!.

فان الذين ما زالوا يؤمنون بان القرآن هو كتابٌ مُنزَلٌ من السماء إلى محمد بواسطة جبريل، يودون لنا ان نؤمن ان تلك الصيحة الخيالية قد فات ذكرها على عشرات المؤرخين الرومان واليونانيين، الذين كانوا يعيشون في الفترة التي ادّعى القرآن أنها حدثت، أي في العصر الميلادي. ذلك رغم ان الحوادث التي حدثت في روما واثنيا وأنطاكية قد سُجِّلت في العصر الميلادي بكل دقة.

من المهم لفت انتباه القارئ على ان أنطاكية كانت في القرن الاول الميلادي مليئة بالفلاسفة والمؤرخين والجغرافيين اليونانيين، فلقد وصل إلينا من أنطاكية كثير من الكتب والكتابات، والتي تتطرق لأبسط الأمور وأقلها شأناً، التي حصلت في المدينة في القرن الاول والثاني ميلادي كما في القرون اللاحقة. وعندنا كتابات وكتب لمؤرخين رومان الذين قد سجّلوا بدقة الأخبار التي حصلت في مدن الإمبراطورية الرئيسية مثل أنطاكية. ورغم ان أنطاكية كانت المدينة الثالثة في الأهمية في الإمبراطورية بعد روما والإسكندرية، فلم يذكر احدٌ من هؤلاء المؤرخين ان مدينة أنطاكية قد دُمرت أو ان سكانها قد ماتوا نتيجة صيحة سحرية، أو حتى ان جزءاً من المدينة كان له مثل ذلك المصير نسبة لصيحة.

الحقيقة هي ان محمداً عندما طبّق هذه الصيحة التي بها أزال أمما من التاريخ في العصور القديمة الغابرة، كان غير منتبه بان مدينة أنطاكية في آسيا الصغرى لم تكن مناسبة لمثل تلك الاستخدامات. وهذا للأسف ان دلّ على شيء فقد كشف مقدار سذاجة تابعيه وأصحابه الذين قبلوا ادعاءاته. فقد كانوا في جهل مدقع عن العالم المتمدن الذي كان في زمانهم. وصار من السهل ان يؤخذوا بأي سرد خرافي يُطبَّق على عالم كان يعيش في أعلى مستويات علم التأريخ.

دقة المؤرخين الرومانيين في نقل الأخبار

لو كانت تلك الكارثة التي بحسب محمد في القرآن قد حلت على أنطاكية، لكانت قد هزّت الإمبراطورية الرومانية كلها. بدون شك، لكانت قد أصبحت بين أبرز أخبارها المُسجَّلة في كتاباتها وسجل الأخبار في القرن الاول وما تلاه من قرون. ولكانت أهم من حدث بركان فيزوف الذي ثار حوالي عام 79 ميلادي، وضرب مدينة بمبيه Pompeii- بالقرب من مدينة نابولي. فكانت تلك الحادثة قريبة نسبياً لزمن خدمة بولس وبرنابا في مدينة أنطاكية. فنجد المؤرخين الرومان يسجِّلون وصفاً للتفاصيل التي كانت تحدث بسبب ذلك البركان، تماما كما لو كان هناك ناقلو الأخبار في أيامنا يجلسون بالقرب من البركان وينقلون تفاصيل يومية لثورة البركان واندفاع حممه. بل ان هناك شاهد عيان للبركان قد كتب عنه وهو المؤرخ الروماني الايطالي بلني الصغير.

فحتى الزلازل الصغيرة التي حدثت قبل انفجار البركان قد سُجلت بدقة: بين هذه الزلازل التي حدثت في منطقة البركان حدث زلزال صغير عام 64 ميلادي. وقد سُجِّل من المؤرخ سيوتونيوس Suetonius في كتاباته عن سيرة الإمبراطور نيرون، التي تضمنها في كتاب De Vita Caesarum[114] كما ذكرها تاستوس Tacitus في Annales الكتاب الخامس عشر، حيث كتب:

"وايضا زلزال قد خرّب جزءاً كبيرا من مدينة بومبي، مدينة مكتظة بالسكان في منطقة كامبانيا"[115]

وذلك الزلزال الصغير يبتعد عن خدمة بولس وبرنابا ببضع سنوات فقط. إنني بحق أتصور بان موضوع تحطيم مدينة أنطاكية من خلال صيحة كانت سوف تنال اهتماما أكثر وأكبر من نفس هؤلاء المؤرخين الرومان واليونانيين. ذلك لان فاجعة طبيعية كالبركان التي تحدث في عصر وحضارة متمدنة، مثل الرومانية اليونانية، هي أقل جاذبية من كارثة تأتي من صرخة كائن روحي مثل ملاك كما ادّعى القرآن.

كيف نقيس غباوة ادعاء محمد في تحطيم أنطاكية في العصر الميلادي

لو ادّعيت بأنه قد حدثت فاجعة في مدينة جنيف السويسرية، وأنها حدثت من خلال حركة غريبة مثل الصيحة، وقتلت كل المدينة وحتى جزءاً منها، بدون أن يكون هناك شهادة لذلك من المدينة، أو من المدن الأوروبية المحيطة بها، أو من أي مدينة سويسرية حيث ان سويسرا هي قلب أوروبا، سوف أُرى كشخص يهذي وغير منطقي. سوف أُعتبر من مستمعي كرجل قد تخرّف ويعاني من الهلوسة. وقد يراني البعض أنني مهرجٌ أحاول ان أخدع السذج والجهلة، وان لا أحد من مستمعي يملك القدرة على تكذيب ادعائي.

وهذه الخرافة القرآنية عبارة عن تحدي اليوم للمفكرين المسلمين والعاقلين منهم، لكيلا يبقوا بعد ضحايا للسرد الخرافي الرخيص، كما كانت تلك المجموعة من الجاهليين التي صدّقت محمد بدون ان تفحص قصصه على ضوء التاريخ المُبرهن.

فالقرآن كتاب يقدِّم معلومات غير تاريخية وخاطئة في تسلسل مغلوط، ويضع شخصيات الكتاب المقدس في غير مكانها الجغرافي، وخارج عن الزمن الذي عاشت فيه. ويغيّر التاريخ وحوادثه في خرافات مشتقة من فرق دينية خرافية ووثنية كان محمد في اتصال معها في مكة، أو كان في اتصال في تعاليمها وخرافاتها من خلال الأحناف الذين انضم إليهم منذ شبابه. ولقد انتهز محمد وجوده في مجتمع المدينة-يثرب، حيث كانت الغالبية من قبيلتي الأوس والخزرج جاهلةً في أي معرفة في التاريخ الرسمي. فاستغل محمد جهلَ أصحابه الذين كانوا عاجزين على مقارنة ما كان يقص عليهم مع حقائق التاريخ، التي كان الفرد العادي في جيلهم يعرفها. فهل يستمر أصدقاؤنا المسلمون في الدفاع عن القرآن في جيلنا هذا، حيث معرفة التاريخ المُوثق قد ازدادت، وصارت أخطاء القرآن الجسيمة مكشوفةً، ليس فقط للباحث وطالب الجامعة المهتم في دراسة التاريخ، ولكن لأي دارس نزيه.

الصيحات في القرآن

جذور الصيحات التي استخدمها محمد لإبادة شعوب

من أين استعار محمد مثل تلك القضاءات السحرية التي استخدمها مرات كثيرة في القرآن لتحطيم ممالك وقبائل ومدن؟

ان الأساليب التي استخدمها محمد في القضاء والدينونات لا نجدها في الكتاب المقدس. فكان الله يستخدم اساليباً مختلفة في إجراء قضائه: كثيرا ما كان يستخدم أمةً قويةً لكي ينهي حكمَ ممالك كانت تخالف مبادئه الأدبية. ومرات أخرى نجد انه قد استخدم طرقاً أخرى، كما نرى في العشرة ضربات التي ضرب بها مصر وفرعون زمن موسى. وقد أنزل على سدوم وعمورة، اللتين كانتا تعيشان في فساد أدبي شامل، ناراً من السماء وكبريتاً قد دمّر به المدينتين. ولكننا لا نجد أبدا ان الله يستخدم "الصيحة".

الصيحة في الزرادشتية الفارسية

و"الصيحة" هي الواسطة التي تعاطت بها ديانات قديمة لإجراء القضاء من آلهتها. ومن بين هذه الديانات كانت الزرادشتية الفارسية. فنجد مثل هذه الصيحات موجودة في عدة أسفار زرادشتية. فمثلا سفر بنداهيس Bundahis يتكلم عن حمار مُؤلَّه يملك ثلاث أرجل، ويقف في وسط "البحر السماوي" الذي تخيّله الزرادشتيون انه يقع بين "سقف السماء" والأرض. ويملك الحمار ست عيون وتسعة أفواه، وأذنين وقرناً. ويُعتبر هذا الحمار كائنا صالحا، جسمه ابيض وغذائه روحي[116].

يعتقد بعض الباحثين بان ذلك الحمار عبارة عن خرافة لها علاقة بظاهرة تتعلق بالأحوال الجوية. من بين هؤلاء الباحثين نذكر Darmesteter[117]. ويبدو فعلا بان هذا الحمار المذكور في الأسفار الزرادشتية كان يمثّل خرافة تتعلق بظاهرة الطقس: إذ هو تجسيد للغيوم والأعاصير وصواعق الريح، التي تخيلها الزرادشتيون صادرة من صيحة

كائنات خرافية مثل ذلك الحمار. وقوة تلك الصيحة ناتجة عن الطريقة التي بها تخيّلوا مجموع الأفواه التي نسبوها له. كل فم يبلغ حجمه بقدر بيت. وحجم الحمار بحسب سفر Bundahis هو بقدر جبال الهملايا[118].

ويُعزى لقرنه الذهبي القدرة على إبادة الشر الموجود في كل المخلوقات الشريرة[119]. ذلك يجعل كل صيحة ناتجة عن قرنه ان تجعل كل الخليقة الشريرة ان تسقط على الأرض منسحقة بدون حياة. وعندما هذا الحيوان يرفع رقبته من المحيط ويحرّك أذنيه، يهتز المحيط بكل محتوياته، وتتزلزل الجبال. وعندما يعطي صيحةً فان جميع الكائنات الشريرة تطرح أولادها التي كانت حبلى بهم[120].

العالم ينتهي بصيحة ويستفيق الناس بصيحة سواء في الزرادشتية أم في القرآن

ذلك النوع من القضاء معزي في القرآن لملاك تحت اسم اسرافيل. فانه يُقال بان صرخة واحدة من اسرافيل تجلب الموت لكل الكائنات وتجعل الأرض ترجف وتتزلزل وتسبِّب نهاية العالم. ففكرة "الراجفة" التي هي التزلزل في سورة النازعات (79) وفي العددين 6 و7 انه يحدث للكائنات البشرية ومنسوبة لإسرافيل، هي ظاهرة مُستخدمة كثيراً في الميثولوجيا الفارسية الزرادشتية.

فنجد في الأسفار الفارسية الزرادشتية ان نهاية العالم تأتي من خلال صيحة ملاك – عاصفة. والتاريخ البشري بحسب الزرادشتيين يتألف من 12 ألف سنة وينتهي بصيحة من عاصفة[121]. ونرى في القرآن ان العالم ينتهي بصرخة من اسرافيل، كما نرى في سورة يس والآية 49:

"ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصِّمون"

وفي سورة ص، أي 38 والآية 15، هدّد محمد سكان مكة أنهم سوف يحطّمون في عصره من خلال صيحة مماثلة كما نقرأ:

"وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق"

أي لا تتأخر. من الواضح ان محمداً كان يظن بان العالم سوف ينتهي في زمانه، ولذلك هدّد سكان مكة بأنهم سوف يُحطمون من خلال تلك "الصيحة".

وكما رأينا ان الفرس جعلوا العالم سوف ينتهي من خلال ملاك–عاصفة، الذي سوف يجعل كل سكان الأرض أمواتاً مطروحين على الأرض. ولكن عندهم صرخة أخرى من خلالها تعود الكائنات البشرية أحياءً. فالملاك نيريوسانغ Neryosang يصيح في نهاية الأيام صرخة واحدة، يوقظ بها البطل كيرساسب Keresasp الذي كان نائما لقرون[122].

وهذه الظاهرة منسوبة في القرآن لإسرافيل. فهو يصرخ صيحة يقتل بها كل البشر على وجه الأرض. ثم يصرخ صرخةً أخرى يعيد من خلالها للحياة كل الذين قتلهم من خلال الصرخة الأولى. نجد ذلك في سورة يس (36) والآية 53:

"إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا مُحْضَرُنَ"

والصيحة في الميثولوجيا الفارسية مراراً ما تكون تعبيراً لطريقة التحرُّر من القوى المُضادة. فالشياطين مثلا تحارب موضوع نزول الأمطار، فيحدث دائما صراعٌ حول مجيء المطر. وهذه الصراعات تستمر إلى ان يأتي إله النار الذي هو أيضا إله الرعد، ويصرخ صرخةً عظيمةً، فتنزل الأمطار لمدة عشرة أيام[123].

الصيحة في المانوية

لا شك ان فكرة الصيحة في الزرادشتية قد تركت تأثيرها على الديانات التي ظهرت في المناطق التي ساد بها الفرس، مثل بلاد ما بين النهرين. فاقتبسوا المبادئ التي نسبها الفرس لإلهتهم وطريقة تصريف أعمال هذه الآلهة. ونعلم بان المانوية التي أسسها ماني في القرن الثالث م. في بلاد ما بين النهرين قد اقتبست أموراً كثيرةً من الزرادشتية، بما فيه فكرة الصيحة. فالصيحة في المانوية تُعتبر كبُعد مُؤلَّه، أي كإله. نرى ذلك في أحد المزامير المانوية[124].

وينسب المانويون لهذه الصيحة دوراً في خلق الأشياء. كما نرى في كتاب Paraphrased of Shem وهو أحد الكتب التي وُجدت في المكتبة الغنوصية في نجع حمادي في مصر، والتي تعود إلى طائفة مانوية غنوصية[125].

فصارت الصيحة أو الصرخة هي وسيلة روتينية تعلِّل كل شيء، وتُستخدم لتبرير حدوث أي شيء، وتعفي أصحاب الديانة من التفكير فيما ابتدعوا من عقائد، سواء في دينونات خرافية أو أفكار غير منطقية. كادعاء المانويين بان الصرخة حولت "الإنسان الاول" إلى إله[126].

وذلك المبدأ في سهولة الالتجاء للصيحة الخرافية في تبرير أي شيء، أو تفسير أي شيء، مثل كيف ينتهي العالم، وكيف يقوم كل سكان العالم لكي يقفوا يوم الدينونة، أو كيف يتم القضاء على ممالك في لحظة، نراه في القرآن. ذلك يدل على ان فكرة الصيحة التي نادت به ديانات وثنية في الشرق الأوسط، كانت فكرةً معروفةً لبعض الجماعات زمن محمد، مثل الأحناف الذين كان لهم علاقة في بعض التدينات، مثل المندائيين، الذين كما سوف نرى شكَّلت الصيحة في مفهومهم طريقة العمل الرئيسي لإلهتهم. وانتشار المانويين المُسمّين بمكة تحت لقب زنادقة، في قبيلة قريش، يجعل أفكارهم ليس بعيدة عن متناول محمد.

الصيحة في المندائية

لم تكن الصيحة محصورة على الميثولوجيا الفارسية والمانوية. فإذا درسنا الأسفار الصابئية المندائية، سوف نجد بان الطريقة التي بها عالج المندائيون أعمال آلهتهم وقضائها كانت من خلال الصيحة عينها.

ففي عدم معرفتها عن الله الحقيقي وخصائصه، والطريقة التي كان يجري بها قضاءه ضد الأمم قديما، قد نسبت ديانات مختلفة في الشرق الأوسط إلى آلهتها "صيحة"، من خلالها تخلق الآلهة وتدين، وتعمل أيَّ عملٍ معجزيٍ أو فوق طبيعي. والمندائيون قد تخصّصوا في مثل تلك الصيحات. ففي الكتاب المندائي المُسمى "الألف والاثني عشر سؤال The Thousand and Twelve Questions نجد بان "الصيحة" تفسِّر كلَّ شيء موجود وكلَّ شيء يحدث[127].

وفي الكتاب الخامس من سفر كنزا ربا Ginza Rba، وهو الكتاب الرئيسي للمندائيين، نجد بان أور Ur، أمير الظلام في المندائية، يخرج من الماء العكرة القذرة، التي بحسب الميثولوجيا موجودة في العالم السفلي، ويصرخ. ومن خلال صرخته خرجت الماء العكرة من تحت الأرض، وجعلت جدران العوالم ان تهتز إلى درجة ان كل شيء كاد يسقط[128].

والصرخة بالنسبة للمندائيين هي الوسيلة المُقتدِرة في الدينونة. وهي أيضا الطريقة التي بها تُواجه قوة الشياطين. كما أنها الطريقة التي تستخدمها آلهتهم من اجل إظهار قوة في مواجهة أعداء الديانة. ويعتبر المندائيون كالفرس ان بعض الحيوانات، بصورة خاصة الزواحف، كائنات شريرة وكنوع من الشياطين[129]. ويُرِي كتاب "الألف والاثني عشر سؤال" بان الصيحة التي تأتي من عالم النور تخلق عشرة مخلوقات، من اجل محاربة هذه الزواحف الشيطانية والحيوانات الشريرة[130].

فالصيحة هي الوسيلة للتعامل مع الشياطين. والكتاب المندائي القانوني المدعو Alma Risaia RBA -The Great First World يقول:

> "هناك مُرسل سريع يسافر إلى كل مكان صارخاً بصيحة تجعل وحوش الجحيم وشياطين المطهر تنزوي أو تلجئ إلى أعماق الأرض السفلى"[131].

لذلك فإننا نجد بان الطريقة التي بها يرى المندائيون كيف تتعامل آلهتهم مع الأعداء المقاومين هي "الصيحة".

وتدل الأسفار المقدسة المندائية على الطريقة التي بها تهتز الأرض والجبال. فواحد من آلهتهم أو ذاتيات النور واسمه مارا –د- رابوثا Mara- d- Rabutha قد أطلق صيحةً وابتدأت الجبال تهتز[132]. وفي سفر The Scroll of Exalted Kingship, Diwan Malkuta Laita هناك إله مندائي يصرخ بصوت عال، هازّا العوالم والأجيال[133].

فنرى إذاً كيف ان المندائي يجعل الأمم والأراضي والمدن ان تهتز وتُحطَّم. فالأمر يحتاج إلى صيحةٍ واحدةٍ من إلهٍ أو مُرسل نور، أي ملاك. فلا يوجد عند المندائيين لإلهتهم طريقة أخرى للقضاء. فمهما كان حجم الأمة أو حجم القضاء المطلوب إجرائه، فهناك دائما الصيحة التي تقوم بالعمل. ذلك يفسِّر كيف ان معظم الدينونات المذكورة في القرآن، قد أُجريت بواسطة الصيحة. وهناك قضاءات قليلة قد نُسبت للريح. وطريقة القضاء بالريح هي تقليد للزرادشتيين الذين يعتبرون الريح كإله يُكلَّف بإجراء الدينونات على المدن والأمم.

بثاهيل-جبريل هو مجري الصيحات في المندائية والقرآن

ومن المهم ملاحظة كيف ان "الصيحات" في الأسفار المندائية منسوبة بصورة خاصة إلى بثاهيل، الذي أُعطي منهم أيضا لقب "جبريل أو جبرائيل". ونرى في سفر كنزا ربا الأيمن بثاهيل مُتحدِّثاً:

> "بواسطة صيحتي الخامسة قد تكونت جميع الزواحف الشريرة. ومن خلال صيحتي السابعة، ظهرت أمامي الروهة Ruha –إلهة الظلام- مع أبنائها السبعة"

ونفس النص يذكر أربع صيحات لبثاهيل:

> "من خلال صيحتي الأولى قد كثّفت الأرض (من الماء) حتى الصلابة. ونجّدت السماء تماما. ومن خلال صيحتي الثانية قد شققت الأنهار والجداول. بصيحتي الثالثة كوّنت الأسماك في البحار والطيور في السماء. بصيحتي الرابعة كوّنت جميع النباتات وبذورها "[134].

وليس بالصدفة ان الصيحات في القرآن التي تدين الأمم والقبائل والمدن معزية إلى جبريل. ذلك إثبات إضافي على ان محمداً قد اعتمد على الطريقة التي بها يفسِّر المندائيون كيف تمت القضاءات او الدينونات في التاريخ.

فالصيحات السحرية في الأسفار المندائية تُرى كالوسيلة التي آلهتهم تنجز الأشياء. ذلك بسبب انه سواء المندائيون أو رعايا الديانات الأخرى في منطقة الشرق الأوسط كالمانويين، قد تصوّروا بان حدوث الأمور العظيمة في الخليقة، مردّه إلى ظواهر سحرية، مثل "الصيحات". وفي الأسفار المندائية نجد بان كلمة "قريثا" المُترجمة كـ "صيحة" تعبِّر وتفسِّر انجازات الآلهة المندائية.

تصريف أعمال الالوهية، سواء في العهد الجديد أو القديم، بدون صيحة

وذلك مخالف لما يعلنه الكتاب المقدس عن انجازات الله المثلث الأقانيم. فإنجازات الله في الكتاب المقدس معزيةٌ إلى حكمته اللامتناهية وهو المسيح. فلقد شُوهد المسيح في العهد الجديد يعمل وينجز أعمالاً إبداعية خلاقة. فمثلا قد ضاعف الخمسة أرغفة وسمكتين من اجل إطعام عدة آلاف في البرية. ولقد هدّأ الريح الشديد والبحر الهائج حالاً.

فلقد عمل ذلك دون ان يستعين بقوة خارج عن ذاته. ولكن باعتماد على قدرته وسلطانه الأبدي وحكمته التي بها خلق الكون. ولم يستعن من اجل ما عمله في العهد الجديد بأي صيحة سحرية أو حركة تبرِّر الأبعاد العظيمة للأعمال التي عملها.

بينما ربْط المندائيين الصيحات التي بها الآلهة تدين وتخلق بشخصية بثاهيل – جبريل، مشتقٌ من ميثولوجيا بدائية عُرفت في منطقة ما بين النهرين قديما. فالآلهة كانت تُصوّر أنها مالكة أجساداً عملاقة، وقادرة ان تُحدِث ضجةً عظيمةً. والشعوب التي كانت تفسِّر عظمة الخليقة أنها أتت من إله له جسد عملاق أو له صيحة، هم في الحقيقة كانوا يجهلون صفات الإله الحقيقي، وحكمته وقدرته التي يظهرها الكتاب المقدس عندما يعمل الأعمال الخارقة. فهو قد شق البحر الأحمر ليس من خلال صيحة قد أبهرت المليوني إسرائيلي الذين كانوا موجودين. ولكنه قد شقَّ البحر حالا، دون ان يرى أحدٌ من الحاضرين ان جهداً قد بُذل من جسدٍ عملاقٍ، أو سماع صوت أو ضجة آتية من جسدٍ ينتمي إلى شخص الله. فالإنسان لن يستطيع أبدا ان يفسِّر كيف ينجز الله أعماله العظيمة، وهذه بحد ذاتها تعبير لقدرته اللامتناهية وحكمته.

انتقال الصيحة المندائية الصابئية لمحمد

والصيحة التي كانت للإلهة المندائية وخاصة لبثاهيل، الذي دُعي من المندائيين في وقت لاحق تحت لقب جبريل، قد انتقلت لكي تكون تحت تصرف محمد في القرآن. ومعروف بان محمداً كان في فترة ما يتتلمذ على الأفكار الصابئية المندائية. ذلك كان أولا من خلال اتصالاته في الصابئين في شبه الجزيرة العربية. فقد أثبت انه كان على اتصال بهم، إذ جعلهم من بين "أهل الكتاب". ولقد حقَّق الباحثون هؤلاء الصابئين الذين جعلهم محمد مثل اليهود والنصارى الذين "نالوا كتابا من السماء"، بأنهم كانوا المندائيين والحرانيين. وبعض الباحثين قد أضافوا المانويين كجزء من صابئي شبه الجزيرة العربية.

وواسطة الاتصال الأخرى التي كانت لمحمد مع المندائيين كانوا الأحناف، إذ كان محمد قد انضمَّ إليهم وهو شاب. فلقد كانت مجموعة الأحناف تتألف من بعض الهراطقة النصارى، مثل ورقة ابن نوفل، والغنوصيين والصابئين. بالإضافة إلى بعض المجموعات من كهان الجن التابعين لديانة الجن في شبه الجزيرة العربية. ومؤسس الأحناف هو زيد بن عمرو بن نُفيل الذي كان يذهب مراراً إلى منطقة الموصل في شمال العراق، حيث كانت هناك تجمعات للصابئة المندائيين. وكان يذهب أيضا إلى منطقة الجزيرة في شمال شرقي سوريا، حيث كانت مدينة حران التي كانت مركزا للصابئة الحرانيين. وكان زيد بن عمرو بن نفيل يذهب إلى تلك المناطق "لكي يسأل عن الديانة". وأحيانا كان يصطحب معه ورقة بن نوفل ابن عم خديجة زوجة محمد الأولى.

هل هناك توثيق لحقيقة علاقة زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل بالصابئين المندائيين والحرانيين؟

يذكر ابن هشام عن زيد:

ثُمَّ خَرَجَ يَطْلُبُ دِينَ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَسْأَلُ الرُّهْبَانَ وَالْأَحْبَارَ، حَتَّى بَلَغَ الْمَوْصِلَ وَالْجَزِيرَةَ كُلَّهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ فَجَالَ الشَّامَ كُلَّهُ. [135]

ويذكر ابن كثير عن ذهاب زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل إلى موصل للسؤال عن الديانة[136]. وعن ذهاب زيد إلى الجزيرة يطلب الدين[137]. ونرى في مقابلة بين زيد بن عمرو بن نفيل ومحمد ان زيداً قد تكلم لمحمد عن خروجه إلى الجزيرة يبحث، وان شيخاً بالجزيرة قال له عن دين الله ودين الملائكة:

"خرجت حتى أقدم على أحبار أيلة فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به. فقلت ما هذا بالدين الذي أبتغي. فقال لي حبر من أحبار الشام: أتسأل عن دين ما تعلم أحدا يعبد الله به إلا شيخا بالجزيرة. فخرجت فقدمت عليه فأخبرته بالذي خرجت له. فقال إن كل من رأيت في ضلال إنك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته"[138]

نلاحظ هنا انه ليس راهبا يقول له تلك الادعاءات، ولا رجل دين يهودي، ولكن شيخاً، مما يدل على علاقات زيد بالحرانيين. وقوله "دين الله ودين الملائكة" هو تعبير صابئي سواء للمندائيين أو الحرانيين الذين يعبدون الملائكة.

ونرى الموصل كمركز الصابئة المندائية بحسب الكتّاب العرب. ونقرأ في كتاب عمدة القارئ للعيني:

"وقال ابن زيد الصابئون أهل دين من الأديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون لا إله إلا الله ... وعن الحسن قال أخبر زياد أن الصابئين يصلون إلى القبلة ويصلون الخمس، قال فأراد أن يضع عليهم الجزية، فأخبر بعد أنهم يعبدون الملائكة. وعن قتادة وأبي جعفر الرازي هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرؤن الزبور"[139]

نلاحظ من الشاهد أعلاه ان الصابئين كانوا في جزيرة الموصل – من هنا نرى ان ذهاب زيد بن عمرو بن نفيل إلى الموصل هو من اجل الالتقاء بالصابئين المندائيين. لو كان الأمر للاتصال برهبان فهو لا يحتاج إلى السفر مسافة كبيرة جدا في تلك الأيام للذهاب للموصل. فالرهبان كانوا في شرق الاردن قريبين منه. ثم هناك بعض طقوس وشعائر صابئية دخلت الإسلام مثل قولهم "لا إله الا الله"، وصلواتهم الصلوات الخمس اليومية. وواضح أيضا ان المقصود بهؤلاء الصابئين أنهم مندائيون لأنهم يعبدون الملائكة.

أصل كلمة حنيف قبل الاسلام وجذورها الحقيقية

ويبدو ان اللقب "حنيف" كان يختص به عبدة الكواكب الحرانيين، الذين صاروا يُدعوا ايضا بالصابئين. فنفهم من ثابت بن قرة الحراني – وهو باحث حراني مولود عام 836 م.-بان الصابئ الحراني كان يُلقَّب ب hanpi او حنفي[140]- وكلمة حنيف هي بحسب الباحثين مشتقة من الكلمة السريانية hanpo او hanpi والتي تعني وثني. ولكن احيانا تعني شخصا ذا ثقافة هليستينية (Hellenistic culture)[141] . ونفهم من باحثين مثل Noldeke بان كلمة حنيف قبل الاسلام كانت تعني وثني[142].

ويبدو ان السريان كانوا يسمون الحرانيين بحنفي او hanpi كونهم عابدين للكواكب والقمر. وان هذا اللقب صار شائعا، حتى ان زيد بن عمرو بن نُفيل الذي كان يزور منطقة الجزيرة حيث كان هناك حرانيين، قد ظن بان اللقب حنيف كان لقبا جيدا. ولذلك قد استخدمه غير عالم بمعناه السلبي. وانه بعد عودته من رحلاته الى مراكز الصابئة، قد صار يُعرف بالحنفي، ويبث دين الصابئة المعروفين في لقبهم السلبي عند السريان، ذلك يفسِّر وجود عقائد صابئية في القرآن، اذ كان الأحناف هم جسر الاتصال بين محمد وعقائد الصابئة. فكثير من طقوس محمد وأفكاره الدينية قد جاءت من الصابئين، سواء كانوا مندائيين أو حرانيين. والحقيقة انه عندما أتى محمد بديانة وطقوس قد أعتُبر من المكيين انه صابئ. كما ان المسلمين قد اعتُبروا بالصابئين. ذلك لان أهل مكة قد حقّقوا طقوسهم وشعاراتهم بتلك التي كان الصابئيون في مكة يظهِرون فيما قبل الإسلام.

وهكذا فان كثيراً مما كان الصابئيون وباقي تدينات الشرق الأوسط الوثنية تنسب لآلهتها، صار مُتبنى من محمد في قرآنه، ويقصّ منه للجاهليين الذين كانوا يُدهَشون من المبادئ الدينية البدائية المنتشرة في جيلهم مثل الصيحة. فقد كان أتباع محمد بدون المعرفة التي تأتي من الكتاب المقدس عن الله الحقيقي وصفاته، وكيف كان يعمل أعماله العظيمة- كما هي مُسجَّلة في الكتاب المقدس- بدون ان يصرخ تلك الصيحات السحرية. أو ان يستخدم وسائل من تلك القبيل، والتي نراها في الميثولوجيا الفارسية، مثل الادعاء بان أمم العالم تُدان من خلال الريح، الأمر الذي نرى نظيره في القرآن.

فالصيحة المُستخدمة من المندائيين صارت مُكرَّرة عدة مرات في القرآن كالوسيلة التي بها يُظهِر الله قوته، وفي كل مرة يود محمد ان يصف عملاً لله. وفي الحقيقة هذه كانت الطريقة التي تبناها الصابئيون وباقي تدينات منطقة ما بين النهرين، عندما أرادوا ان يعرضوا عضلات صنم أو إله، ويبرِّروا ما كانوا ينسبون لإلهتهم المزيفة من أعمال وسلطان. وهكذا نرى إبادة كل من شعب عاد وثمود ومديان وأنطاكية، حيث ادّعى القرآن ان كل منهم قد تعامل معه جبريل من خلال صيحة جعلت شعوباً ان تُطرح حالا ميتة.

محمد والأيام الأخيرة

الأيام الأخيرة في الزرادشتية والقرآن

هل نستغرب باحتواء القرآن لفكرة الأيام الأخيرة الزرادشتية؟

ان التشابه الكبير بين فكرة الأيام الأخيرة في القرآن والزرادشتية، يدل على ان الخرافات الفارسية كان لها رواج في شبه الجزيرة العربية، بسبب سيطرة الفرس على شرق العربية وفي وقت لاحق على اليمن. وبسبب ان بعض القبائل العربية قد تمجست، أي تحولت إلى ديانة الفرس التي كانت آنذاك الزرادشتية. فكما الخرافات اليهودية قد انتشرت بواسطة القبائل العربية التي كانت قد تهودت، والخرافات النصرانية قد انتشرت في انتشار الهراطقة النصارى في مناطق كثيرة من شمال شبه الجزيرة العربية. فان الخرافات الزرادشتية كانت بالأولى ان تنتشر، بسبب ان الفرس كان لهم تأثير أقوى من الممالك المسيحية آنذاك على شبه الجزيرة. أضف لذلك انه كان لمحمد مستشار هو سلمان الفارسي، الذي كان قبل إسلامه كاهنا للنار في الزرادشتية، وككاهن كان ضليعاً في العقائد والخرافات الزرادشتية.

ويعترف سلمان الفارسي في اجتهاده في المجوسية بقوله:

> "واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار بمعنى قاطن أي خادمها الذي يوقدها" [143]

كان تعبير "مجوسية" في شبه الجزيرة العربية يُقصد به الديانة الفارسية. ولم يكن هناك تمييز بين الزرادشتية والمجوسية عند العرب قديما. ومعروف ان الديانة التي كانت سائدة في العصر الفارسي الساساني الذي امتد من القرن الثالث ميلادي إلى ظهور الإسلام هي الزرادشتية. لذلك كان العرب يقصدون بالمجوسية انها الزرادشتية. والنار في الزرادشتية هي واحدة من الآلهة المعبودة، ولها كهنة مكرّسون لها. وهنا نرى بان سلمان الفارسي كان كاهناً زرادشتياً. وقد أعطاه محمد قطعة ذهبية بقدر بيضة الدجاجة[144]. واجتذبه بالمال إليه وصار مسلماً. وذلك لأنه رأى فيه مصدراً هاماً للديانة

الزرادشتية، قد استخدمه محمد كثيرا في صيغ عقائده عن أمور كثيرة من أصل زرادشتي. وكاهن النار كان له أهمية خاصة في المراسيم الزرادشتية[145]. من هنا نفهم دور سليمان الفارسي وأهميته في الديانة الفارسية. ونرى في السفر الزرادشتي ساد دار ضرورة ان كل كاهن يعرف كتب الأفستا[146]. وهنا نرى سر معرفة سليمان الفارسي في العقائد والخرافات المسجلة في الكتب الزرادشتية. هناك في سفر دنكارد والكتاب السابع تشريع فارسي بالنسبة لحفر الخنادق المائية أو القنوات[147]. مما يؤكِّد ان سلمان الفارسي كان يدرس الأسفار الزرادشتية ككاهن ومنها يعطي لمحمد. مما أهّله ان يوحي لمحمد في حفر الخندق حول المدينة عندما كانت قريش تستعد لغزو المدينة يثرب. ونلاحظ ان الخطط الحربية هي جزء من التشريع في الأسفار الزرادشتية. من هنا فان سلمان الفارسي كان يدرس الأسفار وضليع بها، وهو مصدر رئيسي لها في أحاديث محمد كما في القرآن.

فإذا كان سلمان يُسمع من محمد في أمر غريب مثل حفر الخندق، الذي لم يسبق ان العرب قد مارسوه أو تبنوه، ذلك يدل على ان سلمان الفارسي كانت كلمته لمحمد بمثابة "وحي"، يسترشد بها. فكيف لا يكون سلمان دليله لبعض العقائد الفارسية الزرادشتية التي كان محمد يود أن يظهر من خلالها مُميَّزاً، فيُرى انه صاحب معرفة في أمور الكون وفي أمور رحلة النفس بعد الموت التي كلها أخذها من الزرادشتية. وكذلك عن الأيام الأخيرة.

ولم يكن استخدام محمد للعقائد الفارسية محصوراً في سلمان الفارسي. فقبل ان يأتي سلمان الى المدينة، كان لمحمد في مكة علاقات في اشخاص آخرين مقتدرين في الديانة الفارسية. فانخراط الأعاجم في تأليف القرآن لم يكن أمراً مجهولاً على أهل مكة. إذ اتهموا القرآن كما سبق وتطرقنا الى ذلك في سورة النحل انه بلسان أعجمي، أي فارسي. حيث أهل العراق كانوا يدعون الفرس بالعجم. وسورة النحل تشير إلى تمييز سكان مكة لأصل خرافات القرآن:

> وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ. (سورة النحل أي رقم 16 والآية 103)

من حيث تمييزهم لكثرة الخرافات الفارسية الأصل في القرآن، والمتواترة في زمانهم على أي نوع من خرافات وقصص من ديانات أخرى. ذلك يكشف علاقات محمد في مكة بأشخاص كان لهم ثقافة دينية فارسية. ونعلم ذلك بسبب علاقات قريش في الحيرة، وإرسال بعض ابنائهم لكي يدرسوا في الحيرة.

تذكير بصيحة اسرافيل ومصدرها الزرادشتي

لقد رأينا في حديثنا عن الصيحات، بان صيحة الملاك "اسرافيل" في القرآن (سورة النازعات 79: 6 و7)، أنها تزلزل كل شيء وتسبِّب نهاية العالم. كذلك فان العالم

ينتهي بصرخة من اسرافيل (كما في سورة يس والآية 49). وان تلك مأخوذة من الزرادشتية حيث العالم ينتهي بصيحة من عاصفة[148].

ورأينا كيف اسرافيل يصرخ صرختين: الأولى يميت بها كل البشر، والثانية (كما في سورة يس والآية 53) يحيهم بها من جديد للوقوف في يوم الدينونة. ورأينا علاقة هذه الصرخة المحيية بالميثولوجيا الفارسية الزرادشتية.

الأصل الزرادشتي لسد جوج وماجوج

إضافة لصيحتي اسرافيل هناك عناصر أخرى من جهة الأيام الأخيرة قد اقتبسها محمد من مصادر اعتمدت جزئيا على الزرادشتية؛ منها حول جوج وماجوج. إذ جعل القرآن بان الاسكندر ذا القرنين يسجن جوج وماجوج خلف سد بين جبلين. وان هذا السد سوف يُهدم لكي يخرج جوج وماجوج لمهاجمة العالم. ولقد خصّصت في هذا الكتاب فصلاً كاملاً للحديث عن ذي القرنين أي الاسكندر المقدوني، ورحلته إلى أطراف الأرض، وبنائه السد الخرافي. وان هذه الخرافات مشتقة من كتاب المنتحل لكلسثنيس، الذي بدوره قد اعتمد بالنسبة لخرافة السد على الخرافة الزرادشتية الفارسية عن الضحاك Anzi dahak المنحدر من نسل الشياطين، المربوط بحسب الزرادشتيين على جبل في الشرق. وفي وقت لاحق أصبح الضحاك مسئولاً عن شعب شيطاني، الذين أصبحوا هم أيضا مربوطين معه في نفس المنطقة. وسوف يُحلّوا في آخر الأيام لكي يهجموا على العالم. وكان قد ربطه البطل الخرافي افريدون Fredun الذي بحسب الزرادشتيين ينام منذ آلاف السنين على ذلك الجبل.

وقد آمن الزرادشتيون عبر تاريخهم بان الضحاك وشعبه الشيطاني مربوطٌ بصورة مستمرة على جبل في الشرق. وهنا أساس خرافة المنتحل لكلسثنيس في سجن شعب متوحش في طرف الأرض حتى نهاية الأيام. والرسالة السريانية المنسوبة ليعقوب السروجي جعلت هذا الشعب المسجون من الاسكندر انه جوج وماجوج، وجعلت خروجه من السد علامة نهاية الأيام. الأمر الذي صار في القرآن. ومن اجل رؤية تطابق الخرافة الزرادشتية الأصل مع القرآن، نعيد القارئ إلى فصل ذي القرنين.

تأثير "المحررين" الذين كان ينتظرهم الزرادشتيون على محمد والقرآن

لقد آمن الزرادشتيون بأنه سوف يظهر في العالم سلسلة من المحررين أو المنقذين:

1- Hushedar وكان مُنتظراً عام 341 ميلادي. نقرأ في بهمان يست (أحد الاسفار الفهلوية) ان هوشيدار يذهب لمقابلة اهورا مازدا من اجل ان يأخذ منه مبادئ الديانة. وعندما يخرج هوشيدار من هذه المقابلة فانه يأمر الشمس ان تقف. فتقف الشمس لمدة عشرة ايام. وعندها كل سكان الارض سوف يعتنقون الزرادشتية. ثم يصرخ مترو

(اي مثرا) الى هوشيدار بان يصرخ للشمس ان تتحرك، فيأمر هوشيدار الشمس ان تتحرك، فيؤمن كل الجنس البشري بالديانة الزرادشتية[149].

ولقد اقتبس محمد صيغة مشابهة لهذه العلامة ايضا، ولكن مدعيا بان الشمس في نهاية الايام سوف تشرق من الغرب وتشرق من الغرب:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلعم قال: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون"[150].

ولكن عبرت عام 341 م ولم يأتِ Hushedar، ولم يرى العالم ان الشمس تشرق من الغرب وتغرب من الشرق. ولكن ما زال المسلمون يتمسكون بهذه الخرافة كعلامة هامة للأيام الأخيرة.

وهذا الفكر الزرادشتي الخرافي كان في فكر محمد عندما تلا الآية 258 من سورة البقرة، مُدَّعياً ان ابراهيم قد تحدى نمرود ان كان يأتي بالشمس من مغربها. ذلك لان محمدا كان يظن بان الله في آخر يوم سوف يأتي بالشمس من مغربها، وسوف يراها كل سكان المسكونة كعلامة يؤمنون من خلالها.

ويؤمن الهندوس بأن الشمس لها وجهان: وجه معتم والثاني مشع برّاق. وتعود الشمس خلال الليل من الغرب من خلال وجهها المعتم، لذلك لا تُرى في الليل وهي راجعة[151]. ولقد كان لهذه الخرافة الهندوسية تأثيرها على الفرس الذين كانوا يؤمنون بان مثرا، الذي كان رمزاً لأشعة الشمس ويتبع الشمس في مجراها، انه يذهب خلال النهار من الشرق للغرب، ويغيّر مجراه في الليل راجعا من الغرب إلى الشرق[152].

ولقد تركت هذه الخرافة تأثيرا على محمد. ففي أكثر من حديث، قد شرح محمد كيف ان الشمس تذهب إلى العرش السماوي لكي تعبد الله ثم أنها تُصرف راجعة لكي تشرق من الغرب. فنقرأ في صحيح البخاري حديثاً لمحمد:

"قال النبي صلعم لأبي ذر حين غربت الشمس، تدري أين تذهب؟ قلت الله ورسوله اعلم. قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها. يُقال لها ارجعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها. فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم"[153]. وايضا: "عن أبي ذر قال دخلت المسجد ورسول الله صلعم جالس. فلما غربت الشمس قال يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه قال؟ قلت الله ورسوله اعلم. قال فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها. ثم قرأ ذلك مستقر لها في قراءة عبد الله"[154].

من الواضح بان محمداً كان في فكره موضوع وجه الشمس المعتم الذي كان يؤهِّلها في الرجوع من الغرب بدون ان تُرى. ولكن في اليوم الأخير سوف يرى كل سكان الأرض وجه الشمس المشع وهي تعود من الغرب-ذلك هو الفكر الزرادشتي الأصل السائد زمن محمد.

2- المحرر الثاني هو Aushedar-Mah اوشدار-مه، وهو من نسل زرادشت. كان مُنتظراً عام 1341 وانه سوف يعيد مجد الزرادشتية لإيران. وينشر العدل والسلام بين البشر. واسم المهدي المُنتَظر من المسلمين مشتقٌ من الجزء الثاني من اسم هذا المنقذ (مه). وقد تنبأ الزرادشتيون على ان الشمس سوف تتوقف لمدة 20 يوم وذلك عندما يظهر هذا المنقذ[155].

يدّعي المسلمون انه لا تقوم الساعة حتى يظهر المهدي؛ وانه إمامٌ من نسل محمد سوف ينشر السلام والعدل بين البشرية، ويؤيد الرسالة التي جاء بها محمد. البعض يدّعي انه سوف يكون من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب. والبعض يدّعي من نسل أخيه الحسين. يظهر في مكة ويبايعه الناس. ثم يبايعه الناس في المدينة حتى ان مبايعته تصل لكل البشر على وجه الأرض.

وهو انعكاس -كما ذكرنا- للشخصية التي كان ينتظرها الزرادشتيون تحت اسم اوشدار -مه Aushedar-Mah. وكما ان اوشدار-مه سوف يكون من نسل زرادشت، لذلك نرى بان المهدي الإسلامي سوف يكون من نسل محمد. وكما ان اوشدار-مه Aushedar-Mah بحسب الزرادشتيين سوف يعيد مجد الزرادشتية لإيران، وينشر العدل والسلام بين البشر. فهي نفس المهام التي صارت مُنتظرة من المهدي الإسلامي في ان يعيد مجد الإسلام وينشر السلام والعدل في المسكونة. وقد مر عام 1341م. ولم يأتِ المهدي الفارسي. ولكن ما زال المسلمون ينتظرون هذا المهدي. وجعلوا ظهوره علامةً هامةً للأيام الأخيرة.

3- Soshans سوشانس. وهو مُنتَظر منهم ان يأتي عام 2341. وقد ادّعوا ان ذلك المنقذ سوف يظهر بعد ظهور الشخصية الخرافية المسماة الضحاك Azi Dahak التي سبق وذكرناها سابقا، والذي بحسب الميثولوجيا مربوطٌ على جبل في الشرق، وسوف يُحلّ لكي يهاجم مع شعبه -الذي من نسل الشياطين- العالمَ في نهاية الأيام. بعد ذلك سوف يظهر سوشانس Soshans الذي سوف يحطِّم الشر ويزيله من الأرض، ويحطم أصنام الأمم ويجعل الإيمان الزرادشتي ان يسود كل الأرض[156]. لا شك هي أصل خرافة رجوع المسيح في القرآن والأحاديث المحمدية، انه سوف يظهر لكي يحطم الأصنام، ويكسر الصليب وأهله، ويذبح الخنزير وأهله، ويجعل الإسلام ان يسود كل الأرض.

الشمس والقمر في الأيام الأخيرة في الزرادشتية والقرآن

نجد في القرآن خرافات من أصل زرادشتي عن الشمس في الأيام الأخيرة، الأمور التي لا نجدها في أي ديانة أخرى من قبل. ولكن قد تركت هذه الأفكار تأثيرها على القرآن.

بعكس فكر الكتاب المقدس عن الشمس والقمر، نجد الديانات الوثنية في الشرق الأوسط تعطي لهما أهمية روحية كذاتيتين

فالشمس والقمر في الكتاب المقدس، مخلوقة كأنوار وأجرام سماوية، وهما مجرد مادة، وليستا ذاتيتين، أو ان يكون لهما مسؤولية روحية ومحاسبة، أو دور روحي ما. بعكس ذلك نرى ديانات الشرق الأوسط الوثنية تعطي للشمس والقمر أهمية كذاتيتين. فهما في بعض هذه الديانات إما صالحتان أو شريرتان. فبعد ان انتزع النجم عثتر-وهو لقب للزهرة قديما في شبه الجزيرة العربية- لقب "الله" من القمر، غدا القمر والشمس كعبدين خاضعين "لله" بصفته النجم الأكبر. ونجد هذا المبدأ بوضوح في القرآن كما في سورة العنكبوت (29) والآية 61: "وسخَّر الشمس والقمر ليقولن الله". أي معترفان في سلطة الله النجم الأكبر عليهما. ومتعاونان معه. (وللمزيد عن هذا الموضوع نعيد القارئ إلى الجزء الاول من كتابي "النجم الأكبر").

تجسيد الشمس والقمر في الأيام الأخيرة في الزرادشتية، وانعكاس ذلك على أفكار محمد

ونجد في القرآن بعض الأفكار عن الشمس والقمر، التي تتميز بها الزرادشتية. فالشمس بالنسبة للزرادشتيين سوف تقف لفترة معينة، وسوف يكون لها اجتماعات مع الشخصيات الخرافية التي سوف تعيد تجديد الأرض. فيؤمن الزرادشتيون من انه بعد القيامة، سوف تلبس الأجرام السماوية مثل الشمس والقمر أجساداً مثل تلك الإنسانية والملائكية، وسوف يسيرون بين الناس[157]. إذ قد جسَّد الزرادشتيون معبوداتهم خاصة النجمية، وربطوها كذاتيات بنبواتهم عن الأيام الأخيرة، وهي صفة مميزة للزرادشتيين في خلق نبوات تتكلم عن الأيام الأخيرة مخلوطة في وثنيتهم.

وهذه الخرافة الزرادشتية مُكرَّرة من محمد. فنقرأ في صحيح البخاري عن اجتماع الشمس في اليوم الأخير مع كائنات أخرى. يقول محمد:

> "هل تدرون بمن يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس. فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ..."[158]

فكما في النبوات الزرادشتية، الشمس سوف تدنو من الناس يوم الدينونة، وتكون كذاتية لها اتصال بالناس. هكذا ادّعي محمد أيضا.

الدور الروحي للشمس في الأيام الأخيرة بحسب الزرادشتيين

ويعتقد الزرادشتيون، خاصة في سفرهم Farvardin Yast، ان الشمس والقمر قد اجتمعا في مكان معين، حيث توقفت حركتهما من اجل مقاومة الشياطين. ثم عادا وتحركا من جديد[159]. ذلك مرده للميثولوجيا الزرادشتية التي تجعل من الشمس والقمر كذاتيتين تتوقف حركتهما من اجل أسباب روحية؛ إما من اجل وضع خطة لمقاومة

الشياطين، أو في انتظار قرار بخصوص الإنسانية يأتي من آلهة أكبر وأهم. الأمر الذي جعل الزرادشتيين يظنون بان الشمس والقمر سوف يُجمعان في الأيام الأخيرة متوقفين عن الحركة إلى ان يأتيهما أمر من مُحرِّر سوف يظهر في تلك الآونة. وكما سبق وذكرنا انه يرافق ظهور سوشانس بحسب نبوات الزرادشتيين وقوف الشمس لمدة ثلاثين يوم وليلة[160].

ان فكرة توقف الشمس والقمر عن الحركة في الأيام الأخيرة لأسباب روحية، ثم اجتماعهما إلى ان يُؤمرا من جديد في الحركة، قد تركت تأثيرها على عدة تدينات في منطقة الشرق الأوسط، وذلك قبل ظهور الإسلام. فلقد جعل الزرادشتيون الشمس والقمر ان تجتمعا في اليوم الأخير، ذلك بسبب نظرتهم إليهما ككائنات بارة وآلهة، تقف لكي تجتمع مع شخصيات أخرى من اجل وضع خطة لمحاربة الشياطين. والشمس إضافة لذاتيات أخرى تصبح كشاهدة في اليوم الأخير، وذلك عندما يظهر سوشانس لكي يدين الخليقة الشريرة. ذلك بالتأكيد قد ترك تأثيراً على حديث محمد عن ظهور الشمس في اليوم الأخير، كما ترك تأثيراً على القرآن من جهة اجتماع الشمس والقمر في اليوم الأخير في يوم الدينونة.

الأفكار الشرق أوسطية المتضاربة عن جمع الشمس والقمر يوم الدينونة ووقوف القرآن مع الفكرة الزرادشتية

ففي الديانات الوثنية الشرق أوسطية التي لم تجعل الشمس والقمر كآلهة رئيسية، رأت في الشمس والقمر كمعبودتين منافستين لآلهتهم الرئيسية. ولذلك إما جعلتهما شخصيتين صالحتين خاضعتين لآلهتهما، كما هو في الزرادشتية والقرآن، وفي بعض المرات شخصيتين مطالبتين في تقديم حساب عن عبادة الناس لهما، ومُحضرَتين أمام كرسي الدينونة للإجابة عن تلك العبادة لهما، وهو ما نراه أيضا في القرآن. ولكن كانت هناك تدينات قد تطلعت للشمس والقمر ككيانين شريرين، وأنهما سوف يجمعان في اليوم الأخير من اجل ان يُدانان بسبب ان كثيرين قد سبق وعبدوهما في الأرض. وكان هناك رد فعل زرادشتي ضد هذا المعتقد وتلك التدينات. فالكتاب الزرادشتي المدعو Sikand-Gumanik Vigar قد ذكر مجموعات كانت تؤمن بان الشمس والقمر سوف يُجمعان يوم الدينونة، لكي يُدانا ككائنات شريرة، وأنهما سوف يرسلان للجحيم بسبب ان الناس قد عبدوهما[161].

ويحاول السفر الزرادشتي ان يفنّد ذلك الاعتقاد. ذلك بسبب المفهوم الزرادشتي عن الأيام الأخيرة من ان الشمس والقمر سوف يُجمعان ليس بسبب إنهما شريران، ولكن بسبب إنهما جزءٌ من نظام الالوهية عندهم، ولهما واجبات روحية في الصراع ضد الشياطين.

على ان تلكما الفكرتين قد تركتا تأثيرا على القرآن. فنجد ان القرآن في سورة القيامة، أي رقم 75 والآية التاسعة، يذكر بان الشمس والقمر سوف يُجمعان يوم الدينونة.

وسورة الفرقان أي 25 والآية 17 تتكلم عن ان الله سوف يجمع مع الناس يوم الدينونة كل العناصر التي كانت معبودة من الناس. فتقول الآية:

"ويوم يحشُرُهُم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتُم عِبادي هؤلاء أم هم ضلُّوا السبيل".

من الواضح من الآية السابقة ان جميع العناصر التي كانت معبودة سوف تُجمع في يوم الدينونة. ذلك يفسِّر كيف ان القرآن يدّعي بان الشمس والقمر سوف يُجمعان يوم الدينونة. وهي فكرة عامة كانت منتشرةً ومُتبناةً من عدة مجموعات دينية زمن محمد. ولكن القرآن يقف مع الفكرة الزرادشتية من ان الشمس والقمر هما ذاتيتان بارتان. لذلك فانهما في يوم الدينونة سوف يظهران بريئين من ذنب الآخرين الذين كانوا قد عبدوهما.

التوحيد القرآني هو ترفيع معبود زمن محمد فوق باقي المعبودات التي استمر محمد يراها كذاتيات منافسة لله النجم الأكبر

فمحمد في ادعائه في توحيد، أظهر ان توحيده هو ترفيع لعنصر معبود في زمانه وهو النجم الأكبر، على باقي عناصر الطبيعة والأجرام التي أيضا كانت معبودة، والتي كانت تُرى في زمانه ومن كافة الديانات الوثنية الشرق أوسطية أنها ذاتيات. فلذلك فهو يشترك مع رعايا تلك الديانات الشرق الأوسطية في محاربة عبادة باقي عناصر الطبيعة المعبودة، مُعتبراً إياها أيضا كذاتيات منافسات لعبادة الله النجم الأكبر. ويلتجئ للعقائد الزرادشتية بصورة خاصة، في إظهار ان الشمس والقمر كذاتيتين هما أقل أهمية من الله النجم الأكبر. ولذلك فهو يحجِّم دور القمر والشمس في الأيام الأخيرة، ويُحضِرهما أمام كرسي الدينونة، بل يجعلهما كباقي المعبودات ان تمثلا أمام عرش "الله" وتعطيا حساباً عن عبادة الناس لهما في الأرض. لذلك نرى بان التوحيد المُنادَى به من محمد هو توحيدٌ وثنيّ، قائمٌ على ترفيع معبود في زمانه فوق باقي المعبودات. وهي ظاهرة معروفة في معبودات الشرق الأوسط منذ أقدم العصور. فمثلاً، مردوخ البابلي يصبح كإله يرأس باقي الآلهة ويحجِّم دورها. واهورا مازدا إله الزرادشتيين، يحجِّم من باقي المعبودات التي كانت الشعوب الآرية تعبد، ويجعلها ذاتيات روحية معه، كالشمس والقمر، لمقاومة الشياطين. وهكذا الله النجم الأكبر الذي كان رأس العائلة النجمية الذي كانت زوجته اللات أي الشمس، يصبح الإله الأكبر الأوحد الذي حوّل أفراد العائلة النجمية مثل الشمس ومناة والعزى الى خدام له. فادعاء محمد بالتوحيد يعكس ادعاء التديُّن الذي كان قائماً على عبادة عثتر-رضو اي الزهرة. وهو أنّ رأس العائلة النجمية يجب أن يكون له سيادة على التعبُّد القائم على أي عضو من أعضاء العائلة النجمية. وذلك فإن نزاع محمد مع قبيلته هو على أنّ "الله" يجب ان يكون موقَّراً أكثر من اللات (أي الشمس) والْعُزَّى ومناة اللتين كانتا تمثِّلان كوكبين. وكانت عبادة النجم الأكبر عثتر الزهرة-والذي في الشمال كان رضو-قد وصلت إلى درجة اعتبار باقي أفراد العائلة النجمية كشفعاء فقط عند "الله النجم الأكبر" وليسوا بنات له. بل ان المتطرفين في التوحيد النجمي المبني على عثتر قد حاربوا باقي العبادات في الشبه الجزيرة العربية. وهناك نص يمني يذكر

اسم "عبد عثتر بن موقس"، وهو من سادات "خولان"- قبيلة يمنية مشهورة على الأرجح انبثقت من قبيلة قضاعة الحميرية. وكان عبد عثتر قد هدم وخرَّب معبداً لعبادة "المقه" في موضع "اوعلن" "اوعلان" "محرم بعل اوعلن". وقد هاجمته جيوش "شعرم اوتر"، وهزمته وكبدته خسائر. فعدَّ صاحب النص هذه الهزيمة عقاباً وجزاء من الإلَه "المقه" انزله عليه لفعلته هذه بمعبده[162]. هنا نرى ان عبد عثتر هو قائد مُتحزِّب لعثتر، يرى أن أي عبادة لغير عثتر هي غير قانونية، ومستعد ان يهدم معبد المقه – الذي كان يُرى انه إله القمر وانه رأس العائلة النجمية في اليمن. فعبد عثتر بن موقس يحارب دينياً مُعتبِراً ان عبادة المقه وغيرها من الالهة هي اصنام يجب هدم معابدها. ذلك بعكس تاريخ العبادة في اليمن الذي كان قائماً على تكريم مشترك للعائلة النجمية العربية، باعتبار المقه هو الرأس والشمس هي زوجته وعثتر هو ابنه. فهذا التحوُّل يدل على علامات ظهور التوحيد النجمي القائم على عثتر، الذي مظاهره في الشمال أصبحت واضحة، في اعتبار رضو أو رضى-الزهرة أنها الله. وهو يرفض فكرة العائلة النجمية التي تجعل للزهرة النجم الأكبر زوجة وبنات. ونرى أنّ محمداً في سورة النجم عنده نفس الاهتمام، كما نراه في السورة يناقش دور اللات والعُزّى ومناة، اللواتي بالنسبة لقبيلة محمد هنّ زوجة وابنتا "الله". فاعترف بهن كملائكة يشفعن "تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهن لترتجى"[163]. وليسوا بنات لله النجم الأكبر. والغرنوق كما نفهم من السيرة الحلبية:

"هو طير طويل العنق وهو الكركي أو يشبهه .. إنّ تلك الطيور تعلو وترتفع في السماء"[164].

وكنتيجة لذلك سجد الوثنيون معه ومع المسلمين، ذلك لأنه اعترف بآلهتهم وفي دورها الشفاعي عند "الله"[165]. الأمر الذي يثبت أنّ محمداً كان ينشر التوحيد النجمي العربي الذي فحواه هو تفوق عبادة "الله" على التعبُّد المبني على زوجة "الله" وبناته.

والجدير بالملاحظة هو أنّ المسلمين كلهم قد سجدوا مع الوثنيين، أمام صيغة وثنية بها اعتراف في شفاعة آلهة قريش ودورها. الأمر الذي يدل على أنّ المسلمين لم يكونوا قد تبعوا محمداً بسبب تمسُّكه بوحدانية. ولكن لأسباب أخرى؛ مثل الإغراء الجنسي والاعتراض للقوافل وسرقتها، إذ كان يكمن المسلمون للقوافل ويسرقونها. وقد حذف محمد هذه الآيات بعد انتقاد اليهود له، وادّعى ان الشيطان قد وضعها على لسانه.

ومهما رفّعت هذه الديانات القائمة على توحيد وثني اسم إله، أي ترفيع معبود محلي فوق باقي المعبودات، ففي صراعها مع العبادات الأخرى، جعلوا باقي المعبودات ككائنات ضعيفة أمام آلهتهم، أو كائنات محدودة أو شفعاء، وكما في الزرادشتية تُرى هذه المعبودات في الأيام الأخيرة أنها خاضعة لإلهها الأكبر. وقد اعتمد محمد على الأفكار الزرادشتية في تحجيم العبادات الأخرى المنافسة للنجم الأكبر.

الماء وقيامة الأجساد في الزرادشتية وفكر محمد

يتكلم الكتاب المقدس سواء في العهد القديم أو الجديد عن قيامة الأجساد عند رجوع المسيح. وقيامة الأجساد هو عمل إلهي يعتمد على قدرة الله كخالق في ان يعيد الحياة لمخلوقاته البشرية. ولكن الزرادشتيين لهم آلهة، مثل الأرض والماء، ينسبون إليها القدرة على إقامة الأجساد في اليوم الأخير.

فقد رأى الزرادشتيون ان المطر الذي سوف ينزل على العظام في اليوم الأخير سوف يؤدي إلى قيامة الأجساد. ذلك نجده في سفر بنداهيس Bundahis، الذي يقول انه في اليوم الأخير:

"سوف تُطلب العظام من الأرض والدم من الماء والشعر من النباتات"[166].

فالأرض في الزرادشتية بمثابة روح وإلهة مقدسة. سوف تقدم الأرض عظام الموتى إلى ماء المطر، التي هي آلهة أعظم تسود فوق الأرض. والماء كإلهة سوف تعطي الدم للعظام وتشكِّل أجساداً حيةً. ذلك بسبب ان الرجل الاول والمرأة الأولى في الزرادشتية المدعوين Masye وMasyaoi قد نبتا من الأرض التي سبق وتسمدت بجسد وماء Gayomard الذي كان النموذج البدائي أو الأصليprototype للجنس البشري[167].

الماء في الزرادشتية هي الإلهة الخلاقة التي في مقدورها أن تخلق أي جسد بشري. ففي سفر دنكارد الكتاب السابع Dinkard book VII يُعزى للماء أنها قد خلقت جسداً لزرادشت[168]. وفي Farvardin Yast I، نرى الماء تخلق العظام[169]. لذلك يؤمن الزرادشتيون ان قيامة الأجساد سوف تحدث عندما ماء الأمطار سوف تسقط على عظام الموتى.

ولقد اقتبس محمد هذا العنصر الزرادشتي في موضوع الأيام الأخيرة. فيقول محمد في صحيح البخاري:

"عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلعم ما بين النفختين أربعون، قال (او قالوا في صيغة حديث آخر) أربعون يوما، قال أَبَيْتُ. قال أربعون شهرا، قال ابيت. قال أربعون سنة، قال ابيت. قال ثم ينزِل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلاَ عظما واحدا وهو عجبُ الذّنب، ومنه يُركَّب الخلق يوم القيامة"[170].

اختيار محمد ماء المطر كالقوة التي تقيم الأجساد في يوم القيامة، يدل على مقدار تأثير مُستشاره بالزرادشتية، وهو سلمان الفارسي، على عقائده. فهو قد قلَّد تلك العقيدة الزرادشتية مُظهِراً جهله فيما يعلمه الكتاب المقدس عن القيامة. بحيث انه قد التجأ إلى الاسكتالوجيا الفارسية التي تكرم إلهة الماء ناسِبةً إليها قيامة أجساد الموتى في اليوم الأخير. فالماء في الزرادشتية هي إلهة هامة اسمها Ardvi Sura. وهي معبودة[171]. ولا بد من تكريمها في اليوم الأخير من خلال نسب قيامة الأجساد البشرية إلى قوتها. فلم

يكن محمد يهتم في كون تلك الاقتباسات من الزرادشتية تتوج آلهة الزرادشتيين مع وثنيتهم على الإسلام.

الزرادشتية ومحمد في موضوع النار التي تحشر الناس في اليوم الأخير

امتحان الناس من خلال سيرهم على المعادن المُذابة

يتميِّز الفرس الزرادشتيون في خلق ميثولوجيا عن الأيام الأخيرة، لا تشاركهم به أي ديانة أخرى. ومن حيث ان كتبهم المقدسة سابقة للإسلام، وان تطابق عقائد محمد عن الأيام الأخيرة مع أفكارهم هو أمر لا يمكن إنكاره، فلا نستطيع ان ننسب وجود هذه العقائد في القرآن وحديث محمد سوى لمصادر محمد الفارسية والتي رأينا ان كاهن النار الفارسي، وهو سلمان الفارسي، هو ابرز تلك المصادر التي كانت في متناول محمد، اضافة لمصادر فارسية اخرى كانت على حساب محمد في مكة من حيث ان المكيين قد اتهموا محمد ان القرآن بلسان أعجمي، كما رأينا في سورة النحل اي 16:103، والتي هي سورة مكية. وفشْل المسلمين في أيامنا في دراسة العقائد الفارسية الزرادشتية، ومقارنتها في العقائد الإسلامية، هي وراء نظرتهم لتلك العقائد أنها جاءت لمحمد بوحي سماوي. فليس اقتباس محمد من الاسكتالوجيا الزرادشتية هي في نقطة واحدة لكي ننسب ذلك للصدفة. ولكن كلما درسنا عن الأيام الأخيرة في الفارسية وعقائد محمد نكتشف ان الأمر يتعلق باقتباس شامل للاسكتالوجيا الفارسية، وان محمداً كتلميذ لسلمان الفارسي ولآخرين كان عندهم إلمام في الديانة الفارسية هو أمر لا يمكن إنكاره من عاقل.

وهناك عنصر آخر في موضوع الأيام الأخيرة في الزرادشتية وهو ان المعادن الذائبة سوف تمتحن الناس: فسوف يُجبر الناس على السير فوق المعادن المُذابة. فالبار سوف لا يُؤذى من هذه النار الشديدة ولكن الخاطئ سوف يتألم[172]. فالمعادن المُذابة سوف تكون كامتحان للإنسانية وكأسلوب محاكمة بالتعذيب[173].

والسير على المعادن المُذابة سوف يُطبَّق أي`ضا على الناس التي بحسب الزرادشتيين سوف يُخرَجوا من الجحيم. فسوف يُطهَّرون من خلال جعلهم يسيرون فوق المعادن المُذابة في مشهد محاكمة تعذيبية. فالمعادن في الجبال سوف تذوب وتجري كالأنهار. فيؤتى بالأبرار من الجنة لكي يمشوا فوق تلك المعادن المُذابة، فيشعر الأبرار وكأنهم يسيرون فوق حليب دافئ، بينما الأشرار سوف يتعذبون من ذلك السير. ومن خلال هذا العمل المطهري، أي الذي يعمل بمثابة مطهر لهم، سوف تُعزل الخطية عنهم وسوف يخلصون[174].

ومحمد بدوره قد تكلم عن نار سوف تحشر الناس في اليوم الأخير – يوم الدين. فسوف تجري هذه النار من مشرق الأرض إلى مغربها. ونجد ذلك في صحيح البخاري الذي يُعتبر من المسلمين انه حاوٍ على الأحاديث المثبتة:

"اما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب"[175].

وفي حديث آخر نجده في صحيح البخاري تحدث محمد عن صب الرصاص المُذاب في آذان الناس في اليوم الأخير[176]. وحديث محمد هذا مشتق من موضوع الدينونة في اليوم الأخير في الزرادشتية حيث تُستخدم المعادن المُذابة للمحاكمات التعذيبية.

كما ان محمداً قد تكلم عن ان الخارجين من الجحيم انهم سوف يُجبرون على السير فوق النار وذلك من اجل تطهيرهم. ونجد ذلك أيضا في صحيح البخاري:

> "فيخرجون من النار قد امتحشوا فيُصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل"[177]. وايضا:"فيُضربُ الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلّمْ سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان .. تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله منهم من يُخردل ثم ينجو حتى إذا أراد رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة ان يُخرِجوا من كان يعبد الله. فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار ان تأكل أثر السجود. فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيُصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ..."[178]

وهي نفس الفكرة الزرادشتية في خلاص النفوس من الجحيم من خلال تعريضهم لنار المعادن المُذابة التي يمشون عليها.

كل هذه المعطيات ترينا كم كان محمد مُعتمِداً على خرافات الفرس من جهة الأيام الأخيرة واليوم الأخير. فالتطابق المتكامل بين فكرة الأيام الأخيرة في الزرادشتية وعند محمد لا يمكن لها ان تكون بدون شخص زرادشتي مثل سلمان الفارسي مُطّلع على دقائق عناصر الزرادشتية، او شخص مكّي قد درس الزرادشتية في الحيرة، او شخص من الذين قد تمجسوا، اي اعتنقوا الديانة الفارسية، وكانوا كثيرين في شبه الجزيرة العربية زمن محمد. لا شك كل هذه المعلومات الزرادشتية التي نراها في القرآن وفي أحاديث محمد لم تأتِ من الله أو الملاك جبريل.

الحقيقة انه عندما نتمعن في جذور الإسلام، والمعضلات التي في القرآن، نجد خلوه من الحق. وانه قائم في عقائده الأساسية على أفكار وخرافات الديانات الوثنية التي كانت سائدة زمن محمد، كما رأينا فكرة القرآن من جهة الأيام الأخرى هي تلخيص أمين لمبادئ الديانة الزرادشتية عن هذا الموضوع. والمحزن هو ان عدداً كبيراً من الناس تثق في مصيرها الأبدي بتعاليم الإسلام. نحتاج ان نشجع أصدقاءنا المسلمين ان يفحصوا ما يؤمنون على ضوء النقد الموضوعي ومقارنتها بالحقائق التاريخية والاقتباسات المحمدية من الديانات الوثنية في زمانه. وليس التسليم بها فقط لأنها ديانة قد ورثوها من الآباء. نصلي أنهم يرون هذه التناقضات والاقتباسات وان يأتوا للكتاب المقدس، المصدر الوحيد الذي يقف أمام الفحص التاريخي، ويعطي الفرصة للمقابلة الروحية مع الله الحقيقي.

برج بابل وهامان

وضع القرآن برج بابل وهامان في مصر

هل ممكن ان التقليد المُزيَّف يحل مكان الأصلي الموثوق به

ان أسلوب محمد في القرآن هو استخدام حوادث ذُكرت في الكتاب المقدس واضعاً إياها في عصور وبلاد مختلفة، وناسِباً إياها أيضا لظروف مختلفة. ولكن الكتاب المقدس عندما يتكلم عن حوادث وبصفته أقدم من أي كتاب عبري قد كُتب، لذلك فلا حادثة قد ذكرها الكتاب المقدس يجب ان يُبحث عنها في أكثر دقة في أي من المراجع الدينية، مهما كانت هذه المراجع قديمة.

فالكتاب المقدس يتمتع في التوثيق وحقيقة عدم التحريف أكثر من أي كتاب في التاريخ. فهناك ترجمات قديمة للكتاب المقدس، منها الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية والتي تعود للقرن الثالث ق.م. وهناك عدة نسخ قديمة للكتاب المقدس، نذكر منها نسخ قمران التي تعود للقرن الثاني ق.م. والكتاب المقدس يملك أكثر نسخ من أي كتاب آخر قد ظهر في التاريخ. ذلك دليل أصالته وعدم تحريفه.

إذا كان ذلك هو موضوع توثيق الكتاب المقدس. فأي كتاب ديني يستطيع ان يشكك في دقة نص ذكره الكتاب المقدس ويدّعي في تقديم نص تاريخي أفضل وأدق؟ والتقليد العبري قد احترم دائما الكتاب المقدس ككلمة الله التي لم تتغير، والتي جميع أسفاره قد أُوحيت للأنبياء من الله وحُفظت سليمة خلال أجيال التاريخ.

بناء على ما تقدم، كيف نستطيع ان نعطي وزناً لكتابات محمد، خاصة القرآن الذي تلاه في بداية القرن السابع ميلادي؟! فأي شرعيّة يملك عندما يأخذ حادثة ذُكرت في الكتاب المقدس ويضعها في ظرف وعصر آخر. فهل نص موجود قبل عدة قرون من الميلاد، ومعروف كالمرجع الوحيد لمعلومة معينة، ممكن ان يُشكك به من نص ديني قد ظهر في القرن السابع ميلادي؟ نص قد حاول مُخترعُه ان ينسخ المرجع الأصلي ويغيّر سرده؟

وهناك أسلوب آخر لمحمد في السرد وهو انه يهمل النص من الكتاب المقدس عن اسم، ويعتمد على نصوص خرافية قد استخدمت اسماً موجوداً في الكتاب المقدس كعنوان لخرافتها. نجد مثلا كيف ان محمداً، في رغبته ان يتكلم عن جوج وماجوج المذكورين من حزقيال النبي في القرن السادس ق.م.، قد أهمل النص في حزقيال، ونسخ السرد عن شعب متوحش مذكور في كتاب المزور لكلسثنيس Pseudo Callisthenes وكتابات سريانية قد اعتمدت على ذلك الكتاب، وجعلت ذلك الشعب المتوحش انه جوج وماجوج. فنجد في تلك الكتابات ان الاسكندر ذا القرنين مُعطى لقب "ذو القرنين". ونجد أيضا ان الاسكندر ذا القرنين قد سجن جوج وماجوج خلف بوابة من حديد ونحاس قد بناها بين جبلين، إلى اليوم الأخير، حيث سوف تُهدم تلك البوابة ويخرج جوج وماجوج لكي يهجم على العالم. لقد نسخ محمد تلك الخرافة، مدّعيا ان "الله" قد أوحي بها، معتمداً تماما على النص الخرافي في كتاب المزور لكلسثنيس والكتابات السريانية، بدل ما ذكره حزقيال في القرن السادس ق. م. عن جوج وماجوج.(وسوف نتطرق إلى خرافة ذي القرنين وجوج وماجوج في القرآن في فصل قادم).

هناك لمحمد في القرآن سرد عن أمور قد أخذها من الكتاب المقدس، ولكن قد أظهر جهله بوضوح في تسلسلها التاريخي والظروف التي حدثت بها. كما أظهر رغبته في بناء قصص عليها من عنده، لكي يظهر بأنه رجل وحي، وانه قد أُوحي إليه.

محمد ليس بمقلد حاذق، فهو يقدّم قصصاً في قالب غير تاريخي ومتضارب مع التقاليد والظروف التي جرت بها الحوادث

فينقص محمد الاطلاع على التاريخ لكي يكون مُقلّداً ناجحاً. فالمقلد الناجح يكون حريصاً في ان يضع كتاباته ضمن هيكل تاريخي صحيح، آخذاً بالاعتبار التقاليد واللغة الخ. ولكن من السهل ان يمُسك المقلد البسيط والبدائي بتقليده، وذلك عندما يقدِّم معلوماته بصورة متضاربة مع التاريخ والتقاليد واللغات. لكي نوضح هذا الأمر بالنسبة للمقلد الجاهل، نقدم هذا المثال:

لنفرض بأننا نجد ورقةً يريد كاتبها ان يجعل منها وثيقة، ويدّعي وهو قد كتبها بعد قرون من عصر دانتي- الكتاب الايطالي المشهور- أنها وثيقة حقيقية. يخبر بها ان هناك أخا لدانتي قد تقابل مع يوليوس قيصر، الإمبراطور الروماني. ونجد ذلك المقلد انه يضع اسماً لأخي دانتي انه عبد الرحمن. باعتبار هذه المتناقضات التاريخية واللغوية فان ذلك المقلِّد يُعتبر بأنه مقلد بدائي، حتى ولو انه قد استشهد ببعض الجمل من الكوميديا التي كتبها دانتي.

ذلك ينطبق على محمد، لأنه قد اقتبس بعض الأفكار أو الحوادث من الكتاب المقدس، ولكن نسبها لفترات تاريخية متباعدة جدا عن الفترة التي ذكرها نص الكتاب المقدس. وادّعى أنها حدثت في بلاد غير التي ذكرها الكتاب المقدس. وقد قدَّمها أيضا بصيغة مخالفة لهيكل التقاليد والعادات التي كانت سائدة في تلك الآونة والبلاد.

اقتباس محمد عن البرج ما بين النهرين والمذكور من الكتاب المقدس كان في هيكل غير تاريخي

لقد قلَّد محمد النص المذكور في سفر التكوين الإصحاح 11 والأعداد 1-4، المختص بنسل نوح، الذين بعد بضع أجيال من الطوفان، أرادوا ان يبنوا برجاً من طوب يصل إلى السماء:

"وَكَانَتِ الأرض كُلُّهَا لِسَانا وَاحِدا وَلُغَةً وَاحِدَةً. وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقا انَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي ارْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنا وَنَشْوِيهِ شَيّا». فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ. وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لانْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجا رَاسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لانْفُسِنَا اسْما لِئَلَّا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأرض».

إذا كان الطوفان بحسب معظم الباحثين قد حدث قبل الألف السادس قبل الميلاد، فمن الأرجح ان تلك الحادثة التي ذكرها سفر التكوين أنها قد حصلت بين الألف السادس والخامس ق. م. الفترة التي تتفق مع بدء الحضارات في بلاد ما بين النهرين قبل ظهور السومريين.

لقد اقتبس محمد نفس النص مع بعض تغييرات، ولكن قد ربطه بعصر موسى. هنا النص القرآني الموجود في سورة القصص:

"وقال فرعون يأيها الملأُ ما علمتُ لكم من إله غيري. فأوقد لي يا هامان على الطين، فأجعل صَرحَا لعلي أطلعُ إلى إله موسى وإني لأظنُّه من الكاذبين".

ان اقتباس محمد من تكوين الإصحاح 11 هو واضح جدا. ولكنه قد ربط الحادثة في زمن موسى. لقد ولد موسى حوالي سنة 1525 ق. م. ولقد دخل من جديد لمصر (اذ كان قد هرب الى ارض مديان في سيناء) من اجل ان يُخرج الإسرائيليين من مصر حوالي عام 1445 ق. م. فهناك إذاً ما لا يقل عن 3500 إلى 4000 سنة بين تلك الحادثة وعصر موسى.

نوع الأبراج في ما بين النهرين كانت غير معروفة لدى مصر

لم يكن يعرف المصريون الأبراج العالية التي كان سكان ما بين النهرين يبنونها لكي يصعدوا إليها ويتصلوا بآلهتهم. فلم تُعرف مثل تلك الأبراج أبدا في تاريخ مصر. فقد كان ذلك النوع من الأبراج مُختصراً على سكان ما بين النهرين. فالبابليون كانوا خبراء في بناء مثل تلك الأبراج. ويظن الباحثون بان البابليين قد تعلموا بناء تلك الأبراج من السومريين. ولقد عُرف هذا النوع من الأبراج في بابل بـ زقورة Ziggurat. والاسم البابلي الأصلي هو Ziqquratu وتعني ذروة أو قمة. ويوجد حوالي 26 Ziggurat في بلاد ما بين النهرين.

وتتألف الواحدة منها من عدة طبقات يُصعد بها من خلال طريق مدرجة. الطبقة العليا هي الهيكل، حيث يذهب الكهنة للاتصال بالآلهة. ولقد كانت أيضا تُستخدم هذه الزقورات من اجل مراقبة النجوم. وكانت معمولة من طوب مشوي من الطين. ولم يكن المصريون يعرفون مثل ذلك النوع من الأبنية.

لم يستخدم المصريون الطوب المشوي في أبنيتهم حتى احتلال الرومان لمصر

هناك أمر آخر جدير بالاعتبار: وهو ان المصريين قد كانوا يبنون هياكلهم وأهراماتهم من الحجارة، التي كانوا يقتطعونها من الصخور ويجلبونها من أمكنة بعيدة. فلا يوجد هناك بقايا لمعابد مصرية معمولة من طوب مشوي، لتبرهن ان المصريين قد كانوا يستعملون الطوب المشوي في بناء الأبنية الكبيرة والمعابد. كانت الأبنية العادية في مصر، بما فيه البيوت، مبنيةً من طوب من طين مجفف بواسطة أشعة الشمس. فلم يكن عندهم حاجة لشوي الطين، ذلك لان المطر كان نادرا جدا، وطوبهم كان يُحفظ ولا يُهدم لفترة طويلة من الزمن. فهناك طوب مصري قد جُفف بواسطة أشعة الشمس وما زال ليومنا هذا يحتفظ بشكله. ذلك يثبت بان شوي الطوب في مصر كان عملية غير ضرورية للمصريين. كذلك كانت عملية مُكلِفة بسبب أنها كانت تحتاج إلى وقود. الكلمة المصرية القديمة للطوب هي "دبت" debet. ولقد انتقلت هذه الكلمة إلى اللغة الاسبانية تحت اسم adobe وتعني "طوب مجفف بحرارة الشمس"[179].

لقد وُجدت بعض الطوب المشوية القليلة في قبر في Nebesheh وفي مكان آخر، ولكن في كمية قليلة جدا. يعتقد الباحثون ان ذلك العدد القليل من الطوب كان بسبب ان حريقاً قد حدث في ذلك المكان. ولكن الطوب المشوي قد أدخله الرومان عند احتلالهم لمصر.

من الواضح انه بينما كانت الأبنية العادية في مصر مبنية من الطوب المجفف بواسطة الشمس، لكن الأبنية القوية والهامة مثل الهياكل والأهرام والأبنية التذكارية، التي أرادها المصريون ان تكون مبنية بقوة، فقد اعتمدوا في بنائها فقط على الحجارة الكبيرة. فكيف إذا كان سوف يهمل فرعون هذا النوع من التقليد في البناء والذي كان معروفاً في كل مصر قديما، وذلك في حالة انه أراد ان يبني برجاً عالياً، الذي لو حدث فعلا انه قد فكر في بنائه، لكان يجب ان يكون أقوى من الأهرامات التي بناها أجداده. إنني افترض انه من حيث أنهم من اجل بناء الأهرامات التي لم تكن عالية بصورة خاصة، قد اعتمدوا على الحجارة الكبيرة، ولكن من اجل بناء برج عالي – ربما سبع مرات أعلى من الأهرامات – كان سوف يختار حجارة أكبر. ذلك لأنه في فكر المصريين ومبادئهم المعمارية، كانت الحجارة الكبيرة هي المادة الأساسية الحقيقية للأبنية القوية.

لا يوجد هناك بقايا لأي برج في مصر، من اجل تصديق سرد القرآن عن بناء فرعون لبرج زقورة Ziggurat

إضافة لذلك، إذا كانت حقا الطوب المشوية مستخدمة في مصر زمن موسى، لماذا لا نرى ولو هرم أو هيكل واحد مبنيا من طوب ؟!. هناك شيء آخر للاعتبار: وهو إذا كان فرعون في عصر موسى قد بنا برجا عاليا، كان سوف يكون البرج الوحيد من نوعه في كل مصر وفي تاريخهم. لا شك كان سيكون قطعة من الفن المعماري الذي يضاهي برج بابل الذي وصل إلى ارتفاع 300 قدم. كان سوف يبقى ولو جزئيا قائماً للان في مصر تماما كما بقي برج بابل إلى اليوم كأهم بقايا الحضارة البابلية، إضافة للستة وعشرين برجا التي ما زالت قائمة للان في العراق وإيران. ومع ذلك لا يوجد أي أثر لهذا البرج المزعوم من محمد انه قد بُني في مصر. ذلك رغم ان هناك بقايا لأبنية تافهة، إضافة للأهرام التي بقيت سليمة محتفظة بشكلها كاملة. فالبرج المزعوم كان سوف يكون أكثر أهمية من تلك الأهرامات. والحقيقة انه لا يوجد بقايا لأي برج من هذا النوع في مصر.

لم يذكر أحد من المؤرخين أو من الكتّاب العبرانيين بما فيهم موسى، عن بناء برج Ziggurat في مصر

أمر آخر للاعتبار هو انه لو وُجد ذلك البرج المزعوم، لكان واحدا من عجائب الدنيا القديمة. ولكان قد ذُكر من عدة مؤرخين، وسَجِّل في الكتابات المصرية كإنجازهم التاريخي التذكاري الفريد والمجيد، الذي به يفتخرون أكثر من غيره من الأهرامات والهياكل.

فبرج بابل قد ذُكر من المؤرخين مثل هيرودوتس الذي ذكره في وصف له خلال القرن الخامس قبل الميلاد. وقد زار هيرودوتس نفسه مصر، إضافة لعدة مؤرخين يونانيين قد عاشوا في الإسكندرية وكتبوا عن مصر. ومع ذلك لم يذكر أحد انه وُجد ذلك البرج العالي أو انه قد وُجد في مصر أي برج مثل Ziggurat التي كانت في بلاد ما بين النهرين.

كما ان موسى الذي كان معاصرا لذلك الفرعون لم يذكر ان مثل ذلك البرج قد بُني، ذلك رغم ان موسى قد ذكر بتفصيل في سفر الخروج ردود فعل فرعون على أوامر الله التي نقلها موسى إلى فرعون من جهة خروج العبرانيين من مصر. كما ان موسى لم يذكر بان هامان كان رئيس وزراء لفرعون أو مستشاراً له كما زعم محمد في القرآن. أو ان قارون – قورح قد قاومه في مصر.

لاحظت بان كثيرا من المسلمين في الانترنت الذين أرادوا الدفاع عن هذا الخطأ القرآني، قد جعلوا للعدد القليل من الطوب المحروق الذي وُجد في مصر، أمرا هاما. وكأن تلك قطع الطوب القليلة سوف تُثبت ان فرعون زمن موسى قد بنى برجاً عالياً

وصل السحاب. ولكن لا أحد من هؤلاء قد تجرأ ان يناقش الموضوع الأهم: وهو إذا ما كانت الأبراج التي كان يبنيها سكان ما بين النهرين من اجل الاتصال بآلهتهم قد وُجدت في مصر. ان ذلك هو موضوع خاسر لكل من يود ان يدّعيه. فإذا تجرأ إنسان ان يدّعي بان هناك قصراً من كريستال مبنياً على سطح القمر، وذلك منذ 3500 سنة، وأراد ان يقرر ويحسم النقاش من خلال وجود بعض المواد من الكريستال على سطح القمر، فانه يكون متجاهلاً للواقع التاريخي. انه يُظهِر انه غير مهتم في الحقائق التاريخية، ولكنه يريد ان يجعل خرافته ممكن الدفاع عنها، على الأقل أمام الأشخاص السذج الذين لا يسلِّموا بالحقائق المُبرهنة من التاريخ والعلم، ولكن يميلوا لهجر الحقائق من اجل ان يتبنوا السرد الأسطوري لمحدِّثي الخرافات.

فلماذا مناقشة وجود كريستال من اجل تثبيت ادعاء وجود قصر خرافي قد بُني على سطح القمر قبل 3500 سنة؟ ونفس الموضوع ساري المفعول لكل من يريد ان يتمسك بالموضوع الضعيف: وهو ان وجود بعض قطع الطوب المحروقة في مصر، من اجل الدفاع عن الموضوع غير التاريخي ان المصريين قد بنوا في مصر أبراجاً زقورات Ziggurats مثل البابلية.

ان خطأ محمد من جهة هامان، مخالف لسرد سفر استير في الكتاب المقدس.

وهناك خطأ تاريخي جسيم لمحمد وهو الطريقة التي بها استعار اسم هامان من الكتاب المقدس، واستخدمه في سرده. لقد كان هامان مستشاراً أو رئيس وزراء للملك الفارسي احشويروش. وقد حقَّق الباحثون احشويروش بـ أجزركسيس Xerxes وهو الاسم اليوناني لذلك الملك الفارسي. وقد عاش بين 485 – 465 قبل الميلاد. ولكن محمداً قد أدخل هامان كمستشار أو رئيس وزراء لفرعون زمن موسى، الذي قرابة 1445 قبل الميلاد قد أخرج الاسرائيليين من مصر. فيوجد هناك 1020 سنة بين موسى وهامان.

وبعض المسلمين في محاولتهم التخفيف من هذا الخطأ الكبير في اقتباس القرآن من سفر استير، يحاولون ان يقلِّلوا من أهمية كتاب استير ويشككوا في سرده عن هامان ومؤامرته ضد اليهود التي يذكرها السفر. وذلك على أي حال لا يلغي حقيقة ان هامان قد ظهر لأول مرة في سفر استير، وان محمداً قد استخدم اسم هامان في غير موضعه وتاريخه. وفي نهاية هذا البحث عن هامان، سوف نخصّص إصحاحاً في مناقشة سفر استير ونقاط الهجوم الإسلامي، التي هي مأخوذة من أفكار بعض الملحدين. وسوف نرد عليها.

لا يوجد أي شك من جهة خطأ محمد الجسيم في النسخ والاقتباس

ان اسم هامان يختص في سفر استير. فاسم هامان لم يظهر في التاريخ قبل سفر استير. ولقد ظهر هامان في سفر استير كالمستشار الاول وكرئيس الوزراء، أي

الشخص الثاني في السلطة بعد الملك. فاقتباس محمد لشخصية هامان لم يكن محصوراً في اقتباس الاسم، ولكن اقتباس نفس المكانة أو الوظيفة التي كانت لهامان عند الملك الفارسي. فلقد ادّعى محمد بان هامان كان بمثابة رئيس وزراء لفرعون ومستشاراً له وملازماً له. الأمر الذي يدل على ان محمداً كان يريد استخدام ذاتيات مذكورة في الكتاب المقدس بطريقته الخاصة، وذلك لكي يترك انطباعاً عند مستمعيه انه صاحب وحي ويعرف كل عناصر التاريخ. وكان يريد ان يختلق حوادث تاريخية جديدة لكي ينافس الكتاب المقدس، ولكن بدون اعتبار للهيكل التاريخي التي عاشت فيه هذه الذاتيات.

كذلك فان اسم هامان غير موجود في أي وثيقة مصرية. والحقيقة انه عندما كان الفراعنة المصريون يسخِّرون أي أجنبي في خدمتهم، كانوا يعطونه اسماً مصرياً. مثال ذلك يوسف الذي أُعطي من فرعون اسم "صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ" (سفر التكوين 41: 45). كيف يمكن ان هذا الاسم الفارسي، أي هامان الذي يعود لبداية القرن الخامس ق.م. ان يُلصق في زمن فرعون الذي عاش في القرن الخامس عشر ق.م. انه حقيقة اختراع من محمد.

لا بد في نهاية هذا البحث ان نذكر محاولات بعض المسلمين اليائسة ان يجدوا مخرجا من هذه الأزمة. فصاروا يفتشون بين الأسماء المصرية على اسم مشابه لهامان. والحقيقة عندما تفتش في كتابات حضارة مثل المصرية التي هي اغنى الحضارات في العالم في كمية الكتابات والمنقوشات، لا بد ان تجد اسماً يشترك ببعض الحروف مع الاسم الذي تفتش عنه. ولم يجد المسلمون اسم هامان، ولكن وجدوا اسم HMN كعامل في ورشة في مكان ما في مصر. فتلك الحروف لا تعني هامان. ثم حرف H قد تعني حرف ح في اللغة المصرية حيث ان كتّاب الأسماء المصرية من الأوروبيين يكتبون الحاء ب H. مما يجعل ذلك الاسم حمن وليس هامان. وهناك في اللغات المصرية حروف vowelsحيث لو كان ذلك الاسم هامان لكُتب بكامل حروفه.

ثم ان هامان لم يكن اسمه معروفاً كعامل أو حتى مهندس في ورشة. ولكن كما وضعه القرآن شخصية رئيسية في مصر بعد فرعون في الأهمية. ثم لا يوجد أي إثبات ان تلك الورشة تعود للقرن الخامس عشر قبل الميلاد أي زمن موسى. وهناك أمر آخر وهو لو كانت تلك الورشة هامة وليس بناء عادي، كيف يجرؤ هامان ان يضع اسمه عليه بدون اسم فرعون. كل هذه المعطيات تدل على ان تلك الورشة عبارة عن بيت مصري لعائلة عادية، وليس له علاقة في فرعون أو رئيس وزراء كان عنده في تلك الحقبة.

لقد رأينا كيف ان محمداً قد استعار من سفر التكوين حول الشعب الذي عاش بعد الطوفان، الذي بنى برجاً عالياً ظانا انه يصل به السماء. لقد استخدم محمد نفس الفكرة وتقريبا نفس الكلمات، ناسباً إياها أنها حدثت في مصر. الأمر الذي يدل على انه قد اعتمد على سرد الكتاب المقدس من اجل تشكيل ادعائه. ان نسخ محمد من الكتاب المقدس في ذلك المثال هو أمر واضح لا يمكن دحضه.

لقد سبق وفندنا بطلان الادعاء القرآني من جهة البرج من ناحية تاريخية. وبصورة خاصة كيف ان موسى الذي ذكر عن فرعون بتفصيل ودقة ولكنه لم يذكر هذا البرج او

الزقورة. كما ان ذلك البرج لم يُذكر بأي مرجع قبل القرآن. وذكرنا ان اسم هامان مختص في سفر استير وكيف ان محمدا قد نقله بكامل اسمه ووظيفته التي كانت له في قصر الملك الفارسي إلى مصر وقصر فرعون. فلا يوجد أدنى شك من ان محمداً قد تصرف كما عادته في الاقتباس من الكتاب المقدس، ولكنه قد نسب ما يقتبسه إلى عصور مختلفة وأمكنة مختلفة، وذلك لكي يبدو انه صاحب وحي منافس للكتاب المقدس. ولكن بدون احترام للهيكل التاريخي وعادات الشعوب وتقاليدهم. وهو بذلك مقلد بدائي. وعلى المسلمين ان يميزوا أساليبه ويتخلصوا من موضوع ادعائه بوحي.

الإسلام وسفر استير

هجوم الإسلام عليه لرفع التركيز عن خطأ محمد التاريخي

الأساس التاريخي لسرد الكتاب المقدس عن هامان

يذكر سفر استير ان احشويروش الملك الفارسي قد اختار استير، الفتاة اليهودية، كملكة بدل وشتي. كان مُردخاي عم استير الذي كان قد اتخذها ابنةً له قد خدم على باب الملك، قد اكتشف مؤامرةً كان قد حاكها اثنان من الخصيان الذين كانا من حراس باب الملك. ولقد أبلغ مردخاي استير بالمؤامرة التي بدورها أطلعت الملك على ذلك باسم مردخاي. وبعد التحقيق قد حُكم على الخصيين بالموت. ولقد سُجل بعد ذلك الحادث في أخبار الأيام بحضور الملك.

وسفر استير يذكر أيضا كيف ان الملك قد رفّع هامان وأعطاه مكانة فوق كل مساعديه. فيذكر السفر هامان كابن هَمَدَاثَا الأَجَاجِيَّ (استير 3: 1).

لقد كان أجاج لقبا لملوك عماليق، التي كانت قبيلة أدومية قوية. والادوميون هم نسل عيسو الذي كان الأخ المنافس ليعقوب أب الإسرائيليين. لقد ذكر موسى واحداً من هذه الملوك تحت لقب أجاج (سفر عدد 24: 7). وهناك اجاج آخر من ملوك العماليق، قد هُزم من الملك شاول، أول ملك لإسرائيل. تجد سرداً عن تلك المعركة في (سفر صموئيل الاول والإصحاحين 14 و15).

هامان كأجاجي كان ينحدر من العائلة المالكة العماليقية. وكما ان جده الاول عيسو حاول ان يقتل يعقوب، فان العماليق في تاريخهم كانوا يقاومون الإسرائيليين الذين كانوا عابدين لله وجعلهم الله مستقرين في ارض كنعان، مُعطِياً لهم الشريعة والأنبياء. لقد قاوم عماليق إسرائيل في برية سيناء وحاربوهم محاولين ان يمنعوهم من دخول ارض الموعد. ولقد هزمهم موسى في برية رفديم.

إذاً نرى بان عداوة عماليق لإسرائيل ذات جذور تاريخية، وليس انه شيء مُستحدث من سفر استير. فمثلا عندما لاحظ هامان بان مردخاي لم يسجد له، قد اهتاج وأراد ان يستغل مكانته عند الملك وكرئيس وزراء، من اجل إبادة اليهود في كل الاقاليم التي كانت تشكِّل المملكة الفارسية والتي كانت ممتدة في تلك الآونة من الهند إلى إثيوبيا.

لقد حاك هامان خطة لإبادة اليهود:

"فَقَالَ هَامَانُ لِلْمَلِكِ أَحْشَوِيرُوشَ: [إِنَّهُ مَوْجُودٌ شَعْبٌ مَّا مُتَشَتِّتٌ وَمُتَفَرِّقٌ بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي كُلِّ بِلاَدِ مَمْلَكَتِكَ وَسُنَنُهُمْ مُغَايِرَةٌ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ وَهُمْ لاَ يَعْمَلُونَ سُنَنَ الْمَلِكِ فَلاَ يَلِيقُ بِالْمَلِكِ تَرْكُهُمْ. فَإِذَا حَسُنَ عِنْدَ الْمَلِكِ فَلْيُكْتَبْ أَنْ يُبَادُوا وَأَنَا أَزِنُ عَشَرَةَ آلاَفِ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ فِي أَيْدِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ لِيُؤْتَى بِهَا إِلَى خَزَائِنِ الْمَلِكِ." استير 3: 8 و9

وهذه المؤامرة التي كانت لهامان ضد اليهود لم تكن أمراً مُستغرَباً حدوثها، من حيث انه كانت هناك مؤامرة مماثلة نمت عن تفريق عنصري قد سُجلت حتى في القرن الماضي في ارض هتلر النازية. حيث هتلر خطط في إبادة اليهود. فكيف إذا يُشكَّك في مؤامرة قد قادها شخص اجاجي من نسل العملاقة الملوكي الذين كانوا الأعداء التقليديين للإسرائيليين في تاريخهم.

هناك حقائق روحية ودروس عظيمة يقدمها سفر استير

بعكس الآراء الخاطئة للذين يودون في التشكيك في سفر استير، فان السفر فريد بين أسفار الكتاب المقدس، من حيث انه يتمتع في رسالة مركزية تدور حول الحرب الروحية ضد قوى الشر. فترمز استير في السفر إلى الكنيسة المصلية التي تواجه اضطهاداً يقوده الشيطان عدو النفوس، المرموز إليه في السفر بشخصية هامان. فالشيطان يحيك دائما الخطط من اجل تدمير الكنيسة، ويختلق افتراءات ضد المؤمنين الذين يحبون الرب.

ويقدِّم السفر درساً هاماً من جهة أهمية الصوم في محاربة الشيطان. فعندما أثناء الاضطهاد يذلِّل الشعب نفسه أمام الله، فانه يحرِّك ذراع الرب للعمل. فنقرأ في الإصحاح الرابع والعدد الثالث:

"فِي كُلِّ كُورَةٍ حَيْثُمَا وَصَلَ إِلَيْهَا أَمْرُ الْمَلِكِ وَسُنَّتُهُ كَانَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ وَصَوْمٌ وَبُكَاءٌ وَنَحِيبٌ. وَانْفَرَشَ مِسْحٌ وَرَمَادٌ لِكَثِيرِينَ".

فيُظهِر السفر بان تلك المؤامرة قد وُجهت من خلال الصوم، ليس فقط من استير ولكن من جميع الشعب؛ فقد اشتركوا في صوم لمدة ثلاث أيام.

وسفر استير هو تشجيع كبير لكل المسيحيين الذين يتعرضون إلى ضغوط ظالمة واستبداد، ويتألمون إذ يُعاملون بعدم العدل على يد شعوب أو حكومات. فالسفر يرينا ان شخصاً في علاقة وثيقة بالله، كما كانت استير في علاقة وثيقة بالملك كعروسه، فانه

يُعطى سلطاناً لكي يصلي ويتشفع من اجل مصير الآخرين وخلاصهم. والملوك في الكتاب المقدس مرارا يرمزون إلى ملك الكون الحقيقي وهو الرب.

المسيح مرموز إليه بصورة واضحة في سفر استير، بأنه المخلص والممثل للجنس البشري أمام الله، والذي أعاد الشركة الروحية للإنسانية مع الله

يتمتع سفر استير في معنى نبوي فريد من جهة دور المسيح في خلاص وعدم هلاك الجنس البشري. فلقد فَقَدَ الإنسان شركته الروحية مع الله وذلك عندما سقط في الخطية. والشيطان يُدعَى في الكتاب المقدس المشتكي، لأنه يذكر باستمرار خطايانا أمام الله. ونسبة لان الشيطان قد رُفض من الله بسبب ثورته على الله، فانه يقول بان الله لا يستطيع أيضا ان يقبلنا بسبب خطايانا. لذلك فالشيطان يرانا كجنس يجب ان يهلك تماما كما كان يرى هامان الإسرائيليين كشعب يجب ان يُباد.

والشركة الروحية مع الله مرموز إليها في سفر استير بالقضيب الذهبي. فكُل إنسانٍ دَخَلَ إلى الْمَلِكِ إِلَى الدَّارِ الدَّاخِلِيَّةِ وَلَمْ يُدْعَ، كان يُقْتَلَ إِلاَّ الَّذِي يَمُدُّ لَهُ الْمَلِكُ قَضِيبَ الذَّهَبِ. فمْد الملك القضيب لمن يقف بالدار الداخلية معناه ان ذلك الإنسان قد وجد نعمة في عيني الملك. فحالا يلمس الإنسان القضيب لتجنب ان أحد الحرس يقتله. وكان يحدث نادراً ان يضطر إنسان، عندما يكون له قضية هامة تتعلق بمصير أحبائه، في ان يقف في الدار الداخلية حيث الملك جالس. متأمِّلاً ان الملك يمد له القضيب الذهبي، ويسمح له ان يقدم قضيته.

واستير رغم انها كانت الملكة وفي علاقة مع الملك كزوجة وملكة، لكنها وقفت كعبدة في ذلك المكان الخطر، متأملة ان الملك يمد إليها القضيب الذهبي. لكي تقدِّم قضية شعبها المُهدَّد بالإبادة من هامان.

وكانت استير في هذه الحالة ترمز إلى المسيح، الذي رغم كونه في اتحاد أزلي مع الآب في الثالوث الأقدس، لكنه نزل إلى أرضنا مُتجسِّداً بصورة إنسان، طالباً الشركة مع الله الآب، ليس بصفته ابن الله الأزلي، ولكن كانسان عبد. مُنتظِراً ان يمد الله الآب إليه الشركة الروحية التي فقدتها الإنسانية بسبب سقوطها في الخطية. فالمسيح كان يطلب الشركة الروحية للإنسانية بسبب إننا جميعا قد فقدناها. وصرنا تحت حكم الموت. وصار الشيطان يطالب في إبادتنا وحرماننا وهلاكنا الأبدي.

وهكذا يسوع كممثلنا أمام الله القدوس، قد استعاد الشركة الروحية المفقودة مع الله، وذلك من خلال حياته الكاملة التي عاشها كانسان على الأرض. بعكس ما عاشه الآخرون من الجنس البشري، الذين جميعا ولدوا في الخطية وعاشوا كخطاة. وهكذا كما نالت استير العلاقة مع الملك في جلوسها في المكان الذي يجلس به العبيد، فان يسوع قد استعاد الشركة مع الله للإنسانية، وذلك من خلال وقوفه كعبد ممثل للإنسانية، من اجل ان يستعيد الشركة المفقودة مع الله لصالح كل من يؤمن به.

هناك شيء آخر وهو ان استير قد وقفت في المكان الذي كان ممكن ان يجلب لها الموت. ذلك رغم انها كانت الملكة ولم تكن بحاجة ان تتعرّض لمثل ذلك الخطر. لكنها وقفت هناك كعبدة. لقد قبلت ذلك لأنه كان عندها قضية هامة: وهو ان تلغي مرسوم هامان الذي كان سوف يبيد شعبها. والمسيح، رغم انه أصلا كان في جوهر الله ويتمتع في نفس المجد ومعبود من الملائكة في السماء، ولكنه وضع مجده جانباً، وقَبِلَ ان يتجسد، وان يقف في الساحة البشرية أمام الله كعبد يحمل قضيتنا. إذ قد كنا تحت حكم الموت الأبدي والانفصال الدائم عن الله.

لقد كان عدو النفوس يتهمنا بان الله لا يستطيع ان يقبلنا بسبب ان الله قدوس ونحن متعدون وخطاة. ولكن يسوع قد وقف في الساحة البشرية كانسان كامل، طالباً من الله الآب ان يرفع الدينونة عن شعبه وجنسه البشري الذي بات يشترك معه في الطبيعة ولكن بدون خطية. ويسوع له الحق ان يرفع هذه اللعنة والدينونة عن شعبه، ذلك بسبب انه قد مات على الصليب دافعاً بدل التعدي. وهكذا كما استير نالت نعمة من الملك ومد لها القضيب الذهبي وجلست مع الملك كممثلة لشعبها، ورفعت حكم الموت الذي كان قد فرضه هامان. هكذا يسوع بعد قيامته من الاموات قد رُفِّع كانسان على عرش الله، وجلس عليه كممثل للإنسانية ووسيط وشفيع لها، رافعاً مرسوم الموت الروحي عن كل من يؤمن به.

كل سفر في العهد القديم يحوي كنوزاً عظيمة تجعل موضوع الفداء الذي قدمه المسيح عن الجنس البشري مُدركة أبعاده من نفوسنا وعقولنا. ذلك من خلال النبوات المباشرة أو الرمزية. وسفر استير يدل على دور المسيح بطريقة رمزية عميقة مُقدِّماً وجهاً نبوياً لدور المسيح في الفداء وخلاص الجنس البشري ورفع حكم الموت الأبدي واستعادة الشركة مع الله، بشكل يجعل الإنسان النزيه ان يحبه ويقدر عمله الفدائي ويعبده.

هناك في الكتاب المقدس الكثير من النبوات المباشرة التي تنبأت عن مجيء المسيح. من هذه النبوات المباشرة نراها في سفر أشعياء 9: 6

"لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ."

ويوجد مئات النبوات المباشرة في العهد القديم التي تتكلم عن المسيح. والتي لا مجال لذكرها في هذا الكتاب.

إظهار الكتاب المقدس عمل المسيح من خلال نبوات رمزية مثل استير ويوسف هو جزء من خطة الله في التعليم النبوي

النبوات الرمزية هي أسلوب الوحي في إظهار حقائق روحية عن المسيح وشخصيته وفدائه، إلى جانب النبوات المباشرة. فنجد في العهد القديم ان هناك أشخاصاً

كانوا رمزاً أو مثالاً لبعض وظائف كان المسيح سوف يقوم بها بعد تجسده. ومن هذه الشخصيات الرمزية نذكر يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن ابراهيم. يذكر سفر التكوين ان يوسف قد بيع من اخوته بعشرين من قطع الفضة. كما نقرأ:

"تَعَالُوا فَنَبِيعَهُ لِلاسْمَاعِيلِيِّينَ وَلا تَكُنْ ايْدِينَا عَلَيْهِ لانَّهُ اخُونَا وَلَحْمُنَا». فَسَمِعَ لَهُ اخْوَتُهُ. وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَاصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلاسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. فَاتُوا بِيُوسُفَ الَى مِصْرَ" (تكوين 37: 27 و28)

وذلك نبويا يشير إلى ما كان سوف يُسلَّم المسيح يسوع من أحد تلاميذه وهو يهوذا، وذلك بثلاثين قطعة من الفضة. ونقرأ عن تسليم يسوع في متى 26: 15

ولقد دُفع يوسف ظلماً إلى السجن رغم انه كان بريئاً. وهذه نبوة رمزية تشير إلى كيف ان اليهود قد سلّموا يسوع إلى الرومان من اجل ان يُقتل. ولقد صُلب يسوع بين لصين، ذلك رغم انه كان الإنسان الوحيد البار الذي عاش على الأرض.

ولقد استُدعي يوسف من السجن لكي يمثل أمام فرعون ويفسِّر الحلم الذي حلمه فرعون. ولقد غيّر رجال فرعون ملابس يوسف ووقف يوسف أمام فرعون. وعندما فسّر يوسف حلم فرعون بدقة، قد رُفِّع إلى أعلى مقام في مصر. وبهذا أصبح يوسف رمزا نبوياً ليسوع. فبعد موت يسوع قد قام من بين الأموات بجسد ممجَّد، وصعد إلى عرش الآب. واليوم يجلس يسوع على العرش السماوي بناسوته، تماما كما جلس على هذا العرش في لاهوته.

لقد رُفض يوسف من اخوته العبرانيين وبيع كعبد. ولقد تزوج فتاة مصرية وذلك بعد ان رُفِّع في مصر إلى مقام السلطة. وهذا له معناه النبوي: فيسوع كان قد رُفض من خاصته بحسب الجسد أي اليهود. ومع ان اليهود ما زالوا يرفضون يسوع كالمسيا. ولكن يسوع أصبح المخلص لأمم كثيرة في العالم. فكنيسته التي هي أيضا عروسه، هي أممية بالدرجة الأولى، تماما كما زوجة يوسف كانت مصرية أي فتاة أممية.

وكان يوسف مدبر الطعام لكل الأمم؛ حيث كانت هناك مجاعة، فجاء الناس من كل امة لكي يشتروا قمحاً من يوسف. وذلك يشير نبوياً ليسوع الذي بعد قيامته وجلوسه على عرش الآب صار مُخلِّصاً وشفيعاً لكل إنسان يؤمن به في كل أمة، ومُعطِي النعمة لجميع الذين يصلون إليه.

وعندما جاء اخوته إلى مصر لكي يشتروا قمحاً، التقوا بيوسف. ولقد تبكّتوا لأنهم في الماضي قد أساءوا معاملته وباعوه إلى المديانيين الذين باعوه للمصريين. وبعد ان اعترفوا بخطيتهم، استعلن يوسف نفسه إليهم وغفر خطيتهم. ذات الأمر سوف يحدث في الأيام الأخيرة عندما يعود يسوع ثانية للأرض. فيذكر سفر زكريا 12: 10:

"وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ."

فالمتكلم هنا هو الله بنفسه. وكما نرى من نبوة زكريا ان الإسرائيليين سوف يرون علامات المسامير في يديه عندما سُمِّر على الصليب. وسوف يكتشفون عندها أنهم قد طعنوا وسمّروا المسيح المتجسد، إله الأنبياء. ويوضح زكريا في الأعداد 10-12 من نفس الإصحاح، مدى حزن الإسرائيليين على صلبهم للمسيح، بهذه الكلمات:

"وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْظُمُ النَّوْحُ فِي أُورُشَلِيمَ كَنَوْحِ هَدَدْرِمُّونَ فِي بُقْعَةِ مَجِدُّونَ. وَتَنُوحُ الأَرْضُ عَشَائِرَ عَشَائِرَ عَلَى حِدَتِهَا"

فحياة يوسف دالة في العهد القديم كمثال أو رمز للمسيح المتألم كذلك لانتصاره في القيامة من الأموات. ويتصل يسوع بكنيسة أممية قد انجذبت إليه من كل أمم الأرض. وعند عودته ثانية للأرض سوف يتعرّف اليهود عليه انه المسيح. وسوف ينوحون ذلك بسبب أنهم كانوا قد أنكروه ورفضوه عند مجيئه للمرة الأولى. وسوف يتبعون يسوع بتوبة وإيمان تماما كما عائلة يوسف تبعت يوسف في مصر وخضعت له.

رأينا سابقا بان سفر استير يتمتع برسالة هامة: مشيرا بالرمز إلى جانب مهم عن تجسُّد المسيح ووقوفه في ساحتنا أمام الله الآب كعبد في طبيعة بشرية ولكن بدون خطية. لقد مثَّل الإنسانية وقضيتها، تماما كما مثَّلت استير شعبها الذي كان تحت مرسوم الإبادة. فرغم ان المسيح هو منذ الأزل متحد بالآب السماوي بواسطة الروح القدس، تعبير الله الواحد المثلث الأقانيم، ولكنه قد أعاد الشركة مع الله بصفته إنسان كامل. وكما رأينا ان إعادة يسوع الشركة الروحية المفقودة مع الآب للبشرية هو مرموز إليها بمد الملك القضيب الذهبي لإستير في جلوسها في الدار الداخلية كعبدة. وبنفس الطريقة التي جلس الملك مع استير بعد ان مدَّ لها القضيب الذهبي وأزال المرسوم الذي كان ضد شعبها، هكذا قد جلس يسوع المسيح في إنسانيته على عرش الله رافعاً حكم اللعنة عنا.

هناك انتقاد شرس من المسلمين ضد سفر استير

هناك بعض المسلمين الذين يودون ان يلغوا الخطأ التاريخي الجسيم للقرآن من جهة هامان، وذلك من خلال الطعن في تاريخية سفر استير وسلطانه ككتاب إلهي. ان السبب في هذا الهجوم على سفر استير هو بسبب انه المرجع الذي ذُكر به هامان للمرة الأولى. فيدّعي المسلمون بان استير مشتق من عشتار وهي إلهة الزهرة. ويقولون بان مردخاي هو مردوخ الإله البابلي الرئيسي. ويقولون بان هامان هو همون؛ إله من آلهة عيلام. ويدّعون بان يوم الفوريم-العيد الذي احتفل به اليهود في ذكرى نجاتهم من الهلاك الذي كان هامان قد حاكه ضدهم- بأنه عيد فارسي سابق لتلك الفترة. ويستخدم هؤلاء المسلمين بعض الأفكار التي اخترعها بعض الملحدين من جهة الملك احشويروش

المُحقَّق بأنه أجزركسيس الاول Xerxes؛ أفكار تود ان تشكك بان الملك أجزركسيس Xerxes الاول يتناسب مع ما يقول سفر استير عن أحشويروش الذي كان له 127 ولاية وزوجة تحت اسم وشتي.

سوف أجيب على هذه الاعتراضات بتفصيل. ولا بد من القول أولا ان الهجوم على سفر استير لن يغيّر الحقيقة من جهة ان محمداً قد اقتبس اسم هامان من سفر استير وأدخله إلى مصر. فهذه الانتقادات لسفر استير لن تغطّي أبدا خطأ محمد التاريخي الجسيم. انها فقط تزيغ انتباه الساذج عن التركيز على خطأ القرآن.

بالنسبة لسفر استير فانه كان دائما يُنظر إليه ككنز نفيس بين الكتب القانونية للكتاب المقدس. فكاتب السفر بالروح القدس قد أظهر اطلاعاً على العادات الفارسية في زمانه، وأثبت ان قوانين المملكة كانت مألوفةً لديه. وقدَّم خصوصيات كثيرة عن تلك الآونة. لذلك فان كثيرين من الباحثين يعتقدون بان الكاتب كان يعيش في ذلك العصر. وقد اقترح كليمنت Clement من الإسكندرية، احد آباء الكنيسة في القرن الاول ميلادي، ان مردخاي نفسه هو كاتب سفر استير.

من هو احشويروش الملك المذكور في سفر استير؟؟

من جهة تاريخية سفر استير، نود أولا ان نقرِّر هوية احشويروش الملك المذكور في السفر. هل هو أجزركسيس Xerxes الاول؟

باحثو الكتاب المقدس في أيامنا ليسوا في اتفاق عمن يكون احشويروش. معظمهم يظنوا انه كان أجزركسيس. آخرون يظنون بان احشويروش كان لقبا لملوك فارس في تلك الآونة تماما كما فرعون كان لقبا لملوك مصر. ريتشارد فيكس Richard Fix كتب مقالاً يؤيد هذه الفرضية مُستشهِداً بـ السير هنري راولنسون Sir Henry Rawlinson والبروفسور سايس Sayce والموسوعة البريطانية، وThe Century Encyclopedia of Names الذين جميعا أيدوا فكرة ان احشويروش كان لقبا وليس اسما. ومقال ريتشارد فيكس ممكن رؤيته على الانترنت[180]. بعض الباحثين يدلون بان احشويروش الذي يعني "القدير" هو لقب لأكثر من ملك من ملوك مادي وفارس[181].

ولكن معظم باحثي الكتاب المقدس إضافة لباحثين آخرين يعتقدون بان أحشويروش مشتقٌ من الاسم الفارسي khshayarsha. ففي ورقة البردي المعروفة ب Elephantien Aramaic papyri يظهر الملك تحت اسم kys'rs. وهذا الاسم هو قريب جدا للاسم اليوناني للملك وهو Xerxes.

ونقرأ في موسوعة الكتاب المقدس:

"يوجد تأكيد مطلق على ان الاسم الفارسي Khshayarsha والعبري احشويروش واليوناني Assoueros او Xerxes واللاتيني Ahasuerus هي مترادفة تماما"[182]

وكتابات بيهستون هي منقوشات بلغات مختلفة موجودة على جبل بيهستون في مقاطعة Kermanshah في إيران بالقرب من مدينة Jeyhounabad ومن ضمنها تحتوي على منقوشات للملك داريوس.

خدمة مردخاي للملوك

الإصحاح الثاني من استير يعطي ضوءاً على مردخاي. نقرأ في الأعداد 5 و6:

"كَانَ فِي شُوشَنَ الْقَصْرِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ مُرْدَخَايُ بْنُ يَائِيرَ بْنِ شَمْعِي بْنِ قَيْسٍ رَجُلٌ بِنْيَامِينِيٌّ. قَدْ سُبِيَ مِنْ أُورُشَلِيمَ مَعَ السَّبْيِ الَّذِي سُبِيَ مَعَ يَكُنْيَا مَلِكِ يَهُوذَا الَّذِي سَبَاهُ نَبُوخَذْنَصَّرُ مَلِكُ بَابَلَ."

عندما سبى نبوخذنصر أشراف يهوذا إلى ارض بابل، كان جد مردخاي بين الذين سبُوا من أورشليم مع الملك يَهُويَاكِينُ Jeconiah وآخرين أيضا. (انظر ملوك الثاني والإصحاح 24). ذلك السبي قد حدث عام 597 ق.م. ونعلم بان دانيال قد سُبي ضمن سبي سابق قد حدث عام 605 ق.م.

والإصحاح الاول والأعداد 1-6 تُري كيف ان نبوخذنصر قد درّب في خدمته في القصر أبناء أشراف اليهود. ودانيال كان واحداً من اليهود الذين خدموا في مملكة الكلدانيين واستمر يخدم في مملكة فارس التي تعاقبت بعدها. ذلك يفسِّر كيف ان مردخاي قد كان في القصر خلال مملكة أحشويروش الفارسي. من حيث ان قَيْسٍ Kish جد مردخاي كان من بين الأشراف الذين سباهم نبوخذنصر. يبدو ان قَيْساً كدانيال كان بين الفتيان أبناء الأشراف الذين قد دُرِّبوا في القصر، وبقوا في خدمة الملوك الذين احتلوا بلاد ما بين النهرين في فترات لاحقة.

والحقيقة ان مردخاي كان له سلطان في الدخول إلى أجزاء مختلفة من القصر، كما نراه كل يوم يدخل ليراقب أمام دار بيت النساء من اجل ان يستعلم عن ابنته التي تبناها أي استير:

"وَكَانَ مُرْدَخَايُ يَتَمَشَّى يَوْماً فَيَوْماً أَمَامَ دَارِ بَيْتِ النِّسَاءِ لِيَسْتَعْلِمَ عَنْ سَلاَمَةِ أَسْتِيرَ وَعَمَّا يُصْنَعُ بِهَا." (استير 2: 11)

ومراراً نرى مردخاي يجلس في باب الملك، الأمر الذي يدل على ان مردخاي كان موظفاً هاماً، معيَّنا من الملك لكي يراقب تحركات القصر، ويسهر على سلامة الملك. فلم يكن حارساً عادياً، ذلك لأن الحرس في القصر لم يكن بوسعهم الدخول لأي مكان كما كان مردخاي يفعل وكان عنده السلطة في عمل ذلك. وكانت طبيعة العمل هذا لمردخاي في مراقبة كل الحرس والفعلة في القصر قد مكّنته من ان يكتشف مؤامرةً ضد الملك، قد حاكها اثنان من حرس الملك، كما نرى في الأعداد 21-23 من الإصحاح الثاني. الأمر الذي يؤكِّد طبيعة عمل مردخاي الحساسة في القصر، كضابط مخابرات معيّن من الملك لتلك المهمة. وكان عادةً ملوك الشرق الأوسط القدماء، يستأمنون في ذلك النوع من

الخدمات رجالاً أمناء مختارين من ضمن الأقليات، بدل الاعتماد كليا على أشخاص من جنسهم.

لقد كان هذا النوع من الخدمة التي كان يؤديها مردخاي لملوك فارس، كانت أولا زمن الملك كورش Cyrus الثاني، مؤسس الإمبراطورية الاخمينية.

كاتب سفر استير يعكس في كتاباته مميزات العصر الأخميني في عصره

بعد ان انتصر الملك كورش Cyrus الثاني على الملك المادي Astages وذلك في معركة Pasargadai التي حدثت حوالي عام 550 ق.م.، قد وحَّد الماديين والفرس لكي يشكِّل الإمبراطورية الاخمينية. تاريخياً قد عُرف في حكمته في إدارة مملكته، مُعترِفاً في سلطة أمراء مادي، جاعِلاً إياهم ان يشعروا بأنهم لهم دور في شؤون المملكة كالفرس أنفسهم. فوحّد القبيلتين الإيرانيتين لتشكيل إمبراطوريته، مُدخِلاً أشراف مادي وفارس في نظام الحكم. وسفر استير يؤكِّد هذه الصفة التاريخية كما نرى في عدة أعداد مثل عددي 13 و14 من الإصحاح الاول:

وَقَالَ الْمَلِكُ لِلْحُكَمَاءِ الْعَارِفِينَ بِالأَزْمِنَةِ (لأَنَّهُ هكَذَا كَانَ أَمْرُ الْمَلِكِ نَحْوَ جَمِيعِ الْعَارِفِينَ بِالسُّنَّةِ وَالْقَضَاءِ. وَكَانَ الْمُقَرَّبُونَ إِلَيْهِ كَرْشَنَا وَشِيثَارَ وَأَدْمَاثَا وَتَرْشِيشَ وَمَرَسَ وَمَرْسَنَا وَمَمُوكَانَ سَبْعَةَ رُؤَسَاءِ فَارِسَ وَمَادِي الَّذِينَ يَرُونَ وَجْهَ الْمَلِكِ وَيَجْلِسُونَ أَوَّلاً فِي الْمُلْكِ)".

نرى ذلك أيضا في العددين 2 و3:

"أَنَّهُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ حِينَ جَلَسَ الْمَلِكُ أَحْشَوِيرُوشُ عَلَى كُرْسِيِّ مُلْكِهِ الَّذِي فِي شُوشَنَ الْقَصْرِ. فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ مُلْكِهِ عَمِلَ وَلِيمَةً لِجَمِيعِ رُؤَسَائِهِ وَعَبِيدِهِ جَيْشِ فَارِسَ وَمَادِي وَأَمَامَهُ شُرَفَاءُ الْبُلْدَانِ وَرُؤَسَاؤُهَا".

هذه الميزة في جعل الإمبراطورية الاخمينية مُمثَّلة في الماديين والفرس، قد استمرت عبر حكم الملوك الذين تعاقبوا بعد كورش Cyrus الثاني. وهذه إحدى الأدلة على ان كاتب سفر استير قد عاش زمن تلك الحقبة التاريخية التي ابتدأت من عصر كورش Cyrus الثاني واستمرت في الأجيال اللاحقة.

تمييز مردخاي بأنه الذي قد عاد مع المسبيين لكي يبني مدينة اوروشليم ثم عودته للقصر الفارسي من جديد

في عام 539 ق. م. قد دخل كورش مدينة بابل وقد استُقبل من السكان كمحرِّر. لقد رحّب به السكان اليهود الذين كانوا في السبي، كذلك رحَّب به البابليون الذين لم يكونوا مسرورين بالملك نابونيدس الذي كان حرانياً يعبد إله القمر سن المعبود في حران، وكان غير مكترث بعبادة مردوخ في بابل.

لقد أصدر كورش مرسوما عام 538 ق.م. سامحاً به لليهود ان يعودوا لكي يبنوا هيكل اوروشليم. من ذلك التاريخ حدث أكثر من رجوع لليهود إلى اوروشليم: واحد منها كان تحت إمرة زرُبابل، الذي كان من العائلة المالكة ليهوذا، وكان واحداً من السلالة المسيانية التي ولد منها المسيح حسب الجسد. ولقد تعيّن زربابل من الفرس كحاكم ليهوذا. وكتاب عزرا 2: 2 (من أسفار العهد القديم) يذكر من بين القادة الذين عادوا، زربابل ومردخاي.

ومن الجدير بالملاحظة ان القادة الذين عادوا مع زربابل مثل زربابل نفسه ويشوع الكاهن العظيم قد ذُكروا بالاسم دون ذكر أسماء آبائهم. كون مردخاي قد ذُكر باسمه دون ذكر اسم أبيه أو إعطاء أي تفصيل عنه كما فعل عزرا لآخرين الذي قد ذكر اسماءهم، يدل على ان مردخاي هذا كان معروفاً جيداً لمعاصريه، كما كان زربابل ويشوع الكاهن العظيم.

يبدو ان زربابل كان مُقرَّباً من القصر الفارسي حتى انه قد اؤتمن على قيادة عدة آلاف من الراجعين إلى اوروشليم، وعُيِّن كوالي ليهوذا. والقادة اليهود الذين رجعوا معه إلى اوروشليم كانوا لا بد مقربين أيضا للقصر الفارسي، الأمر الذي يؤكد بان مردخاي هذا الذي عاد مع زربابل كقائد كان أيضا مُقرَّباً إلى القصر. الأمر الذي يشير إلى حقيقة ان مردخاي هذا هو نفس مردخاي في سفر استير الذي رأينا انه كان مُقرَّباً في القصر. وهذه الحقيقة مؤكَّدةٌ من التقليد العبري. فنقرأ في التلمود البابلي:

> مردخاي اليهودي كان ثانيا بعد الملك احشويروش، وعظيما بين اليهود ومقبولا بين معظم اخوته، ولكن ليس من كل اخوته. ذلك يخبرنا بان بعض أعضاء السنهدريم قد فصلوا أنفسهم عنه. الربي يوسف قال: كان مردخاي في البداءة مُعتبراً التالي بعد اربعة، ولكن لاحقا صار التالي بعد خمسة. في البداية مكتوب عن الذين جاءوا مع زَرُبَّابِلَ، يَشُوعُ، نَحَمْيَا، سَرَايَا، رَعْلاَيَا، مُرْدَخَايُ، بلشان. وفي وقت لاحق مكتوب من جاء مع زَرُبَّابِلَ، يَشُوعُ، نَحَمْيَا، عَزَرْيَا، رَعَمْيَا، نَحَمَانِي، مُرْدَخَايُ، بِلْشَانُ[183]

هناك تقليد تلمودي يقول بان مردخاي قد ذهب مع وفد الى ملك فارس ليسأل عن اذن لليهود ان يبنوا من جديد الهيكل[184].

فالأشخاص الذين أُعطوا مهام قيادية في مرافقة اليهود العائدين إلى فلسطين كانوا دائما من المقرّبين من ملوك فارس. البعض منهم قد سُمح له بالعودة لبناء مدينة اوروشليم، على شرط أنهم يعودوا لخدمتهم في قصر الملك الفارسي بعد انتهاء مهمتهم في اوروشليم. وهذه لا بد كانت حالة مردخاي. فقد سُمح له في قيادة الراجعين جنبا إلى جنب مع زربابل ويشوع الكاهن العظيم، بشرط ان يعود إلى خدمته للملك في وقت لاحق.

ويبدو انه مثل دانيال الذي عاش في حقبة طويلة حكم بها عدة ملوك، هكذا أيضا مردخاي قد عاش في فترة تعاقب بها عدة ملوك.

لقد كان رجوع زربابل خلال سنة 520 ق.م. أي أثناء حكم الملك داريوس. ولا بد ان مردخاي حينئذ كان شاباً في تلك الفترة أي بين 25 -30 سنة من العمر. لا بد انه قد كان في القصر في مدينة Susa الفارسية، من حيث ان Cambyses ابن كورش الثاني الذي خلف أبيه في المُلك قد نقل العاصمة من Pasargadae إلى Susa.

في عام 521 ق.م. قد أصبح داريوس ملكا على مملكة فارس، وثبتSusa كالعاصمة، وكانت تُدعى Susa في العبرية بـ شوشن كما هو مذكور في سفر استير. وهذه الحقائق تتفق مع سرد كتاب استير.

ويبدو ان مردخاي قد كان يعيش فيSusa -شوشن زمن الملك داريوس، ورافق زربابل كقائد في عودته إلى اوروشليم. وهذا الرجوع لزربابل مُرَافَقاً من مردخاي مؤيَّدٌ أيضا من سفر نحميا 7 :7

ورجوع مردخاي كان لفترة قصيرة، ذلك لأنه لم يعطِ أيٌّ من عزرا أو نحميا تفاصيل عن مردخاي. الأمر الذي يوحي بأنه لم يمكث في أرض الموعد لمدة طويلة، وانه رجع سريعا إلى خدمة الملك داريوس في شوشن. ويبدو ان خدمته الهامة والحساسة كضابط حراسة ومراقبة للعاملين في القصر، قد تطلبت منه ان لا يهجر وظيفته لمدة طويلة.

هكذا نجد مردخاي في القصر في شوشن خلال حكم أجزركسيس Xerxes ابن داريوس، الذي ابتدأ يملك في سنة 486 ق.م. فلقد انقضى 34 عاما على زيارته إلى اوروشليم زمن مُلك داريوس، الأمر الذي جعله يصل الآن لسن ما بين 60-64. واعتقد انه لذلك السبب نراه في سفر استير يجلس على باب الملك ولا يكون واقفاً كما هي عادة الحرس ان تفعل، وذلك بسبب تقدمه في الأيام.

الحقائق التاريخية عن أجزركسيس (Xerxes) تتفق مع ما تضمن عن الملك الفارسي في سفر استير

هناك حقائق تاريخية تشير على ان شخصية الملك في سفر استير كان Xerxes. من بينها ان Xerxes كان معروفاً في تغيير زوجاته بسهولة. لا نستطيع ان نقرر كم عدد الزوجات التي بدّلها. ويبدو ان وشتي كانت آخر زوجة له قبل ان يتزوج باستير. حقيقة انه قد طلّق وشتي لأنها رفضت ان تأتي لكي تُرى بجمالها من ضيوفه، أمرٌ يتفق مع كبريائه وطبعه الغريب كما وصفه المؤرخ اليوناني هيرودوتس.

ان ذكر سفر استير عن 127 ولاية للإمبراطورية يتفق مع الحقائق التاريخية. ومعروف بان داريوس كان يقسم الإمبراطورية إلى مقاطعات أو ولايات صغيرة، فقد كان مُنظِّما وإداريا عظيما. وقد اخضع متمردين في نواحي كثيرة من إمبراطوريته، ومدّ مُلكه في آسيا خاصة في الهند. ولقد احتل Thracia (تراقيا) أو بلاد التراقيين في

جنوب بلغارية الحالية. ولقد أضاف مدناً أخرى لمملكته، خاصة في اليونان ومناطق أخرى، الأمر الذي زاد من عدد الولايات في مملكته.

ولقد وجد ابنه أجزركسيس Xerxes الإمبراطورية منظمة بولاياتها. فازدياد عدد الولايات نستطيع فهمه على ضوء احتلاله لمناطق جديدة وتوسعاته في أوروبا. لذلك فان العبارة في سفر استير "وَحَدَثَ فِي أَيَّامِ أَحْشَوِيرُوشَ. (هُوَ أَحْشَوِيرُوشُ الَّذِي مَلَكَ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى كُوشٍ عَلَى مِئَةٍ وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ كُورَةً)"، نعتبرها حقيقة تاريخية أخرى تدل على دقة كتاب استير من ناحية تاريخية.

ان حياة أجزركسيس (Xerxes) معظمها يحتويها الغموض. فهناك كثير من الوثائق التي وُجدت في بلاد ما بين النهرين عن مُلك داريوس، ولكن هناك القليل عن أجزركسيس. والحقيقة ان أكثر المراجع عنه تأتي من كتابات هيرودوتس. ولكن كانت كتابات هيرودوتس عنه تدور بالدرجة الأولى عن صراعه مع اليونانيين، وبالأخص الحروب مع اليونانيين التي دارت في عام 480 قبل الميلاد، والتي تفاقمت في معركة Salamis التي حدثت في 28 سبتمبر من نفس العام أي 480 ق.م.، حيث خسر الفرس المعركة. هناك قليل مذكور عن حياة أجزركسيس الخصوصية والعائلية. خاصة بعد عودته من هذه المعركة وإعطاء نفسه للاهتمام بالنساء كما هو مذكور في التاريخ. فلا أحد يعرف بدقة كم مرة قد استبدل زوجته. وإذا كان اسم وشتي لم يُذكر في المراجع المحدودة التي وصلتنا عن حياته، فذلك لا يعني انه لم يكن متزوجاً بوشتي قبل زواجه باستير.

بالنسبة لصحة السفر من جهة تاريخية:

الموسوعة الكاثوليكية تعلق على سفر استير بهذه الكلمات:

> "كثير من الباحثين، إذ يلاحظون في اطلاع الكاتب على التقاليد الفارسية وصفات احشويروش، فإنهم يعتقدون بأنه، أي كاتب السفر، كان معاصراً لمردخاي، وانه قد استخدم مُذكراته".

اضافة لذلك فالباحثين في الكتاب المقدس يعتبرون سفر استير ككتاب تاريخي دقيق، واستشهد في كلماتA.L. Mcmahon:

"سفر استير هو تاريخي في الجوهر وتفصيلا. ويستند الباحثون في الكتاب المقدس من جهة أصالة السفر تاريخيا على النقاط التالية:

حيوية الأسلوب في السرد وعدم التعقيد فيه.

دقة التفاصيل وثقة الكاتب في سردها، مثل ذكره بشكل خاص أسماء ذاتيات غير مهمة، وتسجيل التواريخ والحوادث.

التلميح أو التطرق إلى سجل أحداث الفرس.

الخلو من المفارقة التاريخية: أي ذكر شيء يحدث من غير زمانه الصحيح.

توافق الأسماء مع الزمن التي وُضعت بها القصة.

تأكيد التفاصيل مع التاريخ وعلم الآثار.

احتفال اليهود زمن المكابيين في عيد الفوريم في ذكرى الإنقاذ الذي حدث لليهود بواسطة استير ومردخاي – راجع مكبيين الثاني: 15: 37. وايضا على زمن يوسيفوس فلافيوس (Antiq of the Jews, XI, vi, 13) وما تلاها من عصور . ولم يستطع أحد ان يعطي تفسيراً لعيد الفوريم غير الأصل الذي نشأ بواسطته كما هو معلن في سفر استير"[185]

عندما ندرس كتاب هيرودوتس، خاصة السابع والأعداد 8 و24 و35 و37-39 وايضا الكتاب التاسع والأعداد 108، نتأكد من توافق كتاب استير في سرده مع التاريخ الرسمي. مثلا في الكتاب السابع والعدد 8 هناك ذكر لاحترام أجزركسيس لتنظيم مملكته من العنصرين المادي والفارسي.

قِدم سفر استير

سفر استير يوجد ضمن النسخة السبعينية للكتاب المقدس، التي ترجمها بطليموس الثاني ادلفوس الذي حكم مصر عام 287 ق.م. فلقد أسس بطليموس الثاني مكتبة في الإسكندرية، وأراد ان يغنيها من خلال إضافة العهد القديم إلى كتبها. فنرى سفر استير كان أيضا مُعتبَراً ككتاب قانوني من العهد القديم، وذلك في بداية القرن الثالث ق. م. هذا يدل على ان سفر استير كان منتشراً بين اليهود قبل القرن الرابع ق.م.، الأمر الذي يكشف بان كاتب سفر أستير كان يعيش قريبا من زمن احشويروش أو في زمانه. كما رأينا بان احشويروش قد حُقِّق بـ أجزركسيس الذي ملك بين 485-465 ق.م.

الفوريم كاحتفال يهودي

ما سبق يبرهن على ان عيد الفوريم كان عيداً يهودياً قديماً. والحقيقة بان فوريم لم يظهر قط قبل سفر استير، ولم يُعرف أبدا بأنه عيد فارسي أو بابلي. إذ لا يوجد أي نقش أو كتابة فارسية وبابلية قد تطرقت إلى هذا العيد. وعندما نقرأ الكتب المقدسة الفارسية الزرادشتية، مثل زندا افستا، أو النصوص الفهلوية التي هي كتب التفسير القانونية والتقليدية لكتابهم الأصلي أي الأفستا، نجد هناك ذِكراً لكل الأعياد الدينية المُعتبَرة عند الفرس. ولكننا لا نجد هناك ذِكراً للفوريم. كل هذه المُعطيات تثبت بان عيد الفوريم كان عيداً يهودياً بحتا، قد ولد في عصر الملكة استير. ومن حيث ان جميع اليهود قد احتفلوا من عصر استير في عيد الفوريم، وفي معرفتنا بان الشعب العبراني لم يضف أبدا عبر التاريخ القديم أي عيد ديني للأعياد المذكورة في أسفار العهد القديم المأمورة من الله، هو في الحقيقة برهان واضح لاتصال الفوريم مع الحادثة التاريخية الهامة التي حدثت، أي

إنقاذ اليهود من الإبادة، وان الفوريم كان عيداً مأموراً في سفر استير الذي هو مُوحى من الله.

كذلك هناك ذكر لسفر استير في كتاب المكابيين الثاني الإصحاح 15 وعدد 13، حيث نجد الكاتب يؤكِّد على أهمية الاحتفال في عيد الفوريم الذي قد شُرِّع من زمن مردخاي، ويحثّ كتاب المكابيين في الاحتفال به في توقيته، أي 13 آذار المعروف بأنه نفس التوقيت الذي يحتفل اليهود به اليوم. وتاريخ كتابة المكابيين هو ما بين 135 – 125 ق. م.

الأسماء في سفر استير تدعم أصالة السفر

من جهة الأسماء المذكورة في سفر استير وان البعض منها ممكن انه مشتق من أسماء وثنية، لا يلغي لكون السفر مُتفِقاً مع التاريخ. بالعكس هو سند إضافي لكونه تاريخياً. فاسم استير ليس هو اسمها الأصلي العبراني. ففي الإصحاح الثاني من استير نجد اسمها الحقيقي:

"وَكَانَ مُرَبِّياً لِهَدَسَّةَ (أَيْ أَسْتِيرَ) بِنْتِ عَمِّهِ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَبٌ وَلاَ أُمٌّ. وَكَانَتِ الْفَتَاةُ جَمِيلَةَ الصُّورَةِ وَحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ وَعِنْدَ مَوْتِ أَبِيهَا وَأُمِّهَا اتَّخَذَهَا مُرْدَخَايُ لِنَفْسِهِ ابْنَةً."

إذاً اسمها الحقيقي هو هَدَسَّةَ. والأرجح أنها قد أُعطيت اسم استير من الجهات المختصة في القصر. فقد كانت هناك عادة عند المسئولين في قصور البابليين والفرس، في تغيير أسماء الأجانب الذين كانوا يريدون ان يستخدمونهم في خدمة الملوك، مُعطين إياهم أسماء بابلية أو فارسية. لا عجب إذا مرارا قد كانوا يختارون أسماء وثنية.

فلنا مثال في حالة دانيال وأصدقائه، الذين كانوا قد اختيروا لكي يُدرَّبوا من اجل الوقوف في خدمة الملك نبوخذنصر. فنقرأ في سفر دانيال 1: 7

"فَجَعَلَ لَهُمْ رَئِيسُ الْخِصْيَانِ أَسْمَاءً فَسَمَّى دانيال [بَلْطَشَاصَّرَ] وَحَنَنْيَا [شَدْرَخَ] وَمِيشَائِيلَ [مِيشَخَ] وَعَزَرْيَا [عَبْدَنَغُوَ]"

وفي سفر دانيال 4: 8 نعلم بان بلطشاصر الاسم الذي سُمي به دانيال كان اسما وثنياً. فلقد سُمي دانيال على اسم إله محلي كان نبوخذنصر يتعبد له، كما نفهم من كلمات نبوخذنصر:

"أَخِيراً دَخَلَ قُدَّامِي دَانِيآلُ الَّذِي اسْمُهُ بَلْطَشَاصَّرُ كَاسْمِ إِلَهِي".

لا عجب إذا كان اسم مردخاي مرتبطاً بمردوخ، إذ لا بد انه اسم بابلي قد أعطي له من الجهات المختصة في القصر، من حيث ان أبيه قد خدم في القصر البابلي كما رأينا سابقا. نقول ذلك مع انه هناك آراء مختلفة حول هذا الاسم. ان بعض الباحثين يعتقدون ان اسمه له علاقة بمردوخ، ولكن التقليد الحبري (أي المستخدم من الأحبار اليهود)

Rabbinic tradition يفسرون اسم مردخاي بأنه مركب من الصيغة الآرامية التي تعني المر النقي pure myrrh.[186]

نرى في سفر عزرا 2: 2 ونحميا 7:7 ان اسم مردخاي يتبعه اسم بلشان. والتقليد العبري يعتبر ان الاسمين (مردخاي وبلشان) هما اسمين لذات الشخصية[187]. الأمر الذي يوحي بان بلشان هو الاسم العبري الأصلي لمردخاي.

بالنسبة لهامان، فهو ليس الإله العيلامي المعروف تحت اسم همون Hammun. فكما رأينا سابقا هامان هو من أصل عماليقي. واسمه الذي من أصل فارسي Hamayunيعني magnificent أي بديع[188].

يبدو ان عائلته قد عاشت لأجيال في بلاد فارس قبل حدوث الواقع المذكور في سفر استير. وهناك احتمال آخر وهو ان ملوك فارس قد سمّوه بهذا الاسم. فمعروف بان ملوك الشرق قد استأمنوا للوظائف الحساسة في قصورهم أشخاصاً من قوميات أخرى.

في نهاية بحثنا في سفر استير، نرى ان السفر مُبرهنٌ تاريخياً في قِدمه، وان اسم هامان في التاريخ قد عُرف بسبب سفر استير. فالهجوم على هذا السفر لن يساعد في إلغاء خطأ محمد في نقل اسم مستشار الملك الفارسي احشويروش وجعله مستشارا لفرعون في عصر سبق سفر استير بقرابة ألف سنة.

الساحر السامري في القرآن

الساحر السامري منقول لعصر موسى

لقد أصبح سيمون الساحر، الذي ظهر في أعمال الرسل في كتاب العهد الجديد، أصبح في القرآن منقولاً لعصر موسى. فمحمد جعل شخصية سيمون الساحر بمواصفاتها في سفر أعمال الرسل وفي كتب الأبوكريفا، عائشةً زمن موسى في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

ولقد اقتبس محمد حادثة مشهورة سُجِّلت في سفر الخروج، التي هي قصة العجل الذهبي الذي عمله هارون تحت ضغط من الإسرائيليين، وذلك أثناء رحلة الإسرائيليين في البرية، ولكن محمد قد نسب عمل العجل "للسامري".

وفي سورة طه أي رقم 20 والآيات من 85-88 ينسب القرآن لله قوله:

> "قال فإنَّا قد فتنَّا قومَك من بعدك وأضلهم السامري. فرجع موسى إلى قومه غضبَنَ أسِفَا. قال يا قوم ألم يعِدكُم ربُكُم وعداً حسناً. أفطال عليكم العهدُ أم أردتُم ان يحلَّ عليكُم غضبٌ من ربكم فأخلفتُم موعدي. قالوا ما أخلفنا موعدَكَ بِمَلكِنا ولكنّا حُمِلنا أوزارا من زينَة القوم فَقَذَفنَها فكذلك ألقى السامريُّ. فأخرج لهم عِجلا جسدا له خُوار. فقالوا هذا إلهُكُم وإله موسى فَنَسِى"

وتستمر السورة ابتداء من الآية 95

> "قال فما خطبُكَ يا سامري. قال بَصُرتُ بما لم يبصروا به. فقبضت قبضةً من أثر الرسول فنبذتُها، وكذلك سوَّلت لي نفسي. قال أذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مِساس وإن لك موعدا لن تُخْلَفَهُ. وانظر الى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عَاكفا.."

كما نرى من هذه الآيات القرآنية، أن القرآن يدّعي بان الشخص الذي عمل العجل كان السامري وليس هارون. ونلاحظ بان محمداً يقول في الآية "السامري" وليس "سامري". ذلك يشير على انه كان يتكلم عن سامري معروف، الذي اسمه كان مألوفاً لدى مستمعيه.

لا يوجد شك من ان ذلك السامري هو سيمون الساحر السامري الذي ظهر في سفر أعمال الرسل في العهد الجديد. فلقد أضلَّ سيمون الساحر مدينة السامرة بسحره. نقرأ ذلك في الإصحاح الثامن من سفر الأعمال والآيات 9-13:

"وَكَانَ قَبْلاً فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سِيمُونُ يَسْتَعْمِلُ السِّحْرَ وَيُدْهِشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ قَائِلاً: «إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ!». وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتْبَعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ: «هَذَا هُوَ قُوَّةُ اللهِ الْعَظِيمَةُ». وَكَانُوا يَتْبَعُونَهُ لِكَوْنِهِمْ قَدِ انْدَهَشُوا زَمَاناً طَوِيلاً بِسِحْرِهِ. وَلَكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدُوا رِجَالاً وَنِسَاءً. وَسِيمُونُ أَيْضاً نَفْسُهُ آمَنَ. وَلَمَّا اعْتَمَدَ كَانَ يُلاَزِمُ فِيلُبُّسَ وَإِذْ رَأَى آيَاتٍ وَقُوَّاتٍ عَظِيمَةً تُجْرَى انْدَهَش "

الساحر السامري وصورته الخرافية كأساس لادعاء القرآن انه قد خلق عجلاً حياً في البرية

لقد أصبح سيمون الساحر شخصيةً مشهورةً في القرون التي تلت العصر الميلادي. فلقد أسس هرطقة عُرفت بالسيميونية Simonianism. فقد أدّعى انه الله وانه خلق الحياة. لقد كان قد أظهر اهتماماً في المسيحية، وذلك عندما رأى فيليبس المبشِّر يعمل آيات عظيمة باسم المسيح. ولكن اهتماماته قد ثبت أنها إعجاب في المعجزات التي كانت تجري في مدينة السامرة باسم المسيح، أكثر من كونها محبة حقيقية للحق. من الواضح انه كان يظن انه يستطيع ان يقلِّد المعجزات، وتخيّل انه يستطيع ان يتعلم أسراراً من خلالها يستطيع ان يعمل المعجزات.

ولما سمع الرسل ان مدينة السامرة قد قبلت الإيمان بيسوع أرسلوا بطرس ويوحنا لكي يشددوا التلاميذ. نقرأ عن ذلك في أعمال الرسل 8: 14-17:

"وَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ السَّامِرَةَ قَدْ قَبِلَتْ كَلِمَةَ اللهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا. اللَّذَيْنِ لَمَّا نَزَلاَ صَلَّيَا لأَجْلِهِمْ لِكَيْ يَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ-غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَمِدِينَ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. حِينَئِذٍ وَضَعَا الأَيَادِيَ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ"

ولقد ظنَّ سمون الساحر انه يستطيع ان يشتري هذه الموهبة بالمال، مما يدل على انه بقي يفكر كساحر وليس كمسيحي حقيقي. ونستمر نقرأ في الأعداد 18-23:

"وَلَمَّا رَأَى سِيمُونُ أَنَّهُ بِوَضْعِ أَيْدِي الرُّسُلِ يُعْطَى الرُّوحُ الْقُدُسُ قَدَّمَ لَهُمَا دَرَاهِمَ قَائِلاً: «أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضاً هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ». فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلاَكِ لأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِيَ مَوْهِبَةَ اللهِ بِدَرَاهِمَ. لَيْسَ لَكَ نَصِيبٌ وَلاَ قُرْعَةٌ فِي هَذَا الأَمْرِ لأَنَّ قَلْبَكَ لَيْسَ مُسْتَقِيماً أَمَامَ اللهِ. فَتُبْ مِنْ شَرِّكَ هَذَا وَاطْلُبْ إِلَى اللهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ لأَنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ الْمُرِّ وَرِبَاطِ الظُّلْمِ». فَأَجَابَ سِيمُونُ: «اطْلُبَا أَنْتُمَا إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِي لِكَيْ لاَ يَأْتِيَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْتُمَا».

تأثير هذه الأعداد من سفر الأعمال على محمد هو واضح. فالقرآن يتكلم عن "السامري" كشخص قادر ان يعمل آيات عظيمة، بما فيه خلق عجل الذي خواره يدل على انه عجل حي. والحقيقة انه في القرون الأولى بعد الميلاد قد نُسبت لسيمون الساحر من أتباعه قدرات خلاقة. ولقد استمرت هرطقة سيمون إلى عدة قرون بعد العصر الميلادي. ومن خلال كتابات آباء الكنيسة نعلم بان سيمون الساحر قد ادّعى انه الله الموجود بقوة في كل إنسان. وكتب هيبوليتوس Hyppolytus، وهو أحد الآباء الكتّاب المدافعين عن المسيحية الذي عاش في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، ذاكِراً ادّعاءات سيمون بأنه هو القوة الكامنة في كل إنسان، كما انه القوة العلوية التي لم تُنجب[189]. كما يذكر ادّعاء سيمون بأنه القوة اللامتناهية[190]. ويقول أيضا هيبوليتوس:

"يدّعي سيمون انه هو الذي كان في الماضي، وهو الآن يقوم في الحاضر وسوف يكون في المستقبل. وانه القوة التي فوق كل الأشياء"[191].

ولقد أُعطي سيمون الساحر أهمية عظيمة في هرطقة السميونية التي أسسها. فلقد جُعل سيمون في نظر الهرطقة انه قوة تنافس الله، يخلق أجساداً كما يخلق الله أجساداً. وسمعته قد ازدادت نسبة لادعاء تابعيه انه يستطيع ان ينافس الأعمال التي يعملها الله. وسريعا تحوّل السامري لكي يكون اسماً قد آمن الكثيرون انه الصورة السلبية المنافسة لله، وان في مقدوره ان يخلق ويقلّد الله. من هنا نرى كيف ان صفة الخلق كما هي موصوفة في القرآن، خلق جسد عجل بخوار، انها منسوبة "للسامري".

صورة سيمون الساحر السامري في كتب الأبوكريفا كأساس لفكرة السامري في القرآن

الصورة للسامري، الذي يحول العجل الذهبي إلى عجل حي له خوار، مشتقة من صورة سيمون الساحر السامري التي نجدها في بعض كتب الأبوكريفا. مثلا يُقال عن سيمون الساحر في الإصحاح 31 من أعمال بطرس(الذي يعود لمنتصف القرن الثاني ميلادي):

"رغم انه قد حُكم عليه بأنه كان يعمل سحراً، لكنه جعل بعض الرجال العرج ان يمشون لفترة صغيرة، وظهر انه يجعل الموتى تعيش وتتحرك كما فعل مع Nicostratus " (المقصود انه قد جعله من خلال السحر وكأنه حي ولكن دون ان يقيمه من الأموات).

ولكن صورة سيمون الساحر السامري كمحيي الأجساد الجامدة من خلال السحر نراها خاصة بما تسمى بالكتابات المزيفة لكليمنت والتي تُقسم إلى قسمين: Clementine Homilies أي عظات كليمنت. وهي تتألف من 20 كتاب (موجودة أصلا باللغة اليونانية). ثم Clementine Recognitions أي اعترافات كلمنت. مترجمة من اليونانية من المؤرخ واللاهوتي Rufinus الذي مات عام 410 م. وهناك

أجزاء من كتابات كلمنت المزيفة المترجمة من Rufinus معروفة باللغة العربية والسريانية.

نرى في الكتاب الثاني من اعترافات كلمنت The Recognitions of Clement الادعاء من ان كليمنت (الذي أصبح أسقفا لروما في وقت لاحق) كان تلميذاً لسيمون الساحر، ثم تحوَّل إلى المسيحية من خلال وعظ زكا Zacchaeus وصار يرافق بطرس[192]. ونقرأ في الكتاب الثاني من Clementine Homilies ان اكويلا Aquila، كان واحداً من الذين كانوا تلاميذ لسيمون الساحر ثم أصبح مسيحياً، يعرّف عن سيمون لبطرس بهذه الكلمات:

"اسمع أيها الأخ العزيز. حتى تعرف بدقة عن هذا الرجل، من هو وماذا ومتى وما هي الأشياء التي يعمل، وكيف ولماذا يعملها. سيمون هذا هو ابن انتونيوس وراحيل Antonius and Rachel. وهو سامري الجنسية، من قرية Gitthae التي تبعد ستة schoeni عن المدينة. لقد علّم نفسه بطريقة عظيمة في الإسكندرية. ومن حيث انه قوي جدا في السحر، وكونه طموحاً، أراد ان يُرى بقوة عالية، أعظم حتى من الله الذي خلق العالم. وبعض الأحيان ادّعى انه المسيح مُدّعياً انه القائم. واستخدم هذا اللقب، ملمّحاً انه سوف يكون دائما قائماً، وانه بسبب انه لا يملك أي نوع من الفساد، فجسده لن يسقط. وهو لا يقول أبدا بان الله الذي خلق العالم انه الأسمى أو الأعلى. ولا يقول ان الموتى سوف يقومون."[193]

تعطي هذه الكتابات فكرة ان الساحر السامري يعطي للتماثيل الجامدة حياة. بحسب كتاب The Recognitions of Clement, book 2 يتحدث Aquila لبطرس قبل المناظرة التي-بحسب هذه الكتابات- كانت مُرتَّبة بين بطرس وسيمون الساحر، ويحذّره من سحر سيمون وخطورته. فيذكر كيف كان سيمون الساحر يقول له ولآخرين عندما كانوا تلاميذه قبل ان يتحوّلوا إلى المسيحية:

"إنني قادر ان اجعل نفسي غير مرئي من الذين يودون ان يلقوا القبض علي، وان أعود مرئيا عندما أريد ان أكون مرئيا... إنني أستطيع ان اجعل الحواجز ان تنفتح من ذاتها. وأستطيع ان اجعل التماثيل ان تكون حيّة، حتى ان الناظرين يفترضون انها رجال. أستطيع ان اجعل الأشجار ان تنمو فجأة وتنتج أغصاناً حالا.. وأستطيع ان أغيِّر ملامحي بحيث لا يُتعرَّف علي... مهما رغبت فإنني قادر ان افعله. ولقد حققت أموراً كثيرةً من خلال التجارب."[194]

نلاحظ من هذه الاستشهادات فانه بحسب هذه الكتابات، يعلن سيمون الساحر السامري انه يقدر ان يخلق حياة في التماثيل، ويحوِّلها إلى رجال تُرى حقيقيين، وهو العمل المُشابه لما فعله السامري في القرآن، إذ حوّل العجل الذهبي إلى عجل له خوار، أي عجل حي.

هذه كتابات الأبوكريفا تعبِّر عن فكرة خرافية منسوبة للساحر السامري والتي امتدت لقرون كثيرة بعد الميلاد، وهي انه عنده قدره لتحويل الأمور الجامدة إلى حياة. ونرى مثلاً في الكتاب الثاني من مواعظ كلمنت المزيفة Pseudo-Clementine

Homilies ان كلمنت يقول انه قد قيل لـه بـان سيمون السـاحر السـامري يجعـل التماثيـل ان تمشـي:

"لقد قالوا لي انه يجعل التماثيل تمشي، وان يلف جسده في النار دون ان يحترق، وانه أحيانا يطير ويجعل من الحجارة خبزاً، ويتحول إلى ثعبان، ويغيّر نفسه إلى عنزة، ويجعل ذاته ذا وجهين .... ويذيب الحديد... ولقد تعجبت عندما سمعتهم يتحدثون بذلك، ولكن كثيرين قد شهدوا أنهم كانوا حاضرين وأنهم رأوا هذه الأشياء."[195]

نلاحظ هنا أيضا سيمون يجعل التماثيل ان تسير. فهي صفة مُلازِمة له بحسب هذه الكتابات وهـي إحيـاء الأشـياء الجامـدة. وبحسـب الكتـاب الرابـع مـن هـذه المـواعظ تقـول برنيس Bernice – التي هي تلميذة سابقة له بحسب هذه الكتابات-انه عندما كان سيمون الساحر يمشـي، كانـت التماثيـل تتحـرك وأخيلـة كانـت تتقدمـه، الـذي كـان يقـول عنهـا انهـا نفوس الموتـى:

"هذه الأمور هي تماما كما سمعتم. وسوف أخبركم أموراً أخرى عن سيمون التي ربما لا تعرفونها. فهو يدهش كل المدينة كل يوم جاعلاً أشباحاً وأرواحاً ان تظهر في وسط السوق. وعندما كان يتجوّل كانت التماثيل تتحرك، وتتقدمه أخيلة كثيرة كان يقول عنها انها نفوس الموتى".[196]

كان سيمون الساحر السامري بحسب هذه الكتابات قد ادّعى انه خلق ولداً من خلال رسـم ولـد وإعطائـه الحيـاة. وهـي تعبيـر عملـي عـن ادعائـه فـي إعطائـه الحيـاة للأمـور الجامدة، سواءً كانت رسماً أو تمثالاً أو حيواناً معدنياً الخ. الامر الـذي يشـبه فكـرة إعطـاء عجل ذهبـي حيـاة كمـا نراهـا فـي القـرآن. ولكـن تلاميـذ سـيمون الـذين صـاروا مسـيحيين، يفسِّرون ذلك كما نرى في الكتاب الثاني من هذه المواعظ، كما يلي:

"لقد بدأ يرتكب جريمةً، كما اطّلعنا من صديق إلى آخر، بأنه فصل نفسَ ولدٍ عن جسده من خلال سحر بشع، إذ السحر هو مُساعِده لعمل أي شيء كان يرضيه. ثم رسم صورةً للولد ووضعها في الغرفة التي كان ينام فيها. وقال انه يوما قد خلق ولداً من هواء، من خلال فن الهي، راسماً شبهه ومُطلِقاً إياه(أي نفسه) في الهواء. ... ولكن قد أقنع نفسه انه قادرٌ ان يخلق نوعاً جديداً من الناس، مدّعياً انه قد أعاد هذا الإنسان للهواء. وعندما قال ذلك لآخرين قد صدّقوه. ولكن بالنسبة لنا الذين كنا حاضرين عند عمل أموره قد كذبّناه من ناحية دينية. وشجبنا عدم تقواه، ثم انسحبنا منه "[197]

ولكن بحسب الكتاب الثاني من "اعترافات كلمنت" يدّعي سيمون انـه قـد خلـق ولـداً من الهواء، وان عمله أعظم من عمل الله الخالق الذي خلق انساناً من التراب. أمـا أتباعـه الذين انسحبوا منه وصاروا مسيحيين، فقالوا انه كان يـتكلم عـن الولـد، الـذي بعـد ان قتلـه فاصلاً نفسه عن جسده، قد استخدم نفسَ الولـد فـي الأمـور التـي عملهـا. أي واضـعاً نفسـه في رسمته مُحيّياً إياه كولدٍ في الهواء.[198]

هنا نرى إظهار قدرة سيمون الساحر السامري في خلق حياة جديدة من خلال وضع نفس في شكل جامد. وهي مُماثِلة لخرافة القرآن: ان الساحر السامري وضع حياةً في عجل ذهبي.

كما رأينا-بحسب هذه الكتابات -بان تلاميذه قد تركوه بسبب ذلك. إذ عرفوا حيله في وضع حياة مخلوقة في أمور جامدة. رغم ادعائه انه قد خلق إنساناً من هواء. وهي اكتشافهم انه لا يخلق الحياة ولكن يستعيرها، وبواسطة السحر يضعها في الأمور الجامدة فتحيا. ونرى الآية القرآنية تقول بان السامري قد اخذ غباراً من آثار فرس جبريل، أي استعار حياة من جبريل، ووضعها على العجل الذهبي فصار له خوار، أي صار حيّاً. وهي نفس الصورة المنسوبة لسيمون الساحر السامري في هذه الكتابات. مما يدل على ان الخرافة في جيل محمد قد استعارت صورةً مشهورةً عن سيمون الساحر السامري، وطبَّقتها في القصة المذكورة عن هارون الذي صنع عجلا من ذهب في البرية. فالآية القرآنية هي منسوبة "للساحر سامري"، وهي من نفس تخصص سيمون السامري في هذه الكتابات. فواضح بان محمداً الذي نقل هامان وزير احشويروش الفارسي، واضعاً إياه كوزير لفرعون في زمن موسى، الآن قد استعان في الصورة الخرافية لسيمون الساحر السامري: في اسمه كسامري، وفي تخصصه كمحيي الأمور الجامدة، لكي يكون مُعطياً حياة للعجل الذهبي المذكور زمن موسى.

كيف انتشرت خرافات الكتابات المزيفة لكلمنت إلى مكة؟؟

يقول ابيفانوس (أسقف سلاميس Salamis – قبرص-الذي مات عام 403 م) بان الأبيونيين كانوا يستخدمون The Pseudo-Clementine writings كتابات كلمنت المزيفة[199]، من حيث محاربة هذه الكتابات لبولس الرسول، مثلا مصورين بان اسم سيمون الساحر هو لقب لبولس. كذلك فان هذه الكتابات تعطي أهميةً للناموس وموسى، وتجعل بطرس مُتحمِساً للناموس، الأمر الذي يتفق مع أفكار الهرطقة الأبيونية. فلقد ذكر آباء الكنيسة كيف كان الأبيونيون يؤمنون بان بولس كان مُرتداً عن العقيدة مُعلِماً ضد الناموس[200].

وانتشار الأبيونيين في شمال شبه الجزيرة العربية هو أمرٌ مؤكَّد. إذ يذكر ابيفانوس Epiphanius عن انتشار بعض الهرطقات النصرانية، مثل الكسائيين والأبيونيين، في منطقة شرق الاردن والنبطية، التي في فترة ما ابتداء من العصر الاول قبل الميلاد كانت قد امتدت في شمال شبه الجزيرة العربية أيضا. حيث كانت مدينة الحجر في شمال مكة، مدينة نبطية منذ القرن الاول قبل الميلاد، وذلك عندما احتل الأنباط المنطقة التي كانت للحيانيين. فنفهم من ابيفانوس عن انتشار الأبيونية في زمانه اي في القرن الرابع ميلادي في النبطية وبلاد مؤاب[201]. وفي موقع آخر يتحدث ابيفانوس عن الأبيونيين انهم بدأوا نشاطهم من شرق الاردن، ويتحدث ايضا عن العربية

كأحد الامكنة حيث كانوا يعملون[202]. لذا نفهم كيف انه زمن محمد قد كان للابيونيين تواجد في منطقة مكة.

ونحن نعلم انتشار هرطقة الأبيونيين في مكة. فقد كان ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، والرجل الثاني من الأحناف بعد زيد بن عمرو بن نفيل، ابيونياً. ويؤيد ذلك انه ترجم الإنجيل بحسب العبرانيين إلى العربية. إذ نقرأ عن ورقة بن نوفل

> "كان يكتب الكتاب العبراني، فكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء ان يكتب"[203].

وكذلك انتقال العقائد الأبيونية إلى القرآن، حيث كان ورقة بن نوفل المصدر الرئيسي للقرآن قبل وفاته. حتى انه بعد وفاته كما سبق ورأينا قد "فتر الوحي". ووجد محمد نفسه في أزمة إلى ان تعرّف على مصادر جديدة لوحيه.

وقد ترك الأبيونيون تأثيراً على القرآن والإسلام. فمثلا في موضوع الحسنات والزكاة. فقد عُرِف الأبيونيون في جعل موضوع الحسنات كركن من ديانتهم[204]. وقد أصبحت الزكاة في الإسلام ركناً أيضا من أركانها. وكما نفهم من كتابات آباء الكنيسة كان الأبيونيون يهوداً يعيشون حياة التقشف، وكانوا متعصبين للشريعة الموسوية. وكانوا يوقرون مدينة اوروشليم بصورة خاصة[205]. ذلك يفسِّر التحنُّف في الغار لورقة بن نوفل وخديجة، وفي وقت لاحق لمحمد. كذلك يفسِّر وجود كثير من الشرائع اليهودية في الإسلام، كذلك موضوع قبلة محمد نحو اوروشليم، رغم انه غيّرها نحو مكة، وذلك بعد ان هاجر إلى المدينة، لكي يتوافق مع زعماء الأوس والخزرج الذين كانوا يصلون باتجاه قبلة مكة وهم وثنيون.

من خلال دراسة Panarion كتاب ابيفانوس في كشف الهرطقات وتفنيدها. نفهم بعض تأثيرات الأبيونيين على الاسلام. اضافة الى عدم اعتراف الأبيونيين بلاهوت المسيح، واعتباره مجرد انسان، هناك طقوس وعقائد اخرى أبيونية قد تركت تأثيرها على الاسلام، منها:

1-يقول عن ابيون -مؤسس الأبيونية-

> "انه قد اضاف تشريع عدم لمس الأمي او الوثني. وانه كل يوم، إذا عاشر رجل امرأة. فبعد المعاشرة يجب ان يغطس نفسه في الماء-اي ماء يجد سواء في البحر او اي مكان. اضافة انه إذا وجد اي انسان عند رجوعه من تغطيس نفسه او عمل حمام في الماء، عليه ان يعود ثانية من اجل غطس نفسه ثانية، حتى مع ملابسه."[206]

هنا مبدأ التنجيس من لمس غير المؤمنين، الذي صار في الاسلام. كذلك تشريع غسل الجنابة في الاسلام بعد لمس النساء اي بعد العلاقة الجنسية والتطهير من خلال الاستحمامات الكثيرة.

2-ايمانهم فقط بالإنجيل بحسب متى ويسمونه الانجيل بحسب العبرانيين او العبراني. فيكتب ابيفانوس:

"انهم يقبلون انجيل متى ويسمونه حسب العبرانيين[207].

ويضيف قائلا:

" رغم انه ليس انجيلاً كاملاً ولكنه محرف ومشوه. ويسمونه العبراني"[208]

ذلك يذكّرنا بورقة بن نوفل، كما سبق وذكرنا، الذي كان يترجم الانجيل العبراني. ويدل على علاقة ورقة بالأبيونيين.

3-نظام وضوءات يومية. كانوا يدّعون بان بطرس كان يعتمد كل يوم من اجل التطهير، كما هم يفعلون.209 – من هنا فكرة الوضوءات. ولكن الوضؤات كما يكشف ذلك ابيفانوس هو بسبب انغماسهم الجنسي المفرط، فانهم يتخذون من الماء وسيلة لتطمين نفوسهم ان عندهم تطهير من خلال الوضؤات[210].

من هنا نرى تشابه مع الاسلام، ليس فقط من جهة الوضوء التي الاسلام يعتبرها وسيلة للتطهير، ولكن ايضا من جهة الانغماس في الجنس، كما كان محمد يجيز للمرافقين معه في الغزوات ان يستمتعوا بنساء وبنات المقهورين. وكذلك يجيز لهم ان يطئوا ما ملكت ايمانهم.

4- وهناك افتخارهم في الختان[211]. الامر الذي صار في الاسلام.

5- اعتبارهم لهارون كنبي عظيم مثل ابراهيم وموسى[212]. وهنا نرى تأثير واضح على الاسلام حيث هارون هو نبي هام، مع انه بحسب الكتاب المقدس لا يحظى في منزلة النبوة.

6-عندهم عدم التزام في القيم العائلية التي أعلنها العهد الجديد. فتساهلهم وانغماسهم في الجنس المفرط، جعل هناك عدم اهتمام في العائلة وفي بناء عائلات على اسس دائمة بحسب كلمة الله. فيعطون اولادهم للزواج عندما يكونون صغارا جدا، بموافقة معلميهم[213]. اذ إشباع الغريزة والشهوات لها اولويات على اي اعتبار عندهم. وهذا ما نراه في المحمدية حيث محمد يتزوج من عائشة وهي ابنة ستة سنوات. كذلك لا يوجد التزام نحو الزواج. فيقول ابيفانوس عنهم في هذا الخصوص:

"لا يسمحون للناس ان تبقى على زواج واحد؛ فاذا اراد واحد ان ينحل من زواجه الاول ويعقد زواجاً ثانياً فهم يسمحون بذلك بدون تردد، الى عقد ثاني وثالث وحتى الى زواج سابع."[214]

ولذلك نرى تأثير هذه الهرطقة على الاسلام، حيث ان الانسان يطلق بمجرد ان يقول "طالقة بالثلاثة". وكلها مبنية على المبدأ الأبيوني في إشباع الشهوات على حساب الزواج الذي هو في الكتاب المقدس رباط مقدس أبدي، مشبه برباط المسيح في الكنيسة.

لقد أنكر الأبيونيون لاهوت المسيح واعتبروا يسوع نبياً مثل موسى، وأنكروا الفداء وقيامة المسيح. والبعض منهم قد أنكر الولادة العذراوية، والبعض قد أقرّها. ومساهمة الأبيونيين في العقائد الإسلامية، خاصة من جهة يسوع، أمرٌ مُسلَّمٌ به من كثير من الباحثين[215].

وحمْل الأبيونيين لكتب كلمنت المنحولة تجعل شخصية سيمون الساحر السامري التي تتكلم عنه هذه الكتابات بإسهاب انه شخصية تقلد الله في موضوع الخلق، وتحيي الأجساد المائتة من خلال السحر، معروفةً لورقة الأبيوني ولتلميذه محمد. بحيث عندما أراد محمد ان يحل معضلة كيف ان العجل الذهبي قد تحوّل إلى عجل حي له خوار، لم يجد أنسب من شخصية سيمون الساحر السامري لإجراء ذلك العمل السحري الخلاق.

التشابه الكبير بين توبيخ بطرس لسيمون في سفر الأعمال وقصاص السامري في كتب الأبوكريفا وتوبيخ موسى للسامري في القرآن

من السهل ان نستدل من خلال دراسة قصة السامري والعجل في القرآن، على حقيقة اعتماد محمد على سردٍ مُحرَّفٍ لسرد أعمال الرسل عن سيمون السامري الساحر، إضافة لما نسبت كتب الأبوكريفا لسيمون الساحر السامري. فبحسب القرآن قد أظهر موسى للسامري حالته التعيسة ومستقبله وقصاصه الذي ينتظره، وذلك بعد ما عمل العجل. وطلب موسى من السامري ان يتطلع إلى الله من اجل التوبة. فيقول القرآن ان موسى قال للسامري: "أذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مِساس". وهو وصف للعزلة، وان لا أحد يخالطه أو يمسه. ويقول الطبري في تفسير ذلك:

"وذُكر أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه، ولا يخالطوه ولا يبايعوه. فلذلك قال له: إن لك في الحياة أن تقول لا مساس"[216].

ويقول القرطبي:

"قال الحسن جعل الله عقوبة السامري ألا يماس الناس ولا يمسوه عقوبة له ولمن كان منه إلى يوم القيامة؛ وكأن الله عز وجل شدَّد عليه المحنة، بأن جعله لا يماس أحداً ولا يمكن من أن يمسه أحد، وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا"[217]

وهي عبارة تحت تأثير سرد سفر الأعمال عن توبيخ بطرس لسيمون الساحر السامري، إذ يقول له بطرس في العدد 23 من الإصحاح الثامن: "لأَنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ الْمُرِّ وَرِبَاطِ الظُّلْمِ». مرارة ناتجة عن تأديب سوف يحل بك في نفسك ومرارة العزلة عن الله والناس.

ولكن الفكرة القرآنية في عزلة السامري وعدم مسّه من أحد نراها في كتب الأبوكريفا: ففي الإصحاح 14 من كتاب أعمال بطرس، نرى سيمون الساحر يُعامل بقسوة من الناس؛ الكل يضربه ويتجنبه ويبتعد عنه، لئلا يتنجس بعدم الإيمان الذي سبَّبه لهم قبل وصول بطرس إلى روما. وايضا نرى في الإصحاح 19 من كتاب أعمال

بطرس، بان مارسلوس Marcellus الذي كان قد أقام سيمون في بيته، يقول لبطرس "بأنه قد طهّر بيته من آثار سيمون، وتخلص حتى من غباره الشرير".

هناك أيضا عن سيمون الساحر في كتاب ابوكريفي يعود للقرن الثاني م. يُدعى "رسالة الرسل"(The Epistula Apostolorum (Letter of the Apostles كانت تتمسك به الكنيسة الأثيوبية. ونجد هناك تحذيراً بعدم الاقتراب إلى سيمون الساحر والى Cerinthus.

> Cerinthus و سيمون هم اعداء لربنا يسوع المسيح، فهم يزيغون العالم. فاعتزلوا عنهم. اذ بهم الموت، وتنجيس هدام عظيم[218].

ومعروف ان الأحباش كانوا يتواجدون بعدد كبير في مكة. ففكرة انتقال قصص عن سيمون الساحر السامري وانتشارها في مكة ليس أمراً غريباً.

ونرى أيضا ان موسى في القرآن يعلن المستقبل الأبدي التعيس للسامري. فهو هالك في الأبدية، وانه حقا سوف يواجه يوم الدينونة التي بها يُدان. ذلك معبَّر عنه أيضا في الآية 97 من سورة طه، بهذه الكلمات "وإن لك موعدا لن تُخْلَفَهُ". ويعلن بطرس أيضا للساحر السامري انه شخصٌ مُدان، وذلك عندما يقول له:"لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلاَكِ".

كل هذه التشابهات تشير على انه ربما كان عند محمد ترجمة خاطئة لسفر أعمال الرسل، أو انه سمع من مراجعه النصرانية سرداً مُحرّفاً عن موضوع السامري في سفر أعمال الرسل. وايضا كان تحت تأثير الخرافات الموجودة في كتب الأبوكريفا، التي لا شك كان الأبيونيون يحملونها ويروجونها، اضافة لبعض كتب الأبوكريفا التي كانت جماعات من الأحباش توقرها.

قد فهم محمد ومصادره الخرافية ان العجل الذهبي تحول إلى عجل حقيقي ذي خوار

اضافة لما جاء في سورة طه عن العجل، فسورة الأعراف، أي السابعة، والآية 148 تقول:

> "واتخذ قومُ موسى من بعده من حُليَهِم عجلا جسدا له خُوار".

نرى من أحاديث محمد انه عندما يستخدم تعبير "حيوان له صوت أو بقرة لها خُوار" فانه يستخدمه للحيوان الحي. فمثلا نرى في حديث له كما نراه في صحيح البخاري، يستخدم تعبير "جمل له رُغاء وبقرة لها خوار"، مُعنياً بذلك انه جمل حي وبقرة حية[219]. ذلك يدل على ان محمداً قد عنى في القرآن من عبارة "جسدا له خوار" بأنه حقيقةً عجل حي.

وقد أكدَّ الصحابة والمسلمون الأوائل أيضا ان القرآن قد قصد في العجل انه كان عجلا حياً. نرى ذلك مثلا في أقوال ابن عباس[220]. وكذلك فان أهم مفسري القرآن مثل

الرازي يؤيدون فكرة ان العجل كان عجلاً حيا[221]. ويفسّر القرطبي ذلك بان تلك الحلي تحولت إلى عجل حقيقي له خوار. فيقول:

"وقيل: قلبه الله لحما ودما. وقيل: إنه لما ألقى تلك القبضة من التراب في النار على الحلي صار عجلا له خوار"[222]

والطبري يستشهد بالسدي الذي يقول عن ذلك العجل انه "وكان يخور ويمشي"[223].

كيف تطورت الخرافة القرآنية في جيل محمد

يبدو ان الخرافات اليهودية في شبه الجزيرة العربية قد جعلت العجل الذهبي انه تحول إلى عجل حي له خوار. ولكن من يستطيع ان يحول الأمور الجامدة مثل العجل الذهبي أو التماثيل إلى أمورٍ حية؟ فالشخصية الوحيدة التي كانت مُنافسة لله، وقادرة ان تستعير حياةً وقوةً وتضعها في الأمور الجامدة وتجعلها حية، هي سيمون الساحر السامري. فلا شك ان مجموعات جاهلية زمن محمد قد استبعدت ان هارون يستطيع ان يحول العجل الذهبي إلى عجل حي. وكان حاضراً في الذهن شخصية سيمون الساحر السامري كالوحيد الذي يقلد الله في هذه الأمور. فنُسِبت له هذه العملية.

هناك عنصر آخر قد قادهم لرؤية سمون الساحر السامري كبطل تلك العملية: وهو ان مدينة السامرة كانت تعبد عجلاً تعتبره إلهاً (انظر سفر هوشع 8 : 6). فذاك ساهم أيضا في جعل العجل الذي في البرية زمن موسى ان يتحول لكي ينتمي للسامريين، وان يكون السامري هو الذي حوّله إلى عجل حي.

ومن الواضح ان تلك الجماعات كانت تجهل التسلسل التاريخي. من حيث ان سيمون الساحر قد عاش في عصر رسل المسيح، أي في القرن الاول الميلادي، بينما موسى قد عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ومحمد في جهله في التسلسل التاريخي قد انخدع من تلك الخرافة. فهناك أيضا جهل تلك الجماعة وكذلك محمد في حقيقة ان تعبير سامري لم يوجد قبل القرن السادس قبل الميلاد، بينما موسى قد قاد الشعب في البرية في الجزء الاول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

الادعاء في خلق بقرة من خلال السحر كان جزءا من الكتابات الزرادشتية

كما رأينا ان القرآن يدّعي ان السامري قد خلق عجلاً حياً. ولكن هذه الخرافة ليست شيئاً جديداً: ففكرة انه يمكن خلق حيوانات حية من خلال السحر نجدها في الكتابات الزرادشتية. فنقرأ في سفر بونداهيس Bundahis-وهو واحد من الأسفار الفهلوية- بان نوكتارجا Noktarga، من السلالة القديمة الفارسية، قد نجح ان يخلق من خلال السحر بقرةً، وجعلها للحراثة، وأنها ولدت عجولاً[224].

ان فكرة ان ساحراً يستطيع ان يخلق عجلاً حياً، كما نجد ذلك في القرآن، هي بلا شك تحت تأثير الميثولوجيا الزرادشتية. وهي في تضارب مع الكتاب المقدس، حيث نجد ان الله وحده يستطيع ان يخلق. فلا روح أو ساحر يستطيع ان يقلّد الله في هذه الوظيفة أو الخاصة الفريدة لله.

الميثولوجيا المتعلقة بتعليم هرطقة سيمون الساحر وشخصية بثاهيل –جبريل في المندائية وأثرها على القرآن في موضوع خرافة خلق عجل حي

ان سرد القرآن هذا هو في الحقيقة مزيج لأكثر من سرد من مصادر مختلفة، مُضَافاً إليه خرافات مختصرة آتية من الديانات الوثنية السابقة والفِرق الخرافية في عصر محمد. فمثلا النص في سورة طه، أي رقم 20، والآيتين 95 و96 هو مثال جيد لهذا المزج. فبعض الفِرق الغنوصية تجعل ان الذي خلق العالم ليس الله ولكن ملاكاً. فبحسب الكتاب 18 من Homilies Pseudo-Clementine يقول سيمون الساحر السامري بان "القوة السائدة" أرسلت ملاكين: الملاك الاول لكي يخلق العالم، والثاني لكي يعطي الشريعة[225]. وهنا نرى صورة ملاك خالق مُرسلٍ من هذه القوة. وهي في توافق مع الخرافة القرآنية من ان الذي مدّ الحياة للعجل هو جبريل الخلاق "الرسول".

ومن الجدير بالملاحظة ان عنصرا من هذا المزيج من أصل مندائي.

فنقرأ في الآيتين:

"قال فما خطبُكَ يا سامري. قال بَصُرتُ بما لم يبصروا به. فقبضت قبضةً من أثر الرسول فنبذتُها وكذلك سوَّلت لي نفسي".

من هو هذا الرسول المذكور في الآيتين؟ هذا اللقب "رسول" مُعطى في القرآن بصورة خاصة لجبريل، كما نرى في سورة 17 أي الإسراء والآية 95، حيث القرآن يدعو جبريل "ملاكا رسولا".

والصابوني، مُعتمِداً على أحاديث محمد وأهم مفسري القرآن، يقدِّم هذا التفسير للنص القرآني:

"أي رأيتُ ما لم يروه وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة. فألقي في نفسي ان أقبض من أثره قبضة. فما ألقيته على شيء إلا دبت فيه الحياة، فقبضت شيئا من أثر فرس جبريل، فطرحتها على العجل فكان له خوار"[226]

لم يُعطِ الكتاب المقدس لقب "رسول" لأي ملاك بما فيهم جبرائيل. ذلك اللقب مُعطى في الكتابات المندائية لبثاهيل وهيبل زيوا، وهما شخصيتان من شخصيات النور اللتان في الميثولوجيا المندائية أحدهما نموذج أصلي للأخرى. كلا الشخصيتين محققتان من المندائيين بالملاك جبريل. نجد مثلا ان هيبل زيوا مذكور "كرسول" في كتاب كنزا ربا، كتابهم الرئيسي الذي يعود للقرن الثالث – السادس ميلادي. يقول النص في كنزا ربا:

"وبأمرك خُلِق كل شيء. يا خالق هيبل زيوا، جبرائيل الرسول، ومُرسِلَه إلى عالم الظلام"[227]

وهيبل زيوا كجبريل الرسول، هو مُرسَل كرسول إلى السنوات السبعة والارضين السبعة، والتي أرضنا هي الأرض العليا فيهن بحسب المندائيين. ولقد نزل هيبل زيوا إلى الارضين السبعة ونظّم هناك uthras أو ملائكة لكل عالم ولكل محطة سماوية من السبعة، التي هي بمثابة سبع طبقات للسماء. وقد وضع انهاراً وأتى برسائل لهذه العوالم. إذا هناك فكرة تنظيم وتنزيل للوحي لكل من الارضين أيضا[228]. وهناك تفاصيل عن زيارة هيبل زيوا إلى الارضين السبعة، كما هي مذكورة في كنزا ربا[229]. وهناك مذكورة قياسات بين كل ارض وأخرى من السبعة. الأمر الذي قلّده محمد عندما جعل محمد أرضنا واحدةً من السبعة. وفي حديثه قد حدَّد مسافات بين كل أرض وأخرى:

"قال أتدرون ما هذه تحتكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: أرض ؛ أتدرون ما تحتها؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ! قال: أرض أخرى ؛ أتدرون كم بينهما ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ! قال مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع أرضين، ثم قال: وأيم الله لو دليتم أحدكم إلى الأرض السفلى السابعة لهبط"[230]

ولقد كرَّر القرآن الفكرة المندائية عن السبعة سماوات وسبعة ارضين. حيث كما هيبل زيوا في المندائية، المُسمَّى جبريل، يحمل كلمات ملك الأنوار، الإله الرئيسي للمندائيين، إلى كل من السماوات السبعة والارضين السبعة، نجد ان جبريل في القرآن يحمل كلمات الوحي أو الأمر الإلهي لكل طبقة سماوية وارض من الارضين السبعة. فتقول الآية 12 من سورة الطلاق التي هي رقم 65:

"الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهَّن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء عِلماً"

هذه الخرافة القرآنية ليست جديدة لكنها موجودة في الأسفار المندائية كما رأينا.

وفكرة الوحي لكل سماء، التي رأينا أصلها المندائي، نراها أيضا في سورة 41 أي سورة فصلت والآية 12:

"فقضاهنَّ سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها ".

هذا يعني انه وضع في كل سماء رئيساً يرأس على السكان، اضافة لملائكة وانهار ومصادر طبيعية، الأمر الذي نجده في الكتابات المندائية.

وفي الكتابات المندائية نجد ان بثاهيل هو خالق المحطات السماوية السبعة والأرض. وهو يُدعى أيضا بجبرائيل وبالرسول. ونقرأ في كنزا ربا بان جبريل مدعو:"جبريل الرسول مُبجَّل"[231].

وبثاهيل –جبرائيل موصوف في الكتابات المندائية كالخالق الذي ألقى روح الحياة من روحه داخل آدم، وذلك لكي يتحول آدم إلى كائن حي. ونقرأ في كنزا ربا ان بثاهيل بثّ من روحه في آدم[232]. وهذه الفكرة المندائية مُستخدمة في القرآن، حيث نقرأ بان

جبريل قد نفخ في مريم من روحه وذلك من اجل خلق جسد ليسوع. راجع سورة الأنبياء أي رقم 21 والآية 91 "فنفخنا فيها من روحنا". والفكرة مُكرَّرة أيضا في سورة التحريم، أي 66 والآية 12.

وجبريل في القرآن يُسمَّى "بالروح القدس"، وهذا تعبير مشتق من المندائية والغنوصية. ولقب "الروح القدس" مُعطى بالمانوية وبعض الكتابات الغنوصية لملاك. فنرى ذلك مثلا في الكتاب الغنوصي المُدعى The Apocryphon of John [233]. وهذا الكتاب الغنوصي قد تُبنّي من المانويين كما قد تبنّوا كتباً غنوسيةً أخرى، كما نرى من المكتبة المانوية الغنوصية، أي مكتبة نجع حمادي التي وجدت في مصر. والكتاب يعود للقرن الرابع ميلادي.

والروح الحي كملاك هو موصوف في السفر المانوي The Kephalaia Of The Teacher كخالق، ناسباً السفر له بأنه قد "خلق عشر سماوات وثماني ارضين"[234].

وبثاهيل جبريل هو في الكتابات المندائية خالق عظيم. فهو من خلال الحركات السحرية يغيِّر الأشياء إلى كيانات هامة. فيلمس الماء السوداء مكثِّفاً إياها لكي تصبح الأرض. كما نرى في كنزا ربا[235]. وفي لمسته أعطى الشمس والقمر سطوعاً. وكما سبق وقلت فان أسفارهم تسميه "الرسول". لا عجب إذا كان غبار قدمي حصانه قد سبّب في خلق عجل حي. كما رأينا في الآية القرآنية "بَصُرتُ بما لم يبصروا به. فقبضت قبضة ً من أثر الرسول فنبذتُها وكذلك سوَّلت لي نفسي". فالقرآن يدّعي ان السامري قد رأى جبريل، وهو ما يسمّيه المندائيون ببثاهيل –جبريل الرسول الخالق السحري. وجبريل يُسمَّى أيضا في القرآن بالرسول والروح القدس. وادّعى كثيرون من الغنوصيين ان الملاك جبرائيل هو "الملاك العظيم" ناسبين إليه القدرة على الخلق.

والروح القدس هو اقنوم من الله المثلث الأقانيم. فهو ليس بملاك، وليس على مستوى الملائكة ولكنه يتمتع في كل قدرات الله. لم يُعط جبرائيل قط في الكتاب المقدس القدرة على الخلق. لقد ظهر جبرائيل لزكريا معلناً ولادة يوحنا المعمدان، الذي ولد لكي يحضِّر الطريق أمام يسوع المسيح. وظهر جبرائيل لمريم مُعلِناً بشائر الولادة العذراوية. لم يُجرِي جبرائيل قط معجزةً، ولم يكن له أي دور خلاق في مجيء المسيح في الجسد البشري. ان كل الوظائف اللاهوتية المنسوبة في القرآن لجبريل إنما هي من أصل مندائي وغنوصي.

من هم السامريون

لقد بُنيت مدينة السامرة من عُمري، ملك إسرائيل، وذلك حوالي عام 880 قبل الميلاد. ولقد سمّى عمري المدينة التي بناها على اسم الشخص التي اشترى منه الجبل حيث بنى عليها المدينة. نفهم من ذلك من سفر ملوك الاول 16: 24

وَاشْتَرَى جَبَلَ السَّامِرَةِ مِنْ شَامِرَ بِوَزْنَتَيْنِ مِنَ الْفِضَّةِ، وَبَنَى عَلَى الْجَبَلِ. وَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي بَنَاهَا بِاسْمِ شَامِرَ صَاحِبِ الْجَبَلِ «السَّامِرَةَ».

واضح انه قبل بناء مدينة السامرة لم يكن من الممكن ان يكون هناك اسم سامريين.

وفي عام 722 قبل الميلاد، قد حاصر الملك شلصمانصر الخامس Shalmaneser V ملك أشور الذي ملك بين عامي 726 و722، مدينة السامرة لمدة ثلاث سنين. نقرأ ذلك في سفر ملوك الثاني الإصحاح 17: 3-6. ولقد مات شلصمانصر خلال ذلك الحصار. وأكمل سرجون الثاني الحصار. ونقرأ في العدد السادس من نفس الإصحاح:

"فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِهُوشَعَ أَخَذَ مَلِكُ أَشُّورَ السَّامِرَةَ، وَسَبَى إِسْرَائِيلَ إِلَى أَشُّورَ وَأَسْكَنَهُمْ فِي حَلَحَ وَخَابُورَ نَهْرِ جُوزَانَ وَفِي مُدُنِ مَادِي"

ولقد حلَّ في مدن الإسرائيليين في السامرة مكانهم شعوبٌ أخرى، كما نقرأ في العدد 24:

"وَأَتَى مَلِكُ أَشُّورَ بِقَوْمٍ مِنْ بَابِلَ وَكُوثَ وَعَوَّا وَحَمَاةَ وَسَفَرْوَايِمَ وَأَسْكَنَهُمْ فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ عِوَضاً عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَامْتَلَكُوا السَّامِرَةَ وَسَكَنُوا فِي مُدُنِهَا"

واضح من خلال هذا النص الكتابي ان تلك الشعوب قد امتلكت السامرة.

واحتلال سرجون الثاني للسامرة، وسبيه سكان المدينة، وإسكانه بدلهم شعوبا آخرين، هو مُثبت من منقوشات سرجون التي اكتشفت على حائط في آثار عاصمته وهي (دور شاروكين-حاليا خرسباد) Khorsabad القديمة، وذلك عام 1842 على يد عالم الآثار الفرنسي بول ايميل بوتّا Paul Emil Botta.وتقول الكتابة:

"في السنة الأولى لمُلكي قد استوليت على مدينة السامرة. وسبيت 27290 نسمة. وأسكنت بدلهم في السامرة شعوباً من مناطق أخرى كانت لم تدفع الجزية أبدا"

تحليل لتدين الشعوب التي أتى بها الأشوريون للسكنى في السامرة

نقرأ في الإصحاح 17 والأعداد 28-41 من سفر ملوك الثاني، أنهم في البداية لم يخشوا الرب. وكنتيجة لذلك، فقد قتلت السباع عدداً منهم. ثم سألوا ملك أشور ان يرسل لهم كاهناً عبرياً من اجل ان يعلّمهم ناموس الله، حتى لا تفتك بهم وحوش الأرض. وقد أرسل لهم كاهناً كما نقرأ:

" فَأَتَى وَاحِدٌ مِنَ الْكَهَنَةِ الَّذِينَ سَبُوهُمْ مِنَ السَّامِرَةِ وَسَكَنَ فِي بَيْتِ إِيلَ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَتَّقُونَ الرَّبَّ. فَكَانَتْ كُلُّ أُمَّةٍ تَعْمَلُ آلِهَتَهَا وَوَضَعُوهَا فِي بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي عَمِلَهَا السَّامِرِيُّونَ، كُلُّ أُمَّةٍ فِي مُدُنِهَا الَّتِي سَكَنَتْ فِيهَا. فَعَمِلَ أَهْلُ بَابِلَ سُكُّوتَ بَنُوثَ، وَأَهْلُ كُوثَ عَمِلُوا نَرْجَلَ، وَأَهْلُ حَمَاةَ عَمِلُوا أَشِيمَا، وَالْعُوِّيُّونَ عَمِلُوا نِبْحَزَ وَتَرْتَاقَ، وَالسَّفَرْوَايِمِيُّونَ كَانُوا يُحْرِقُونَ بَنِيهِمْ بِالنَّارِ لأَدْرَمَّلَكَ وَعَنَمَّلَكَ إِلَهَيْ سَفَرْوَايِمَ. فَكَانُوا يَتَّقُونَ الرَّبَّ وَيَعْمَلُونَ لأَنْفُسِهِمْ مِنْ بَيْنِهِمْ كَهَنَةَ

مُرْتَفَعَاتٍ يُقَرِّبُونَ لأَجْلِهِمْ فِي بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ. كَانُوا يَتَّقُونَ الرَّبَّ وَيَعْبُدُونَ آلِهَتَهُمْ كَعَادَةِ الأُمَمِ الَّذِينَ سَبُوهُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ. إِلَى هَذَا الْيَوْمِ يَعْمَلُونَ كَعَادَاتِهِمِ الأُوَلِ. لاَ يَتَّقُونَ الرَّبَّ وَلاَ يَعْمَلُونَ حَسَبَ فَرَائِضِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَلاَ حَسَبَ الشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ بَنِي يَعْقُوبَ (الَّذِي جَعَلَ اسْمَهُ إِسْرَائِيلَ)....فكان هَؤُلاَءِ الأُمَمُ يَتَّقُونَ الرَّبَّ وَيَعْبُدُونَ تَمَاثِيلَهُمْ، وَأَيْضاً بَنُوهُمْ وَبَنُو بَنِيهِمْ. فَكَمَا عَمِلَ آبَاؤُهُمْ هَكَذَا هُمْ عَامِلُونَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ"

يرينا هذا النص أن الشعب الذي أتى به الأشوريون للسكنى في شمال إسرائيل حيث كانت مدينة السامرة هي العاصمة، قد تبنّى صيغة تديُّن بها اعترفوا باسم الرب، ولكن جوهرياً قد استمروا في طقوسهم الوثنية السابقة وعبدوا آلهتهم. ولقد مارسوا هذا النوع من التدين من وقت دخولهم الأرض بعد سقوط السامرة تحت سيطرة الأشوريين. ولقد استمروا على هذه الصيغة من الوثنية خلال الفترة التي كُتب بها سفر ملوك الثاني، كما رأينا من العدد 41: "فَكَانَ هَؤُلاَءِ الأُمَمُ يَتَّقُونَ الرَّبَّ وَيَعْبُدُونَ تَمَاثِيلَهُمْ، وَأَيْضاً بَنُوهُمْ وَبَنُو بَنِيهِمْ. فَكَمَا عَمِلَ آبَاؤُهُمْ هَكَذَا هُمْ عَامِلُونَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ". وقد كُتبت هذه الكلمات من عزرا حول 445- 440 قبل الميلاد.

وفي وقت لاحق قد هزم سرجون الثاني قبائل عربية: هي ثمود ومارسيماني Marsimani وشبا وابدادي Ibadidi، اضافة لبعض القبائل الإسماعيلية، وهي أَدَبْئِيل Adbeel ومسا وتيما. وفي عام 716 قبل الميلاد قد أجلى سرجون الثاني بعضاً منهم إلى السامرة كما نجد ذلك في كتاباته المنقوشة[236].

ولقد جلب اسرحدون Esarhaddon الذي ملك من عام 680-669 قبل الميلاد، مستعمِرين آخرين لكي يعيشوا في السامرة، كما نقرأ من سفر عزرا 4: 2. ونرى ان كل قبيلة قد أتى بها الأشوريون لكي تعيش في السامرة خلال تلك القرون حتى عصر عزرا ونحميا، قد استمر ان يكون لها إلهها الخاص بها، كما وقد سبق ورأينا في سفر ملوك الثاني والإصحاح 17.

مقاومة السامريين لليهود وتقليدهم للعبادة اليهودية بعد السبي

لقد عاد اليهود من السبي البابلي الذي حدث عام 586 قبل الميلاد. وبدئوا في بناء الهيكل في اوروشليم وسور المدينة. ولقد قُومِوا من ثلاثة مجموعات كما نرى في سفر نحميا 2: 19و20. المجموعة الأولى كانت مؤلفة من الشعوب التي أتى بها الأشوريون للسكنى في السامرة. ومن خلال النص الكتابي نجد ان مقاومتهم هذه كانت زمن نحميا مُقادةً من سَنْبَلَّط كما نرى في العددين التالين:

وَلَمَّا سَمِعَ سَنْبَلَّطُ الْحُورُونِيُّ وَطُوبِيَّا الْعَبْدُ الْعَمُّونِيُّ وَجَشَمٌ الْعَرَبِيُّ هَزَأُوا بِنَا وَاحْتَقَرُونَا وَقَالُوا: [مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي أَنْتُمْ عَامِلُونَ؟ أَعَلَى الْمَلِكِ تَتَمَرَّدُونَ؟]. فَأَجَبْتُهُمْ: [إِنَّ إِلَهَ السَّمَاءِ يُعْطِينَا النَّجَاحَ وَنَحْنُ عَبِيدُهُ نَقُومُ وَنَبْنِي. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَيْسَ لَكُمْ نَصِيبٌ وَلاَ حَقٌّ وَلاَ ذِكْرٌ فِي أُورُشَلِيمَ]

وكان سنبلط رئيساً للسامريين في تلك الآونة. وكان اسم "سامريين" لقباً للشعوب الوثنية التي أتى بها الأشوريون للسكنى في السامرة.

وعندما فشل سنبلط في ان يُوقف اليهود من بناء السور، ووجد ان الهيكل قد أعيد بناءه ثانية، أراد ان يخلق صيغةَ تديُّنٍ ينافس به ترتيبَ الله لليهود آنذاك، في ان يجددوا العبادة في مدينة اوروشليم بعد رجوعهم من السبي وأن يعيدوا بناء الهيكل. وهكذا في عام 407 قبل الميلاد، قد بنى سنبلط هيكلاً سامرياً على جبل جرزيم[237].

وبعد بناء السامريين لهيكلهم، ابتدئوا يدّعون أنهم منحدرون من قبيلة منسى، ذلك رغم انه معلوم تاريخياً بأنهم لم يكونوا إسرائيليين، وأن أجدادهم قد جُلبوا من الأشوريين لمدينة السامرة، إذ أتوا بهم من مناطق مختلفة مثل بَابِلَ وَكُوثَ وَعَوَّا وَحَمَاةَ وَسَفَرْوَايِمَ. ورأينا ان سرجون الثاني قد أتى بقبائل أخرى مثل ثمود ومارسيماني واباديد. ولم يعتبر اليهود قط هذه الشعوب والقبائل كيهودية، ولكن كانوا يسمونهم بـ "كوثيم" إذ ان معظم سكان تلك الشعوب كانت من أرض كوث.

لقد كتب المؤرخ اليهودي الروماني يوسيفوس فلافيوس في القرن الاول ميلادي، في الإصحاح الثامن من كتابه عن التاريخ القديم لليهود، عن السامريين في زمن احتلال الاسكندر الكبير لمدينة القدس. فيقول فلافيوس:

> "عندما رأى السامريون بان الاسكندر قد أكرم اليهود بشكل كبير، قرّروا ان يتظاهروا أنهم يهود. إذ هذه هي عادة السامريين، كما سبق وبيّنّا في موضع آخر بأنه عندما يكون اليهود في شدائد ومحن، يتبرأ السامريون من أي علاقة بهم، معترفين بالحقيقة أنهم ليسوا يهوداً. ولكن عندما يدركون بان شيئاً من النصيب الصالح قد أتى على اليهود، حالا يدّعون في علاقة بهم، مدّعين أنهم ينتمون إليهم. ويبتدئوا ان ينسِّبوا أنفسهم إلى يوسف وولديه منسى وافرايم"[238]

من ناحية تاريخية لم يسبق قط ان اليهود قد تبرئوا من انتماء أي فرد إسرائيلي إلى أمتهم. ولكن خلال كل تاريخهم قد فصلوا أنفسهم عن السامريين، وذلك بسبب ان السامريين لم يكونوا إسرائيليين.

تغيير السامريين لكتب موسى الخمسة

لقد بنى السامريون هيكلهم على جبل جرزيم. واحتفظوا في كتب موسى الخمسة، ولكنهم قد غيّروا عدة أعداد فيها، وذلك لكي يجعلوا عبادتهم أنها تستند على أعداد في كتب موسى. وأحد هذه التعديلات نراه في سفر التثنية. حيث أمر الرب موسى في بناء مذبح على حجارة في جبل عيبال، وان يكتب عليه كلمات الناموس:

> "حِينَ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ تُقِيمُونَ هَذِهِ الحِجَارَةَ التِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا اليَوْمَ فِي جَبَلِ عِيبَال وَتُكَلِّسُهَا بِالكِلسِ. وَتَبْنِي هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ إِلهِكَ مَذْبَحاً مِنْ حِجَارَةٍ لا تَرْفَعْ عَلَيْهَا حَدِيداً. مِنْ حِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ تَبْنِي مَذْبَحَ الرَّبِّ إِلهِكَ وَتُصْعِدُ عَليْهِ

مُحْرَقَاتٍ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. وَتَذْبَحُ ذَبَائِحَ سَلامَةٍ وَتَأْكُلُ هُنَاكَ وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ.
وَتَكْتُبُ عَلى الحِجَارَةِ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ نَقْشاً جَيِّداً». تثنية 27 : 4-8

ولكي يجعل السامريون ذريعة لبناء هيكلهم، قد غيّروا في نسختهم جبل عيبال بجبل جرزيم. وعملوا تغييرات في سفر الخروج 20 والأعداد 1-17 وسفر تثنية 5: 6-21. هذه الأعداد تتحدث عن العشرة وصايا. فأضاف السامريون وصية أخرى، مدّعين ان الله قد أمرهم ان يبنوا مذبحاً على جبل جرزيم وان يقدموا تقدمات عليه. ولكننا نعلم تاريخياً انه لم يبنِ أي إسرائيلي مذبحاً أو هيكلاً على جبل جرزيم.

هناك معنى نبوي لاختيار الله للمكان الذي أمر ان يُبنى عليه الهيكل

لقد أمر الله سليمان الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد ان يبني الهيكل في اوروشليم. والهيكل يقع على جبل المريا[239]، أي نفس الجبل الذي أمر الله ابراهيم ان يقدم ابنه إسحاق عليه.

وفي مقال للجامعة العبرية في اوروشليم، حول جبل المريا، مُسجَّل أيضا في المكتبة اليهودية المسماة The Jewish virtual library. نقرأ ما يلي:

"ان جبل المريا هو اسم الأرض الممتدة شمالا جنوبا بين وادي قدرون ووادي حجيHagai . بين جبل صهيون من الغرب وجبل الزيتون من الشرق. وكانت صهيون اليبوسية تقع في المنحدر الجنوبي من جبل المريا، فوق عين ماء جيحون Gihon. بعد ان احتل داود المدينة جعلها عاصمته مُسمِّياً إياها مدينة داود. والجهة الشمالية من قمة الجبل بقيت جرداء بعد ان احتل داود صهيون. وكانت مُلكاً خاصاً لأرنان، الملك اليبوسي السابق للمدينة. ولأسباب مختلفة لم يرد داود ان يصادر الموقع، ولكن فضَّل ان يشتريه من أرنان في قيمته الكاملة. وهكذا كما نقرأ في سفر أخبار الأيام الاول: "وَدَفَعَ دَاوُدُ لِأُرْنَانَ عَنِ الْمَكَانِ ذَهَباً وَزْنُهُ سِتُّ مِئَةِ شَاقِلٍ. وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ، وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَدَعَا الرَّبَّ فَأَجَابَهُ بِنَارٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ. (أخبار الأيام الاول: 21: 25 و 26). الذي يُذكر أكثر من جبل المريا هو انه المكان الذي كان مُعداً ان يُقدَّم عليه إسحاق من أبيه ابراهيم، كما هو في سفر التكوين والإصحاح 22 "[240].

ويشير العهد القديم على ان جبل المريا كان هاماً بسبب كونه المكان الذي اختاره الله لكي يقدِّم ابنه الوحيد على ذلك الجبل. ذلك نراه في العهد القديم على الأقل في حادثتين. واحدة نراها عند حدوث وبأ على إسرائيل، وذلك نتيجة موقف داود الخاطئ، عندما عدّ الإسرائيليين القادرين للتجهُّز للحرب، بدل ان يستند على الرب. نقرأ في أيام الأخبار الاول 21: 16 -29

"وَرَفَعَ دَاوُدُ عَيْنَيْهِ فَرَأَى مَلاَكَ الرَّبِّ وَاقِفاً بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ بِيَدِهِ وَمَمْدُودٌ عَلَى أُورُشَلِيمَ. فَسَقَطَ دَاوُدُ وَالشُّيُوخُ عَلَى وُجُوهِهِمْ مُكْتَسِينَ بِالْمُسُوحِ.

وَقَالَ دَاوُدُ لِلَّهِ: «أَلَسْتُ أَنَا هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِإِحْصَاءِ الشَّعْبِ؟ وَأَنَا هُوَ الَّذِي أَخْطَأَ وَأَسَاءَ، وَأَمَّا هَؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا عَمِلُوا؟ فَأَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي لِتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي لاَ عَلَى شَعْبِكَ لِضَرْبِهِمْ».

فَكَلَّمَ مَلاَكُ الرَّبِّ جَادَ أَنْ يَقُولَ لِدَاوُدَ أَنْ يَصْعَدَ دَاوُدُ لِيُقِيمَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ فِي بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ. فَصَعِدَ دَاوُدُ حَسَبَ كَلاَمِ جَادَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ بِاسْمِ الرَّبِّ.

فَالْتَفَتَ أُرْنَانُ فَرَأَى الْمَلاَكَ. وَبَنُوهُ الأَرْبَعَةُ مَعَهُ اخْتَبَأُوا، وَكَانَ أُرْنَانُ يَدْرُسُ حِنْطَةً.

وَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى أُرْنَانَ ...وَدَفَعَ دَاوُدُ لِأُرْنَانَ عَنِ الْمَكَانِ ذَهَباً وَزْنُهُ سِتُّ مِئَةِ شَاقِلٍ. وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ، وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَدَعَا الرَّبَّ فَأَجَابَهُ بِنَارٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ. وَأَمَرَ الرَّبُّ الْمَلاَكَ فَرَدَّ سَيْفَهُ إِلَى غِمْدِهِ.

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمَّا رَأَى دَاوُدُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَجَابَهُ فِي بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ، ذَبَحَ هُنَاكَ. وَمَسْكَنُ الرَّبِّ الَّذِي عَمِلَهُ مُوسَى فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَذْبَحُ الْمُحْرَقَةِ كَانَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي الْمُرْتَفَعَةِ فِي جِبْعُونَ".

نرى إذاً ان الله قد أمر الإسرائيليين ان يبنوا مذبحاً في اوروشليم على جبل المريا من اجل الكفارة عن الخطية، وذلك لان الفادي الحقيقي كان يجب ان يموت ويكمِّل عمله ألكفاري على نفس الجبل.

والدرس الثاني الهام الذي نتعلمه عن جبل المريا نراه عندما أمر الله ابراهيم ان يقدم ابنه إسحاق على نفس الجبل. ونحن نعلم ان إسحاق كان رمزاً للمسيح الذي قد قدَّم نفسه فدية على نفس الجبل، وذلك بعد ألفي عام من زمن ابراهيم.

ولقد كتب لامبيرت دولفين Lambert Dolphin مقالاً عن جبل المريا، وبالذات عن موقع الهيكل في اوروشليم:

> "ان خارطة طبوغرافية topographic ترينا ان جبل المريا لا يتكون من قمة واحدة. ولكن من سلسلة من التلال الممتدة التي تبدأ في الارتفاع في آخر جهتها الجنوبية عند اتصال وادي قدرون بوادي حنوم Hinnom، عند المدينة الأصلية لداود. بحوالي ارتفاع 600 متر. ثم تصل السلسلة في ارتفاعها الأقصى لحوالي 777 متر، وذلك شمال شرقي بوابة دمشق الحالية في المدينة القديمة. يحتل جبل المريا ما مجموع مساحته 45 ايكر acres ... شرق جبل المريا ببضع مئات من الأمتار يقع جبل الزيتون، الذي هو 100 متر أعلى من أعلى قمم جبل صهيون أو جبل المريا. هناك إثباتات أثرية منطقية تدل على ان موقع صلب المسيح كان على قمة جبل المريا؛ من المحتمل بالقرب من بوابة دمشق الحالية وحديقة القبر. وهي بذلك تكون تحقيقاً حرفياً لما أمر الله ابراهيم في تقديم ابنه إسحاق، عندما قال الله "على جبل الرب (التقدمة النهائية للخطية) سوف يكون لها تدبير" (مستشهدا بتكوين 22 : 14)[241]

عندما أُعطي ابراهيم الأمر في تقديم ابنه، كان يعيش في مدينة بئر السبع التي هي في المنطقة الجنوبية من أرض كنعان. وسافر ثلاثة أيام من اجل ان يصل المكان المعيّن

من الله. ورغم ان إسحاق قد وُضع في ذلك المكان على المذبح، إلا ان الله لم يسمح لإبراهيم ان يضحِّي به. ولكن أراه كبشاً مربوطاً على الجبل. ونقرأ في سفر التكوين 22: 13

"فَرَفَعَ ابْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَاذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ فَذَهَبَ ابْرَاهِيمُ وَاخَذَ الْكَبْشَ وَاصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضا عَنِ ابْنِهِ."

وهذا الكبش كان يشير للمسيح الذي قَبِلَ ان يكون بعد ألفي عام مُمسَكاً في الجسد البشري ومجروراً لنفس الجبل، وذلك لكي يقدِّم نفسه كفدية عن خطايا الجنس البشري.

بعد ان أرسل ابراهيم إسماعيل وأمه هاجر، أصبح إسحاق الابن الوحيد لإبراهيم الذي كان يحبه. ثم قال له الله:

"خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إسحاق وَاذْهَبْ إلى ارْضِ الْمُرِيَّا وَاصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى احَدِ الْجِبَالِ الَّذِي اقُولُ لَكَ"(تكوين 22 :2).

كان ابراهيم رمزيا بصدد ان يختبر مشاعر الله الآب في الألم الذي كان سوف يختبره بعد ألفي سنة، وذلك عندما يكون ابنه الوحيد الذي يحبه موضوعاً على مذبح في نفس ذلك الجبل، لكي يموت من اجلنا نحن الخطاة المطالبين بعدالة الله. (أعيد القارئ للفصل عن ابراهيم في الكتاب المقدس والقرآن).

هذا هو السبب الذي من اجله قد أمر الله في العهد القديم ان يُبنى الهيكل على جبل المريا حول اوروشليم، حيث تُقدم الضحايا الحيوانية فيه، التي كانت ترمز إلى خروف الله الحقيقي يسوع المسيح الفادي.

وبناء الهيكل في اوروشليم كان في انسجام مع خطة الله النبوية التي أعلنها الله في سفر التكوين. ففداء المسيح العظيم كان يجب ان يتم في اوروشليم على نفس الجبل. وقد تنبأ اشعياء النبي في الاصحاح 25 والأعداد 6-9 عن ذلك العمل الفدائي العظيم (راجع ايضا الفصل عن ابراهيم في نهاية هذا الكتاب)

ومع وضوح تلك النبوات عن فداء المسيح والمكان الذي يتم فيه الفداء، نرى الشيطان قد عمل على تقليد عمل الله هذا، وذلك لكي يسرق انتباه بعض الشعوب عن فحواه ومكانه، فلا يتعرّف الناس على عمل الفادي ولا يخلصوا. فسنبلط في عام 407 قبل الميلاد قد بنى هيكلاً للسامريين على جبل جرزيم، وذلك لكي يقلِّد العبادة القانونية المأمورة من الله في العهد القديم، والتي قصد بها الله ان يرمز إلى خطته العظيمة في فداء الجنس البشري من خلال موت المسيح في الجسد.

ورغم ان السامريين قد بنوا في عام 407 هيكلهم لكي يقلِّدوا العبادة الحقيقية المأمورة من الله للإسرائيليين في ان تكون في هيكل اوروشليم، لكنهم لم يلتصقوا بفكرة توحيد. ففي عام 165 قبل الميلاد كان هناك نزاع بين اليهود المكابيين وانتوكيوس ابيفانيس Antiochus Epiphanes ملك سوريا اليوناني. فقد أراد انتوكيوس ان يلغي

عبادة الله في اوروشليم. ولقد تعاون معه السامريون، مكرِّسين هيكلهم لعبادة زيوس الإله اليوناني، معبِّرين عن عبادتهم الأصلية الوثنية نحو الآلهة الوثنية والأصنام.

عدم صحة ادعاء السامريين تاريخياً من أنهم منحدرون من نسل افرايم ومنسى

ان ادعاء السامريين انهم منحدرون من منسى وافرايم هو ضد التاريخ. فالسامريون في الحقيقة منحدرون من الشعوب التي أتى بهم الأشوريون للسكنى في السامرة بدل الإسرائيليين، الذين نُقلوا إلى أراضي كانت تحت سيطرة الأشوريين.

ولكن بعد ان بنى السامريون معبدهم عام 407 ق. م. على جبل جرزيم، ابتدئوا يكتتبون تاريخاً مُزوَّرا خاصاً بهم. مدّعين انه زمن عالي الكاهن، أي في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، قد حدث انقسام أو انفصال بينهم وبين الإسرائيليين. في الحقيقة لم يتحدث أي كتاب تاريخي أو سفر من أسفار العهد القديم على ان مثل ذلك الانقسام قد حدث. لو كان قد حدث مثل ذلك الانقسام كما يدّعي السامريون لكان قد ذُكِر في أسفار العهد القديم. كذلك لا أحد قد ذكر ان هناك شعباً اسمه "سامري" قد عاش في العصور القديمة، مثل عصر عالي الكاهن أو قبله أو بعده، حتى بعد ان أتى الأشوريون بشعب لكي يسكن السامرة وذلك في سنة 722 قبل الميلاد. ولم تُدعَ الشعوب التي أتى بها الأشوريون بلقب سامريين قبل القرن السادس قبل الميلاد.

هناك أمر آخر جدير بالملاحظة وهو ان السامريين لم يكن لهم أنبياء، مما يدل على انهم ليسوا بإسرائيليين وأنهم لم يكونوا من نسل افرايم ومنسى، الذين يشكِّلوا غالبية الإسرائيليين في العدد. فبعد عصر عالي الكاهن، قد قام عدد كبير من أنبياء العهد القديم من نسل هاذين السبطين. ولم يظهر أي نبي من وسط السامريين.

كما أن كُتب السامريين لم تظهر قبل القرن الثالث قبل الميلاد. وكتابهما الرئيسيان هما Memar Markah التي تعني تعليم Markah. والكتاب الثاني هو Defter وهو كتاب صلاة. والسامريون لا ينسبون وحياً لهاذين الكتابين. ولكن حقيقة ان كتبهم هذه تعود لتاريخ متأخر يلغي ادّعاءهم انهم منحدرون من منسى وافرايم. من ناحية أخرى نجد ان الإسرائيليين لهم كتب مكتوبة من الأنبياء من عصر يشوع الذي خلف موسى. واستمر الإيحاء لصموئيل زمن عالي الكاهن. وبعد صموئيل هناك كتب في كل قرن لاحق.

وهذه نقطة امتحان هامة لكل من يريد ان ينسب له علاقة بسلالة مع ابراهيم أو إسحاق أو يعقوب، فلا يوجد عندهم أنبياء قانونيون مُوحى إليهم من الله الحقيقي لكي يبرر ادّعاءهم. فمحمد قد ادّعى انه من نسل إسماعيل، بدون ان يكون بين أجداده نبي لله الحقيقي. كذلك لو أردنا جدلا ان نفترض ان محمداً من نسل إسماعيل، لا يوجد نبي قد قام بين الاسماعيليين.

ثم ان تعليم السامريين لا يتفق مع العهد القديم. فمثلا عقيدتهم عن الأيام الأخرى مشتقة من الزرادشتية. فهم ينتظرون مخلِّصاً اسمه تاهب Taheb. ويعتقدون ان تاهب سوف يبدأ عصراً من السلام، وذلك عندما يسودون العالم فيما يسمونه "بالمملكة الثانية".

مثل هذه الأفكار مشتقة من الزرادشتية، حيث ان الزرادشتيين انتظروا ثلاثة مخلصين. وهؤلاء المخلصون سوف يفرضون الديانة الزرادشتية على العالم. وقد سبق وذكرت عنهم في موضوع الأيام الأخيرة. وذكرت عن المخلص الاول واسمه Hushedar وكان مُنتظراً عام 341 ميلادي. والمخلص الثاني يسمّونه Aushedar-Mah، الذي يصل في بداية الألف العاشر بالنسبة للحساب الزرادشتي وهو يصادف عام 1341 ميلادي. وهو مشابه في حكمه لما ينتظر السامريون في حكم تاهب. ولقد مر عام 1341 ولكن لم يظهر هذا المحرِّر. ويبلغ عدد الزرادشتيين اليوم حوالي 200 ألف نسمة معظمهم يعيش في مدينة بومبيه Bombay في الهند. وهم البقية من الزرادشتيين الذين هربوا من بلاد فارس خوفا من المسلمين. والحقيقة ان المهدي المُنتظر من المسلمين هو مشتق من Aushedar-Mah الذي كان ينتظره الزرادشتيون. لا بد ان الفرس في شبه الجزيرة العربية كان يسمون Aushedar-Mah ب "ماه"، أي المقطع الثاني من الاسم. وحوّله العرب إلى مهدي لكي يشير على انه الذي يجلب الهداية للعالم.

وكما انقرض معظم الزرادشتيين، نجد انه حدث نفس الأمر للسامريين. الآن يبلغ عددهم 721 نفس يعيشون في نابلس في الضفة الغربية. وعدد اقل يعيش بقرب تل ابيب في إسرائيل.

لنقارن ذلك مع النبوات عن المسيح، إذ ان العهد القديم يحتوي على عدد كبير من النبوات عن ميلاد المسيح وحياته على الأرض، وموته وقيامته في اليوم الثالث، ولقد تمت هذه النبوات بحذافيرها. ومن جهة النبوات عن رجوع المسيح الثاني، فهناك علامات تتم أمام عيوننا.

ثم كيف يسمح الله ان السامريين ينقرضوا تقريبا، بينما قبيلتا منسى وافرايم تشكِّلان أغلبية عدد الإسرائيليين عبر التاريخ؟ فقد كان عددهما غالباً حتى ان الرب كان يدعو إسرائيل بلقب "افرايم ومنسى". لو كان السامريون منحدرين من هاتين القبيلتين، لماذا سمح الله ان ينقرضا إلى هذه العدد البسيط الذي لا يتجاوز ألف نسمة؟

وهناك عامل تاريخي آخر يستثني كون السامريون إسرائيليين، وهو انهم لم يتكلموا قط اللغة العبرية. فآباؤهم الذين قد أُتي بهم بواسطة الأشوريين من بلاد مختلفة، لم يتكلموا قط العبرية. فقد كانت لغتهم عبارة عن لهجة آرامية. فقط عندما احتل المسلمون فلسطين، وذلك في القرن السابع ميلادي، قد هجر السامريون لغتهم وبدئوا يتكلمون العربية. لقد تجنَّب السامريون التكلم بالعبرية حتى بعد رجوع اليهود من سبيهم البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. ولكن حتى بعد السبي استمر اليهود يتكلمون العبرية، اللغة التي كانت سائدة بين الإسرائيليين في فلسطين.

هذه الحقائق تشير بوضوح على ان السامريين لم يكونوا يريدون ان يُحقّقوا مع الإسرائيليين وان يُعتبروا من جنسهم. فكانوا متعلقين بقوميات أجدادهم المختلفة الذين من حيث قد أتى بهم الأشوريون إلى السامرة. وكان من الوسائل التي ساعدتهم على ذلك هو حفظهم على لغتهم الأصلية.

لا يوجد مهرب للمسلمين في محاولتهم حفظ وجه محمد من خطأه الشنيع من جهة السامريين

يدّعي القرآن في سورة طه، أي رقم 20، والآيات 85-97 بان موسى قد خاطب رجل قد حوّل الذهب إلى عجل حي له خوار، كسامري. فيقول القرآن في الآية 95:

"قال فما خطبُكَ يا سامري".

يكون السامريون بالنسبة للقرآن موجودين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أي زمن قيادة موسى للإسرائيليين في صحراء سيناء. ولكن اسم "سامريين" لم يوجد قبل القرن السادس قبل الميلاد. ومدينة السامرة كما رأينا سابقا، قد بُنيت من ملك إسرائيل عمري حوالي سنة 900 قبل الميلاد. وتعبير "سامريين" المُستخدَم في ملوك الثاني 17: 29 عن سكان مدينة السامرة بعد ان بُنيت المدينة يختلف في العبرانية عن تعبير "سامريين" الذي نُعتت به الشعوب التي أتى بها الأشوريون لكي يسكنوا السامرة. ان تعبير سامريين لسكان مدينة السامرة لم يكن معروفاً قبل ان تُبنى المدينة في القرن التاسع قبل الميلاد.

التعبير المُستخدم في سورة طه، أي رقم 20 والآيات 85-97، هو "السامري"، الذي يُقصد به انه من السامريين. لقد كان السامريون معروفين زمن محمد، خاصة بسبب كتاب العهد الجديد الذي تكلم عنهم عدة مرات. اضافة لذلك فان سيمون الساحر من مدينة السامرة كان معروفاً جيدا. فقد ذُكر في سفر أعمال الرسل بانه الذي أضلَّ شعب السامرة في سحره. ولقد كان عَلماً مشهوراً زمن محمد، من حيث انه كان قد أسس هرطقة عُرفت باسمه، أي السميونية Simoniasm، والتي انتشرت لقرون بعد العصر الميلادي. وكانت فرقة دينية غنوصية معروفة آنذاك.

لا شك ان محمداً عندما أدخله زمن موسى كان في ذهنه ساحر السامرة الذي ذُكر في أعمال الرسل. ولكن ذلك حقاً يجلب السخرية، من حيث ان هناك 1550 سنة بين موسى والسامري في أعمال الرسل. وحوالي 1000 سنة بين وجود السامريين وموسى.

وبعض المسلمين، في حرجهم من هذا الخطأ التاريخي الجسيم، حاولوا ان يخلِّصوا وجه محمد مُتبنين ادّعاء السامريين: وهو ان السامريين من نسل منسى وافرايم. ولكن ادّعاء السامريين هذا ليس صحيحاً من ناحية تاريخية. أضفْ إلى ذلك انهم قد بدئوا في الادعاء بذلك فقط بعد ان بنوا هيكلهم على جبل جرزيم في عام 407 قبل الميلاد. ونحن نعلم ان السامريين قد سُمّوا بهذا الاسم فقط في القرن السادس قبل الميلاد.

كذلك لا نجد في أي مرجع ان قبيلتي منسى وافرايم قد انفصلتا عن باقي القبائل الإسرائيلية. ولا نجد في أي مرجع أنهما يوما ما قد سُميتا بالسامريين. ولو أردنا جدلا ان نفترض ان السامريين بدئوا من زمن عالي الكاهن كما هم يدّعون، ذلك لن يعطي المسلمين مخرجاً من الخطأ التاريخي الجسيم في القرآن. فالسامريون أنفسهم يكرهون هذا اللقب "سامريين"، ويعترفون بان الإسرائيليين قد سمّوهم بهذا اللقب فقط بعد القرن السادس قبل الميلاد.

فعندما نرى كل هذه العناصر مجتمعة، نرى كيف ان حجتهم هزيلة وبدون أساس. والقرآن لا يستخدم تعبير "سامري" وينسبه للقرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث يدّعي السامريون انه حدث في تلك الآونة انفصال زمن عالي الكاهن، وأنهم قد أسسوا في ذلك الزمن أمةً مستقلةً. نعلم ان ادّعاءهم هو مزيّفٌ، ذلك لأنهم هم منحدرون من الشعب الذي أتى به الأشوريون إلى السامرة عام 722 قبل الميلاد. لنفترض جدلا أننا سوف نتفق مع الادعاء السامري، ذلك لن يحل المشكلة القرآنية. فالقرآن قد استخدم تعبير "سامري" ونسبه لزمن يسبق عالي الكاهن بأربعة قرون. ويدّعي القرآن ان موسى قد خاطب إنساناً كشخص يملك جنسية مختلفة مُسمّياً إياه "السامري". وانه حدث بحسب القرآن في صحراء سيناء، في وقت نعلم بان الإسرائيليين كانوا يُدعون إسرائيليين. وقبيلة منسى كانت تُدعى منسى وأفراد قبيلة افرايم كانوا يُدعون افراميين.

وكما سبق وذكرت يعترف السامريون ان الإسرائيليون هم الذين دعوهم بالسامرين وذلك بعد القرن السادس قبل الميلاد. وهم يفضّلون ان يسموا أنفسهم بلقب Shamerim شاميريم، التي تعني المدافعين عن الإيمان. لقد تبنّوا هذا اللقب بعد القرن الرابع قبل الميلاد، وذلك لكي ينافسوا الإسرائيليين. ولكن هذا لا يساعد القضية الإسلامية في نزع خطأ محمد. فالقرآن لا يستخدم لقب شاميريم، ولكن سامريين. كذلك فانه لا يوجد في أي مرجع انه قبل أو بعد عالي الكاهن قد وُجدت أمة أو جماعة تحت اسم شاميريم. ويدّعي السامريون انهم ابتدئوا ان يُسمّوا بالشامريم زمن عالي الكاهن، أي في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وليس زمن موسى. ونحن نعلم ان ادّعاء السامريين هذا مزيفٌ. ولكن لنفترض جدلنا ان ذلك الادعاء مقبولٌ، فلن يساعد ذلك القضية الإسلامية في حل محمد من خطأه الشنيع، من حيث ان القرآن يدّعي ان موسى خاطب رجل في لقب "سامري" في عصره، أي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ان عناد بعض المسلمين في عدم التسليم في وجود هذا الخطأ الكبير القرآني يتركهم في زاوية حرجة بلا أمل ان يخلّصوا به القرآن.

وبعض المسلمين يذهبون أبعد من ذلك، مدّعين ان "السامريين" قد كانوا موجودين قروناً قبل الزمن الذي ادّعى السامريون انه كانوا موجودين فيه. ولقد خلقوا مجموعة ناسبين لها الوجود زمن موسى كمدافعين عن الإيمان. في وقت ان موسى هو المدافع عن الإيمان الذي أتمنه الله لكي يعلنه للإسرائيليين. وهؤلاء المسلمون يدّعون بانه كان

هناك مجموعة مدافعة عن الإيمان اضافة لموسى. وذلك طبعا أمر غير منطقي من حيث ان السامريين لم يجرؤا ان يدّعوا انهم كانوا موجودين زمن موسى.

كيف حقَّق المسلمون الأوائل ومفسرو القرآن هوية السامري

يتكلم ابن عباس ابن عم محمد عن السامري المذكور في القرآن انه من ارض باجَرْما[242]. وارض باجَرْما هي منطقة كركوك قديما[243]. وذلك يدلّ على معرفة بعض العرب في الجاهلية عن أصل السامريين انهم من شعوب اتى بهم الأشوريون من مناطق مختلفة، منها شمال أشور كما كانت منطقة كركوك قديما. واعتقد ان هذه المعرفة قد أتت من خلال اليهود في منطقة المدينة حيث هاجر محمد.

وكثيرون من الشعوب التي أتى بها الأشوريون لكي يسكنوا في السامرة قد أتوا من العراق. فأرض كوث كانت مقاطعة في بلاد أشور، والسفروايم كانت تقع شرق الفرات. وجزء كبير من الشعب الذي أتى به الأشوريون لكي يسكنوا السامرة قد أتى من تلكما المقاطعتين في العراق. فمن البديهي ان اليهود قد اعتبروا السامريين ان أصلهم من شمال العراق.

من الواضح ان ابن عباس قد سمع كغيره من بعض العرب في الجاهلية أن الأشوريين قد جلبوا هذا الشعب من المقاطعات الأشورية، وعرفوا ان عاصمة أشور كانت نينوى. فوضعوا أصل السامريين في منطقة كركوك، التي كانت قريبة من العاصمة في شمال بلاد النهرين.

ما الذي فهمه ابن عباس من تعبير السامري المُستخدم في القران؟ لقد فهم انه ليس بإسرائيلي، ولكن واحدٌ من الشعب الذي جلبه الأشوريون قديما من المقاطعات الأشورية إلى فلسطين. ولكن لا ابن عباس ولا محمد قد عرف التاريخ الدقيق الذي حدث به ذلك. لا بد انهم ظنوا انه حدث قبل عصر موسى.

أما الالوسي، ففي كتابه "روح المعاني"، قد وضع باجَرْما بالقرب من مدينة الموصل في شمال العراق. ولكنه أيضا وضع احتمال فكرة أخرى قد تبناها بعض المسلمين لاحقاً، أي ان السامري من قبيلة إسرائيلية تُدعى السامرة[244]. وهذا يكشف عن عجز في الإدراك بان السامرة كانت اسم مدينة قد بُنيت من عمري في القرن التاسع قبل الميلاد، ولا يوجد أي قبيلة إسرائيلية تحت اسم السامرة.

ويقدِّم الرازي فكرةً تعبِّر عن رأي كثيرين من المسلمين في جيله، وهو ان السامري كان من قبيلة من بني إسرائيل واسمها السامرة[245]. وايضا ادّعى قتادة بان السامري كان "عظيما من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يُقال لها السامرة "[246].

وابن الجوزي في كتابه زاد المسير في علم التفسير، يستعرض عدة وجهات نظر إسلامية بخصوص هوية السامري:

"أحدهما قاله وهب بن منبه، وقال: كان ابن عم موسى بن عمران. والثاني: ميخا، قاله ابن السائب. وهل كان من بني إسرائيل، أم لا؟ فيه قولان. أحدهما: لم يكن منهم، قاله ابن عباس. والثاني: كان من عظمائهم، وكان من قبيلة تسمى سامرة، قاله قتادة. وفي بلده قولان. أحدهما: كرمان، قاله سعيد بن جبير. والثاني: باجرما، قاله وهب"[247].

نستنتج من كل ذلك ان المسلمين قد عرفوا أصل السامريين انه من شمال العراق. وهذه المعرفة أتت إليهم من يهود شبه الجزيرة العربية. ولكن في قرون لاحقة قد أصبح المسلمون في وعي في خطأ محمد التاريخي من جهة وضعه السامري كمعاصر لموسى. ولذلك باتوا يقاومون الحقيقة المعروفة جدا عن السامريين أنهم قد أتوا من مناطق مختلفة من شمال العراق، وأنهم قد أتوا للسامرة عام 722 قبل المسيح. ولذلك صاروا يريدون ان يجعلوا السامريين كقبيلة إسرائيلية، لكي يضعوها زمن موسى. وسمّوا القبيلة على اسم مدينة السامرة، المدينة التي بُنيت من عمري في القرن التاسع قبل الميلاد.

للأسف فالمسلمون المعاصرون، الذين يتبعون تفاسير القرآن، قد تبنّوا نفس الحجج التي وضعها المفسرون للقرآن من اجل تبرير خطأ محمد التاريخي. وهكذا كثيرون من المسلمين اليوم يدّعون ان السامريين هم قبيلة إسرائيلية كانت موجودة زمن موسى.

فلقد أراد محمد ان يُدخِل شخصيةً تاريخيةً على سرده الذي اقتبسه من سفر الخروج. ولكن كان يعوزه معرفة في الكتاب المقدس والتاريخ والتسلسل التاريخي لكي يخوّله أن يضع هيكلية تاريخية. فكان جاهلاً تماما في التسلسل التاريخي للحوادث المُعلنة في الكتاب المقدس. ولذلك فقد ألّف سرده، مازِجاً فيه أسماء أشخاص ظهروا في الكتاب المقدس، واضِعاً إياهم في جيل واحد، مع انهم قد عاشوا في عصور متباعدة جدا عن بعضهم البعض، كما هي الحالة في وضعه السامري المكتوب في أعمال الرسل في العهد الجديد في زمن موسى في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

لقد قص محمد قصصه على شعب ساذج، مؤلف أغلبه من قبيلتي الأوس والخزرج، القبيلتين المتوحشتين اللتين عاشتا في المدينة. لقد حسب محمد ان الذين حوله لن يشكّكوا في كلماته أو يقارنوا القرآن بوثائق التاريخ والنص في الكتاب المقدس. ولكن المسلمين اليوم لهم دخول بسهولة على كتب التاريخ، كما الكتاب المقدس، ويستطيعون ان يحكموا على صحة ما نقول من أخطاء محمد التاريخية التي وقع بها.

مريم أم يسوع ومريم أخت هارون

هل مريم أم يسوع هي مريم أخت هارون وموسى؟!

مثال آخر من فوضى القرآن في السرد هو من جهة التاريخ الذي عاشت به مريم أم يسوع. فلقد جعل القرآن مريمَ أم يسوع ان تكون أختاً لهارون أخي موسى. مع ان المسافة الزمنية بين مريم أم يسوع ومريم أخت هارون حوالي 1500 سنة.

ففي سورة مريم 19: 28 يخاطب القرآن مريم أم يسوع في هذه الكلمات:

"يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً"

والتباس محمد هذا مؤكَّدٌ من سورة عمران، حيث يثابر محمد على خطأه التاريخي الجسيم مُدّعِياً ان امرأة عمران – الذي كان والد هارون وموسى – قد كرّست مريم أم يسوع عندما كانت في بطنها وعندما ولدتها. فنقرأ في سورة عمران-وهي السورة الثالثة-وفي الآيتين 35 و36:

"إذ قالت امرأة عمران: رب إني نذرت لك ما في بطني مُحرّرا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت: رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى. واني سمّيتها مريم، وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم".

هذا يدل على ان محمداً كان تحت التباس كبير، ظانّاً بان مريم أم يسوع انها أخت هارون وابنة عمران، الذي هو عمرام المذكور في سفر الخروج الاصحاح السادس والعدد 20، وكانت زوجته يوكابد. ولقد ولد لهما مريم وهارون وموسى.

هل هناك تأكيدات إضافية في القرآن بان آل عمران هم نفسهم عائلة موسى وهارون؟ وان القرآن قد قصد ان يسوع وأمه هما من عائلة عمران؟. نجد ذلك في الآيتين 33 و34 من سورة عمران، وهي رقم 3:

"ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وال عمران على العالمين. ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم"

واضح من الآيتين أعلاه من ان القرآن قد قصد بآل عمران عائلة موسى وهارون. إذ وضع العائلات الرئيسية التي أتى منها رجالات العهد القديم المهمين وهم بحسب القرآن: آدم كنبي كبير-بحسب القرآن-رأس البشرية، ثم نوح – رأس البشرية بعد الطوفان. ثم آل ابراهيم رئيس الآباء، والمقصود بآل ابراهيم أيضا إسحاق ويعقوب وابنه يوسف. ثم آل عمران المقصود بهم موسى نبي الناموس –وبحسب القرآن هو نبي اليهودية- وأخوه هارون وأخته مريم. ولم يذكر يسوع (مع ان القرآن يعتبره نبي المسيحية). السبب في ذلك لأنه قد اعتبره من آل عمران، أي ان أمه هي بنت عمران بحسب القرآن.

ثم يستمر في الآية التي بعدها أي الآية 35 لكي يقول "إذ قالت امرأة عمران ربي إني نذرت لك ما في بطني...". أي نفس هذه عائلة عمران التي أمهم امرأة عمران والدة موسى هي التي حبلت بمريم أم يسوع. حيث الآية تتكلم عن تكريس أم عمران لأم يسوع وهي في بطنها. ان التباس محمد من ان أم موسى وهارون هي التي حبلت في مريم أم يسوع هو واضح جدا من خلال التسلسل الذي تقدمها الآيات الثلاثة.

ولكي يتخلّص بعض المسلمين من الأزمة، يودون ان يجعلوا آل عمران هم عائلة أخرى عاشت زمن مريم العذراء، وأنها ليست آل عمران عائلة موسى وهارون. ولكن تسلسل الآيات 33-35 يظهر بان القرآن قصد نفس العائلة وفي نفس الفترة.

ما هي مصادر محمد من جهة الآيات 35-37 عن تكريس أم مريم لها في الهيكل

الآيتين 35 و36 من سورة عمران بالإضافة للآية رقم 37 التي تقول

"فتقبَّلها ربُّها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفّلها زكريا. كما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب"

أقول تلك الآيات الثلاثة هي مقتبسة من كتاب بروتو إفنجيليون يعقوب الصغير، الذي يعود للقرن الثاني ميلادي. نقرأ في الإصحاحات 7 و11 من هذا الكتاب هذه الكلمات:

"أجابت حنة: حي هو الرب إلهي، انه مهما أنجبت سواء ذكراً أم أنثى، سوف أكرسه للرب إلهي. وسوف تخدمه في الأشياء المقدسة طيلة الحياة ... وسميتها مريم. وقد قَبِلها رئيس الكهنة وباركها وقال لها : يا مريم ان الله قد عظّم اسمك في كل الأجيال ..ورُبيت مريم كحمامة في هيكل الرب، وكانت تتناول الأكل من يد ملاك حتى 12 سنة من العمر. ثم التأم مجلس الكهنة فقالوا: إذا بلغت مريم سنة 12 من العمر في الهيكل، فما الذي يجب فعله بها ... فوقف ملاك الرب بجانب زكريا وقال له: يا زكريا اخرج واجمع أرامل القوم، وليأت كل واحد بقلم. واجتمع القوم من خلال البوق. ويوسف قد طرح قبعته وذهب إلى الاجتماع. وجاءت حمامة من قلمه واستقرت على رأسه. فهو مختار لكي يربي العذراء... وأخذها إلى بيته"

فواضح التشابه بين قصة تكريس زوجة عمران لمريم في القرآن وبين تكريس حنة لمريم في كتاب بروتو إفنجيليون. كذلك موضوع تربيتها في الهيكل وموضوع تدبير الطعام ألمعجزي لها. وتكفل زكريا لها.

وخرافة القلم التي ذكرها كتاب بروتو إفنجيليون نجدها في القرآن محرفة منسوبة لمن يكفل مريم. فتقول الآية 44 من سورة عمران:

"ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك. وما كنتَ لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفلُ مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون".

وفي الأعداد 8-13 من الاصحاح 11 من بروتو إفنجيليون نقرأ:

"فقال الكاهن: يا مريم لماذا فعلت ذلك وثلمتِ عرضك؟ أنت نسيت الرب إلهك مع انك تربيت في قدس الأقداس وكنت تتناولين الطعام من يد الملاك وكنت تسمعين الترنيمات الإلهية... لماذا فعلت هذا؟ فبكت بشدة وقالت: حي هو الرب إنني طاهرة أمامه ولا أعرف رجلا"

نلاحظ بانه بحسب بروتو إفنجيليون انها تربت في قدس الأقداس، الذي يكرره القرآن تحت اسم "محراب". والحقيقة لم يكن زكريا يدخل قدس الأقداس بل كان يدخله رئيس الكهنة مرة في السنة في يوم الكفارة العظيم. كان يدخل في كبش يذبحه لكي يكفر عن الشعب. ومريم تربت في الناصرة وليس في اوروشليم. وزكريا كان والد يوحنا المعمدان، وكان يحضر للهيكل فقط لمدة 15 يوم في السنة لكي يخدم في فرقة أبيا.

والآيتين 24 و25 من سورة مريم (19) التي تقول " فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وهزي إليك بجدع النخلة تسقط عليك رُطبا جنيا" مأخوذة من كتاب أبوكريفا اسمه "حكاية مولد مريم وطفولية المخلِّص" والإصحاح 20 ، حيث نقرأ:

"وحدث في اليوم الثالث من رحلتهما، بينما كانا يسيران، قد تعبت مريم المباركة بسبب حرارة الشمس العالية في الصحراء. وعندما نظرت شجرة تمر قالت ليوسف: دعني ارتاح واجلس قليلا تحت ظل هذه الشجرة. فاستعجل يوسف وجاء بها إلى شجرة التمر. وجعلها تنزل عن دابتها. وبينما كانت مريم المباركة تجلس هناك، تطلعت إلى أوراق شجرة التمر ورأتها مليئة بالأثمار، وقالت ليوسف: "إنني أتمنى لو كان بالإمكان ان أحصل على بعض أثمار هذه الشجرة". وأجابها يوسف: "إنني استغرب إنك تتحدثين عن ذلك وأنت ترين كم هي عالية شجرة التمر هذه. وأنت تفكرين في ان تأكلين من أثمارها. بينما أنا أفكر أكثر بالحاجة للماء، حيث ان قربة الماء قد نفذ ماؤها. وليس عندنا ما يسقي أنفسنا والماشية". ثم الطفل يسوع بسماه المفرح، كان مضطجعا في حضن أمه قال لشجرة التمر:

"يا شجرة التمر، أميلي أغصانك وأنعشي أمي بأثمارك". وحالا بناء على هذه الكلمات مالت شجرة التمر من قمتها إلى قدمي مريم المباركة. وجمعوا من أثمارها، حيث انهم جميعا قد انتعشوا بهذه الأثمار. وبقيت الشجرة منحنية تنتظر أمرا من ذلك الذي أمرها ان تنحني. ثم قال لها يسوع: انهضي يا شجرة التمر، وكوني قوية، وكوني رفيقة لشجراتي اللواتي في جنة أبي. وافتحي من

> جذورك جدول ماء الذي هو مخبئ تحت الأرض. واجعلي الماء تجري، حتى نشرب منك". ونهضت الشجرة حالا. وعند جذورها بدأ يجري نبعُ ماء صافي وبارد جدا يفور ويتلألأ. وعندما رأوا نبع الماء، فرحوا فرحا عظيما، وارتووا مع جميع الماشية والدواب. وأعطوا شكراً لله".

وخرافة ميل الشجرة نحو مريم هي تحت تأثير قصص بوذية عن ولادة بوذا، كما نرى في النشيد الاول من كتاب Buddhacarita جلوس والدة بوذا عندما ولدت بوذا تحت شجرة وميل غصن نحوها.

هل قصد القرآن في مريم أم يسوع كأخت هارون مثلما دُعي يسوع في العهد الجديد ابن داود ؟

بعض المسلمين، في وعيهم في هذا الخطأ التاريخي الجسيم الذي احتواه القرآن، يحاولون في تبريره من خلال الادعاء بان القرآن قد قصد في تسمية مريم أم يسوع بأخت هارون، مثلما نرى في الأناجيل في بعض الأعداد ان يسوع كان يُدعى ابن داود، من اجل التنبير على انه من نسل داود.

ولكن هذه المقارنة لا يمكن ان تصح. فعندما يدعو الكتاب المقدس يسوع في العهد الجديد بهذا اللقب، أي "ابن داود"، ذلك لان العهد القديم قد تنبأ بان المسيا الموعود كان سوف يكون من نسل داود بحسب الجسد. ولكن مريم أم يسوع لم تكن من نسل هارون ولا من عشيرته. فهارون من سبط لاوي.

الأمر الثاني: الكتاب المقدس لم يدعو شخصاً في لقب شخص معين قد سبقه في المجيء، وكان سلفاً هاماً ورئيسياً لذلك الشخص. فالكتاب المقدس قد سمّى فقط يوسف رجل مريم أم يسوع في لقب "ابن داود"، لأنه كان آخر عضو في السلالة المسيانية التي كان يسوع المسيح سوف يولد منها بحسب الجسد. ولكن لم يسبق ان الكتاب المقدس قد خاطب الأنبياء أو شخصيات هامة في الكتاب المقدس بهذه الطريقة من المخاطبة. فلا تجد ملكاً من نسل افرايم، الذي انحدرت منه ملوك إسرائيل بعد انفصال العشرة أسباط عن سبط يهوذا وبنيامين، مُخاطَبَاً كـ "ابن افرايم" والد السبط. أو انه يُخاطب "ابن موسى" أو "هارون".

شيء آخر، وهو ان هارون لم يكن شخصيةً مميَّزةً وهامة بين شخصيات الكتاب المقدس، حتى ان يُسمّى قادة وذاتيات هامة في الكتاب المقدس نسبةً لاسمه أو يتمثّلوا به. لم يكن هارون نبياً مثل موسى وإبراهيم. واسمه كان مرتبطاً في خطية عظيمة، وهي عمل عجل ذهبي في الصحراء، غاوياً الإسرائيليين لعبادة ذلك الرجس، الأمر الذي سبّب غضب الرب. من هنا لم يُذكر قط هارون في الكتاب المقدس كبطل إيمان أو كمثال يُتبع. لم يُذكر مع قائمة أبطال الإيمان المذكورة في سفر العبرانيين والإصحاح 11. ولم يُعتبر كأب لإيمان العبرانيين، المقام الذي أُعطي في الكتاب المقدس لأشخاص مثل ابراهيم

وذاتيات هامة أخرى من العهد القديم. كيف إذاً سوف يخاطب الله أشخاصاً بعد آلاف السنين نسبة لاسم هارون ؟!.

ثم لم تكن مريم من سبط لاوي الذي كان موسى وهارون من نسله. لو قصد القرآن ان يقلِّد الكتاب المقدس في الطريقة التي قد خُوطب بها يوسف رجل مريم الذي كان من السلالة المسيانية، لكان دعا مريم باسم داود، (أي يا ابنة داود)، أو على الأقل باسم شخص مهم من سبط يهوذا حيث كانت مريم تنتمي، وليس لشخص من سبط لاوي كما هو هارون.

زوجة عمران أي أم هارون وموسى ومريم، التي تكرِّس مريم أم يسوع في بطنها بحسب القرآن، لهو دليل قاطع على ان محمداً قد كان يظن بان مريم أم يسوع هي مريم أخت هارون.

من الواضح ان محمداً كان يظن بان مريم أم يسوع، ليست فقط من بيت هارون، ولكنها ابنة عمرام والد موسى وهارون وأختهم مريم. أريد ان اذكِّر القارئ في الآيتين في سورة عمران، لكي يرى كيف ان القرآن يصف ان زوجة عمرام والد موسى وهارون، قد كرَّست مريم أم يسوع، بينما كانت حبلى بها، كما نرى من سورة 3 أي عمران والآيتين 35 و36:

"إذ قالت امرأة عمران: رب إني نذرت لك ما في بطني مُحرّرا فتقبل مني انك أنت السميع العليم. فلما وضعتها قالت: رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعتْ وليس الذكر كالأنثى واني سمّيتها مريم وإني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم".

فالأمر لا يتعلق في مخاطبة القرآن لمريم أم يسوع باسم لقائد سابق، من حيث ان القرآن يصف بدقة ان زوجة عمرام، والد موسى وهارون، كانت حبلى في مريم أم يسوع. من الواضح هنا من خلال قراءة الآية القرآنية، من انه بالنسبة لمؤلف القرآن، كانت زوجة عمران والد هارون هي التي حبلت بمريم أم يسوع، وان زوجة عمران هي التي دعتها مريم (واني سمّيتها مريم). لا يوجد غموض هنا من انه عندما القرآن سمّى مريم أم يسوع كأخت هارون في سورة رقم 19، قصد أخت هارون الحقيقية، ولم يقصد صورة مجازية أو رمزية لمريم. وقد أكَّد القرآن ذلك من خلال تخصيص اسم أبيها أي عمران، وهو عمرام والد هارون وموسى. ولقد أفصح القرآن بوضوح ان أم مريم أم يسوع كانت زوجة عمرام.

يوجد هناك آية أخرى بها يحقِّق القرآن اسم والد مريم أم يسوع بانه عمران (عمرام) والد موسى وهارون. وهي في سورة 66، أي التحريم والآية 12:

"ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا .."

والد مريم أم يسوع هو هالي بحسب انجيل لوقا الاصحاح الثالث. ولكن أم هارون وموسى وأختهما مريم (بحسب سفر الخروج 6: 20) هي يوكابد زوجة عمرام الذي

يدعوه القرآن بعمران. معضلة الذين يريدون تخليص وجه محمد من هذا الخطأ التاريخي الجسيم هو أكثر من كيف تبرير القرآن وتبرئته من ورطة تسمية مريم أم يسوع كأخت لهارون، أو كيف يُفسَّر كيف ذُكرت في القرآن كابنة لعمران والد موسى وهارون، ولكن كيف ان زوجة عمران نفسها مذكورة في القرآن انها كانت حبلى في مريم أم يسوع. من هنا فان اعتقاد محمد من ان مريم أم يسوع هي أخت هارون الحقيقية وابنة عمران هو بدون أي شك.

اضافة لما ذكرنا من آيات، فقد كان محمد في أحاديثه يدعو موسى بـ"موسى ابن عمران". على سبيل المثال: في ادّعائه في معراج إلى السماء يسأل محمد جبريل: "فقال يا جبريل من هذا؟ قال: هذا موسى بن عمران"[248]. ومحمد لم يسمِّي قط أي شخصية أخرى كابن عمران سوى موسى وهارون ومريم أم يسوع. الأمر الذي يبرهن بانه كان يظن بان مريم أم يسوع هي ابنة عمرام كما كانا موسى وهارون أيضا. وهو لم يحدد تعريفه لمريم انها فقط كانت ابنة عمرام، ولكنه جعلها أخت هارون، الأمر الذي يؤكِّد خطأه انه كان يعتبر مريم انها تعيش في زمن هارون وموسى كأخت لهما.

الصابئيون المندائيون كمصدر الخطأ القرآني بالنسبة لمريم أم يسوع

من الواضح ان محمداً كان يعتمد على كتابات، كان أصحابها يجهلون بصورة تامة تفاصيل حياة الذاتيات المذكورة في الكتاب المقدس، والتسلسل التاريخي الذي ظهروا به. فكانت هناك مصادر بدائية في زمنه قد اعتمد عليها، وأدت به إلى خطأه الجسيم هذا (كما لأخطاء أخرى تاريخية). وبالرغم انه كانت هناك مسافة زمنية تُقارِب 1500 سنة بين المرأتين، إلا انه كانت هناك مجموعات زمن محمد ظنت بان مريم أم يسوع كانت عضوةً في عائلة هارون وموسى. ونرى هذا الخطأ التاريخي مُسجَّلاً في الكتابات المندائية. فقد كان المندائيون زمن محمد يُدعون بالصابئين، وكانوا مصدراً لخرافات وأخطاء تاريخية متعددة قد اقتبسها محمد في القرآن.

والجسر بين محمد والصابئين المندائيين هم جماعة الأحناف. إذ كان مؤسس الأحناف، وهو زيد بن عمرو بن نفيل، يذهب مُصطَحَباً من ورقة بن نوفل إلى منطقة الموصل في شمال العراق لكي يستفهم عن الديانة. الأمر الذي مهّد لتسرب كثير من أفكار المندائيين لمحمد. كان المندائيون يظنون ان مريم أم يسوع، كانت تعيش في زمن موسى وهارون كابنة لموسى أخو هارون. نقرأ في أحد كتبهم القانونية أي المعتبرة منهم مقدسة، واسمه حاران جاويتا Haran Gawaita والذي يعود للقرن الثالث ميلادي، هذه الكلمات عن يسوع:

"الذي وُضع في بطن مريم ابنة موسى. وبقي في بطنها تسعة شهور ... وعندما كمُلت التسعة شعور جاءتها آلام الولادة وولدت بالمسيح".[249]

وخطأ الصابئين المندائيين في جعل مريم أم يسوع انها قد عاشت في بيت موسى وهارون كعضوة في عائلتهم، قد حدث بسبب انهم قد اختلقوا ديانةً مناهضةً للكتاب المقدس، مفتعلين قصصاً مستخدمين بها شخصيات قد ذُكرت في الكتاب المقدس. ولكن مبتدعين سردهم الخاص وضلالهم دون ان يكون لهم معرفة في التسلسل التاريخي لأحداث الكتاب المقدس. وهذا الجهل المندائي للتاريخ تسبَّب في فوضى تاريخية في سرد القرآن، حيث ان محمداً قد تتبع آراءهم وسردهم من جهة بعض الحوادث التي سردها. ومن فوضى المندائيين هو اعتقادهم بان موسى وهارون كانا معاصرين ليوحنا المعمدان ويسوع. نقرأ عن ذلك الخطأ الجسيم في كتابهم حران جاويتا Haran Gawaita، حيث نقرأ بان موسى قد بنى هيكل القدس، وانه معاصر ليوحنا المعمدان الذي ولد قبل يسوع ببعض شهور[250].

من هنا جعلوا مريم أم يسوع تعيش زمن موسى كابنة له، وكعضوة في عائلة موسى وهارون. من الواضح انه في قرائتهم في العهد القديم عن مريم أخت هارون وموسى، ظنوا انها مريم أم يسوع. ونتيجة لذلك اعتقدوا بان موسى وهارون لا بد أنهما قد عاشا زمن يوحنا المعمدان ويسوع. وجعلوا موسى معاصراً للمعمدان ويسوع.

وقوع المندائيين من جهة الخطأ في الزمن الذي عاشت به مريم تحت تأثير بعض المجموعات الفارسية

وهناك تأثير مجموعات فارسية ساذجة على المندائيين من جهة العصر الذي عاشت به مريم أم يسوع. فلقد وقع المندائيون تحت تأثير الفرس من جهة وجوه كثيرة من ديانتهم. ذلك مردُّه إلى كونهم قد عاشوا في شمال وجنوب بلاد ما بين النهرين في زمن سيادة الفرس هناك. فينقل لنا الطبري بانه بحسب النسابين الفرس وواضعين الكرونولوجيا عندهم، قد ولدت مريم أم يسوع بعد 65 سنة من احتلال الاسكندر المقدوني لبابل[251].

مثل تلك الأخطاء ربما ساهمت في الفوضى التي وقع بها المندائيون من جهة التاريخ الذي عاشت به مريم أم يسوع. وربما أيضا قد ساهم في خلق الفوضى التي وقع بها محمد من جهة نفس المشكلة.

إدخال محمد بعض طقوس وعقائد المندائيين في الإسلام

لقد اعتبر محمد الصابئين (الذين هم المندائيين) كأهل الكتاب. كما نقرأ في سورة البقرة والآية 62:

"ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الأخير وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

فجعل الصابئين متساوين مع اليهود والمسيحيين كأهل الكتاب. وفي سورة رقم 5 أي المائدة والآية 69 قد وضعهم قبل المسيحيين كشعب قد تكلم معه "الله" وان عليهم ان لا يقلقوا بالنسبة لمصيرهم الأبدي. فتقول الآية القرآنية:

"ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

لذلك نرى بان الصابئين الذين قد حققهم المؤرخون المسلمون انهم بالدرجة الأولى صابئين مندائيين، كانوا مقبولين من محمد، وبالتالي فان كتبهم كانت مقبولة ومقدَّرة على درجة موازية للكتاب المقدس. فلقد وُضِعوا على درجة متساوية مع اليهود وحتى في مكانة تفضيل على النصارى.

ومحمد كان يُدعى صابئ من سكان مكة. فمثلا، عند رجوعه من إحدى غزواته كان عطشاناً. فسأل اثنان من رفقائه امرأةً كانت تحمل قربة ماء ان تنطلق إلى محمد لكي تعطيه ماء. نقدِّم هنا النص كما جاء في صحيح البخاري ومراجع أخرى إسلامية:

"قالا لها انطلقي إذا. قالت إلى أين؟ قالا إلى رسول الله. قالت الذي يُقال له الصابئ. قالا هو الذي تعنين. والمرأة عادت للمدينة وقالت "القيني رجلان فذهبا بي الى هذا الذي يُقال له الصابئ"[252] .

من هنا نرى بان محمداً كان يُعرف من سكان مكة بانه صابئ وهو لقب أعضاء طائفة الصابئين. وكتب الإخباريين تدلنا على ان قبيلة قريش كانت تدعو محمداً بالصابئ. ذلك بسبب انه كان يمارس طقوسهم: مثل الصلوات الخمسة اليومية والطريقة التي كانوا يصلون بها من حركات سجود ووقوف، كذلك الوضوء قبل كل صلاة، مثل غسل اليدين والوجه، تماما كما كان يفعل المندائيون قبل كل صلاة. اضافة لتقليدهم في طقوس أخرى وشعائر مثل قولهم "لا إله إلا الله".

وكان أتباع محمد يُدعون بالصابئين. فعندما أسلم ابو ذر الغفاري، كان أهل مكة يضربونه لأنه أصبح صابئياً. ليس فقط قريش قد ميزت بان شعائر محمد وطقوسه، خاصة في الوضوء وأسلوب الصلوات، منبثقةٌ من الصابئين. ولكن القبائل الأخرى أيضا. فهذه الشعائر الصابئية الأصل كانت معروفة للقبائل الأخرى. فعندما أرسلت بني عامر لبيدا لكي يستطلع أخبار محمد، فذهب وتقابل مع محمد وأسلم. عاد إلى قومه يتوضأ كما يتوضأ الصابئة، وينادي في إلههم الأكبر، ويركع ركعاتهم، ويصلي صلواتهم وفاتحاتهم التي كانت مألوفة أيضا للقرشيين وللعرب بصورة عامة، الأمر الذي جعل شاعرهم سُراقة بن عوف بن الاحوص ان يقول به الشعر مستهزئاً به، واصفا إياه انه جاءهم بدين الصابئين[253].

وبين الأمور التي اقتبسها محمد من المندائيين هو لقب "مسلمين". ونعلم بان الصابئين المندائيين الذين كانوا يعبدون عدداً من الآلهة المنبثقة من الوثنية الرافدية والفارسية، كانوا بين الذين من سمّى أنفسهم بـ " شلماني". فلقد ورد في كنزا ربا

مصطلح "الكاملين". ويقول كورت ادلوف – خبير الديانة المندائية -بان "مصطلح الكاملين هنا هو " شَلْماني وهو مصلح يطلق على أبناء الطائفة المندائية المؤمنين (الكاملين المستقيمين)، أما في هذا النص فتعني " الطيبين " وأبناء السلام"[254].

وكلمة شلماني أصبحت "شلمى" بمعنى يسلم: وهي جزء من عقيدتهم الأساسية التي تقول "كل من تعمد بالمعمودية يسلم". والمقصود هنا نوع الوضوء الذي يمارسونه. وهي مشتقة من الآرامية " إنش صابي ابمصبته شلمى "[255]. ونفس العبارة تُقال عندهم بالآذان[256]. وكلمة شلمانا مُترجمة بـ"مسلم"[257]. وكانت تسمِّي طائفة الصابئين المندائيين نفسها بلقب شلمانيا أي مسلمين. وفي الحقيقة حتى هذا اليوم يتلو المندائيون في صلواتهم:

"أيها المسلمون لا تتراجعوا عن عهدكم الذي عاهدتم الله عليه"[258].

كان هناك زمن محمد جماعات تلتبس بين خراب اوروشليم في زمن نبوخذنصر وذلك الذي حصل زمن تيطس الروماني

فوضى محمد في الحوادث التاريخية وتسلسلها هي آتية من مصادر بدائية كما نرى أيضا من خلال سرد رفقائه. لقد ذكر الطبري حديثا منقولاً من الصحابة الذين يعبِّرون عن فكر محمد، من حيث ان محمداً كان مصدرهم الرئيسي. نلاحظ في سردهم انه كان عندهم التباس بين موضوع خراب مدينة اوروشليم على يد نبوخذنصر، الذي نعلم قد حدث سنة 586 قبل الميلاد، وخراب اوروشليم الذي حدث عام 70 ميلادي على يد القائد الروماني تيطس. فادّعوا بان خراب اوروشليم قد حدث بسبب ان هيرودس قد قتل يوحنا المعمدان. وكنتيجة لذلك صار دم يوحنا يغلي، فأتى نبوخذنصر وخرّب المدينة وسبى اليهود إلى بابل. وبين الذين قد سُبوا كان النبي دانيال. وهذه الأقوال منقولة بواسطة عدد من أهم الصحابة أو الناقلين لأحاديث محمد مثل ابن عباس[259]. ذلك يُظهِر التباس صحابة محمد بين تلك الحادثتين عن خراب اوروشليم، ظانّين بان الخراب الثاني الذي حدث عام 70 ميلادي، كان قد حدث على يد نبوخذنصر الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد.

والتباسات محمد والصحابة والفوضى التي وقعوا بها من جهة التاريخ، مردها لمجموعات جاهلة من الفرس في زمانهم، الذين كانوا يدّعون في التأريخ، بدون ان يكون لهم أي معرفة تاريخية في الكرونولوجيا، أي التسلسل التاريخي للحوادث الرئيسية. لقد جعلت هذه الجماعات الفارسية المسافة بين نبوخذنصر ويوحنا المعمدان عبارة عن 51 سنة[260].

وهذه الفوضى لكثير من الجماعات الفارسية حول متى عاش نبوخذنصر ويوحنا المعمدان، قد ساهم في الفوضى التاريخية لمحمد كما تُرى في القرآن والأحاديث. ومعروف بان محمداً قد اعتمد على سلمان الفارسي، كمصدر رئيسي للميثولوجيا الفارسية والكرونولوجيا التاريخية بحسب الفرس. لقد كان سلمان كاهنا للنار في الزرادشتية قبل اعتناقه الإسلام.

وللأسف، فمن يُدّعون بآباء "التقليد الإسلامي" كانوا متأثرين في أقوال محمد والفوضى التي كانت عنده بالنسبة للكرونولوجيا، أي التسلسل في حوادث التاريخ الرئيسية، لدرجة انهم انتقدوا المسيحيين في زمانهم، عندما قال المسيحيون بان حملة نبوخذنصر ضد اوروشليم قد حدثت زمن النبي ارميا، وان المسافة بين نبوخذنصر والمسيح كانت عدة مئات من السنين[261]. نحن نعلم بان حملة نبوخذنصر ضد اوروشليم حدثت زمن ارميا، وان المسافة بين خراب اوروشليم على يد نبوخذنصر وولادة يسوع هي 586 سنة.

عائشة تدافع بشدة على ان مريم أم يسوع هي أخت هارون وموسى

ولقد دافع الصحابة رفقاء محمد، عن ادّعاء القرآن من ان مريم أم يسوع هي مريم أخت هارون. نذكر من بينهم عائشة زوجة محمد المحبوبة، والتي نقلت كثيراً من أحاديثه المُحقَّقة. وعائشة تُعتبر المرجع الرسمي لما قصد محمد من آياته القرآنية. ومعروف بان المسلمين قد عادوا إليها من اجل التأكُّد من أهداف الآيات القرآنية وتفسيرها، وما كان محمد يقصد من كثير من أحاديثه، خاصة التي فيها التباسات في المعنى، كذلك ما كان يُقصد من آيات القرآن. فهناك حادثة مدوَّنة في الطبري::

> "عن محمد بن سيرين قال: نبِّئت ان كعبا قال : ان قوله (يا أخت هارون) ليس بهارون أخي موسى، قال فقالت له عائشة : كذبت "[262]

من الواضح بان كعباً كان يحاول ان يحافظ على وجه محمد من غلطته الشنيعة. ولكنه أهمل أو تجاهل آيات أخرى من القرآن التي تحدِّد بان مريم أم يسوع كانت "ابنة عمران". ونحن نعرف بان عمران بالنسبة لأحاديث محمد كان والد موسى وهارون. وتجاهل كعب أيضا الآية القرآنية التي تقول بان زوجة عمران قد كرَّست مريم أم يسوع لله بينما كانت حبلى بها في بطنها.

نرى كيف ان عائشة تقاومه بحزم فوراً موبِّخةً إياه في كلمات قاسية، وهي "كذبت". وهي كلمة أي "كذبت" كانت عائشة وباقي أعمدة العقيدة الإسلامية تتهم بها الذين كانوا يشككون في عقائد الإسلام الرئيسية، أو عبارات هامة لمحمد في القرآن. ذلك يكشف بان المُقرَّبين من محمد كانوا قد فهموا آيات القرآن عن مريم أم يسوع كأخت هارون بأنها حقيقة لا يمكن أو يجوز دحضها.

ولكن بعد موت محمد واحتلال أراضي ذات أغلبية مسيحية؛ حيث أصبح المسلمون في اتصال مع شعوب مسيحية متمدنة، وغنية بالذاتيات ذوات معرفة في التاريخ وتسلسل الكتاب المقدس، قد أصبح المسلمون في حرج من جهة هذا الخطأ القرآني الفادح، وبدئوا يحاولون في إيجاد مخرج منه. إلا ان تصريحات القرآن عن هذا الموضوع جعل إيجاد المخرج أمراً مستحيلاً. ولا بد من الإقرار في عظم بُعد محمد عن التسلسل التاريخي المُدوَّن في الكتاب المقدس وفي التاريخ الرسمي.

سليمان في القرآن

خرافات قرآنية عن سليمان

لقد ظهرت هناك كتب خرافية بين اليهود والغنوصيين جعلت من سليمان شخصيةً خرافيةً تملك جيوشاً من الشياطين والجن والحيوانات والطيور، تحارب عنه وتُخضِع ممالك العالم له. وسخَّرت له الشياطين والجن لخدمته، والرياح لكي تحمله فيذهب بها إلى حيث يشاء. وجعلته يفهم لغات الطيور والحيوانات والنمل. وغيرها من الخرافات التي لم نرَ في الكتب التي كتبها سليمان نفسه بإرشاد الروح القدس والموضوعة في العهد القديم أي شيء من ذلك. فمعروف بان سليمان قد كتب بعض المزامير وكثيراً من الأمثال في سفر الأمثال. كذلك قد كتب سفر الجامعة ونشيد الانشاد. ومع ذلك لم تتطرق هذه الكتب إلى أي من الخرافات المنسوبة له في وقت لاحق. كذلك لم نرَ في أي سفر من أسفار العهد القديم والتي هي كلها أقدم من المصادر الخرافية التي حوت هذه الخرافات عن سليمان، أي تلميح أو رائحة لهذه الخرافات. كذلك لم يتطرق العهد الجديد إليها. فهي خرافات قد وُجدت في كُتب متأخرة قد وجدت لها انتشاراً بين القبائل العربية التي تهودت.

والقرآن الذي هو مِرآه للخرافات التي كانت رائجة في شبه الجزيرة العربية زمن محمد، لم يتوان ان يضف هذه الخرافات إلى سوره. ذلك ان محمداً كان لا يملك معرفةً في الكتب القانونية للعهد القديم، وكان يظن بان تلك الخرافات هي أصلية.

وهناك أيضا خرافات عن سليمان تحت تأثير ديانات أخرى، مثل الصابئية المندائية والفارسية والفرق الغنوصية المختلفة، اضافة لخرافات تحت تأثير الميثولوجيا العربية، أو نتيجة امتزاج هذه الميثولوجيا بالخرافات اليهودية. ومن حيث ان هذه الخرافات كثيرة، فقد سلكت مبدأ الاختصار في عرضها في هذا الكتاب.

الشياطين والجن مسخرة لسليمان

لقد جعل القرآن الشياطين خداماً نشطين مجتهدين في خدمة سليمان كما في الآية:

"ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين"
سورة الأنبياء أي رقم 21 والآية 82.

أي-كما يشرح الصابوني- يغوصون له في الماء ويدخلون أعماق البحار ليستخرجوا الجواهر واللآلئ. وأعمال غير ذلك مثل بناء القصور[263]. ونفهم ذلك من ديانة الجن في شبه الجزيرة العربية التي استبدلت الملائكة بالشياطين، وجعلت الشياطين خداماً صالحين للأنبياء والناس بدل الملائكة. كما نرى في شعر الأعشى الذي يتحدث عن الجن كخدام لسليمان. ومعروف ان الأعشى كان له شيطان يوحي إليه سمّاه بـ مسحل[264].

وهناك آيات أخرى عن الشياطين العاملة لسليمان نجدها في سورة ص:

"فسخرنا الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بناء وغواص. وآخرين مقرنين في الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب". سورة ص 37-39

وهناك بعض آيات قرآنية جعلت الجن الشياطين كفنيين عظام استخدمهم الله في خدمة سليمان في بناء الهيكل وصنع أدواته المقدسة. نجدها في سورة سبا التي هي رقم 34:

"ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر. ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه .. يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب -قصاع ضخمة تشبه الأحواض نقلا عن ابن عباس -وقدور راسيات- أي ثابتات في أماكنها لا تتحرك من عظمتها- اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور". سورة سبأ 12 و13

ونجد في القرآن الادعاء في قوة الشياطين الخارقة، وان سليمان قد استثمر هذه القوى في خدمته. فهناك قصة يسردها القرآن حول ملكة شبا (سبا)، التي ادّعى القرآن بان الهدهد قد اكتشف مملكتها وأعلنها لسليمان، وهي خرافة مأخوذة من كتاب الترجوم الثاني لإستير. فبعد ان أرسل سليمان رسالة بواسطة الهدهد مُهدِّدا الملكة، قد طلب سليمان من مستشاريه مردة الجن الشياطين، متسائلاً من يستطيع ان يُحضِر عرشها بسرعة إلى اوروشليم. هذه كلمات الآية في سورة النمل والآية 39:

"قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ"

هنا نرى إمكانية استخدام الشياطين المردة في تحريك الأمور المستحيلة في لحظة واحدة. وهي من نفس لغة كتابات جماعات الشعوذة التي مؤسسوها متورطون في العلاقة مع الشياطين.

الجذور القديمة لخرافة تسخير الشياطين والجن لسليمان

الشياطين في ميثولوجيا بلاد ما بين النهرين كمساعدين للآلهة في أعمالهم

خرافة تسخير الشياطين والجن لسليمان التي نجدها في القرآن لها جذور قديمة في ديانات ما بين النهرين. فنجد الشياطين في ميثولوجيا بلاد ما بين النهرين كمساعدين للآلهة في أعمالهم، فهناك مثلا شياطين مساعدين للإله نرجال Nergal. وهناك فريق من سبع شياطين هم من نسل (آن) An إله السماء والإلهة كي Ki إلهة الأرض[265]. الأمر ترك تأثيره على الفرس الذين احتلوا بلاد ما بين النهرين منذ العصر الأخميني الفارسي، أي في القرن السادس قبل الميلاد. وعادوا بعد ان خسروها في احتلال المقدوني لهم، ان احتلوها في العصر البارثي، ثم العصر الساساني من القرن الثالث ميلادي حتى احتلال المسلمين لبلاد فارس.

جذور فارسية لخرافة تسخير الشياطين والجن

فكرة تسخير الشياطين للقادة أو الأنبياء هي أصلا فكرة وثنية نجدها في الزرادشتية، التي تأثرت بدورها في الأفكار الرافدية السابقة الذكر. فلم تعد الشياطين عند الفرس مساعدين للآلهة ومُسخَّرين منهم، ولكن مُسخّرين لأنبيائهم وملوكهم الخرافيين. يقول كلمنس الكساندرينوس Clemens Alexandrinus (لاهوتي يوناني من القرن الثاني م) بان المجوس يفتخرون بأنهم يُخضِعون الشياطين تحت سلطتهم، ونفس الشيء أيضا يقوله Minucius Felix (مدافع لاتيني عن المسيحية من القرن الثاني أو الثالث)[266].

فصارت الشياطين تعمل أعمالاً هامةً وفنيةً للملوك الذين نراهم في الميثولوجيا الفارسية. فالشياطين كانت تبني للملك جمشيد Jamshid حمامات وقصوراً. ونسبة لـ Shah Namah (كتاب شعري فارسي) فالشياطين قد أُخضعت تحت سلطة جمشيد[267]. ثم صارت الشياطين تبني مدناً لملوك الفرس. فنرى الشياطين يبنون مدينةً عملاقةً لكيقاوس أحد ملوك الفرس[268].

ولذلك قد تركت الفكرة الفارسية تأثيرها على الديانات والسكان الذين احتك بهم الفرس، وعلى سكان المناطق التي كانت تحت سلطتهم. وصارت الشياطين مُسخَّرةً لملوك وأنبياء في تلك الديانات. وبات سليمان الذي اكتسب صفات خرافية في كثير من تدينات الشرق الأوسط، في نظر تلك التدينات، هو الأكثر تسخيراً للشياطين. ومن هذه الديانات نذكر اليهودية والفرق الغنوصية والمندائية، وديانة الجن العربية وشعرائها.

المراجع اليهودية لخرافات تسخير الشياطين لسليمان

لقد كان للفرس تأثيرا على اليهود منذ أقدم العصور. وذلك منذ احتلال الفرس لبلاد ما بين النهرين على يد كورش الفارسي في القرن السادس قبل الميلاد، واحتكاك اليهود بالفرس حيث كان اليهود مسبيين قبلاً من البابليين الكلدانيين هناك. فظهرت في وقت لاحق كتبٌ يهودية خرافية خارج عن الكتب القانونية للعهد القديم. وامتلأت هذه الكتب بخرافات عن سليمان، منها تسخيره للشياطين والجن. فصارت الشياطين تخدم سليمان بدلاً ملوك فارس، وتبني له مدناً وأعمالاً فنية الخ.

ففكرة القرآن في سورة سبا والآيات 12 و13 عن تسخير الشياطين لسليمان في بناء الهيكل، نجدها في بعض الخرافات اليهودية. فالشيطان ازموداي مُسخَّرٌ من سليمان بحسب التلمود في بناء الهيكل. وهو معتبرٌ كرئيس شياطين[269]. واسمه مشتق من اسم شيطان زرادشتي وهو aēšma-daēva، وهو شيطان الغضب. سوف نرى لاحقاً في كتاب غنوصي، وهو عهد سليمان، بان سليمان قد أخضع ايضا الشيطان Ornias وصار ينحت الحجارة في الهيكل.

وهناك كتاب يهودي خرافي قد انتشر بين العرب الذين تهوّدوا واسمه الترجوم الثاني لإستير، ويعود للقرن الثالث إلى الرابع م. وزيارة ملكة سبا لسليمان بحسب القرآن وكيف ان الهدهد قد أعلن لسليمان عن مملكة سبا، الخرافة التي سوف نعالجها لاحقا بالتفصيل، مأخوذة من هذا الكتاب. فنقرأ في الترجوم عن تسلط سليمان على الشياطين:

> ”الشياطين والوحوش الضارية، والأرواح الشريرة قد دُفعوا بين يديه“(الاصحاح الثاني من الترجوم لإستير) وايضا ”والشياطين والأرواح تأتي لكي ترقص أمامه“(الترجوم الاصحاح الرابع)؛ "قد عيّنني لأملك على الوحوش وطيور السماء وعلى الشياطين والجن"(الترجوم الاصحاح الرابع) "القدوس جعل سليمان حاكما على جميع الشياطين والأرواح" (الاصحاح الرابع من الترجوم الثاني لإستير)

ونجد لمثل هذه الأفكار صدى في القرآن. فإضافة للآيات التي تتحدث عن تسخير الشياطين والجن لسليمان، هناك آيات تتحدث عن تسخير الطير، كما في الآيات التالية:

> "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ" (سورة الأنبياء 21: 79)

الطير مُسخَّرة لداود:

> "إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (سورة ص اي رقم 38 الآيتين 19 و20)

حتى الحيوانات الغريبة الخرافية مُسخرة لسليمان كما في هذه التالية في سورة ص والآية 31:

"إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ "سورة ص الآية 31 (كانت عشرين فرسا ذات أجنحة) تفسير الطبري رقم 22951

المراجع الغنوصية

تأثُّر الفرق الغنوصية في الديانة الفارسية هو أمر معروف. وموضوع تسخير سليمان للشياطين نجد له صدى كبير في هذه المراجع الغنوصية. ومن بين الكتب الغنوصية التي ذَكَرت عن تسخير سليمان للشياطين نذكر كتاب رؤيا ادم Apocalypse of Adam، ويعود للقرن الاول أو الثاني ميلادي. حيث يرسل سليمان جيشاً من الشياطين لكي يفتشوا على فتاة عذراء قد هربت منه. ففكرة وجود جيش لسليمان من الشياطين نجدها كما سبق ورأينا في كتاب الترجوم الثاني لإستير وايضا في كتاب رؤيا آدم.

ونقرأ عن تسخير سليمان للشياطين في كتاب عهد سليمان Testament of Solomon-كتاب غنوصي يعود للقرن الاول – الخامس: ويدّعي الكتاب بان شيطاناً اسمه اورنياس Ornias كان يزعج خادماً كان سليمان يحبه. فصلى سليمان وأتاه الملاك ميخائيل مُعطياً إياه خاتماً، عليه ختم يخوّله ان يُخضِع الشياطين تحته. صار هذا الخاتم يُعرف في الميثولوجيا بـ Seal of Solomon. فدفع سليمان الخاتم للخادم الذي عندما طرحه على صدر الشيطان اورنياس قد ختمه وأخضعه. وصار اورنياس ينحت الحجارة في الهيكل[270]. وهذا في الحقيقة أحد جذور الخرافة القرآنية في سورة سبا عن تسخير الشياطين في بناء الهيكل. وعندما عرف سليمان قوة ذلك الخاتم، أمر اورنياس ان يذهب إلى رئيس الشياطين بعزبول ويختمه. وفي ختم بعزبول صار كل الشياطين تحت سلطة سليمان[271].

الشياطين يغوصون لسليمان في الغنوصية والقرآن

أعود اذكر الآيات القرآنية التي تذكر الشياطين كغواصين لسليمان. الأولى الآية 82 من سورة الأنبياء:

"وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ".
والثانية نراها في سور ص "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ. هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" سورة ص 38: 37-39

نرى في كتاب عهد سليمان ان شيطان الريح المدعو Ephippas يتعاون مع شيطان البحر الأحمر تحت اسم Abezithibod في جلب عمود من الأرجوان من البحر الأحمر لسليمان[272]. فالشياطين التي تغوص في البحر وتأتي إلى سليمان بمواد بحرية ليس أمراً جديداً قد أتى بها القرآن، ولكنه ضمن الخرافات التي نراها في مثل هذا الكتاب، اي عهد سليمان.

الجن طائعة لسليمان في المندائية

لقد كان المندائيون جزءاً من الكسائيين، وهي هرطقة نصرانية يهودية كانت في منطقة شرق الاردن. وانفصل المندائيون عنهم، وهاجروا إلى حران (مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين تقع حالياً جنوب شرق تركيا). ثم هاجروا إلى شمال العراق، وانتشروا في المناطق الجنوبية من العراق أيضا. ولقد تركت الديانة الفارسية تأثيراً كبيراً على كتاباتهم، اضافة لبعض الخرافات اليهودية. وفكرة الجن مُسخَّرة وطائعة لسليمان نجدها في كتاب المندائيين الرئيسي، وهو كنزا ربا، (اليسار منه يعود للقرن الثالث ميلادي. واليمين يعود الى ما بين الثالث والسادس)، فنقرأ في التسبيح الاول من الكتاب الثاني لكنزا ربا:

"ويولد الملك سليمان بن داود، فيكون ملك يهوذا العظيم، وحاكم أورشليم. كانت الجن له طائعة، لمشيئته خاشعة، حتى طغى، فوقعت عليه الواقعة"[273]

ومعروف ان الأحناف التي انضم إليهم محمد في شبابه، كانوا الجسر بين محمد والصابئة المندائية. من حيث ذهاب مؤسس الأحناف زيد بن عمرو بن نفيل بصحبة ورقة بن نوفل ابن عم خديجة إلى منطقة الموصل، حيث كانت هناك جماعات من المندائيين، وذلك لكي يسأل عن الديانة.

الجن مُسخرة لسليمان في أشعار الجاهلية

لم يكن القرآن المصدر العربي الوحيد الذي تطرق إلى موضوع تسخير الجن من سليمان. فهناك شعراء قد سبقوا محمد في هذا الادعاء. مما يؤكِّد ان الخرافات اليهودية والنصرانية قد كانت قد انتشرت في شبه الجزيرة قبل محمد. ومن هؤلاء الشعراء نذكر الأعشى: فمن جملة الأبيات التي تلاها الأعشى في هذا الموضوع نختار من ديوانه هذه الأبيات:

ولو كان شيئا خالدا ومعمرا   لكان سليمان البريء من الدهر

رآه إلهي فاصطفاه عبادة   وملكه ما بين ما بين الثريا ومصر

وسخر من جن الملائكة تسعة   قياما لديه يعملون بلا اجر[274]

ويستشهد الزبيدي بنفس البيت الأخير، ولكن يذكر كلمة "محارب" التي نراها أيضا في القرآن:

وسخَّر من جن الملائك تسعة   قياما لديه يعملون محاربا[275]

مما يشير على ان فكرة عمل الجن الشياطين في الهيكل هو ادعاء خرافي كان منتشراً في شبه الجزيرة العربية قبل محمد.

وهناك خرافات الجاهليين ان الجن قد بنوا لسليمان مدينة تدمر في الصحراء. فنقرأ في أشعار النابغة:

إلا سُلَيمـانَ إذْ قـال الإلـهُ لَـهُ   قُم في البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَد

وخيِّس الجن إني قد أذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح والعمد[276]

فمحمد قد عبَّر عن تلك الأفكار الخرافية عن سليمان وتسخيره للجن، والتي نادى بها بعض الشعراء الجاهليين، مُحوِّلاً إياها إلى آيات سجعية.

الأحناف وتسخير الجن لسليمان

نعرف احتكاك الأحناف، الذين قد كان محمد قد انضم إليهم في وقت مبكر، بفرق دينية مختلفة مثل الصابئين المندائيين في شمال العراق، حيث كما سبق وذكرنا مُرافقة ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نفيل لشمال العراق للبحث في الديانة. كذلك احتكاك الأحناف بالهراطقة والغنوصيين. وورقة بن نوفل قد انضم للأبيونية التي هي هرطقة نصرانية غنوصية. فنرى تأثير عقائد هذه الفِرق على الأحناف وبصورة خاصة على ورقة بن نوفل. فالجن تسير لسليمان، ذلك في أقوال ورقة بن نوفل[277]. ولقد كان لورقة دور هام في تأليف القرآن في بدايته. حيث ورقة هو الذي استخدمته خديجة في إقناع محمد بوحي، في وقت كان محمد يظن بأن به "لمة" اي شيطان، أو روح كهانة. وذلك بعد ان ظهر الروح الذي انتحل هوية جبريل لمحمد في حراء، مُهدِّداً وخانقاً إياه ثلاث مرات، لكي يُخضِعه إلى مشروع وحي. وتأثير ورقة بن نوفل على محمد واضحٌ من حيث انه بعد ان مات ورقة، "قد فتر الوحي". إذ قد وجد محمد نفسه عاجزاً ان يأتي بآيات قرآنية جديدة، إلى أن تعرَّف بمصادر جديدة، صار يستمد منها آياته.

موت سليمان والجن

تذكر سورة سبأ ان سليمان قد مات وبقي متكأً على عصاه، والجن تراقبه ولم تعلم انه مات. وبقيت الجن في العذاب، اي تعمل لسليمان أشغالاً شاقة دون ان تعلم بموته، حتى جاءت دودة الأرض وأكلت عصاه. وهذا هو نص الآية القرآنية:

"فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل مِنْسأَتَهُ فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين" (سورة سبأ:14)

وفي كلمات الثعلبي:

"فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم علموا الغيب، لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب يعملون له سنة"[278]

ويذكر الطبري حديثا لمحمد:

حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة، قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس،

عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قال: «كانَ سُلَيْمانُ نَبِـيّ اللّهِ إذَا صَلّـى رأَى شَجَرَةً نابِتَةً بـينَ يَدَيْهِ. فَيَقُولُ لَهَا: ما اسمُكِ؟ فَتَقُولُ: كَذَا. فَيَقُولُ: لأَيّ شَيْءٍ أنْتِ؟ فإنْ كانَتْ تُغْرَسُ غُرِسَتْ، وَإنْ كانَتْ لِدَوَاءٍ كُتِبَتْ. فَبَـيْنَـما هُوَ يُصَلّـي ذَاتَ يَوْمٍ، إذْ رأى شَجَرَةً بـينَ يَدَيْهِ. فَقالَ لَهَا: ما اسمُكِ؟ قالَتْ: الـخَرّوب. قالَ: لأَيّ شَيْءٍ أنْتِ؟ قالَتْ: لـخَرَابِ هَذَا البَـيْتِ. فَقالَ سُلَـيْمانُ: اللّهُمّ عَمّ علـى الـجِنّ مَوْتِـي حتـى يَعْلَـمَ الإنْسُ أنّ الـجِنّ لا يَعْلَـمُونَ الغَيْبَ. فَنَـحَتَها عَصا فتوكأ علیها حَوْلاً مَيّتا، والـجِنّ تَعْمَلُ. فأكَلَتْها الأرَضَةُ، فَسَقَطَ. فَتَبَـيّنَتِ الإنْسُ أنّ الـجِنّ لَوْ كانُوا يَعْلَـمُونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا حَوْلاً فِـي العَذَابِ الـمُهِينِ» قال: وكان ابن عبـاس يقرأها كذلك. قال: فشكرت الـجنّ للأرضة، فكانت تأتـيها بـالـماء[279].

أهم تفسير لقضية موت سليمان والجن، كما نراها في كتب تفاسير القرآن الرئيسية: هو ان سليمان عندما دنى موته قد قال لأهل بيته ان لا يخبروا الجن بموت سليمان حتى يكمّلوا بناء بيت المقدس. وكان قد بقي لإتمامه سنة. فمات سليمان قبل انتهاء بناء الهيكل بسنة، وبقيت الجن تبني لمدة سنة دون ان تعرف ذلك. فنقرأ في نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري:

"فبينا هو في محرابه متوكئاً قائماً يتلو الزبور والتوراة، إذ أتاه ملك الموت. فرفع رأسه إليه فناوله شمة فشمها فمات. وبقي سليمان على حالته لم يسقط إلى الأرض ولم يتحرك ولا مال. فهابوه وما جسروا أن يتقدموا إليه. وقالوا: إنه لم يمت، ولم تزل الإنس والجن والشياطين والوحوش والطير في الطاعة والأعمال حتى مضت سنة. ثم وقعت الأرضة في أسفل العصا، فذلك قوله تعالى: "فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته". فخر سليمان عند ذلك كالخشبة اليابسة، وكانت الجن قبل ذلك تدّعي علم الغيب؛ قال الله تعالى: "فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين"، أي في تلك السنة في نقل الصخور والبنيان وغير ذلك"[280].

وفي تحليلنا لهذه القصة القرآنية نقول:

أولا: القصة القرآنية تكشف جهل محمد في الطب وحتى في حقيقة الاختبار البشري. إذ الجسد عندما يموت لا يقدر ان يبقى متكئاً على عصا. وبحسب الآية القرآنية بقي جسد سليمان الميت قائماً على العصا أمام الجن وهي تظنه انه حي. فبقي جسده لمدة طويلة -وهي سنة- أمامهم وكأنه يشرف عليهم، حتى انتهوا من العمل في الهيكل، وحتى أتت دودة وأكلت العصا. وذلك يحتاج إلى وقت اي شهور قبل ان تأكل الدودة العصا. عندها فقط سقط جسد سليمان الميت، وعرفت الجن انه قد مات. والجسد الميت يبدأ يتحلل خلال أيام بفعل الجراثيم. فكيف له أن يبقى قائماً على عصا لمدة سنة؟!

وهناك أيضا قضية أخرى. وهو ان سليمان كان له زوجات كثيرة وأبناء، وخدام كثيرون، فكيف بقي كلهم لمدة طويلة بدون علم بموت سليمان. فهل بقي لمدة سنة دون ان يدخل عليه أحدٌ ودون ان يجلب له أحدٌ طعاماً؟!. وكيف بقيت المملكة بدون وارث وملك لمدة سنة. ثم هل الشياطين كائنات بدون ذكاء وهي أخبث الكائنات وأكثرها ذكاء.

فكيف لا تلاحظ ان سليمان يبقى لمدة سنة بدون طعام وبدون الحاجة ان يذهب إلى المرحاض لقضاء حاجته؟ وإذا علم أحد من أهل بيته بموته، فهل الشياطين لا تعرف أفكار الناس، وتعرف حالاً ان سليمان قد مات.

والقصة القرآنية في تناقض مع التاريخ من حيث ان سليمان قد بنى الهيكل حالاً بعد ان تولّى الحكم. واستغرق بناؤه خمس سنوات، ثم بنى قصره في 13 سنة. فهي خرافة قد سرت على جماعات تجهل الكتاب المقدس، ولا تقارن مع المنطق.

أما مصادر هذه الخرافة القرآنية: فهناك بعض العناصر في الخرافات اليهودية التي تدل على مصدرها. وهي كما سبق ورأينا في بعض الخرافات اليهودية ان الشياطين كانت مُسخَّرة من سليمان في بناء الهيكل. وكانت هناك دودة تنحت الحجارة في الهيكل واسمها شامير Shamir، وهي من مجرد لمسها للصخور تشقّها وتنحتها. وبالنسبة لكتاب مدراش تهلّيم Midrash Tehillim قد أتى نسر بهذه الدودة من الجنة[281]. لا شك قصة القرآن عن دودة نحتت العصا، تدل على ان الخرافة في شبه الجزيرة العربية كانت تحوي وجود هذه الدودة شامير بين العاملين في الهيكل من الشياطين الجن، دون ان ينجح العرب ان يتذكروا اسم الدودة بحسب الميثولوجيا اليهودية. وان القصة القرآنية هي تكرار لخرافة يهودية كانت شائعة بين المتهودين من العرب زمن محمد.

الحصنة المجنحة وسليمان

تقول صورة ص التي هي رقم 38 والآيات 30-33 ما يلي:

"وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ. رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ"

هذه الخيل التي عُرضت لسليمان كانت خيلاً بأجنحة، كما نرى في حديث بعض الرواة كما جاء في الطبري:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الصافنات: الخيل، وكانت لها أجنحة. وايضا "عن إبراهيم التيمي في قوله: إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيّ الصّافِناتُ الجِيادُ قال: كانت عشرين فرسا ذات أجنحة"[282]

ويستشهد القرطبي بأحاديث رواة من بينهم علي بن أبي طالب:

"وقال الحسن: بلغني أنها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة. وقاله الضحاك. وأنها كانت خيلا أخرجت لسليمان من البحر منقوشة ذات أجنحة. ابن زيد: أخرج الشيطان لسليمان الخيل من البحر من مروج البحر، وكانت لها أجنحة. وكذلك قال علي رضي الله عنه: كانت عشرين فرسا ذوات أجنحة"[283].

لا شك بان فكرة علي بن أبي طالب تعبِّر عن التفسير الصحيح للآية، وما كان محمد يعني بالآيات الصعبة، مثل هذه، إذ هو أقرب الناس لمحمد.

خرافة الخيل المجنحة التي خرجت من البحر لها علاقة في خرافة أثيوبية، كما نرى المؤرخ الروماني بلني الكبير يذكر عن خرافة الإثيوبيين ان هناك خيلا مجنحة لها قرن واحد، تنمو في جزيرة في البحر الأحمر مقابل أثيوبية وتُدعى هذه الخيل بـ Pegasi بجاسي[284]. وهي لا شك مشتقة من Pegasus الفرس المجنح في الميثولوجيا اليونانية. إذ كان اليونانيون يتمنون في أن يظهر لهم هذا الفرس لكي يركبوه ويذهبوا إلى أماكن بعيدة. وكان هذا الحصان ابنا لـ poseidon إله البحر والهزات. وكان أحيانا يسمى The Thundering Horse of Jove، وكان يحمل الصواعق التي يعملها الإله زيوس عبر الفضاء.

والخيل المُجنَّحة المعروفة بـ Pegasi في الميثولوجيا الأثيوبية لا شك هي وراء الخرافة القرآنية، من حيث انتشار الأثيوبيين في مكة. فلا بد ان الخيل المجنحة التي بحسب الميثولوجيا تعيش في جزيرة في البحر الأحمر مقابل أثيوبيا ومكة، قد أضيفت لامتيازات سليمان، الذي في الميثولوجيا الأثيوبية يتمتع في صفات خرافية لا تقل عن امتيازاته في الخرافات اليهودية.

وفكرة ان سليمان كان له خيل مجنحة، هو أمر كانت تؤمن به عائشة ومحمد أيضا. فنقرأ في سيرة محمد:

> "وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو حنين وفي سهوتها ستر. فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب. فقال ما هذا يا عائشة؟ قالت بناتي. ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع، فقال ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت فرس. قال وما الذي عليه؟ قالت جناحان. قال فرس له جناحان؟ قالت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت، فضحك حتى رأيت نواجذه. رواه أبو داود"[285].

كان محمد قد تزوج بعائشة وهي طفلة ابنة ست سنوات. لذلك كطفلة كانت تقتني اللعب، وتعتبرها كبنات لها. فحديث عائشة لا شك كان تعبيراً لخرافة منتشرة عند جماعات في مكة، بما فيه محمد، عن خيل مجنحة لسليمان تحت تأثير هذه الخرافة الأثيوبية الأصل، والتي ضمها محمد للقرآن.

خرافة سلب شيطان عرش سليمان

نقرأ في سورة ص ما يلي:

"وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي. إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" (سورة ص اي 38: 34 و35)

محسن خان Mohsin Khan يترجم الآية إلى اللغة الانكليزية في النسخة القرآنية التي تحمل اسمه ترجمةً تفصيليةً بهذه الكلمات:

And indeed, we did try Sulaiman (Solomon) and we placed on his throne Jasad (a devil, so he lost his kingdom for a while) and he did return (to Allah with obedience and in repentance, and to his He said: "My Lord! throne and kingdom by the Grace of Allah). Forgive me, and bestow upon me a kingdom such as shall not belong to any other after me: Verily, You are the Bestower."

يفسر ابن عباس الآية:

" ... عن ابن عباس، قوله: وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَدا ثُمّ أنابَ قال: الجسد: الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه، فقذفه في البحر، وكان مُلك سليمان في خاتمه، وكان اسم الجنيّ صخرا"[286].

ومجاهد يعطي تفاصيل للقصة، ولكن يسمّي الشيطان آصف:

" ... عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا قال: شيطانا يقال له آصف. فقال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب مُلكه. وقعد آصف على كرسيه. ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهنّ، وأنكرنه قال: فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطعموني أنا سليمان، فيكذّبونه. حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه، فوجد خاتمه في بطنه. فرجع إليه مُلكه، وفرّ آصف فدخل البحر فارّا"[287].

وخرافة الجسد الذي جلس على عرش سليمان مشتقٌ من خرافة يهودية: التي تقول بأن شيطاناً -أحيانا يسمى أشميداي Ashmedai وفي بعض الكتابات الأخرى يُدعى Asmodai ازموداي[1] - كان قد أخضعه سليمان من خلال خاتمه، قد سأله سليمان ما هي الصيغة التي تُطرد بها. طلب الشيطان من سليمان الخاتم لكي يريه ذلك عملياً. ثم قذف الخاتم إلى البحر وأبعد سليمان عن ملكه، وجلس على عرشه. وذهب سليمان يطوف كشخص عادي، إلى ان عاد إلى ملكه. وفي بعض الصيغ تقول الخرافة ان أثناء تجوال سليمان كفرد عادي، قد تزوج بفتاة وذهب للصيد. وصاد سمكةً ووجد في بطنها خاتمه من جديد، وعاد إلى مُلكه وأخضع الشيطان بواسطة خاتمه. لذلك نرى صدى لهذه الخرافة في كلمات المفسرين المسلمين للآية: كما رأينا سابقا.

---

[1] اسماء الشيطانيين أشيمداي وازموداي مشتقة من شيطان يُدعى بالكتابات الزردشتية تحت اسم أشما Æshma. ويقول Darmesteter المختص بالديانة الزردشتية:
"اشما كان أصلا لقبا لشيطان العاصفة اشما ، في وقت لاحق تحول الى شيطان الغضب وتعبير الشر، كأهريمان-إله الشر عند الزرادشتيين".["Introduction to Vendidad," iv. 22]

والخرافات اليهودية تجعل سليمان انه كان ملكاً ثم صار إنساناً عادياً (اي فَقَدَ المُلك) ثم استعاده من جديد[288]. وبعض الخرافات اليهودية تجعل فقدان سليمان لمُلكه كان بسبب ان ملاكاً قد اتخذ شكل سليمان وطرد سليمان، وصار سليمان يجول متسولاً ومُعترِضاً على فقدانه عرشه. ومرة وضعت امرأة أمامه صحناً من فاصوليا وضربته بعصا على رأسه قائلةً له: ان سليمان يجلس على عرشه وأنت تدّعي أنك ملك[289].

القصة في بعض الخرافات اليهودية ترتبط بقصة Ashmedai، الشيطان الذي جلب لسليمان دودة شامير التي كانت تنحت الحجارة بالهيكل. وعندما سأله سليمان انه لا يفهم قوة الشيطان، أجابه الشيطان اشميداي انه إذا فك رباطه وأعاره الخاتم السحري، سوف يكشف له ذلك. وعندما فعل سليمان ذلك، وقف الشيطان أمامه بجناح يلمس السماء وبجناح آخر يلمس الأرض، ودفع سليمان مسافة 400 parasangs فرسخ عن اوروشليم، ووضع نفسه كملك.

عاد سليمان يطالب بعرشه. وفي البداية أعتُبر كمجنون. ثم بدئوا يراقبون اشميداي، ولاحظوا انه حتى Benaiah الذي كان الاول في خدمة سليمان لم يُستدعى منذ زمن طويل. وايضا لم يكن أشميداي يحترم العادات اليهودية في الزواج. فصدقوا سليمان وأعطوه خاتم سحري آخر به قد عاد وربط أشميداي[290].

والصيغة القديمة التي تعود للقرن الثاني ميلادي هي ان أشميداي بدور سليمان، اي سليمان مزيف، هي تطوير للكتابة العبرية المعروفة ب Haggadah البابلي من الفلسطيني. وهي تتعلق بقصاص سليمان بسبب خطاياه، فاستولى ملاكٌ قد على عرشه. وصار سليمان يتجوّل كمتسول[291].

وفي Zohar -وهي عبارة عن كتابات صوفية mystical يهودية تعرف بـ Kabbalahكُتبت بلغة آرامية محددة، وتعود إلى ما بين القرن الخامس قبل الميلاد وسنة 70 م-، نرى أشميداي كمعلم لسليمان ويعطي له كتابَ سحرٍ وطب[292]. ذلك يكشف مصادر القرآن في سورة البقرة عن ان الشياطين تعلم السحر لسليمان: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ"(سورة البقرة 102)

نرى الشيطان ازموديوس بدل أشميداي يسلب سليمان العرش في قصة مشابهة لخاتم سليمان والسمكة. ويظهر ازموديوس Asmodeus أولا في كتاب طوبيا Tobit كروح شرير وملك الشياطين[293]. وفي كتاب عهد سليمان يظهر ازموديوس كشيطان قد أخضعه سليمان لبناء الهيكل. ويعترف ازموديوس انه يخدع ويتدخل في الزواج ويسبِّب الزنا الخ.

والقصة تقول انه بعد أبعد الشيطان ازموديوس سليمان عن العرش قاذِفاً إياه مسافة 400 ميل عن اوروشليم، قد رمى الخاتم السحري في البحر. وقضى سليمان ثلاث سنوات بعيداً عن مُلكه، وذلك كقصاص له لأنه قد تجاوز بعض الوصايا. وصار يتجوّل حتى صار يوماً طبّاخاً لملك عمون. ولقد أحبت ابنة ملك عمون سليمان واسمها

Naamah. الأمر الذي تضايق منه ملك عمون وحاول ان يقنعها، ولكنها أصرّت على رأيها. فقرّر الملك قتلها مع سليمان. فأُخِذا إلى الصحراء لكي يموتا من الجوع والعطش. ولكن سليمان وNaamah نجيا من الصحراء. ووصلا إلى مدينة ساحلية حيث اشتريا سمكةً، ووجد سليمان داخل السمكة خاتماً منقوش عليه "اسم الجلالة القدوس"، فعرف انه خاتمه. فعاد، وبه قد طرد الشيطان Asmodeus واستعاد عرشه[294].

لا نرى هذه الخرافات في الأسفار التي تتحدث عن سليمان في الكتاب المقدس. وهي خرافات قد ظهرت كلها بعد إغلاق الكتب القانونية للعهد القديم، ووجدت لها رواجاً بين العرب المتهودين، الذين كانوا يجهلون أخبار سليمان الحقيقية، كما ظهرت في العهد القديم. وقد تبنّاها محمد ظانّاً انها قصص حقيقية عن سليمان.

انعكاس الخرافات عن تسخير الشياطين لسليمان على الفرق الدينية

لم تعد الشياطين والجن خادمةً فقط لسليمان، ولكن قد ادّعى قادة كثير من الفِرق الدينية خاصة الغنوصية في تسخير الشياطين الجن لها. والحقيقة ان هذه الجماعات اتخذت من خرافة سليمان انه كان له شياطين تخدمه، حجةً لكي تبرِّر انغماسها في العلاقة بالشياطين.

ومن بين هؤلاء نذكر أصحاب هرطقة Carpocrates (غنوصي في بداية القرن الثاني ميلادي). فكانوا يمارسون الرقيات، ولهم علاقة بشياطين. وادّعوا انهم يتحكمون بهذه الشياطين، وأنها تخدمهم[295]. ونفس هذا الادعاء نراه في جماعة الأحناف ثم في محمد.

وقد بثّت بعض الفِرق الغنوصية فكرة ان الشياطين نافعون، ويجب الصلاة إليهم من اجل ضمان تدخلهم والاستفادة من خدمتهم. ولقد حارب آباء الكنيسة هذه الأفكار الشعوذية الخطرة. فنجد في كتابات أوريجينوس في بداية القرن الثالث ميلادي، تفنيداً ومقاومة لادعاءات Celsus و Ophiani عن ان الشياطين نافعون ويجب الصلاة إليهم[296].

ومن حيث ان ورقة بن نوفل، الذي سبق ورأينا دوره في تأليف الآيات الأولى من القرآن، كان كاهنا نصرانياً هرطوقياً، وينتمي لأحد الفِرق الهرطقية الغنوصية وهي الأبيونية، لذلك فكرة العلاقة بالشياطين وخدمة الشياطين لمثل هذه الجماعات أصبحت أمراً مقبولاً لمن هم حول ورقة من أقرباء وأصدقاء. ونحن نعلم علاقة عائلة ورقة بن نوفل بديانة الجن في شبه الجزيرة العربية، حيث ان أخته رقية بنت نوفل كانت كاهنة للجن[297].

وكان هؤلاء الهراطقة الغنوصيين يقرّون بان لكل واحد منهم شيطان كقرين. ونرى أيضا محمد كان له شيطان قرين. ونستشهد بحديث لمحمد اعترف فيه ان له شيطان قرين، وادّعى ان شيطانه قد أسلم ويأمره بالخير:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن. قالوا: وإياك؟ يا رسول الله! قال: وإياي. إلا أن الله أعانني عليه فأسلم. فلا يأمرني إلا بخير"[298]. وايضا: "وعن ابن مسعود قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة. قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير. (متفق عليه)"[299].

لذا فالشيطان، باعتراف محمد، يأمر محمداً حتى بعد ادّعائه بالنبوة. ونرى حقيقة أمر شيطان محمد له كما في هذه الحالة:

"عن جابر بن عبد قال: بينما أنا مع رسول الله صلعم امشي، إذ جاءت حية فقامت إلى جنبه صلعم، وأدنت فاها من أذنه وكأنها تناجيه. فقال النبي صلعم: نعم. فانصرفت. قال جابر: فسألته، فأخبرني انه رجل من الجن، وانه قال له مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة: أي العظم لان الله تعالى جعل لنا في ذلك رزقا"[300].

فهو يقول للجن الذي كان يأمره: نعم. أي جواب الطاعة. ولا نعرف ماذا أمره. ولكننا نتذكر قول محمد عن ان له شيطان كقرين، ولكنه أسلم فلا يأمره إلا بالخير. ونحن لا نؤمن ان شيطاناً يأمر بخير حتى ولو ادّعى أو تظاهر بالتدين. كذلك لا يمكن تصديق موضوع ان الروث وعظم البرية هو موضوع الكلام الحقيقي الذي دار بين محمد وبين الشيطان الذي كان يتكلم معه بصورة ثعبان. وان الروث وعظم البرية هي طعام الشياطين. فالشياطين ليس لها أجساد مادية لكي تتغذى. ولو كان لها أجساداً مادية لما قبِلت في ان تأكل الروث وعظام الكلاب والقطط المطروح في البرية. هنا نرى من خلال مثل هذه الحوادث الدور الذي كان محمد يلعبه كأداة تابع للجن، دون ان ينتبه تابعوه لهذه الحقيقة. فمعروف بان الشيطان قد أخذ صورة حية لكي يجرب آدم وحواء. وكان يظهر هذا الشيطان لمحمد بصورة حية ليوجّه حروبه كما هذه الحالة التي كانت قبل غزوة تبوك، حيث هرب المسلمون من منظر هذه الحية الضخمة. وادّعى محمد انه واحد من الثمانية جن الذين سابقا قد أتوا إليه لكي يستمعوا إلى القرآن[301]. وكما نفهم من الطبري ان محمداً كان مرتبطاً بالروح الذي انتحل هوية جبريل قبل ادعائه بالنبوة[302]. فلا يوجد في الكتاب المقدس اي ذكر لارتباط ملائكة بالبشر. فهم يأتون لإعلان رسالة لإنسان ثم ينسحبوا. ففكرة الاقتران بأرواح هي معروفة فقط في عالم السحر والوسطاء الذين هم في خدمة الشياطين.

محاربة الكتاب المقدس لأي علاقة بالأرواح الشريرة

من السهولة ان الإنسان الذي بلا دليل إلهي، ان يُخدع من مثل تلك المشعوذات والحجج الهرطقية والغنوصية في تورط أصحابها في الشعوذة والعلاقات مع الشياطين. والكتاب المقدس، بسبب انه كلمة الله الحقيقي، يفضح هذه العلاقات الخطرة ويحاربها بشدة. فنقرأ في سفر اللاويين:

لاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى الْجَانِّ وَلاَ تَطْلُبُوا التَّوَابِعَ، فَتَتَنَجَّسُوا بِهِمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ. (لاويين 19 : 31) وَالنَّفْسُ الَّتِي تَلْتَفِتُ إِلَى الْجَانِّ، وَإِلَى التَّوَابعِ لِتَزْنِيَ وَرَاءَهُمْ، أَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّ تِلْكَ النَّفْسِ وَأَقْطَعُهَا مِنْ شَعْبِهَا. (لاويين 20: 6) وَإِذَا كَانَ فِي رَجُل أَوِ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ». (لاويين 20: 27)

إذ كانت العلاقة والاتصال بالشياطين- التي هي جن - اكبر رجس يُحاسب عليه الإنسان بالرجم.

تحريك عرش ملكة سبا في القرآن

يدّعي القرآن استعداد مردة الجن في تحريك عرش سبا إلى سليمان في اوروشليم في طرفة عين:

"قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ " سورة النمل أي 27: 39

وقصة تحريك مردة الجن لعرش سليمان نراها في قصة زيارة ملكة سبا لسليمان بحسب القرآن، والتي مأخوذة من الترجوم الثاني لإستير. حيث بعد ان استعدت ملكة سبا، تحت تهديد من سليمان بحسب القرآن، ان تأتي لسليمان لاوروشليم، سأل سليمان مستشاريه من يأتي بعرشها إليه قبل ان تصل إليه الملكة. فنرى عفريتاً من الجن يستعد ان يُحضِر عرشها في طرفة عين.

وأساسات هذه الخرافة نجده في نفس الترجوم. فنرى في الاصحاح الثالث من الترجوم الثاني لإستير ان النسور تحرِّك عرش سليمان. وفي الاصحاح الثاني من الترجوم نرى عفاريت الجن تنقل الأسماك من البحار لسليمان:

"كان اسمه ياكا (قائد يُطاع) لأنه كان سيدا وحاكما على جميع ملوك الأرض شرقا وغربا ... كل الممالك هابته، الامم والألسنة كانوا خاضعين له، الشياطين والوحوش الضارية، والأرواح الشريرة قد دُفعوا بين يديه. العفاريت قد جلبت له كل أنواع السمك من البحار. وطيور السماء وجميع قطعان الماشية والحيوانات غير الأليفة جاءوا من ذواتهم لكي يُذبحوا من اجل مائدته ... وكل الملوك أطاعوه."

جذور ميثولوجيه لتحريك عرش سبا من عفريت

هناك جذور شرق أوسطية لخرافة تحريك عرش سبا من عفريت في لحظة. فالأمور الصعبة المستحيلة والأبعاد الكبيرة كانت تُنسب في الميثولوجيا لمردة الشياطين والجن. فنرى في الكتابات المانوية استخدام الشياطين المردة في تكوين وتحريك السماء السفلية تحت إشراف ملاكين[303]. وفي الكتاب الغنوصي عهد سليمان The Testament

of Solomon الذي سبق وأشرنا إليه، نرى شيطان الهواء افيباس قادراً ان يحرِّك الجبال ويقلب العروش[304].

وكان الجاهليون يصنفون الشياطين الجن، فيقولون: إذا خبث أحدهم فهو شيطان. فان زاد على ذلك فهو مارد. فإن زاد على ذلك في القوة فهو عفريت[305]. فكانت العفاريت في نظرهم هي أقوى الشياطين القادرة ان تعمل الأمور المُستحيلة. وذلك يدل على مدى تؤثر الجاهليين في الخرافات اليهودية والغنوصية. فلا عجب إذا رأينا مثل تلك الخرافات في القرآن.

سليمان والنملة

هناك خرافة يهودية عن سجادة ضخمة كان تطير بسليمان وجيشه المؤلف من الشياطين والناس والوحوش والطيور. وبينما كان يوماً يطير على السجادة بصحبة أربعة، هم قادة للفِرق الأربعة في جيشه هذا الخرافي، جاءوا إلى وادي النمل. وسمع سليمان صوت نملة تنصح النمل ان تدخل من أمام جيش سليمان. وكما في كل قصة أو خرافة ينسخها القرآن، تجد القرآن يقدّم ملخصاً من آيات سجعية، ولكنها قصة ناقصة ومُجوَّفة بدون المغزى الحقيقي للخرافة التي نجدها في الأصل. فكان محمد يتذكر شيئاً عن الخرافة، كما كان يسمعها من العرب المتهودين، ولكنه لم يكن ليدرك المعنى الأعمق الذي من اجله قد حيكت الخرافة. وسوف يلاحظ القارئ ذلك، عندما يقارن بين تفاصيل الخرافة اليهودية وبين السرد القرآني كما جاء في سورة النمل:

المراجع اليهودية	القرآن
"عندما عيّن الله سليمان ملكاً على كل شيء مخلوق، أعطاه سجادةً كبيرةً طولها ستين ميلا وعرضها ستين ميلا. كانت معمولةً من الحرير ومحبوكةً من الذهب النقي ومزينةً بزخرفات على أشكال متنوعة. وكان سليمان مُحاطاً بأمرائه الأربعة: آساف بن براخيا، أمير الناس، رامرات Ramirat أمير الشياطين، وأسد أمير الوحوش، ونسر أميرا للطيور	وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (سورة النمل الآية 17)
وفي يوم آخر بينما كان سليمان مسافراً فوق وادٍ حيث كانت هناك أسراب من النمل .	حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ (سورة النمل الآية 18)
سمع سليمان نملةً تتكلم مع الأخريات "ادخلوا بيوتكم وإلا فان جيوش سليمان سوف تحطمكم". سأل الملك:"لماذا تتكلمين هكذا؟" أجابت بانه كانت خائفةً إذا نظر النمل على جيوش سليمان سوف تتوقف عن مسؤوليتها في تسبيح الله، الأمر الذي سوف يكون بمثابة كارثة لهم. وأضافت بصفتها ملكة للنمل فهي مخوّلة بإعطائهم أمراً بالانسحاب.	قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (سورة النمل – بقية الآية)18 النمل كأمة تسبح الله في كلام محمد: "عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول: قرصت نملة نبياً من الأنبياء. فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه ان قرصتك نملة أحرقت امة من الأمم تسبح الله"صحيح البخاري 4: 22
صيغة أخرى للقصة في المراجع اليهودية: كان لسليمان سجادة سحرية يأمرها للطيران به. ومرة كان طائراً فوق الأرض وكان مفتخراً بذاته. فقال "أنا أعظم من الجميع. فأنا أطير فوق العالم، وأفهم كل اللغات لكل الكائنات. حتى إنني أستطيع ان اسمعهم يتكلمون عن هذا الارتفاع. في تلك اللحظة سمع مخلوقةً تقول "الملك سليمان ليس عظيما جدا". تطلع سليمان إلى أسفل ورأى بان تلك الكلمات قد قيلت من نملة. أمر السجادة ان تتوقف وتنزل إلى الأرض. ووجد سليمان النملة الصغيرة. فانحنى وأخذها حتى ينظر إليها العين بالعين. وقال لها: "أيها المخلوقة الصغيرة من التراب. لقد سمعتك تقولين بأنني ليس الأعظم. قولي لي: من هو أعظم مني؟ أجابت النملة "إنني أعظم منك". أجاب	كتب التفاسير تقول ان سليمان قد سمع النملة تتحدث عن مسافات كبيرة جدا

سليمان: " كيف تستطيعين ان تقولي ذلك؟ "أجابت النملة: أنا أعظم منك". قال سليمان: "ماذا وكيف ؟" أجابت النملة: "أنا أعظم منك، ذلك لان أعظم ملك في العالم قد توقف عندما سمعني أتكلم، وقد أحنى نفسه للأرض أمامي. وقد رفعني حتى اننا أصبحنا على نفس المستوى، وسألني سؤالاً أستطيع الإجابة عليه بينما لا يستطيع ان يجيب عليه.	
تبسم سليمان وقال "أنا هو الملك الذي وقف عندما تكلمتِ، وتواضع وأحنى نفسه. ورفعك إلى أعلى، وسألك سؤالا لم يكن قادراً ان يجيب عليه". بكل لطف قد أعاد سليمان النملة للأرض قائلا "أيها النملة الحكيمة. أنت أعظم مما كنت أظنك، وأنا لست عظيما كما كنت أفكر في نفسي. فهناك الكثير الذي ما زلت احتاج ان أتعلمه من المخلوقات زملائي".	فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (سورة النمل الآية 19) نلاحظ: سليمان يتبسم في كلا السردين. ويتواضع طالبا ان يقدّر نعمة الله عليه
المراجع اليهودية لقصة النملة وسليمان: Bet Hamidrash, ed. Jellenek - collection of smaller midrashim] V, 22–26; Louis Ginzberg, The Legends of the Jews, volume iv, chapter 5, Solomon; Sheldon Oberman, in his book : Solomon and the Ant, said that versions of the full story are found in Ma’asseh ha-Namalah, Ma’asseh Nissim; with versions in Moses Gaster’s The exempla of the Rabbis and Haim Schwarzhaum’s Studies in Jewish and World Folklore. The story “The ant and the Impenetrable Palace,” can be found in Micha Joseph Bin Gorion’s Mimekor Yisrael. “Story of the ant,” in Nathan Ausubel’s A treasury of Jewish Folklore[306] .	

لا شك بان القصة القرآنية لا يمكن ان تكون الأصل. فهي ناقصة ومجوفة بدون الرجوع لأصل الخرافة اليهودية. فمحمد يريد ان يُبهر سامعيه بعنصر الخرافة مثل جيش سليمان المؤلف من الجن الشياطين والإنس والطير، وان سليمان يفهم لغة النمل. ولكنه لم ينتبه للحوار الذي جرى بين سليمان والنملة بحسب الخرافة. ولا للمغزى الذي قصد مؤلف الخرافة اليهودي ان يعلِّم من خلال تأليفه هذه الخرافة. وهي كيف علّم الله سليمان التواضع من خلال أصغر مخلوقاته وهي نملة.

تساؤلات علمية بالنسبة للنملة وسليمان

لأصدقائنا المسلمين الذين يتطلعون للقرآن ككتاب سماوي يحوي قصصاً تاريخية قد حدثت، نلفت انتباههم بأنه لو قصد المؤلف اليهودي الأصلي للخرافة بانها قصة قد حدثت، فانه لا شك كان يجهل بالحقائق العلمية التي نعرفها نحن في جيلنا هذا عن النمل. فمعظم النمل لا يرى. والإشارة بين النمل عن طريق الرؤيا لم تُبرهن بصورة مؤكَّدة. وهناك أنواع قليلة من نمل أفريقي وأميركي ترى على مسافات صغيرة جدا[307]، فكيف للنملة ان تميِّز هوية سليمان وجيشه؟!

ثم ان النمل هو أطرم من جهة تموجات الصوت التي تُحمل من خلال الهواء. لذلك لا يسمع صوت البشر. ولكن النملة حساسة على التموجات التي تحدث من خلال الطبقة التي تحتها ضمن مسافة صغيرة لا تتعدى بضعة سنتيمترات[308]. فكيف ميَّزت صوت سليمان وهي لا تسمع صوته أو صوت جيشه ؟!

الادعاء بان النمل له لغات

هناك بعض المسلمين ينسبون الإعجاز العلمي في قصة سليمان والنملة، مدّعين ان النمل يتكلم وله لغات، وان القرآن سبّاق في ذكر ذلك قبل ان نكتشفه نحن. فهل النمل يتكلم وله لغات مُميزة وكلمات ممكن ان يستخدمها في الاتصال مع بعضه البعض؟

لقد أثبتت الدراسات العلمية للنمل بشكل قاطع ان ليس للنمل لغات أو كلام يبرر كلمات النملة للنمل في القرآن. وفكرة ان سليمان يتحدث إلى نملة، ويفهم كلامها وهي تفهم كلامه، هي جزء من خرافات يهودية كانت تنسب لسليمان فهمه للغات الحيوانات والطيور والحشرات. وهي كلها ليس لها لغات. ونرى القرآن يدّعي ان سليمان يفهم لغة الحيوانات والطيور، بما فيه لغة الهدهد الذي هو مستشاره بحسب نفس سورة النمل:

"وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ. لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ" سورة النمل أي 27 والآيات 20-24

وفـي سـورة النمـل نفسـها والآيـة 16 ينسـب القـرآن لسـليمان قـولاً انـه عُلـم "منطـق الطير" اي لغة الطير، وانه يعرف كل شيء:

"وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ"

لـذلك فقصـة حـديث سـليمان مـع النملـة هـو جـزء مـن هـذه الميثولوجيـا اليهوديـة الخرافية، التي نسبت لسليمان معرفة في لغات الطيور والحيوانات والحشرات. فنرى في كتاب الترجوم الثاني لإستير:

" كان يفهم لغات الطيور والحيوانات. والايل والكباش كانت تطيع كلمته. ولقد حملت الأسود والنمور أسلحة أمامه.. وقد فهم اللغات أكثر من كل الأمم"
الاصحاح الثاني من الترجوم الثاني

وايضا في الاصحاح الرابع من نفس الترجوم نقرأ:

"القدوس جعل سليمان حاكماً على جميع الوحوش الحقول وجميع طيور الهواء، وجميع زحافات الأرض أو ما يسير على الأرض، وعلى جميع الشياطين والأرواح. فقد فهم لغات هؤلاء جميعا كما فهموا"

ونعلم انتشار الترجوم الثاني لإستير بين القبائل العربيـة التـي تهوَّدت، خاصـة وان قصة القرآن عن الهدهد وملكة سبا وسليمان مأخوذةٌ تماما من الترجوم الثاني لإستير.

والطيـور والحيوانـات والحشـرات لا تملـك لغـات تتصـل بهـا مـع جنسـها، إنمـا هـي أصوات بدون معنى لغات. ولكن قد تبنـى محمـد هـذه الخرافـات بسـبب ظنـه ان أصـوات الحيوانات والطيور هي عبارة عن لغات حقيقية، ولها منطق مثل الإنسـان تعبّـر عنـه فـي لغات.

الاتصال بين النمل

ان دراسـة العلمـاء للنمـل جعلـتهم أن يكتشـفوا طـرق الاتصـال بـين النمـل. معظـم الاتصـال بـين النمـل هـو كيمـائي والبـاقي هـو مـن خـلال اللمـس[309]. ويعـرّف Bert Hölldobler وEdward O. Wilson، العالمـان المختصـان بالنمـل، الاتصـال الكيمائي: بانه مواد كيمائية تُفرز من الحيوانات أو الحشرات لكي تحث الحيوانات من جنسها على اتخاذ تصرف[310].

وهناك الاتصال بين النمل بالشم. وكـان معروفاً من اليهود، كمـا نـرى ان التلمود يذكر كيف وقعت قمحه من نملة. فجاء جميع النمل وشمّ القمحة ولم يأخذها، حتى جـاء صاحبها وأخذها[311].

وهناك نوع نادر من النمل يصنع صوتاً. والصوت يـأتي إمّـا من خـلال الطـرق أو الحك. والصوت الذي يـأتي مـن خـلال الطـرق: يـأتي مـن خـلال عضـو يعمـل كمطرقـة يطرق ضد عضواً آخر لإنتـاج سقسقة، التـي هـي نـوع مـن الصـوت الروتينـي والبـدائي

الذي يميّزه الإنسان. والجدير بالملاحظة ان النمل لا يغيّر نوع التطبيل الذي يعمله نسبة لنوع الخطر الذي يداهمه[312]. إذاً هي إشارات بسيطة معروفة لكثير من الحشرات. وليست هي لغات، أو توصيل كلمات مُميزة الواحدة عن الأخرى. فصوت هبوب الرياح لا تحمل معاني خاصة.

وهناك صوت لأصناف قليلة من النمل، تأتي من خلال حك أو مسح عضو فيها بعضو آخر. وهو بمثابة سقسقة الحشرات التي نجدها عند كثير من الحشرات. وهي عبارة عن إشارة واحدية النوع، وليس كلاماً أو لغة. ويقول كل من Bert Hölldobler و Edward O. Wilson:

> "لا يوجد اي دليل لتصنيف هذه السقسقة لأي شيء غير انها إشارات من نوع واحد. بمعنى آخر، النمل لا يتكلم إذ لا يعدّل الصوت من خلال الزمن"[313].

وكما اننا لا نستطيع ان ننسب لدوي النحل لغات، كذلك الأمر بالنسبة لسقسقة النمل. فنسب إعجاز للقرآن في قصة النملة والنمل وسليمان هو أمر غير علمي وادعاء باطل.

الإنسان والكائنات الأرضية الأخرى بالنسبة للكتاب المقدس والقرآن

في نهاية بحثنا عن خرافة سليمان والنملة التي نقلها القرآن من الخرافة اليهودية، نقول بان تلك الخرافة تتعارض مع كلمة الله وترتيب الله لخليقته. فالإنسان هو الكائن الوحيد القادر ان يتكلم بلغات. نسبة لكونه كائناً ذا روح يحتاج ان يتصل بالله، ويبحث عن الله ويدرس كلمته. وكونه كائناً مسئولاً أدبياً أمام الله، يحتاج ان يتصل بالناس ويعيش الناموس الأدبي المُعطى من الله.

أما الكائنات الأخرى فهي ليست كائنات روحية، وليس لأي منها نفس حية ذات بعد أبدي لا يموت. لذا فهي لا تحتاج إلى اللغة، بل إلى الإشارات البسيطة المحدودة لكل صنف.

الفكرة القرآنية هي ان جميع الحشرات والطيور هي أمم لها لغات، ومسئولة أدبياً وسوف تُحشر في يوم الدينونة، كما نرى في سورة الانعام:

> "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ" سورة الأنعام الآية 38

وهي أفكار نشأت أصلاً من الزرادشتية، التي جعلت كل الحيوانات والطيور والحشرات، إما كائنات صالحة تتبع اهورا مازدا، أو حيوانات شريرة كشياطين تتبع اهريمان إله الشر. وقد تركت هذه الأفكار الزرادشتية تأثيرها على بعض الجماعات التي حكمت الفرس مناطقها. وهذه أفكار مضادة للعلم وللكتاب المقدس والواقع.

سليمان والريح

يدّعي القرآن ان الله قد سخّر الريح لسليمان لكي تنقله حيث يشاء. ومن الآيات القرآنية نذكر سورة الأنبياء:

"وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ" سورة الأنبياء اي رقم 21 والآية 81

وهناك أيضا سورة سبأ:

"وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ" سورة سبأ اي 34 والآية 12

ولا يوجد في الكتاب المقدس، المصدر الأول لسيرة سليمان، اي ذِكر عن ان سليمان كان يركب ريحاً. فلماذا يخفي الكتاب المقدس امتيازات مثل هذه لسليمان لو فعلا كانت قد حدثت. فلم يبخل أي سفر عن ذكر تفاصيل عن سليمان. ولكن خلى الكتاب المقدس من أي من الخرافات المنسوبة له، بما فيه خرافة تسخير الرياح كواسطة نقل. وهذه الخرافة لها جذور في الكتابات الخرافية والوثنية التي كانت رائجة في مناطق مختلفة في الشرق الأوسط زمن محمد. وسوف نذكر بعض منها.

جذور فكرة تسخير الريح في الفارسية الزرادشتية

دخلت الريح كباقي عناصر الطبيعة في موضوع الثنوية الزرادشتية، اي ان بعض عناصر الطبيعة كانت ذاتيات صالحة، والبعض شريرة تحارب عالم اهورا مازدا. فهناك الريح الصالح كخادم لاهورا مازدا، والريح الشيطان كخادم لاهريمان. والرياح في الأسفار الزرادشتية كشيطان نجده في أكثر من موقع، مثل سفر Vendidad فنديداد[314]. وقول القرآن في سورة الأنبياء "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ .." هو باتفاق مع الفكرة الزرادشتية: من حيث ان الزرادشتيين يجعلون الريح كملاك، وعندما تكون ريح عاصفة فهي شيطان[315]. وهناك فكرة الزوبعة كشيطان[316]. والريح ذاتية خطرة قادرة ان تقلب كل شيء، ولكن بعض الذاتيات الفارسية الوهمية مثل Keresaspa يضع رجليه عليها ويسخرها[317].

والريح هي واسطة سير هامة تجلس عليها الأنبياء والآلهة، لذا تُسمَى في بعض الأسفار الزرادشتية بـ "فرس اهورا مازدا"[318]. ولقد صنعت الشياطين لجمشيذ عجلةً من زجاج، قد وضعت عليها الشياطين أصدافاً. وقد ركبها جمشيد على الهواء مسافراً من بلده إلى بابل في يوم واحد. وصار ذلك اليوم عيداً للفرس[319].

وفكرة تسخير الفرس للريح، واستخدامها في المواصلات من الذاتيات الخرافية الوهمية عندهم هو أمر نراه مُكرَّرا في أسفارهم. فمثلا نقرأ في كتاب دنكارد، وهو جزء من النصوص الفهلوية، عن Kai-Khusroi، وهو اسم لصورة خرافية كنبي في الزرادشتية، قد حوّل Vae إله الهواء إلى جمل مُجنح، وامتطاه ليذهب لزيارة "الذين نالوا الخلود" في أماكن بعيدة وأماكن سماوية[320].

وهذه الخرافات الفارسية قد تركت تأثيرها على مجموعات كثيرة في منطقة الشرق الأوسط كما سوف نرى في المقاطع التالية.

جذور في الغنوصية لخرافة الريح وسليمان

هناك أساسات في كتاب عهد سليمان لإخضاع الريح. يرسل سليمان مع ولد خاتمه لكي يختم به شيطان الريح الذي كان يزعج (العربية) أي شبه الجزيرة العربية. إذ كانت رائجة عند هذه الجماعات الجاهلة فكرة ان سليمان قد سيطر على العالم كله، بما فيه شبه الجزيرة العربية. فكانت الخطة هو ان يحمل الولد زق خمرٍ فارغٍ ويضع به الخاتم، ثم يفتحه باتجاه الريح حتى يمتلأ الزق منه، ثم يغلقه. فنجح الولد في ختم الريح، واسمه Ephippas "افيباس". وهكذا بدأ سليمان يستخدم الريح في بناء الهيكل. فمثلا حجر زاوية كان يُصعب حمله، فحمله هذا الشيطان الريح[321].

لا شك بان كاتب عهد سليمان كان متأثراً بالزرادشتية كما سبق ورأينا موضوع تسخير الريح في تلك الديانة.

ونجد فكرة حبس الريح أيضا في الكتابات الإسلامية. فنرى في مروج الذهب للمسعودي ان سليمان يحبس الريح في مكان[322]. من هنا نرى بان الريح هي خادمة أو عبدة لسليمان، بحيث يذلّلها ويركبها أو يحبسها في مكان، نسبة للخرافة المذكورة في كتاب عهد سليمان.

وفكرة سورة الأنبياء عن الريح نجدها في كثير من الكتب الغنوصية. فنرى في كتاب "رؤيا اخنوخ" ان الملائكة وضعت اخنوخ على مركبة من ريح، وأتت به إلى أقاصي السماوات[323]. وفكرة البراق الذي ادّعى محمد انه قد ركبه ليلا، لكي يذهب بصحبة جبريل إلى هيكل سليمان، الذي لم يكن موجودا في زمانه، لها جذور في الزرادشتية. كما سبق ورأينا ان أحد أنبيائهم يحوّل إله الهواء إلى جمل مجنح، ويسافر به إلى أماكن بعيدة. ولكننا نرى انعكاسات ذلك في بعض الأسفار الغنوصية. فهناك في كتاب The paraphrase of Shem ذِكرٌ لريح يشبه البراق له أجنحة وبشكل حيوان آحادي القرن[324].

بذور في المندائية للريح وسليمان

المندائية تملك خرافات تعكس الخرافة القرآنية. فالهواء في المندائية عبارة عن ذاتية تجلس الملوك عليه، حيث يتشاورون بينما يجلسون فوقه[325]. والهواء يجلس عليه كائنات ملكية[326]. وفكرة ان يركب نبيٌ الريح ويسافر، نجد لها مثالا في شيتل، اي شيث، وهو ابن آدم الثالث الذي صار في المندائية نبياً عظيماً. فهو بحسب كنزا ربا، كتابهم الرئيسي، يركب الرياح لكي يسافر[327].

جذور مانوية للريح وسليمان

وفكرة الريح كواسطة نقل نجدها أيضا في الديانة المانوية، التي أسسها ماني في القرن الثالث م. في ما بين النهرين. فبحسب كتاب The Kephalaia Of The Teacher، الذي يُنسب لماني، نرى يسوع قد تجوّل في الكون بواسطة عدة عربات منها عربة الهواء[328]. ومركبة الريح تحمل آدم للسماء[329].

سيلمان والريح في اليهودية

الكتابات اليهودية المسماة Kabbalah، وهي كتابات خرافية، تجعل سليمان يسافر بواسطة الريح على نسر جالساً على عرش من النور، فوصل إلى أبواب السماء وايضا إلى خلف الجبال السوداء حيث سُجن بسلاسل الملاكين الساقطين عُزا وعزائيل. وسليمان يستخدم الخاتم السحري لكي يُجبر الملاكين ان يكشفا كلَّ سر أراد سليمان ان يعرف[330]. وبحسب الخرافات اليهودية كان سليمان يسافر على نسر كبير كان يأتي به إلى تدمر[331]. ولا شك مثل هذه الخرافات كانت منتشرةً في شبه الجزيرة العربية. فنجد مثلاً في أشعار تنتمي إلى أشخاص كان يُعرف لهم علاقة بالجن، خرافات من هذا القبيل، كما في شعر للنابغة يدّعي بها ان الجن كانت تعمل لسليمان وتبني له مدينة تدمر[332].

وفكرة ان سليمان يجلس على سجادة وتحمله الريح، هي خرافة يهودية مشهورة. فكان مثل هذه الخرافة تجد لها إعجاباً في وسط أهل الجاهلية في شبه الجزيرة العربية، الذين كانوا يجهلون الأسفار القانونية للعهد القديم وعن حياة سليمان فيها. فيستقبلون هذه الخرافات كأنها حقيقة. وكان محمد بين الذين صدَّقوا هذه الخرافات. وهنا نقدِّم خرافة يهودية عن سجادة سليمان المشهورة التي تحملها الريح:

> "عندما عيّن الله سليمان ملكاً على كل شيء مخلوق، أعطاه سجادةً كبيرةً طولها ستين ميلا وعرضها ستين ميلا. كانت معمولةً من الحرير ومحبوكةً من الذهب النقي، ومزينةً بزخرفات على أشكال متنوعة. كان سليمان مُحاطاً بأمرائه الأربعة: آساف بن براخيا، أمير الناس. راميات Ramirat أمير الشياطين. وأسد أمير الوحوش، ونسر أميرا للطيور. وعندما كان يجلس سليمان على السجادة، كانت الريح تمسك بالسجادة، وتطير به بسرعة فائقة حتى انه كان يتناول وجبة الافطار في دمشق ويتعشى في بلاد مادي. ويوما امتلأ قلب سليمان بالكبرياء نسبة لعظمته وحكمته. وكعقاب له هز الريح السجادة قاذفاً أربعين ألف رجلا. عندها وبَّخ سليمان الريح على هذا الأذى الذي تسبّبه. ولكن الريح قد فرح ان الملك سوف يعود لله ويتوقف على ان يكون متكبراً، عندها شعر سليمان بخجل كبير"[333]

وعندما نقارن بين تفسير المفسرين للآية 12 من سورة سبأ، نجد ان القرآن قد تأثَّر مباشرةً بالخرافة اليهودية من جهة السجادة التي تحملها الريح وتذهب به لكي يفطر في دمشق. وهنا استتشهد بكلمات ابن كثير، في تفسيره للآية القرآنية:

"يعني تحمله إلى أرض الشام. وذلك أنه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة والخيل والجمال والخيام والجند. ثم يأمر الريح أن تحمله... كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي، فيجلس مما يليه مؤمنو الإنس. ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن. ثم يأمر الطير فتظلهم، ثم يأمر الريح فتحمله"[334]

الريح تحمل سليمان في الجاهلية

وانتشار الخرافات اليهودية والغنوصية في شبه الجزيرة العربية أمر واضحٌ من خلال الشعر العربي الجاهلي. فمثلا نقرأ في شعر الأعشى:

فذاك سليمان الذي سخرت له   مع الإنس والجن الرياح المراخيا[335]

وخرافة حمل سليمان من ريح نراها في أقوال ورقة بن نوفل[336]. ومعروف دور ورقة في تأليف الآيات المكية الأولى من القرآن. ان كل هذه المعطيات تدل على ان محمداً لم يكن ينقصه مراجع لكي يضع هذه الخرافة أو غيرها في قرآنه. فأصل ذلك خرافات كانت منتشرة في عصره بين أقربائه وأقرباء زوجته.

تأثير الخرافات المعزية لسليمان على المدّعين بالنبوة ومحمد:

كان هناك عدد من الذين ادّعوا النبوة زمن محمد. ولقد تميّز معظم هؤلاء بتقليدهم للخرافات التي نُسبت لسليمان. إذ كان سليمان بنظر العرب المتهودين كما بنظر كثيرين من الجاهليين هو النبي الأكثر جاذبية من غيره من أنبياء العهد القديم، وذلك بسبب الخرافات التي نُسبت له. فأردوا تقليد ذلك متخذين من الأمور الخيالية الخرافية التي نسبت لسليمان كدلائل نبوة لهم. إذ كان يجهل مستمعيهم علامات النبوة الحقيقية بحسب الكتاب المقدس. إضافة لجهلهم في حقيقة ان المسيح هو هدف النبوات والأنبياء قديما، وانه بعد مجيء المسيح لا يوجد نبي. نراهم قد انخدعوا في ادعاءات هؤلاء المدعين بالنبوة، ظانين ان الخرافات التي نُسبت لسليمان هي علامات النبوة. ومن بين هذه العلامات ما يلي:

ادّعوا في فهمهم للغات الطيور والحيوانات كإحدى الدلائل لنبوتهم

لم يكن المدّعون بالنبوة في شبه العربية وحدهم في الادعاء في فهم لغة الطير أو الحيوانات، فقد كان هناك من الفرس من ادّعى فهم لغة الطير والحيوانات. ونقدِّم مثالا على ذلك: فبينما كان الموبذان يرافق الملك بهرام راجعين من الصيد:

"سمعا بومين يتحدثان في خراب. فقال بهرام: ليت شعري هل أحد فهم لغات الطير؟ فقال له الموبذان: نعم إنا نعرف ذلك أيها الملك! وإنهما يتحاوران في عقد نكاح، وإن الأنثى اشترطت عليه إقطاع عشرين ضيعة من الخراب، فقبل الذكر وقال: إذا دامت أيام بهرام أقطعتك ألفا"[337].

ولقد نسب المدعون بالنبوة في الجاهلية أموراً للحيوانات والطيور، وكأنها كائنات روحية تصوم وتصلي. وقد كان الأنبياء المدّعون بالنبوة زمن محمد، مثل طليحة، يبثون فكرة صيام هذا الطائر، بقوله "والحمام واليمام، الصُّرَد الصوام"[338]. وقد كان محمد يؤيد هذه الخرافات العربية الجاهلية في زمانه مثلا:

عن بعض الصحابة "رآني صلعم وعلى يدي صرد فقال: هذا أول طير صام عاشوراء"[339]

وبين الذين ادّعوا النبوة نذكر مسيلمة بن حبيب، الذي سبق محمدا في الادعاء بأنه نبي للرحمن. وذلك في مدينة اليمامة. ولقد ادّعى مسيلمة في فهم لغات الحيوانات، ومجيء الحيوانات لكي تقص أمرها إليه، أو تتكلم معه وتخدمه. وادّعى ان ظبية كانت تأتيه من الجبل فيحلبها[340]. وكان أمية بن أبي الصلت ابن عمة محمد قد ادّعى النبوة في مدينة الطائف. وادّعى أيضا في فهم لغات الطيور والحيوانات[341]. وكان له علاقة بالجن. فشيخ من الجن قد علّمه عبارة "باسمك اللهم"[342].

أي عندما كان يمر الحيوان بقرب أمية كان يتفرّس به ويدّعي انه يفهم ما يقول، ثم يفسِّر ما قاله الحيوان، الأمر الذي قلده به محمد تماما.

وكان على محمد ان يتجانس مع المقياس الذي اعتبره الجاهليون انه مقياس النبوة. فادّعى انه يفهم لغات الطيور والحيوانات. وهناك ادعاء في صحيح البخاري ان الدواب يمرون بين يديه[343]. وادعائه ان بعض الحيوانات المشهورة في القرآن سوف تكون في الجنة، مثل كلب أهل الكهف وحمار عزيز وناقة صالح[344]. وهناك مناسبات كثيرة ادّعى بها انه يتكلم مع البقر والحمير والجمال ويعالج مشاكلهم. وكان يقص للناس قصصاً بها الحيوانات تتكلم. وعندما كان يستغرب الناس ويقولون هل الحيوانات تتكلم، كان يقول انه يؤمن بذلك. ونقدِّم هنا هذه الحادثة كما هي واردة في صحيح البخاري:

"حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا سفيان: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: "بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث". فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم، فقال: "فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر ـ وما هما ثم ـ وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب هذا: استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري". فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم، قال: "فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر". وما هما ثم. وحدثنا علي: حدثنا سفيان، عن مسعر، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بمثله""[345].

وهناك حالات ادّعى انه يفهم لغة الطيور. فنستشهد بهذه الحادثة:

"عن أنس بن مالك رضي الله قال: "خرجت مع صلعم فرأينا طيرا أعمى يضرب بمنقاره على شجرة، فقال صلعم: أتدري ما يقول؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: انه يقول: اللهم أنت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت""[346]

كان محمد يوما مسافراً مع بعض الصحابة. فدخل واحد من الصحابة بين الأشجار، ثم عاد وفي يديه فرخان صغيران لطير يسمى "الحُمَّرَة"، ويقال له كذلك "القُبّرة"، وهما يصدران صوتًا خفيفًا. وكما هو معروف انه عندما يأخذ إنسان فرخاً لطير، تلاحق الأم الفرخ وآخذه. فما هي إلا لحظات حتى خرجت "الحُمَّرَة" الأُم ترفرف بجناحيها قرب الجالسين. فنظر محمد إلى أصحابه وقال لهم: "من فجّعَ هذه بفرخيها؟ وادّعى ان "الحُمَّرَة" شكت إليه أمر فقدان فرخيها وطالبت بإعادتهما، وانه فهم لغة هذه الحمرة.

سلطانهم على الطيور والحيوانات والزواحف واخضاعهم لها واستخدامهم لها.

فكما سليمان بحسب الخرافات له سلطان على الحيوانات والطيور والزواحف، كذلك المتنبئين قد ادّعوا ذلك. ويقول الزبيدي عن اسود العنسي الذي ادَعى النبوة في اليمن:

"وهو المتنبئ الذي ظهر باليمن. كان له حمار أسود معلم، يقول له اسجد لربك فيسجد له ويقول له أبرك فيبرك"[347]

ومحمد يُخضع الحمار يعفور ويتكلم معه. هناك اختلاف في الرأي كيف وصل يعفور إلى محمد. فابن سعد في الطبقات الكبرى يقول بانه قد أهدي إليه مع ماري القبطية من "المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية":

"وأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم مارية القبطية وأختها سيرين وحماره يعفور وبغلته دلدل وكانت بيضاء"[348]

وتقول المصادر الإسلامية ان يعفور قال لمحمد انه من نسل حمير ركبهم أنبياء. وسأله محمد فيما إذا كان يشتهي النساء، فأجاب بالنفي، بسبب ذلك قد أتمنه محمد. وكان يرسله إلى باب الرجل فيأتي الباب ويقرعه برأسه. فإذا خرج إليه صاحب الدار أومئ إليه ان أجب رسول الله[349].

الحديث مع الجن والاتصالات بهم صارت تسخيرا من المتنبئين لها ودلائل لنبوتهم

وكان الأنبياء الذين ادّعوا النبوة زمن محمد في علاقة مع الشياطين. فمثلا الأسود العنسي، الذي ادّعى النبوة في اليمن كان في اتصال مع الشياطين. فيقول ابن تيمية:

"والأسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة. فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه"[350]

ومع ذلك كان العنسي يفتخر بذلك ويعتبره دلالة نبوة. ونرى افتخار أمية في علاقته بجن[351]. محمد كان يجتمع بالجن. ويسمِّي البيهقي في كتابه"دلائل النبوة" ان شعوذة اجتماع محمد بالجن عبارة عن "دلائل النبوّة ". واصطحاب محمد بعض الصحابة لجلسات شعوذية معروفة فقط وسط كهّان الشيطان في أيامنا صارت تسمى بـ "دلائل النبوة"[352].

اذاً نرى ان المدّعين بالنبوة زمن محمد، قد استخدموا خرافات منسوبة لسليمان في الادعاء في تسخيرهم للشياطين، وذلك من اجل ان يبرروا اجتماعهم بهذه الشياطين، ويخفوا حقيقة كونهم وسطاء لهذه الأرواح النجسة وخداماً لها. ولذلك عندما يجتمعون في جلساتهم الشعوذية بالشياطين، يظهرون وكأن لهم رسالة للشياطين وسلطان عليها. فكان ذلك الادعاء يُقبل ويُفسَّر كذلك من تابعيهم السذج. ولم يكن محمد مُستثنى من هذه الظاهرة. فكان يعمل خلوته في مقبرة اسمها الحُجُون بالقرب من مكة.

وهناك ما يشير إلى ماضي تواعد محمد مع الشياطين الجن، وأنّ تواعده مع الروح المنتحل جبريل هو من خبرات محمد في ذلك المجال. وهو مواعيده مع الشياطين الجن في حُجُون. والحجون كان جبلاً به مقبرة في الجاهلية[353]. وكما نفهم من البخاري كان مرارا ما ينزل محمد به[354]. وكان محمد يصطحب مساعديه إلى الحجون، وذلك لكي يتقابل مع آلاف الجن، كما في حادثة قد ذكرها ابن مسعود حيث يصرف محمد خلوته مع آلاف الجن[355]. ولنا في اصطحابه لابن مسعود مثال لتلك الجلسات من الشعوذة[356]. ونجد محمداً يعود إلى الحُجُون في فترات كثيرة من حياته. فكان يصرف الليالي هناك، كما نفهم من صحيح البخاري[357].

ولكن نرى ان الشياطين التي ادّعت انها كانت تُضرب رؤوسها وهي تتجسس على سقف السماء، لكيلا تستمع للقرآن أثناء نزوله على محمد، انها قد فتشت على محمد ووجدته راجعاً من الطائف حيث كان قد رُفض من قبيلة ثقيف.

ولقد ادّعت الشياطين الجن التي جاءت تسمع القرآن من محمد أنّها من أهل نصيبين. وجاءوا ودخلوا الشجرة ثم ابتدئوا يتكلمون مع محمد. وتدّعي كتب السيرة أنّهم عادوا إلى باقي الشياطين يعلنون لهم القرآن والإسلام. وهكذا بدأت تأتي وفود الشياطين إلى محمد لكي تؤمن بالإسلام. كما هذه الحادثة، فنقرأ في كتب سيرة محمد:

> "لما انصرف النفر السبعة من أهل نصيبين من بطن نخلة جاءوا قومهم منذرين. ثم جاءوا مع قومهم وافدين إلى رسول الله صلعم وهو بمكة وهم ثلاثمائة، فانتهوا إلى الحجون. فجاء واحد منهم من أولئك النفر إلى رسول الله صلعم وقال: إنّ قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك. فوعده رسول الله صلعم ساعة من الليل بالحجون"[358]

وهكذا يذكر ابن كثير بأنّ الجن قد أسلمت في الحُجُون. وصارت الجن تدعو للإسلام[359].

كيف عرفت هذه الثلاثمائة من الجن بالحجون، وعرضت على محمد أن تلتقي به في الحجون؟ المقبرة حيث كان محمد مراراً يقضي خلوته؟ إذاً هم شياطين أصحاب خبرة في روتين محمد اليومي وخلواته. لماذا لا يكونون هم شياطين خلوته القديمة أنفسهم؟ والطريقة في الالتقاء به هي التواعد في نفس المكان الذي كان محمد يجتمع بهم فيه من قبل. كل هذه القصص قد ابتدعها محمد لكي يبرِّر اجتماعه بهم في خلوته وعزلته عن أصحابه، لكي يذهب إلى حُجُون ويمارس جلساته مع هذه الأرواح.

في نهاية بحثنا عن خرافات سليمان، نقول بان تلك الخرافات التي لم يتطرق إليها المصدر الاول الذي ذكر عن سليمان وهو الكتاب المقدس، قد وجدت لها رواجاً وسط جماعات تميل إلى تصديق الخرافة، مثل بعض الجاهليين. ورغم أن نوع تلك الخرافات البدائية، مثل الريح الذي يحمل الأنبياء أو تسخير الشياطين واستخدامها في الأعمال الكبيرة وفي الجيوش، والحديث مع الحيوانات والطيور، هي من نهج الأسلوب البدائي للقصص القديمة، إلا ان المتنبئين في شبه الجزيرة العربية قد استخدموها في أشعارهم وادعاءاتهم. وقد استخدمها محمد أيضا ووضعها في قرآنه. فمحمد ينتمي لهذا الفريق من المتنبئين، والذي ظهر في شبه الجزيرة العربية في زمانه. وينفصل تماما عن كل الأنبياء الذين حملوا كلمة الله في الكتاب المقدس.

الـهدهد وملكـة سبأ

مقارنة بين سرد الكتاب المقدس لزيارة ملكة سبا لسليمان وسرد القرآن الخرافي عن القصة

سوف نقارن بين سرد القرآن عن زيارة ملكة سبا للملك سليمان، والحقائق التاريخية وسرد الكتاب المقدس عن نفس الحادثة.

قبل كل شيء، نود ان نلفت الانتباه للعلاقات التجارية بين سبا في اليمن وبين بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، خاصة إسرائيل. فقد حبا الله سليمان بموهبة حكمة عظيمة وفريدة، حتى ان ملوكاً كثيرين سمعوا بحكمته، وجاءوا إليه مُقدِّمين له عطايا. ومن بين هؤلاء الحكام كانت ملكة سبا. نقرأ عن زيارتها في سفر ملوك الاول والإصحاح العاشر:

وَسَمِعَتْ مَلِكَةُ سَبَا بِخَبَرِ سُلَيْمَانَ لِمَجْدِ الرَّبِّ، فَأَتَتْ لِتَمْتَحِنَهُ بِمَسَائِلَ. فَأَتَتْ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ جِدّاً، بِجِمَالٍ حَامِلَةٍ أَطْيَاباً وَذَهَباً كَثِيراً جِدّاً وَحِجَارَةً كَرِيمَةً. وَأَتَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَتْهُ بِكُلِّ مَا كَانَ بِقَلْبِهَا. فَأَخْبَرَهَا سُلَيْمَانُ بِكُلِّ كَلاَمِهَا. لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مَخْفِيّاً عَنِ الْمَلِكِ لَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ. فَلَمَّا رَأَتْ مَلِكَةُ سَبَا كُلَّ حِكْمَةِ سُلَيْمَانَ وَالْبَيْتَ الَّذِي بَنَاهُ، وَطَعَامَ مَائِدَتِهِ وَمَجْلِسَ عَبِيدِهِ وَمَوْقِفَ خُدَّامِهِ وَمَلاَبِسَهُمْ وَسُقَاتَهُ وَمُحْرَقَاتِهِ الَّتِي كَانَ يُصْعِدُهَا فِي بَيْتِ الرَّبِّ، لَمْ يَبْقَ فِيهَا رُوحٌ بَعْدُ. فَقَالَتْ لِلْمَلِكِ: [صَحِيحاً كَانَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُهُ فِي أَرْضِي عَنْ أُمُورِكَ وَعَنْ حِكْمَتِكَ. وَلَمْ أُصَدِّقِ الأَخْبَارَ حَتَّى جِئْتُ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، فَهُوَذَا النِّصْفُ لَمْ أُخْبَرْ بِهِ. زِدْتَ حِكْمَةً وَصَلاَحاً عَلَى الْخَبَرِ الَّذِي سَمِعْتُهُ. طُوبَى لِرِجَالِكَ وَطُوبَى لِعَبِيدِكَ هَؤُلاَءِ الْوَاقِفِينَ أَمَامَكَ دَائِماً السَّامِعِينَ حِكْمَتَكَ. لِيَكُنْ مُبَارَكاً الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكاً، لِتُجْرِيَ حُكْماً وَبِرّاً]. وَأَعْطَتِ الْمَلِكَ مِئَةً وَعِشْرِينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ وَأَطْيَاباً كَثِيرَةً جِدّاً وَحِجَارَةً كَرِيمَةً. لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِثْلُ ذَلِكَ الطِّيبِ فِي الْكَثْرَةِ الَّتِي أَعْطَتْهُ مَلِكَةُ سَبَا لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ. (ملوك الثاني 10: 1-10)

متى زارت ملكة سبا سليمان؟ سفر ملوك الاول يشرح مُحدِّداً ان الملك سليمان قد أكمل معظم انجازاته قبل زيارة ملكة سبا له. بين تلك الانجازات كان بناء الهيكل في القدس، وبناء قصره، وبناء أسطوله البحري الذي كان بمساعدة حيرام ملك مدينة صور الفينيقية (وكان سليمان قد تزوج بوقت لاحق من ابنة حيرام). وكان سليمان قد جلس على العرش في سنة 971 قبل الميلاد. وبعد خمس سنين بدأ يبني الهيكل؛ حيث أنهى بناءه في سبع سنين، الأمر الذي يوصلنا إلى عام 959 قبل الميلاد. بعد ذلك بدأ في بناء قصره. وحسب ما نقرأ في ملوك الاول 7 :1

وَأَمَّا بَيْتُهُ فَبَنَاهُ سُلَيْمَانُ فِي ثَلاَثَ عَشَرَةَ سَنَةً وَأَكْمَلَ كُلَّ بَيْتِهِ.

فتكميل بيته يوصلنا إلى سنة 945 قبل الميلاد. من ثم أراد ان يتاجر مع أوفير الغنية بالذهب، وهي مدينة كانت على الخليج الفارسي. فبنى أسطولاً من السفن في عصيون جابر بالقرب من ايلات-العقبة على البحر الأحمر. نقرأ عن ذلك في ملوك الاول 9: 26-28

"وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ سُفُناً فِي عِصْيُونَ جَابِرَ الَّتِي بِجَانِبِ أَيْلَةَ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ سُوفٍ فِي أَرْضِ أَدُومَ. فَأَرْسَلَ حِيرَامُ فِي السُّفُنِ عَبِيدَهُ النَّوَاتِيَّ الْعَارِفِينَ بِالْبَحْرِ مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ، فَأَتُوا إِلَى أُوفِيرَ، وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ ذَهَباً أَرْبَعَ مِئَةٍ وَزْنَةٍ وَعِشْرِينَ وَزْنَةً، وَأَتُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ."

ونرى إذاً بناءً على كلمة الله في الكتاب المقدس ان جميع هذه الانجازات قد تمت قبل زيارة ملكة سبا للقدس. فبناء عليه نستنتج بان زيارة ملكة سبا كانت محصورة بين 940 و935 قبل الميلاد.

كيف عرفت ملكة سبا عن حكمة سليمان؟

السؤال الذي قد يأتي إلى ذهننا هو: من أين سمعت ملكة سبا عن حكمة سليمان؟ من الممكن ان يكون التجار السبئيون قد كانوا في تلك الحقبة من القرن العاشر قبل الميلاد يسافرون على الخط البري التجاري، الذي كان يأتي من اليمن ماراً من شمال شبه الجزيرة العربية نحو الهلال الخصيب. إذا كان الأمر كذلك، تكون مدن واحات شمال العربية - مثل تيما وقيدار وديدان - في تلك الآونة عبارة عن قرى صغيرة، قد سهّلت عبور القوافل التجارية عبر الخط البري المتجه من اليمن نحو فلسطين. هذا الأمر الذي حذا بملكة سبا ان تسافر عبر الخط البري بدل السفر في البحر. ولكن في عصور سابقة لذلك كان مستحيلاً لمثل تلك الرحلة البرية ان تكون.

لا شك ان اسم الملك سليمان كان مشهوراً في سبا من مدة سنين كثيرة قبل زيارة ملكة سبا له. فأسطوله التجاري قد كان يبحر عبر البحر الأحمر مُتجهاً نحو أوفير على الخليج الفارسي، وكان يتوقف مرارا على موانئ البحر الأحمر، إذ أهم تلك الموانئ كانت موانئ سبا. فقد عُرفت الموانئ السبأية بأنها محطات هامة حيث كانت تقف السفن لكي تتموّن بالماء والطعام، وتتبادل السلع التجارية. كل ذلك جعل ملك إسرائيل،

المعروف بين بحارة إسرائيل بسبب حكمته وعظمة الهيكل الذي بناه والذي كان معجزة من غرائب الدنيا مثل سور الصين والأهرامات، معروفاً بين تجار وبحارة سبا. فماذا كان أهم من حكمة سليمان التي أدهشت إسرائيل وملوكاً آخرين من ملوك الأرض، سوف يكون موضوع حديث بحارة إسرائيل للسبئيين؟!.

اضافة لذلك فقبل بناء أسطول الملك سليمان بسنين كثيرة، كان أسطول حيرام، ملك صور، قد بدأ يبحر عبر البحر الأحمر مُتجهاً إلى أوفير، ومارّاً من الموانئ السبأية في اليمن. وكما رأينا سابقا فالملك حيرام قد تاجر جالباً سلعاً نحو بلدان حوض البحر الأحمر، وقد زوَّد سليمان – زوج ابنته – بذهب وخشب خاص، وحجارة كريمة. فكان هناك اتصال تجاري وثيق بين دول حوض البحر المتوسط ومنطقة الخليج الفارسي – العربي. فقد كانت هناك ممالك هامة، مثل مملكة دلمون، التي كانت تقع في منطقة البحرين ومناطق أخرى حولها. وكانت هناك مملكة مجن (التي هي عُمان الحالية). وكانت هناك على الخليج العربي موانئ هامة، مثل جرها Jerrha التي كانت تتاجر مع الهند، وتجلب السلع الأسيوية لكي يحملها الفينيقيون لمناطق حوض البحر المتوسط. وكل هذه الحركة العالمية من التجارة عبر البحار ساهمت في جعل أخبار الملوك، مثل حكمة الملك سليمان، ان تنتشر إلى ممالك كثيرة. وجعل ملوكاً كثيرين في الأرض ان يفكروا في بناء علاقات مع سليمان. ونرى ذلك في سرد الكتاب المقدس في ملوك الاول 4: 31 و34:

"وَكَانَ أَحْكَمَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ أَيْثَانَ الأَزْرَاحِيِّ وَهَيْمَانَ وَكَلْكُولَ وَدَرْدَعَ بَنِي مَاحُولَ. وَكَانَ صِيتُهُ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ حَوَالَيْهِ. وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الأَرْضِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِه"

فحركة السير البحرية من الهند إلى الخليج الفارسي، ومن البحر المتوسط نحو جنوب العربية والخليج، كانت تمر عبر الموانئ السبأية حاملةً كل الأخبار، خاصة أخبار الملك سليمان الذي كان الله قد أعطاه حكمةً خاصة. ومكّنه من بناء هيكل مُغشى بالذهب. فكانت أخباره معروفةً في الموانئ السبأية. فكيف تكون ملكة سبا الوحيدة في سبا التي لم تسمع عن ملك اوروشليم. وكيف تكون هي الوحيدة بين حكام وملوك الأرض التي لم تسمع عن سليمان. فالاتصال التجاري الوثيق الذي كان يربط سليمان باوفير عبر الموانئ السبأية، يقودنا للاستنتاج بان ملكة سبا كانت الأولى بين حكام وملوك العالم في السماع عن حكمة سليمان. ولنفس السبب فنحن نتوقع بان المملكة التي كان سليمان يعرف عنها بالأكثر وعن حكامها هي مملكة سبا بالذات.

السرد القرآني الخرافي عن زيارة ملكة سبا لسليمان مأخوذ من الترجوم الثاني لاستير

يدّعي القرآن بان الملك سليمان لم يسمع عن مملكة سبا ولا عن ملكتها إلا من خلال الهدهد (الذي أبلغه ذلك بحسب القرآن). ففي سورة النمل، اي رقم 27، هناك سرد خرافي عن زيارة ملكة سبا لسليمان. فتقول السورة بان سليمان قد جمع جيشه المؤلف

من الجن والإنس والطيور. بعد ذلك افتقد سليمان الهدهد وهدّد في ذبحه ان لم يقدِّم الهدهد عذراً عن غيابه. عاد الهدهد لكي يعلن عن اكتشافه مملكة سبا وملكتها. من ثم يرسل سليمان رسالةً مع الهدهد مهدِّداً الملكة في شن حرب ضدها إذا ما لم تخضع الملكة له. والملكة بدورها خضعت، ولكن قبل وصولها، قد أحضر الجن – تحت أمر سليمان – عرشها إلى اوروشليم، وذلك في لحظة في طرف عين.

السرد الخرافي القرآني هذا منقول بتغيير طفيف من كتاب خرافي يهودي اسمه الترجوم الثاني لاستير. مع الفرق ان الطير في الترجوم عبارة عن الديك البري، بينما في القرآن هو الهدهد. والديك البري هو اسم آخر للهدهد. والترجوم يستخدم النسور لنقل الأمور العظيمة لسليمان، بينما القرآن يستخدم الجن لنقل عرش سبا لسليمان. التفاصيل الباقية متطابقة في الترجوم وفي القرآن.

تاريخ كتابة الترجوم الثاني لاستير

وقد كُتب الترجوم الثاني لاستير في القرن الرابع ميلادي. والباحثون مثل S. Gelbhaus يعيد كتابة الترجوم الثاني لاستير للقرن الرابع ميلادي[360]. والباحث Grossfeld يرجِّح القرن الرابع ميلادي. وهو بروفسور اللغة العبرية والآرامية في جامعة وسكانسن Wisconsin وعضو مؤسس لمؤسسة الدراسات الترجومية، أي المختصة في جميع كتب الترجوم founding member of the Association for Targumic Studies. فبعد ان ذكر عن آراء بعض الباحثين في تاريخ الترجوم، أضاف:

"من الممكن أن يكون تاريخه يعود للقرن الرابع ميلادي. فالإثباتات الداخلية لحقيقة قِدم تاريخ كتابته يعبِّر عن طبيعة وحقائق تاريخية. فلمحة دالة بشكل قوي عن ذلك هو ما نقرأه في النسخة P الاصحاح الاول والعدد الاول، حيث مذكورة الإمبراطورية الثامنة من العشرة ممالك التي بحسب الكاتب بعضها حكم والبعض كان يتوقع الكاتب انها تحكم في المستقبل. فالثامنة موصوفة بأنها "روما الشريرة" "التي نرجو ان إله إسرائيل ينزعها سريعا، ولتؤخذ المملكة منهم وتُعطى للمسيا ابن داود، الذي سوف يكون الملك التاسع". وتلك الفترة موصوفة بأنها فترة اضطهاد شديد تحت النير الروماني، التي فقط ممكن التحرر منها بمجيء المسيا (من حيث ان اليهود لم يؤمنوا ان يسوع هو المسيا وكانوا ما زالوا ينتظرون مجيء المسيا لكي يحررهم من عبودية الرومان). فهذه المعطيات تتفق تماما مع بداية القرن الرابع ميلادي، كتاريخ كتابة الترجوم."[361]

وفي تحليلنا للترجوم الثاني لاستير نلاحظ انه من السهولة ان نعيد تاريخه إلى أثناء وجود حكم الرومان. فيعبِّر السفر عن حالة اليهود في تلك الحقبة. وهناك في المخطوطة P في العدد الاول من الاصحاح الاول 1:1، والتي استشهد بها Grossfeld، ذِكرٌ للإمبراطورية الرومانية التي كانت تحكم زمن الكاتب، واصفاً إياها بروما الشريرة، مرتجيا الكاتب ان الله يزيلها بسرعة، وان المُلك يؤخذ من الرومان

ويُعطى للمسيا ابن داود. وهذه تعبّر عن فترة اضطهاد شديد عانى منه اليهود من الإمبراطورية الرومانية، الأمر الذي يناسب بداية القرن الرابع ميلادي، كتاريخ كتابة الترجوم الثاني لاستير. وهناك نجد في الاصحاح الخامس من الترجوم الثاني لاستير عبارةً مشابهةً: "روما المدينة الشريرة يا ليتها تُقلع من هذا العالم "[362] ذلك إثبات ان الكاتب كان ما يزال تحت حكم الإمبراطورية الرومانية. ومن خلال تحليلنا للإصحاح الاول من الترجوم نلاحظ هناك تأكيد من ان الكاتب كان تحت حكم إمبراطورية روما. إذ يضع الممالك التي حكمت نسبة للإمبراطوريات. ولكنه لا يضع الإمبراطورية البيزنطية ولكن روما. يقول في الاصحاح الاول وفي بداية الكتاب:

"وكان في أيام احشويروش وهو واحد من الملوك العشرة الذين حكموا العالم وسوف يحكمونه في المستقبل. وهم عشرة ملوك. أول ملك هو ملك الملوك ورب الجنود، ليتعظم بسرعة فوقنا. والثاني هو نمرود. الثالث هو فرعون ملك مصر. الرابع هو من إسرائيل (يقصد سليمان). الخامس مملكة نبوخذنصر ملك بابل. السادس احشويروش، (يضعه الكاتب كممثل عن مملكة الفرس). السابع اليونان. الثامن روما. التاسع الملك المسيا ابن داود. العاشر سيحكم ثانية ملك الملوك ورب الجنود، ليُستعلن مُلكه بسرعة لنا ولجميع سكان العالم"[363].

لقد عبّر الكاتب عن الممالك الكبيرة التي أتت للعالم، واضعاً مملكة نمرود في ما بين النهرين أولا، ثم مملكة الفراعنة. ثم مملكة إسرائيل، إذ اعتبر أن سليمان قد حكم العالم. ثم مملكة نبوخذنصر، ثم مملكة الفرس. ثم اليونان، ويقصد الاسكندر المقدوني. ثم مملكة روما. ثم يتحدث عن الممالك التي سوف تأتي بعد ذلك: وهي بنظره مملكة المسيا، ثم مملكة "ملك الملوك ورب الجنود". فهو إذاً كان يعيش في فترة كانت روما ما زالت تحكم.

والآراء المختلفة في تاريخ الكتب مردّها لنظر البعض من ان بعض التنقيحات المتأخرة هي مؤشرٌ كتاريخ كتابة كتاب معين. وهذا نعرفه من خلال كتب كثيرة. فكثيرة هي الكتب التي نعرف تاريخ كتابتها القديم قد تعرّضت لتنقيحات لاحقة من الناسخين.

اطلاع محمد على خرافات الترجوم

واطلاع محمد على الترجوم هو مؤكَّدٌ ليس فقط من خلال خرافة الهدهد وملكة سبا. ولكن من أمور أخرى قد تطرق إليها القرآن أو محمد في أحاديثه، ومصدرها الترجوم الثاني لاستير. مثلا في أحاديثه – والتي سوف نناقشها بأكثر تفصيل في موضوع نمرود- يدّعي محمد بان نمرود قد ملك على كل الأرض، وان سليمان ونبوخذنصر وذو القرنين قد ملكوا أيضا على الأرض كلها. وادّعى محمد ان اثنين من الشخصيات التاريخية الثلاثة الآنفة الذكر كانا مؤمنين، وهما سليمان والاسكندر المقدوني. وان الآخرين كانا كافرين وهما نمرود ونبوخذنصر[364]. وحديث محمد هذا هو

مطابق لما ورد في الترجوم الثاني لاستير. فهذه الكرونولوجيا الخرافية يختص بها الترجوم الثاني لاستير.

أما من جهة التشابه بين التفاسير الإسلامية والترجوم. مثال ذلك في الشعر الذي على ساقي ملكة سبا عندما رفعت ثوبها. فهو إثبات ان الترجوم كان شائعاً في شبه الجزيرة العربية، وان مفسري القرآن عادوا إليه لكي يفسروا الآية القرآنية عن رفع الملكة عن ساقيها عندما دخلت حيث سليمان كان جالساً. ومعروف عودة الكتّاب المسلمين لمصادر القرآن من اجل تفسير القرآن. فمثلا وهب بن منبه يتكلم عن ارض الظلام التي دخل إليه ذو القرنين في البحث عن الخلود وعن نبع الخلود ويتحدث عن السمكة التي حييت، وهذه الخرافات مصدرها الأصلي هو كتاب المنتحل لكلستنيس. ووهب بن منبه قد ولد سنة 36 هجري.

انتشار الترجوم في العربية قبل محمد بقرون

وكان الترجوم منتشراً بين القبائل العربية التي اعتنقت اليهودية. وهناك ذِكر عن الخرافة في الشعر الجاهلي قبل محمد، خاصة في أشعار أشخاص كانوا قد ادّعوا النبوة قبل محمد، مثل أمية بن أبي الصلت، وهو ابن عمة محمد[365]. وقبل أمية قد تكلم تبّع القائد اليمني عن الهدهد وملكة سبا. فمن بين أشعاره:

من قبله كانت بلقيس عمتي ملكتهم حتى أتاها الهدهد[366]

وكان تُبّع –وهو لقب لتُبان أسعد أبو كرب- قد احتل مكة حوالي عام 425 ميلادي. ومصادر تُبّع في هذه الخرافة هم اليهود. فنحن نعلم انه عندما احتل تبّع المدينة –يثرب، اخذ حبرين من أحبار اليهود من بني قريظة، ونزل بهما إلى اليمن. وكان اسم الحبرين كعبا وأسدا[367]. وتقول كتب الإخباريين بأنهما علّما تُبّع أشياء كثيرة والتي جعلها في أشعاره [368].

وكثير من الباحثين المختصين في تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مثل De Lacy O'Leary، يعتقدون بان بعض القبائل مثل بني قريظة وبني النضير هما أصلا قبيلتان عربيتان قد تهودتا، وبعضهم يظن ان معظم يهود شمال الجزيرة العربية كانوا أدوميين[369]. والحقيقة ان أسماء كثيرة من القبائل اليهودية، مثل بني قريظة وبني نضير، هي عربية، ويُرى في أشعارها الطابع العربي. وهناك أمور أخرى تدل على انهم أصلاً عربٌ قد تهودوا. ويرى بعض المؤرخين اليهود ان يهود جزيرة العرب كانوا في معزل وانفصال عن بقية أبناء دينهم، وان اليهود الآخرين لم يكونوا يرون ان يهود العربية مثلهم في العقيدة. بل رأوا انهم لم يكونوا يهوداً، لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية، ولم يخضعوا لأحكام التلمود[370]. من هنا كانت الخرافة اليهودية والكتب الخرافية مثل ترجوم أستير الثاني تجد عند تلك القبائل المتهودة قبولاً وشيوعاً، وكأنها كتابات قانونية تعادل كتب موسى وباقي كتب الأنبياء. ذلك بسبب طبيعة البيئة في شبه الجزيرة العربية التي تميل للخرافة وللسرد الخرافي. من هنا تسرُّب هذه الخرافات

اليهودية من القبائل العربية المتهودة إلى أشخاص، مثل تُبع الذي تتلمذ على يد الحبرين من بني قريظة. كذلك وجود مثل هذه الخرافات في شعر أمية بن أبي الصلت. وتواجد ذكر لعناصر خرافة الهدهد وملكة سبا في شعر تُبع وأمية وغيرهم قبل محمد يدل على انتشار كتاب ترجوم الثاني لاستير الذي هو مصدر الخرافة، في عصور سبقت تاريخ احتلال تُبّع ليثرب المدينة، اي في بداية القرن الخامس الميلادي.

دقة السرد القرآني من الترجوم

وبدون شك، السرد القرآني مأخوذ من الترجوم الثاني لاستير مع قليل طفيف من التغيير. فكما ذكرت سابقا فان جميع التفاصيل هي متطابقة. مثلاً نقرأ الفقرات التالية في الاصحاح الرابع من الترجوم:

"عندما كان سليمان يشرب الخمر كان يأمر الوحوش الضارية والطيور والزواحف والشياطين والأرواح ان تأتي لكي ترقص أمامه، لكي يُرِي عظمته للملوك الذين كانوا يمكثون عنده. فكتبة الملك كانوا يستدعونهم بالاسم، وكانوا يأتون بدون عنف وبدون ان يقودهم إنسان. وفي ذلك الوقت كان ديك الغابة غائباً بين الطيور ولم يُوجد. وأمر الملك بغضب ان يأتي إليه وإلا سوف يذبحه. ثم أجاب ديك الصحراء الملك سليمان قائلا: يا ملك الأرض. أمل أذنيك واسمع لكلماتي. ألم تمر ثلاث شهور منذ قدمت نصيحة لقلبي وكلمات حق على لساني. منذ ذلك الوقت فلم آكل طعاما أو اشرب ماء قبل ان طرت كاشفا كل العالم، متسائلا: هل هناك من بلاد أو مملكة غير خاضعة لسيدي الملك. ولقد لاحظت بان هناك بلاداً اسم مدينتها المحصنة قيطور أو كيتور Kitor (اسم مشتق من البخور حيث كانت سبا مشهورة في تجارة البخور)... وغبار أرضها أثمن من الذهب، وفضتها مطروحة في الشوارع مثل روث الحيوانات في الكثرة. وهناك أشجار قائمة من عصور غابرة، تستقي من مياه جنة عدن. جماهير عظيمة هناك من جنة عدن، على رؤوسهم تيجان. وهم لا يعرفون شيئا عن شن الحروب. فهم عاجزون على رمي السهام. ورأيت امرأة تملك عليهم جميعا واسمها ملكة سبا. والآن إذا سُرَّ سيدي الملك، فإنني سوف اذهب إلى مدينة كيتور أو قيطور في ارض سبا وسوف أقيد ملوكها وحكّامها بسلاسل من حديد، وآتي بهم إلى سيدي الملك"[371].

كما يلي الآيات من سورة النمل التي تقابل تلك الفقرات من الترجوم:

"وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ. لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ " سورة النمل أي 27 والآيات 20-24

نلاحظ انه في كلا السردين:

1-يتفقد سليمان في القرآن خدامه من الطير، بينما في الترجوم يتفقد الطير والوحوش والجن الخ. وكأن القرآن يريد ان يقول عندما وصل سليمان لتفقد الطير أنه لاحظ ان الهدهد غائباً.

2-في كلا السردين ديك الغابة في الترجوم والهدهد في القرآن كان غائباً. وديك الغابة هو لقب للهدهد.

3-في كلا السردين هدد سليمان في قتل ديك الغابة-الهدهد ان لم يأتِ.

4-في كل السردين ديك الغابة أو الهدهد يعلن عن اكتشافه لمملكة سبا وأن امرأة تملكهم. وعن غنى الملكة والمملكة.

يستمر السرد في الترجوم:

"هذا الكلام قد أعجب الملك. فجُمع كتّاب الملك وكتبوا كتابا، وربطوه بجناح ديك الغابة. الذي بدوره طار عالياً، وانضم إلى الطيور التي اتحدت في أسراب، وذهبوا إلى مدينة قطور إلى ارض سبا. وعند الصباح خرجت ملكة سبا لتعبد البحر، عندها حجبت أسراب الطيور أشعة الشمس، الأمر الذي جعلها ان تأخذ ثيابها وتمزقها وكانت مندهشة جدا. ونزل نحوها ديك الغابة، ولاحظت بان هناك رسالةً مربوطةً في جناحيه. فحلت الرسالة وقرأتها. وكان مكتوب في الرسالة : "مني أنا الملك سليمان. سلام لك وسلام لأمرائك. كما انك لا بد تعرفين ان القدوس، ليكن اسمه مباركا، قد عيّنني لأملك على الوحوش وطيور السماء وعلى الشياطين والجن. وكل ملوك الشرق والغرب والجنوب والشمال أتوا لكي يحيّوني. الآن ان أردت ان تأتي وتحييني، سوف أُظهِر لك كرامة أعظم من جميع الذين قد أتوا اليّ من قبل. ولكن ان لم تأتِ وتحييني، سوف أرسل ضدك ملوكاً وجيوشاً وفرساناً. وإذا سألت: ما نوع الملوك والفِرق والفرسان التي تنتمي لسليمان؟ اعلمي بان الوحوش الضارية هي الملوك والفِرق، وطيور السماء هم الفرسان. وجيشي يحتوي على شياطين وأرواح التي سوف تخنقكم في أسرّتكم داخل بيوتكم. والوحوش الضارية سوف تقتلكم في بيوتكم، وطيور السماء سوف تأكل لحمكم في حقولكم"[372].

نعود إلى الآيات من 28-31 لنرى نقاط تشابه أخرى بين السردين:

"اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ"

نلاحظ في كلا السردين، يرسل سليمان رسالةً إلى ملكة سبا بواسطة ديك الغابة-الهدهد. الترجوم يستخدم تحيةً عبرانيةً، بينما القرآن يستخدم تحيةً إسلاميةً "باسم الله الرحمن الرحيم". في كلا السردين سليمان يتطلب خضوعاً إليه من الملكة وجيشها. كما نلاحظ بان جيش سليمان في الترجوم هم الشياطين والجن وحيوانات وطيور. نجد في الفقرات التي سبقت في القرآن أي سبقت موضوع الهدهد وملكة سبا، نفس الجيش يستخدمه سليمان لتجهيز حملة عسكرية، كما نقرأ في الآية 17 من نفس سورة النمل:

"وحُشِر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُوزَعُون".

يستمر سرد الترجوم:

"عندما سمعت ملكة سبا كلمات الرسالة، مزقت ثيابها. ثم جمعت شيوخها وأمراءها وقالت لهم: "هل تعلمون ما الذي أرسل الملك سليمان طالباً؟. "أجابوها" لسنا نعرف الملك سليمان ولا نعتبر مملكته". لكنها لم تثق بهم ولم تسمع لكلامهم. وجمعت جميع سفن البحر وملأتها بجواهر وأحجار كريمة. وأرسلت له ستة آلاف غلام وفتاة الذين ولدوا في نفس السنة والشهر واليوم والذين كانوا في نفس الطول والحجم، وكانوا جميعا لابسين الأرجوان".[373]

والآن نرى فقرات القرآن التي توازي كلمات الترجوم:

"قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ. قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ. قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً. وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ. وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ. فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ. ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ".(سورة النمل 27 : 32-37)

نلاحظ في كلا السردين، جمعت الملكة شيوخها والرؤساء في مملكتها، وسألت منهم النصيحة. وفي السردين نجد بان الرؤساء رفضوا فكرة الخضوع لسليمان. وأظهروا بأنهم معتدون بذواتهم وبقوتهم، وغير مبالين بقوة سليمان وتهديده. وفي كلا السردين لم تسمع الملكة لنصيحتهم وأرسلت هدايا ثمينة إلى سليمان.

ويذكر الترجوم بان ملكة سبا عندما دخلت قصر سليمان، ظنت بان الملك كان جالساً في الماء، فرفعت ثيابها عن ساقيها. ولقد نقل القرآن هذا النص من الترجوم، فأذكر أولا كلمات الترجوم عن ذلك:

"الآن، عندما سمع الملك سليمان بأنها آتية نحوه. وقف الملك سليمان وذهب لكي يجلس في غرفة حمام. (بعض النسخ تقول في شقة من الزجاج). وعندما رأت الملكة أين الملك كان يجلس، قالت في نفسها "لا بد ان الملك يجلس في الماء". فرفعت ثيابها لكي تعبر الماء. عندها لاحظ سليمان الشعر على رجليها. فقال لها "جمالك هو جمال النساء، ولكن شعرك هو شعر الرجال". إذ الشعر هو عنصر جمال للرجل ولكنه عارٌ على المرأة"[374].

نجد نفس الفكرة في القرآن. فنقرأ في سورة 27 اي النمل والآية 44:

" قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ. فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا. قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ. قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"

كما يلاحظ القارئ بان سرد القرآن هو تلخيصٌ أمين لسرد الترجوم. فخرافات اليهود وشعوب أخرى زمن محمد نراها موضوعةً في القرآن بصورة مُلخَّصة في

أسلوب شعري أو نثر موزون. وهي في الحقيقة مترجمة للغة العربية في أسلوب قد تبناه كل المدّعين النبوة في تلك الآونة مثل أمية بن أبي الصلت، ذلك لا يغيَر من كونها خرافات معروفة ولا يحوّلها لوحي.

نمرود

نمرود في القرآن

نمرود كما نراه في سفر التكوين كان قد بنى المدن الأولى لبلاد ما بين النهرين. فقد كان ابن كوش ابن حام ابن نوح. ومن بين المدن التي بناها نمرود هي Erech محققة من الباحثين بـ "الوركاء" أو أوروك Uruk. التي تبعد عن أور حوالي 35 ميل وحوالي 30 ميل شرق مدينة السماوة العربية في جنوب العراق. ولقد وُجدت بها آثار تعود إلى الألف الرابع ق.م. ويعتقد علماء الآثار اليوم ان اوروك كانت موجودة في حوالي عام 5000 ق.م. فيما يُعرف بـ عصر Eridu. لذلك نرجّح ان نمرود قد بناها في نهاية الألف السادس ق.م. وهي الآن تُعتبر أقدم مدينة في العالم. وان يذكرها الكتاب المقدس كأول المدن التي بُنيت في العالم، هو دليل صدق وحي الله لموسى كاتب سفر التكوين. خاصة عندما نعرف انه ابتداء من عام 2000 ق.م. قد فقدت اوروك أهميتها. ففي عصر موسى اي في القرن الخامس عشر ق.م. كانت بدون أهمية، وغير مُرشحة لكي يختارها اي كاتب كأقدم مدينة في العالم.

والإخباريون المسلمون، استنادا على سفر التكوين، يقولون بان نمرود هو ابن كوش، وأحيانا يجعلونه ابن كنعان والد كوش ولكنهم يضعونه معاصراً لإبراهيم[375].

ان هذا الادعاء الخاطئ من نحو نمرود قد أُبتدع خصيصا من اجل تأييد خطأ في القرآن، والذي نفهم من مفسري القرآن ان الشخصية التي تعامل معها ابراهيم كانت نمرود[376]. وبذلك جُعل نمرود مُعاصراً لإبراهيم الذي عاش في القرن العشرين ق.م. يدّعي القرآن ان الملك المعاصر لإبراهيم، والمُحقَّق من الصحابة ومُفسِّري القرآن بانه نمرود، قد اضطهد ابراهيم وطرحه في النار ولكن النار لم تؤذه. نجد ذلك في سورة الأنبياء التي هي سورة رقم 21 وفي الآيات من 51-70.

مدراش ربَّه، كتاب خرافي يهودي، هو أصل الخرافة القرآنية عن نمرود وإبراهيم

كانت هناك كتب يهودية خرافية كثيرة منتشرة بين القبائل العربية التي اعتنقت اليهودية. ومن بينها كتاب مدراش ربه Midrash Rabbah في تفسيره لسفر التكوين. وسرد القرآن من جهة ابراهيم ونمرود مُقتبسٌ من هذا الكتاب اليهودي. فسرد القرآن مطابقٌ تماما للقصة في مدراش ربه. واصل الخطأ في كتاب مدراش ربَّه هو ان الكاتب وجد في سفر التكوين بان نمرود هو أول من بنى بعض مدن ما بين النهرين، ولكن الكاتب قد طبّق على ابراهيم قصة مأخوذة من سفر دانيال. فسفر دانيال يخبرنا عن ثلاثة فتية عبرانيين، الذين رفضوا الانصياع إلى قانون كان قد سنّه نبوخذنصر ملك بابل في وجوب عبادة شعبه لتمثال له كان قد نصبه في بابل. ونتيجة ذلك طُرحوا في النار، ولكن النار لم تؤذهم. وكاتب كتاب مدراش ربه قد أغفل عن وجود ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة بين زمن نمرود وإبراهيم.

فوضى محمد من جهة تاريخ الاسكندر المقدوني ونمرود وسليمان

يدّعي محمد في أحاديثه أن نمرود قد ملك على كل الأرض، وان سليمان ونبوخذنصر وذا القرنين قد ملكوا أيضا على الأرض كلها. وذو القرنين هو لقب للإسكندر المقدوني كما يظهر ذلك في كتاب المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية. وادّعى محمد ان اثنتين من الشخصيات التاريخية الثلاث الانفة الذكر كانا مؤمنين: وهما سليمان والاسكندر المقدوني. وان الآخرين كانا كافرين: وهما نمرود ونبوخذنصر[377]. وحديث محمد هذا جعل المحدثين المسلمين وخيرة مفسري القرآن، مثل مجاهد والقرطبي وابن كثير وابن حيان، ان يتبنوا كلامه[378].

من الواضح ان هذا الادعاء لمحمد هو خاطئ، من حيث ان لا أحدا من هؤلاء قد ملك على الأرض كلها. فالإسكندر الكبير قد احتل جزءاً بسيطاً من أوروبا، اضافة لاحتلاله مناطق في الشرق الأوسط وجزء من آسيا آنذاك. وسليمان قد امتد سلطانه- اضافة لفلسطين- على جزءٍ من سوريا وشرق الاردن. ونبوخذنصر قد احتل الهلال الخصيب ومصر. بينما نمرود قد حُصر مُلكه على منطقة ما بين النهرين. إذاً لا أحد منهم قد حكم الأرض كلها.

وهناك خطأ محمد من جهة من كان منهم مؤمناً ومن كان كافراً. فالمقدوني قد عُرف في كونه ملكاً وثنياً شديد الشغف بالأصنام. فكان متعلقاً بأصنام المناطق والمدن التي كان يحتلها. ومع ذلك فمحمد في القرآن جعل ذا القرنين المقدوني قائداً مسلماً يعمل جهاداً من اجل نشر الإسلام في العالم.

وخرافات القرآن من جهة نمرود والاسكندر الكبير ونبوخذنصر وسليمان مشتقةٌ من خرافات يهودية كانت منتشرة في منطقة المدينة. ومصدرها الترجوم الثاني لاستير، الكتاب الخرافي الذي سبق وتطرقنا إليه في قصة الهدهد وسليمان. فمن خلال تحليلنا

للإصحاح الاول من الترجوم نلاحظ بان الكاتب كان تحت حكم إمبراطورية روما. إذ يضع الممالك التي حكمت نسبة للإمبراطوريات. وسوف أعود وأضع الفقرات من الاصحاح الاول وفي بداية الكتاب، والتي سبق واستشهدت بها:

وكان في أيام احشويروش وهو واحد من الملوك العشرة الذين حكموا العالم وسوف يحكمونه في المستقبل. وهم عشرة ملوك. أول ملك هو ملك الملوك ورب الجنود، ليتعظم بسرعة فوقنا. والثاني هو نمرود، الثالث هو فرعون ملك مصر، الرابع هو من إسرائيل (يقصد سليمان)، الخامس مملكة نبوخذنصر ملك بابل، السادس احشويروش، (يضعه الكاتب كممثل عن مملكة الفرس) السابع اليونان، الثامن روما، التاسع الملك المسيا ابن داود، العاشر سيحكم ثانية ملك الملوك ورب الجنود، ليُستعلن مُلكه بسرعة لنا ولجميع سكان العالم"[379]

وحديث محمد الذي سبق الإشارة إليه هو مطابقٌ لما ورد في الترجوم الثاني لاستير. فهناك في الترجوم كما سبق ورأينا وضع الكاتب بين الملوك الذين حكموا العالم: نمرود ونبوخذنصر والاسكندر وفرعون وملكاً في إسرائيل، يقصد سليمان. وفكرة محمد من ان الذين حكموا العالم هم أربعة، أي الأربعة المذكورين أعلاه يدل على تأثير ذلك على العرب اليهود وعلى محمد.

وفي نفس الاصحاح، أي الاول من الترجوم، يتحدث الكاتب عن خمسة أشرار منهم نمرود[380]. وايضا نقرأ عن الذين حكموا كل العالم بحسب الترجوم:

"يوجد أربعة رجال حكموا كل العالم. اثنان ينتميان لأمم العالم واثنان لإسرائيل. سليمان وآخاب كانوا من إسرائيل ... والذين حكموا العالم من الأمم كانوا نبوخذنصر واحشويروش "[381].

هناك تشابه واضح مع فكرة محمد. إلا ان محمداً قد اعتمد على بداية الفصل الاول في الترجوم الذي ذكر نمرود وفرعون ونبوخذنصر وسليمان واليونان، أي الاسكندر المقدوني. لذلك استبدل اخاب بالإسكندر ذي القرنين، واستبدل احشويروش بنمرود. وثبّت سليمان ونبوخذنصر. ولكننا نلاحظ تأثير البيئة الخرافية لليهود العرب في اعتمادهما على كتب يهودية خرافية، مثل مدراش ربّه والترجوم الثاني لاستير، في تشكيل لغة محمد بالنسبة للتاريخ والكرونولوجيا غير التاريخية التي تبناها.

ذو القرنين

الخرافات القرآنية عن الاسكندر المقدوني

لقد عُرف الاسكندر المقدوني بانه وثنيٌ متحمسٌ وشغوفٌ في عبادة الأصنام. ولكن ادّعى محمد في القرآن ان المقدوني كان خادماً "الله" يعمل جهاداً وحروباً دينية لنشر الإسلام في العالم القديم.

لقد قلّد محمد ماني في جعل قادة هامين من قادة التاريخ القديم كجزء من ديانته، وكأن ديانة ماني ومحمد كانتا معروفتين لقرون طويلة في العالم قبل التاريخ الذي عاش به ماني ومحمد. ومثالا لذلك، نذكر كيف ان محمداً ادّعى ان الاسكندر المقدوني كان قائداً مُسلماً يجاهد لنشر ديانة "الله" في العالم كله. ويدعو القرآن الاسكندر بلقب "ذي القرنين". وهذا اللقب للإسكندر قد استُخدم في كتاب Pseudo-Callisthenes ، كُتب من شخص مجهول عاش في الإسكندرية حوالي عام 200 م. ونَسَبَ كتابه إلى كلسثنيس، المرافق للإسكندر المقدوني. وقد كان أكثر كتاب – بعد الكتاب المقدس – انتشاراً في العالم، وتُرجم إلى عدة لغات. وسوف أناقش بتفصيل في وقت لاحق عن هذا الكتاب والكتابات السريانية التي قامت عليه.

وهناك أمور أخرى تدل على ان لقب "ذي القرنين" كان لقباً للإسكندر المقدوني: منها ان قطع النقود للإسكندر كانت تحملا رسما له بقرنين من اجل الرمز لاحتلاله الغرب والشرق. وكما سوف نرى لاحقاً بان لقب ذي القرنين قد اختص به المقدوني، وان ذلك اللقب للمقدوني كان معروفاً في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

وكما ذكرنا فان المقدوني قد عُرف بانه أكثر رجل وثني عابد للأوثان. فقد كان يستشير كهنة آلهة اليونان قبل كل حملة عسكرية، وكان يعبد أصنام كل مدينة يحتلها. ولقد ادّعى الاسكندر انه إله، وانه ابن الإله اليوناني زيوس Zeus. وعندما عرف الاسكندر بان فيلوتس Philotas، قائد فرقة الفرسان في جيشه، قد سخر من ادّعائه بانه ابن زيوس امون، قد غضب الاسكندر حتى انه قد أمر في إلقاء القبض على فيلوتس ومحاكمته قاضياً عليه بالموت. وحقيقة ادّعاء الاسكندر بالالوهية قد ذكره جميع الكتّاب

الكلاسيكيين الذين عنوا في كتابة سيرته. ويقول المؤرخ أجاثارخيديس:Agatharchides

"كان الاسكندر لا يُغلب في ساحة المعارك، ولكنه كان عاجزاً في علاقاته الشخصية. فكان أسيراً لموضوع مدحه. وعندما دعا نفسه بانه ابن زيوس، لم يكن يرى انه كان يُسخر منه، ولكنه كان يظن انه يُكرم من اجل شغفه للأمر الذي هو مستحيل وإغفاله للمنطق وطبيعة الأشياء"[382]

كان ارستوبولوس Aristobulus يعمل كمهندس مُرافِقاً للإسكندر. ويقدم لنا السبب الذي من أجله أراد الاسكندر ان يحتل العربية:

"عندما عرف الاسكندر ان العرب يعبدون إلهين رئيسيين، ظنّ انه من المؤكَّد انهم سوف يعبدونه كإله ثالث، إذا ما احتل بلادهم وأعطى لهم استقلالهم المتوارث من أجدادهم" [383]

وخلافا للحقائق التاريخية المعروفة عن الاسكندر، ادّعى محمد ان الاسكندر كان مسلماً، مُكرَّساً لعبادة "الله". وادّعى أيضا ان حملات الاسكندر كانت جهاداً في سبيل "الله"، وذلك من اجل ان يبرِّر حملاته ضد العرب الأبرياء.

رحلة ذي القرنين إلى أطراف الأرض بحسب القرآن والميثولوجيا

لقد حبس محمد قرآنه في خرافة كانت منتشرةً في زمانه، من جهة رحلة الاسكندر المقدوني، كما وُصفت في كتاب المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية التي بُنيت عليه. فقد انتحل إنسان من الإسكندرية (في مصر) هوية كلسثنيس الذي كان مُرافِقاً للإسكندر، وكتب كتاباً خرافياً قد نسبه لكلسثنيس. وصار يُعرف كتابه بالمنتحل أو المزوِّر لكلسثنيس. ولقد انتشر هذا الكتاب في العالم القديم، كأكثر كتاب انتشاراً بعد الكتاب المقدس. ويعود كتابة الكتاب إلى حوالي عام 200م. وقد قامت عليه رسائل سريانية، تعود إلى ما بين القرن الخامس والسادس بعد الميلاد.

وكانت رحلة الاسكندر بحسب الكتاب الخرافي هذا، هو من اجل إخضاع الشعوب للآلهة، وايضا من اجل طلب الخلود. وهناك نقاط تشابه بين رحلة الاسكندر في المنتحل لكلسثنيس وبين رحلة جلجامش في طلب الخلود. (نعيد القارئ إلى كتابي حول الأيام الأخيرة في الكتاب المقدس والقرآن وذو القرنين. من اجل تفاصيل دقيقة عن ذلك).

هناك ثلاث عناصر أساسية في رحلة الاسكندر في المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية التي بُنيت عليه، نجدها في القرآن بصورة مختصرة. وهي كالتالي:

1-ذهاب الاسكندر إلى طرف الأرض الغربي، حيث وجد الشمس تغرب بجانب بحر حمئة. بينما في القرآن تغرب الشمس في نبع طين حمئة.

2-ذهاب الاسكندر إلى الطرف الشرقي للأرض حيث وجد الاسكندر السكانَ يعيشون بدون حماية أو بيوت، بسبب ان أشعة الشمس تحرق حتى الصخور.

3-ذهاب الاسكندر إلى جبلين يحيطان بكل الأرض، بينهما فتحة. ويعيش خلف ذلكما الجبلين شعبٌ متوحش، كان يشكِّل خطراً على كل الأرض. ولقد شكي السكان هناك ضد هذا الشعب، الأمر الذي جعل الاسكندر ان يبني بوابات بين طرفي الجبلين، ويحجز هذا الشعب خلفها إلى نهاية الأيام. وهذا الشعب المتوحش صار اسمه جوج وماجوج في إحدى الرسائل السريانية. والبوابات صارت في القرآن سدا. وتبنّى القرآن اسم "جوج وماجوج" لهذا الشعب المتوحش، تحت تأثير الرسالة السريانية.

واعتماد محمد على خرافات المنتحل لكلستنيس مُحقَّقٌ من اقتباسات أخرى نجدها في القرآن والأحاديث. منها ان هناك جانباً هاماً من قصة الخضر في القرآن المذكورة في سورة الكهف تعتمد على كتاب المنتحل لكلستنيس. فيُقال للإسكندر في الكتاب ان نبع الحياة موجودٌ في ارض الظلام، حيث تتواجد ينابيع كثيرة. فيُنصح ان يحمل طباخه سمكةً مُملَّحةً، ويعرضها على مياه كلِّ نبعٍ يجده. فالنبع الذي تحيا به السمكة يكون هو نبع الحياة. ولقد غسل الطباخ السمكة في نبع ماء، ورجعت للحياة وهربت في النبع. ولكن الطباخ قد خاف من ان الملك سوف يطلب منه ان يأتي بالسمكة بعد ان عادت للحياة، فنزل في الماء لكي يمسك بها، ولكنه فشل في ذلك. وعاد يقول للملك انه وجد النبع[384]. نجد قصة مماثلة في نسخة يونانية من كتاب المنتحل لكلستنيس، حيث الاسكندر يمر على نبع في ارض الظلام، وهذا النبع يُحيي سمكة مملحة[385]. وهذه النسخة اليونانية تُعرف ب β (بيتا) لتمييزها عن النسخ اليونانية الفا وجاما. ونسخة β تعود إلى ما بين القرن الثالث، وما قبل عام 550 م[386].

حقيقة الأمر هو ان الكاتب قد أراد ان يقلِّد ملحمة جلجامش، حيث أن جلجامش يسافر يطلب الخلود. ثم ان Ut-napisti -شخصية الطوفان السومرية- تنصحه بان يأكل من نبتة الحياة لكي ينال الخلود. ولكنه فشل ان يأكل منها حتى بعد أن وجدها، إذ سرقتها الحية. فاستبدل المنتحل لكلستنيس نبتة الخلود بنبع الحياة. وكما فشل جلجامش ان يأكل من نبتة الخلود قد حجب الله نبع الحياة عن أنظار الاسكندر حتى بعد ان وجد الاسكندر ذلك النبع.

لاحظ ما يوازي القصة في القرآن، حيث ان الله أعطى أمراً لموسى ان يحمل حوتا في مكتل. قد فسَّر مفسرو القرآن الحوتَ بأنه سمكة كبيرة مُملَّحة. وانه حيث فُقد الحوت -أي عاش ودخل الماء -يكون هناك الخضر الشخص المُخلَّد. فوجود الخضر هناك هو نسبة لكونه يعيش بقرب نبع الحياة الذي كان سببا في نواله الخلود. وكان يشوع بن نون قلِقاً على الحوت، الذي قد نال حياةً وهرب في الماء. ولكن موسى قد فرح قائلا بان ذلك ما كان يحب ان يراه. ونجد في بعض نسخ كتاب المنتحل لكلستنيس بان الطباخ في تغطيس جسده في نبع الحياة بحثاً عن السمكة، قد نال هو نفسه الخلود. ونجد في بعض النسخ انه بدل الطباخ الذي غطس كان قائداً من قادة الاسكندر، كان الاسكندر قد أمره ان يدخل ارض الظلام قبله ويبحث عن نبع الحياة. وانه نال الخلود بعد غطسه في نبع الماء بحثاً عن السمكة التي حييت في يديه. ونال معرفةً لم يسبق ان أحداً قد نالها في

التاريخ[387]. وهي لا شك أساسات للخضر الحكيم الخالد في القرآن وموضوع الحوت الذي يحيا فجأة.

وهناك الكثير من أحاديث محمد تدل على اطلاع محمد على خرافات المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية التي بُنيت عليه. وأعيد القارئ إلى كتابي حول الأيام الأخيرة في الكتاب المقدس والقرآن وذو القرنين. وسوف أركِّز على النقاط الثلاث الرئيسية في رحلة ذي القرنين في القرآن، وتلك المنسوبة للإسكندر في كتاب المنتحل والكتابات السريانية التي بُنيت عليه.

رحلة ذي القرنين بحسب الآيات القرآنية

نجد رحلة ذي القرنين في سورة الكهف والآيات التالية:

> وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً. فَأَتْبَعَ سَبَباً. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً. قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً. قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً. ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً. كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً. ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً. حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً. قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً. قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَل بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً. آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً. فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً. قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً (سورة الكهف اي رقم 18 والآيات 83-98)

تلخص سورة الكهف الثلاث النقاط التي تكلمنا عنها من جهة رحلة ذي القرنين، اي في العدد 86 ذهابه نحو مغرب الشمس حيث وجد الشمس تغرب في نبع حمئة. وفي العدد 90 ذهابه إلى مشرق الشمس حيث وجد الناس هناك بدون ستر يسترهم من أشعة الشمس. سوف نرى لاحقا في دراستنا للأحاديث والرسائل السريانية ان ذلك كان بسبب عدم وجود أبنية، إذ الشمس تحرق كل شيء حتى الصخور. وفي العدد 93 وما يتبع، هناك ذكر لذهاب ذي القرنين إلى منطقة "السدين" التي وصفها محمد في حديثه أنهما جبلان ينزلق عنهما كل شيء[388]، ويصلان غيوم السماء. ولقد اشتكى شعبٌ هناك من شر جوج وماجوج، الأمر الذي جعل ذا القرنين ان يسد الفتحة بين الجبلين بانياً ردماً، اي سدا كبيرا، وسجن من خلفه جوج وماجوج حتى يأتي "وعد الرب"، الذي يشير في القرآن إلى آخر يوم في التاريخ.

حقيقة ان القرآن قد قصد ان السد سوف يبقى حتى نهاية الأيام

سوف يحطِّم هذا السد من اجل ان يخرج ياجوج ومأجوج لكي يهاجموا العالم بحسب ما نرى في سورة الأنبياء، أي 21 والآيتين 96 و97:

"حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج -إذا فتح سد ياجوج ومأجوج -وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق ..."

فتدمير السد عبارة عن عنصر هام من وجهة نظر القرآن للأيام الأخيرة. ونلاحظ ان ذا القرنين يقول بحسب سورة الكهف، والآية 98:

"قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً ".

قد قصد القرآن بـ "وعد ربي" انه "اليوم الأخير". وهو يتزامن مع تدمير السد الذي سُجن به شعب متوحش بحسب كتاب المنتحل لكلستنيس، وذلك الشعب أصبح جوج ومأجوج في الكتابات السريانية ثم في القرآن.

ونرى استخدام القرآن كلمة "وعد" في التعبير عن الأيام الأخيرة، ونوال وعد الجنة كما في سورة النساء:

"والذين آمنوا وعملوا الصالحات سنُدخِلُهُم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعدَ الله حقا " النساء: 122.

ويسمّيها في سورة الإسراء والآية 7 "وعد الآخرة". ونفس هذا الوعد مذكور في سورة الأنبياء والآيات 96 و97 تحت تعبير "واقترب الوعد الحق "، بأنه يُحقَّق بحسب السورة بتحطيم السد وخروج جوج ومأجوج من اجل مهاجمة العالم. لذلك "فالوعد" هو يوم الدينونة، حيث يستخدم الله جوج ومأجوج لكي يحطِّم المشركين في الأرض. وهذا في الحقيقة هو موضوع أساسي في بعض نسخ كتاب المنتحل لكلستنيس وفي الكتابات السريانية التي اعتمدت عليه.

حقيقة ان القرآن قصد من ان السد سوف يبقى ساجناً جوج وماجوج حتى يوم الدينونة أو آخر يوم في التاريخ، تؤكِّده الآيات 99 و100 التي تتبع الآية 98 التي تقول عن تحطيم السد يوم "وعد ربي". فتقول هاتان الآيتان:

"وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا. وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا"

فالنفخ بالصور بحسب القرآن سوف يكون يوم الدينونة. وايضا هناك الآية بان سكان الأرض سوف يُجمعون والجحيم سوف تُعرض على الكافرين، كلها تدل على انه يتحدث عن آخر يوم في التاريخ ويوم الدينونة. وهناك أيضا في سورة الأنبياء والآيتين 96 و97 ذكرٌ لخروج جوج وماجوج وهجومهم على العالم في ذلك اليوم، يوم الوعد في مجيء الدينونة:

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ

من الواضح إذاً ان ذلك اليوم، الذي يتم به الوعد بحسب القرآن هو يوم الدينونة. لذلك نرى بحسب القرآن ان جوج وماجوج ما زالوا هناك خلف سدٍ من حديد ومطلي بنحاس مُذاب، قد بُني من ذي القرنين، الذي سوف نرى لاحقاً بانه الاسكندر المقدوني. وكل ذلك رغم ان الطائرات والأقمار الصناعية لم تكشف لنا هذا السد الضخم، ولم يتحقق التاريخ في اي مرحلة منه، عن وجود هذا الشعب المتوحش خلف سد معدني. وهذه الخرافة قد سجنت مؤلف القرآن وقرآنه في مصيدة من المستحيل التخلص منها بدون رفض القرآن واعتباره ككتاب ناقلٍ لخرافات قد انتشرت في جيل محمد.

رحلة الاسكندر بحسب المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية

المحطات الثلاث التي رأيناها لرحلة ذي القرنين في القرآن هي نفسها التي نجدها في المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية التي بُنيت عليه. هناك رسالتان رئيسيتان قد بُنيت على كتاب المنتحل لكلسثنيس. الأولى تحمل اسم "خرافة نصرانية عن الاسكندر" A Christian Legend concerning Alexander وهي تعود للقرن الخامس م. والثانية هي الرسالة أو العظة الموزونة ليعقوب السروجي، وتعود للقرن السادس م.

البحر المنتن أو الحمئة الذي صار في القرآن نبع حمئة

هناك أساسات لخرافة البحر المنتن في ملحمة جلجامش. فنجد في اللوح العاشر- من الألواح حيث مسجلة هذه الملحمة- ان جلجامش يصل إلى قلعة الإلهة سدوري Siduri. والإلهة سدوري تحذِّر جلجامش من بحر مزعج أمامه:

"وان لا أحد من الذين وصلوا إلى هنا منذ أقدم العصور قد نجح ان يقطع هذا البحر. لكن البطل شامش –اله الشمس– بالفعل قد قطع هذا البحر، ولكن مَن غيره قد نجح ان يقطعه".

الفكرة السومرية هنا أن في نهاية الأرض يوجد هذا البحر المُزعج، وأن الشمس في غروبها تقطع هذا البحر. وتستمر الإلهة سدوري محذّرة جلجامش بهذه الكلمات:

"الطريق صعب والممر عسر. ومياه الموت التي تحد – البحر – من الأمام هي عميقة. فإذا كنت يا جلجامش غير قادر على قطع البحر، فعندما تصل إلى مياه الموت ماذا سوف تفعل ؟ ".

كان كاتب المنتحل لكلسثنيس تحت تأثير ملحمة جلجامش في ذكره عن بحر يصعب قطعه. حيث في ملحمة جلجامش هناك البحر الصعب ومياه الموت التي تقطعها فقط الشمس، والمرموز إليها في كتاب المنتحل لكلسثنيس الخرافي ببحر أو محيط يحيط بكل الأرض يصعب قطعه من أحد. حتى أن بعض جنود الاسكندر حاولوا ان يسبحوا في

ذلك البحر، فخرجت عليهم وحوشٌ بحريةٌ بشكل بشر وأكلتهم[389]. وهو موصوف في عدد من نسخ الكتاب بأنه بحرٌ منتنٌ به قيح يجعل أن لا أحدا يستطيع ان يتحمل العبور فيه[390]. وبحسب A Christian Legend concerning Alexander بقرب هذا البحر المنتن تغيب الشمس، إذ تدخل من خلال بوابة إلى السماء[391].

والبحر المنتن أو حمئة منسوخٌ في القرآن تحت اسم "نبع حمئة"، حيث يجد ذو القرنين الشمسَ تغيب فيه. وكلمة حمئة في اللغة العربية تعني منتن أو طين منتن. وقد استخدم محمد فكرةَ تبّع من جهة غروب الشمس. وكان تُبّع قائداً وملكاً يمنياً حميرياً قد حكم اليمن بين عامي 410 -435 واحتل المدينة ومكة. ولا شك ان تبع تحت تأثير إحدى نسخ كتاب المزور لكلستنيس Pseudo-Callisthenes قد وصف في قصيدة شعرية له غروبَ الشمس في نبع منتن وطيني.

ومن حيث انه كان في القرآن قراءتين متضاربتين عن طبيعة النبع، نسبة لحديث لمحمد على ان الشمس تغرب في نبع مياه حامية. وفي حديث آخر قال انها تغرب في نبع حمئة. فاختلف المسلمون أية قراءة أصح. وكان مثلا معاوية ابن سفيان يتبنى القراءة انها في نبع حامية. بينما ابن عباس يقول في نبع حمئة. وجعلوا الحكم شعر تبع الذي أنشد:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا تدين له الملوك وتسجد

بلغ المغارب والمشارق يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد

والخلب: الطين، والثأط: الحمئة، والحرمد: الأسود[392].

هنا نرى ان شعر تبع كان معروفاً قبل الإسلام، وكان يُنظر إليه انه مصدر موثوق بلا خطأ. وفكرة غياب الشمس في نبع حمئة أصبحت أمراً مقبولاً في منطقة مكة. حتى انهم قد تحكموا في اختيار القراءة حيث تغرب الشمس في شعر تبع. وهذا يدل أيضا على ان خرافات المنتحل لكلستنيس كانت منتشرةً في العربية منذ زمن مبكر.

"خرافة نصرانية حول الاسكندر" وبحر الحمئة

تتحدث الكتابة السريانية المعروفة تحت اسم "خرافة نصرانية حول الاسكندر" عن كيفية جمع الاسكندر الشرفاء والحكماء وقادة جيشه وانه قد سألهم:

"إلى أي حد تمتد الأرض؟ وكم هو علو السماء، وكم عدد البلدان التي يملكها زملائي الملوك؟ وكيف السماوات مثبَّتة؟ هل الغيوم الكثيفة والرياح تدعم السماوات؟ وهل هناك أعمدة من نار تخرج من باطن الأرض داعمة السماوات حتى لا يحركها شيء؟ أو ان السماوات تستجيب إلى أمر دعوة هادئة من الله يأمرهنَ لكيلا يسقطن؟ هذا ما أريد ان افعله، ان أسافر لكي أرى على أي شيء ترتكز السماوات وماذا يحيط بكل الخليقة". أجابه الشرفاء: "ان البحار المُرعبة التي تحيط بكل العالم سوف لن تعطيك عبوراً. فهي احدى عشر بحراً صاف، التي تبحر عليها سفن البشر. ولكن وراء هذه البحار هناك عشرة أميال من

الأرض الجرداء، وبعد عشرة أميال أخرى يقع بحر الحمئة الشرير والرديء الرائحة واسمه Okeyanos أو المحيط. وهذا المحيط، يحيط بكل الخليقة. فالرجال لا يستطيعون الاقتراب من بحر الحمئة، كما ان السفن لا تستطيع ان تبحر فيه. كذلك فان الطيور تعجز ان تطير فوقه، فإذا حاول عصفور ان يطير فوقه سوف يسقط حالا في البحر ويختنق. فالمياه مثل سم، وإذا الرجال سبحوا فيها فهم يموتون حالا. وأوراق الأشجار القريبة الموجودة على شاطئ البحر هي في حالة ذبول بسبب رائحة الماء كما لو ان نارا قد حرقتها ."[393]

ثم يتابع الكاتب السرياني:

"بعدها قرَّر الملك ان يسافر لكي يرى بحر الحمئة ويُخضِع جميع الممالك في الطريق. ولقد صلّى لله طالباً العون، وإذا كان المسيح لن يأتي في زمانه فانه، أي الاسكندر، سوف ينقل عرشه إلى اوروشليم لكي يجلس عليه المسيح[394].

هنا نرى بان الكاتب السرياني لـ "خرافة نصرانية حول الاسكندر" قد أراد ان يستخدم كتاب المنتحل لكلسثنيس في مآربه. فقد جعل الاسكندر الكبير كرجل تقي يعمل الحروب لإخضاع كل الممالك لله. وان الاسكندر أراد ان يكون قائدا مُحضِّراً العالم لمجيء المسيح. وهذه الخرافة قد أوحت للقرآن فكرة ان ذا القرنين رجلٌ تقيٌ قد عمل الحروبَ لإخضاع الأمم لله.

يقول الكاتب السرياني ان الاسكندر قد قال في صلاته ان الله قد وضع على رأسه قرنين. نسبةً لكتاب المنتحل لكلسثنيس، فالإله أمون إله ليبيا يملك على رأسه قرنين، والاسكندر كابنه يملك أيضا قرنين.

ثم يستمر الكاتب في سرده عن الاسكندر بأنه قد طلب من ملك مصر ان يرسل له سبعة آلاف حداد من الذين يعملون بالذهب والنحاس، وان ملك مصر قد استجاب لطلبه هذا[395].

نسبة للميثولوجيا الزرادشتية الفارسية فقد تحوّل بحر الحمئة ذو الرائحة الكريهة في القرآن إلى نبع حمئة

يستمر السرد السرياني عن الاسكندر انه عندما عبر الاحدى عشر بحراً، ودخل الأرض القاحلة التي وراء البحر الصافي، قد وصل إلى بحر الحمئة. وأرسل الاسكندر مجرمين كانوا يعيشون في تلك البقاع، إذ أراد ان يرى ان كانوا يموتون عندما يقتربون من بحر الحمئة. وفعلاً في اقترابهم إلى شاطئ بحر الحمئة جميعهم قد ماتوا. الأمر الذي جعل الاسكندر ان يخاف، وتجنّب بذلك بحر الحمئة. ويستمر الكاتب السرياني قائلا:

"وجميع الجنود ركبوا خيلهم، وهكذا ذهب الاسكندر وقواته إلى مكان بين بحر الحمئة والبحر الصافي، حيث تدخل الشمس من خلال شباك إلى السماء". [396]

فواضح هنا ان هذه الكلمات من الكتابة "خرافة نصرانية حول الاسكندر" هي من مصادر خرافة القرآن في سورة الكهف، عن ان ذا القرنين ذهب إلى طرف الأرض الغربي ووجد الشمس تغرب في عين حمئة. فنبع الحمئة القرآني يعكس تماما فكرة بحر الحمئة. وعندما سمّى القرآن المكان الذي تغرب فيه الشمس بأنه نبع بدل بحر، وذلك نسبة للميثولوجيا الزرادشتية الفارسية، حيث الشمس تشرق وتغرب كل يوم من نبع مختلف موجودة على جبل Alburz الموجود بحسب ظنهم في بحر سماوي بين الأرض والسماء.

إننا نفترض ان النسخة الفهلوية المفقودة لكتاب المنتحل لكلسثنيس والتي تعود إما للقرن الرابع أو الخامس الميلادي، والتي كانت منتشرةً في العصر الفارسي الساساني الذي امتد حتى ظهور الإسلام، قد جعلت بحر الحمئة الذي بقربه تغرب الشمس بحسب هذه الخرافات، نبع حمئة. وذلك انسجاماً مع نظرة الفرس الزرادشتيين ان الشمس تغرب في نبع وليس في بحر أو بالقرب من بحر. لذلك نستطيع ان نجزم بأنه عندما يتحدث القرآن عن ان ذا القرنين قد وصل إلى حيث تشرق وتغرب الشمس، قد اعتمد في الدرجة الأولى على النسخة الفهلوية لكتاب المنتحل لكلسثنيس، والتي بدون شك كانت منتشرةً زمن محمد بين الفرس الذين في شبه الجزيرة العربية. نعلم ان هناك عدداً من الفرس قد اعتنقوا الإسلام، من بينهم سلمان الفارسي الذي كان كاهنا للنار في الزرادشتية، وصار بعد إسلامه مستشاراً لمحمد وقريبا منه. على انه كما سبق وبيننا كان لمحمد في مكة علاقات بأفراد يتحلوا بثقافة فارسية، كما سبق واتهم المكيون القرآنَ انه بلسان أعجمي.

بحر الحمئة والرسالة الموزونة ليعقوب السروجي

بالنسبة لمحتوى هذه الرسالة أو العظة الموزونة ليعقوب السروجي، فهي تشبه إلى حد كبير "الخرافة النصرانية من جهة الاسكندر ". فمساعدو الاسكندر يتكلمون إليه عن المحيط الذي يحيط بالأرض، أي البحر النتن، الذي كل من يقترب إليه يموت. ويقرِّر الاسكندر ان يذهب إلى طرف الأرض لكي يرى البحر المنتن والتضاريس الغريبة عند طرف الأرض. ويطلب من ملك مصر بان يزوِّده بأصحاب الحرف الفنية، إذ ان الرب قد أعلن له عن ضرورة عمل بوابة ليحجز جوج ومأجوج. وهكذا يرسل له سوريك Sorik ملك مصر باثنتي عشر ألفا من الصنّاع الحاذقين. وجهّز الاسكندر كميات كبيرة من الحديد والنحاس وملأ منها السفن.[397]

وصل الاسكندر بعد سفر طويل إلى البحر المنتن، وهرب الجيش من رائحة هذا البحر، مما جعل الاسكندر ان يأخذ طريقه نحو جبل ماسس Masis العالي. وهناك تشابه مع ملحمة جلجامش من حيث ان جلجامش في بحثه عن الخلود وصل إلى جبل ماشو Mount Mashu حيث كان يُظن ان الشمس تشرق وتستريح. أيضا يصل الاسكندر إلى جبل ماشو المذكور في بعض نسخ الكتاب تحت اسم Mount Maashi[398]، وهنا في

رسالة يعقوب السروجي الموزونة نجد ذِكر جبل Masis. كذلك في رحلة جلجامش هناك منطقة الظلام المتصلة في جبل ماشو.

إذاً نستنتج من خلال تحليلنا للمنتحل لكلسثنيس والرسالتين السريانيتين اللتين قد بُنيتا عليه، ان هناك بحرَ حمئة، وبجانبه تغرب الشمس. وهذه فكرة مشتقة أصلاً من ملحمة جلجامش حيث بعد قطع المياه الصعبة التي لا يقطعها أحد غير الشمس، هناك توجد الشمس. والقرآن قد جعل ذا القرنين ان يصل إلى مغرب الشمس، وأن يجدها تغرب في عين حمئة. ويحاول المسلمون أن يقولوا انه قد ظنها تغرب في نبع حمئة. ولكن القرآن لا يقول ظنها، ولكن وجدها. كما ان القرآن يقول بان ذا القرنين "قد وجد عندها قوما". فهو لا يتحدث عن غروب شمس، ولكن عن وصول ذي القرنين إلى المكان الذي فيه الشمس تغرب في بقعة من الأرض. ولماذا يجعل تُبّع اليمني موضوع شعره الأساسي هو ان ذا القرنين قد وجد الشمس تغرب في نبع حمئة، لو كان الأمر انه قد تخيّل ذلك. حيث ان كل من يتطلع للشمس وهو ينظر أمام بحر يظن انها تغرب في بحر. ولكن تبع كان يريد ان يثبت خرافة منتشرة في زمانه، مبنية على خيال الأقدمين لجغرافية الأرض، التي كانت مبنية على ملحمة جلجامش والمنتحل لكلسثنيس والرسائل السريانية التي بُنيت عليه.

رحلة ذي القرنين – الاسكندر نحو مشرق الشمس

الميثولوجيا الشرق أوسطية كانت ترى شروق الشمس من مكان في الأرض. وكان ذلك المكان بعيد جدا. وكان يُنظر لقطر الأرض انه كبيرٌ، يتقارب بنظرهم لبُعد السماء (كسقف) عن الأرض. فما ذكره كاتبُ المزور لكلسثنيس عن أطراف الأرض هي الجغرافيا التي كان سيجدها الناس لو عاشوا طويلاً لكي يسافروا ويصلوا إلى أطراف الأرض، ويكتشفوا تلك الأمور، حيث كان يظن العرب ان قطر الأرض هو مسافة 500 سنة من السير على الأقدام. ذلك نراه مثلا في كتابات المسعودي[399]، وبحسب ياقوت الحموي أيضا[400]. أو إذا ما حملهم ملاكٌ أو بُراقٌ (حيوان مجنح)، لكي يستطلعوا ويكتشفوا أطراف الأرض، سوف يتقابلون مع هذه الجغرافيا. الأمر الذي ادّعاه محمد، أي قد اصطحبه جبريل على البراق إلى هيكل سليمان، ثم إلى أطراف الأرض، حيث قد ثبّت اكتشافات ذي القرنين المذكورة في القرآن والمنقولة أصلا عن كتاب المزور لكلسثنيس.

وبحسب الميثولوجيا العربية قد وصل ذو القرنين إلى أبعد نقطة في الأرض، بالقرب من المكان الذي تشرق الشمس بحسب الميثولوجيا الشرق أوسطية القديمة. إلى مكان لم يكن لغير الاسكندر ان يصل إليه. فنسبةً لكثيرين من سكان شبه الجزيرة العربية آنذاك، قد استطاع الاسكندر ذو القرنين ان يصل لمشرق ومغرب الشمس لأنه قد عاش مدة ألفي عام. فقد ذكر قس بن ساعدة الأيادي في خطبةٍ له:

"أيّها الناس، هل أتاكم ما لم يأت آبائكم الأولين، أو أخذتم عهداً من السنين، أم عندكم من ذلك يقين، أم أصبحتم من ريب المنون آمنين، بل أصبحتم والله في غفلة لاعبين، أين الصعب ذو القرنين، جمع الثقلين، وأداخ الخافقين، وعمر ألفين، لم تكن الدنيا عنده إلاّ كلمحة "[401].

وشروق الشمس من مكان نائي في الأرض كانت فكرةً سومريةً قديمةً، نجد صداها في ملحمة جلجامش. التي كما سبق وذكرنا كانت قد تركت تأثيرها على المنتحل لكلستنيس. ففي اللوح التاسع نقرأ ان جلجامش يقرر أن يزور Uta-Napishtim، الشخصية التي نالت الخلود وتألّهت. أراد جلجامش ان يستشير Uta-Napishtim كيف يحصل على الخلود. فيذهب جلجامش إلى الشرق حيث تهاجمه حيوانات وكائنات بشرية في أشكال غريبة، لكنه ينتصر عليها. ثم يواصل سيره حتى يصل جبل ماشو Mount Mashu، حيث كان يُظن بان الشمس تشرق من هناك وتستريح. ولقد حدث شيءٌ مماثلٌ للإسكندر: فقد تقابل في رحلته مع كائنات بشرية بأشكال غريبة وحيوانات خرافية. وايضا وصل الاسكندر إلى جبل ماشو تحت اسم جبل Mount Maashi مأشي [402]. حيث يتقابل جلجامش مع رجل برأس عقرب، الذي يحذّره ان لا يستمر في رحلته، ذلك لأنه لا أحد قد سبق وقطع أرض الظلام. ولكن نجح جلجامش في قطع أرض الظلام. ونجد أيضا ان الاسكندر يُحذَّر ان لا يعبر أرض الظلام، من حيث أن كل الذين حاولوا ان يعبروها قد هلكوا، ولم ينجح قط إنسان ان يقطع تلك الأرض[403]. ولكن نجد أن الاسكندر قد نجح في قطع أرض الظلام.

ونلاحظ بان جبل ماشو في ملحمة جلجامش محروسٌ من الرجل ذي رأس عقرب، الأمر الذي يتشابه مع ما تقابل الاسكندر مع رجال نصفهم بشر والنصف الآخر لها أشكال حيوانات. وهناك أيضا تشابهات لافتة للنظر بطريقة أكثر من ذلك: جلجامش يدخل حديقة مليئة بالفواكه، حيث يرى "شجرة الآلهة". وهناك تتكلم معه الشمس مباشرةً، مُخبِرةً إياه ان طلبته بلا رجاء. ونجد أيضا ان الاسكندر يذهب إلى حديقة في طرف الأرض حيث يدخل إلى معبد الشمس ويجد ان الحديقة مليئة بالأشجار المثمرة. وهناك يرى شجرتين عملاقتين، رأس كل منهما يلمس السماء. إحداهما ذَكَر والأخرى أنثى. الذكر هو الشمس والأنثى القمر. واسم الشجرة الشمس هي ميتورا Mitora والشجرة القمر هي مايوزا Mayosa. وهذان هما اسمان فارسيان: ميتورا كلمة مشتقة من ميثرا، وهو في الميثولوجيا الفارسية يرمز أحيانا للشمس وأحيانا أخرى لأشعة الشمس. من جهة أخرى مايوزا مشتق من اسم الإنسان الاول والمرأة الأولى في الميثولوجيا الفارسية، اللذين نبتا كنبتتين من بذور الإنسان الاول المُدعو Gayomard. ونرى في سفر دنكارد – الكتاب الثامن، ان اسم النبتتين هما مايزا Masya و(ماشيو) Mashyoi [404].

ووجود هذه الأسماء في النسخة السريانية لكتاب المزور لكلستنيس، إنما يدل على ان هذه النسخة قد بُنيت على النسخة الفهلوية المفقودة، والتي تعود للقرن الرابع أو

الخامس الميلادي. تتحدث الشمس في تلك الحديقة إلى الاسكندر مُخبِرةً إياه انه سوف يموت في بابل، مفشِّلةً إياه من بحثه في موضوع الخلود[405].

نرى إذا ان الشمس تُرى مُجسَّدة بحسب الميثولوجيا الشرق أوسطية القديمة في مكان معين فوق الارض ويُتقابل معها في نفس المكان، أي في أبعد نقطة من طرف الأرض الشرقي، حيث أيضا تُشرق. وهذه الميثولوجيا التي تركت تأثيرها على كاتب المنتحل لكلستنيس، قد اعتمد عليها الكتّاب السريان في وصفهم لشروق الشمس، الخرافة التي نرى تلخيصها في القرآن. فيذكر المنتحل لكلستنيس والكتابات السريانية عن رحلة الاسكندر بعد ان غلب الهنود، انه ذهب إلى الطرف الشرقي للأرض إلى المكان حيث تشرق الشمس، ووجد شعبا يعيش هناك عارياً بدون ستر أو حماية وانهم يرعون في السهول مثل الغنم.[406]

ونقرأ في الكتابة السريانية المعروفة تحت اسم A Christian legend concerning Alexander "خرافة مسيحية من جهة الاسكندر":

> "شروق الشمس هو فوق البحر، وعندما تكون الشمس بصدد الشروق، يهرب الشعب الساكن هناك لكي يختبأ في البحر وذلك لكيلا يحترقوا من حرارة الشمس. وتذهب الشمس عبر السماوات إلى المكان حيث تدخل في نافذة في السماء. وحيث تمر الشمس هناك يوجد جبال رهيبة. والذين يسكنون هناك لهم كهوف منحوتة في الصخور. وعندما يرون الشمس تمر فوقهم، يهرب الناس والطيور من الشمس إلى الكهوف، حيث ان الصخور تتمزق وتتصدع من حرارة الشمس المحرقة، وتسقط. وعندما تلمس الحجارة الناس والبهائم فإنهم يذوبون. وعندما تدخل الشمس السماء من خلال نافذة، فإنها حالا تنحني سجوداً من اجل توقير الله الخالق. ثم انها تنزل عبر السماوات خلال الليل كله حتى تصل إلى حيث تشرق من جديد.[407]

وكاتب الكتابة السريانية المُسمَّاة "خرافة مسيحية عن الاسكندر" يدّعي انه لا يوجد حماية أو ستر للناس الذين يعيشون حيث تشرق الشمس في طرف الأرض الشرقي. فلا يوجد بيوت لتحمي الناس، ذلك بسبب ان الحرارة المُحرِقة للشمس تجعل الصخور ان تذوب والمباني ان تسقط. لذلك فعندما تشرق الشمس يلتجئ الناس إلى البحر أو الكهوف إلى ان تشرق الشمس وتعبر.

ونرى القرآن يعبِّر عن نفس الفكرة كما نراها في الآيتين 89 و90 من نفس سورة الكهف:

> "ثم أتتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا"

لقد فسّر محمد ما عناه من الآية القرآنية "لم نجعل لهم من دونها سترا"، كما نرى من حديثه التالي:

"أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن ابن جريج قال: حُدِّثت عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية لم نجعل لهم من دونها سترا، بناء لم يبن فيها بناء قط: كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس. وأخرج جماعة عن الحسن وذكر أنه حديث سمرة أن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس تغوروا في المياه، فإذا غابت خرجوا يتراعون كما تراعى البهائم"[408].

حديث محمد هذا مثبت أيضا في الطبري[409]. وفكرة نزولهم للماء إلى ان تصعد الشمس عنهم وان أرضهم لا تحتمل البناء، نجدها أيضا في أقوال الحسن وقتادة وابن جريج[410].

نسبة لهاتين الآيتين أي 89 و90 من سورة الكهف، وتطابق حديث محمد مع الكتابات السريانية، فإننا نرى دليلاً قاطعاً على معرفة محمد الغنية برحلة ذي القرنين لأطراف الأرض، كما هي موصوفة في كتاب المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية التي بُنيت على ذلك الكتاب. والأهم من ذلك هو ان محمداً قد قصد ان يثبت، مثل تلك الكتابات الخرافية التي سبقته، من أن الشمس فعلاً تشرق من بقعة من الأرض. وأن ذا القرنين قد وصل إلى حيث تشرق الشمس على شعب يختبئ كل اليوم في الماء بسبب الشمس.

تأثير فكرة القرآن عن الشروق على المؤرخين والباحثين المسلمين عبر التاريخ

قد آمن المؤرخون والباحثون والكتّاب المسلمون قبل الاكتشافات عن جغرافيا الأرض، ان الشمس حقيقةً تشرق من بقعة موجودة في طرف الأرض. والجغرافيا البدائية للمسلمين قديما كانت مبنيةً على الآية القرآنية، التي تقول بان الشمس تشرق في مكان في الشرق حيث لا يوجد حماية للسكان هناك. فقد تخيّل المسلمون ان الشمس تشرق من ينابيع في أقصى الشرق. ذلك بسبب ان محمداً قد ادّعى انه ركب البراق ورأى حيث تشرق الشمس من ينابيع، وسمع هدة وقعة الشمس وهي تخرج من تلك الينابيع[411]. وآمن المسلمون عبر التاريخ ان الاسكندر قد قطع ارض الصين ووصل وراء ذلك، ووجد ان الشمس تشرق فوق مياه، وانه لا يوجد هناك شيء يحميهم من أشعة الشمس المُحرقة. حتى انه كان هنالك مؤرخون ذوو اعتبار قد اعتقدوا بان الشمس تشرق من بقعة من الأرض. فمثلا يتحدث ابن النديم عن جبل يقع شرقاً من الصين تشرق الشمس من خلفه[412]. ويتحدث الطبري عن ارض تلي مشرق الشمس أي وراءها، وان ذا القرنين قد وصل وراء مشرق الشمس[413]. ويضع ياقوت الحموي السد الذي بناه الاسكندر انه يتلو الشمس: أي المكان الذي منه تطلع الشمس[414]. وكذلك فابن هشام والثعلبي يدّعيان بان الاسكندر قد بنى السد فيما يلي مشرق الشمس[415].

ولقد فسّر مفسرو القرآن الآية المختصة بالشروق: أن ذا القرنين قد ذهب إلى مكان شروق الشمس، حيث تطلع من مكان فوق الأرض. فالقرآن يتكلم على ان ذا القرنين قد استمرَّ رحلته حتى وصل إلى "مطلع الشمس". ولقد قصد القرآن بان "مطلع الشمس"

كان هدف رحلة ذي القرنين نحو الشرق. الأمر الذي يدل على ان معنى مطلع الشمس هو المكان الذي تطلع منه الشمس. ويقول ابن الجوزي:

"وقرأ الحسن ومجاهد وأبو مجلز وأبو رجاء وابن محيصن: مطلِع الشمس بفتح اللام. قال ابن الأنباري: ولا خلاف بين أهل العربية في أن المطلَع، والمطلِع كلاهما يُعنى بهما المكان الذي تطلع منه الشمس".

ثم يثبت ابن الجوزي معنى "مطلع الشمس" من خلال إعطائه مثالا:

"ويقولون: ما كان على فعل يفعل، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المفعل، كقولهم: المدخل، للدخول، والموضع الذي يدخل منه"[416].

بمعنى آخر أو بناء على هذه القاعدة اللغوية، فإننا نستطيع ان نقول بان المطلع هو المكان الذي تطلع منه الشمس. والقرطبي يؤكِّد نفس المعنى مستشهِداً بالجوهري. فيقول الجوهري بان مطلَع أو مطلِع (بكسر اللام) الشمس هو موضع طلوعها[417].

وقد سرد كلٌّ من الطبري والقرطبي وابن كثير قصةَ جيشٍ قد وصل لتلك الأرض:

"جاءهم جيش مرة، فقال لهم أهلها: لا تطلع الشمس وأنتم بها، فقالوا: ما نبرح حتى تطلع الشمس. ثم قالوا: ما هذه العظام؟ قالوا: هذه والله عظام جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا قال: فولوا هاربين في الأرض"[418].

الحقيقة ان المسلمين قد ألهموا من القرآن وأحاديث محمد، وحاولوا ان يؤكِّدوا ان تلك الادّعاءات قائمة على الحقيقة الجغرافية والتاريخية والواقع في زمانهم.

بناء الاسكندر حاجزا من البوابات
قد سجن بها شعباً متوحشاً حتى نهاية الأيام

الجذور الفارسية لخرافة المنتحل لكلستثنيس والقرآن عن سجن شعب شرير حتى نهاية الأيام

قد تصوَّر قدماء الشرق الأوسط عن وجود أعداء للإنسانية من نسل الشياطين مربوطين في أقصى الشرق، وان هؤلاء سوف يُحلّون في نهاية الأيام لكي يهجموا على العالم. وأصل هذه الخرافة هي فارسية زرادشتية. حيث نقرأ عن شخصية شيطانية تحت اسم اسي ضحاك أو دحاك Azi Dahak، والمعروفة عند العرب باسم "الضحاك". ينحدر "اسي ضحاك" بحسب الزرادشتيين من الشيطان اهريمان Ahriman. وآسي ضحاك مربوطٌ إلى جبل في أقصى الشرق. قد ربطه البطل الخرافي افريدون Fredun الذي بحسب الزرادشتيين ينام منذ آلاف السنين على ذلك الجبل. والضحاك هو شيطان على شكل ثعبان أو تنين، وله ثلاثة رؤوس وثلاث أفواه، وستة عيون وألف حاسة[419]. وفي وقت لاحق أصبح الضحاك مسئولاً عن شعبٍ شيطاني قد أصبحوا هم أيضا مربوطين معه في نفس المنطقة.

وبحسب الكتب الزرادشتية، هناك بطل آخر اسمه كريساسبا Keresaspa ينام على الجبل بقرب الضحاك. وسوف يُحل الضحاك في وقت النهاية من رُبُطِه ويهجم على العالم. ولكن سوف يُوقِظ ملاكان البطلَ كريساسبا، وسوف يواجه الضحاك ويقتله.

والحقيقة أنه قد آمن الزرادشتيون عبر تاريخهم بان الضحاك مربوطٌ بصورةٍ مستمرةٍ مع شعبه على جبل في الشرق. وهنا نرى أساس خرافة المنتحل لكلسثنيس الذي لا شك نسخ الخرافة الزرادشتية بالنسبة للضحاك وشعبه الشيطاني، ولكنه قد طبّقها على الشعب الهمجي والبربري، الذي ادَعى ان الاسكندر المقدوني قد حجزهم ضمن بوابات قد بناها بين طرفي جبل. هؤلاء أصبحوا هنز Huns، وذلك في "الخرافة النصرانية من جهة الاسكندر" A Christian legend concerning Alexander، وجوج ومأجوج في الكتابة السريانية المنسوبة ليعقوب السروجي والمُسمَّاة metrical homily on Alexander. فقد استبدلت هذه الكتب والمصادر اسم الضحاك وشعبه الشيطاني بالشعب الهمجي المتوحش الذي صار أخيرا جوج ومأجوج. ومعروف بان الكتّاب السريان الذين بنوا كتاباتهم على كتاب المنتحل لكلسثنيس قد استعاروا اسم جوج ومأجوج من سفر حزقيال، الذي ذكر جوج وماجوج ليس كشعب مسجون خلف بوابات أو ردم أو سد في زمانه، ولكن كشعب سوف يظهر في الأيام الأخيرة. ومن اجل مراجعة ذلك بتفصيل، فإنني أعيد القارئ إلى كتابي عن الأيام الأخيرة في القرآن والكتاب المقدس.

بالنسبة للخرافة الزرادشتية: فالشياطين الذين أصبحوا مربوطين في أقصى الشرق يُدعون في كتاب دنكارد بالشياطين المزنداريان Demons Mazendarian، ويُوصفون بأنهم خطيرون جدا[420]. والشعب في ارض Khvaniras قد تذمروا إلى افريدون -الشخصية الفارسية الخرافية- ضد هؤلاء الشياطين بأنهم خطيرون[421]. (وهو نفس التذمُّر الذي نراه في المنتحل لكلسثنيس ثم القرآن. ففي القرآن يشتكي الشعب الذي لا يفقه قولاً إلى ذي القرنين ضد جوج ومأجوج). وافريدون بحركة سحرية في أنفه، يعزل هؤلاء السكان الشياطين حتى نهاية الأيام؛ حينئذ سوف يُطلقون للهجوم على العالم. وقد عمل افريدون بواسطة المنخر اليمين مرتفعةً ساجِناً إياهم فيها، حيث يستمر هناك الثلج والشتاء القارص البارد. وفي المنخر اليسار قد خلق صخوراً. ثم أباد الثلثين منهم وسجن الباقي [422].

بلا شك ان هذه الخرافات الزرادشتية هي الأساس الذي قام عليه سرد المنتحل لكلسثنيس من جهة الاسكندر وسجنه الشعب الخطر حتى نهاية الأيام. وهذا الشعب أصبح في الكتابات السريانية اللاحقة جوجاً وماجوجاً. وبهذه الأساسات الميثولوجية، نستطيع أن نفهم قول محمد كما نقله البخاري "الشمس تطلع بين قرني شيطان"[423]. ذلك نسبة للخرافات الفارسية الأصل ان آسي دحاك ونسله مربوطون في أقصى الشرق عند مطلع الشمس. وايضا بانسجام مع الكتابة السريانية "خرافة نصرانية حول الاسكندر"، حيث

نقرأ بان الشياطين تعيش مع جوج ومأجوج بالقرب من المكان الذي تشرق منه الشمس. إذ يقول الكاتب السرياني:

"بجانب كل رجل منهم يقف مئة ألف عصابة من الشياطين. إذ ان سحرتهم أعظم من كل سحرة الممالك"[424]

وهو بالحقيقة يرتكز على الميثولوجيا الفارسية الزرادشتية، التي تصوّر ان في أقصى الشرق هناك سكان شياطين مسجونة. ولكن في فترة لاحقة كما نرى في الكتاب التاسع من دنكارد Dinkard، قد سُجن هؤلاء السكان الشياطين بواسطة شخصية خرافية تحت اسم كاي اوس Kai-Us. وذلك من خلال أبنية معدنية. ويستمر كتاب دنكارد ذاكراً ان كاي اوس Kai-Us قد بنى هذه السجون المعدنية في وسط جبلٍ من سلسلة جبال تقع جنوبي بحر Caspian Sea؛ وان واحداً من هذه السجون كان من ذهب، واثنين من فضة، واثنين من فولاذ، واثنين من كريستال. وان كاي اوس قد استخدم هذه السجون المعدنية لسجن الشياطين مازونك Mazonik demons الذين كانوا يخربون العالم. وانه وضعهم تحت أشغال شاقة [425].

الخرافة في المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية التي قامت عليه

رأينا بحسب سورة الكهف ان المكان الذي انتهت إليه رحلة ذي القرنين هو "السدان" جبلان عاليان، وان هناك شعباً قد اشتكى لذي القرنين عن شعب جوج وماجوج انه مُفسِدٌ في الأرض. وطلبوا منه ان يبني بينهم وبين جوج وماجوج ردماً اي سد كبير، ويحجز عنهم جوج وماجوج. وهكذا عمل ذو القرنين سداً من حديد في الفتحة التي بين طرفي الجبلين، وحجز جوج وماجوج حتى نهاية الأيام. حيث سوف يهدم الله ذلك السد، ويأتي جوج وماجوج لمحاربة العالم.

وتلك القصة نراها في كتاب المنتحل لكلسثنيس (ولو بدون ذكر جوج وماجوج ولكن شعبا متوحشا) وفي الكتابتين السريانيتين اللتين اعتمدتا عليه. ففكرة القرآن عن جبلين يشكلان حاجزاً طبيعياً عظيماً بين جوج وبقية سكان العالم، وبناء سد من خلال إغلاق فتحة موجودة بين هذين الجبلين هي في الحقيقة في الأصل خرافة موجودة في كتاب المنتحل لكلسثنيس. سوف أقدِّم من نسخة يونانية لكتاب المنتحل لكلسثنيس سرداً عن بوابات قد بناها الاسكندر. وهذه النسخة لكتاب المنتحل لكلسثنيس هي المعروفة بنسخة كارل مولر، (in Cod. B (III, cap. 29 ed. Didot, p. 112 seq. . وCod. B كانت قد نُشرت من مولر. وكان مولر قد اعتمد في ترجمتها على مخطوطة موجودة في المكتبة الوطنية باريس-فرنسا Nationale of Paris Bibliothèque. والتدوين Cod. B له رقم وهو 1685[426]. بالنسبة لكتاب المنتحل لكلسثنيس، قد كتب الاسكندر رسالة لأمه يقول فيها:

"لقد وجدتُ هناك شعوباً كثيرة تأكل لحم الناس وتشرب دماءهم كما تشرب الماء. وهم لا يدفنون موتاهم، ولكن يأكلونهم. ونظرا لكون تلك الشعوب شريرة

جدا، وخوفا من انهم بهذه الطريقة التي يتغذوا بها على لحم الإنسان، سوف يدنّسون الأرض من خلال فسقهم الكريه، فقد تضرعت لله. وقد تقدمتُ بقوة ضدهم ووضعتُ معظمهم تحت السيف وأخضعتُ أرضهم. ومن كل جهة قد تعالت الشكاوى ضدهم، من العالي والداني. ففي سماعهم ان الاسكندر ملك المقدونيين قد جاء إلى هنا، قالوا "انه سوف يقتل الكل، ويخرب مدننا ويقهر الجميع". فتبعوا بعضهم البعض في الانطلاق خارج المنطقة: شعب يضغط على شعب، مُسبِّبين بعضهم بعض في الانطلاق خارجا. ومن هؤلاء كانوا 22 ملكا. وقد لحقت بهم بقواتي إلى ان حجزوا أنفسهم بين جبلين عظيمين يسميان "صدرا الشمال". ولا يوجد منفذ لهذين الجبلين العظيمين أو مخرج، إذ انهما يرتفعان في العلو فوق غيوم السماء. وهذان الجبلان يمتدان بعيدا جدا بحيث أنهما سدان عن اليمين والشمال نحو الشمال من البحر العظيم، كذلك ارض الظلام. وهكذا فكرتُ بكل طريقة ان يُمنع عنهم الخروج من ذلك الجبلين، أي أمنعهم من الخروج من المنطقة التي حُشِروا فيها. وكان المدخل بين الجبلين العظيمين 46 ذراعا. مرة أخرى فإنني قد تضرعت للإله العظيم بكل قلبي وسمع صلاتي. وقد أمر الإله العظيم الجبلين، فتحركا وتقابلا حتى مسافة 12 ذراع. وعملتُ هناك بوابات نحاسية بعرض 12 ذراع و60 ذراع في الارتفاع. وطليتهم من الداخل والخارج ... حتى انه لا النار ولا الحديد أو أي وسيلة أخرى سوف تقدر ان تحل النحاس. فالنار قد جُربت ضد الحديد والحديد قد تحطم وتبعثر. وقد عملت داخل هذه البوابات بناءً آخرا من الحجارة؛ كل واحد عبارة عن 11 ذراع عرض و20 ذراع طول و60 ذراع سُمك. ولقد أنهيت البناء من خلال وضع مزيج من القصدير والرصاص فوق الحجارة، وطليت ... فوق الكل، بحيث ان لا أحد يقدر ان يعمل شيئا ضد تلك البوابات. ولقد سميتهم Caspian Gates. 22 ملكا قد حبست هناك" [427].

وعندما نقارن بين هذا المقطع من كتاب المنتحل لكلستنيس والقرآن وأحاديث محمد نلاحظ أموراً متعددة. لا شك بان خيال المنتحل لكلستنيس هو واسع. فهو يدّعي بوجود حاجز طبيعي مؤلف من جبلين عاليين جدا بحيث يصلان غيوم السماء. وان هذين الجبلين ممتدان جداً، حتى ان في مقدورهما سجن شعب كبير عن باقي سكان العالم. ونرى ذلك في الرسالة التي أرسلها الاسكندر إلى أمه، كما سبق وذكرنا أعلاه:

"لقد تتبعتهم بقواتي حتى حصروا أنفسهم خلف جبلين عظيمين يُسمّيان (صدرا الشمال)). فلا يوجد مخرج أو مدخل إلى هذين الجبلين، من حيث إنهما يصلان غيوم السماء في الارتفاع، ويمتدان إلى مسافة بعيدة جدا بحيث إنهما حاجزان عن الشمال واليمين إلى البحر الكبير ... باتجاه ارض الظلام " [428].

نلاحظ بان الجغرافيا عن أقصى الأرض المذكورة في كتاب المنتحل لكلستنيس وتفاصيل الجبلين، هما متطابقة مع ما جاء في القرآن. لاحظ أيضا بان الكتاب يسمي الجبلين ب "السد"، الأمر الذي أيضا نراه في القرآن. والفجوة بين الجبلين حيث الاسكندر بحسب كتاب المنتحل لكلستنيس قد بنى البوابات، هي مُطابِقةٌ للفجوة بين الجبلين حيث بحسب القرآن قد أقام ذو القرنين السد.

نقرأ في الجزء من كتاب المنتحل لكلستنيس الذي استشهدت به:

"والمدخل بين الجبلين العظيمين كان 46 ذراعا. مرة أخرى فإنني قد تضرعت للإله العظيم بكل قلبي وسمع صلاتي. والإله العظيم قد أمر الجبلين فتحركا وتقابلا حتى مسافة 12 ذراع".

ونقرأ في القرآن في سورة الكهف والآية 96:

"آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا. حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً".

ويقول القرطبي شارحاً هذه الآية:

"بين الصدفين" قال أبو عبيدة: هما جانبا الجبل، وسميا بذلك لتصادفهما أي لتلاقيهما"[429] . نفس المعنى نجده في الرازي إذ يقول "الصدفان هما جانبي الجبلين لأنهما يتقابلان" [430].

نلاحظ بأنه وصفٌ مماثلٌ لما نجده في كتاب المنتحل لكلسثنيس. مع الفرق ان المنتحل لكلسثنيس قد جعل الاسكندر ان يصلي حتى جانبي الجبلين العظيمين يتقابلان، بينما محمد قد وضعهما كمتقابلين دون ان يذكر كيف أصبحا كذلك.

هناك تشابه بين وصف كتاب المنتحل لكلسثنيس وأحاديث محمد عن الشعب المتوحش المسجون خلف السد

نلاحظ في وصف الاسكندر للشعب الهمجي الوحشي الذي قد سجنه خلف جبلين بحسب المنتحل لكلسثنيس: انهم يأكلون لحوم الناس لدرجة انهم لا يدفنون موتاهم بل يأكلونهم. كما نقرأ:

"وجدت هناك أقواماً كثيرة يأكلون لحم بشر ويشربون دماءَهم كالماء، فهم لا يدفنون موتاهم بل يأكلونهم".

ونفس الوصف من جهة هذه الشعوب بأنها تأكل موتاهم نجده في أحاديث محمد. فقد نقل كلٌّ من القرطبي والثعلبي حديثاً لمحمد يصف به ياجوج ومأجوج:

"قيل: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز - شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع - وصنف عرضه وطوله سواء نحوا من الذراع. وصنف يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى. لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات ... يشربون أنهار الشرق" [431]

يذكر ابن الجوزي حديثا لمحمد، منقولاً من حذيفة، مؤكِّداً قول محمد من أن جوج ومأجوج يأكلون موتاهم:

"وروى شقيق عن حذيفة، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج، فقال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه، كل قد حمل السلاح؛ قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرز؛ قلت: يا رسول الله وما الأرز؟ قال: شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء؛ وصنف منهم عرضه وطوله سواء، عشرون ومائة

> ذراع، وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد. وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى، ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه. مقدمتهم بالشام، وساقهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية"[432].

وفي نفس الحديث المنقول من ابن الجوزي كما في أحاديث أخرى للبخاري، يتكلم محمد عن العدد الغفير لجوج ومأجوج، الأمر الذي يتفق مع سرد كتاب المنتحل لكلستنيس. فيقول محمد عن عدد المسلمين في الأيام الأخيرة سيكون "من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد"، أي حوالي ألف مرة أكثر من المسلمين مجتمعين[433].

ولقد ذكر الباحثون المسلمون بان جوج ومأجوج عبارة عن 21 قبيلة، إضافة لقبيلة أخرى بقيت خارج السد وهم الأتراك[434]. نلاحظ بان عدد القبائل، أي الاثنا وعشرين، مطابق لعدد الملوك الاثني وعشرين، الذين وصفهم المنتحل لكلستنيس بأنهم الشعوب المتوحشة، كما كتب الاسكندر عنهم إلى أمه بحسب المنتحل.

اتفاق خرافة بناء السد القرآنية مع ما جاء في الكتابة السريانية والنسخة اليونانية لكتاب المنتحل لكلستنيس

نجد في الكتابة السريانية "خرافة نصرانية حول الاسكندر" ان الاسكندر بنى بوابةً بين جبلين لكي يسجن الهنز. وكان الهنز شعباً قد أتى من آسيا وسكن هنجاريا-المجر. وقد احتل مناطق من الإمبراطورية الرومانية الشرقية والغربية. وكانوا يقومون بحملات بربرية في عمق الإمبراطورية الرومانية، ويسلبون السكان، وينكّلون بهم. لذلك أصبح الهنز هو الشعب المتوحش بحسب كاتب الرسالة السريانية، الذي يهدِّد الإمبراطورية الرومانية، حيث كان كثيرون من السريان يسكنون آسيا الصغرى، ويشكِّلون جزءاً هاماً من نواة الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى. فأراد الكاتب مُستخدِماً خرافة المنتحل لكلستنيس، ان يسجن الهنز حتى نهاية الأيام. فنقرأ في الرسالة السريانية:

> "قال الملك: لنعمل بوابة من نحاس ونغلق هذه الفتحة. فقال له جنوده: "كما يأمر جلالتكم سوف نعمل". وأمر الملك فدعا ثلاثة آلاف حداد من الذين يعملون في الحديد، وثلاثة آلاف يعملون في النحاس. ووضعوا النحاس والحديد وعجنوه كما يعجن الإنسان الطين. ثم أتوا به وعملوا منه بوابة، طولها 12 أذرع وعرضها 8 أذرع. وعمل عتبةً سفليةً بين الجبل والآخر طولها 12 ذراع، وثبّتها في الصخر بين الجبلين، وتثبتت بواسطة النحاس والحديد. وكان ارتفاع العتبة السفلى عبارة عن 3 أذرع. ولقد عمل عتبةً عليا بين الجبلين، طولها 12 ذراع، وثبتها في صخور الجبلين، مُستعِينا أيضا في تثبيتها ببرغيين كل منهما عبارة عن 12 أذرع طولا. ودخل البرغيان في الصخر بمقدار ذراعين. ولقد عمل براغي من حديد تنفذ من صخر إلى صخر من خلف البوابة. وثبت رأس كل برغي في الصخر. فثبَّت البوابة والبراغي. ووضع مسامير من حديد مُدخِلاً إياها بعمق. بحيث إذا جاء الهنز وحفروا الصخر الذي تحت عتبة الحديد، حتى ولو نجح الرجال المُشاة ان يعبروا، لكن الفرس وراكبه

يعجزان عن العبور. ذلك طالما ان البوابة مثبتة إلى أسفل بواسطة البراغي. ولقد دقَّ عتبة سفلية وربطها بالبوابة، وانزل هناك براغي من حديد وجعلها تتعلق في جهة واحدة مثل بوابات شوشان Shushan المبنية للقلعة هناك. وجاء الرجال وجلبوا حديداً ونحاساً وطلوا البوابة وأوتادها واحداً تلو الآخر كما يجبل الإنسان الطين. ولقد عمل برغياً من حديد في الصخر. ودق مفتاحاً من حديد طوله 12 ذراع. وعمل أقفالاً من نحاس أغلقها بها. فوقفت البوابة وتثبتت"[435].

يدّعي الإعجازيون بان بناء السد هو نوع إعجاز قرآني. ولكنني أرى هذه التفاصيل السريانية تستحق الإعجاز أكثر من جمل القرآن القصيرة.

وخرافة إقامة هذه البوابة في الكتابة السريانية مبنية على الإصحاح 29 من كتاب المنتحل لكلسثنيس بحسب النسخة اليونانية لمولر المعروفة بـ Müller's Greek MS. C[436]. ولقد لخَّص القرآن هذه الخرافة في بعض عبارات قصيرة، وهي كما نعلم أسلوب يتميّز به محمد. فنقرأ في العدد 96 من سورة الكهف:

"آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا. حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً". القطر هو النحاس المُذاب.

فالقرآن يقول لنا كيف ان ذا القرنين قد ملأ الفراغ بين الجبلين بالحديد. وعندما حُمِّي الحديد، قد أفرغ عليه نحاساً مُذاباً. وهذا الموجز القرآني هو مطابقٌ للأصل اليوناني لكتاب المنتحل لكلسثنيس، مع الفرق ان الكتاب اليوناني يرينا كيف ان البوابة بُنيت من حديد ونحاس وطُليت من نحاس وحديد، بينما القرآن جعل ذا القرنين ان يملأ الفراغ بين الجبلين بالحديد، مشكِّلا سداً. ثم طلاه بالنحاس المُذاب.

ولمساعدة القارئ ان يقارن بين السردين، نلفت الانتباه لكلمات المنتحل لكلسثنيس، نسخة كارل مولر، كود ب الثالث، والإصحاح 29 صفحة 12. .Cod. B (III, cap. 29 ed. Didot, p. 112 seq.

لقد نشر مولر كود ب Code B من مخطوطة موجودة في المكتبة الوطنية في باريس Bibliothèque Nationale of Paris. وكود ب هو رقم 1685[437] . ولقد سبق وأشرت إليها سابقا. أعود واضع شيئاً من نص بناء سجن الشعب المتوحش كما جاء في هذه المخطوطة:

"والإله العالي قد أمر الجبلين فاقتربا وتقابلا على بعد 12 ذراع. وهناك عملت بوابات من نحاس بعرض 12 ذراع وستين ذراع ارتفاعا، وطليتها من الخارج والداخل.. بحيث انه لا النار أو الحديد أو أي وسيلة أخرى تقدر ان ترخي النحاس. حتى ان الحديد قد تبعثر من خلال قوتها. وداخل هذه البوابات قد عملتُ بناءً من حجارة، كل منها 11 ذراع عرضا و20 ذراع ارتفاعا وستين ذراع سُمكاً. وبعد ما عملتُ ذلك، قد أنهيتُ البناء من خلال وضع القصدير والرصاص فوق الحجارة، داهناً كل شيء، بحيث لم يستطع أي إنسان أن يعمل شيئاً ضد البوابات. وسميتها Caspian Gates. اثنين وعشرين ملكا قد سجنت من خلال هذه البوابات" [438].

لذلك بعد طلي البوابات لم يستطع احدٌ ان ينقب فيهنّ أو يعلوهنّ. وهذه الفكرة نراها مُعبَّرة في القرآن في الآية 97: "فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً".

الهنز سوف يخرجون من سجنهم ويهجمون على العالم

بحسب الكاتب السرياني لـ "خرافة نصرانية حول الاسكندر"، قد نقش الاسكندر نبوةً على البوابة، يقول فيها ان الشر في الأيام الأخيرة سوف يزداد في العالم، لدرجة ان الله سوف يحطم البوابة ويطلق سراح الهنز الذين سوف يحطمون العالم. فيؤكِّد الكاتب السرياني ادّعاءه ان الاسكندر قد تنبأ ان الرب سوف يحطم البوابة لكي يدين أمم العالم [439]. ونرى القرآن يكرِّر نفس الفكرة في الآية 98 من سورة الكهف:

"قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ. وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا"

ولقد ادّعى محمد مرات كثيرة ان السد الذي بناه ذو القرنين قد فُتح بقدر حلقة صغيرة قد عملها في أصابعه[440]. وتقول زينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة التي كان قد تبناه محمد ثم تزوجها محمد:

> "عن زينب بنت جحش: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر ما اقترب، فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا. وحلق بإصبعه وبالتي تليها، فقالت زينب: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث"[441].

هنا نرى تساوي فكرة محمد مع الفكرة السريانية من حيث ان السد سوف يُفتح عندما يزداد الشر أو الخبث. ولقد نقل أبو هريرة حديثاً مُماثِلاً لمحمد:

> "عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: 'فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا'. وعقد بيده تسعين"[442].

وبناء على أقوال محمد فقد آمن المسلمون ان السد زمن محمد قد فُتح فتحة صغيرة، وهذه الفتحة تزداد يوماً بعد يوم نسبة لازدياد الشر في العالم[443].

تشابه بين الأوصاف المذكورة للشعب المتوحش المسجون من الاسكندر في "خرافة نصرانية من جهة الاسكندر" والوصف المُعطى من محمد لجوج ومأجوج

والنص السرياني يتحدث عن هؤلاء الشعوب التي حجزها الاسكندر خلف بوابات حديدية نحاسية ووضعها بين جبلين. فيتحدث الكاتب عن سرعة هؤلاء المتوحشين بهذه الكلمات:

"انهم أسرع من الرياح العاصفة" [444]

نرى سرعة جوج ومأجوج في سورة الأنبياء (21) والآية 97:

"حتى إذا فُتِحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَبٍ يَنسِلُون".

يعلِّق ابن الجوزي على كلمة "يَنسِلُون" المُستخدَمة في هذه الآية القرآنية:

"وهو مقاربة الخطو مع الإسراع، كمشي الذئب إذا بادر"[445].

ويستمر الكاتب السرياني واصفا هؤلاء الشعوب المتوحشة، فيقول عنهم انهم أسرع من الريح. وصوتهم له ضجيج قوي rumor مسموع. وصرخة كل واحد أقوى من صرخة الأسد[446]. ذلك يذكّرنا في قول محمد في الطبري عن أصوات الشعوب التي تعيش في منطقة شعوب جوج ومأجوج بقرب حيث تشرق الشمس. فيقول:

"لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدّة وقعة الشمس حين تطلع".[447]

وهناك وصف خاص لهؤلاء المتوحشين في الكتابة السريانية وهو انهم:

" أسرع من الريح العاصفة. فهم سحرة يركضون بين السماء والأرض. ومركباتهم وسيوفهم ورماحهم تبرق مثل البرق المُرعب".[448]

أراد الكاتب ان يقول انه من خلال السحر أصبحوا محاربين عظماء. ورمحاهم السحرية تصل السماء لكي تؤذي سكان السماء. طبعا استناداً للميثولوجيا الشرق أوسطية، كانت السماء قريبةً من الأرض. إذ كانت مؤلفة من سبعة طبقات، الطبقة السفلى منها قريبة من الأرض، وهي مسكونة من بشر. وهذه الميثولوجيا نراها مُعبَّراً عنها بوضوح في معراج محمد لهذه الطبقات. وهذه الخرافات من جهة هذا الشعب المتوحش مُعبَّرٌ عنها أيضا في أقوال محمد. فيقول انه عندما يخرج جوج ومأجوج من السد سوف يشربون مياه العالم ومياه الأنهار. وسوف يهرب سكان العالم منهم. ثم يقول محمد:

"فَيرْمُونَ بِسِهامِهِمْ إلى السّماءِ، فَيرْجِعُ فِيها كَهَيْئَةِ الدّماءِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنا أهْلِ الأرْضِ، وَعَلَوْنا أهْلَ السّماءِ"[449].

هناك في الكتابة السريانية وصف لطولهم الخرافي:

"كل واحد من ستة إلى سبع أذرع طولاً".[450]

وهذا الوصف لهم كعمالقة في الطول مشتقٌ من وصف الكتب الزرادشتية للشعب الشيطاني الساكن في land of Mazendaran، والذي كان يهدد العالم، لذلك قد حبسهم افريدون عبر كل التاريخ. راجع عن طولهم الخيالي في كتاب دنكارد من "النصوص الفهلوية". [451]

فأحاديث محمد تؤكِّد فكرة الطول الخيالي لأفراد جوج ومأجوج. فقد ذكر بان جوج ومأجوج هم ثلاث أصناف: يبلغ طول كل واحد من هذه الأصناف 120 ذراعا بقدر شجرة الأرز.[452]

يقول الكاتب السرياني عن هذا الشعب المتوحش انهم:

"يأكلون أجساد كل شيء يموت، ويشربون دماء الناس والحيوانات". [453]

وتشرب هذه الشعوب دماء البشر والحيوانات. يقول الكاتب بالنسبة لوحشيتهم:

"عندما يذهبون للحرب يأتون بالمرأة الحبلى، ويوقدون نارا ويربطون المرأة أمام النار، ويطبخون ابنها داخلها ويشوون جسمها فيخرج الطفل مشويا."

ولقد رأينا سابقا كيف ان محمداً قد أعطى وصفاً مماثلاً لجوج ومأجوج، قائلا انهم لا يدفنون موتاهم بل يأكلونهم، فيقول: "لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم"[454].

كل هذه الحقائق تؤكد بان الخرافات السريانية عن جوج وماجوج كانت منتشرةً عند جماعات كثيرة في شبه الجزيرة العربية، وان محمداً كان مطّلعاً على هذه الخرافات.

الجغرافية البدائية والخرافية عن موقع الجنة، خلف جوج ومأجوج، وأمة الرجال الكلاب وأمة مانين، تترك تأثيرها على محمد.

قد تبنى محمد الأفكار الجغرافية البدائية والخرافية التي كانت منتشرة في جيله، وذلك في أمم متعددة من سكان الشرق الأوسط. إذ نرى أفكاره تتفق مع ما كان يظن بعض الشرق أوسطيين عما نجد في طرف الأرض من أمم. ومن بينها نذكر كيف ان المواطنين-بحسب الكتابة السريانية خرافة نصرانية حول الاسكندر- الذين يعيشون في طرف الأرض، يكشفون للإسكندر عن موقع جنة الله:

"سألهم الاسكندر : من هي الأمم التي تعيش من ورائهم ؟" . أجاب الرجل المسن "انهم بيت امارداث والرجال-الكلاب، ومن وراء الرجال-الكلاب هناك مملكة Menine. وخلف مملكة Menine لا يوجد سكان بشر. ولكن فقط جبال مخيفة وتلال وأودية وسهول وكهوف مرعبة، حيث تعيش الأفاعي والحيات السامة الخبيثة. بحيث ان الناس لا تستطيع ان تذهب هناك، بسبب انها سوف تُفترس وتباد من الحيات. فالأراضي هناك مُقفرة، ولا يوجد شيء سوى الخراب. ومن خلال تلك الجبال يظهر فردوس الله من بعيد"[455].

لا شك هناك تأثيرات فارسية زرادشتية على الكاتب السرياني. فمثلا كلمة Menine المذكورة كشعب في طرف الأرض، لا بد مشتقة من شعب Mazonik، وهو شعب مؤلف من شياطين. وقد رأينا كيف انه بحسب كتاب دنكارد – الكتاب التاسع، قد بنى كاي اوس Kai-Us، وهو شخصية خرافية فارسية، حاجزاً معدنياً، وسجن هذا الشعب الشيطاني، بسبب "أنهم كانوا خطرين على العالم"[456]. اعتقد ان الكلمة Menine هي سوء تهجئة من الكاتب السرياني لكلمة Mazonik. إذ نجد كثيراً من المفردات الزرادشتية مكتوبة في المنتحل لكلستنيس والكتابات السريانية بطريقة غير دقيقة.

فكرة الرجال–الكلاب الذين يعيشون في طرف الأرض مشتقة من كتاب المنتحل لكلستنيس، حيث نراهم في معظم النسخ بما فيه الأرمنية والسريانية. إذ قد تأثّر المنتحل

لكلستنيس بملحمة جلجامش، حيث نرى بان الملحمة تصور لنا رجالاً في رؤوس حيوانات.

ليس غريبا ان محمداً قد وضع الرجال ذوي رؤوس الكلاب في نفس المكان الذي وضعهم كاتب "خرافة نصرانية من جهة الاسكندر"، وذلك خلف جوج ومأجوج. كما نرى من حديث محمد عن مرافقة ملاك للإسكندر إلى طرف الأرض:

"ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى، وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج. ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب"[457].

فاعتماد محمد على الخرافات السريانية المُنتشرة في زمانه هو أمر لا يقبل الجدل. خاصة عندما نعرف التأثير السرياني على شبه الجزيرة العربية بسبب البعثات التبشيرية لهم هناك. وايضا اقتناء محمد للكتب السرياني، وتكليفه زيد بن ثابت ان يدرس السريانية لكي يترجمها له، كما سوف نتطرق الى ذلك لاحقا.

الكتابة السريانية الموزونة والمنسوبة ليعقوب السروجي

لا شك من ان خرافات المنتحل لكلستنيس قد انتشرت في شبه الجزيرة العربية، سواء نسبة للنسخة الفهلوية المفقودة، أو النسخة السريانية، أو نسخ أخرى اعتمدت على مثل هذه النسخ: مثل النسخة العربية المفقودة التي يعتقد الباحثون بأنها تعود للقرن الرابع أو الخامس ميلادي، وذلك مؤكَّد من عدة عوامل، منها ان تبع الملك الحميري الذي حكم بين عامي 410-435 م. يقول بشعره عن ان ذا القرنين قد وجد الشمس تغرب في عين حمئة. ومعروف بان لقب ذي القرنين للإسكندر المقدوني موجودٌ أيضا في كتاب المنتحل لكلستنيس، وان في ذلك الكتاب الشمس تغيب بالقرب من بحر حمئة كما سبق ووجدنا. ذلك يدل على وجود النسخة العربية في زمن مُبكِّر.

ولكن الكتابات السريانية هي عامل آخر في انتشار مثل تلك الخرافات في شبه الجزيرة العربية. فقد سبق وتطرقنا إلى بعض تأثيرات رسالة نصرانية حول الاسكندر، على محمد والقرآن. ولكن التأثيرات السريانية على القرآن تتعدى تلك الرسالة بكثير. فقد كان للكنائس النسطورية واليعقوبية في بلاد ما بين النهرين نشاط تبشيري في عدة مناطق من شبه الجزيرة العربية. وكانت مكتبات هذه الكنائس تحوي كتباً متعددة ذات طابع خرافي، كرسائل يعقوب سيروج Jacob Serugh المعروف لدى العرب بيعقوب السروجي.

فقد كتب السروجي على الأقل رسالتين قد تركتا تأثيراً على القرآن. الأولى كانت رسالة قد ترجمها من اليونانية تدور حول السبعة النائمين في افسس، والتي هي أصلا خرافة يونانية وثنية تطرق إليها أرسطو في كتابه الفيزياء. والرسالة الثانية هي الخطبة الموزونة حول الاسكندر. ورسالتا يعقوب السروجي صارتا جزءاً من سورة الكهف: من

جهة الذين ناموا الدهر في كهف، ورحلة ذي القرنين إلى أطراف الأرض. ويعقوب السروجي كان له علاقات بكنيسة نجران التي تقع جنوب مكة بحوالي 400 ميل، إذ كتب لكنيسة نجران رسالة[458].

والكتابة السريانية النصرانية حول الاسكندر كذلك الكتابة التي تُنسَب ليعقوب السروجي هما مبنيتان على كتاب المنتحل لكلسثنيس بحسب مخطوطة مولر Müller's Greek MS. C (C) والإصحاحات 37- 39. والبوابة التي بناها الاسكندر لكي يسجن جوج ومأجوج مبنية على الإصحاح 29 من الكتاب الثالث للمنتحل لكلسثنيس اعتمادا على نسخة Müller's Greek MS. C[459].

ولد يعقوب السروجي عام 451 في Kurtam، وهي قرية على نهر الفرات. وقد درس وتربى في مدينة اديسا في شمال بلاد ما بين النهرين. وأصبح أسقفا لمدينة Batnan، وهي المدينة الرئيسية لمقاطعة Serugh في آسيا الصغرى. وتوفي عام 521 م.

والكنائس في شبه الجزيرة العربية قد بدأها السريان اليعقوبيون والنساطرة. من هنا جاء تأثير الكنيسة السريانية على الكنائس في شبه الجزيرة العربية، ليس فقط من خلال العقائد السريانية، خاصة عن اليوم الأخير وغيرها من العقائد التي نرى أثرها في القرآن، ولكن أيضا من جهة الخرافات والكتب الخرافية التي حملها السريان مع كتبهم الدينية. الأمر الذي يفسِّر انتشار هذه الخرافات في عصر محمد، مثل خرافة الاسكندر ذي القرنين وخرافة الفتية الذين ناموا الدهر، (والتي هي أيضا منسوبة للسروجي). وقد تبنى محمد الخرافتين في سورة الكهف.

هل هناك ما يشير على ان الكاتب هو يعقوب السروجي، ويدل على الفترة والظروف التي كُتبت به الرسالة؟

هناك عدة عوامل تساعدنا ان نتعرَّف على ان الكاتب هو يعقوب السروجي. منها ما كان يجيش في صدر الكاتب من مرارة ضد الفرس. ذلك أيضا يساعدنا ان نحدد الفترة التي كُتبت بها الرسالة، خاصة عندما نعرف الفترة التي ارتكب بها الفرس فضائع في المناطق التي عاش بها السروجي وخدم بها في ماضيه، وكان له علاقة بالسكان الذين نُكبوا من هجمات الفرس عليهم.

فهناك في الرسالة حول الاسكندر ما يدل على ان الكاتب كان له غيظ ومرارة من الفرس، إذ يقول بان جوج ومأجوج سوف يمزِّقون الفرس ويحطِّمون مملكتهم[460]. ونستطيع ان ندرك مرارة يعقوب السروجي ضد الفرس، بسبب ما حصل في بعض مناطق في شمال بلاد النهرين، والعنف والقتل والفظائع التي ارتكبها الفرس عند احتلالهم مناطق داخل الحدود الرومانية. فمثلا في احتلالهم لمدينة Amid عام 503 بعد حصار دام ثلاثة أشهر، قتل الفرس جميع سكان المدينة بحد السيف وسبوا الباقين، مما

جعل جميع المسيحيين في المناطق المجاورة ان يهربوا أو يفكروا في الهروب إلى غرب نهر الفرات. ونجد يعقوب السروجي يكتب لهم حاثّاً إياهم على الثبات.

نرى إذاً بان يعقوب السروجي كان له ردود فعل معروفة ضد الفرس، بسبب عنفهم ضد المسيحيين في المناطق التي عاش بها وانتمى إليها، خاصة في منطقة Serugh التي صار يُلقَّب نسبة لها، مما يبرِّر ظهور مشاعره ضد الفرس في الرسالة أو الخطبة الموزونة.

ومن حيث ان الكاتب لا يذكر شيئاً عن الهنز Huns الذين نراهم هم الخطر الرئيسي في الرسالة السابقة المسماةChristian legend concerning Alexander، هو بسبب ان الهنز قد انتهوا في نهاية القرن الخامس ميلادي، ولم يعودوا هم الخطر على الإمبراطورية الرومانية الشرقية، بل الفرس. واحتلال الفرس عام 503 لمدينة Amid وقتلهم بالسيف معظم سكان المدينة، يدل على ان الفرس حلّوا مكان الهنز كأعداء عنيفين وكخطر على السكان، الأمر الذي ترك أثره على كاتب هذه الخطبة الموزونة، التي يُرجَّح ان يعقوب السروجي هو كاتبها. كما يدل على ان الخطبة الموزونة تعود لبداية القرن السادس الميلادي.

موضوع سجن جوج وماجوج في الرسالة الموزونة المنسوبة للسروجي وفي القرآن

هناك تشابهات كثيرة بين قصة سجن جوج وماجوج في الرسالة الموزونة وسرد القرآن. لذلك فان تحليل الرسالة الموزونة المنسوبة للسروجي يشكِّل عنصراً أساسيا في تتبع مصادر القرآن من جهة بناء ذي القرنين السد، خاصة من جهة مكانة ذلك السد في الاسكتالوجيا القرآنية، اي ما سوف يحدث في الأيام الأخيرة.

كما في كل قصص بناء البوابات التي حجزت الشعب المتوحش من الاسكندر نلاحظ بان الناس قد شكوا للإسكندر عن الشعوب المتوحشة في طرف الأرض انها شعوبٌ خبيثةٌ وخطرة. وذلك الذي نراه في القرآن عن شكوى "الشعب الذي لا يفقه قولا" لذي القرنين عن جوج وماجوج. فتقول الرسالة الموزونة للسروجي ان الاسكندر بدأ يفكر في سجن تلك الشعوب. ويسأل الاسكندر ان كان هناك جبل يفصل بينهم وبين جوج. فيتكلمون عن جبال شاهقة وضعها الله بينهم وبين جوج ومأجوج. ثم يشير رجل شيخ إلى جبل يمتد من ناحية إلى ما وراء الهند، ومن ناحية أخرى إلى نهاية العالم. ويقول الشيخ بان شعب Agog ومأجوج هم خلف ذلك الجبل. ويصف طول كل واحد منهم بأنه من ستة إلى سبعة أذرع. وذكر الشيخ عنهم انهم يستحموا بالدم ويغسلوا رؤوسهم بالدم ويأكلوا لحم الناس، وهم محاربون أكثر من أمم العالم. وهم يقلعون الجبال ويأكلون الناس[461].

ذلك يذكّرنا بما سبق ورأينا في مناقشة الرسالة النصرانية عن الاسكندر، وبأحاديث محمد، منها قوله بان صنفا من جوج طوله مثل شجرة الأرز. وايضا يتفق مع وصف

علي أبو طالب لجوج، إذ قال عنهم بأن "طولهم مُفرط"[462]. ومما لا شك فيه بان علي بن أبي طالب، ابن عم محمد وحفيده، كان مُلمّاً بقصص محمد وخرافاته. ووصْفِهم في هذه الرسالة السريانية يتفق مع قول محمد عنهم بان طولهم مثل شجرة الأرز، وبأنهم يشربون دم الناس ويأكلون لحمهم ولا يدفنون موتاهم بل يأكلونهم.

وهنا وضع الاسكندر في قلبه ان يصنع بوابة لكي يحجز جوج ومأجوج. ونظر إلى الجبل الذي جعله الله حاجزا وسأل:

"من أين يعبر جوج ومأجوج لكي يدخلوا ويخرّبوا الأرض؟". فأراه الشيخ مكاناً وسط الجبال؛ مكاناً ضيقاً وموضوعاً من الله. ورأى الاسكندر ان الجبال عاليةٌ من كل الجوانب، وينحدر من أعلاها نهرُ دماء يجري إلى أسفل مثل جدول ماء. وقرَّر ان يبني بوابةً عظيمةً ومُدهِشة لكي يراها كل سكان العالم. فروح الرب قد حثَّ الملك ابن فيليب ان يحجز الشر عن الأراضي"[463].

وهناك حديث محمد عن الجبل الذي يفصل بين جوج ومأجوج وباقي سكان العالم. فقد سماه محمد: "السدّ، وهو جبلان لينان ينزلق عنهما كل شيء"[464].

وخلال هذه المدة يحارب الاسكندر "من اجل الله" ملكَ الفرس ومعه 62 ملكا، ويتغلب عليهم[465]. وهي الصورة التي اقتبسها القرآن من ان ذا القرنين يحارب ويُخضِع الشعوب من اجل الله، كما نرى في سورة الكهف والآيتين 86 و87.

ملء الفتحة الضيقة بين الجبلين بالحديد والنحاس كما نراها في الكتابة السريانية الموزونة وفي القرآن

ثم توجه الاسكندر لكي يعمل البوابة لكي يغلق على جوج ومأجوج إلى اليوم الأخير. فأتى بكمية كبيرة جدا من الحديد والنحاس، وأعطى امرأ للاثني عشر ألف صانعاً، الذين أرسلهم ملك مصر، لكي يبدأوا البناء:

> "فهذا الرجل الحكيم – أي اسكندر – استدعى الفعلة وعلّمهم كيف عليهم ان يعملوا طول وعرض البوابة بقوة عظيمة. وقاس المسافة الأرضية الضيقة بين الجبلين، التي يغلق بواسطتها شعوب بيت مأجوج إلى نهاية الأيام. فالملك في حكمته قاس المسافة بين الجبلين وهي عبارة عن 12 ذراع. وقال الملك: اعملوا عتبةً تغطي كل الفتحة، واجعلوها ان تغوص في كل طرف للجبلين. ثم ملأ المسافة بين الجبلين بالحديد والنحاس وثبَّت أطراف البوابة بواسطة براغي ضخمة"[466].

والتسوية بين الجبلين وملْئها بالحديد معبَّرٌ عنها بالآية القرآنية في سورة الكهف والآية 96:

> "آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً".

وتستمر الكتابة السريانية:

"قد جاء جوج ومأجوج ولم يستطيعوا ان يفهموا هذا البناء"[467]

أي عجزوا ان يجدوا مخرجاً من هذا البناء المعقد والقوي، أو عجزوا ان ينقبوه. وهي الفكرة المنقولة إلى القرآن والمعبَّر عنها في الآية 97 من سورة الكهف:

"فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً".

كلا السردين -أي خطبة يعقوب السروجي والقرآن- أوضحا ان بناء بوابة أو سد لسجن جوج ومأجوج كان أكبر انجاز للإسكندر. ومع ذلك لم يذكر أي مؤرخ عن تلك البوابة أو السد الخرافي.

ويدّعي السروجي انه قد جاء سفراء من كل أمم الأرض ورأوا البوابة، وأخبروا عن هذا العمل العظيم الذي عمله الاسكندر. ويبدو بحسب الخرافة ان البوابة هي أكبر عمل عمله الاسكندر في حياته، حيث حبس جوج ومأجوج، وان كل أمم الأرض عرفت عن البوابة وفرحت بها. وهذا ما جعل القرآن أن يذكر بان العمل الرئيسي الذي عمله ذو القرنين هو السد، الذي بناه وحجز بواسطته جوجا وماجوجا حتى نهاية الأيام. مع ان هذا العمل لم يُذكر تاريخياً من الكتب التاريخية الحقيقية. مع إننا نعرف ان بعض هذه الكتب التاريخية قد كُتبت من رفقاء الاسكندر أنفسهم. ولكن هذا العمل الخرافي منشأه كتاب المنتحل لكلسثنيس Pseudo-Callisthenes وما بُني عليه من كتابات سريانية في وقت لاحق. وحان الوقت للمسلمين ان يتعرّفوا على هذه الحقائق ولا يُؤخذوا من الخرافات المعروفة، والتي لخّصها القرآن باللغة العربية بجمل قصيرة وبسجع محمد المألوف.

في كلا السردين، أي سرد يعقوب السروجي في خطبته الموزونة وسرد القرآن، تحتل البوابة أو السد الموقع الرئيسي في فكرة الأيام الأخيرة

ثم يقول كاتب الرسالة بان الله تكلم للإسكندر عن طريق ملاك من ان البوابة سوف تبقى مُغلقةً حتى نهاية الأيام. وإنها سوف تُفتح في اليوم الأخير عند نهاية العالم. وفي تلك الأيام سيتقدم الشر- ويذكر بعدها بعض العلامات المدونة في الأناجيل عن علامات مجيء المسيح. ثم يذكر كاتب الرسالة:

"وعندما تحدث هذه الأشياء قبل زمن النهاية، سوف تهتز الأرض، مما يجعل البوابة التي عُمِلت ان تنفتح. وسوف يزداد الشر في نهاية الأيام. والإثم سوف يزداد بقوة في كل أطراف الأرض.... وسوف تنهض الأمة المحجوزة خلف تلك البوابة، وايضا جيوش جوج ومأجوج سوف تجتمع معا. سوف تخرج هذه الشعوب العنيفة من بيت يافت على العالم، ويغطون الخليقة مثل جراد. قد تعجّب الاسكندر من سماع هذه الأمور على فم الملاك الذي أرسله الرب في الرؤيا"[468].

يتابع الكاتب السرياني قائلا:

"يقول الملاك: عندما تحدث كل هذه الأمور، سوف يأمر الرب، وخضوعاً لأمره سوف تُفتح تلك البوابة، وسوف يقيم بغضبه شعب جوج ومأجوج. ذلك يحدث في الألف السابع عندما تنحل السماوات والأرض. وهكذا تخرج الجيوش من أرضها بعدد لا يُحصى صارخين خلف البوابة بصوت عظيم: افتح لنا يا رب لكي نذهب للأرض. وسوف يطرح صوت الرب ارتفاع البوابة"[469].

وهذا النص مطابق للمعنى لكلمات القرآن في الآية 98 من سورة الكهف عن السد:

"فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا"

وهناك تصوير لكيفيّة خروج جوج ومأجوج، إذ ينسلون للعالم من كل مكان. فيقول كاتب الرسالة الموزونة:

"والقوات سوف تخرج وتغطي الأرض. وسوف ينزلون وينسلون على كل الأرض ...وتهرب منهم الملوك والجيوش ...يملئون الأرض بجماعاتهم ... فعندما يغضب الرب على العالم يرسل جوجاً وماجوجاً في نهاية الأيام"[470].

وهذه الصورة في نزول جوج ومأجوج من كل جانب مالئين الأرض في نهاية الأيام معبَّرٌ عنها بوضوح في سورة الأنبياء، أي 21 والآية 97:

"حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج - إذا فتح سد ياجوج ومأجوج - وهم من كل حدب ينسلون، واقترب الوعد الحق ..." سورة الأنبياء"

أحاديث محمد والأفكار السريانية عن الأيام الأخيرة

إضافة لنقل محمد في القرآن عن فتح السد الذي سجن جوج ومأجوج، مُعتبِراً هدم السد علامة انتهاء التاريخ. هناك أمور أخرى قد اقتبسها من السريان من جهة الأيام الأخيرة ونجدها في أحاديثه.

لقد ادّعى في معراجه انه قد تقابل مع ابراهيم وموسى والمسيح، وانه قد ناقش معهم علامات الأيام الأخيرة وانتهاء العالم. وهذه هي كلمات حديث محمد:

«لَقِيتُ لَيْلَةَ الإسْرَاءِ إبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعيسَى فَتَذَاكرُوا أمْر السّاعَةِ، وَرَدّوا الأَمْرَ إلـى إبْرَاهِيمَ فَقالَ إبْرَاهِيمُ: لا عِلْـمَ لـي بِها. فَرَدّوا الأمْرَ إلـى مُوسَى. فقالَ مُوسَى: لا عِلْـمَ لـي بها. فَرَدّوا الأَمْرَ إلـى عِيسَى قالَ عِيسَى: أمّا قِـيامُ السّاعَةِ لا يَعْلَـمُهُ إلاّ اللّهُ، وَلَكِنّ رَبّـي قَدْ عَهِدَ إلـيّ بِـمَا هُوَ كائِنٌ دُونَ وَقْتِها. عَهِدَ إلـيّ أنّ الدّجّالَ خارِجٌ، وأنّهُ مُهْبطِي إلَـيْه. فَذَكَرَ أنّ مَعَهُ قَصَبَتَـيْنِ، فإذَا رآنِـي أهْلَكَهُ اللّهُ ... وَيَرْجِعُ الناسُ إلـى بِلادِهِمْ وأوْطانِهِمْ فَـيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجَ مِنْ كُلّ حَدْبٍ يَنْسِلُونَ. لا يَأْتُونَ عَلـى شَيْءٍ إلاّ أكَلُوهُ، وَالا يَـمُرّونَ عَلـى ماءٍ إلاّ شَرِبُوهُ. فـيَرّجِعُ النّاسُ إلـيّ، فَـيَشْكُونَهُمْ. فأدْعُوا اللّهَ عَلَـيْهِمْ فَـيُمِيتُهُمْ حتـى تَـجْوَى الأرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ. فَـيَنْزِلُ الـمَطَرُ، فَـيَجُرّ أجْسادَهُمْ، فـيُلْقِيهِمْ فِـي البَحْرِ. ثُمّ يَنْسِفُ الـجِبـالَ حتـى تَكُونَ الأرْضُ كالأديـم»[471].

وفي حديث آخر قد كرر محمد نفس الفكرة مُضِيفاً:

" فقال عيسى... قال فذكر من خروج الدجال، فاهبطُ فاقتله، ويرجع الناس إلى بلادهم، فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. فلا يمرون بماء إلا شربوه، ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه. فيجأرون إلى الله فيدعون الله فيميتهم. فتجأر الأرض إلى الله من ريحهم ويجأرون إلي فادعوا الله فيرسل السماء بالماء، فيحمل أجسامهم فيقذفها في البحر"[472].

ذلك يدل على ان محمدا كان مُطَّلعاً على بعض الأفكار السريانية من جهة مجيء المسيح ثانية. فنسبةً لرسالة تسالونيكي الثانية 2: 7و8 سوف يكون هناك حادثة الاختطاف، أي اختطاف الكنيسة لكي تذهب للسماء. وبعدها سوف تظهر شخصية شريرة، سوف تحكم العالم لمدة سبع سنوات: الفترة المُسمّاة في الكتاب المقدس بالضيقة العظيمة. ولكن المسيحيين الحقيقيين لن يدخلوا الضيقة العظيمة هذه. وهذه الشخصية الشريرة تُدعى في سفر الرؤيا بـ "ضد المسيح". ونقرأ في تسالونيكي الثانية 2: 7 و8:

"لأَنَّ سِرَّ الإِثْمِ الآنَ يَعْمَلُ فَقَطْ، إِلَى أَنْ يُرْفَعَ مِنَ الْوَسَطِ الَّذِي يَحْجِزُ الآنَ، وَحِينَئِذٍ سَيُسْتَعْلَنُ الأَثِيمُ، الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ."

أي يستمر الشيطان يعمل في العالم إلى ان ترتفع الكنيسة إلى السماء. فالكنيسة بصلواتها كانت تمنع ظهور ضد المسيح. ولكن سوف يظهر ضد المسيح بعد اختطاف الكنيسة للسماء ويعمل لمدة سبع سنين الضيقة، حتى مجيء المسيح ثانية، فيبطله المسيح عند ظهوره على الأرض.

فأحاديث محمد تقرن مجيء الدجال بفترة عودة المسيح ثانية للأرض، وذلك يعبِّر عن تعاليم سريانية مُبنية على العهد الجديد. ولكن الكاتب السرياني لم ينتبه لنص سفر حزقيال الإصحاحان 38 و39 من جهة نبوة حزقيال عن هجوم تقوده دولة شمالية يخاطبها النبي حزقيال تحت اسم جوج، وإنها سوف تقود تحالفاً من عدة دول ضد إسرائيل.

لقد تبنّى السريان خرافات كتاب المنتحل لكلستنيس حول الاسكندر وسجْنه شعبا متوحشا حتى آخر الأيام. وبذلك جعلوا جوج ومأجوج موجودين عبر كل التاريخ ومسجونين وراء سد أو بوابات. وذلك بالطبع قد شكَّل فكرة محمد عن الأيام الأخيرة، إذ قد تبع طريقهم وخرافاتهم من جهة الأيام الأخيرة. ولكن عندما يتحدث سفر حزقيال في الكتاب المقدس عن جوج ومأجوج، لا يشير انهم كانوا يعيشون زمن النبي حزقيال، ولا يقول النبي حزقيال انهم مسجونون خلف بوابة أو سد مبني من الاسكندر. أو انهم سوف يسجنهم الاسكندر أو غيره (حيث نعلم ان حزقيال قد عاش في القرن السادس قبل الميلاد، بينما الاسكندر قد عاش في القرن الرابع قبل الميلاد). ولكن قد تحدث النبي حزقيال ان جوجاً سوف يكون امةً عظيمةً مُوقّرةً بين دول تحالف، نتعرّف على بعض الدول الإسلامية فيه، وإنها سوف تظهر فقط في الأيام الأخيرة. ويعتقد كثيرون من الباحثين ان هذه الدولة هي روسيا. وهناك بعض الدول مذكورة في سفر حزقيال ضمن ذلك التحالف الذي سوف ينشأ في الأيام الأخيرة، والتي نتعرف على بعضها انها إسلامية؛ من بينها فارس -أي إيران- وفوط -أي ليبيا- وكوش- التي كانت في الماضي

تغطـي بـلاد الحبشـة والسـودان والصـومال- ونعتقـد بـان السـودان والصـومال همـا المقصودان في هذا الهجوم. للذين يودون مراجعة تفاصيل هذه النبوة العودة إلى سفر حزقيال والإصحاحين 38 و39.

واضح من ان فكرة نهاية العالم وعلاقتها بفتح البوابة، وانسلال الجيوش خلف البوابة لكي تغطي الأرض وتخرب العالم، هي واحدة في هذه الرسالة الخرافية السريانية وفي القرآن. وكما قلنا بان هذه الرسالة مثل سابقتها أي "خرافة نصرانية من جهة الاسكندر" أو "A Christian legend concerning Alexander مبنيتان على الإصحاحات 37-39 من الكتاب الثاني من كتاب المنتحل لكلسثنيس بحسب المخطوطة اليونانية According to Müller's Greek MS. C . ولا شك بُنيت عليه تنقيحات سريانية كثيرة في القرن الرابع والخامس والسادس ميلادي. والرسالتان السريانيتان التي درسناهما هما من بين تلك التنقيحات.

تسرب خرافات الرسالة الموزونة للسروجي إلى نجران ومناطق الشمال في مكة والمدينة

قد ينشأ سؤال: كيف وصلت الأفكار السريانية لمحمد؟

بدون شك، من ان المبادئ التي تبنتها الكتابات السريانية من جهة الأيام الأخيرة، قد تُبنيت في وقت لاحق من مجموعات سريانية اعتمدت في عقائدها على الكنائس السريانية. وهي على الأغلب كنائس قد قامت في منطقة بلاد ما بين النهرين وشبه الجزيرة العربية، وذلك قبل الإسلام. فقد عُرفت الكنائس السريانية بنشاطها الإرسالي في شبه الجزيرة العربية، وبصورة خاصة منطقة نجران التي لا تبعد كثيرا عن مكة. فكان هناك عدة قادة ضمن تلك الكنائس السريانية مثل يعقوب السروجي، الذين كانوا في اتصال بكنيسة نجران وباقي الكنائس في اليمن.

ولم يختصر القرآن في تبنيه الأفكار السريانية على خرافة جوج ومأجوج ورحلة الاسكندر إلى أطراف الأرض. فقد اقتبس محمد في القرآن من الكتابات السريانية أموراً أخرى، كما سبق وذكرنا مثل خرافة النائمين في افسس التي نجدها في سورة الكهف. وتأثير الميثولوجيا الشرق الأوسطية التي كان السريان يحملونها إلى مجموعات متعددة في شبه الجزيرة العربية زمن محمد هو أمر ظاهر بسهولة. لا عجب إذاً، ان محمدا قد تبنّى فكرة الأيام الأخيرة التي تبنّاها كثيرون من السريان ووضعها في القرآن.

ولم تكن الخرافات السريانية وتعاليمهم مخفيةً على محمد. فقد كان يقتني الكتب السريانية. ولكنه كان حريصاً ان لا يطلع عليها احدٌ من الصحابة المقربين إليه، لكيلا يعرفوا مصادره السريانية. فمثلا نقرأ في كل من الطبقات الكبرى لابن سعد وكنز الأعمال للهندي:

"عن زيد بن ثابت قال: قال لي رسول الله صلعم أنه يأتيني كتب من أناس لا أحب أن يقرأها أحد؛ فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو قال السريانية فقلت نعم فتعلمتها في سبع عشرة ليلة"[473].

الإجابة على رد الفعل الإسلامي من جهة اقتباس محمد خرافات كلسثنيس والكتابات السريانية

ان علم المقارنة بين الأديان في هذه الأيام، الذي اعتمد على دراسة الكتب القديمة وتقدم علم الآثار والنصوص المقدسة للديانات المختلفة، قد أعطى نوراً على أصل الآيات القرآنية. ولعل موضوع ذي القرنين في سورة الكهف ورجوع مصادر الخرافات فيه إلى كتاب المزور لكلسثنيس وما قام على هذا الكتاب من كتابات سريانية، هو مجال أصبح معروفاً، بحيث قد أزعج كل من أراد ان يدافع عن القرآن وينسب قصصه "لله". فمعلوم التطابق بين رحلة الاسكندر في كتاب المزور لكلسثنيس وبين رحلة ذي القرنين في القرآن.

ومحاولة بعض المسلمين في التخلُّص من أزمة كتاب المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية جعلهم ان يتبنوا موقفين في سبيل تخليص وجه محمد في القرآن، الذي أصبح في أنظار المثقفين في العالم متورطا في النقل من خرافات بدائية مشتقة من فهم خرافي لجغرافية الأرض. الموقف الاول هو التشكيك بان ذا القرنين هو الاسكندر المقدوني، والميل نحو جعله شخصية غير معروفة في تاريخنا. ومن حيث ان فكرة تحقيقه في شخصية غير معروفة في تاريخنا، تبدو غير واقعية وغير عملية، من حيث ان اليهود والنضر بن الحارث الذين امتحنوا محمداً من جهة شخصية ذي القرنين، كانوا يعرفون عن ذي القرنين، وإلا لما اتخذوه موضوع امتحان لمحمد، فكيف يمكن لليهود والنضر بن حارث في جيل محمد وفي محدوديتهم في المعرفة ان يعرفوا عن شخصية تاريخية مهمة، عاجزين نحن مع كل معرفتنا الحديثة في التاريخ واكتشافاتنا في علم الآثار، ان نعرف عنها شيئاً؟!. فلا شك بان شخصية ذا القرنين كانت مشهورةً في جيل محمد حتى ان اليهود وأهل مكة المثقفين، مثل النضر بن حارث، كان عندهم معرفة بهويتها. فبناءً على ذلك قد فهم المسلمون المثقفون بان الإصرار على ان هوية ذي القرنين انها شخصية مجهولة وهي ما قبل التاريخ لم يعد امرأ نافعاً في الدفاع عن القرآن. ولذلك اتجهوا إلى شخصيات أخرى مثل كورش وغيره.

أما الموقف الثاني، فقد عرف كثيرون من المثقفين المسلمين، على ان التطابق بين رحلة ذي القرآن وبين رحلة المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية، لم تترك مجالاً لهم في طريقة للخروج من هذا المأزق سوى الادعاء بان المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية قد نقلوا عن القرآن. وسوف نفند هذين الموقفين في الصفحات التالية.

هل ذو القرنين المذكور في القرآن هو الاسكندر

لقد حاول بعض المسلمين ان يتنكروا لحقيقة ان محمداً في القرآن قد قصد بذي القرنين انه الاسكندر المقدوني. ولكن التطابق بين رحلة الاسكندر في كتاب المزور لكلسثنيس والكتابات السريانية التي قامت عليه من جهة، وبين رحلة ذي القرنين في سورة الكهف هي كافية بحد ذاتها لكي تدل على ان محمداً قد نسخ تلك الخرافات التي كانت شائعة في زمانه من تلك المصادر، وانه قصد بذي القرنين انه الاسكندر المقدوني.

ومحاولة تجنُّب حقيقة ان ذي القرنين هو الاسكندر قد ظهرت فقط في الأيام الأخيرة، عندما عرف المسلمون بان مصادر رحلة ذي القرنين في سورة الكهف باتت مكشوفة انها من كتاب المزور لكلسثنيس. وهي – أي هذه المحاولات – تخالف أحاديث محمد التي أوضح بها ان ذا القرنين هو الاسكندر. كذلك فإنها تخالف جميع مفسري القرآن المشهورين الذين أجمعوا على ان ذا القرنين هو الاسكندر. كذلك فهي تخالف التاريخ الذي يدل على ان لقب ذي القرنين هو للإسكندر.

أما من جهة حديث محمد عن ذي القرنين انه الاسكندر، فنراه في مختلف كتب التفسير للقرآن، مثل الطبري والقرطبي وابن كثير وابن حجر الخ. فيقول محمد عن ذي القرنين انه بنى مدينة الإسكندرية. ونعلم ان باني الإسكندرية هو الاسكندر المقدوني. وذلك يؤكد ان محمداً قد قصد في ذي القرنين انه الاسكندر المقدوني. ويذكر محمد عن ملاك قد صعد بذي القرنين حتى صار يرى المدن صغيرة، وهي من خرافات كتاب المزور لكلسثنيس. إذ بعض النسخ تجعل الذي طار بالإسكندر نسرٌ، والبعض تقول انه ملاك. ويذكر محمد تفاصيل أخرى مختصة في كتاب المزور لكلسثنيس: منها ان الملاك الذي طار بذي القرنين إلى أعلى قد أخذه إلى السد. ويقول عن السد إنهما جبلان لينان ينزلق عنهما كل شيء. وان الملاك اخذ ذا القرنين حتى تجاوز جوج وماجوج، ومضى به إلى امة أخرى وجوهها الكلاب. وهذه التفاصيل مطابقةٌ لرحلة الاسكندر في كتاب المزور بحسب النسخة السريانية والكتابات السريانية التي بُنيت عليها، حيث الرجال الكلاب يأتون بعد المنطقة التي يقطن بها الناس المتوحشون الذين صاروا في الرسالة الموزونة للسروجي انهم جوج وماجوج. ثم يذكر محمد امة أخرى بعد ذلك وهو سردٌ مطابقٌ لما نراه في الكتابات السريانية، حيث هناك منطقة هي أبعد مكان تعيش به كائنات قبل فردوس الله. وذلك تطابق مدهش مع كتاب المنتحل لكلسثنيس وما قامت عليه من كتابات سريانية. بحيث لا بد من اطلاع محمد على خرافات الكتاب المنتشرة في زمانه. بل حديث محمد هذا يؤيد وجهة نظر الباحثين عن وجود نسخة عربية زمن محمد لكتاب المنتحل لكلسثنيس، مبنية على النسخة الفهلوية المفقودة، وهي تتقارب مع النسخة الأثيوبية الباقية لزماننا والتي هي أيضا مبنية على الفهلوية المفقودة. وأقدِّم هنا حديث محمد:

> قال: «جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم: كان شاباً من الروم. فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية. فلما فرغ جاءه ملاكٌ فعلا به في

السماء، فقال له ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي ومدائن. ثم علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي. ثم علا به فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض، قال: فهذا أليم محيط بالدنيا، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل وتثبت العالم. فأتى به السدّ، وهو جبلان لينان ينزلق عنهما كل شيء. ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج. ثم مضى به إلى أمة أخرى وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج. ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب. ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى».[474]

كذلك فان خيرة مفسري القرآن يؤكدون بان ذا القرنين هو الاسكندر. فيقول ابن حيان:

"وورد في الحديث: إن الذين ملكوا الأرض أربعة مؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين. وقد تقدم ذكر ذلك وثبت في علم التواريخ أن الذي هذا شأنه ما كان إلاّ الإسكندر. فوجب القطع أن المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلفوس – يقصد به فيلبس –اليوناني"[475].

ويذكر الرازي ان ذا القرنين هو الاسكندر، وذلك نسبة لوصوله "أقصى المغرب والمشرق"[476]. ويؤكّد القرطبي ان ذا القرنين:

"هو الإسكندر الملك اليوناني المقدوني"[477]

الأمر الذي يقوله أيضا الالوسي[478]. ومن المحدثين الأوائل المشهورين الذين ذكروا ان ذا القرنين هو الاسكندر، نذكر وهب من منبه[479].

وذو القرنين كان معروفاً عند الجاهليين انه الاسكندر المقدوني. فمثلا نقدّم أبياتا للأعشى يذكر موت ذي القرنين في العراق، مما يدل انه كان مقصوداً من ذي القرنين انه الاسكندر، الذي مات في بابل – العراق. فقد أنشد ابن هشام للأعشى:

"والصعب ذو القرنين أصبح بالحنو في جدث أميم مقيم ثاويا"[480]

وقوله بالحنو يريد حنو قراقر الذي مات فيه ذو القرنين بالعراق.

ومثل تلك الأبيات نقلها أيضا الزبيدي:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا بالحنو في جدث، أميم، مقيم[481].

فواضح ان محمداً قد قصد بذي القرنين انه الاسكندر. ولكن في وضوح التطابق بين خرافات رحلة الاسكندر في كتاب المنتحل لكلسثنيس وبين رحلة ذي القرنين في القرآن، بدأ المسلمون يبتعدون عن تحقيق ذي القرنين بالإسكندر. ومن محاولات تجنّب ذلك التحقيق الواضح هناك الادّعاء بوجود اثنين ذي القرنين: واحد زمن ابراهيم وأحيانا يقولوا زمن موسى، والآخر هو الاسكندر المقدوني. ولكن لا يوجد في التاريخ زمن ابراهيم أو زمن موسى شخص قد احتل الغرب والشرق لكي يساعد المسلمين على هذه الحجة. والواقع انه لم تنشأ قبل العصر الأخميني الفارسي أي في القرن السادس قبل الميلاد أي إمبراطورية كبيرة قد احتلت جزءاً من الشرق والغرب. فقد كانت الممالك

صغيرة جدا. وأقوى الممالك كانت مصر التي لم تخرج عن بلاد مصر إلا في بعض العصور كانت قد احتلت ارض كنعان وبعض مناطق في سوريا. كذلك الممالك في بلاد ما بين النهرين لم يكن لها انتشار خارج عن العراق. فقط مملكة أور امتدت في شمال سوريا وسقطت في القرن العشرين قبل الميلاد أو نهاية القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد. وفي وقت لاحق قد ظهرت ممالك قوية مثل أشور والكلدانيين التي احتلَّ كلٌّ منهما منطقة الهلال الخصيب، وفي فترات أيضا مصر، وبعض مناطق شمال منطقة العراق وجزء من آسيا الصغرى. ولكن لم يسبق لأي منهما ان احتلت جزءاً من الشرق والغرب. كذلك فان الممالك التي كانت في ارض إيران كانت محدودةً قبل العصر الأخميني، الذي كما قلت ابتدأ في القرن السادس قبل الميلاد. لذلك لا نستطيع ان نفتش عن ذي القرنين في العصور الغابرة أو حتى في أي عصر سبق القرن السادس قبل الميلاد.

وهناك من يقول ان ذا القرنين هو افريدون[482]. فالذين يحاولون ان يحققوا ذا القرنين بافريدون الذي قتل الضحاك، فإنهم يجهلون ان افريدون شخصيةٌ خياليةٌ خرافيةٌ، وان الضحاك الذي من نسل الشيطان، وله على رأسه عدة حيات وله ثلاث عيون الخ، هي أيضا شخصية خرافية فارسية.

وهناك من يحاول ان يفرّق بين الاسكندر "اليوناني والرومي"[483]. فمن حيث ان الاسكندر لم يتحقق له سفر نحو المغرب في كتب التاريخ، لذلك رأى بعض المسلمين ان ذا القرنين هو "الاسكندر الرومي" وليس اليوناني. ولكن للأسف لا يوجد اسكندر عند الرومان قد احتل المشرق والمغرب.

وهناك من حاول ان يجد في ملوك حمير في اليمن مخرجاً لحقيقة ان ذا القرنين هو الاسكندر. ويستشهدون في شعر تبع الحميري الذي قال:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا تدين له الملوك وتحشد. من بعده بلقيس
كانت عمتي ملكتهم حتى أتاها الهدهد[484].

ولكن لا أحد من ملوك اليمن قد احتل الشرق والغرب. ثم العصر الحميري بدأ حوالي عام 115 قبل الميلاد[485]. واحتلت حمير سبا في عام 275 ميلادي[486]. ولم تمتد خارج شبه الجزيرة العربية. حتى انها لم تحتل شرق شبه الجزيرة العربية، بل شمال وأواسط شبه الجزيرة العربية. وتاريخ حمير مكشوفٌ للمؤرخين والجغرافيين اليونانيين، الذين كانوا يزورون اليمن في تلك الآونة، كذلك من خلال غنى المنقوشات الحميرية. والحقيقة ان تبع أراد ان يقول بان ذا القرنين قد عاش قبله. ولتبع شعر قد قاله عندما احتل مكة في الجزء الاول من القرن الخامس ميلادي. وذكر ان ذا القرنين قد وجد غروب الشمس في نبع حمئة، الأمر الذي نعرف بانه مشتقٌ من فكرة المنتحل لكلسثنيس والكتابات السريانية التي بُنيت عليه، عن غروب الشمس بالقرب من البحر المنتن أو بحر حمئة. مما يدل على انتشار خرافات كتاب المنتحل لكلسثنيس في عصر تبع اليمني. فأبيات تبع تؤكد ان ذا القرنين في نظر تبع الحميري كان الاسكندر.

هل ذو القرنين يمكن تحقيقه بكورش؟

كثيرون من المسلمين اليوم قد تحوّلوا نحو فكرة كورش كذي القرنين من اجل التخلُّص من مشاكل تحقيق ذي القرنين بالإسكندر. الذين يدّعون بان ذا القرنين هو كورش، يستخدمون الآية في سفر دانيال:

فَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَرَأَيْتُ وَإِذَا بِكَبْشٍ وَاقِفٍ عِنْدَ النَّهْرِ وَلَهُ قَرْنَانِ وَالْقَرْنَانِ عَالِيَانِ وَالْوَاحِدُ أَعْلَى مِنَ الآخَرِ وَالأَعْلَى طَالِعٌ أَخِيراً. (دانيال 8 : 3)

فيقولون بان الكبش هنا هو كورش. والحقيقة بان الكبش هنا يرمز الى المملكة المادية الفارسية. والقرن الاعلى من الاخر هو مادي التي كانت اقوى من فارس. ولكن اخيرا ارتفع العنصر الفارسي في المملكة وطغى. والكتاب نفسه يفسّر بان الكبش هو مملكة مادي وفارس بكل ملوكها. فيأتي التفسير بواسطة ملاك الى النبي دانيال:

" أَمَّا الْكَبْشُ الَّذِي رَأَيْتَهُ ذَا الْقَرْنَيْنِ فَهُوَ مُلُوكُ مَادِي وَفَارِسَ."(دانيال 8 : 20).

حيث في نفس الاصحاح التيس الذي يضرب الكبش هو مملكة اليونان. وعندما يقول بان التيس قد ضرب الكبش، يشير الى انتصار اليونانيين على مملكة الفرس الذي كان يملك عليها داريوس الثالث. فالإسكندر لم يضرب كورش لكي نقول بان الكبش هو كورش.

ويستشهد المسلمون ايضا في الآية من سفر اشعياء:

هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَمًا، وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلُّ، لأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ، وَالأَبْوَابُ لاَ تُغْلَقُ (اشعياء 45: 1)

استخدام لقب "مسيح الرب" في العهد القديم، لا تعني ان ذلك الفرد بار. فعندنا اشخاص يُسمون بهذا اللقب ولكنهم في حالة تمرد على الله، مثل الملك شاول. ولكن تعني اختيار الله لفرد من اجل مهمة خاصة. وهنا نبوة عن اختيار الرب لكورش من اجل مهمة ادانة مملكة بابل، وإعادة اليهود الى اورشليم والسماح بإعادة بناء الهيكل. ومع ان نبوخذنصر هو ملك وثني، ولكنه يُسميه الوحي "عبدي" كما في سفر ارميا:

هأَنَذَا أُرْسِلُ فَآخُذُ كُلَّ عَشَائِرِ الشِّمَالِ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَإِلَى نَبُوخَذْنَصَّرَ عَبْدِي مَلِكِ بَابِلَ، وَآتِي بِهِمْ عَلَى هذِهِ الأَرْضِ وَعَلَى كُلِّ سُكَّانِهَا وَعَلَى كُلِّ هذِهِ الشُّعُوبِ حَوَالَيْهَا، فَأُحَرِّمُهُمْ وَأَجْعَلُهُمْ دَهَشًا وَصَفِيرًا وَخِرَبًا أَبَدِيَّةً. (ارميا 25 : 9)

وذلك بسبب اختياره الرب لكي يدين بواسطته مملكة يهوذا والممالك المحيط بها.

علينا ان ندرس مواصفات كورش في التاريخ. فهل مواصفات ذي القرنين في القرآن تنطبق على كورش؟

كورش قد وصل غربا الى آسيا الصغرى اي تركيا. ولم يصل الى أقصى الغرب كما يصور القرآن ذا القرنين. كذلك بالرغم من ان المؤرخين مثل هيرودوتس قد تحدثوا

عن كورش وحروبه وهناك الكثير من المنقوشات عن كورش لا نجد اي منها يتحدث عن بنائه سدا من حديد ونحاس حجز بها شعبا متوحشا عبر كل التاريخ. كذلك الصورة القرآنية عن ذي القرنين انه شخص لا يُغلب وقد مكَّن الله له في الارض، لا تنطبق على كورش الذي قُتل كما نفهم من خلال هيرودوتس، في حربه مع قبيلة Massagetaeالتي كانت تسكن في صحاري خوارزم في المنطقة المعروفة اليوم ب كازاخستان Kazakhstan وازبيكستانUzbekistan.

وعندما نبحث في ديانته وموقفه من الديانات الاخرى، نرى الصورة بعيدة كل البعد عما رواه القرآن عن ذي القرنين، الذي ينطبق بكل تفاصيله على سرد المنتحل لكلستنيس والكتابات السريانية عن الاسكندر.

أثبتت ماري بويس Mary Boyce المتخصصة في الديانة الزرادشتية بان كورش الكبير كان زرادشتيا، وانه قد سلك مثل آبائه في الديانة الزرادشتية، وانه كان له ممارسات زرادشتية في القصر. واستشهدت في نصوص يونانية تؤكِّد على ان الكهنة الزرادشتيين كان لهم سلطة خاصة في قصره وبين حاشيته[487].

لقد عُرف كورش في مسايرته لجميع الأديان في زمانه، واحترامه لكل التدينات الوثنية. فمباشرة بعد ان احتل بابل، وفي يوم تتويجه على بابل، ذهب إلى هيكل الإله مردوخ، إله البابليين الرئيسي، وأعلن ما يُعرف اليوم بأقدم حقوق الدين في التاريخ. كان ذلك في أول يوم من أيام الربيع. ودخوله إلى هيكل مردوخ هو من اجل تكريم إله البابليين.

وهناك تسجيل للاحتفال في تتويج كورش على بابل، وذلك من قبل القائد العسكري والفيلسوف -المؤرخ اليوناني Gezenfone.

وهناك نقش وُجد في مدينة أور –العراق، وهو موجود الآن في المكتبة الوطنية البريطانية British National Library. وهذه هي بعض كلمات نص هذه المنقوشة الهامة:

> الآن، وبنعمة مازدا (وهو اهورا مازدا إله الزرادشتيين الرئيسي) أنا متوّج على مملكة إيران وبابل والأربعة بلاد الرئيسية، أعلن:
>
> أنني ما دمت حياً ومقبولاً من مازدا كملك على إيران وبابل والأربعة بلاد الأساسية، فإنني أتعهد في تكريم ديانة وعادات كل الأمم تحت مملكتي. وهكذا غير مسموح لأي حاكم أو مسئول تحت مملكتي ان يحتقر أو يهين أية ديانة أو عادات للأمم التي تحت مملكتي أو للأمم الأخرى.
>
> ومن الآن حيث أنا متوّجٌ، وطالما أنا على قيد الحياة ومُبارك من مازدا من اجل مملكته، سوف لا افرض مملكتي على أي أمة، حيث ان الشعب حرٌ في ان يقبل وان يكون بدون معاناة من حروب ضده.
>
> ... اليوم أعلن بان لكل فرد الحق ان يختار أي ديانة يؤمن بها، ويعيش في أي مكان يريد، على شرط ان لا يلغي حقوق الآخرين.

طالما أنا على قيد الحياة، من خلال نعمة مازدا، سوف احكم كملك، سوف لن اسمح ان أي رجل أو امرأة يُباع كعبيد . ..

وأنا أتضرع إلى مازدا أن يمنحني النجاح فيما قد أخذته على عاتقي تجاه أمم إيران وبابل والبلاد الرئيسية الأربعة.

كورش

ولا شك ان الله بحسب الكتاب المقدس يعيِّن الملوك حتى ولو كانوا غير مؤمنين وينتمون لديانات وثنية. أما لماذا مدحت بعض أسفار العهد القديم كورش، هو بسبب نزعته في احترام إيمان الإسرائيليين في الله، وسماحه لليهود ان يقيموا شعائرهم الدينية، وان يعودوا إلى يهوذا ويبنوا الهيكل.

وقد عُرف كورش في مخاطبة كل شعب بلغة ديانته وآلهته. فـ (اسطوانة كورش) Cyrus Cylinder تثبت ما نقول. فقد كُشفت هذه الاسطوانة الأثرية عام 1879 في أساسات هيكل الإله مردوخ البابلي، وذلك بواسطة عالم الآثار البريطاني Hormuzd Rassam، وهو المكتشف لألواح ملحمة جلجامش. وهي عبارة عن كتابة منقوشة على الطين المشوي، ومنقوشة بالخط المسماري الأكادي. وهذه الاسطوانة الأثرية عن كورش موجودةٌ الآن في المتحف البريطاني. ففي هذه المنقوشة يُظهِر كورش أخطاء نابونيدس Nabonidus (الملك البابلي الذي قُهر من كورش) في حق آلهة ما بين النهرين وحق مردوخ "ملك الآلهة". الأمر الذي جعل مردوخ ان يفتش على حاكم بدل نابونيدس. فأعلن مردوخ ان كورش هو الحاكم، وأتى به وأعطاه النصرة على بابل. ويقول كورش انه قد أعاد سكان المدن إلى مدنهم الذين كان البابليون قد سبوهم. وانه قد أمر في إعادة بناء الهياكل للآلهة التي كانت خربة لمدة طويلة. ويقول انه قد أعاد تحت أمر مردوخ، الإله العظيم، جميع آلهة سومر وأكاد إلى هياكلهم، والتي كان نابونيدس قد أتى بها إلى بابل مُغضِباً رب الآلهة-أي مردوخ. ويقول:

"ليت جميع الآلهة التي أعدتها إلى مدنها المقدسة ان تدعو بل ونيبو لحياة طويلة لي وليتهم يوصوا مردوخ سيدي بي".

ممكن العودة إلى الدراسة عن هذا النقش التي أجراها عدة باحثين، منهم عالم الآثار الأمريكي المعروف James Bennett Pritchard برتشارد[488].

إذاً نرى كورش يخاطب البابليين من خلال لغة ديانتهم، مُدّعِياً ان مردوخ إله البابليين هو الذي أتى به وأعطاه سلطاناً على الأمم. ونراه يكرم ديانة كل شعب مُسهِّلاً بناء هيكل العبادة التي له. ومُعيداً الشعوب التي كان البابليون قد سبوهم وأبعدوهم عن مدنهم. ومُعِيداً آلهة الشعوب كل إلى المدينة المقدسة التي كان يُعبد بها هذا الإله، ومُعِيداً بناء الهياكل التي كانت تُعبد بها هذه الآلهة. ومن ضمن ذلك نفهم كيف ان كورش ادّعى بان الله (إله الكتاب المقدس) قد أعطاه كل الممالك، وأمره ان يبني له الهيكل في اوروشليم. ذلك هو أسلوب كورش في الكلام لكل شعب بلغة ديانته. وذلك لكي يكون مقبولاً من الشعوب التي احتل بلادها.

الغريب ان بعض المسلمين لكي يثبتوا ان كورش هو ذو القرنين ادّعوا ان اهورا مازدا هو الله وان الزرادشتية هي ديانة توحيدية، وان زرادشت، كان نبيا لله الحقيقي. مع ان زرادشت جعل مثرا إلها هاماً مع اهورا مازدا، مُسايرا التدين الاري الذي سبقه، وقد أقر بكثير من الالهة الوثنية المعبودة في زمانه. فجعل النار الها كذلك الارض والماء. وجعل تستريا، وهو النجم سيروس، كرب النجوم وانه مستحق العبادة مثل اهورامازدا.

اذاً فمواصفات كورش كرجل زرادشتي يحترم ويكرم كل ديانة لشعب كان قد أخضعه، لا تنطبق مع الصورة التي رسمها القرآن لذي القرنين، كقائد مسلم يعمل الجهاد لكي يفرض الإسلام على أمم العالم، ويقاصص كلَّ شعبٍ يرفض الإسلام واضِعاً عليه جزية. كذلك لم يُدع كورش قط بلقب ذي القرنين. ان الصورة التي نجدها لذي القرنين في سورة الكهف تنطبق تماما مع ما نجد في كتاب المنتحل لكلسثنيس، الذي يتحدث بها عن الاسكندر المقدوني ذي القرنين. بل ان كل تفاصيل رحلة ذي القرنين في سورة الكهف، هي مطابقة تماماً لرحلة ذي القرنين في كتاب المنتحل لكلسثنيس.

كذلك فلم يذكر محمد قط اسم كورش، بل ذكر اسم الاسكندر كذي القرنين. وما ظهور فكرة كورش كذي القرنين إلا في هذه الأيام، حيث ظهر للمسلمين بان الاسكندر هو شخص وثنيٌ، وظهرت خرافاته في كتاب المنتحل لكلسثنيس وفي الكتابات السريانية التي بُنيت عليه، كما ظهر ان التاريخ الرسمي لليونان يعاكس خرافات المنتحل لكلسثنيس. فأرادوا ان يرفعوا الانتباه عن اقتباس محمد من خرافات المنتحل لكلسثنيس.

ومعروف بان الاسكندر المقدوني قد ادّعى انه ابن الإله امون، الذي عادة يصوَّر بقرنين. الأمر الذي جعل اليونانيين في عصور مختلفة ان يصكوا نقوداً على شرف الاسكندر، مصورين إياه بقرون امون.

وبعد ان احتل الاسكندر مصر، ذهب إلى ليبيا إلى معبد الإله امون. وهناك نصبّوه الكهنة كابن امون، الذي كان له قرنا كبش، تمثل الخصب (والبعض يقول انها تمثل طرفي الأرض بشرقها وغربها). وبعدها ادّعى الاسكندر المقدوني انه ابن الإله امون الذي عادة يصوَّر بقرنين. ذاك يفسّر كما سبق وقلنا صك النقود له وعلى رأسه قرنين. فمن عصر قريب الى عصره مثلاً نجد ان لايسماشوس Lysimachus، الذي في عام 306 ق.م. أصبح ملكاً على مقدونيا وآسيا الصغرى، قد صك نقوداً للإسكندر المقدوني مُصوِّراً إياه بقرنين. وفي شبه الجزيرة العربية قد صُكَّت نقوداً على اسم الاسكندر المقدوني، مُصوِّرةً إياه بقرني كبش. وأقدمها يعود إلى مدينة جرا على الخليج العربي، وتعود للقرن الثالث والثاني ق.م.، وموجودة في المتحف البريطاني.

الأمر الذي يدل على ان ذا القرنين، كلقب الاسكندر، هي حقيقة مشهورة وقديمة في شبه الجزيرة العربية كما في الشرق الأوسط. ويبدو ان لقب ذو القرنين بالعربية مأخوذٌ من الآرامية، حيث كان الاسكندر المقدوني معروف بالآرامية بلقب :-Tre Qarnayia التي تعني ذا القرنين[489].

وفي كتابات خرافية، خاصة السريانية، قد انتشرت في منطقة الشرق الأوسط، نجد ان لقب ذي القرنين معزيٌ للإسكندر. فمثلا في الكتابة السريانية المنسوبة ليعقوب السروجي والتي تعود للقرن السادس م. وهي مبنية على كتاب المنتحل لكلستنيس، نقرأ ما يلي:

" يا الله... إنني اعرف بذهني انك رفعتني فوق جميع الملوك، وجعلت قروناً على رأسي، من خلالها اسحق ممالك العالم"[490]

فلقب ذي القرنين للإسكندر هي حقيقة تاريخية معروفة، وكانت منتشرةً في الشرق الأوسط قبل الإسلام، لا يعتريها شك. بحيث عندما استخدم محمد هذا اللقب –ذو القرنين– كان مفهوماً من الشخص العادي في جيله انه قصد الاسكندر المقدوني.

موضوع ادعاء بعض المسلمين في نسخ المنتحل لكلستنيس والكتاب السريان من القرآن

لقد صار هناك في الأيام الأخيرة وعي عند كثيرين من المسلمين، بالتشابه الكبير بين رحلة ذي القرنين في سورة الكهف، وبين كتاب المنتحل لكلستنيس والكتابات السريانية التي بُنيت عليه. ولم يبق لهؤلاء المسلمين، في رغبتهم ان يخلِّصوا وجه القرآن من هذا النقل الدقيق، إلا ان يدّعوا بان كتاب المنتحل لكلستنيس والكتابات السريانية قد نقلت عن القرآن. وان القرآن هو سابقٌ زمنياً لهذه الكتابات.

أولاً نقول انه ليس فخراً للقرآن ان يكون المصدر الاول لهذه الخرافات. مثل غروب الشمس في نبع حمئة، وشروقها في الأرض على أناس بدون اي ستر لهم من حرارة الشمس، وبدون اي أمكنة تُبنى بسبب شدة حرارة الشمس التي تحرق حتى الصخور. أو فكرة حبس شعب جوج وماجوج من الاسكندر خلف سد بين جبلين حتى نهاية الأيام، وان السد للآن قائمٌ في مكان بعيد في الأرض. فالتمسُّك في القرآن رغم انه يقدِّم هذه الخرافات من جهة جغرافية الأرض، ومن جهة الادعاء بوجود شعب مربوط من عصر الاسكندر إلى الآن، حتى لو كانت هوية ذي القرنين أقدم من الاسكندر، وانه مسجون خلف سد من حديد ومطلي من نحاس، أقول التمسك بكتاب يحوي مثل هذه الأمور هو أمر لن يقبله سوى الفرد الذي يتغاضى عن العقل، ويرفض ان يميز الحقيقة التي تساعده ان يكتشف الباطل، ويبحث عن الحق.

فتثبيت ان مصدر هذه الخرافات هو القرآن نفسه، لا يجعل معضلة القرآن أقل من الإقرار في ان محمداً قد اقتبس من خرافات المنتحل لكلستنيس والكتابات السريانية. إلا ان انتشار كتاب المنتحل لكلستنيس هو أمر معروف قبل الإسلام. وهو يشكل النواة لكل الخرافات عن ذي القرنين في سورة الكهف، والخرافات في الكتابات السريانية. كما ان هناك إثباتات تدل على ان الكتابتين السريانيتين قد كُتبتا الواحدة في القرن الخامس، والأخرى في القرن السادس ميلادي. وسوف أناقش في الصفحات التالية موضوع تاريخ بعض النسخ لكتاب المنتحل لكلستنيس، وتاريخ الرسالتين السريانيتين.

استحالة ان كتاب المنتحل لكلسثنيس قد اقتبس من القرآن

ان محاولـة الادعـاء بـان كاتـب المنتحـل لكلسـثنيس قـد نقـل عـن القـرآن هـو أمـر مستحيل، وذلك بسبب ان كتاب المنتحل كان قد تُرجم للغات العالم القديمة قبل الإسلام. وخرافاته قد دخلت في كتابات كثيرة قبل العصر الإسلامي بكثير. وكان يُعرف بانه أكثر كتاب قد انتشر في العالم بعد الكتاب المقدس،[491] وذلك قبل الإسلام. فالكتاب معروفٌ في نصه اليوناني منذ القرن الثالث الميلادي، وقد انتشر في بلدان كثيرة من العالم القديم.

والباحث كولونيل ييل Colonel Yale يرجع تاريخ الكتاب بالنص اليوناني إلى عام 200 م.[492] ولكن يقرّ الباحثون ان الكتاب قد كُتب في عصر البطالمة اليونان الذين حكموا مصر بعد موت الاسكندر المقدوني ابتداء من القرن الرابع قبل الميلاد. فالخرافات التي احتواها الكتاب تعود إلى مئات السنين قبل القرن الثالث ميلادي.[493] ويقرّ الباحثون بوجود ترجمة قديمة باللغة العبرية، إذ هناك تلميحات عن تلك الخرافات في كتاب المكابيين[494] وكتابات المؤرخ اليهودي الروماني يوسيفوس فلافيوس. حيث نجد في كتاب فلافيوس المختص بتاريخ اليهود القديم: الكتاب الحادي عشر والإصحاح 8، عن خرافة ان الاسكندر قد رأى حلماً بينما كان في مقدونيا من ان الله سوف يعطيه نصرة على جميع ممالك آسيا[495]. ذلك مع ان الاسكندر المقدوني كان ربما أكثر إنسان وثني في التاريخ البشري، إذ ادّعى الالوهية وكان يشجّع العبادات الوثنية لكل مدينة كان يحتلها، ويذهب لكي يقدم تقدمات لآلهة تلك المدن. فكان هناك ميل عند كثير من المجموعات الخرافية في اعتبار انتصارات الاسكندر انها كانت بسبب تدخل الله المباشر معه، وان الله قد أمره بهذه الحملات.

وفي الإصحاح الاول والعددين 2 و3 من كتاب المكابيين الاول نجد مكتوباً:

"ان الاسكندر قد قتل ملوك الأرض وذهب إلى نهاية أطراف الأرض".[496]

ذلك رغم ان الاسكندر لم يصل غربا إلى ايطاليا، كما لم يصل شرقا أبعد من نهر الاندوس في الباكستان الحالية. فنرى اذاً حتى في القرن الثاني قبل الميلاد كانت هناك مجموعات غير يونانية ترى انتصارات الاسكندر من منظار خرافي خيالي. أقول مجموعات غير يونانية، من حيث انه قد عُرف اليونانيون بالتأريخ ودقة السرد التاريخي. ولكن كانت هناك مجموعات غير مثقفة من جنسيات أخرى في الشرق الأوسط، التي باتت تنسب للإسكندر رحلات لأطراف الأرض. وتتخيل جغرافيا خرافية عن الأرض. وكل ذلك بسبب الجهل بالتكتيك الحربي للإسكندر الذي كان وراء انتصاراته العسكرية. وفيما يلي بعض المعلومات والتواريخ عن نسخ كتاب المنتحل لكلسثنيس.

النسخة اليونانية

والكتاب بترجمته اليونانية ونصه الكامل الذي بين أيدينا يعود إلى القرن الثالث ميلادي. ويوجد حاليا 20 مخطوطة للنسخة اليونانية[497]. أهم تلك المخطوطات تلك الموجودة في المكتبة الوطنية –باريس Bibliothe’que Nationale at Paris وهي المعروفة بـ .A, B, C. وهذه المخطوطات تحوي وتمثّل النص اليوناني الأصلي الكامل لكتاب Pseudo Callisthenes[498]. وممكن الرجوع لنص الكتاب في هذه المخطوطات الثلاث من خلال كتاب الباحث Muller مولر[499]. ولقد سبق واستشهدت بالنسبة للبوابات التي بناها الاسكندر بين جبلين لحبس شعوب حتى نهاية الأيام من المخطوطة B (او β) من هذه المخطوطات الثلاث. وهذه المخطوطة اليونانية B موجودة أيضا في ليدين Leyden. نسخ بيتا β تعود بين القرن الثالث وعام 550 او 495م.[500] ونجد في مثل هذه النسخ مراجع خرافات سورة الكهف في القرآن، مثل السمكة التي حييت في نبع الحياة. وهي مصدر خرافة الخضر في القرآن.

لقد عمل الباحث كرل W. Kroll دراسة على أقدم نص معروف لكتاب Pseudo-Callisthenes, معتمداً على مخطوطة من مجموعة ألفا Alpha تعود للقرن الثالث ميلادي[501].

من حيث قِدم كتاب المنتحل لكلستنيس، هناك بعض الكتابات التي أخذت من كتاب المنتحل، مثل كتابLife of Apollonius of Tyana يعود للقرن الثالث ميلادي قد اخذ من المنتحل. من العناصر المتشابه هي:

> "زيارة الاسكندر إلى البراهمة Brahmans، وزيارة إلى Meroe وزيارة إلى قصر "الملك العظيم"... وهي تعود إلى بداية القرن الثالث الميلادي، عندما صار هناك اهتمام كبير في الديانات الشرقية."[502]

النسخة اللاتينية

لقد تُرجمت من الباحث يوليوس فاليريوس المعروف بـ Julius Valerius Alexander Polemius. ولقد ترجم من النص اليوناني إلى اللاتينية وذلك في بداية القرن الرابع ميلادي. ولقد عرفت شعوب أوروبا الغربية والشمالية الغربية من خلال تلك الترجمة قصة الاسكندر[503]. إذ أن ابتداء من القرن الرابع ميلادي صارت هناك مقتبسات من كتاب المنتحل لكلستنيس pseudo-Callisthenes في كثير من آداب الشعوب الأوربية. وأقدم مخطوطة للنص اللاتيني محفوظة في تورينو في Royal Library of Turin وتعود للقرن السابع[504]. وهذا ليس يعني ان الكتاب قد تُرجم للاتينية في القرن السابع. إذ أنه دائما هناك تباين في أي كتاب في العالم بين تاريخ كتابته وتواريخ المخطوطات الباقية للآن عنه. فلا يوجد كتاب في العالم له مخطوطات باقية تعود إلى تاريخ كتابة الكتاب. بل المخطوطات الباقية للآن تبعد عادة عن تاريخ كتابة الكتاب بقرون. فمثلا بالنسبة للقرآن: لا يوجد نسخه واحدة من القرآن التي بقيت، سواء

كنسخة كاملة أو حتى أجزاء من نسخة، يمكن إرجاع تاريخها إلى ما قبل نهاية القرن الثامن، أي بعد حوالي 130 سنة من موت محمد. ولكن عندما نقارن في مخطوطات العهد الجديد، حيث نجد ان بعض أجزاء انجيل يوحنا تعود لسنة 95-120 ميلادي، اي حوالي 5-20 سنة بعد كتابة انجيل يوحنا، وانجيل مرقص بحسب الدراسات الحديثة تؤكد له نسخة تعود لحوالي عام 70 م. فالعهد الجديد له نسخ أقرب بكثير من كتّاب الوحي مما للقرآن من مؤلفه محمد.

ووجود مخطوطة من القرن السابع للنسخة اللاتينية لكتاب المنتحل لكلسثنيس يؤكِّد انتشار الترجمة في القرن السادس ونهاية الخامس، وهو تأكيد إضافي لقِدم تلك النسخة، كما هي معروفة تاريخيا في كونها مُترجمة من يوليوس فاليريوس في بداية القرن الرابع الميلادي.

والذي يكشف قِدم النسخة اللاتينية هو انها كانت إحدى مصادر الكتاب المعروف تحت اسم Itinerarium Alexandri. وكاتب ذلك الكتاب غير معروف، ولكنه يعود لسنة 340 -345 م.

النسخة الأرمنية

قد تُرجمت الترجمة الأرمنية لكتاب Pseudo-Callisthenes من اليونانية في القرن الخامس ميلادي من المؤرخ والباحث الارمني المشهورMoses of Khoren، ويُدعى أيضا بـ Movses Xorenaci. والذي حدد ان المترجم هو موسى خورين هو كما يلاحظ الباحثون غنى الاستشهاد من كتاب Pseudo-Callisthenes بحسب النسخة الأرمنية في كتاب التاريخ الذي كتبه موسى خورين History of Movses Xorenaci. والذي يعود للقرن الخامس ميلادي. فيذكر Wolohojian أسماء باحثين مشهورين ذوي اختصاص في الأدب الارمني، أمثال Frederick C. Conybeare و S. Malxasian، الذين يؤكِّدون، نسبةً لغنى الاستشهاد في كتابات موسى خورين من النسخة الأرمنية لكتاب المنتحل لكلسثنيس، بان موسى خورين هو المترجم للكتاب في القرن الخامس ميلادي[505]. والباحث داشيان Dashian يستشهد بمقاطع من كتابات موسى خورين، بعضها متطابق حرفياً مع النسخة الأرمنية[506].

وهناك عناصر أخرى تجعل باحثين، مثل داشيان، ان يقرر بان آخر تاريخ ممكن إعطائه للترجمة الأرمنية هو عام 486 ميلادي[507]. منها ان الكاتب الارمني Lazar P'arpeci قد استشهد أيضا كثيرا في كتابه المدعو Towkt من كتاب المنتحل لكلسثنيس. ومن حيث ان لازار باربيسي قد كتب كتابه عام 485 ميلادي[508]، ذلك يجعل تاريخ ترجمة كتاب المنتحل لكلسثنيس للغة الارمنية يعود إلى ما قبل عام 483 ميلادي.

الترجمة السريانية

هناك أيضا النسخة السريانية، التي يرجع باحثون ذوو تخصص في كتاب المنتحل لكلستنيس، مثل زاكر Zacher، الترجمة للقرن الخامس ميلادي[509]. على أي حال، يجمع الباحثون مثل نودكيه[510] Nöldeke والدكتور اوسفيلد Ausfeld[511] انها مبنيةٌ على ترجمة للكتاب من النسخة الفهلوية. والنسخة الفهلوية تعود للقرن الخامس ميلادي[512]. واللغة الفهلوية هي لغة مملكة فارس في العصر الساساني الذي امتد حتى احتلال المسلمين لبلاد فارس. ونرجّح ان فكرة القرآن في استبدال البحر النتن أو البحر الطيني الفاسد بنبع طين حمئة، انه كان بتأثير النسخة الفهلوية. ذلك لأن الفرس كانوا يؤمنون بشروق الشمس وغروبها كل يوم من نبع موجودة على الجبل Alburz في البحر السماوي.

النسخة العربية المفقودة

يقر الباحثون انه كانت هناك نسخة عربية، لكنها صارت مفقودة، وذلك بسبب وجود بعض خرافات كتاب المزور لكلستنيس في أقوال بعض العرب قبل عصر محمد: مثل شعر تبع الحميري (415-435 م) عن ان الشمس تغرب في نبع عين حمئة، الأمر الذي صار في القرآن. هناك أيضا استشهاد العرب، حتى في عصر محمد، في أمور كثيرة من كتاب المنتحل لكلستنيس، كما وسبق وذكرنا: مثل دخول الاسكندر في أرض الظلام. ودخول قائد لوائه في أرض الظلام، ورؤيته للسمكة تحيا ونواله الخلود الخ. فمثلا كتاب المنتحل لكلستنيس يذكر كما قلنا سابقا دخول الاسكندر في ارض الظلام. نجد نفس الفكرة في الكتابات العربية، بما فيه كتابات القرطبي[513] والالوسي[514] ووهب بن منبه اليمني[515] . تلك من الأمور التي تدلنا على ان العرب كانوا في اطلاع على خرافات المنتحل لكلستنيس.

وهناك وصف من معاصري محمد لجوج ومأجوج ومحمد نفسه، إذ سبق وتطرقنا إليها: فمثلا علي ابن أبي طالب يصف بدقة طول جوج، إضافة لاستشهادات محمد الدقيقة عن رحلة ذي القرنين، وذِكره للشعب الذي يعيش خلف جوج ومأجوج بأنهم ذوو وجوه كلاب، الأمر الذي نراه في كتاب المنتحل لكلستنيس. ووصف محمد لشعب جوج ومأجوج الذي سجنه ذو القرنين خلف سد، الوصف المطابق لكتاب المنتحل لكلستنيس والكتابات السريانية المعتمدة عليه.

فيعتقد الباحثون ان النسخة العربية المفقودة والنسخة الأثيوبية قد اعتمدتا على النسخة الفهلوية المفقودة، والتي تعود للقرن الخامس ميلادي. وعندما نحلل النسخة الأثيوبية للمنتحل لكلستنيس، نجدها تتساوى كثيرا مع الأفكار التي نجدها في أحاديث محمد وأقوال الكتّاب العرب الآخرين. فنجد كثيراً من التشابهات التي تدل على اعتماد النسختين العربية والإثيوبية على نسخة سابقة واحده، هي لا شك الفهلوية المفقودة. من هذه التشابهات: طيران الاسكندر بواسطة نسر أو ملاك لكي يرى الأرض صغيرةً،

وواصفاً جغرافية العالم بطريقة مشابهة لوصف المنتحل لكلستنيس. وايضا ان قائد لواء الاسكندر الذي حمل سمكة مملحة كان اسمه الخضر، وانه عندما غسل السمكة في نبع وحييت، قد غطس في الماء وتحوَّل وجهه اخضراً، وصار حكيماً مُميِّزاً كل الأشياء، ونال الخلود. تلك نجدها في أقوال الكتّاب العرب؛ مثل وهب بن منبه الذي عاش في القرن السابع ميلادي. وهي لا شك من أصل النسخة العربية المفقودة المبنية على الفهلوية. من هنا نفهم أصول القرآن من جهة رحلة ذي القرنين ومن جهة الخضر المذكور أيضا في سورة الكهف.

الكتابتان السريانيتان وموضوع قِدمهما قبل الإسلام

قِدم "خرافة نصرانية حول الاسكندر"

هناك إثباتات تدلنا على ان كاتب رسالة خرافة نصرانية حول الاسكندر، كان يعيش في القرن الخامس ميلادي. ولا شك ان الكاتب كان تحت تأثير الويلات التي سببها Attila ملك Huns الذي ملك فيما تسمّى اليوم بالمجر (هنغارية) من عام 434 إلى عام 453 م.، واجتاح أوروبا وهدَّد المدن الأوربية، مُخرِّباً المدن بطريقة بربرية.

وبعد موت اتيلا، توزعت مملكته بين أولاده، الذين صاروا يتحاربون بعضهم مع بعض، الأمر الذي جعل الشعوب والقبائل اللذين تحتهم ان تثور وتعود تستولي على الحكم. ولم يعد لهم أي تهديد على الإمبراطورية الرومانية. ولم يعد الهنز ذا شأن خلال فترة وجيزة من ذلك التاريخ، واضمحلت مملكتهم.

لا بد ان الكاتب كان يعيش في زمن كانت الإمبراطورية الرومانية، سواء الشرقية أو الغربية، تعاني من تهديد الهنز. وكان السريان يسكنون في الجهة الجنوبية والشرقية من آسيا الصغرى التي كانت قلب الإمبراطورية الرومانية الشرقية. وكانت حملات اتيلا ضد الإمبراطورية الشرقية والغربية سبب ذعر للمواطنين، نسبةً لحرقه المدن وتدميرها. من هنا نرى الكاتب السرياني لـ "خرافة نصرانية من جهة الاسكندر" يحوِّل الشعوب آكلين لحوم الناس وشاربي دمائهم، والذين سجنهم كاتب المنتحل لكلستنيس بواسطة بوابات بين جبلين، إلى هنز Huns. إذ أن هؤلاء الهنز هم الخطر الذي كان يراه الكاتب السرياني.

وهناك حقيقة بديهية وهي انه لو كان الكاتب قد عاش في القرن السادس ميلادي، لما كان قد حوّل تلك الشعوب إلى Huns. يبدو واضحا انه في فترة كتابة "خرافة نصرانية من جهة الاسكندر" كانت ذِكرى حروب الهنز وهجماتهم الوحشية على الإمبراطورية هي الصورة السائدة في التاريخ المعاصر للكاتب، وليس المخاطر والشعوب والقبائل الأخرى التي صارت أعداء الإمبراطورية الرومانية في القرن السادس والسابع. الأمر الذي يجعلنا ان نضع تاريخ هذه الكتابة "خرافة مسيحية من جهة الاسكندر" إلى نهاية القرن الخامس ميلادي.

كذلك لا يوجد ذِكر للإسلام في الخرافة. فكان المسلمون في منتصف القرن السابع قد احتلوا أجزاءً هامة من الإمبراطورية البيزنطية، مثل سوريا وشرق الاردن وفلسطين ومصر. فلو عاش الكاتب السرياني بعد ظهور الإسلام لظهر المسلمون كالأعداء الحقيقيين للإمبراطورية، ولكانوا قد حلّوا مكان الهنز في كتاباته. كل هذه الاعتبارات تجعل من المستحيل ان يكون الكاتب قد عاش في العصر الإسلامي.

هناك عنصر آخر يساعدنا ان نستثني ان يكون الكاتب قد عاش في العصر الإسلامي، وهو انه يقول بان الاسكندر قد نقش على البوابة، التي حبس بها الهنز Huns بين جبلين، ان الهنز بعد فتح البوابة سوف يخرجون ويحتلون بلاد الرومان والفرس[516]. مما يثبت انه كان الرومان والفرس زمن الكاتب هما القوتان العظمتان في العالم. ولا تصلح هذه الصورة في العصر الإسلامي حيث ان الإمبراطورية الفارسية لم تعد بعد قائمة، إذ احتل الإسلام ارض فارس.

ثم يذكر الكاتب شعوباً كثيرة، ولكن يذكر العرب مرة واحدة. ويذكرهم في سياق الحديث عن الفرس ويضعهم بعدهم[517]. ولا شك كان يشير للعرب المناذرة الذين كانوا أعداء الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ويهددون باستمرار سوريا التي كانت جزءاً هاما من الإمبراطورية. وكان العرب المناذرة تابعين للفرس، الأمر الذي جعل الكاتب أن يضعهم في تبعية الفرس في المرة الوحيدة التي ذكرهم فيها في كتابته.

بل هناك ما يدل على ان الكاتب قد عاش قبل بداية القرن السادس، ذلك انه ينسب للإسكندر المقدوني انه كتب نبوة على البوابة التي حبس بها الهنز، يقول فيها انه في نهاية 826 سنة سوف يخرج الهنز ويستولون على أمم الأرض[518]. فإذا بدأت هذه ال 826 عام 330 قبل الميلاد كتاريخ لحملات الاسكندر، يكون الكاتب قد جعل خروج الهنز من البوابة حوالي عام 496 ميلادي. وهنا تأكيد جازم من ان الكاتب لم يعش في القرن السادس بل في القرن الخامس ميلادي. وانه جعل فتح البوابة وخروج الهنز على العالم بعد عصره.

ونرى الكاتب يجعل الاسكندر ان يتنبأ عن نهاية العالم انها تحدث بعد 940 سنة من كتابة الاسكندر النبوة على البوابة، أي حوالي عام 620 ميلادي[519]. وهنا نرى ان الكاتب يمثِّل وجهة نظر مجموعات من النصارى السريان المتطرفين، الذين كانوا يرون نهاية العالم ليست بعيده عنهم كثيراً، حتى انهم ظنّوها ضمن قرن أو قرن ونصف من زمانهم. وهذه الاعتبارات تجعل أن الكاتب قد عاش في نهاية القرن الخامس ميلادي. فمن يدّعي في وضع موعداً لنهاية العالم لن يضع الموعد سابقا لتاريخ كتابته.

رسالة السروجي وإثباتات انها كُتبت قبل الإسلام

ما كان يعانيه الكاتب من آلام بسبب ما كانت تمر مناطق عزيزة عليه تحت ضراوة وقسوة الاحتلال الفارسي، قد جعل جوج ومأجوج في ان يكون سوط الله ضد

هذه الإمبراطورية الفارسية في الأيام الأخيرة. فيقول ان جوج ومأجوج سوف يمزِّقون الفرس ويحطِّمون مملكتهم[520]، وينزعون عنهم كرامتهم. واضح هنا ان الكاتب كان يعيش في وقت كانت مملكة الفرس قائمةً في زمانه كإمبراطورية عظيمة، حتى انه تكلم عن تحطيم مملكتهم على يد جوج ومأجوج. فلم تكن هناك مملكة في تلك الآونة قادرة على تدمير الفرس نهائياً حتى الإمبراطورية الرومانية. ولو كان الكاتب يعيش في العصر الإسلامي حيث فارس كانت قد انتهت، لما ذكر هذا الأمر. إذ نهاية العالم بالنسبة للكاتب هي تحطيم الدول العظمى السائدة في العالم بحسب الكاتب وفي زمانه، حيث أن الفرس كانوا أكثر دولة ظاهرة إضافة للرومانيين الشرقيين أو البيزنطيين.

وهناك إثباتات أخرى تدل على ان الكاتب لم يكن يعيش في العصر الإسلامي: وهو انه يتنبأ عن سقوط جميع الدول الهامة المعروفة في زمانه، لكنه لا يتكلم عن العرب والمسلمين. فلو كان الكاتب يعيش في العصر الإسلامي لكان أهم دولة سوف يذكر سقوطها هي الإمبراطورية العربية. أو لكان على الأقل قد لمَّح عنها بطريقة أو بأخرى. ولكننا لا نجد ذلك التلميح، مما يؤكِّد ان الكاتب قد عاش في زمن لم تكن هناك فيه إمبراطورية عربية، وكان العرب عبارة عن قبائل لا تستدعي انتباهه، ولا تشكِّل أي خطر على الإمبراطورية الرومانية الشرقية التي كان الكاتب مواطنا فيها.

وهناك إثباتات داخلية أخرى تؤكِّد ان الكاتب قد عاش في عصر سبق ظهور الإسلام. منها انه يتكلم على ان جوج ومأجوج لن يدخلوا مدينة القدس، وذلك بسبب ان علامة الصليب سوف تمنعهم، وتبعدهم بعيدا عنها[521]. وهذه فكرة إنسان مسيحي كان يعيش في ظل إمبراطورية مسيحية، حيث كانت تُرى مدينة اوروشليم كمدينة لا تُغلب، وذلك بسبب الصليب الذي صُلب عليه المسيح الذي كان يُظن انه موجود فيها آنذاك. لذلك يعبِّر الكاتب عن اعتقاد زمانه، ذلك الاعتقاد الذي اختفى بعد دخول واحتلال المسلمين المدينة. وهذا يدل على ان الكاتب قد عاش قبل دخول المسلمين المدينة.

بل ان هناك حادثة تاريخية تؤكِّد بان كاتب الرسالة قد عاش قبل عام 614 ميلادي. ففي عام 614 ميلادي قد احتل كسرى الثاني Khosrau II -الملك الفارسي الساساني- مدينة اوروشليم. ونزع الجزء الباقي من الصليب من مكانه. ولكن في عام 628 انتصر هرقل الإمبراطور البيزنطي على كسرى الثاني، واستعاد هذا الجزء من الصليب، وأتى به إلى القسطنطينية. ثم في وقت لاحق، أي عام 630 ميلادي، أعاده إلى مدينة اوروشليم. فسقوط مدينة اوروشليم تحت يد الفرس واغتصاب خشبة الصليب يشير على ان كاتب الرسالة السريانية الموزونة قد عاش قبل عام 614 م، وهو تاريخ حدوث هذه الأمور.

مقارنة ادعاء المنتحل لكلستنيس والقرآن الذي اعتمد عليه على ضوء التاريخ الرسمي

في نهاية نقاشنا لموضوع رحلة ذي القرنين. نقول بان تساوي التفاصيل بين رحلة ذي القرنين في القرآن ورحلة الاسكندر في كتاب المنتحل لكلستنيس، يجعلنا ان نعامل السردين على ضوء التاريخ الرسمي، لكي نرى مدى مصداقية ذلك السرد تاريخياً. فمعلوم بان كتابات المنتحل لا تلتقي بالتاريخ الرسمي المُسجَّل عن الاسكندر، او حتى عن اي قائدٍ عرفه التاريخ قبل الاسكندر وبعده. وما تخيُّل مثل المنتحل لكلستنيس قصة خرافية عن رحلات الاسكندر، إلا لأنه جاهلٌ في التاريخ الرسمي اليوناني. وأراد ان يقلد رحلة جلجامش في رحلته في طلب الخلود، فجعل الاسكندر أيضا يسافر إلى أطراف الأرض بحثاً عن الخلود. فلا بد اذاً ان يصف أموراً خياليةً تناسب القصد الخرافي لكتاباته. في وقت كان المؤرخون اليونان قد كتبوا التاريخ الرسمي للإسكندر، ولم يتركوا هناك فجوات لكي يكمّلها المنتحل لكلستنيس. فكلستنيس الحقيقي مرافق الاسكندر قد كتب عن حياة الاسكندر وأعماله. وآخرون شهود عيان قد كتبوا منهم Onesicritus، الذي كان قائداً وربان سفينة الاسكندر. وقد كتب كل من نيرخوس Nearchus قائد الأسطول البحري، وشارس Chares أمين الخزنة لدى الاسكندر، وايضا بطليموس Ptolemy، أحد قواد الاسكندر، والذي أسس مملكة البطالمة في مصر. وهناك أيضا ارستوبولوس Aristobulus الذي عمل كمهندس لأعمال الاسكندر، والذي لو كان الاسكندر قد بنى سداً حديدياً ونحاسياً لكان الاول في وضْعِ هندسته والإشراف عليه. وعندنا أجزاء من كتابات هؤلاء، ولكن كتاباتهم قد عاشت في كتابات مؤرخين يونانيين لاحقين، الذين كانوا قد اطّلعوا على كتاباتهم في أجيالهم.

ونحن نملك أجزاء من كتابات جميع هؤلاء، ولكن كتاباتهم قد نُسخت كلها في كتابات مؤرخين يونانيين وكتّاب كلاسيكيين قد عاشوا بعدهم بقرن إلى ثلاثة قرون. وكتب هؤلاء المؤرخين الشهود العيان كانت ما زالت سليمة، عندما اعتمد المؤرخون الذين جاءوا بعدهم على كتاباتهم في نقل ووصف حملات الاسكندر وأعماله، بحيث ان حياة الاسكندر وأعماله قد نُقلت إلينا بأمانة. فعدد كبير من الكتّاب الكلاسيكيين قد راجعوا كتب شهود العيان وكتبوا كتباً عن الاسكندر المقدوني. ومن هؤلاء نذكر:

يتحدث ديودوروس Diodorus Siculus، مؤرخ يوناني من القرن الاول قبل الميلاد، في الأجزاء بين الكتاب السابع والسابع عشر من عمله المعروف تحت اسم Bibliotheca Historica عن تاريخ العالم، خاصة الحروب اليونانية حتى موت الاسكندر الكبير. وجوستين Justin، مؤرخ روماني من القرن الثالث ميلادي كتب عن الاسكندر. وكورتيوس روفيوس Curtius Rufus، مؤرخ روماني كتب بين حوالي 41-54 ميلادي، وقد ركَّز على صفات الاسكندر بالدرجة الأولى. وهناك بومبيوس تروجوس Pompeius Trogus، مؤرخ روماني من القرن الاول قبل الميلاد. وكتابه الرئيسي هو Historiae Philippicae مؤلَفٌ من 44 كتابا. ويركِّز به على مملكة

فيليب والد الاسكندر، ثم تاريخ الاسكندر والذين خلفوه. والمؤرخ اليوناني بلوتارخ Plutarch، (46 – 120 ميلادي)، قد كتب كتاباً عن حياة الاسكندر الكبير في معلومات فريدة عنه وعن كل ما جرى له، حتى الأمور النادرة عنه التي لم يتكلم عنها غيره.

وعلى درجة كبيرة من الأهمية كتابات المؤرخ اريانوس Arrian الذي ولد عام 86 ميلادي. كان مؤرخاً يونانياً، وقد كتب Anabasis Alexandri، التي تعني "حملات الاسكندر". وهي تُعتبر من أهم المراجع عن الاسكندر وحملاته التي ما زالت موجودة كاملةً للان. واستخدم كتابات كلسثنيس، وهو ابن أخي أرسطو ورفيق الاسكندر. واستخدم أيضا كتابات المرافقين للإسكندر. وكان يملك المذكرات التي كتبها بطليموس، الذي كان أحد أهم قواد الاسكندر ومن المحتمل نصف أخيه. وهناك أيضا كتابات سترابون أو استرابو Strabo، المؤرخ والجغرافي اليوناني المشهور. ولد عام 64 ق. م. وكتابه Memoirs الذي هو عمل موسع عن الاسكندر المقدوني، ولو انه قد فُقد، ولكن كان مرجعاً لمؤرخين كثيرين كتبوا عن الاسكندر منهم بلوتارخ Plutarch.

كل هذه المواد الكثيرة عن حياة الاسكندر وأعماله تجعلها من أكثر المواضيع القديمة المكشوفة من الناحية التاريخية. ومع ذلك لا أحد من هؤلاء المؤرخين، قد ذكر ان الاسكندر قد أقام ذلك السد المعدني، وحجز شعوب جوج ومأجوج. فكتّاب قد رافقوا الاسكندر في حملاته العسكرية، قد كتبوا كما ذكرنا عن أقل الأمور وأصغرها التي حدثت أثناء تلك الحملات. ومع ذلك لا أحد أبداً ذكر ذلك السد أو حتى شعب جوج ومأجوج، أو ان أحداً قد شكا للإسكندر عن شعبٍ متوحشٍ يهدِّد الأرض كلها، بحاجة لسجنه بين جبلين. فكيف يهمل هؤلاء الكتّاب شهود العيان ذِكْرَ أهم مشروعٍ في حياة الاسكندر، وأهم خبرٍ عن سجن خلف سد بين جبلين شعوب متوحشة تهدد العالم؟!

دعوة للتفكير والتأمل

اذاً نرى القرآن يخالف التاريخ الرسمي، وينتمي لخرافات جيل محمد، التي كان يتمسك بها مجموعات جاهلة لم تكن تدرس التاريخ. وتصدق الجغرافيا البدائية التي كان قد نشرها المنتحل لكلسثنيس، وصدقتها بعض المجموعات السريانية. فكيف نرشّح القرآن ككتاب إلهي مصدره السماء.

ولو اعتبر العرب بان محمداً هو واحد من الذين ساهموا في نشر كتاب المنتحل لكلسثنيس في شبه الجزيرة العربية، لكان الأمر يعبّر عن الحقيقة. ولكن تكريم محمد بسبب السجع الذي نقل به هذه الخرافات لمستوى النبوة، هو أمر لم يفعله الرومان عندما ترجم فاليريوس كتاب المنتحل للغتهم اللاتينية في أسلوب لغوي عال ورفيع. ولم يفعله الأرمن عندما ترجم موسى خورين كتاب المنتحل للغتهم. مع ان نسخة خورين تُعتبر تحفة في الأدب الارمني. ولكن لم يعتبر الأرمن ان خورين يستحق لقب نبي بسبب عمله في نشر كتاب المنتحل في لغة أرمنية عالية. صلاتي ان العرب المسلمين يكون عندهم حكم الشعوب، التي لم تجعل السجع وسمو اللغة عنصرَ الحكم في طبيعة المادة المُترجمة

إلى لغاتهم. ولم تكافئ الكتّاب الذين ترجموا تلك المواد والخرافات في كتاب المنتحل لكلسثنيس في ان ترفعهم إلى مستوى النبوة، وتجعل كل منهم كدليل لحياتهم الروحية، ومتحكمين في مصائرهم الأبدية، كما فعل العرب المسلمين مع محمد.

خرافة الكهف

السبعة نائمين لقرون في مدينة افسس

لقد أدخل محمد في القرآن الخرافة السريانية عن "النـائمين السبعة فـي أفسس". الخرافة تقول بـان سبعة مسيحيين نـاموا فـي كهف قرابـة 150 إلـى 200 عـام. وبحسب الخرافـة ذلك يعود لعـام 250 مـيلادي، زمـن الإمبراطـور الرومـاني ديسـيوس Decius الـذي اضـطهد المسـيحيين فـي زمـن مُلكـه. وبحسـب الخرافـة، جـاء ديسـيوس إلـى مدينـة افسس في آسيا الصغرى لكي يضطهد المسيحيين. وهنـاك التقـى بسبعة فتيـة من الشباب المسـيحيين الأشـراف، وحـاكمهم فـي المحكمـة. ثـم أعطـاهم وقتـاً لكـي يفكِّروا فـي أمـرهم ويتراجعوا عن إيمانهم. ولكنهم قرروا ان يقدِّموا أموالهم للفقراء، مـا عدى بعض قطـع النقود التي أخذوها معهم. وقرروا عدم إنكـار إيمـانهم، لكـن صـعدوا إلـى جبـل انكيلـوس Mount Anchilo لكي يستعدوا لقبول حكم الموت. وعندما عاد ديسيوس إلى أفسس قد سـأل عـنهم، ولقـد وجـدهم جنـوده نـائمين فـي الكهـف. فـأمر ديسـيوس جنـوده بـان يختمـوا الكهفَ بحجارةٍ عظيمةٍ، دافِناً بذلك إياهم أحياءً.

تسـتمر الخرافـة مصـوِّرةً بانـه علـى زمـن إمـا الإمبراطـور المسـيحي ثيودوسـيوس الكبير Theodosius the Great، الذي ملك بين عامي 379 و395م.، أو ثيودوسيوس الأصـغر، الـذي حكـم بين 408 و450 مـيلادي، كانـت هنـاك مجـادلات حـول القيامـة التـي أنكرها كثيرون من الهراطقة. وعندما أحد أصـحاب المـزارع فتح الكهف لكـي يسـتخدمه كإسطبل أو مذود لقطعانه، استيقظ النائمون من نومهم الطويل، وظنّوا بأنهم قد نـاموا ليلـة واحدة. وأرسل السبعة واحداً منهم لكي يشتري لهم طعاماً. لقد ذهب هذا حامِلاً معـه قطـع النقود التي تحمل رسم ديسيوس، والتي كانوا قد احتفظوا بها قبل نومهم. فانـدهش إذ رأى الصـليب فـوق الكنـائس واسـم المسيح بصـورة صـريحة علـى لسـان النـاس. ولقـد تعجَّـب الشـعب الـذي رآه كيـف انـه كـان يحمـل قطـع نقـود تنتمـي لعصـر الإمبراطـور ديسـيوس. فظنّوا بانه قد وجد كنزاً في كهف. من ثم كشف الرجل عن قصة نومهم الطويل.

وسمع بالأمر الإمبراطور ثيودوسيوس بالقصة، وذهب للكهف لكي يرى السبعة رجال. واستخدم الإمبراطور تلك القصة لكي يثبت حقيقة قيامة الأجساد. وعندما مات الرجال السبعة، أراد الإمبراطور ان يصنع لهم قبوراً من ذهب، ولكن الرجال ظهروا له في حلم سائلين إياه ان يدفنهم في قبور عادية.

لقد حاول المسلمون عبر التاريخ ان يجدوا مكاناً ينسبوه كمكان نوم النائمين لمدة ثلاثة قرون. وقد كانت هناك مئات الكهوف التي قيل ان النائمين قد ناموا فيها تلك القرون. وكان ممكن ان يكون ذلك إما جهل في الخرافة والمكان التي نُسبت إليه أي افسس، وذلك بعد ان ظهرت الخرافة في العالم المسيحي مُترجَمة من أصلها اليوناني. أو تجاهلاً عمدا للخرافة ومكانها المنسوب إلى مدينة افسس، ورغبة من هؤلاء المسلمين ان تتحول الخرافة إلى حقيقة تاريخية.

تفنيد الادعاء بان عمان هي مكان نوم الفتية

ولكن المسلمين الواعين بأصل الخرافة ونسبها لمدينة افسس، يدّعون بان الفتية قد هربوا من افسس إلى مدينة عمان في شرق الاردن.

ولو سلَّمنا جدلاً بان تلك الخرافة التي استخدمتها الكنيسة في افسس، إذ بنت على بعض القبور كنيسةً مُدَّعيةً بان الفتية قد ناموا فيها، انها حقيقةٌ تاريخيةٌ. هل يذهب الفتية هرباً من الرومان آلاف الكيلومترات نحو عمان، لكي يلتجئوا إلى مدينة رومانية، حيث كانت عمان معروفةً كمدينة رومانية تحت اسم فيلادلفيا ؟!. أليس من الأسهل ان يتجهوا فقط بضع مئات من الكيلومترات شرقاً، وها هم في الأراضي التي كان يحكمها الفرس؟!.

ثم لقد زار الموقع في عمان علماء الآثار، مثل صديق لي بروفسور في علم الآثار في إحدى الجامعات، وقال ان الموقع عبارة عن مدفن بيزنطي. ولو كان موضعاً لخرافة الفتية، لكانت الكنيسة قد جعلته مزاراً قرونا قبل الإسلام كما فعلت كنيسة افسس. ولكن لا يوجد أي آثار تدل على ذلك. والحقيقة كانت هناك عادة بيزنطية في تلك البقاع ان يُدفن أفراد العائلة في مغارة واحدة. وتحت تأثير فارسي كان الكلب له أهمية خاصة ويُدفن مع باقي أفراد العائلة. لهذا السبب وُجد في المدفن البيزنطي في عمان كلباً مدفوناً مع باقي أفراد العائلة.

مصادر الخرافة وكيفية نقلها

هذه الخرافة لها مصادر وثنية تعود إلى ما قبل العصر المسيحي. فالفيلسوف اليوناني أرسطو Aristotle قد قصّ قصةً مماثلةً عن نائمين لقرون في جزيرة سردينيا Sardinia [522]. ومن حيث ان أرسطو قد ولد عام 384 قبل الميلاد ومات عام 322 قبل

الميلاد، نرى اذاً بان الخرافة السريانية قد اعتمدت على الصيغة اليونانية الوثنية، ولكن قد أُبدلت سردينيا بأفسس.

والباحث كوخ Koch أثبت وجود صيغ وثنية قديمة للخرافة من أصل هندي وعبري وصيني[523]. وتُعتبر هذا الخرافة اليوم كخرافة كلاسيكية ذات انتشار في مناطق كثيرة في العالم قبل العصر المسيحي.

لقد نقل السريان هذه الخرافة للعالم المسيحي للمرة الأولى، مترجمين إياها من الكتابات الوثنية اليونانية. فقد عُرف السريان في ترجمتهم لكثير من كتابات الفلاسفة اليونان، خاصة كتابات أرسطو. والخرافة في صورتها المُنصَّرة كان معروف انتشارها بين السريان وموجودة في المراجع السريانية، ذلك قبل ان تُترجم إلى لغات أخرى، مما يثبت ان السريان قد ترجموها من اليونانية. والخرافة موجودة في كتاب اسمه Homily of Jacob of Saruq, or Sarugh. والكاتب معروف للعرب تحت اسم يعقوب السروجي. لقد كان كاهناً وشاعراً سريانياً وكاتباً. وقد عاش في مدينة ادسا Edessa السريانية في شمال العراق، ودرس في مدرسة الرحا Raha السريانية. ولقد أصبح في عام 521 ميلادي أسقفا لمدينة Batnan. لقد نُشرت هذه القصة فيما تُعرف بـ Acta Sanctorum. وهناك نسخة تعود للقرن السادس موجودة في المتحف البريطاني مُصنفة هكذا(Cat. Syr. Mss, p. 1090)، وهي تعطي ان عدد النائمين كانوا ثمانية.

وكان يعقوب السروجي معروفاً في علاقته في مدينة وكنيسة نجران؛ مدينة الآن على الحدود اليمنية السعودية. ومنذ القرن الثالث ميلادي حتى زمن محمد كانت نجران موطناً لكثير من المسحيين. ولقد كتب يعقوب السروجي رسالة لمسيحي نجران[524]. الأمر الذي يجعلنا نستنتج من ان الخرافة قد انتشرت أولا لنجران، ومن ثم إلى مكة في وقت لاحق، وذلك من خلال المصادر السريانية المتصلة بيعقوب السروجي ونسخته عن السبعة نائمين في افسس.

تطور في انتشار الخرافة

لقد بقيت الخرافة ضمن دائرة محيط السريان إلى ان تُرجمت إلى اللاتينية في نهاية القرن السادس ميلادي، وذلك على يد جريجوريوس من تورز Gregory of Tours (ولد جريجوريوس عام 538 وتوفي عام 594)، وعُرفت القصة بأنها خرافة من المترجم نفسه. والخرافة موجودة في الاصحاح الخامس والتسعين من كتابه المسمى بـ "مجد الشهداء" De Gloria Martyrum. ويقول جريجوريوس بانه قد سمع الخرافة من أحد السريان. ولقد سجَّل جريجوريوس القصة كخرافة. فالقصة هي خرافة من حيث انها ولدت في دائرة الوثنيين قبل العصر الميلادي، وتُرجمت من الأدب الوثني اليوناني إلى السريانية، وانتشرت ضمن عدد محدود من السريان في شمال العراق. وانتشرت من خلالهم إلى المناطق حيث كانوا يُرسِلون مرسلين، مثل نجران ومناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية.

خلو الخرافة من الأسس التاريخية، بعكس الإنجيل الذي سرد حياة المسيح

قبل ترجمة الخرافة إلى اللاتينية من جريجوريوس، لم يسبق أبداً انها قد ذُكرت في اي من الكتابات والكتب في مدينة افسس، ذلك بالرغم من ان السريان الذين ترجموها من النص اليوناني الوثني يدّعون بان القصة قد حدثت في افسس. وهذه نقطة هامة في تفنيد صحة حدوث القصة من ناحية تاريخية. فقط بعد انتشار الخرافة نسبةً لترجمتها من جريجوريوس، قد بُنيت كنيسة على بعض قبور في افسس، تحت ادعاء انها قبور "السبعة النائمين في افسس". ولكن لا يوجد اي سرد تاريخي سابق في افسس مُحقِّق للخرافة. من ناحية أخرى لو كان عندنا غياب عن سرد اسم يسوع وشيء عن حياته في ارض فلسطين حيث عاش، لكان عندنا حجة في ان نشكك في حقيقة وجود يسوع المسيح. ولكن في الحقيقة جميع كتّاب العهد الجديد كانوا تلاميذاً للمسيح: قد تتلمذوا على يده ورافقوه وراقبوا أعماله ومعجزاته كما سمعوا مباشرةً تعاليمه. إضافة أننا نملك تحقيقاً لمعجزات المسيح وموته على يد المؤرخ اليهودي الروماني يوسيفوس فلافيوس الذي عاش في مدينة القدس. وعندنا ذِكر للمسيح وموضوع صلبه من مؤرخين آخرين مثل كورنيليوس تاسيتوس Tacitus Cornelius، الذي عاش بين 55-120 ميلادي[525]، اضافة إلى لوسيان الساموساطي Lucian of Samosata[526] (120-180 ميلادي). وبلني الصغيرPliny the Younger في مطلع القرن الثاني ميلادي.

وهناك ايضا ثالوس Thallus (حوالي 52 ميلادي)، وفليجونPhlegon اللذين ذكرا عن الظلمة التي غطت الأرض أثناء صلب المسيح كحادثة تاريخية وعزيا ذلك لكسوف الشمس. ولقد استشهد في كتاباتهما يوليوس الإفريقي Julius Africanus[527]، الذي قال بان الظلمة التي حدثت أثناء صلب المسيح لا يمكن ان تكون بسبب الكسوف، وذلك بسبب ان القمر كان آنذاك مكتملاً. وكتب عن المسيح أيضا مارا بار – سيرابيون Mara Bar-Serapion الفيلسوف السرياني حوالي عام 70 ميلادي. وهناك أيضا معلومات تأتينا من التلمود البابلي عن المسيح وموضوع صلبه في مساء الفصح تماما كما ذكرت الأناجيل[528].

ولكن عندما نأتي لموضوع خرافة افسس، فرغم ان المدينة كانت مليئة بالفلاسفة والمؤرخين خلال القرنين الرابع والخامس الميلادي، لم يسبق أن أحداً قد ذكر حدوث تلك القصة. كذلك لا نجد في السجلات التي تتطرق لحياة الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الكبير، أو ثيودوسيوس الأصغر، ذِكراً عن خرافة السبعة النائمين في افسس، أو ان ثيودوسيوس قد تقابل معهم وبنى قبوراً لهم.

من بين المؤرخين الذين عاشوا في نفس عصر ثيودوسيوس الكبير والأصغر أو الثاني نذكر Eunapius (349-414 م). ومن المؤرخين البيزنطيين الذين عاشوا في القرن السادس، نذكر جوردانس Jordanes، الذي كتب في مدينة القسطنطينية حوالي عام 551 أو 552. وكتابه المدعو Romana يتحدث به عن تاريخ العالم من وجهة نظر رومانية. وهناك مؤرخون مشهورون في القرن السادس مثل بروكوبيوس.

اختيار ثيودوسيوس الكبير كالذي فاق النائمون زمانه، كان بسبب انه الذي جعل المسيحية كالديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية. وهو الذي وحَّد طرفي الإمبراطورية الشرقية مع الغربية، ولكنها انقسمت بعد موته. هناك أيضا إمبراطور آخر ينسب لعصره قيام النائمين وهو ثيودوسيوس الثاني، الذي أصبح إمبراطورا للإمبراطورية الرومانية الشرقية من عام 408-450.

تفنيد إضافي للادعاء في حدوث القصة

والخرافة قد ظهرت في العالم المسيحي أولا بين السريان الذين ترجموها من الوثنية اليونانية. وظهرت في كتابات يعقوب السروجي المتوفي عام 521. نلفت انتباه القارئ بان السريان لم يكونوا سكان مدينة افسس، حيث الادعاء بان القصة قد حدثت هناك، بل اليونانيين المسيحيين. فلو كانت فعلا قصة حقيقية، من المفترض ان اليونانيين المسيحيين أهل أفسس ينقلون القصة للعالم. وليس ان تُسمع أولا في العالم المسيحي من السريان.

وقبل يعقوب السروجي ظهر عشرات الآباء للكنيسة، كثيرون منهم عاشوا في آسيا الصغرى وفي المناطق اليونانية، مثل القسطنطينية وأفسس وساردس. لماذا لم يتحدث أحد منهم عن القصة؟!.

ثم ان القصة بطبيعتها دراماتيكية ومثيرة، بحيث لو كانت قد حدثت فعلاً لكانت أعظم معجزة أو آية قد حدثت بعد قيامة المسيح. لماذا يسمع جريجوريوس من تور القصة من شخص سرياني، كما قد كتب عن ذلك. لو حدثت لكانت قصةً مشهورةً في العالم المسيحي، وذلك من عصر ثيودوسيوس الإمبراطور نفسه. لكانت الكنيسة مبنية من عصر ثيودوسيوس، ولكانت أكثر كنيسة مشهورة في العالم المسيحي بعد كنيسة القيامة في القدس. ولكن نجد ان القصة كانت معروفةً لدى مجموعة محدودة من السريان قبل ان تُعرف من سكان أفسس أنفسهم. لذلك فإن محاولة نسب للكنيسة التي بُنيت على بعض القبور انها من القرن الخامس أو حتى السادس، لا يمكن ان يكون صحيحاً. لا بد ان الكنيسة قد بُنيت بعد موت جريجوريوس من تور الذي كان عام 594. وإذا كانت هناك كتابات وُجدت في الكنيسة فهي متأخرة، ولو ان كاتبيها قد أرادوا ان تكون قديمة، واضعين تواريخ غير صحيحة.

النضر بن الحارث، قرابة محمد، يمتحن محمد من جهة خرافاته

لقد نسخ محمد خرافة السبعة فتية أفسس وكأنها كانت حقيقة تاريخية. وأدخل الخرافة في سورة الكهف (18). فلقد كان قد اجتمع بعض زعماء قريش ومن بينهم النضر بن الحارث. وتحت اقتراحات اليهود، أراد النضر بن الحارث ان يكشف جهل محمد من جهة التاريخ. كانوا قد لاحظوا عادة محمد في تحويل كل ما يسمع من خرافات

إلى سور قرآنية. وموضوع تحدي النضر لمحمد قد نقله كتّاب سيرة محمد، مثل ابن هشام وابن كثير، كذلك مفسري القرآن مثل القرطبي[529].

لقد عُرف النضر في كشفه لمصادر خرافات محمد الفارسية الأصل. فكل مرة كان يلقي محمد آيات قرآنية من أصل فارسي، كان يقف النضر ويلقي ذات الخرافات الزرادشتية ولكن في دقة أكثر. ويلقي ابن هشام ضوءًا على تلك الظاهرة:

"وكان النضر بن الحارث قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رُستم واسبنديار. فكان إذا جلس محمد وحذّر قومه ما أصاب مَنْ قبلهم من الأمم خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثا منه، فهلم إليّ، فانا أحدثكم أحسن من حديثه"[530]. وايضا "والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد المناف، كان إذا جلس محمد مجلسا ...وحذّر ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رستم السنديد، وعن اسفنديار وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد أحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين، اكتتبها كما اكتتبتها "[531]

من الجدير بالملاحظة بان النضر بن الحارث الذي هو قرابة محمد يقول عن محمد انه اكتتب الخرافات الفارسية، مما يكشف ان محمداً كان يجيد الكتابة وليس كما يود البعض ان ينسب له الأمية. ولا شك ان النضر لم يكن ليجرؤ ان ينسب لمحمد القدرة على الكتابة ما لم يكن أهل قريش يعرفون هذه الحقيقة عن محمد. وكان النضر قادراً في كشف خرافات محمد، بسبب انه قد درس في مدينة الحيرة عن تاريخ ملوك الفرس وخرافاتهم[532]. فمعروف ان الحيرة كانت عاصمة المناذرة، القبيلة العربية التي كانت تحرس حدود الفرس ضد الغساسنة، الذين كانوا يحرسون حدود الإمبراطورية البيزنطية في جنوب سوريا.

من ضمن أسئلة الامتحان لمحمد كان هناك سؤال عن خرافة الفتية. وكان اليهود ومثقفو مكة يعرفون انها خرافة، من حيث ان المثقفين من المسيحيين مثل جريجوريوس الذي ترجم الخرافة من السريانية للاتينية، قد أقرّ بأنها خرافة، وكانت العجائز تقص القصة على الأطفال. وهكذا في توقُّع مثقفي مكة ان محمداً سوف ينسخ الخرافة وكأنها قصة تاريخية أصيلة، فيكون لديهم إثبات قاطع عن حقيقة نزعة محمد في نسخ الخرافات، والادعاء بأنها حقائق تاريخية، رابطا مضمونها في ادعائه الديني. ولقد عرّض النضر وأصدقاؤه محمداً لسؤالين آخرين: أحدهما يختص في "ذي القرنين". وهو كما سبق وبينّا لقب كان معروفاً في الشرق للإسكندر المقدوني. وكان موضوع ذي القرنين معروفاً للإنسان العادي في مدن العالم القديم التي كانت تحت تأثير البيزنطيين أو في علاقة تجارية معهم، مثل سكان مكة. فكانت الثقافة البيزنطية منتشرةً في مكة بسبب العلاقات التجارية للمدينة مع سوريا وفلسطين. وكان كثيرون من سكان مكة في ثراء كبير وعندهم عبيداً من رعايا الإمبراطورية البيزنطية، مثل جبر الذي كان عبداً لعائلة الخضرمي، وكان يجلس عنده محمد يتعلم منه عن الخرافات البيزنطية. كما سبق

وذكرت عن جبر وغيره في ذكري عن مصادر محمد النصرانية. "راجع خرافة هدم مدينة أنطاكية في القرن الميلادي الاول".

فاختيار الاسكندر ذي القرنين، الذي هو أكثر علم معروف في تاريخ العالم آنذاك، كامتحان لمحمد له مدلول خاص: فلم يكن اختياراً عشوائياً. من حيث ان لقب "ذي القرنين" كان معروفاً في كونه لقباً للإسكندر المقدوني في كتاب خرافي منتشر في زمانهم والذي تطرقنا إليه سابقا، وهو المنتحل لكلسثنيس، حيث يدّعي هذا الكتاب الخرافي بان الاسكندر وصل إلى مغرب الشمس ومشرقها. فقصد النضر وأصحابه واليهود من خلفهم كان إسقاط محمد في فخ كبير، إذ كان جل أملهم هو في ان يذهب محمد ويسأل عن الخرافة، ويحوّلها إلى حقيقة تاريخية رابطاً إياها في تدينه الجديد "الإسلام". وعندما نتمعن في صيغة السؤال التي اقترح اليهود إلى النضر وجماعته تقديمه إلى محمد من جهة الاسكندر، نتأكد بانه كان في بالهم خرافة "ذو القرنين" المنتشرة في زمانهم من جهة وصول الاسكندر إلى مطلع الشمس ومغربها. إذ قال اليهود للنضر وجماعته:

"سلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه"[533]

ولا شك فالفرس كانوا يظنون في عصر محمد بان الشمس تشرق كل يوم من نبع (أو فتحة مائية) وتغرب كل يوم في نبع مختلف عن الآخر أيضا، وبذلك كانوا يبرِّرون الاختلاف بين طول وقصر نهار عن نهار[2]. ولقد قلّد محمد نفس الفكرة كما في حديث نقله الطبري[534]. وعلى اي حال، فاسم "ذي القرنين"، كما ان موضوع ذهابه إلى حيث تشرق الشمس وتغرب، أمرٌ قد عُرف في عصر محمد وما سبقه من خلال الكتاب الخرافي الذي تطرقنا إليه سابقا، والكتابات السريانية التي بُنيت عليه. فالمثقفون في تلك الأجيال كانوا يعرفون الخرافات التي انتشرت في انتشاره. وهنا نرى ان خرافات ذلك

---

[2] هناك اعتقاد الفرس في حركة الشمس والقمر وبعض النجوم من مرتفعات على الجبل السماوي المدعو Alburz والذي تصوّروه في البحر السماوي، حيث ايضا تنزل الماء. ودوران الشمس والقمر والنجوم من نفس المرتفعات حيث توجد الينابيع او الفتحات المائية بحسب الفرس، جعلهم يعتقدون ان له علاقة في نزول المطر. اي مرور الشمس والقمر وبعض النجوم من نفس الينابيع حيث ينزل المطر. فالخط المائي الذي تشرق منه الشمس بحسب فنديداد (Vendidad , fargard XXI, IIIa, 5) "والمفتوح من الالهة"، هو الفتحات في مرتفعات Alburz حيث تمر المياه بشكل ينابيع تملأ تلك الفتحات الخاصة، حيث تمر الشمس مشرِقةً " من ينابيعها " إضافة للقمر وبعض النجوم .

من هنا علَّل الفرسُ اختلاف ساعات النهار نسبةً لاختلاف شروق الشمس كل مرة من فتحة من تلك المرتفعات حيث توجد الينابيع المائية المعبودة منهم. وعدد هذه الفتحات – أي حيث تشرق الشمس وتعود تدور الشمس منها - هي 180 فتحة في الشرق و180 فتحة في الغرب؛ أي المجموع 360 فتحة. وكل يوم تشرق الشمس من فتحة وتعود تدور من فتحة أخرى.

Bundahis ,chapter V:5

وهكذا نستطيع ان نفهم حديث محمد في تعليله لطول النهار: حيث عزى ذلك لشروق الشمس كل مرة من نبع مائي مختلف في طرف الأرض الشرقي. وهي أصلا ميثيلوجيا فارسية.

الكتاب الخرافي ليس فقط كانت منتشرةً في مكة، ولكن كان هناك وعي عند المثقفين من اليهود وأهل قريش ان تلك القصص عن المقدوني هي مجرد خرافات، وإلا لم جعلوها كسؤال لامتحان محمد. ذلك اضافة لسؤال آخر عن خرافة أخرى كانت منتشرةً في زمانهم وهي خرافة السبع فتية افسس، وكانت معروفة لدى المثقفين انها خرافة. فالنضر وزملاؤه نصبوا فخاً كانوا يتوقعون في سقوط محمد به، من جهة ميله في نسخ كل شائع في زمانه، حتى لو كان متعارفاً من أغلبية الناس ومن المثقفين في جيله انه خرافات. كما انهم أرادوا ان يؤكِّدوا الطريقة التي بها كان يتعامل محمد مع أعلام التاريخ: إما من خلال الحكم عليهم بصيحة سحرية، أو جعلهم مسلمين مُكرَّسين، ناسخاً إياهم كما تقدِّمهم الخرافات في جيله. وتؤخُّر محمد في الإجابة عن أسئلة تتعلق بخرافات كانت معروفة في زمانه، وانتظاره أسبوعين قبل الظهور في إجابة، يؤكِّد رجوع محمد لأشخاص هم مصادر خرافية لآيات كثيرة من قرآنه.

ولقد رأينا كيف ان محمداً قد أجاب السؤال عن الاسكندر المقدوني، مطابقاً لمحتوى الكتاب الخرافي المنتحل لكلستنيس "Pseudo Callisthenes". إذ ما قاله محمد هو ترجمة عربية لرحلة "ذي القرنين" إلى مغرب الشمس ومشرقها كما جاءت في الكتاب الخرافي، الذي الشعر الجاهلي يثبت انتشار الكتاب وخرافاته بين العرب؛ كما نرى ذِكراً عن "ذي القرنين" في أشعار أشخاص مثل تبّع، الذي حكم بين عامي 410-435 م، واحتل مكة. كذلك أشخاص قد ادّعوا النبوة، مثل أمية بن أبي الصلت، وفي أقوال أشخاص كانوا يتجولون في مكة وقُراها، مثل قيس بن ساعدة الأيادي، معلمين عن ذي القرنين ورحلته الخرافية. وفي نسْخ محمد للخرافة المنتشرة في جيله فانه يصادق بذلك على رأي المثقفين في مدينته عنه.

وعلى أصدقائنا المسلمين ان يتعاملوا في تقييم محمد وقرآنه، ليس بناء على مشاعر دينية تسجن عقولهم وتضل أفكارهم. ولكن نسبةً للمنطق التاريخي وحقائقه المُبرهنة كما هي مكشوفة الينا الآن، وكانت جزئياً مكشوفة للمثقفين في زمانه. فالامتحان الذي وُضِع لمحمد من النضر ورفقائه أثبت ان محمداً كان يجمع خرافات من مصادر بدائية، لكي يظهر وكأنه يملك تفوقاً في المعلومات على رفقائه الجاهليين، وانه مُرسَلٌ من "الله".

القرآن ينقصه الأساس الروحي، حيث أثبت محمد في عجزه في الإجابة عن أبسط الأسئلة الروحية

والسؤال الثالث الذي وُضع لمحمد كان "ما هو الروح". كان سؤالاً سهلاً، بحيث اليهودي والمسيحي العادي كان قادراً الإجابة عليه، من خلال الاستشهاد في عدد من الكتاب المقدس. فلقد خلق الله الإنسان بجسد ونفس وروح. والروح هو الجزء الإنساني الذي يتصل بالله ويجعله عابداً له.

لقد اختار اليهود هذا السؤال لامتحان محمد في الأمور الروحية، ذلك عندما لاحظوا بان ما كان يقدِّم محمد من آيات قرآنية كانت خالية من الروحانية، وتركّز على الأمور الأرضية الشهوانية. فعلى سبيل المثال، قد ادّعى محمد في قرآنه حقوقاً جنسية في كل امرأة بما فيه نساء تابعيه. فله الحق ان يأوي من يشاء من النساء، وكل امرأة مسلمة مدعوة ان تهب نفسها إليه. نجد ذلك مثلا في سورة الأحزاب (33) والآيتين 50 و51 حيث نقرأ:

" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا. تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ. وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ. ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ. وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا"

و"النكاح" بحسب رأي ابن عباس هو الوطأ[535]. ويؤكِّد الفيروزابادي من ان النكاح هو الوطأ (اي المجامعة الجنسية)[536].

ولقد أبرز أولويته الجنسية على نساء الآخرين عندما اشتهى زينب بنت جحش زوجة ابنه بالتبني، واستنزل آية من القرآن يحللها لنفسه. كذلك عندما تعدّى على طفلة، وهي عائشة ابنة أبو بكر، وهي عمرها 6 سنوات وخطبها، وتزوجها وهو ابن 54 سنة. وإذا رأى مسلماً قد ارتبط في امرأة جميلة كان لا يتردد في سلبها منه، مثلما فعل مع برة (المدعوة أيضا جويرية)، التي بعد ان قتل والدها وزوجها في غزوة بني المصطلِق، صارت مكتوبةً كزوجة لثابت بن قيس. ولكن دخلت إلى محمد تستشيره في أمور لها. ولكن إذ رأى محمد انها جميلة، ألغى كتباها مع قيس وتزوجها[537].

كانت اذاً حياة محمد لا توحي في حياة روحيةٍ أو عفةٍ وقداسةٍ، بل تطويع المسلمين لموضوع إشباع شهواته.

كما لاحظ معاصرو محمد ان جزءاً هاماً من آياته القرآنية يدور حول حملاته وقرصنته، وتشريع تقسيم الغنيمة، بعد ان سنّ لنفسه تشريع خُمس الغنائم، على ان يختار هو أولاً أفضلها. ففي غياب الأقوال الروحية في آياته القرآنية وحياته، جعل اليهود ان يكشفوا عدم قدرته في الإجابة على أبسط الأسئلة الروحية، مثل "ما هو الروح؟". ونجد ان محمداً لا يجيب رأساً على السؤال، ولكنه يعدهم في الإجابة خلال أيام. ولم يعد إليهم قبل مرور أسبوعين، مما يدل على انه كان يطلب مساعدة من أصدقائه في الإجابة على هذا السؤال. وعاد بعد أسبوعين مدّعياً ان "الله" قد أوحى إليه، ملقياً عليهم الآية كما هي الآن في سورة الإسراء (17) والآية 85:

"يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي".

فقد تجنّب محمد الدخول في مناقشة حول الموضوع. فقد كان جاهلاً بصورة مطلقة من جهة الحياة الروحية وموضوع الروح، وينقصه الثقافة الروحية الأولية، بحيث انه كان عاجزاً عن التعبير في اي اتجاه في هذا الموضوع.

وبالنسبة للسؤال عن الاسكندر المقدوني: رأينا كيف عاد محمد مُعبِّراً عن أفكار قد تبناها بعض العرب في زمانه، من أولئك الذين تجد الأساطير قبولاً في عقولهم. وذلك تحت تأثير المنتحل لكلستنيس والكتابات السريانية.

مصادر محمد غير الدقيقة في موضوع خرافة الفتية النائمين في افسس

عند سؤالهم لمحمد من جهة السبعة فتية الذين ناموا قروناً، عاد لأصدقائه من النصارى البيزنطيين. وأذكِّر القارئ من جديد في قول نراه في السيرة بحسب ابن هشام، عن أحد هؤلاء المراجع النصرانية التي كان يعود إليها محمد واسمه جبر عبد لبني الخضرمي[538]، الذي سبق وذكرت ان محمداً كان يجلس عنده ويتعلم منه.

فقد لاحظ المكيون ان الكلام الذي كان يعلّم به محمد قد انفرد جبر النصراني في تعليمه، مما يدل على خبرة المكيين في تعليم جبر النصراني هذا، وانه كان نشطاً في نشر بعض الأفكار والخرافات البيزنطية. واستنتاج المكيين هذا مدعومٌ أيضا من جلوس محمد المتكرر عند جبر. فما الذي يجعل محمدا ان يجلس عند عبد فقير كل يوم؟ وهناك أمر آخر حري بالاعتبار وهو ان محمداً كان يحتقر العبيد. فقد قال مراراً في أحاديث له انه لا يجوز قبول شهادة العبد إلا إذا جُلد[539]. وإذا أراد أحد تابعيه ان يعتق عبداً، كان يفضّل بيع العبد بدل تحريره، كما نرى في هذه الحادثة:

> "اعتق رجل غلاماً عن دُبُرٍ فقال النبي صلعم من يشتريه مني. فاشتراه نعيم بن عبد الله، فأخذ ثمنه ودفعه إليه"[540].

ولقد لام ميمونة بنت الحرث لأنها أعتقت عبدةً لها وقال لها:

> "اما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك" [541].

ولكن هنا رغم احتقار محمد للعبيد، نجد انه يتفرَّغ للجلوس عند عبد كل يوم. ومحمد يذهب لجبر وليس العكس، مما يكشف عن أهمية جبر بالنسبة لمحمد، كمرجع للكتاب المقدس والعقائد النصرانية والخرافات النصرانية المنتشرة في تلك الحقبة من الزمن. تذكر كتب الإخباريين ان جبراً كان رومياً. واللقب رومي كان يُطلق في الجاهلية على رعايا الإمبراطورية البيزنطية. وقد سبق وتطرقت على ان كتب الإخباريين ذكرت ان عائلة الحضرمي كانت تقتني عبدين أحدهما جبر والآخر يدعى يسار، وكان قد جمعا الكتب ويقرأن التوراة والإنجيل. وكان محمد يمر عليهما باستمرار لكي يستمع إلى تعليمهما.[542]

يكشف الالوسي بان هناك أسماء آخرين من النصارى قد اتّهم المكيون محمداً في الاستقاء من معلوماتهم:

> "وقيل: هم عداس. وقيل : عائش مولى حويطب بن عبد العزي، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي، وجبريل مولى عامر"[543].

كان لمحمد اتصال آخر مع النصارى في مكة عن طريق بلعام. وكان يُسمَّى أيضا بـ "يعيش". وكان بلعام نصرانياً بيزنطياً، عبداً لحويطب بن عبد العزى، وكان أهل مكة يرون محمداً عندما يمر به. وكانوا يقولون "إنما يعلِّمه بلعام"[544]. ويبدو ان جبراً وبلعام كانا رجلين يؤمنان بالأساطير، ولم يكونا كالمثقفين من سكان مكة الذين كانوا يميّزون بين الحقائق التاريخية والأساطير، حتى انهم نعتوا قصص محمد بأنها "أساطير الأولين". (سورة الأنعام اي 6: 25؛ سورة الأنفال اي 8: 31؛ سورة النحل 16: 24)

وعندما نطالع كتب التراث، نجد اقتناء محمد للكتب السريانية. ولكنه كان لا يريد ان يقرأها غيره، من اجل ان لا يعرف الصحابة مصادره من السريان. حيث كان السريان يبثون بعض الخرافات الموجودة في رسائلهم، كالتي تتحدث عن ذي القرنين، وذهابه إلى بحر الحمئة حيث تغرب الشمس، أو ذهابه إلى أقصى الشرق حيث تشرق الشمس من بقعة من الأرض، حيث تحترق الصخور من شدة أشعة الشمس، بحيث لا تُبنى هناك أبنية. أو سجنه "جوج وماجوج" خلف سد حتى نهاية الأيام، الخرافة المأخوذة من الرسالة السريانية ليعقوب السروجي. أو خرافة الفتية السبعة الذين ناموا الدهر. وهي أيضا مأخوذة من رسالة ليعقوب السروجي. واذكِّر القارئ عن حديث زيد كما جاء في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد:

> "عن زيد بن ثابت قال: قال لي رسول الله صلعم أنه يأتيني كتب من أناس لا أحب أن يقرأها أحد؛ فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو قال السريانية فقلت نعم فتعلمتها في سبع عشرة ليلة"[545].

وايضا كتب الهندي:

> "عن زيد بن ثابت قال: قال لي رسول الله صلعم أنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد؛ فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية أو قال السريانية فقلت نعم فتعلمتها في سبع عشرة ليلة"[546].

لماذا أتمن محمد زيد بن ثابت وليس عمر أو غيره من المقربين له؟ ذلك لان زيدا كان شاباً، ولم يكن محمد يريد ان أحد المقرّبين إليه ان يعرفوا ان بعض قصصه موجودة أصلاً في الكتب السريانية.

الصيغة القرآنية لخرافة السبعة فتية أفسس تُظهِر بان محمداً عجز عن فهْم الخرافة وهدفها

نرى إجابة محمد عن السؤال من جهة الفتية مذكورةً في سورة الكهف التي هي رقم 18. فقد قدّم محمد الخرافةَ كحقيقة تاريخية. والاختلافات التي قدمها محمد في نص الخرافة تكشف عجزه في فهم نص الخرافة تماما، أو عدم قدرة المصادر التي اعتمد عليها في ذلك. يقول القرآن في الآية رقم 17 من سورة الكهف:

"وترى الشمس إذا طلعت تزور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه"

بمعنى آخر الشمس كانت تدخل الكهف، ولكن كانت تتجنبهم. وربما هذه تغيير لنص الخرافة في منطقة مكة، عند أشخاص مثل بلعام وجبر وغيرهما من النصارى، معلِّمين بانه لم يقدر احدٌ ان يرى الفتية أثناء نومهم لقرون، وذلك بسبب ان الشمس كانت تتجنّبهم. وهذه الصيغة التي نقلها محمد تتعارض مع نص أصل الخرافة التي تقول بان الكهف كان قد خُتِم بواسطة حجارة، بطريقة لا تجعل أشعة الشمس ان تخترق وتدخل الكهف، وبذلك لا أحد كان يستطيع ان يرى الفتية النائمين لقرون.

وفي الآية 18 نرى تغييراً آخراً في نص الخرافة، بحيث انه فقط بيئة أو مجتمع بدائي مثل مجتمع الجاهلية كان سيتبنى مثل ذلك التطور في الخرافة:

"وكلبهم بسط ذراعيه بالوصيد، لو اطلعت عليهم لولَّيت منهم فرارا ولمُلئت منهم رعبا"

فلقد جعل القرآن ان كلب الفتية قد حرس الفتية الذين تدّعي الخرافة في أنهم ناموا قروناً من الزمن. فبحسب الصيغة التي نقلها محمد عن أصدقائه، هو انه أيما أقبل نحو الكهف كان يمتلئ رعباً بسبب ان كلباً قد حرس باب المغارة.

يعود محمد بعد ذلك لكي يتصل في النص الأصلي للخرافة، التي تقول بانه بعد ان أفاق الفتية من نومهم، قد أرسلوا واحداً منهم بنقودهم لكي يشتري لهم طعاما، ظانين أنهم قد ناموا يوماً واحداً. ولكن يعود محمد مقدِّماً انحرافاً عن الأصل، ذاكِراً في السورة القرآنية بان الناس قد غَلَبت على أمرهم، وقررت ان تبني على الكهف مسجداً، لكي تمنعهم من الخروج. وفي عدم فهمه للخرافة، ظن محمد بان الفتية قد أفاقوا من نموهم الطويل، عندما سكان المدينة والإمبراطورية كانوا بعد غاضبين عليهم ويضطهدون المسيحيين، كما لو كان ذلك في عصر الاضطهاد عندما نام الفتية في الكهف بحسب الخرافة الأصلية. بحسب محمد في القرآن قد بنى الناس عليهم مسجداً لكي يمنعوا الفتية من الخروج. وهذا يدل على عدم فهم محمد لهدف الخرافة من وجهة نظر بعض النصارى الذين بثّوها: وهو ان هؤلاء الفتية السبعة كانوا قد حُوفظ عليهم في العصور التي كانت الإمبراطورية الرومانية تضطهد المسيحيين، وفاقوا من نومهم عندما اعتنقت الإمبراطورية المسيحية. وبحسب الذين أرادوا استثمار الخرافة من النصارى لمآربهم قد جُعل هؤلاء السبعة قديسين من لحظة خروجهم من الكهف. فعندما الكنيسة البيزنطية قد وجدت قبوراً في مدينة افسس، أرادت الكنيسة استخدام الخرافة من اجل إقناع الملحدين بقيامة الأجساد، وأرادت أيضا ان تستثمر المكان للربح من خلال جعله مكاناً مقدساً. فبنوا كنيسةً فوق القبور. ولكن قد ظنّ محمد ان الكنيسة قد بُنيت من سكان المدينة لمنع الفتية من الخروج من الكهف، من اجل إعادة دفنهم وهم أحياء.

كان هناك وعي عند محمد من ان معرفة مصادره عن الخرافة، كان اقل من معرفة أولئك الذين قدموا الامتحان له. فالتجأ إلى حجة ان "الله" قد منعه مناقشة موضوع

الخرافة وتفاصيلها. فلم يستطع محمد ان يأتي بعدد محدّد عن الفتية. والحقيقة هناك صيغتين عن عدد الفتية في الخرافة الأصلية: الواحدة تقدِّم عدد الفتية أنهم ستة، والأخرى تقدمهم كسبعة. ولكن يبدو بين الأشخاص الذين التجأ إليهم محمد للإجابة عن السؤال عن الخرافة، كانت هناك أفكار متضاربة عن عدد الفتية الذين ناموا قروناً بحسب الخرافة، الأمر الذي أحبط عزم محمد في تقديم رقم مُحدَّد، خوفاً من ان يُستهزأ به من الذين قدّموا إليه الامتحان. فنراه ينسحب من تقديم معلومات كآتية من "الله" كما اعتاد أن يفعل في الماضي. ولكن ادّعى ان "الله" قد أمره بعدم مناقشة موضوع عدد الفتية. فيقول في الآية 22:

"سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب. ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربي أعلم بعدتهم، ما يعلمهم إلا قليل. فلا تمارِ فيهم إلا مراء ظاهرا، ولا تستفتِ فيهم منهم أحدا"

ونقول: إذا كان عدد قليل-بحسب الآية القرآنية-يعرفون عدد الفتية، فلماذا لا يكون محمد واحداً منهم، من حيث انه في اتصال في "الله" الذي يعرف كل شيء. الاستنتاج الصحيح هو ان محمداً كان خائفاً من التصريح في عدد مُحدَّد، ذلك بسبب معرفته بان الأشخاص الذين قدّموا إليه الامتحان كانوا في معرفة أدق عن الخرافة من الذين التجأ إليهم للإجابة عن سؤالهم. فقد لاحظ ان الآخرين لم يستطيعوا ان يزودوه في عدد محدد، وتضاربت أفكارهم عن الموضوع. فلم يبقى له إلا ان يدّعي بان "الله" قد منعه من مناقشة الأمر.

محمد يجعل النائمين ان يستيقظوا بعد 300 عام من زمن وفاة الذين قد نصّروا الخرافة ونشروها

نقرأ أيضا في الآية 25 من سورة الكهف نفسها:

"ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا"

هناك مناقشة في تفسير هذه الآية: البعض يقول بان أهل الكتاب يقولون بأنهم لبثوا 309 سنة. ولكن الحقيقة لم يقل أحد من النصارى أن الفتية لبثوا 300 أو 309 بل 150، وكحد أعلى 200 سنة. فإذ كان هذا هو معنى الآية يكون محمد قد أخفق في فهم الخرافة بصورة كبيرة.

ولكن الأغلبية تقول بان "الله" قد عنا أنهم ناموا 309 سنوات. الطبري يذكر بعضاً منهم:

"عن مجاهد وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعا قال: عدد ما لبثوا"؛ "عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: ولَبِثُوا فِي كْهفِهْم ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعا قال: وتسع سنين؛ "حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق بنحوه" ؛ "عن الضحاك بن مزاحم، قال: نزلت هذه الآية وَلَبِثُوا فِي

كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ فقالوا: أياما أو أشهرا أو سنين؟ فأنزل الله: سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعا"[547].

ففي منطق هذه الآية، يكون النائمون قد استيقظوا حوالي عام 559 ميلادي، في وقت كان المترجمون السريان للخرافة، الذين ترجموها من اليونانية، قد رقدوا وماتوا. حتى يعقوب السروجي الذي أدخل هذه الخرافة في كتاباته قد كان قد مات (إذ قد توفي عام 521 ميلادي). والحقيقة ان محمداً قد شعر في حرية في وضع تواريخ، ظنّاً منه ان لا أحد له الحق ان يفنّد كلامه المُوحى من "الله". فأدخل خرافات على القرآن كانت منتشرة في جيله، دون ان يعتبر تواريخ انتشار تلك الخرافات. ثم دافع عن عدد السنين والتواريخ التي حدّدها لنوم الفتية مُدّعياً في الآية 26 "قل الله أعلم بما لبثوا. له غيب السماوات والأرض". وبذلك فان 309 سنوات كعدد السنين التي أقرّها لنوم الفتية جعلها غير قابلة للنقاش، من حيث ان "الله" قد أوحاها. ولكن كم ذلك الادّعاء المحمدي يتوافق مع الحقيقة التاريخية التي وضع إطارها المترجمون السريان للخرافة التي نصّروها ؟ من حيث ان السريان جعلوا الفتية ان يناموا زمن الإمبراطور ديسيوس حوالي عام 250 م، ويناموا لمدة 150 إلى 200 سنة، لكي يستيقظوا زمن الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير Theodosius the Great الذي ملك بين عامي 379 و 395 م، أو ثيوديوس الأصغر، الذي حكم بين 408 و450 ميلادي. ولكن حساب محمد لا يصلح لهيكل تاريخي. فعندما نضيف 309 سنوات إلى عام 250 سنة حيث كان الاضطهاد الكبير على الكنيسة المسيحية، وهو التاريخ المناسب الذي جعله السريان لبدء نوم الفتية في الأسطورة، فان محمداً يوصلنا لعام 559 م كالتاريخ الذي استيقظ به الفتية. ولكن الخرافة كانت معروفة في الكتابات السريانية بما يزيد عن قرن قبل ذلك التاريخ المُقرَّر من محمد. فتقليد خرافة كان الذين ترجموها ملمّين بتاريخ الإمبراطورية وتواريخ حكامها المُضطهِدين للمسيحيين، لم يكن امرأ يناسب شخصا يعيش في الجاهلية بدون تلك المعرفة التاريخية عن الإمبراطورية الرومانية، وتاريخ ظهور الخرافات ضمن العالم النصراني، تلك المعرفة المطلوبة في ان يتحلى بها المقلِّد الناجح.

اذاً محمد ليس بمقلِّد ناجح للخرافات. فهو ليس فقط يحوِّل الخرافات إلى حقائق تاريخية، ولكنه يفشل في تقليد تلك الخرافات. وذلك بسبب جهل المصادر التي كان يعتمد عليها في تأليف آياته القرآنية. نحن ندعو القراء الكرام ان يتوقفوا عن التسليم من ان القرآن كلمة الله. ويفحصوا القرآن على ضوء التاريخ وعلم الميثولوجيا. فبناء بيت على الرمل سوف يؤدي إلى سقوط ذلك البيت. وبناء رجاء الحياة الأبدية المستقبلية على كتاب هذه خرافاته، هو ضياع أبدي وهلاك تام.

خمسة أصنام عربية وزمن نوح

يدّعي محمد في القرآن ان خمسة أصنام تنتمي لشبه الجزيرة العربية كانت موجودة زمن نوح

هناك من الأمور التي تكشف استثمار محمد العناصر المحلية في شبه الجزيرة العربية لكي ينسب لها القِدم، ويربطها في أسماء، سواء ذُكرت في الكتاب المقدس أو لم تُذكر، فالأصنام العربية لبعض القبائل في زمانه هي مثال من ذلك النهج. فمحمد يدّعي في سورة نوح، أي رقم 71، والآية 23 بان هناك أصناماً عربيةً كانت موجودة زمن نوح. وهذه الأصنام هي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر. فتقول الآيات 21-23:

"قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يَزِدهُ ماله وولده إلا خَسَارا. ومكروا مكرا كُباراً. وقالوا لاتَذَرُنَّ الهتكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعَا ولا يغوثَ ويعوقَ ونسرا".

لقد اختلق المسلمون خرافة من أجل ربط الخمسة أصنام عربية بعصر نوح

فبالرغم ان هذه الأصنام قد ظهرت عدة آلاف من السنين بعد عصر نوح، قد اختلق المسلمون خرافةً لكي يربطوا الأصنام بعصر نوح. وكان هشام ووالده محمد ابن الكلبي أول من سردوا هذه الخرافة، معتمدين جزئياً على ابن عباس ابن عم محمد. ونقدِّم هنا ملخّصاً لهذه الخرافة التي قصّها هشام ابن الكلبي، الذي بدوره قد بنى القصة مُعتمِداً على أقوال أبيه وابن عباس:

"أخبرني أبى قال: أول ما عُبِدت الأصنام أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أُهبط عليه آدم بأرض الهند. ويقال للجبل نوذ وهو أخصب جبل في الأرض."[548]

ويستمر ابن الكلبي قائلا حول هذه الأصنام، ناقلا كلمات أبيه:

"وأخبرني أبي قال: كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوماً صالحين ماتوا في شهرٍ. فجزع عليهم ذوو أقاربهم. فقال رجل من بني قابيل: يا قوم! هل لكم

أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً؟ قالوا: نعم! فنَحتَ لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها. فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظِّمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول. وعُمِلت على عهد يردى بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم. ثم جاء قرن آخر فعظّموهم أشد من تعظيم القرن الأول. ثم جاء من بعدهم القرن فقالوا: ما عظَّم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله. فعبدوهم. وعُظِم أمرُهم واشتد كفرُهم."

ويستمر هشام ابن الكلبي يسرد مستنداً على أقوال ابن عباس:

"ولم يزل أمرُهم يشتد فيما قال ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح ... فأمره الله أن يصنع الفلك ... فأهبَطَ ماء الطوفان هذه الأصنام من جبل نوذٍ إلى الأرض. وجعل الماء يشتد جريُه وعبابُه من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة. ثم نضب الماءُ وبقيت على الشط. فسفت الريح عليها حتى وارتها."[549]

ويسرد ابن الكلبي عن عمرو بن لحي:

"وكان عمرو بن لحى، وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن آمرئ القيس ابن مازن بن الأزد، وهو أبو خزاعة وأمه فهيرة بنت الحارث. ويقال إنها كانت بنت الحارث بن مضاض الجرهمي وكان كاهناً. وكان قد غلب على مكة وأخرج منها جرهماً وتولى سدانتها. وكان له رئي من الجن وكان يُكنى أبا ثمامة فقال له: عجِّلْ بالمسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة! قال: جير ولا إقامه.

قال: أيتِ ضفَّ (شط) جدة تجد فيها أصناما مُعدَّة، فأوردها تهامة. ولا تهاب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تُجاب. فأتى شطَّ جدة فاستثارها، ثم حملها حتى ورد تهامة. وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبةً."[550]

كيف بدأ التاريخ الإسلامي المزيف؟

لقد عُرف هشام ابن الكلبي كوالده محمد ابن الكلبي في خلق خرافات كالتي ذكرناها. ولقد حاولا ربط خرافاتهما بالتوراة وبأسماء من الكتاب المقدس. لقد أرادا ان يدعما القرآن من خلال خلق تاريخ جديد، مبني على أسماء من الكتاب المقدس وغيره. وهذا التزوير كان قد ابتدأه ابن عباس وعبيد ابن شَريه. لقد مات ابن عباس عام 69 هجري أي 689 ميلادي، بينما عبيد بن شريه قد مات عام 70 هجري، أي 690 ميلادي. ولقد تبنَى وهب بن منبه الذي مات عام 114 هجري، أي عام 734 ميلادي، خرافات عبيد بن شريه. وابن إسحاق الذي مات عام 153 هجري، أي 773 ميلادي، ومحمد ابن الكلبي الذي مات عام 146 هجري، أي عام 766 ميلادي، قد طوّرا هذا التاريخ المُزيف، وذلك من خلال إضافة سلالات جديدة وخرافات. وقد أضاف هشام ابن محمد ابن الكلبي المتوفي عام 206 هجري، أي 826 ميلادي، قصصاً أخرى قد سجّلها في كتبه.

لقد ابتدأ تاريخ تأليفهم لهذه الخرافات حوالي نهاية القرن السابع ميلادي، واستمروا عبر القرن الثامن والتاسع ميلادي. وهذه الخرافات لم يسبق لها ان وُجدت قبل ذلك الزمان، ولم تُوجد في أي وثيقة أو شعر عربي. ومع ذلك فهذا التاريخ المُزيف الذي كُتب من مزيّفين ودجالين، قد أصبح للمسلمين في وقت لاحق عبارة عن حقائق لا يجوز دحضها، قد وثّقوا بواسطتها بحسب ظنهم خرافات القرآن.

تحليل الخرافة التي اختلقها المحدثون المسلمون عن الأصنام وكيف وصلت إلى شبه الجزيرة العربية

في تحليلنا للسرد الذي ابتدعه كلٌّ من ابن عباس ومحمد وهشام ابن الكلبي حول عصر آدم، نرى كم هو شيء جالب للهزء ان المسلمين يصدقون ان هؤلاء الرجال يمكن ان يكون عندهم معلومات عن ادم ونسله لم يسبق ان قيلت من قبل. فرغم ان هؤلاء لم يدّعوا انهم أنبياء، ولكنهم قدّموا معلومات فقط نبي مثل موسى كان ممكن ان يعرفها. فأي سلطة أعطتهم هذه المعلومات؟

فسردهم خيالي لا يُحتمل. فقد بدئوا بقولهم ان آدم قد هبط من السماء ووضع قدميه على جبل في الهند. ويدّعي القرآن انه بعدما سقط آدم وحواء في العصيان، قد طُردا من جنة السماء وأُهبِطا على الأرض (راجع سورة طه أي رقم 20 والآيات 120-123). ولكن لماذا اختار ابن عباس الهند كالمكان الذي نزل عليه آدم آتيا من فردوس السماء. ذلك له علاقة في خرافة القرآن عن فور التنور الذي سبّب مجيء الطوفان على الأرض زمن نوح. فمحمد في القرآن قد ادّعى ان "التنور قد فار" زمن نوح – راجع سورة هود رقم 11 والآية 40

ولقد وضع ابن عباس هذا التنور في الهند[551]. لذلك ادّعى انه كل نسل آدم حتى نوح قد عاشوا في الهند؛ عاشوا حول الجبل الذي هبط عليه آدم، واستنتج بان عائلة نوح قد عاشت هناك.

تنور في الميثيولوجيا الرافدية صار في القرآن مُسبِّباً لطوفان نوح. وابن عباس قد حدَّد مكان التنور

ادّعى محمد في القرآن بان طوفان نوح قد حدث بسبب ان "التنور قد فار". هذه الفكرة الخرافية مُستمَدة من الميثولوجيا السومرية التي كانت تعلّم بانه كانت هناك مياه غير نقية تغلي باستمرار في "العالم السفلي"، ترتفع من حين إلى آخر لكي تغرق نهري الفرات ودجلة وما حولهما من أراضي، مُسبِّبةً خسارة في الزراعة. فهناك نقوش سومرية تقول بان مياه "العالم السفلي" تأتي من مكان اسمه Kur، تحل مكان مياه النهرين وتُسبِّب خرابَ الحبوب والزراعة[552]. وتقول الميثولوجيا السومرية بان الإله نينورتا Ninurta، إله ريح الجنوب العاصف وابن الإله السومري المشهور انليل Enlil، إله الفضاء، قد أوقف أو حبس تلك المياه السفلية من خلال وضعه كومة حجارة

في مكان مُحدَّد في بلاد ما بين النهرين[553]. وأصبح ذلك الرُجم من الحجارة بمثابة تنور، تغلي من تحته مياه العالم السفلي محاولةً ان تفيض وتغرق الأراضي. وأصبحت هذه الخرافة الرافدية الأصل هي التي من خلالها رأى سكان المنطقة سبب مجيء طوفان على الأرض، الأمر الذي اعتمد عليها القرآن في تفسير حدوث طوفان نوح، كما نرى في سورة هود (11) والآية 40:

"حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل من كل زوجين اثنين واهلك ..."

وكلمة "تنور" في العربية تعني الفرن الذي يقوم على حجارة. وفكرة التنور كسبب الطوفان قد انتشرت بين سكان شبه الجزيرة العربية زمن محمد. فمعظم المحدِّثين العرب، مثل الشعبي، قد حدَّد مكان التنور في الكوفة[554]، كذلك مجاهد[555]. وهي مدينة تقع في الأرض التي كانت ضمن المناطق السومرية، ممّا يؤكد أصل الخرافة العربية التي صارت في وقت لاحق في القرآن. وابن عباس يقول بان التنور الذي أغرق العالم كله زمن نوح موجودٌ في الهند[556]. وقد عبَّر ابن عباس عما قصد به محمد في القرآن بخصوص كلمة "تنور"؛ فنفهم من كلماته ان الطوفان زمن نوح قد جاء من خلال تنور حجارة قد فار، كان موجوداً في شرق منطقة بابل. ولكن ابن عباس قد وضعه في منطقة أبعد مما تضعه الميثولوجيا الأصلية التي انبثقت منها الخرافة. ومع ان سرد ابن عباس هو اقل دقة من سرد الشعبي ومجاهد، ولكنه يؤكِّد بان الخرافة الرافدية هي أصل الخرافة القرآنية من جهة تعليل حدوث طوفان نوح.

وحقيقة ان محمداً كان يتحدث عن تنور خاص كان معروفاً في زمانه كجزء من الميثولوجيا، هو ان التنور الذي فار زمن نوح بحسب الرواة المسلمين كان يُوصف بانه من حجارة[557]، مما يدل على انه مشتقٌ من تلك الخرافة السومرية التي تتحدث عن طمر المياه المعادية من خلال رجم حجارة. وتذكر كتب الإخباريين واللغويين المسلمين العرب القدامى، مثل الزبيدي وابن منظور والعيني وغيرهم، بان "التنور" كلمة أعجمية[558]. مما يدل على أنها أصل خرافة غير عربية، قد انتشرت في شبه الجزيرة العربية في وقت لاحق. ولا شك انه لها علاقة بالخرافة السومرية.

وفي رؤية السومريين المياه الطينية التي كانت تغرق الأراضي من حين إلى آخر، ظنّوا أنها مياه العالم السفلي المُعادية لهم، والتي كانت تُرى أنها قوات شيطانية مُحاربة. كانت المياه الطينية تحدث عندما كانت مياه دجلة والفرات تفيض، جارفةً معها تربة طينية من الجبال من المناطق الشمالية للعراق وتركيا. فأصبحت المياه الطينية عدوَ سكان ما بين النهرين، وظنّوها آتية من العالم السفلي.

هذه الأفكار السومرية الأصل قد تبنتها في وقت لاحق ديانات قامت في بلاد ما بين النهرين. ومن هذه الديانات نذكر ديانة المندائيين: فنقرأ في كتبهم المقدسة عن "ذاتيات النور" التي تنزل إلى العالم السفلي المؤلف من سبع أرضين. حيث تجلب تلك الذاتيات أمرَ ملك الأنوار للسكان الذين يعيشون في تلك الارضين. وفي كتابهم الرئيسي كنزا ربا، نقرأ عن منداداهي، واحد من أهم الذاتيات النورانية عندهم، انه يشهد عن رجوعه من

العالم السفلي، انه قد رأى "المياه السوداء تغلي وتحاول ان تفور إلى أعلى"[559] أي نحو سطح الأرض.

معضلة جلب الأصنام من الهند بواسطة مياه الطوفان إلى جدة

فكان على ابن الكلبي ان يجد طريقةً بها يجلب الأصنام العربية من الهند إلى جدة بالقرب من مكة. ولكننا نسأل كيف ان مياه الطوفان قد أتت بالأصنام الخمسة وطرحتها في منطقةٍ واحدةٍ على شاطئ جدة، بدل ان توزّعها في مناطق مختلفة من العالم؟ اعتقد بان هؤلاء المحدثين المسلمين قد استهانوا في ذكاء تابعيهم. واضح انه عندما ادّعى محمد بان الأصنام العربية الخمسة كانت موجودة زمن نوح، قد أجبرَ تابعيه على تأليف قصص خيالية وطفولية لدعم ادّعاءاته غير الدقيقة وغير التاريخية.

تفنيد ادّعاء المحدثين المسلمين من جهة جرهم

بحسب هؤلاء المحدثين المسلمين، قد جاء إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة. وأمه وجدت له زوجةً هناك "السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي"[560]. وادّعى ابن إسحاق ان اسم الزوجة هو رعلة[561]. ولكننا نعلم من الكتاب المقدس ان أمه وجدت له زوجةً من مصر أرض ميلادها.

ثم ان اسم مضاض الجرهمي لا يمكن إلصاقه في القرن العشرين قبل الميلاد. فهو من نهج الأسماء العربية التي من عصر هؤلاء المحدثين أنفسهم. فاللغة العربية لم تظهر قبل القرن العاشر قبل الميلاد. وكانت مختلفةً تماما عن لغة قريش التي هي لغة القرآن والتي انتشرت بعد الإسلام.

اضافة لذلك فقد خلق كل من ابن عباس وعبيد بن شريه وابن إسحاق، قصصاً عن قبيلة جرهم، مدّعين أنها كانت عائشة في مكة منذ القرن العشرين قبل الميلاد، أي منذ زمن ابراهيم. ولكننا نعلم بان مكة لم تُوجد قبل القرن الرابع ميلادي. فقد خرجت قبيلة خزاعة من اليمن قرنين قبل ذلك، ثم في وقت لاحق قد بنت مكة. لو كانت جرهم قد سيطرت على مكة منذ عصر ابراهيم، كما بدأ يدّعي المحدثون المسلمون خلال القرن الثامن والتاسع ميلادي، لوجدنا هناك موجودات أثرية عن جرهم، ربما أكثر من أي موجودات لقبيلة عاشت في شبه الجزيرة العربية. فالقبائل والممالك التي عاشت في اليمن وباقي شبه الجزيرة العربية، رغم ان البعض منها قد امتد إلى فترة وجيزة، ولكنها تركت آثاراً وافرةً عن تاريخها. ولكننا لا نجد أي أثر اركيولوجي لمكة أو لجرهم.

كذلك فان الكتّاب والجغرافيين الكلاسيكيين، أي اليونانيين والرومان، الذين زاروا غرب شبه الجزيرة العربية، بما فيه المنطقة التي بُنيت عليها مكة في وقت لاحق، قد ذكروا القرى الصغيرة في غرب شبه الجزيرة العربية، بما فيه المحطات البسيطة على الخط التجاري والقبائل، ولكنهم لم يذكروا قط مكة أو قبيلة جرهم.

وابن الكلبي-هشام بن محمد-ذهب أبعد من ذلك، مُدّعياً ان جرهم هو هدورام، المذكور في سفر التكوين، الاصحاح 10 والعدد 27، كابن ليقطان ابن عابر ابن ارفكشاد ابن سام[562]. هناك أولا اختلاف بين الكلمتين. ثم لا يوجد سند وثائقي سابق يخوّل ابن الكلبي ان يتحدس ويحدِّد هذا التحقيق. فلو كانت قبيلة جرهم قد انحدرت من هدورام الذي يبعد فقط أربعة أجيال عن نوح، ولو كانت قبيلة جرهم قد سيطرت على مكة وبقوا موجودين في اليمن وأجزاء من شبه الجزيرة العربية حتى طردوا من خزاعة كما يدّعي المحدثون المسلمون، لكانت جرهم قبيلة رئيسية في شبه الجزيرة العربية قد استمرت آلاف السنين. فلماذا لا يوجد أي آثار عن جرهم؟

من حيث انه لا يوجد تشابه بين جرهم وهدورام، نتعجب بالسهولة التي يربط بها ابن الكلبي وعبيد بن شريه، القصص التي يبتدعونها بسلالات مذكورة في العهد القديم. يبدو في البداية الأمر سهلا، ولكن من السهل رؤية التزييف.

جهل المحدثين المسلمين الأوائل في التسلسل التاريخي لدرجة أنهم وحّدوا عصر إسماعيل بالحوادث التي جرت في القرن الرابع ميلادي

كما رأينا سابقا بان هشام بن كلبي يقول بان عمرو بن لحي كان أب خزاعة. ويدّعي ان اسم أمه فهيرة ابنة الحارث بن مضاض الجرهمي. ويدّعي ابن الكلبي ان عمرو بن لحي قد احتلّ مكة وأخرج جرهم من المدينة وتولّى سدانة الكعبة. ففي حسابات ابن الكلبي يكون عمرو ابن لحي ابن ابنة مضاض الذي هو والد إسماعيل بحسب المحدثين المسلمين. إذا كان عمرو بن لحي هو رئيس قبيلة خزاعة، القبيلة التي سكنت مكة في القرن الرابع ميلادي، كيف يكون حفيداً لرجل كان والداً لزوجة إسماعيل الذي عاش في القرن العشرين قبل الميلاد؟ نحن نعلم بان خزاعة قد تركت اليمن بعد ان خرُبَ سد مأرب حوالي عام 150 ميلادي. ويؤيد المؤرخون المسلمون حقيقة ان خزاعة (الذين هم من بني عمرو بن مزيقياء) قد خرجت من اليمن بعد ان خرّب سيلُ العرم السدَ[563].

فمكة قد بُنيت في القرن الرابع ميلادي، وذلك على الخط التجاري بين اليمن والمتجه إلى سوريا وفلسطين. ان ادّعاء المحدثين المسلمين ان إسماعيل قد عاش في مكة لهو أمر منافي للعقل. سوف أناقش ذلك لاحقا بأكثر تفصيل.

المحدثون المسلمون قد جعلوا رئيس خزاعة ان يُحضِر العبادة الوثنية لشبه الجزيرة العربية، ذلك من اجل دعم خرافة ان شبه الجزيرة كانت تدين بديانة توحيد قد أسسها الاسماعيليون.

ادّعى المحدثون المسلمون بان عمرو ابن لحي، الذي كان رئيساً على خزاعة في مكة، كان قد أحضر عبادة الأصنام إلى شبه الجزيرة العربية. وقد ادّعوا ان قبل زمن عمرو ابن لحي كان كل العرب يتبعون ديانة توحيدية أسسها إسماعيل وذريته. وادّعوا ان عمرو بن لحي قد أحضر أصناماً من سوريا ونصبها في كعبة مكة. نحن نعلم ان قبيلة

خزاعة لم تسكن مدينة مكة قبل القرن الرابع ميلادي. وبذلك بحسب حسابات المحدثين المسلمين تكون الوثنية قد بدأت من عصر خزاعة في مكة، أي في القرن الرابع ميلادي.

نحن نعلم من خلال علم الآثار لشرق شبه الجزيرة العربية ان العبادة الصنمية الوثنية كانت قبل ذلك بكثير. فالعبادات الوثنية لأمم شرق شبه الجزيرة العربية معروفة منذ على الأقل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. بالنسبة لجنوب شبه الجزيرة العربية، خاصة السبئيين في اليمن، فكانوا يملكون أصناما وأسماء آلهة، ويتعبدون للشمس والقمر منذ أول نشأة مملكتهم، أي في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وما قبلها. وعلم الآثار يؤكِّد ان المعينيين في اليمن كانوا يعبدون عدد من الآلهة، وكانوا على درجة كبيرة من الوثنية. وهناك موجودات أثرية عن الآلهة والأصنام التي كانت تُعبد من ممالك ومدن شمال شبه الجزيرة العربية، التي البعض منها يعود للقرن الثامن قبل الميلاد.

فالادّعاء ان رئيس قبيلة خزاعة قد أحضر الوثنية لشبه الجزيرة العربية هو محاولة إسلامية فاشلة في نشرهم خرافة اخرى: وهو ان إسماعيل ونسله قد سيطروا على شبه الجزيرة العربية ونشروا تديناً توحيدياً فيها. فيدّعي ابن إسحاق ان الاسماعيليين قد ذهبوا من مكة إلى أجزاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية. وهذه كلمات ابن إسحاق:

> "فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد فلا يناوشون قوما إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم "[564].

نحن نعلم من الكتاب المقدس ان إسماعيل قد عاش في برية فاران في شمال شرقي سيناء. ونرى من سفر التكوين 25: 12-18 الذي كتبه موسى بالروح القدس في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ان الاسماعيليين كانوا ما زالوا في عصره موجودين في سيناء. وبعد القرن العاشر قبل الميلاد نرى بعض القبائل الإسماعيلية قد هاجرت إلى صحاري الهلال الخصيب بين سوريا والعراق والأردن وفلسطين، الأمر الذي نراه في الكتابات الأشورية والكلدانية. (راجع كتابيIslam in Light of History)، ولكن لا يوجد أي قبيلة إسماعيلية قد عاشت في مكة التي نعرف انها لم تُبنى قبل القرن الرابع ميلادي.

هل يحتمل الشيطان في ان ينتظر حتى القرن الرابع ميلادي لكي يكشف عن أصنام من زمن نوح؟

هناك أمر آخر حري بالانتباه: وهو الطريقة التي ادّعى ابن الكلبي كيف ان الأصنام قد كُشفت. فقد ادّعى ان مياه الطوفان قد جلبت الأصنام إلى شاطئ جدة، وان الرمل قد غطاها. وان شيطان جن قد أعلن عنها إلى عمرو بن لحي. من حيث ان الإسلام يعلّم بان الجن الشياطين موجودون على الأرض حتى قبل سقوط آدم في العصيان. كيف كان لهم ان يحتملوا بقاء هذه المعلومات عن الأصنام المدفونة عبر كل هذه آلاف من السنين؟ لماذا انتظرت الشياطين حتى سكنت خزاعة مكة في القرن الرابع ميلادي، لكي تكشف عن الأصنام وتنشر عبادتها بين الناس؟

الخمسة أصنام معروفة بأنها أصنام عربية بحتة، وإنها قد ظهرت في شبه الجزيرة العربية في أوقات مختلفة

لقد أخطأ محمد في اختيار هذه الأصنام ووضعها في زمن نوح، وذلك بسبب ان هذه الأصنام كما سوف نرى كانت أصنام حديثة؛ كل منها على الأغلب معبودٌ من قبيلة عربية واحدة.

الحقيقة هي ان هذه الأصنام العربية الخمسة كانت معروفة كآلهة عربية كانت قد ظهرت في أمكنة معينة وفي أوقات معينة. فلم تظهر كلها في زمن واحد. فهي أصنام عربية بحتة، تنتمي إلى أوقات مختلفة وأمم وقبائل مختلفة في تاريخ شبه الجزيرة العربية. هذا يعني ان عبادة هذه الأصنام لم تبدأ في عصر واحد، ولكن في عصور مختلفة. لو كانت أصنام تنتمي لعصر نوح، لكانت معروفة في مناطق كثيرة في العالم القديم أيضا، وليس فقط في منطقة معزولة من شبه الجزيرة العربية. ولكانت جميعها معروفةً في العربية منذ البداية. ولكن ما عدى ود، فالأصنام الأربعة الأخرى قد ظهرت حول العصر الميلادي، أو بعض القرون لاحقا. سوف أحلل المعلومات عن هذه الأصنام لأبين انها كانت أصناماً عربيةً، ولا يمكن نسبها إلى زمن نوح.

ود كإله القمر عند المعينيين

كان الصنم ود أصلا وثناً معينياً. ومعين كانت مملكةً يمنيةً قد ظهرت في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر قبل الميلاد. ولقد كان ود بين الآلهة التي عبدها المعينيون. وكان ود إله القمر عندهم[565].

كان للمعينيين مستعمرة تجارية في مدينة ديدان، التي كانت مدينة لحيانيه في شمال شبه الجزيرة العربية. وكان لمعيني ديدان هيكلا لعبادة ود.[566] وانتشار المستعمرات التجارية المعينية في شمال شبه الجزيرة العربية وسط اللحيانيين والثموديين، قد أعطى وداً مكانةً وسط الآلهة التي كانت ثمود تعبدها[567]. (لقد ظهرت قبيلة ثمود فقط ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد).

من الواضح ان وداً كان أصلا وثناً معينياً. لم يكن من الممكن ان يكون ود موجوداً زمن نوح، ذلك لان عبادة ود قد ولدت مع المعينيين، وقد انتشرت من خلال مستعمراتهم في مناطق محددة في شمال شبه الجزيرة العربية، وذلك بعد القرن الرابع قبل الميلاد. ولكن الحضارة القديمة لشرق العربية لم تعرف قط هذه العبادة.

وهناك أدلة على ان بعض العبادات العربية كانت أقدم من ود. فيقول ياقوت الحموي بان اللات التي كانت تمثِّل الشمس، هي في الحقيقة أقدم عهداً من ود[568]. فهذا التصريح من قبل ياقوت الحموي يؤكِّد بان صنم ود كان مجهولاً في شمال العربية قبل القرن الرابع قبل الميلاد. ومعروف ان اللات قد كانت قد ذُكرت من هيرودوتس المؤرخ اليوناني الذي كان قد كتب خلال القرن الخامس قبل الميلاد.

طالما الأمور هي على هذا الشكل. كيف سمع محمد عن ود؟ الجواب هو بسيط. لقد عبدت قبيلة كلب وداً، وكلب قبيلة من شمال العربية. قد ذكر الكتّاب العرب بان قبيلة قضاعة اليمنية، الذين كانوا أبناء عم لقريش، قد أحضروا تمثالاً لود إلى دومة الجندل – مدينة كانت في شمال شبه الجزيرة العربية. لقد كانت كلب فرعاً من قضاعة، وقد عبدت وداً. وبالنسبة لياقوت الحموي والبكري الأندلسي، كان لقريش صنما تحت اسم ود[569]. فقد كانت قريش حريصةً ان تعرض في الكعبة جميعَ الأصنام المعروفة لدى العرب، وذلك لكي تجذب أكبر عدد من العرب إلى مكة. لهذا السبب يرجع معرفة محمد بهذه الأصنام.

ودراسة تمحيصية لهذا الموضوع ترينا ان وداً عبارة أصلا عن معبود معيني. فقد كان اذاً صنماً لقبيلة عربية معروفة. وقد انتشرت عبادة ود إلى ديدان ربما بعد القرن الرابع قبل الميلاد. ثم انتشرت عبادته بين الثموديين. فلا يمكن نسب هذا الصنم لعصر نوح، الذي كان قرابة ستة آلاف سنة أو أكثر قبل المسيح.

الصنم سواع واطلاع محمد عليه

كان سواع معروفاً كصنم معبود من قبيلة هذيل[570]. وقبيلة هذيل قد انحدرت من هذيل مدركة، المُعتَبر من النسابة في جيل محمد كالجد الخامس عشر لمحمد[571].

لقد عُبد الصنم سواع من قبيلة هذيل، ونُصب في مكان يدعى رُهَاط في ينبوع بالقرب من المدينة[572]. الأمر الذي يفسّر لنا اطلاع محمد على هذا الصنم وجعله بين الأصنام المنسوبة لعصر نوح.

كان سواع عبارة عن حجر[573] بشكل امرأة[574]. ولكن معنى الكلمة في اللغة العربية له علاقة في الوقت أو الزمن، أي جزء من النهار أو الليل[575]. الأمر الذي يشير على ان العرب الذين عبدوه كانوا يعبدون الزمن. ولقد عُرف العرب قديماً في عبادتهم لليل والنهار. فلقد كان العرب يعتبرون الليل كإله ذكر قوي والنهار كإلهة أنثى. ذلك نرى له انعكاس في القرآن كما في سورة الزُمَر، أي رقم 39 والآية 5 "يكوِّر الليل على النهار"[3]. وفكرة ان الليل يتتبع النهار معبَّر عنها في سورة 36: 40، حيث نرى كلاً من

---

[3]- نرى القرآن يعبِّر عن الميثيولوجيا العربية حول الليل يطلب ان يصارع النهار . نرى ذلك معبَّر عنه في سورة 7 أي الاعراف والاية 54 :
"يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا" .
والبخاري الذي يحتوي احاديث محمد المؤكدة يشرح الاية السابقة "الليل والنهار يتطالبان حثيثا نسلخ نخرج احدهما من الاخر ونجري كل واحد منهما"(صحيح البخاري، 4، صفحة 75). وهي تعبير عن الميثيولوجيا التي تصوِّر بان الهة اعظم تفصل الليل عن العراك مع النهار لكي يظهر النهار على الارض. وفي سورة 39 أي الزمر والاية 5 يستخدم القرآن كلمة يكوّر لكي يعبِّر عن المصارعة بين الليل والنهار. ونرى معنى "يكوّر" في قاموس المنجد هو "صرعه –طعنه فألقاه مجتمعا "(كتاب المنجد صفحة 702). وهنا الاية في سورة الزمر التي استشهدت بها سابقا :

الشمس والقمر والليل والنهار تسبح في فلك. وقد فسّر محمد ذلك الفلك كما نرى في تاريخ الطبري انه بحر سماوي مرتفع الأمواج[4]. لا بد ان سواع كان كإله أنثوي جزءاً من النهار، وربما الفجر أو فترة طلوع الشمس.

يقول ياقوت الحموي عن سواع: "ولم أسمع لهذيل في أشعارها له بذكر إلا شعر رجل من اليمن"[576]. وعدم ذكر قبيلة هذيل إلههم الرئيسي في أشعارهم، هو أمر يدعو للتأمل. من حيث ان آلهة قبيلة في شبه الجزيرة العربية عادة تُذكر مرات كثيرة في إشعار القبيلة. فعدم ذكر سواع في أشعار هذيل هو دليل على ان ذلك الصنم ليس قديم العهد. وعلى الأرجح ان عبادته كانت قريبة من العصر الإسلامي حتى انه قد ذُكر فقط مرة واحدة. من المؤكَّد انه لم يكن صنماً من عهد نوح كما يدّعي مؤلف القرآن. وحقيقة ان قبيلة واحدة كانت تعبد الصنم في شبه الجزيرة العربية، يؤكِّد ان القبيلة كانت حديثة وعبادتها للصنم كانت أيضا حديثة.

"يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل". بمعنى ان "الله" يجعل الليل ان يصرع النهار ثم يعود يجعل النهار ان يصرع الليل. بمعنى آخر، الصراع بين الليل والنهار مُسبَّب من "الله" الذي جعله محمد يحل مكان الالهة التي تسبِّب الصراع بين النهار والليل من اجل حدوث النور او الظلام.

[4]- يحاول المسلمون أن يترجموا كلمة فَلَك باللغة الانكليزية بـ orbit أي مدار. في وقت لا يوجد كلمة مدار في أي من القواميس العربية القديمة. فكلمة فلك في معاجم اللغة القديمة هي أمواج البحر المضطرب. فنرى في قاموس البحر المحيط بأنّ الفلك تعني :[مَوْجُ البَحْرِ المُضْطَرِبُ، والماءُ الذي حَرَّكَتْهُ الريحُ] . (قاموس البحر المحيط للفيروز ابادي ، تحت فلك)
وفي لسان العرب لابن منظور، نقرأ:[الفَلَكُ هو الموج إذا ماج في البحر فاضطرب وجاء وذهب فشبَّه الفرس في اضطرابه بذلك، وإنما كانت عَيْناً أَصابته، قال: وهو الصحيح] .(ابن منظور، لسان العرب ، تحت فلك). وهذا المعنى ينسجم مع معنى البحر السماوي المضطرب كما جاء في الميثيولوجيا الفارسية والمندائية والمانوية.(انظر الجزء الاول من كتاب النجم الاكبر-الفصل الثالث). ومحمد قد اقتبس نفس الفكرة عن هذا البحر، كما نرى في حديث له في الطبري:
"وخلق الله بحراً ، فجرى دون السماء مقدار ثلاث فراسخ (أي قياس فارسي حوالي 24 ميل). وهو موج مكفوف قائم في الهواء بأمر الله ...وذلك البحر جار في سرعة السهم ثم انطلاقه في الهواء مستويا، كأنه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب. فتجري الشمس والقمر والخنس (خمسة كواكب) في لجة غمر ذلك البحر. فذلك قوله تعالى "كل في فلك يسبحون. والفلك دوران العجلة في لجة غمر ذلك البحر".
(تاريخ الطبري، الجزء الاول، صفحة 48 و 49). ونفهم من الزبيدي في تاج العروس أن الصباح في الميثيولوجيا العربية هو ابن للشمس. ويسمّي العرب الشمس ذُكاء ويسمون الصباح ابن ذُكاء. وهم يصوّرون الصباح أو النهار سابحا خلف أمه الشمس. (الزبيدي تارج العروس 10 : 137)

يغوث ويعوق

يغوث ويعوق كانا صنمين يملكان معانٍ ووظائف مُضادة. كان يغوث معبوداً من قبيلة مراد اليمنية. ولقد تحاربت مراد مع حارث حول من سوف يملك يغوث، وربحت حارث القتال بمساعدة همدان وهي قبيلة يمنية اخرى. وقد عُرفت المعركة بالرزم. ودارت في نفس السنة التي هزم بها محمد المكيين في معركة بدر[577].

وكان محمد في اطلاع على معركة الرزم. فقد سأل رجلاً من قبيلة مراد اسمه فروة:

"هل سائك ما لقي قومُك يوم الرزم يا فروة أو سرك"[578].

ذلك يكشف اطلاع محمد على يغوث.

كان يغوث ويعوق وثنين عربيين بتأثير من الثنوية الزرادشتية

كان يعوق معبوداً من قبيلة همدان اليمنية، أي نفس القبيلة التي حاربت من اجل يغوث. كان ليعوق ويغوث أمور مشتركة: فعبادتهما انحصرت في قبيلتين يمنيتين. وفي فترة ما قد امتلكت قبيلة همدان كلا الصنمين. وسوف نرى بان عبادة الصنمين كان تحت تأثير زرادشتي فارسي.

كان يغوث بشكل أسد ويعوق بشكل حصان[579]. وكلمة يغوث تعني "يغيث" بالمطر. وهذا المعنى مؤكّد من الكتّاب العرب مثل ياقوت الحموي والعيني[580]. فلقد اعتبر عابدو يغوث ان وثنهم يجلب لهم المطر، بعكس كلمة يعوق التي هي من يعيق. فياقوت الحموي قد تحدَّث عن يعوق بانه يوقف المطر[581]. الأمر الذي يُوحِي بان عبدة يعوق كانوا يوقِّرونه لكيلا يمنع مجيء الأمطار إليهم. ويؤكِّد ابن حيان والالوسي ان يغوث ويعوق هما إلاهان لهما وظائف متضادة في مجيء المطر ومنعه[582].

وفكرة الثنوية كما نراها في هاذين الصنمين هي فكرة أصلاً زرادشتية. فكان الزرادشتيون يعتقدون ان الحياة هي معركة مستمرة تدور بين قوات الصلاح وقوات الشر. والثنوية الزرادشتية معبَّرٌ عنها في كل مجال حيواني أو على مستوى كل عنصر من عناصر الكون. فمثلاً بالنسبة للزرادشتيين هناك حيوانات صالحة في مملكة اهورا مازدا –إلههم الرئيسي– وحيوانات شريرة تتبع اهريمان، إله الشر أو الظلام. وهناك نجوم صالحة تعمل مع الملائكة، ونجوم شريرة تعمل لصالح الشياطين.

ولقد وجدت الثنوية في الزرادشتية مجالاً لها في الظواهر الطبيعية، بشكل خاص من جهة المطر. فتستريا، رئيس النجوم في الزرادشتية، هو المسئول عن إنزال المطر من "البحر السماوي". ومن ناحية اخرى هناك الشيطانDaeva Apaosha الذي يعمل على إعاقة الأمطار واقفاً في المرصاد ضد تستريا. وهذا الشيطان هو كوكب شرير.

فينزل تستريا لكي يحارب Daeva Apaosha. كما نرى في سفر تير ياست Tir Yast الذي هو جزء من زندا أفستا:

"فيندفع هذا الكوكب الشيطاني ضد تستريا بشكل حصان اسود ممتطي سترة سوداء وبآذنين سوداوين وذيل اسود وله أطواق مرعبة"[583]

لا عجب إذا يعوق، الوثن العربي الذي يقاوم المطر، كان بشكل حصان. وعندما تستريا ينتصر على Daeva Apaosha، يُنزِل تستريا الأمطار على الأرض[584].

وهناك أمور أخرى تؤكِّد ان هذه العبادة الزرادشتية قد كانت الجذر الميثولوجي وراء العبادة العربية هذه. فيكشف كل من ابن منظور والزبيدي ان هناك اسماً لكوكب وهو "عيُّوق" له نفس معنى يعوق. وربما هو اسم آخر له:

"والعَيُّوقُ: كوكب أَحمر مضيء بِحِيالِ الثُّرَيّا Pleiades في ناحية الشَّمال ويطلع قبل الجوزاء، سمي بذلك لأَنه يَعُوق الدَّبَران عن لقاء الثُّرَيّا"[585].

وذلك مشتقٌ من الميثولوجيا الزردشتية في مقاومة الكواكب لبعض النجوم، كما رأينا ان الكوكب الشرير يقاوم النجم تستريا عندما يحاول تستريا ان يجلب المطر من السماء ومن البحر السماوي.

واضح اذاً ان العبادة العربية ليعوق ويغوث هي كانت تحت تأثير الفرس الزرادشتيين. ولقد عبد العرب الجنَ الشياطين بسبب خوفهم من بطشها وما تستطيع ان تأتي عليهم بالأذى. لذلك نستطيع ان نفهم كيف ان بعض القبائل العربية قد عبدت يعوق رغم انه كان يُرى منها كإله سلبي.

بالإمكان وضع تاريخ ليعوق ويغوث في آخر العصر الفارسي الساساني ولكن ليس في زمن نوح

والقبيلتان اللتان عبدتا يعوقا ويغوثا كانتا يمنيتين. اعتقد بان تلك العبادة بدأت في العصر الفارسي الساساني، الذي امتد من القرن الثالث حتى احتلال المسلمين لبلاد فارس في القرن السابع. وكان تأثير الفرس على اليمن في تلك الحقبة كبيراً جداً. نعلم بان الفرس في القرن السادس ميلادي قد احتلوا اليمن، ولكنهم كانوا موجودين في مناطق اخرى في جنوب وشرق العربية قبل ذلك التاريخ بكثير. لذلك فإننا نعتقد بان عبادة هاذين الصنمين كانت في نهاية العصر الفارسي الساساني.

ونستطيع ان نقول بان تلك العبادة دخلت اليمن حول القرن السادس ميلادي. وذلك مدعومٌ ليس فقط من حقيقة ان الفرس قد احتلوا اليمن في القرن السادس، ولكن أيضا لأنه لم يكن هناك إلا نسخة واحدة لصنم يغوث، وكان معمولاً من رصاص[586]. وكان هناك قبيلتان أو ثلاث قبائل يمنية تتنازع على امتلاكه[587]. ذلك يدل على انه قد مرّ وقت قصير لوجود تلك العبادة في اليمن، حتى انه لم يكن هناك غير تمثال واحد له.

يقول ياقوت الحموي مُستشهِداً بمحدثين عرب انه لم يُسمع قط ان أحداً في شبه الجزيرة العربية قد سمّى ابنه على اسم يعوق، أو سمّى أحد أولاده "عبد يعوق"، وذلك بخلاف عادة العرب في تسمية أبنائهم نسبة لآلهتهم التي كانوا يعبدونها. ويستمر ياقوت قائلا انه لم يُسمع أبدا شعراً يذكر اسم يعوق[588]. هذه المعطيات تدل على ان يعوقاً لم يكن وثناً عربياً قديمَ العهد. من المؤكَّد إننا لا نستطيع ان نضع يعوقاً ويغوثاً في عصر نوح كما ادّعى محمد في القرآن.

نسر كمعبود عربي

لقد وُجد نسر بين المعبودات اللحيانيه في شمال شبه الجزيرة العربية. ولا بد ان أصله وثنٌ لشمال العربية، حيث انه قد ذُكر من المصادر السريانية كوثن عربي، خاصة في الكتابة السريانية Doctrine of Addai التي تعود للقرن الرابع ميلادي. حيث انه قد ذُكر كـ "نشرا"، وهي الصيغة الآرامية لنسر[589]. وهو مذكور ايضا في المصادر العبرية كوثن عربي. فقد ذكر التلمود ان "نشرا"، كلمة تعني ايضا نسر في العبرانية، هو وثن عربي[590]. ومن حيث ان اللحيانيين قد ظهروا لأول مرة في القرن الرابع قبل الميلاد في شمال شبه الجزيرة العربية، فلا نستطيع ان نعطي تاريخاً لنسر يسبق القرن الثالث قبل الميلاد.

وفي وقت لاحق انتقلت عبادة نسر إلى الحميريين في اليمن. ويقول كل من ابن منظور والأصفهاني بان نسرا يرمز إلى كوكب[591]. ولقد ظهرت مملكة حمير عام 115 قبل الميلاد[592]. وكان الصنم نسر موضوعاً في بلخع في ارض سبا[593]. ومن حيث ان حمير قد احتلت سبا عام 275 ميلادي، فإننا نقدِّر بان عبادة الحميريين لنسر قد بدأت بعد هذا التاريخ. ويتفق الكتّاب العرب على ان ذا الكلاع كانت القبيلة الحميرية الوحيدة التي عبدت نسراً[594].

ويقول ياقوت الحموي انه لم يسمع ان أحداً من حمير قد سمّى باسمه أو انه ذُكر في أشعارها[595]. مما يدل على انه صنمٌ حديث العهد بالنسبة للحميريين، قد انتقل من شمال شبه الجزيرة العربية من منطقة مُحدَّدة جدا، وهي المنطقة التي في السابق قد سادها اللحيانيون، الذين عبدوا نسراً لأول مرة. فلو عُرِف نسر كإله عربي لغير اللحيانيين ولزمن سابق لظهورهم في القرن الرابع قبل الميلاد، لكان له انتشار قديم في كل أجزاء شبه الجزيرة العربية، ولكان موجوداً بين الآلهة المعبودة من ممالك قد ظهرت قبل اللحيانيين، مثل السبئيين والمعينيين، الذين ظهروا في القرن الحادي عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد كأبعد تاريخ. ولكان موجوداً بين آلهة ممالك شرق العربية التي تعود للألف الرابع قبل الميلاد أو أكثر. مثل مملكة دلمون في البحرين ومجان في عُمان، وهي الأقرب لعصر نوح. لذلك كان بالأولى لهذه الممالك القديمة ان تحوي الأصنام التي كانت موجودة في عصر نوح من العصر اللحياني أو العصر الحميري المتأخر.

لماذا نسب الأصنام العربية الخمسة لزمن نوح هو أمر غير تاريخي

ان الأصنام الخمسة المذكورة في القرآن والمنسوبة لعصر نوح، لا يمكن ان تكون أصلاً أشخاصاً، كما ادّعى المحدثون المسلمون أنهم كانوا أشخاصا، ثم بعد ما ماتوا قد وُقِّروا من الناس قبل عصر نوح، ثم صاروا يُعبدون. فقط ود كان على شكل رجل، وكان أصلا وثناً معينياً كإله القمر. وسواع كان حجراً على شكل امرأة. وهو كصنم أنثوي كان يرمز إلى زمن، وهو الصباح الباكر أو الفجر (كما سبق وقلنا ان العرب كانوا يظنون بان النهار هو إلهة أنثوية). ويغوث كان بشكل أسد، وكان يمثّل نجماً قد عبدته قبيلةٌ عربيةٌ، واعتبرته كإله يأتي لها بالمطر. ويعوق كان بشكل حصان، ورأينا انه كان كوكباً يعترض حركة النجوم التي كانت بنظرهم تأتي بالمطر. ونسر كان على الأغلب يمثِّل كوكباً.

كان لهذه الأصنام أسماء عربية. ونحن نعلم ان اللغة العربية قد ظهرت فقط في القرن العاشر قبل الميلاد. فكيف يمكن نسب تلك الأصنام لعصر نوح ؟!. ويقول القرطبي:

"إنها للعرب لم يعبدها غيرُهم". [596]

ويقر الكتّاب المسلمون مثل البغدادي بان شبه الجزيرة العربية قديما لم يكن بها هذه الأصنام[597]. أي انها أصنام حديثة. ولكن البعض منهم اختلق خرافةً ان الطوفان قد جلب هذه الأصنام من الهند إلى شاطئ جدة، وان الرمال قد غطتها، إلى ان الجن قد أمر عمرو بن لحي (قائد خزاعة التي بنت مكة في القرن الرابع م.) أن يستعيدها من تحت الرمال. وفي وقت لاحق قد عبدها العرب[598]. ولقد رأينا ان يعوقاً ونسراً لم يُذكرا في الأشعار، وان لا أحد قد سمّى ابنه على اسميهما. وقبيلة هذيل التي عبدت سواع، لم تذكر سواعا إلا في قصيدة تعود إلى فرد في اليمن، كذلك لم يسمّوا أحداً من أبنائهم على اسم سواع. فهذه لا شك مؤشرات لكون هذه الأصنام قد ظهرت ضمن عدد صغير من القبائل العربية وفي مرحلة قريبة من الإسلام.

ويعترف ياقوت الحموي بان العرب لم يكونوا يعتبرون الأصنام الخمس التي ذكرها القرآن مثلما كانوا يعتبرون العزى واللات ومناة[599]. اعتقد ان ذلك كان بسبب انها أصنام لقبائل قليلة في شبه الجزيرة العربية، وان كلَّ صنم كان معبوداً من قبيلة واحدة. وهناك أمر آخر يجب أخذه بالاعتبار: وهو انها لم تكن آلهة عربية قديمة كما كانت العزى واللات ومناة. فياقوت الذي هو مسلم الذي عليه ان يؤمن بان الأصنام قد أتت من عصر نوح، في نفس الوقت يعترف بان اللات هي أقدم من صنم ود[600].

خلو محمد من أي ثقافة تاريخية جعله غير مؤهَّل ان يبتدع هيكلية تاريخية لادّعاءاته في القرآن

كان بإمكان محمد ان يختار آلهةً عربيةً أكثر قِدماً من تلك الخمسة التي نسبها لعصر نوح. فهناك أسماء سامية لآلهة قديمة مثل "عم" و"إيل"، تعود إلى 4500 سنة قبل الميلاد[601]، فكان بالأولى ان تكون على عهد نوح، بدل الآلهة العربية المتأخرة التي جعلها القرآن على عهد نوح. فلم يكن محمد يمتلك ثقافةً تاريخيةً كافية لكي تجعله ان يختار مثل تلك الآلهة. ولكنه قد اختار بدلا منها آلهة حديثة جدا.

وفي إحدى حلقات الدين والتاريخ، التي أنا ضيف دائم فيها، والتي تُذاع على قناة الحياة، وكنت أناقش موضوع ادعاء محمد بالنسبة لأصنام نوح، اشترك معي صديقي البروفسور Averbeck أفرباك، والمختص في اللغات القديمة منها السامية والسومرية، فقد عمل دراسة عن العبادات القديمة التي تعود لآلاف السنين قبل المسيح، ولم يجد بين تلك العبادات ما يقارب أي اسم من الأصنام الخمسة.

لقد كان محمد خالياً من المعرفة في تاريخ العبادات السامية والعبادات داخل شبه الجزيرة العربية. ولم يكن قادراً ان يبتدع تاريخاً منطقياً أو هيكلاً تاريخياً يضع ادعاءاته فيه. ولقد كان في الحقيقة يخاطب مستمعين بسطاء وسذج، قد عاشوا في عصر وفي منطقة لم يكن التاريخ ذا أهمية للناس. ذلك جعل من حوله جماعات لا تشكك في ادعاءاته، إلا المثقفين الذين عاشوا في مكة. فهل المسلمون اليوم سوف يستمرون يثقوا بالقرآن؟ خاصة في هذا العصر الذي به البحث والمعرفة صارت مزدهرة وواسعة، وصار من السهل التحقق من زيف ادعاءاته.

هلاك شعب تبع الحميري

ادّعاء القرآن في انقراض شعوب قديمة مختلفة بما فيه شعب تبّع أي الحميريين. مع ان الحميريين قد استمروا حتى زمن قريب من محمد

نسبة لسورة الدخان أي 44، نرى القرآن مُدَّعِياً ان شعب تبع قد هلك مع شعوب اخرى. فتقول سورة الدخان والآية 37:

"أهُم خير أم قوم تُبَّع والذين قبلهم أهلكناهم. إنهم كانوا مجرمين".

ولكن لم يهلك الحميريون زمن تبع. وهذا واحد من أخطاء تاريخيةٍ جسيمةٍ نجدها في القرآن.

وفي سورة ق والآيات 12-14، يذكر القرآن بعض الشعوب وأسماء أنبيائهم، مُصنِّفاً كل شعب نسبة للنبي الذي أُرسل إليه. فيقول القرآن بان "كل كذَّب الرسل" بما فيه شعب تُبَّع. الأمر الذي يدل على ان القرآن قد اعتبر تبعاً كنبي لشعبه، أي الحميريين في اليمن. ونريد ان نقارن بين ادعاءات القرآن والتاريخ. هل تبع هذا قد اعتبره الحميريون انه نبي؟ وهل هلك شعبه بسبب عدم طاعتهم لرسالته؟

هوية تبع

يتفق الباحثون المسلمون على ان تبع المقصود في القرآن هو أبو كرب أسعد:

"قال الكلبي هو أبو كرب أسعد، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم. ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي[602] "

ويقول ابن منظور:

"هو ملك في الزمان الأَول اسْمه أَسْعَدُ أَبو كَرِب، وقيل: كان مَلِكُ اليمنِ لا يسمى تُبَّعاً حتى يَمْلِكَ حَضْرَمَوْتَ وسَبأ وحِمْيَرَ"[603]

واضح من كلام ابن منظور ان اسم تبع كان لقباً لأسعد أبو كرب. ورغم ان آخرين من الحميريين الذين ملكوا حضرموت وسبأ وحمير صار لهم لقب تبع، ولكن يبدو بسبب ان اسعد أبو كرب كان الاول على توسيع نفوذه خارج اليمن، قد صار هو تبع عندما لا يكون تخصيص لاسم تبع آخر. ويقول الزبيدي:

"اسمه أسعد أبو كرب. وقال الليث: التبابعة في حمير، كالأكاسرة في الفرس، والقياصرة في الروم، ولا يسمى به إلا إذا كانت دانت له حمير وحضرموت، وزاد غيره: وسبأ، وإذا لم تدن له هاتان لم يسم تبعا"[604]

ولذلك نرى بان الكتّاب المسلمين، مثل البكري الأندلسي والالوسي، يسمّونه بـ"تبع الأكبر"[605]. ويقول الالوسي:

"قوم تبع" هو تبع الأكبر الحميري واسمه أسعد بهمزة، وفي بعض الكتب سعد بدونها. وكنيته أبو كرب، وكان رجلا صالحا[606]

وتحقيق تبع الذي ذكره محمد بأسعد أبو كرب واضحٌ أيضا من خلال أحاديث محمد. يقول القرطبي:

"وذكر الواقدي: حدثنا معمر عن همام بن نبه سمع أبا هريرة يقول: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب أسعد الحميري، وهو تبع، وهو أول من كسا البيت"[607].

وايضا يقول محمد عن تبع الذي كسى الكعبة بانه اسعد الحميري:

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تسبوا أسعد الحميري فإنه أول من كسى الكعبة[608].

ويقول ابن كثير عن تبع المذكور في القرآن:

"وتبع هذا هو تبع الأوسط، واسمه أسعد أبو كريب بن ملكيكرب اليماني. ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستاً وعشرين سنة، ولم يكن في حمير أطول مدة منه، وتوفي قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من سبعمائة سنة"[609]

اذاً بالنسبة لهوية تبع القرآن فقد أجمع الباحثون المسلمون على انه اسعد أبو كرب. رغم أنهم قد كانوا يجهلون متى حكم وكم حكم. فمعروف انه حكم بين 410-435 ميلادي.

تخبُّط المحدثين المسلمين من جهة نسب تبع

تخبُّط ابن الكلبي من جهة نسب تبع والحميريين

يدّعي هشام ابن الكلبي بان بعد بلقيس قد مَلَك إنسان يعطي اسمه ياسر عمرو بن يعفر. نلاحظ بان ابن الكلبي قد اشتق اسم يعفر من اسم ابن اسعد أبو كرب، وهو

شرحبيل اليعفر Sharahbil Ya‘afur، واشتق اسم ياسر من اسم ملك آخر لحمير هو ياسر يهنعم الثاني، الذي حكم بين عامي 300-310. فكوّن ابن الكلبي من الاسمين اسماً لملك جعله يصل المغرب. وادّعى انه كتب اسمه "الحميري"، مما يكشف جهل الكلبي في تاريخ الحميريين، إذ انهم لم يظهروا سوى ابتداء من عام 115 قبل الميلاد. ثم يضع بعده انه ملك تبع تبان اسعد أبو كرب، واضعاً إياه في القرن العاشر قبل الميلاد. مع ان تبع قد ظهر فقط في القرن الخامس ميلادي. وهذه كلمات ابن الكلبي:

"عن هشام بن محمد الكلبي أن المُلك باليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر، الذي كان يقال له ياسر أنعم. قال وإنما سمّوه ياسر أنعم لإنعامه عليهم بما قوّى من مُلكهم وجمع من أمرهم. قال فزعم أهل اليمن أنه سار غازيا نحو المغرب، حتى بلغ واديا يقال له وادي الرمل، ولم يبلغه أحد قبله. فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازا لكثرة الرمل. فبينما هو مقيم عليه، إذ انكشف الرمل، فأمر رجلا من أهل بيته يقال له عمرو أن يعبر هو وأصحابه، فعبروا فلم يراجعوا. فلما رأى ذلك أمر بصنم نحاس فصُنع. ثم نصب على صخرة على شفير الوادي وكتب في صدره بالمسند: هذا الصنم لياسر أنعم الحميري وليس وراءه مذهب فلا يتكلفن ذلك أحد فيعطب. قال ثم ملك من بعده تبع وهو تبان أسعد وهو أبو كرب"[610].

ان مثل هذه الاقوال وغيرها تدل على ان المحدثين المسلمين الأوائل قد حاولوا ان يؤلفوا تاريخاً لتبع المذكور في القرآن، وان يستفيدوا من بعض أسماء الملوك المشهورين، من اجل خلق أسماء ملوك وخلق تاريخ جديد. ولكن كانت أفكارهم مناهضةً للتاريخ الرسمي للحميريين، كما نعرفه من كتابات المسند وباقي الموجودات الأثرية. فعدم قدرتهم اكتشاف خطأ محمد الجسيم هذا، كان بسبب جهلهم في تاريخ الحميريين القريب منهم زمنياً. إذ كان أبو كرب أسعد يبعد عنهم اقل من مائتي سنة. فهو قد حكم من 410-435 ميلادي. ولكنهم ظنّوه يعيش في عصر بعيد جدا. وعندما تظن بان شعباً يعيش بعيداً جداً في عصور غابرة، فإنك ان كنت تجهل التاريخ، قد تقبل فكرة ان ذلك الشعب قد هلك وأبيد في ذلك العصر البعيد. والجهل في التاريخ هو وراء قبول المحدّثين في الماضي لادعاءات القرآن، وقبول المسلمين في وقتنا الحاضر أيضا للقرآن.

الادّعاء بانه قد احتل آسيا بما فيه الهند والصين

بعض المحدّثين المسلمين، مثل ابن أثير، يدّعي بان أبو كرب قد وصل بحملاته العسكرية الصين والهند[611]. وكتّاب مسلمون، مثل الطبري، يدّعون ان أبو كرب اسعد قد سار بالجيوش حتى الحيرة. ثم أتى سمرقند فهدمها. وذُكر لنا أنه كان إذا كَتَبَ، كَتَب باسم الذي تسمّى وملك برّا وبحرا وصحا وريحا[612].

فلكي يصل أبو كرب اسعد إلى سمرقند والهند والصين، عليه أولا ان ينتصر على المملكة الفارسية، التي كانت تسيطر على العراق وبلاد فارس ومناطق في آسيا حتى جزء من الهند. ولكننا لا نجد أبداً ان الحميريين قد كسروا الإمبراطورية الفارسية. ولا

نجد ان أحداً من ملوك الحميريين في التاريخ قد خرج حكمه عن مناطق في شبه الجزيرة العربية.

هل فعلا قد صار اسعد أبو كرب يهودياً مع شعبه

يقول الطبري عن اسعد أبو كرب انه احتل المدينة-يثرب، وأخذ حبرين من يهود بني قريظة. وتركا تأثيراً عليه، وأخذهما إلى اليمن واتبعهما على دينهما[613]. ويكرِّر ابن كثير نفس القصة[614]. ويذكر الطبري قصةَ تحاكم تبَّع مع شعبه اليمني بواسطة نار تأكل الظالم ولا تضر المظلوم. فحكمت النار لصالح تبَّع وصديقيه اليهوديين، وأكلت النار أصنام اليمن، من هنا صفَّق الناس وصاروا يهوداً[615]. مثل هذه الفكرة أصلها اليهود المعاصرين لمحمد، مثل عبد الله بن سلام الذي أسلم[616].

ونحن نعرف ان هذه الفكرة مُقتبسةٌ من سفر دانيال، حيث رفض الثلاثة فتية أصدقاء دانيال ان يعبدوا التمثال الذي نصبه نبوخذنصر لنفسه. فأمر نبوخذنصر في طرحهم في أتون النار المتقدة. ولكن النار لم تضرهم. فعندما تيقَّن نبوخذنصر من ذلك، أمر بإخراجهم وطرح الذين اشتكوا عليهم بالنار. عندها أكلت النار المشتكين عليهم. واضح نقل عبد الله بن سلام وغيره من يهود المدينة خرافة تبع والتحكيم من خلال النار من قصة دانيال هذه.

وهذه لا شك خرافة بعكس الحقيقة التاريخية عن صيرورة اليمن يهودية بسبب ان ملك اليمن يوسف ذو نواس قد تهوّد. ولكن الخرافة تدلنا لماذا اعتبر القرآن ان تُبَّع نبي، ذلك مبنيٌ على خرافات غير تاريخية مثل هذه، كانت قد انتشرت بين يهود المدينة، وليس لها علاقة بالتاريخ. ولذلك فأقوال تبَّع عن غروب الشمس في نبع طين حمئة- والمبنية على خرافات المنتحل لكلستنيس- صارت وحياً قانونياً، تدخل في أشعار وأقوال الذين ادّعوا بالنبوة، مثل أمية بن الصلت، وتُسجَّل أقواله بالقرآن.

ونرى أيضا بان ابن إسحاق وغيره من المحدثين المسلمين قد تبنّوا نفس الخرافة[617]. فكيف يمكن اعتبار ابن إسحاق وعبد الله بن سلام مرجعين لأمور تاريخية مثل هذه، بدون مراجع ووثائق تاريخية؟!.

ولقد احتل أبو كرب أسعد يثرب، أي المدينة، من حيث هي سابقة لمكة في البناء وفي التاريخ . ثم بعد ذلك خرج إلى مكة[618].

مكانة تبع في جيل محمد وما بعده

قد خلق بعض اليمنيين قصصاً عن تبع. فمثلا نرى شاعراً يمنياً، وهو يزيد بن ربيعة بن مفرغ، الذي توفي عام 69 هجرية، انه قد وضع قصصاً عن تبع[619]. ويذكر ابن منظور شعراً يمدح داود وتبع، في عمل اشياء[620]. نرى ان عزي النبوة لفرد بالنسبة للجاهليين معناه انه يُسخَّر له قدرات لعمل أمور فنية أو يُسخر له الحديد، كما ادّعى

القرآن في تسخير الحديد لداود. فهذه الأفكار الخرافية الجاهلية عن تُبع انه نبي كان لها تأثير على محمد والقرآن.

هل كان تبع نبياً بنظر محمد؟

كان محمد في بعض أحاديثه مُتردِّداً في اعتبار تبع نبي، كما نرى من حديثه:

"لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي"[621]

وايضا:

"عن أبي هريرة قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أدري تبع أنبيا كان أم لا. وما أدري ذا القرنين أنبيا كان أم لا "[622].

فهو بنظر محمد قائد مسلم كما كان ذو القرنين قائداً مسلماً يعمل حروبه باسم الله. ولكن محمداً لا يعرف ان كان تبع نبياً أم لا. ولا شك بان محمداً كان تحت تأثير الخرافات الجاهلية عن تبع، انه قائدٌ تقيٌ قد احتل مناطق في آسيا ووصل أيضا إلى شمال إفريقيا، وكان يحارب باسم "الله"، الفكرة الخاطئة التي نقلها المنتحل لكلسثنيس عن الاسكندر المقدوني. وفكرة محمد عن انه لا يدري ان كان تبع نبياً أم لا، جعلت المسلمين في حيرة أيضا من جهة ذي القرنين، بحيث البعض يظن انه نبي، والبعض انه قائدٌ مسلم تقي. (ولكن محمداً قد عاد وجعل تبعاً في القرآن كنبي، كما سوف نرى لاحقا). والحقيقة اننا لا نجد تعبير "إسلام" بين كتابات المسند. وهو تعبير قد استخدمه الصابئيون المندائيون، واستخدمه أشخاص ادّعوا النبوة قبل محمد، مثل أمية بن أبي الصلت. والأشعار التي تُري تبع كمسلم إنما هي قد أُدخلت في العصر الإسلامي.

تبع كنبي في القرآن

نقرأ في سورة ق (رقم 50): 12-15:

"كذَّبَتْ قَبْلَهُم قومُ نوح وأصحاب الرِّسَ وثمودُ، وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لوط، وأصحابُ الأيْكَةِ وقومُ تُبَّع. كلٌ كذَّبَ الرسلَ فَحَقَّ وَعِيد".

نجد ان قوم تبع موضوعون بين أقدم الشعوب. وهؤلاء الشعوب بحسب القرآن هم: ثمود وعاد اللذان بحسب القرآن من القرن الثاني والثالث بعد عصر نوح. ثم شعب فرعون زمن موسى، ثم شعب لوط، وأصحاب الأيكة الذين هم بحسب القرآن المديانيون. ونرى قوم تبع موضوعين رأساً بعدهم. مما يوحي بان محمداً صار يرى تبعاً كنبي، وانه عاش في زمن بعيد حتى ان بعض مفسري القرآن يجعله قد عاش 1000 سنة على الأقل قبل محمد. وهنا نرى أخطاء القرآن من جهة وضع تبع في عصر قديم، مع انه حكم في الثلث الاول من القرن الخامس ميلادي. ثم ان القرآن قد وضع شعبه انه قد دين، مع انه لم يحدث ذلك ولم يهلك كما يدّعي القرآن.

ونلاحظ بان القرآن يسمِّي كلَّ شعبٍ باسم نبيه: مثلا قوم نوح وإخوان لوط. ويسمي الشعب الحميري بـ "قوم تبع"، مما يشير على اعتباره نبي. ثم يقول "كل كذَّب الرسل". أي ان قوم نوح قد كذّبوا نوحاً، وثمود كذبوا نبيهم، وعاد أيضا، وقوم تبع كذّبوا تبعاً. فواضح ان القرآن عنى بان تبعاً كان نبياً مُرسَلا لشعبه، على رتبة الأنبياء الذين ادّعى محمد انهم أنبياء لشعوب عربية وغير عربية، مثل صالح لثمود وهود لعاد وشعيب لمديان ولوط لسدوم وعمورة. ذلك مع ان أحاديث محمد هي اقل جزم من كلماته في القرآن عن تبع كنبي.

يشرح ابن كثير كيف أسلم شعب تبع على يديه، ثم ارتدوا لعبادة الأصنام، وكيف دانهم الله بحسب الآية القرآنية. مما يدل على اعتباره كنبي من مفسري القرآن. فيقول ابن كثير:

"فإن تبعاً هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه. ثم لما توفي عادوا بعده إلى عبادة النيران والأصنام. فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبأ"[623].

ويقول الالوسي في تفسيره المعروف بـ "روح المعاني":

"وقوم تبع الحميري، وكان مؤمناً وقومه كفرة. ولذا لم يُذَّم هو وذُمَّ قومه ... فمعنى تكذيب قومه الرسل عليهم السلام تكذيبهم بما قيل من الرسل المجتمعين على التوحيد والبعث وإلى ذلك كان يدعوهم تبع"[624].

وهي فكرة ان تبعاً كان نبياً يدعو قومه للتوحيد والبعث.

اليمنيون وادعائهم انهم من نسل يقطان، وخلقهم أنبياء من اليمن مثل تبع

كما سبق وقلنا بان تبع قد اعتُبر كنبي من بعض المجموعات في زمن محمد. وقد تُبنيت هذه الفكرة من مجموعات يمنية في العصر الإسلامي.

وهناك أسباب جعلت اليمنيين ان يخلقوا من تبع نبياً، خاصة بعد العصر الإسلامي، وهو منافسة أهل الحجاز، الذين في وقت متأخر ادّعوا انهم عدنانيون من نسل إسماعيل. مع ان فكرة عدنان كمنحدر من إسماعيل هي خرافة، إذ لم يصل الاسماعيليون إلى منطقة مكة، كما نعرف من المنقوشات الأشورية ومن الكتاب المقدس. كذلك لا يوجد ذِكر لعدنان في المنقوشات العربية، أو حتى في الشعر الجاهلي قبل الإسلام. وقد ادّعى أهل اليمن انهم من نسل قحطان الذي حققوه بيقطان المذكور في سفر التكوين. مع ان يقطان لم يصل نسله إلى اليمن، ولكن إلى شرق الجزيرة العربية.

لقد ادّعى الرواة المسلمون ان قحطان هو يقطان المذكور في سفر التكوين كابن عابر ابن شالح ابن ارفكشاد ابن سام. رغم انه هناك اختلاف باللغة العربية بين يقطان وقحطان. فمن أين اتى الرواة باسم قحطان؟

عندما نطالع مصادر الاركيولوجيا نجد ان هناك قبيلة صغيرة كانت تابعة لقبيلة كندا وهي قبيلة قحطن. وأول ذكر لكندا وقحطن يأتي من القرن الثالث ميلادي. فقد وُجد في نص رقم 635 مشروح من عالم الآثار Jamme الخبير بالكتابات الجنوبية، والنص منقوش على حجر، ومُصنف النص من Jamme بالعبارة:

635-Brownish sandstone-MaMB 270

يتحدث النص عن حرب ملك سبا وريدان Raydan ضد عدة قبائل وإخضاعه لها. منها إخضاعه الملك ربيعت Rabi'at ملك كندا وقحطن[625]. وبحسب Kitchen العالم المختص في تاريخ وكتابات الشرق الأوسط بما فيه جنوب العربية، ربيعت هذا كان أول ملك لكندا واسمه Rabi'a Dhu-Al-Thawr، أي ربيعة ذو الثور، وقد حكم بين عام 210-230 ميلادي[626]. ونستدل من Kitchen انه في تلك الفترة، أي حوالي عام 210 ميلادي، كان أول ظهور لكندا وقحطن.

ولا شك ان قبيلة قحطن ليست هي اليقطانيين، الذين انتشروا في شرقي العربية وبعض أجزاء من شرق جنوبها. فقحطن تختلف في اللفظ عن يقطان أو اليقطانيين. وهي كقبيلة صغيرة تابعة إلى كندا لا يمكن ان تمثّل اليقطانيين الذين كانوا أمما كبيرة. كذلك فان ظهور قبيلة قحطن كان فقط في القرن الثالث ميلادي هو بخلاف انتشار نسل يقطان منذ عدة آلاف من السنين قبل الميلاد.

وفي رغبة الرواة المسلمون ان يجعلوا يقطان قد عاش في اليمن، كانوا قد فتشوا على اسم قريب من يقطان. وقبيلة كندا بقيت حتى مطلع القرن السادس ميلادي. فانتهاء ملك كندا على يد سبا كان عام 290 ميلادي. ولكن عادت مملكة كندا بعد انتهاء مملكة سبا، وآخر ملك حكم كندا وقحطن هو الحارث بن عمر Al-Harith bin' Amr الذي حكم عام 500- 528[627]. فظنّ الرواة المسلمون بان قبيلة قحطن القريبة من عصرهم هي قبيلة يقطان. وظنّوا ان مكانها هي سبا. مع ان كندا كانت خارج عن ارض سبا وحمير. ونسبة لقبيلة قحطن، صار الرواة يسمون يقطان بـ "يقطن"[628]، تيمناً بالقبيلة العربية المسماة قحطن، وكأول محاولة لهم في تحقيق قحطن بيقطان. ثم في وقت لاحق صاروا يسمّون قحطن بقحطان.

ويشدد الباحثون والمختصون في تاريخ وجغرافيا الأمكنة والأسماء المذكورة في الكتاب المقدس ان تحقيق قحطان بيقطان هو لا أساس له. إنما وُضعت نسبة لبعض التشابه بين اللفظين، وان ذلك التشابه البسيط جعل أصحاب الأنساب من المسلمين ان يعتبروا قحطانا انه يقطان.

وأما من جهة خلق اليمنيين من تبع كنبي، فيعلق جواد علي:

> "وأسعد تبعٌ من التبابعة الذين لهم حظ سعيد عند الإخباريين، فهو مؤمن في نظرهم، وهو ذو القرنين. وهو من أعظم التبابعة، وأفصح شعراء العرب. ولم يكتفوا بما أغدقوا عليه من نعوت، بل ارادوا أكثر من ذلك وأبعد، فقالوا انه كان

نبيّاً مرسلاً إلى نفسه. .. وانه لذلك نهى النبي عن سبّه. فهو إذن من المؤمنين الصالحين ومن رجال الجنة. وهي قصص روَّجها ولا شك الحميريون والقحطانيون المتعصبون في الإسلام، ليسُكتوا بذلك خصومهم السياسيين. وهم في نظرهم العدنانيون الذين شرفتهم النبوة ورفعت مقامهم في الإسلام، فافتخروا بها على القحطانيين، ولم يكن القحطانيون أقل باعاً في توليد القصص في الفخر من منافسيهم العدنانيين، فأوجدوا هذه الحكايات عن تبابعتهم، وأوجدوا لهم الفتوحات العظيمة، ثم لم يكفهم ذلك كله، فقالوا: إن النبوة إذا كانت في العدنانيين، فإنها كانت أيضاً في القحطانيين، بل هي أقدم عهداً فيهم منهم، فمنهم كان عدة أنبياء. وهكذا سدّوا الثغرة التي كان يهاجم منها العدنانيون"[629]

الأمر الذي يكشف بان خرافة تبع كنبي قد أخذت أبعاداً جديدةً في العصر الإسلامي. والحقيقة انهم بسبب ان اسعد أبو كرب قد أتى باثنين من الأحبار اليهود من المدينة، قد اعتُبر من بعض المجموعات المعاصرة لمحمد انه أصبح يهودياً. مع ان كتابات المسند لا تذكر ذلك. وراح البعض يظن بانه قد ادّعى النبوة. وهذه الفكرة يبدو انها كانت مُتبناه من مجموعة قليلة من أصل يمني زمن محمد، حتى ان محمداً كان متردداً في أحاديثه ان يعتبره كنبي. ولكن عندما أراد محمد ان يهدد في دينونات كالتي بحسب نظره قد حدثت في التاريخ، فقد أتى بسلسلة من الدينونات التي من ضمنها دينونة ضد شعب تبع، مُقرِنا إياه بين الذين قد أنذر الله شعوبهم بواسطتهم، أي جعله مُرسَلاً من الله وبالتالي نبي.

خطة تبع في الاقتراب من ديانات شمال شبه العربية، وخلو سيرته التاريخية من أي فكرة توحيدية

كان أسعد أبو كرب في احتلاله لمناطق في شمال شبه الجزيرة العربية، حيث كانت هناك قبائل ومدن يهودية مثل يثرب وخيبر، يريد ان يقترب من اليهودية، في نفس الوقت أراد ان يقترب من القبائل التي من أصل يمني، والتي كانت كثيرة في شمال شبه الجزيرة العربية، بشكل خاص في الحجاز. من هنا يأتي بناؤه للكعبة في مكة، التي هي واحدة من كعبات كانت مبنيةً لعبادة العائلة النجمية العربية، التي يرأسها "الله" الذي كان في الماضي القمر، وصار في وقت لاحق النجم عثتر وهو الزهرة، والذي كان موقَّراً في اليمن، وصار الزهرة تُدعى رضو في الشمال. فقد رأى تبع بان سكان مكة، الذين أصلهم يمنيون، يعبدون آلهتهم في خيمة، فبنى لهم الكعبة وكساها. وخطوته في الاقتراب من تدينات الشمال سواء من اليهود أو عبدة العائلة النجمية العربية وباقي الوثنيين، هي خطوة سياسية لكي يشدِّد سيطرته على الشمال، كما سيطر على مناطق اليمن، بما فيه سبأ وحضرموت ويمنت، وكما سيطر على كندة في أواسط شبه الجزيرة العربية. ولكن الواقع التاريخي في اليمن كما نستدل من كتابات المسند عنه، انه لم يكن يُظهِر تديناً توحيدياً. بل انه كان يلبس ثوباً سياسياً في محاولة جذب اليهود في الشمال، الذين كان لهم تأثير قوي على بعض المدن في شمال شبه الجزيرة العربية.

لم يدّعِ اسعد أبو كرب النبوة. فلو كان قد ادّعى ذلك، لأظهرت الكتابات التي تتحدث عنه في اليمن ذلك. فان أي ملك عندما يدّعي انه نبي، ذلك أهم لقب يود ان يُكتب عنه في الكتابات التي يكتبها. ولكننا في فحص كتابات المسند عنه لا نجد أي تلميح لمثل ذلك. كذلك لا نجد أي تلميح لذلك في كتابات المسند اللاحقة التي تنتمي لملوك خرجوا من نسله. الأمر الذي يدل على ان فكرة نسب النبوة له هو أمر متأخر قد نشأ في عصر محمد نفسه، وكانت تنادي بها جماعات قليلة. لذلك فاعتبار القرآن انه مُرسل لشبعه الحميري هي فكرة تخالف الحقيقة التاريخية عنه.

هل حدث هلاك لشعب تبع أي الحميريين؟

ثم هناك أمر آخر معاكس للتاريخ من جهة ادّعاء القرآن عنه: وهو هلاك شعبه في عصره. فنرى ادعاء القرآن بهلاك شعب تبع، كما نرى من سورة الدخان (44) والآية 37 التي تقول:

"أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ".

وايضا سورة ق (رقمها 50) الآية: 12-14:

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ.

"فحق وعيد": أي تحقق وعيدنا ضدهم. أي كما سبق الله وأنذر تلك الشعوب بانه سوف يبيدها ان لم تطع الرسل، فقد تحقق ذلك الوعيد بإهلاكهم.

ويقول الطبري في تفسير الآية عن هلاك شعب تبع في سورة الدخان:

"وقوله: وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول تعالى ذكره: أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبّعٍ والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها، يقول: فليس هؤلاء بخير من أولئك فنصفح عنهم ولا نهلكهم وهم بالله كافرون. كما كان الذين أهلكناهم من الأمم من قبلهم كفارا. وقوله: إِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ يقول: إن قوم تبّع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكناهم إنما أهلكناهم لإجرامهم، وكفرهم بربهم"[630]

أي ان القرآن قد وضع شعب تبع مع سلسلة الشعوب التي أهلكهم محمد في القرآن بواسطة صيحة، مثل عاد وثمود ومديان وغيرهم.

وهلاك الحميريين في عصر اسعد بن كرب، كما يدّعي القرآن، هو مخالف للواقع التاريخي. فالقرآن لا يتحدث عن عصر بعيد جدا، يبعد آلاف السنين عن الميلاد. ولكن يتحدث عن عصر حميري في عصر قريب من محمد، من حيث ان اسعد أبو كرب قد حكم من عام 410 إلى 435 ميلادي. والعصر الحميري في اليمن هو مُثبت تاريخياً من خلال كتابات المسند، أي الخط الذي كان يكتب به سكان جنوب العربية.

يقول K.A. Kitchen:

"بالنسبة لتسلسل الحكام في جنوب العربية والإثباتات التي تأتي من خلال المنقوشات والمراجع التاريخية، فان اصلب وأثبت ما نملك هي السلالات التي تعود بين القرن الثاني والسادس ميلادي"[631]

ولقد بدأ العصر الحميري عام 115 قبل الميلاد. وهناك استمرار في سلسلة الملوك بلا انقطاع لغاية حكم ذو نواس وحملات الحبشة ضد الحميريين حوالي عام 525 – 526، وذلك بعد حرق المسيحيين في نجران الذي صادف عام 518-523 م.

نأتي لسلسلة الملوك للفترة التي عاش بها أبو كرب أسعد وأولاده. والد أبو كرب اسعد هو ملكي كرب يهأمن الثاني Malki-Karib Yuha'min II، وتاريخ حكمه بين عامي 375-410م. ذلك نراه بحسب المنقوشات المحققة من عالم الآثار الكبير Rychmans (النص المُسجَّل منه تحت رقم 509) ثم أتى ابنه: أبو كَرِب اسعد:Abukarib As'ad حكم من عام 410-435 م. المراجع: النص المسجل من Rychmans تحت رقم 534. وقد عمل حملات عسكرية في أواسط شبه الجزيرة العربية (النص المُسجَّل من Rychmans تحت رقم 509). ووسع نفوذ الإمبراطورية الحميرية. وكان لقبه:

"ملك سبا وذو ريدان وحضرموت ويمنت والعرب في الأراضي العالية والسواحل".

وهو الذي، كما سبق وذكرنا، أتى المدينة واخذ الحبرين وتأثر باليهودية وهاجم مكة.

اذاً لا نرى ان هناك قد حدثت دينونات لشعب أبو كرب اسعد كما يدّعي القرآن. بل بالعكس انها أكثر فترة في تاريخ المملكة الحميرية قد ازدهر فيها شعبُ حمير، واعتزّ فوق باقي الشعوب حوله. فالقرآن يجعل شعب أبو كرب اسعد انه قد هلك. وهذا ما لا نراه في أي كتابة من كتابات المسند في عصر أبو كرب اسعد، أو حتى في أي كتابة لاحقة. ولا نراه في كتابات المؤرخين اللاحقين، مثل بروكوبيوس الذي كتب عن اليمن. والحقيقة ان فكرة هلاك شعب أبو كرب اسعد، هي نسبة لعادة محمد في إبادة الشعوب التي يسمع انها قد وُجدت في التاريخ، مثل إبادته بصيحة شعب عاد بعد ان وضعه في القرآن في القرن الثاني بعد نوح، مع انه قد ظهر في القرن الثاني بعد الميلاد بحسب بطليموس. أو إبادته شعب ثمود بعد انه وضعه في القرن الثالث بعد نوح، مع ان الثموديين قد ظهروا فقط في القرن الثامن قبل الميلاد، واستمروا إلى وقت قريب من عصره. وإبادته شعب مديان مع ان المديانيين استمروا بعد العصر الإسلامي.

والقول بان الحميريين شعب أبو كرب اسعد قد "أهلكناهم" أي أبادهم الله. هو مثل إبادة المديانيين في عصر قريب من لوط، مع انهم استمروا كما قلنا إلى ما بعد العصر الإسلامي. فعندما ندرس الشعب الحميري نرى له استمرار في الحكم إلى وقت قريب من محمد:

فبعد أبو كرب اسعد حكم ابنه. ويبدو انه حكم معه لفترة، ثم لوحده لفترة خمسة سنوات من 435-440 م. واسمه حسان، واسمه الحقيقي ابهحسن يهأمن. ثم حكم شرحبيل اليعفر Sharahbil Ya‘afur، وهو ابن آخر لأبو كرب اسعد. وقد حكم من عام 440-460 م .[5]

استمرت سلسلة ملوك حمير إلى "يوسف أثار" الملقب بذي نواس (الذي حكم من 518 م إلى 525 ميلادي)، حيث قُتل بعد ان احتل الأحباش اليمن. بعده حكم بتفويض من الحبشة السميفع اشوع Sumuyafa‘ Ashwa‘ 525 -536. وهو زعيم قوة حميرية مسيحية نالت تأييد الحبشة. بعدها انتقل الملك إلى أبرهة الحبشي من 542 إلى 553. بعدها يكسوم ابن ابرهة. بعدها حكم مسروق، ابن آخر لأبرهة. ثم نجد عودة الحكم للحميريين بمساعدة الفرس تحت معدكرب الثالث، وهو يُدعى سيف بن ذي يزن (السنة غير مؤكدة. بعض المؤرخين يقول حوالي عام 570 [632]). وحوالي عام597-598 م. أرسل الفرس جيشاً إلى اليمن الذي أنهى حكم الحميريين، وأصبحت اليمن ولاية تحت الإمبراطورية الفارسية الساسانية. أي استمر حكم حمير لليمن لمدة 27 أو 28 سنة بعد ولادة محمد التي كانت عام 570م.

والحميريون لم يهلكوا، ولكن استمرت قبائلهم معتزة في أصلها الحميري حتى بعد دخولهم الإسلام. فهناك أشعار كثيرة لشعراء حمير في العصر الإسلامي. فالقول بان الحميريين قد هلكوا في عصر أبو كرب اسعد، أي في بداية القرن الخامس ميلادي، إنما يدل على جهل الصحابة المدقع في التاريخ، بحيث ظنوا ان شعب أبو كرب اسعد ينتمي لعصور غابرة جدا، وليس له علاقة بالحميريين الذين كانوا معاصرين لهم. فظنّوا ان شعب أبو كرب اسعد هو من العرب البائدة التي ربما تنتمي لعصر نوح أو ما يقارب ذلك. فهل يقبل المسلمون المعاصرون مثل تلك الجهالة، وهل سوف يبقون ينظرون

---

[5] المراجع : كتابة طويلة موجودة على سد مأرب عندما اصلح شرحبيل اليعفر السد عام 564 - 565 حسب النظام الحميري، وهو يوافق 449-450 ميلادي حيث الفرق هو 115 سنة (من حيث ان الحميرين بدأوا مملكتهم من عام 115 قبل الميلاد)

Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars Quarta, Inscriptiones Himyariticars et Sabaeas continens, I-III,(Paris, 1889-1931) texts number 540:52-54; 98-100

مراجع اخرى عن شرحبيل اليعفر:

;Dostal 1 (Neue Ephemeris fur Semitische Epigraphik 2(1974), 139; Garbini 1,2 , Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 18(’88), 95; cited by , by K.A. Kitchen , Documentation for Ancient Arabia, page 10

وهناك في كتابة تحت اسم (ZM 1) تذكر كيف ان الملك شرحبيل اليعفر Sharahbil Ya‘afur قد بنا قصرا عظيما في عاصمته وذلك عام 457 م .

للقرآن بانه وحيٌ نزل من الله؟ أم انـه كتـاب لشـخص أراد ان يُبهر سـامعيه بفكـرة وحـي، وكان يتخذ من كل اسم مشهور في زمانه مـادةً لكـي يـدخلها فـي قرآنـه، دون انتبـاه للواقـع التاريخي. وكان يُهلِك الشعوب في التاريخ بدون معرفة عن تاريخها.

كيف نصنّف خطأ محمد التاريخي هذا؟

ان خطأ محمد يعـادل خطـأ إنسـان فـي جيلنـا لـو ادّعـى ان جاريبالـدي Giuseppe Garibaldi، القائد الايطـالي المعـروف والمولـود عـام 1807 م.، كـان نبيـاً وان شـعبه الايطالي قد بيد وهلك تماما. مع ان جاريبالدي يُعتبر القائد الذي عمل على توحيد ايطاليـا وأبـرز الهويـة الايطاليـة والقوميـة الايطاليـة بعـد عصـور مـن خضـوع ولايـات ايطاليـا للانقسام وسيطرة دول أجنبية مثل النمسا في الشمال وسيطرة ممالك بتشجيع فرنسا فـي مناطق اخرى. المسافة بين مولد جاريبلادي وبيننا حوالي 201 سنة. والمسافة بين بدايـة حكم أبو كرب اسعد الذي ابتدأ من عام 410 م ومحمد عبارة 200 سنة أيضا. فالقول بان جاريبالدي قد حذّر شعبه الايطـالي وأعلـن لـه عـن التوحيد، وان شـعب ايطاليـا قد رفض الرسالة وهلك نهائيـاً فـي جيـل جاريبالـدي، هـو خبـرٌ سـوف لـن يصـدقه أغبـى النـاس فـي جيلنا. فلماذا لا نعتبر الذين صدّقوا محمد فـي هـلاك الحميـريين فـي جيـل أبـو كـرب اسـعد انـهم من أكثر جماعات جاهلة في تاريخ الإنسانية. وكيف يقبل المسلمون ان يشـتركوا مـع الأوس والخزرج والصحابة في هذا الموقف ؟!

انشقاق القمر

يدّعي المسلمون بان القرآن قد ذكر انشقاق القمر تأييداً لمحمد كنبي. إذ تقول الآية القرآنية في سورة القمر:

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ(سورة القمر أي 54 والآيتان 1 و 2)

خرافة انشقاق الأرض وعلامة في القمر في المندائية

ان موضوع انشقاق الأجرام السماوي والأرض بفعل تداخل آلهة أو لإثباتات صدق ديانة، هي أمور ليست غائبةً في ميثولوجيا الشعوب. فنجد في الكتاب المندائي The Canonical Prayerbook of the Mandaeans أقوالاً شعرية تتعلق بالأيام الأخيرة. النص المندائي يقول:

"قد انشقت الأرض. والكائن الذي شقّها كان عاجزاً مع كل قوته ان يوقف هذا الانشقاق"[633]

لم يوضح النص المندائي من الذي شق الأرض، هل هو ملاك أم نبي. فلو كان ملك الأنوار، الإله الرئيسي للمندائيين، لما قال النص "والكائن الذي شقها كان عاجزاً مع كل قوته ان يوقف هذا لانشقاق". لذلك نرجّح ان يكون ملاكا أو نبياً من أنبياء المندائيين. أرى ان قول القرآن "قد أتت الساعة وانشق القمر" انه هناك اقتباس من الفكرة المندائية، رغم ان القرآن يجعل الانشقاق يحدث للقمر وليس للأرض.

ورغم ان موضوع إذا ما قصد محمد من الآية القرآنية هو شق القمر فعلا او اموراً تتعلق في ظاهرة تتم في يوم الدينونة، الا ان شق القمر واعتماد محمد على الميثولوجيا الصابئية المندائية في كثير من أفكارها عن القمر والشمس والأرض نراه في كثير من أقوال محمد والقرآن. مثلاً نرى في النصوص المندائية، مثل كنزا ربا، ان هناك علامة موضوعة على القمر على سطوعه:

"ويجب ان لا يعرف القمر، وكيف وضعت علامة على سطوعه "[634]

أي هناك علامة موضوعة على سطوع القمر بحيث يطفس سطوعه. وهي تشبه فكرة محمد:

القمر ثلاث مرات حجم الشمس وجبريل يضع جناحيه على القمر ويطفس نوره[635]

المقنع والآية القمرية التي ادّعى بها

ولم يكن محمد الوحيد الذي نُسب إليه من أتباعه في افتعال ظاهرة قمرية. مثل هذه الظواهر قد نُسبت إلى أشخاص ادّعوا النبوة أو الالوهية. فتذكر الحلبية عن المقنع عطاء الخراساني:

"ادعى ان الله حل في صورة آدم ثم في صورة نوح ثم ان حل في صورته هو، فافتتن به خلق كبير بسبب التمويهات التي أظهرها لهم ... فقد أظهر قمرا يراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم يغيب. ولم اشتهر أمره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه ...)[636]

وكاتب تاج العروس يذكر قمر المقنع، ويقول بان المقنع هو لقب

"ثور بن عميرة، من بني الشيطان ابن الحارث الولادة بن عمرو بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة، أحد الدجاجلة الذين ادعوا الألوهية بطريق التناسخ. وكان من جملة ما أظهره صورة قمر هو الذي أظهره في الجو احتيالا يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه، ثم يغيب. وقد ذكره المعري في قوله:

أفق إنما البدر المقنع رأسه ضلال وغى مثل بدر المقنع[637]

وقال فيه ابن سناء الملك:

إليك فما بدر المقنع طالعا بأسحار من ألحاظ بدر المعمّم

فهو اذاً ثور بن عميرة الكندي من أهل مرو بخراسان. كان ذلك في عصر الخليفة المهدي العباسي.

ولا تنفي المراجع الإسلامية قمرَ المقنع، ولكن تعزيه للسحر. وانا شخصياً اعتقد بان المقنع لم يُرِ قمراً أمام معاصريه. ولكن القصة تدل على ظاهرة: وهي انه عندما يدّعي شخصٌ مدعي النبوة بظاهرة مثل هذه، فانه يُصدَّق حالا من تابعيه، وينتشر الادعاء كحقيقة عند الكثيرين في جيله. كما نرى ان قمر المقنع يُقدَّم كحقيقة آمن بها معاصروه، ويشهد في حدوثها كتّاب مهمين، مثل الزبيدي وشاعر مهم مثل المعري، وذلك رغم ان الإسلام قد عزاها للسحر. لذلك فانتشار خبر شق القمر من محمد وتصديقه من مؤيديه يقع ضمن هذه الظاهرة. ومما يؤكّد انه يقع ضمن هذه الظاهرة هو ان المقنع عاش عام 163هجرية، أي بعد محمد، وان محمداً عاش في منطقة وعصر يصعب تتبع الأخبار والتأكد من مصداقيتها. ولا يوجد توثيق لانشقاق القمر من مؤرخين.

اذاً نرى مثل هذه الظواهر، سواءً شق الأرض أو ظواهر قمرية، مبالغةً وغير حقيقية، معزية لأشخاص وثنيين في التاريخ، ولا نجد بين كل أنبياء الكتاب المقدس من نسب لنفسه أو نُسب له مثل هذه الأمور.

خرافة شق القمر تعكس مفهوماً بدائياً عن حجم القمر

ادعاء المسلمين في انشقاق القمر، يعكس في الحقيقة مفهوم المسلمين في جيل محمد عن القمر، انه عبارة عن مصباح صغير، يمكن شقه وإنزال نصفه على جبل في مكة، والنصف الآخر على جبل آخر. فقد روى ابن عباس:

> اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والأسود ابن عبد يغوث والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والنضر بن الحارث ونظراؤهم. فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: إن فعلت تؤمنوا. قالوا نعم. وكانت ليلة بدر، فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر وقد سلب نصفا على أبي قبيس، ونصفا على قعيقعان[638]

وخرافة شق القمر من محمد متناقضةٌ مع المنطق، وحقيقة حجم القمر كما نعرفه في أيامنا. إذ كيف يكون القمر نصفه على جبل، والنصف الآخر على جبل آخر في مكة. فلو انشق القمر ونزل على الأرض، نسبة لحجمه، لتسبب في دمار الأرض ولمحا منطقة الحجاز عن الوجود. وما قبول المسلمين في عصر محمد أو العصور اللاحقة بهذا الادعاء، وان القمر قد انشق بطرفيه على جبلي أبي قبيس وقعيقعان، إلا بسبب جهلهم في حجم القمر كما نعرفه نحن الآن. فذلك الادعاء مناسب لشعب جاهلي ولجماعة جاهلة في المعرفة زمن محمد، ولكن كيف ان يكون موضوع وحي، يُعرَض على الأجيال التي عندها معرفة، حتى بسيطة في العلم وأحجام الأجرام السماوية ؟!

ادّعاء ينقصه التوثيق التاريخي

ثم ان هذه الخرافة ينقصها التوثيق التاريخي. فظاهرة مثل هذه لو حدثت كانت سوف تُسجِّلها المسكونة في كل بقاعها، ومن كل المؤرخين الذين كانوا يعيشون في الأرض آنذاك. ولكننا نجد الحديث عن شق القمر هو ضمن الادعاء الإسلامي ولا صدى له في بقاع الأرض.

ويدّعي المسلمون ان ملكاً من الهند قد رأى شق القمر، وزار مكة وأسلم. وهذه الادعاءات جاءت في كتب التراث الإسلامي متأخرةً. فلو كان قد زار محمد ملكٌ من الهند، لرأيناه كخبرٍ رئيسي في أولى كتب السيرة، مثل كتاب ابن هشام أو كتب الأحاديث، مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم. ولكننا نجد أول ذكر لملك هندي في مستدرك الحاكم. حيث نقرأ هذه الكلمات:

"عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة قال الحاكم رحمه الله تعالى لم أخرج من أول هذا الكتاب إلى هنا لعلي بن زيد بن جدعان القرشي رحمه الله تعالى حرفا واحدا ولم أحفظ في أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم الزنجبيل سواه فخرجته"[639].

ومع ذلك لا نجد الحاكم النيسابوري يتحدث عن مجيء هذا الملك لأنه قد رأى شق القمر في بلاده. فلو كان الامر كذلك لكان ذكر سبب زيارته وهو انشقاق القمر هو اهم ما يذكره النيسابوري في كتابه. كذلك لا يتحدث عن زيارة الملك لمحمد، ولا يذكر اسمه. ويبدو ان النيسابوري اراد ان يجعل من محمد شخصية هامة في العالم وان دعوته قد وصلت اقاصي الارض في زمانه، فابتدع فكرة ان ملك الهند قد اهداه جرة من الزنجبيل. وهناك مغالطة تاريخية قد وقع بها الحاكم، وهو انه قد جعل هناك ملكا يملك على الهند كلها، في وقت كانت الهند مؤلفة من مقاطعات يملك على كل واحدة ملك، ولم يكن هناك تعبير "ملك الهند".

ومحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري متوفي عام 405 هجرية. أي بعد حوالي أربعة قرون من الهجرة. الأمر الذي يدل على انه شيء مُبتدع من الحاكم النيسابوري في عصره، أو من فرد آخر قد عاش في زمانه. ولم يلقى ادعاء اهداء ملك الهند جرة زنجبيل رواجاً في كتب التراث اللاحقة، ذلك بسبب ان سير محمد لم تتطرق إليه من قبل، مع انها تطرقت الى اهداءات لمحمد من شخصيات اقل قيمة بكثير من ملك الهند. إلى ان عاد ابن حجر العسقلاني يستخدم ادعاء محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري في إهداء ملك هندي لمحمد جرة من الزنجبيل لكي يربطها في خرافة شق القمر. ذلك نجده في كتب ابن حجر العسقلاني في الإصابة، وفي لسان الميزان. وقال إن أسم ذلك الملك هو سَرْبَانَك. وعندما نعرف بان ابن حجر ولد سنة 909 هجرية، فنعرف بانه لخمسة قرون قد أهمل الباحثون المسلمون ادعاء الحاكم النيسابوري بان ملك الهند قد أهدى محمد زنجبيل، ولم يعطوا له أي أهمية. وما تمسُّك المسلمين بهذا الادعاء اليوم إلا بسبب خلو ادعاء شق القمر من أي توثيق تاريخي، فصاروا يفتشون عن الخرافات والقصص الكاذبة التي تجاهلها المسلمون لقرون طويلة بسبب انه لا أساس لها من الصحة.

وهذه الفكرة ليس لها أي توثيق خارج عن الادعاءات الإسلامية. ويرتكز المسلمون في التوثيق على كتاب ظهر في القرن السابع عشر ميلادي، وهو كتاب كيرالا الوباثي Kerala Ulppathy. وهو الأقدم لهذا الادعاء ويقول ان ملكاً اسمه شيرامان بيرومال Cheraman Perumal قد شاهد انشقاق القمر، وجاء إلى مكة وتقابل مع محمد. وبُني على نفس القصة تماما ان الذي رأى انشقاق القمر هو ملك اسمه شاكرواتي فارماس Chakarawati Farmas. فمن حيث انها نفس القصة، معناه انها اعتمدت على سرد كتاب كيرالا الوباثي.

وبحسب كتاب كيرالا الوباثي قد ترك شيرامان بيرومال المُلك بيد ابنه وسافر إلى مكة. وانه تقابل مع محمد وأسلم. وكان عائداً إلى بلاده بصحبة بعض المسلمين بقيادة

مالك بن دينار، ولكنه قد مرض، وكتب رسائل إلى ابنه المالك في كيرالا يوصي بالوفد الإسلامي. ولكنه مات ودُفن في اليمن. وان مالك بن دينار استُقبل من ابن شيرامان في مدينة Muziris، وهي الآن اسمها Kodungallur، وكانت عاصمة Kerala، وشجَّع في انتشار الإسلام. ولكن لم يتطرق إلى هذه القصة أي مؤرخٍ هندي سابقاً.

ومالك بن دينار هو العارف بالله أبو يحيى مالك بن دينار البصري، توفي عام 130 هجرية، فكيف يكون زمن محمد، وانه كان مُرافِقاً لهذا الملك الذي رأى شق القمر وجاء وتقابل مع محمد وأسلم؟!.

بالنسبة للكتاب كيرالا الوباثي Kerala Ulppathy، فبحسب Shungunny Menon - وهو مؤرخ هندي مولود في ولاية Travancore من مقاطعة Kerala - يعزيه إلى رامانوجن Thunchathu Ramanujen المعروف تحت اسم Ramen Eluthashanالمولود في القرن السابع عشر في مقاطعة Kerala، والتي كانت جزءاً من مالبار Malabar في جنوب الهند[640].

وبحسب كتاب كيرالا الوباثي فان شيرامان بيرومال من Kerala قد ذهب لمكة لمقابلة محمد. والحقيقة ان Cheraman Perumal هو لقب لسلسة من الملوك قد انتهت ب Bhaskara Revi Vurmah[641] ولكن كما يقول المؤرخ الهندي Shungunny Menon ان هذا الملك قد مات قبل ان يولد محمد[642]. ويحوي الكتاب على عناصر هولندية وبرتغالية وبريطانية، مما يكشف انه كُتب فقط في القرن السابع عشر ميلادي. ويعتبر المؤرخون الهنود، مثل Sreedhara Menon، بان الكتاب عبارة عن مجموعة من الخرافات وليس له أي قيمة وثائقية[643]. (يُعتبر البروفسور Sreedhara Menon أهم مؤرخ لـ Kerala على الإطلاق.)

ويدّعي كاتب كتاب كيرالا الوباثي بان الملك Krishnadevaraya من إمبراطورية Vijayanagara empire (وهي إمبراطورية هندية جنوبية تأسست عام 1336 م. من الملك هاريهارا الاول Harihara)، قد عيّن عام 428 ميلادي نائباً عنه في Kerala، مع ان هذا الملك قد حكم بين عامي 1509 و1529 ميلادي[644].

والباحث William Logan كاتب كتاب ManualMalabar ، أيضا يفند كتاب Kerala Ulppathy كيرالا الوباثي ويصفه بانه:

> "خلطة من الخرافات الحمقاء، هدفها في الدرجة الأولى تأمين سيطرة طبقة Brahmin وتأثيرها في البلاد بدون منازع"[645]

وK.P. Padmanabha Menon مؤرخٌ هنديٌ آخر يذمّ في كتاب كيرالا الوباثي، وفي فوضى هذا الكتاب وعدم مصداقيته[646].

ثم ان هناك شخصيات إسلامية زارت Kerala في العصور الوسطى، مثل ابن بطوطة المولود في طنجة عام 1304 ميلادي، وأبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة 973م بإحدى ضواحي خوارزم في فارس. والقَزويني الذي ولد عام 1225 في

قزوين. ولم يتحدثوا عن هذه القصة. وهناك رحالة مميزون قد زاروا المنطقة أيضا، مثل ماركو بولو Marco Polo الرحالة المشهور من البندقية والمولود عام 1254 م. وFriar Odoric الرحالة الايطالي الذي ولد عام 1286م. اذاً عشرات الرحالة المسلمين والأوروبيين قد زاروا نفس المدينة التي يُنسب ان شيرامان بيرومان قد ملك فيها، وكتبوا عشرات المؤلفات، ولكننا لا نجد ان ايّاً منهم قد ذكر تلك القصة. مع انها لو حدثت لكانت أهم خبر يتحدث هؤلاء عنه في تلك المقاطعة.

وموضوع شق قمر في تاريخ البشرية، لو حدث زمن محمد، أي في القرن السابع ميلادي، يكون ليس خبراً مخفياً، بحيث يدّعي كاتب كتاب خرافي ظهر في القرن السابع عشر، ان ملكا قد شاهده في ولاية هندية. ولكنه يكون خبراً مذكوراً من مئات المؤرخين في ممالك العالم كلها. فعدم تطرق أحد إليه في جيله، أي في القرن السابع ميلادي وما تبعه من قرون، يجعله ادعاءً لا يستحق الانتباه.

وأما الشقوق التي على سطح القمر، والتي يحاول بعض الاعجازيين المسلمين ان يثبّتوا من خلالها ان القمر قد شُق. فهي شقوق لا يزيد أطولها على 300 كم. وهي شقوق سطحية لا يزيد عمقها على 700 أو 800 متر. والعوامل الطبيعية التي تؤدي إلى حدوثها معروفة. وهي متوفرة بكميات أكبر في كواكب مثل المريخ. فهل معناه ان المريخ قد انشق يوما إلى جزأين ؟!.

تحليل القرآن يجعل هناك استبعاد ادعاء محمد بحدوث شق القمر

أخيرا نقول بان القرآن يستثني ان محمداً قد شقّ القمر. فقد كان القرشيون يلاحقون بمحمد، طالبين منه آيةً لكي يؤمنوا به. وكان يأتي بعبارات قرآنية يبرّر عدم حدوث آيات في حياته. وكل هذه العبارات القرآنية أتت بحسب ترتيب النزول بعد سورة القمر التي هي بحسب ترتيب النزول رقم 37، حيث هناك الآية التي بناءً عليها تُقام حجة الادعاء في شق القمر (انظر في أسفل جدول السور القرآنية وترتيب نزولها). فلو كان القمر قد شُقَّ أمامهم كما يدّعي المسلمون، لكان محمد قد ذكّرهم بشق القمر. ولكن محمد لم يكن قد عمل أمامهم أي معجزة أو آية. ولذلك كان دائما يبرِّر عدم وجود تلك الآيات من خلال حجج أخرى.

ولكن قبل وضع الآيات القرآنية التي يعتذر محمد بها عن عدم وجود معجزات عنده. أضع أسفلا السور القرآنية وترتيبها في النزول:

رقم السورة	ترتيب نزولها	اسم السورة	الاسم بالانكليزية	عدد آيات السورة	الادعاء بانها مكية او مدنية
1	5	سورة الفاتحة	Al-Fatiha	7	Makkah
2	87	سورة البقرة	Al-Baqara	286	Medina
3	89	سورة آل عمران	Aal-e-Imran	200	Medina
4	92	سورة النساء	An-Nisa	176	Medina
5	112	سورة المائدة	Al-Maeda	120	Medina
6	55	سورة الأنعام	Al-Anaam	165	Makkah
7	39	سورة الأعراف	Al-Araf	206	Makkah
8	88	سورة الأنفال	Al-Anfal	75	Medina
9	113	سورة التوبة	At-Taubah	129	Medina
10	51	سورة يونس	Yunus	109	Makkah
11	52	سورة هود	Hud	123	Makkah
12	53	سورة يوسف	Yusuf	111	Makkah
13	96	سورة الرعد	Ar-Rad	43	Makkah
14	72	سورة إبراهيم	Ibrahim	52	Makkah
15	54	سورة الحجر	Al-Hijr	99	Makkah
16	70	سورة النحل	An-Nahl	128	Makkah
17	50	سورة الإسراء	Al-Isra	111	Makkah
18	69	سورة الكهف	Al-Kahf	110	Makkah
19	44	سورة مريم	Maryam	98	Makkah
20	45	سورة طه	Taha	135	Makkah
21	73	سورة الأنبياء	Al-Anbiya	112	Makkah
22	103	سورة الحج	Al-Hajj	78	Medina
23	74	سورة المؤمنون	Al-Mumenoon	118	Makkah
24	102	سورة النور	An-Noor	64	Medina
25	42	سورة الفرقان	Al-Furqan	77	Makkah
26	47	سورة الشعراء	Ash-Shuara	227	Makkah
27	48	سورة النمل	An-Naml	93	Makkah
28	49	سورة القصص	Al-Qasas	88	Makkah
29	85	سورة العنكبوت	Al-Ankaboot	69	Makkah
30	84	سورة الروم	Ar-Room	60	Makkah

رقم السورة	ترتيب نزولها	اسم السورة	الاسم بالانكليزية	عدد آيات السورة	الادعاء بانها مكية او مدنية
31	57	سورة لقمان	Luqman	34	Makkah
32	75	سورة السجدة	As-Sajda	30	Makkah
33	90	سورة الأحزاب	Al-Ahzab	73	Medina
34	58	سورة سبأ	Saba	54	Makkah
35	43	سورة فاطر	Fatir	45	Makkah
36	41	سورة يس	Ya Seen	83	Makkah
37	56	سورة الصافات	As-Saaffat	182	Makkah
38	38	سورة ص	Sad	88	Makkah
39	59	سورة الزمر	Az-Zumar	75	Makkah
40	60	سورة غافر	Ghafir	85	Makkah
41	61	سورة فصلت	Fussilat	54	Makkah
42	62	سورة الشورى	Ash-Shura	53	Makkah
43	63	سورة الزخرف	Az-Zukhruf	89	Makkah
44	64	سورة الدخان	Ad-Dukhan	59	Makkah
45	65	سورة الجاثية	Al-Jathiya	37	Makkah
46	66	سورة الأحقاف	Al-Ahqaf	35	Makkah
47	95	سورة محمد	Muhammad	38	Medina
48	111	سورة الفتح	Al-Fath	29	Medina
49	106	سورة الحجرات	Al-Hujraat	18	Medina
50	34	سورة ق	Qaf	45	Makkah
51	67	سورة الذاريات	Adh-Dhariyat	60	Makkah
52	76	سورة الطور	At-tur	49	Makkah
53	23	سورة النجم	An-Najm	62	Makkah
54	37	سورة القمر	Al-Qamar	55	Makkah
55	97	سورة الرحمن	Ar-Rahman	78	Makkah
56	46	سورة الواقعة	Al-Waqia	96	Makkah
57	94	سورة الحديد	Al-Hadid	29	Medina
58	105	سورة المجادلة	Al-Mujadila	22	Medina
59	101	سورة الحشر	Al-Hashr	24	Medina
60	91	سورة الممتحنة	Al-Mumtahana	13	Medina
61	109	سورة الصف	As-Saff	14	Medina

رقم السورة	ترتيب نزولها	اسم السورة	الاسم بالانكليزية	عدد آيات السورة	الادعاء بانها مكية او مدنية
62	110	سورة الجمعة	Al-Jumua	11	Medina
63	104	سورة المنافقون	Al-Munafiqoon	11	Medina
64	108	سورة التغابن	At-Taghabun	18	Medina
65	99	سورة الطلاق	At-Talaq	12	Medina
66	107	سورة التحريم	At-Tahrim	12	Medina
67	77	سورة الملك	Al-Mulk	30	Makkah
68	2	سورة القلم	Al-Qalam	52	Makkah
69	78	سورة الحاقة	Al-Haaqqa	52	Makkah
70	79	سورة المعارج	Al-Maarij	44	Makkah
71	71	سورة نوح	Nooh	28	Makkah
72	40	سورة الجن	Al-Jinn	28	Makkah
73	3	سورة المزمل	Al-Muzzammil	20	Makkah
74	4	سورة المدثر	Al-Muddathir	56	Makkah
75	31	سورة القيامة	Al-Qiyama	40	Makkah
76	98	سورة الإنسان	Al-Insan	31	Medina
77	33	سورة المرسلات	Al-Mursalat	50	Makkah
78	80	سورة النبأ	An-Naba	40	Makkah
79	81	سورة النازعات	An-Naziat	46	Makkah
80	24	سورة عبس	Abasa	42	Makkah
81	7	سورة التكوير	At-Takwir	29	Makkah
82	82	سورة الإنفطار	AL-Infitar	19	Makkah
83	86	سورة المطففين	Al-Mutaffifin	36	Makkah
84	83	سورة الانشقاق	Al-Inshiqaq	25	Makkah
85	27	سورة البروج	Al-Burooj	22	Makkah
86	36	سورة الطارق	At-Tariq	17	Makkah
87	8	سورة الأعلى	Al-Ala	19	Makkah
88	68	سورة الغاشية	Al-Ghashiya	26	Makkah
89	10	سورة الفجر	Al-Fajr	30	Makkah
90	35	سورة البلد	Al-Balad	20	Makkah
91	26	سورة الشمس	Ash-Shams	15	Makkah
92	9	سورة الليل	Al-Lail	21	Makkah

رقم السورة	ترتيب نزولها	اسم السورة	الاسم بالانكليزية	عدد آيات السورة	الادعاء بانها مكية او مدنية
93	11	سورة الضحى	Ad-Dhuha	11	Makkah
94	12	سورة الشرح	Al-Inshirah	8	Makkah
95	28	سورة التين	At-Tin	8	Makkah
96	1	سورة العلق	Al-Alaq	19	Makkah
97	25	سورة القدر	Al-Qadr	5	Makkah
98	100	سورة البينة	Al-Bayyina	8	Medina
99	93	سورة الزلزلة	Al-Zalzala	8	Medina
100	14	سورة العاديات	Al-Adiyat	11	Makkah
101	30	سورة القارعة	Al-Qaria	11	Makkah
102	16	سورة التكاثر	At-Takathur	8	Makkah
103	13	سورة العصر	Al-Asr	3	Makkah
104	32	سورة الهمزة	Al-Humaza	9	Makkah
105	19	سورة الفيل	Al-fil	5	Makkah
106	29	سورة قريش	Quraish	4	Makkah
107	17	سورة الماعون	Al-Maun	7	Makkah
108	15	سورة الكوثر	Al-Kauther	3	Makkah
109	18	سورة الكافرون	Al-Kafiroon	6	Makkah
110	114	سورة النصر	An-Nasr	3	Medina
111	6	سورة المسد	Al-Masadd	5	Makkah
112	22	سورة الإخلاص	Al-Ikhlas	4	Makkah
113	20	سورة الفلق	Al-Falaq	5	Makkah
114	21	سورة الناس	An-Nas	6	Makkah

ومن الحجج القرآنية التي كان يأتي بها محمد لتبرير عدم حدوث المعجزات نذكر ما يلي:

"وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(سورة الأعراف 7: 203)

ففي سورة الأعراف هذه، نرى القرشيين يطالبوه في آية. ونرى اعتراف القرآن ان محمداً لم يأتِ لهم بآية أو معجزة. ويلتزم محمد بان يقول إنما يتبع ما يُوحي إليه، ولا يستطيع ان يأتي بآية. وعندما نعرف ان سورة الأعراف بحسب ترتيب النزول هي رقم 39 بينما سورة القمر هي 37، نتأكد من عدم وجود في جعبة محمد آية مثل شق القمر، لكي يفاخر بها.

ونرى القرشيين يعودون لتحديه بقولهم، نريد فقط منك آية. كما نرى في سورة طه. ولكن محمداً لا يلفت انتباههم انه قد عمل آية شق القمر، ولكن يعيدهم إلى وحي الأنبياء في الكتاب المقدس (الصحف الأولى) انها بها آيات. وانه هو غير مُلزم ان يأتي بآية أو معجزة جديدة:

"وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ"سورة طه أي رقم 20 والآية 133

وسورة طه هي رقم 45 بحسب النزول.

وتتوالى تحديات القرشيين له. فنرى في سورة العنكبوت:

"وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ. قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" العنكبوت 29: 50

أي لو أنزل ربه عليه آية لآمنا. فيجيب انه فقط نذيرٌ، وليس في مقدوره ان يأتي بآيات. وبحسب جدول ترتيب النزول. سورة العنكبوت هي رقم 85.

وهكذا تستمر سلسلة تحديات القرشيين له حتى آخر سور القرآن بحسب ترتيب النزول. ومحمد يستمر يأتي بحجج مختلفة لعدم وجود معجزات قد عملها أمامهم. فلو كان قد شق القمر لما طالبوه بآية، ولانبرى مُفتخِراً بها.

الصيغة القرآنية هي استعارة شعرية من امرؤ القيس ولم يقصد بها محمد انه شق القمر

والحقيقة هي ان آية شق القمر في سورة القمر عبارة عن استعارة شعرية من محمد من الشاعر امرؤ القيس، وليس تغنِّي محمد بمعجزة. فمعروف تأثير الشعر العربي على محمد، وخاصة شعر امرؤ القيس.

يقول المناوي: "وقد تكلم امرؤ القيس بالقرآن قبل أن ينزل. ويستشهد بعدة آيات قرآنية مشتقة من شعر امرؤ القيس. منها:

يتمنى المرء في الصيف الشتاء   حتى إذا جاء الشتاء أنكره

فهو لا يرضى بحال واحد   "قُتِلَ الإنسان ما أكفره"

ونرى محمداً يستعير من البيت الأخير عبارة «قُتِلَ الإنسان ما أكفره» سورة عبس: 17

وهناك استعارة محمد عبارة جميلة من شعر امرؤ القيس وهي:

إذا زلزلت الأرض زلزالها. . . وأخرجت الأرض أثقالها

تقوم الأنام على رسلها . . . ليوم الحساب ترى حالها[647]

فنرى محمد قد سرق هذه الأبيات وأدخلها لتكوين افتتاحية سورة الزلزلة:

"إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها" (سورة الزلزلة: 1-2).

أما آية سورة القمر فهي مشتقةٌ من شعر امرؤ القيس التالي:

"اقتربت الساعة وانشق القمر" . . . من غزال صاد قلبي ونفر

فقد جعل محمد الجزء الاول من هذا البيت الشعري افتتاحية سورة القمر:

(اقتربت الساعة وانشق القمر) (سورة القمر: 1).

ولكن السورة غير مفسّرة لهذه المعجزة، الامر الذي كان مُتوقَّعاً ان يكون لو كان قصد محمد أصلا ان يتحدث عن شق قمر. ولكن السورة تتحدث عن مواضيع متفرقة. ويبدو ان قصد محمد هو التهديد في مجيء الساعة، وان مجيء الساعة يرافقها حدوث ظواهر عظيمة في القمر والنجوم. ولكن المسلمين في وقت لاحق، ومن اجل نسب معجزات لمحمد قد أضافوا الآية الثانية في السورة وهي:

وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ

وأسلوب محمد في استخدام الماضي لما سوف يحدث في المستقبل، نراه ليس فقط في سورة القمر، ولكن أيضا في الآية التالية من سورة الحاقة:

وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ(سورة الحاقة 69:16)

فلم يكن القصد الأصلي للآية الأولى من سورة القمر يختلف عن القصد في آية الحاقة رقم 16.

ان إصرار المسلمين اليوم على المناداة في شق القمر، رغم الموانع التاريخية وتحليل النص القرآني المُعارض لذلك الادعاء، هو بسبب وعيهم في خلو المعجزات في حياة محمد. ولكننا لا نجد نبياً هاماً من الذين أراد الله ان يؤكد نبوتهم من خلال المعجزات، ينحصر عمل الله معه في آية واحدة. ذلك نسبة لكونهم كانوا يواجهون تحديات خاصة كانت المعجزات أساسية في تثبيت رسالتهم، ومحاربة الأعداء الذين

كانوا يتحدّون رسالتهم. كمثال موسى الذي كان يواجه تحدّياً عظيماً ضد خروج الإسرائيليين من مصر. أو إيليا الذي كان يواجه تحدّياً من أنبياء البعل، الديانة التي أزاغت شعب إسرائيل عن عبادة الله. أو اليشع، الذي كان يواجه حكّاماً أشرار، يقودون شعب إسرائيل نحو الوثنية. وأهم من كل ذلك هو يسوع المسيح، الذي كان في اعلان هويته اللاهوتية، التي ثبتت من خلال معجزات يومية، مثل إقامة الأموات، كمعجزة إقامة لعازر بعد أربعة أيام، أي عندما انتن جسده. فالمسيح قد أقامه بكلمة، دالاً على قدرته خلق الخلايا التي كانت قد أنتنت. وكذلك عندما خلق عينين للأعمى المولود أعمى، وذلك من خلال الطين، لكي يدل على انه الجابل في سفر التكوين، أي الخالق الذي خلق الإنسان من طين. وكذلك عندما هدّأ الرياح والبحر في كلمة، دالاً على انه خالق الطبيعة، المتحكم بها. فكيف يكون ادعاء محمد صادقاً، وهو يدّعي انه رسول يرد الناس للتوحيد ويقاوم عبادة الله الحقيقي في الكتاب المقدس، المُثبتة من إعلانات الله عبر كل العصور، ولكن حياته خالية من عنصر المعجزات، التي تشير على انه مؤيد من السماء. فقصة شق قمر غير تاريخية، وغير منطقية، ومتناقضة لباقي نصوص القرآن، وغير كافية لكي تعطي لمحمد حجة في ان يخالف وحي الأنبياء في الكتاب المقدس، الذين عمل الله معهم في آيات عظيمة شهدها الأصدقاء والأعداء. فحجة الإعجاز اللغوي غير كافية، وإلا استحقها امرؤ القيس التي اقتبس محمد منه أجمل آياته.

جيش أبرهة وحجارة الطيور

خرافة ضرب جيش أبرهة بحجارة محمولة من الطيور

يفتخر المسلمون في ان القرآن قد سرد قصةً عن أبرهة الحبشي، انه قد زحف لهدم الكعبة بواسطة فيل، وان الله قد أرسل عليه طيوراً ضربت جيشه في حجارة، وانكسر جيش أبرهة. فيدّعي القرآن في سورة الفيل بان الله قد حارب "أصحاب الفيل"، المقصود بهم الأحباش الذين كان يقودهم أبرهة. أقول لو كانت قصة زحف أبرهة على مكة صحيحة، فهي بحسب المسلمين تصادف مع مولد محمد، فليس ذكرها من محمد في القرآن يشكّل إعجازاً تاريخياً. فتكون قصة منتشرةً زمن محمد. ليس الأمر مثل ذكر سفر التكوين عن محاربة ابراهيم مع عبيده لأربعة جيوش كانت تقودها عيلام، ووجد المؤرخون بان ألقاب الملوك الأربعة التي ذكرها سفر التكوين، تتطابق مع ما نجد من الموجودات الأثرية التي تعود لذلك العصر عن ألقاب ملوك تلك الممالك. وليس مثل ذكر الكتاب المقدس عن مئات الحقائق التاريخية التي تعود لآلاف السنين، ونجد علم الآثار يؤيد سرد الكتاب المقدس. فالافتخار في قصة قد حدثت في بعض عشرات السنين قبل تاريخ السرد، هو أمر يدلّ على خلو القرآن من حقائق تاريخية مُثبتة تعود إلى آلاف السنين أو حتى مئات السنين، إذ رأينا ان كل ما سرد القرآن عن أمورٍ ادّعى انها حدثت قديماً هو سرد خاطئ تاريخياً. فليس للقرآن ان يفتخر في أي سردٍ قديمٍ.

ومع ان قصة ضرب جيش أبرهة بحجارة من السماء، لا تمنح القرآن مصداقيةً تاريخيةً وإعجازاً، إلا أننا سوف نناقش هذه القصة، ونرى ان كان لها أساسات تاريخية. فنقرأ في سورة الفيل:

"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ". سورة الفيل أي رقم 105

سوف نحاول ان نفسر هذه الآيات على ضوء تفاسير مفسري القرآن الرئيسيين. فنقرأ في كتب التفاسير مثل البحر المحيط لابن حيان:

الفيل: : أبرهة بن الصباح الحبشي ومن كان معه من جنوده، والظاهر أنه فيل واحد، وهو قول الأكثرين ... وكان العسكر ستين ألفا، لم يرجع أحد منهم إلا أميرهم في شرذمة قليلة. فلما أخبروا بما رأوا هلكوا، وكان الفيل يوجهونه نحو مكة لما كان قريبا منها فيبرك. ويوجهونه نحو اليمن والشام فيسرع... كان كل طائر في منقاره حجر، وفي رجليه حجران، كل حجر فوق حبة العدس ودون حبة الحمص. مكتوب في كل حجر اسم مرميه، ينزل على رأسه ويخرج من دبره. ومَرِضَ أبرهة، فتقطع أنملة أنملة، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه. وانفلت أبو مكسوم وزيره، وطائره يتبعه حتى وصل إلى النجاشي وأخبره بما جرى للقوم. فرماه الطائر بحجره فمات بين يدي الملك"[648].

وفي تفسير الطبري:

"عن ابن عباس قوله: وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرا أبابِيلَ قال: هي التي يتبع بعضُها بعضا". "قال ابن عباس: هي طير. وكانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكفّ كأكفّ الكلاب". "عن عِكرِمة، في قوله: طَيْرا أبابِيلَ قال: كانت طيرا خُضْرا خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع"[649]

وفي فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية:

"قال سعيد بن جُبير : كانت طيراً من السماء لم ير قبلها ولا بعدها. قال قَتادة : هي طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا، مع كل طائر ثلاثة أحجار : حجران في رجليه، وحجر في منقاره لا يصيب شيئا إلا هشمه ....قال الزَجّاج : من سجيل أي مما كتب عليهم العذاب به، مشتقاً من السجل . قال في الصحاح قالوا : هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم"[650].

القصة كما رواها ابن إسحاق:

"حدثنا ابن إسحاق أن أبرهة بنى كنيسةً بصنعاء. وكان نصرانياً، فسمّاها القُلّيْس لم يُر مثلها في زمانها بشي من الأرض. وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إن قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لم يُبن مثلها لملك كان قبلك. ولستُ بمُنته حتى أصرف إليها حاجّ العرب. فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشيّ، غضب رجل من النّسَأة أحد بن فُقَيم، ثم أحد بني ملك. فخرج حتى أتى القُلَيس، فقعد فيها. ثم خرج فلحق بأرضه. فأُخْبر أبرهة بذلك. فقال: من صنع هذا؟ فقيل: صنعه رجل من أهل هذا البيت. الذي تحجّ العرب إليه بمكة. لما سمع من قولك: أصرف إليه حاجّ العرب، فغضب. فجاء فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل. فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه. حتى إذا مرّ بالطائف، خرج إليه مسعود بن مُعَتّب في رجال ثقيف، فقال: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون. ليس لك عندنا خلاف. وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد- يعنون اللاّت- إنما تريد البيت الذي بمكة -يعنون الكعبة- ونحن نبعث معك من يدلك. فتجاوز عنهم وبعثوا معهم أبا رِغال. فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال حتى أنزله المغمّس. فلما أنزله به مات أبو رِغال هناك، فَرَجمت العرب قبره ... ولما نزل أبرهة المغمّس، بعث رجلاً من الحبشة، يقال له الأسود بن مقصود، على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد

المطلب بن هاشم، وهو يومئذٍ كبير قريش ... فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قُصَيّ... فقال له حناطة: فانطِلقْ إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

فكلّم أُنيس أبرهة، فقال: أيها الملك، هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عِير مكة، يُطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال... فأذِن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً وسيماً جسيماً، فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه أن يجلس تحته، وكرِه أن تراه الحبشة يُجلِسُه معه على سرير مُلكه. فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، فأجلسه معه عليه إلى جنبه. ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مئتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك. قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زَهِدت فيك حين كلّمتَني. أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه؟ قال له عبدا لمطلب: إني أنا ربّ الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه. قال: ما كان ليُمَنع مني. قال: فأنت وذاك، اردد إليّ إبلي.

... ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلّقة الباب، باب الكعبة. وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده.

... فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وَعبّأ جيشه. وكان اسم الفيل محمودا. وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجّهوا الفيل، أقبل نُفَيل بن حبيب الخثعميّ، حتى قام إلى جنبه. ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود، وارجع راشدا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه، فَبرَك الفيلِ. وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى، وضربوا في رأسه بالطّبَرْزِين ليقوم، فأبى. فأدخلوا محَاجن لهم في مراقّه، فبزغوه بها ليقوم، فأبى. فوجّهوه راجعا إلى اليمن، فقام يُهَرْوِل. ووجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك. ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك. ووجّهوه إلى مكة فبرك. وأرسل الله عليهم طيرا من البحر، أمثالَ الخطاطيف. مع كلّ طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه مثل الحِمّص والعَدَس، لا يصيب منهم أحدا إلاّ هلك. وليس كلّهم أصابت. وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤوا، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن. فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أيْنَ المَفَرّ والإلَهُ الطّالِبْو الأشْرَمُ المَغْلُوبُ غَيْرُ الْغالِبْ[651]

تعليقي بان القصة هي موحاة من قصة اخرى: وهي ان تُبع في مروره من الطائف لهدم كعبتها، ترجى بني ثقيف سكان الطائف ان يتجاوز الملك عن هدم كعبة الطائف وان يذهب إلى مكة.

القصة موضوعة في إطار مخالف للمسيحية ولأهداف أبرهة

والقصة تصوِّر ان أبرهة يبني كنيسة لكي يجلب إليها حج العرب. وهي فكرة لا يمكن ان تصدر من قائد مسيحي مثل أبرهة أو غيره. من حيث ان المسيحيين لا يوجد عندهم فكرة الحج التي هي فكرة وثنية في شبه الجزيرة العربية. والتي هي في زيارة كعبات في مواسم، والدوران حول حجارة سوداء، وتقديم ذبائح للصنم أو الأصنام التي تُعبَد في تلك الكعبات. صحيح ان هناك زيارات يقوم بها المسيحيون لقبر المسيح في اوروشليم والى بيت لحم. ولكنها ليست حجاً. ثم ان المسيحيين في أي مكان في العالم، لا يتوقعوا ان الوثنيين يزوروا كنائسهم. فكيف يتوقع أبرهة ان كافة العرب يذهبون ليعبدوا في الكنيسة التي بناها في صنعاء؟!. ولو كان أبرهة مهتماً في نشر المسيحية في شبه الجزيرة العربية، لأرسل مُرسلين إلى مختلف المدن. ولكن لم يفعل ذلك، بدليل انه لم يكن هدفه نشر المسيحية، ولكن ان يثبّت حكمه في اليمن. وما بنائه كنيسة في صنعاء إلا لجذب المسيحيين في صنعاء، سواء كانوا من الأحباش أو من الحميريين المسيحيين. حيث كانت المسيحية قد انتشرت بينهم، كما نعلم ان ملك الحبشة بعد ان انتصر على ذي النواس قد عيَّن حاكماً على اليمن رجلاً حميرياً مسيحياً هو Esimiphaeus، (المذكور من العرب تحت اسم سومويافع أشواع). واضح اذاً ان القصة منسوجة من رجل عنده الفكرة العربية الوثنية عن الحج، وبعيدة عن واقع العادات المسيحية.

القصة تعاكس الحقيقة من جهة عبد المطلب جد محمد

الأمر الآخر: وهو ان ابن إسحاق يجعل جد محمد، وهو عبد المطلب ابن هاشم، انه كبير قريش وزعيمها. وذلك يتنافى مع الحقيقة وهي ان الزعامة كانت لبني أمية، وجدهم الأكبر هو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، حتى انتهت الزعامة لأبي سيفان بن حرب بن أمية. فكانت حروب قريش تتزعمها دائما أمية. وكانوا أغنياء مكة ولهم القوافل التجارية الضخمة التي تذهب إلى سوريا واليمن والحيرة في العراق. ومحاولة نقل الزعامة من بني أمية لبني هاشم وعبد المطلب هي جاءت من المسلمين بعد ان ساد الإسلام على العرب.

وهناك الادعاء في غنى عبد المطلب، وانه صاحب عير مكة، وانه يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال:

> "فكلّم أُنيس أبرهة، فقال: أيها الملك، هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عِير مكة، يُطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال".

الغريب ان الإخباريين المسلمين يستخفوا في عقول الناس. فكيف يكون عبد المطلب مالكاً لعير مكة، ويطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال، بينما كان ابنه الكبير، وهو أبو طالب، فقيراً عاجزاً ان يطعم ابنه علي بن أبي طالب. وأرسله لكي يعيش مع محمد بعد ان تزوج محمد بخديجة التي كانت أرملة غنية، من اجل ان لا يموت علي ابن أو طالب من الجوع.

ثم ابن إسحاق يجعل عبد المطلب كشخص موحِّد، يؤمن بالله وعنده إيمان عظيم من ان الله سوف يحمي الكعبة. ويقول شعراً توحيدياً. مع انه معروف بانه وثني، وقد مات على وثنيته. وكان عابداً للات ومناة والعزى وهبل. وكان عابدا لإساف ونائلة، حتى انه أراد ان يضحي بابنه عبد الله، والد محمد، عند تمثالي إساف ونائلة. فالقصة اذاً منسوجةً بطريقةٍ تجعل من عائلة محمد وأجداده كحماة للإيمان، وان الله عامل معهم. مع ان عائلة محمد وأجداده هم وثنيون. كما جُعلت القصة انها في سنة ميلاد محمد، وذلك في محاولة الادّعاء ان فكرة النبوة لمحمد هي مرتبةٌ من الله ومحمية منه.

فزيف القصة واضحٌ من خلال جميع عناصرها. وأما ان محمداً قد تطرق في سورة الفيل لموضوع ضرب الجيش بحجارة محمولة من طيور، يدل على انها يمكن ان تكون خرافةً قد نُسبت للكعبة في عصر محمد، تماماً كما كل معبد عنده خرافات يدعو لها بعض العابدين، خاصة من العجائز. والحقيقة انه لكي تنتشر خرافة في مجتمع جاهلي لا تحتاج لأكثر من بضع سنوات.

في تفنيد حجج المسلمين في محاولتهم توثيق هذه الخرافة

أما حجة المسلمين في محاولة توثيق الخرافة القرآنية من انه لم يعترض أحد من سكان مكة على محمد عندما استنزل هذه السورة، فهو أمر مخالف للآيات القرآنية نفسها. إذ ان المكيين قد اعتبروا قصص القرآن انها أساطير كما نرى في سورة الانعام، أي 25 والآية 6، وسورة الأنفال أي 31 وعدد 8، وسورة النحل 24: 16، وسورة المؤمنون أي 83 وآية 28، وسورة الفرقان أي 5 والآية 25، وسورة النمل أي 68 والآية 27، وسورة القلم أي 15 والآية 68 "إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ". وهنا نرى بان اعتراض المكيين على كل آيات القرآن انها أساطير. ولماذا لا تكون هذه الخرافة في شكلها الخرافي الواضح المُميَّز ضمن تلك التي اعتبرها القرشيون اساطيراً؟!. قد قصها بعض الناس الخرافيين من آبائهم، ولكن ليس لها أساس يجعلها مقبولةً منهم، أي غير مؤيَّدة من الأغلبية الذكية. فالاعتراض على كل قصص القرآن أمر واضح في القرآن نفسه.

ثم ان الإسلام قد فرض في منطقة مكة الإسلام على الجميع، وقتل من عارض محمد. فلم يعد هناك أي صوتٍ مناهض للقرآن مسموعاً. فكيف تستطيع بيئة فارضة لعقائدها، وقاتلة لمن خالفها، ان تدّعي ان عقائدها وقصصها مُبرهنةٌ من خلال عدم اعتراض الناس عليها؟!

أسباب تدعو لاستبعاد ان سورة الفيل هي مكية

ثم يُشَك من ان السورة هي مكية. إذ هي عداء للمسيحيين. في وقت كان محمد في مكة يتقرب من المسيحيين، وبالأخص الأحباش الذين استقبلوا المسلمين عندما اضطُهدوا. ولكن القصة القرآنية تريد ان تجعل الله ضد المسيحيين، حتى انه يقف مع

الوثنيين في مكة ويحارب المسيحيين. وهذه الروح تتفق مع الفترة التي بدأ المسلمون يغزون الشرق الأوسط المسيحي. ولذلك نرى انها سورة ما بعد مدنية. إذ هناك سور اخرى ما بعد مدنية، مثل سورة الإسراء أي 17: 1

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

حيث نعرف ان المسجد الأقصى قد بُني بعد موت محمد بعشرات السنين. وسوف أناقش ذلك لاحقا.

وعلينا ان نرى القصة كما نقلها ابن إسحاق تؤكّد هدف هذه السورة، أي سورة الفيل، وهو إظهار العداء الواضح للمسيحيين والصليب، من اجل تكفيرهم واحتلال أراضيهم وسبيهم.

" فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لَا هُمَّ إنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكْ

لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَكْ

فكرة الجدري التي يتبناها البعض

والبعض يقول انه يُحتمل انه قد حصل لجيش أبرهة أثناء حملاته في شبه الجزيرة العربية وبأ الجدري، خاصة عندما حاول ان يزحف ضد الفرس تحت تشجيع البيزنطيين. من حيث ان المؤرخ بروكوبيوس قد كتب عن ظهور وبأ الجدري في بيلوز "554 م" وهي مدينة مصرية في مكان بور سعيد الحالية. كذلك ذكر بروكوبيوس عن ظهور الجدري في القسطنطينية عام 541-542م. ولكن بروكوبيوس الذي تابع أخبار أبرهة، لم يذكر مجيء الجدري على جيشه، ولم يذكر ان أبرهة قد زحف إلى مكة، وانه حاول ان يهدم كعبتها.

هل يختار أبرهة ان يزحف على مدينة عبر صحراء في فيلة بدل جمال؟

هناك أمر آخر للاعتبار. وهو ان الفيل يصرف 16 ساعة من اليوم في الطعام. وحوالي من 3-5 ساعات يشرب ويتمرغ ويلعب ويستريح. وينام ساعات قليلة بين 2-4 كحد أعلى. ومن حيث ان الفيل يهضم فقط 40 بالمائة مما يأكل. لذلك فهو يحتاج إلى كمية كبيرة من الطعام يوميا حوالي 5 % من حجمه. ويحتاج حوالي 30-50 جالون من الماء يوميا.(African wildlife foundation). والفيل الأثيوبي، خاصة المعروف بـ Loxodonta Africana، هو مدلل جدا، يحتاج إلى نوع نباتات لكي يعيش وكميات كبيرة منها[652]. بينما الجمل العربي يملك صنمه يستطيع ان تخزن حوالي 36 كغم من الدهن، ويمكن للجمل ان يحولها إلى سائل وطاقة عندما لا يكون هناك طعام وماء.

فيستطيع الجمل ان يسير في الصحراء حوالي 100 ميل بدون ماء. والجمل نادرا ما يعرق حتى في حرارة عالية تصل إلى 120 فهرانيت أو 49 درجة مئوية.

فالزحف في فيلة باتجاه مكة التي تفصلها عن اليمن مناطق صحراوية (حوالي 800 كم) هو أمر مُستبعد لقائد مثل أبرهة، وخاصة وانه على حسابه الجمال الكثيرة في مناطق كانت تحت سلطته حول اليمن، تقطنها قبائل عربية كانت تدين له بالولاء. ونعرف عندما كان الكوشيون (أي الأثيوبيون) يغزون عبر صحراء سيناء لم يكونوا يستخدمون الفيلة، ولكن الفرس. فعندما هاجم رازح الكوشي آسا ملك يهوذا قد استخدم الحصنة وليس الفيلة. كما نرى من سفر أخبار الأيام الثاني 16: 8

"أَلَمْ يَكُنِ الْكُوشِيُّونَ وَاللُّوبِيُّونَ جَيْشًا كَثِيرًا بِمَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا؟ فَمِنْ أَجْلِ أَنَّكَ اسْتَنَدْتَ عَلَى الرَّبِّ دَفَعَهُمْ لِيَدِكَ."

القصة ليس لها أساس تاريخي

ومن حيث ان ضرب جيش في حجارة محمولة من طيور غريبة في عصر به مؤرخون، وينتمي لأمة مثل الحبشية حيث ان تاريخها غير مجهول، ولملك قد مَلَك في اليمن، حيث ان أعداءه الحميريين لهم كتابات تُسجل بها الأحداث الهامة في تاريخهم. وانهم قد ملكوا بعد ان ملك ابنا أبرهة. فإننا لا نستطيع ان نهمل هذه المعطيات التاريخية الهامة كلها، ونتبنى قصة قد نُسجت لتشجيع عداء ضد المسيحية، أو حتى لو سلمنا انها خرافة ذات عناصر خيالية تبنتها فئة معروف ميلها في خلق قصص خرافية مثل تلك، كما قصة الناقة ثمود التي خرجت من الصخرة، بدون أي أساس تاريخي.

القصة متضاربة مع الحقائق التاريخية

ثم ان القصة متضاربة في عناصرها مع التاريخ. وهذا ما سوف نناقشه في الفقرات التالية.

ففكرة فيل واحد يجره جيش أبرهة هي فكرة غير تاريخية. من حيث ان أبرهة عندما احتل اليمن اعتمد على جيش قوامه 100 ألف جندي وعلى مئات الفيلة.

ثم من جهة شخصية أبرهة: هل عاش حتى زمن ولادة محمد أي عام 570 م.؟

لنراجع كيف ومتى أتى أبرهة ليحكم اليمن. لقد اضطهد ذو النواس المسيحيين، وهو ملك الحميريين الذي كان قد اعتنق اليهودية. كان حكمه بين عامي 523 – 525 أو 518-520 م. وقتل ذو النواس الأحباش المسيحيين في ظفار والمسيحيين العرب في نجران. الأمر الذي أثار غضب البيزنطيين الذين حرّكوا الأحباش في محاربة ذي النواس، وآزروهم باسطولهم البحري. ونقرأ في كتاب بروكوبيوس المؤرخ البيزنطي المشهور والإصحاح 20 عن حملة الأحباش، وكيف أصبح أبرهة ملكا لليمن[653].

جاء ملك الحبشة Hellestheaeus (الأحباش يسمونه Caleb كالب أو Amda أمدا)، وانتصر على النواس حوالي عام 525 ميلادي وقتله. وعيّن ملك الحبشة شخصاً مسيحياً، وهو Esimiphaeus (المذكور من العرب تحت اسم سوموپافع أشواع)، ملكاً على اليمن، وهو حميري مسيحي. ويقول بروكوبيوس انه كان مع الجيش الإثيوبي عدداً كبيراً من العبيد ومن المحكوم عليهم كمجرمين في الحبشة وغيرهم. هؤلاء لم يريدوا ان يعودوا للحبشة، ولكن ثاروا ضد سومويافع أشواع، الذي وضعه ملك الحبشة كملكٍ على اليمن. وسجنوا هذا الأخير في قلعة هناك. وعيّنوا أبرهة ملكاً بدله. فغضب ملك الحبشة وأرسل جيشاً مؤلفاً من ثلاث آلاف جندي للانتقام من هؤلاء ومن أبرهة. ولكن الجنود أحبوا البقاء في اليمن نسبة لكونها ارض غنية. وعملوا اتصالات سرية مع أبرهة. وعندما اشتبكت الحرب قتلوا قائدهم وانضموا إلى أبرهة. فغضب ملك الحبشة لذلك وأرسل قوة حبشية اخرى اشتبكت مع أبرهة، وبعد خسارة كثيرة عادت إلى الحبشة. بعد ذلك توقف Hellestheaeus أي كالب عن إرسال قوات ضد أبرهة. وبعد موت Hellestheaeus، قد تعهد أبرهة ان يرسل جزية لملك الحبشة الذي صار وريثا بعد Hellestheaeus، فتوطد أبرهة في الحكم في اليمن.

يذكر بروكوبيوس كيف ان الإمبراطور البيزنطي جوستنيان قد طلب من الأحباش ومن الحميريين عندما كانوا تحت Esimiphaeus سومويافع أشواع ان يساعدوه في الحرب ضد الفرس. وان على الحميريين ان يتعاونوا مع السراسنة في ارض المديانيين (في أقصى شبه الجزيرة العربية) في الهجوم على الفرس. ولكن رغم ان الملك الحبشي Hellestheaeus وملك الحميريين سومويافع أشواع آنذاك قد وعدا سفير جوستنيان في عمل ذلك، إلا انه لم يحرك أحد منهما أي حركة بذلك الاتجاه. وعندما تثبت الحكم لأبرهة قد وعد الإمبراطور البيزنطي عدة مرات ان يشن حملةً على الفرس، ولكنه لم يفعل ذلك، إلا مرة واحدة قد رتَّب حملةً ضد الفرس ثم انسحب. وهذه الحملة اذاً لم تكن ضد مكة ولكن ضد الفرس.

كل ذلك يجعلنا ان نرى ان موضوع أبرهة كان مهما بالنسبة لبروكوبيوس الذي يُعتبر أهم مؤرخ في القرن السادس م. وكان مُعاصِراً لأبرهة. فلم يذكر عن موضوع الطيور التي هجمت على جيش أبرهة. فلو كان قد حدث فعلاً، لكان أهم خبر جذاب لمؤرخ بيزنطي مثل بروكوبيوس، الذي كان له تركيز خاص لتاريخ المنطقة.

أبرهة قد مات قبل السنة المُسماة بسنة الفيل

هناك أمر آخر للاعتبار وهو انه عندما يتحدث بروكوبيوس عن أبرهة، فهو بالنسبة له تاريخ حدث في الماضي. وليس هناك أي تلميح على ان أبرهة كان ما زال يعيش في الزمن الذي كتب به بروكوبيوس عن المنطقة. ذلك من المؤشرات ان أبرهة قد مات قبل ذلك التاريخ. وفكرة موت أبرهة في السنة التي بها ولد محمد (أي سنة 570)، التي صارت تُسمى لاحقا بسنة الفيل، هي فكرة فقط جاءت أولا من ابن إسحاق الذي

مات 150 سنة بعد الهجرة. وان تلك السنة سُميت بعام الفيل تحت ادعاء ان أبرهة قد زحف على مكة في ذلك عام، هي فكرة نشأت من ابن إسحاق، وليس لها توثيق من أي مصدر تاريخي. بالعكس فكل الدلائل تشير على ان أبرهة قد مات قبل ذلك التاريخ.

وميل الباحثين هو في تاريخ مبكّر لموت أبرهة، مثلAlexander Sima عالم الاركيولوجيا الألماني، المختص في علم الآثار لشبه الجزيرة العربية: فهو يعتقد ان أبرهة قد مات حوالي عام 553[654]. وكذلك بالنسبة للبروفسور Stuart Munro-Hay، وهو عالم الآثار المختص في تاريخ إثيوبيا، والاركيولوجيا في إثيوبيا وجنوب شبه الجزيرة العربية. وكان بروفسوراً في جامعة كامبردج في الدراسات الإفريقية. وقد وضع تاريخ موت أبرهة حوالي سنة 553 م. مُعتمِداً على نقش أو كتابة منقوشة[655]. وقد يكون تاريخ موت أبرهة سنتين أو ثلاث سنوات بعد عام 553. ولكن ليس في عام 570 كما يود الإسلام ان يضعه معتمدين على سرد ابن إسحاق. لذلك فحملة أبرهة المزعومة على مكة والموضوعة في عام 570 م. هي مخالفة للتاريخ.

والافتراض المبني على ان أبرهة مات عام 570 م. جعل هناك افتراضاً ان ولداه يكسوم ومسروق بالتتابع قد حكموا بعده حتى عام 575 م. وان الفرس قد احتلوا اليمن عام 575 م. حيث عودة الحكم للحميريين تحت معدكرب الثالث، الذي يُدعى سيف بن ذي يزن. ولكن وضْع سنة 575 م، كالتاريخ الذي احتل به الفرس اليمن، يُشكك به الآن. فبعض الباحثين يضع احتلال الفرس لليمن في سنة 570 م[656]. وان ولدا أبرهة قد حكما قبل عام 570 م. فإذا كان عام 570 م هي السنة التي انتهى بها حكم الأحباش في اليمن. وذلك بعد ان حكم ابنا أبرهة بعد موته. فان موت أبرهة يكون سابق لذلك التاريخ بكثير. ونفس هذه الفكرة مؤيدة من الباحث Nöldeke، الذي يقول بان في هذه السنة أي سنة 570 م. هي آخر سنة قد حكم بها ابن أبرهة الثاني، ولم يصل أبرهة لهذه السنة التي هي سنة الفيل بزعم الإسلام[657].

ويقول ولهاوزن Wellhausen انه ما عمله تبع (ابو اسعد أبو كرب) في هجومه على المدينة ثم على مكة، قد نُسب الآن انه حدث لابرهة[658].

خلو المنقوشات اليمنية من الادعاء في هجوم أبرهة على مكة

والكتابات المنقوشة القادمة من العصر وما بعده، لا تذكر أبدا ان أبرهة قد تحرك نحو مكة. فهناك مثلا منقوشات على سد مأرب تسجِّل كيف ان أبرهة في عام 657 - بحسب توقيت سابا يعادل حوالي 540-545 ميلادي- قد هدَّأ تمرداً كان يدعمه ابن لـ Esimiphaeus سومويافع أشواع، الذي كان قد عيّنه الأحباش حاكماً على اليمن. وهناك نقش آخر عن انتصار أبرهة على قبيلة معد عام 662 سبئية يعادل بين 545 – 550 م[659].

ونحن نعلم ان الحميريين قد عادوا بمساعدة الفرس للحكم. فلو كانت قصة ضرب جيش أبرهة بالحجارة من الطيور قد حدثت، لكان أهم خبر يسجلونه. ولكننا لا نرى أي شيء من هذا القبيل. كما ان هناك خلواً لهذا الخبر في أي كتابات إثيوبية. فلو حدث الخبر لسجله الإثيوبيون، حتى بطريقة يبررون بها فشل الحملة.

القصة الإسلامية تصور بان كل العرب كانت تحج لكعبة مكة، في وقت كانت الكعبة واحدة من كعبات كثيرة كان العرب يحجون إليها

والحقيقة انه لا يمكن الاعتماد على ابن إسحاق. فهو يدّعي انه يؤرخ منذ عصر آدم ويخلق قصصاً، ولكن بدون أي توثيق. فقد ابتدع ابن إسحاق قصةً انه عندما بنى أبرهة الكنيسة في صنعاء، واسمها الْقُلَّيْسَ، كان هدفه لكي يصرف حج العرب من مكة إلى هذه الكنسية. وكأن العرب كانوا كلهم يحجون إلى مكة. وذلك ضد الحقائق التاريخية، من حيث انه كانت هناك كعبات في شبه الجزيرة العربية اهم من كعبة مكة. وكان هناك ما يزيد على 23 كعبة رئيسية، اضافة إلى كعبات اخرى كانت تتبع كعبة الطائف. ومن الكعبات الرئيسية: كعبة نجران. وكعبة ذي الشرى: معبد الشمال باتجاه بترا، يُحج إليه مثل مكة مع شهر يشبه رمضان.[660] وكان أيضا يُدعى بـ (رب بيت ذي الشرى). ويبدو انه كان في تبوك. وكانت هذه الكعبة القريبة من الأنباط محجا لكافة القبائل العربية، كما يتبين من الكتّاب الكلاسيكيين. وهناك الكعبة اليمانية لذي الخلصة، هو عثتر بنظر كثير من الباحثين. وكان لها نظام حج[661]. ثم كعبة اللات في الطائف. وهناك أيضا كعبة اليمامة وكعبة غطفان. فقد ذكر ياقوت الحموي ان "العزى سمرة كانت لغطفان يعبدونها، وكانوا بنوا عليها بيتاً، وقاموا لها سدنة "[662]. وكعبة سنداد بين الحيرة والابلة، كانوا يحجون إليها[663]. وكان لقبائل أياد بيت كانوا يحجون اليه، يسمى ذا الكعبات[664]. وكان هناك بيت عزى: عزى هي صخرة ولها سدنة وبيت مثل الكعبة[665]. وكان الطوفان والحج حول عزى مثل الكعبة. بل كتب الازرقي:

> "فكانوا إذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة، لم يحلوا حتى يأتوا العزى، فيطوفون بها، ويحلّون عندها، ويعكفون عندها يوما. وكانت قريش وبنو كنانة كلها تعظم العزى مع خزاعة وجميع مضر. وكان سدنتها الذين يحجبونها بنو شيبان من بني سليم، حلفاء بني هاشم".[666]

نرى من ذلك ان حج الكعبة في مكة كان جزءاً من حج للعائلة العربية النجمية. فلم يكن الحج للكعبة المكية قانونياً بدون تكميل الحج لباقي كعبات العائلة النجمية. وكان هناك بيت مناة- بالمشلل (مكان يبعد حوالي سبعة أميال من المدينة). وكان له سدنة وكان له صخرة، وله جب حيث يطرحوا هداياهم مثل الكعبة.[667]

ومن الكعبات المشهورة أيضا كعبة رضى، يقال لها أيضا كعبة رضاء. وكعبة سقام، وهو بيت كان للعزى في أحد شعاب وادي حراض الذي يقال له سقام، كانوا يضاهون به الكعبة. وكعبة رئام في صنعاء. وقال الشهرستاني بانه كان هناك في اليمن

كعبة لعبادة الزهرة مماثلة لكعبة مكة.[668] وكانت هناك كعبات بحجارة سوداء يُحج إليها مثل كعبة الطائف، ويطاف حولها.

تفنيد لأشعار ابن إسحاق التي وضعها في فم شعراء آخرين عن الحملة

ولكي يؤيد القرآن فقد ابتدع ابن إسحاق القصة التي سبق وذكرناها. وهي قصة لن تفوت على المؤرخين البيزنطيين ولا على الأحباش. ولكننا لا نجد لها أثر في أي كتاباتهم.

وهناك الأشعار التي قالها ابن إسحاق على لسان الحميريين بعدما غزت الحبشة اليمن. وهي أشعار بلغة عربية من عصر ابن إسحاق، وهي أصلا لغة قريش في وقت نرى الباحثين في عصر ابن إسحاق، يقولون بان لغة حمير التي كانت في زمن ابن إسحاق، تختلف عن اللغة العربية. فينتقد الجمحي الشعرَ المُقال من ابن إسحاق ومن غيره والمنسوب لعصور سابقة بهذه الكلمات:

> "فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعراً، فكيف بعاد وثمود. فهذا الكلام الواهن الخبيث ولم يرو قط عربي منها بيتا واحدا ولا راوية للشعر مع ضعف أسره وقلة طلاوته. وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه. فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق ومثل ما روى الصحفيون ما كانت إليه حاجة ولا فيه دليل على علم"[669].

فابن سلام الجمحي قد توفي عام 232 هجرية. يستشهد بأبي عمرو بن العلاء البصري الذي عاش بين عامي 68 و154 هجري، إذ كان معاصراً لابن اسحق الذي توفي عام 150 هجري. وقد قال ابن خلكان عن أبي عمرو بن العلاء:

> "كان أعلم الناس بالعربية والشعر ... وقال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر"[670]

ومع ذلك فأبو عمرو بن العلاء يعترف بان لغة حمير في زمانه ليست بلسانه، ولا عربيتهم بعربية الناس في زمانه. فكيف ينسب ابن إسحاق للحميريين شعراً زمن احتلال الأحباش لهم أي عام 525 م. ويجعلها مطابقة للغة العربية التي هي أصلا لغة قريش في زمن ابن إسحاق أي حوالي 760 م. وقول أبي عمرو بن العلاء في نقد ابن اسحق وغيره ممن نسبوا أشعارا لعصر ثمود وحمير وعاد هو ذات أهمية، من حيث ان لغتهم تختلف اختلافا كليا عن لغة قريش العربية، التي نظمت بها الأشعار التي نُسبت إلى عصرهم.

ونرى ابن إسحاق يذكر شعراً يدّعي بان أناس قد ذكروه عن طير أبابيل، ترمي الأحباش بحجارة من سجيل. والحقيقة تلك هي عادة ابن إسحاق في ابتداع شعر من نفس لغة عصره، ويقرنها في كل قصة يسردها.

ولقد اعتُبر ابن اسحق من أهل المثقفين في زمانه انه كاذب ودجال. أعيد القارئ إلى كتابي Islam in Light of History حيث أناقش موضوع المحدثين المسلمين وعدم مصداقية كتاباتهم من ناحية تاريخية. وهناك أمر آخر وهو حقيقة ان الشعر الجاهلي قد لحقه تزوير، ولا يوجد أي مصداقية لجامعي الشعر الجاهلي، مثل حماد الراوية. فكم يكون شعر ابن إسحاق الذي ابتدع شعراً في لغة قريش ونسبها لحمير بعيدا عن المصداقية.

تفنيد شعر ابن إسحاق الذي نسبه لامية بن أبي الصلت

ولو كانت القصة قد حدثت فعلاً لرأينا لها صدى كبير من شعراء مكة كأهم خبر حدث في تاريخهم. ولكننا لا نجد شيئاً من هذا القبيل. فكل ما نجده هو ادّعاء ابن إسحاق ان أمية ابن أبي الصلت قال شعراً عن ذلك. ونود ان نفحص هذه الأبيات التي نسبها ابن اسحق لامية:

إن آيات ربنا ثاقبات   لا يماري فيهن إلا الكفورُ

خلق الليل والنهار فكل   مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب رحيم   بمهاة شعاعها منشور

حبس الفيل بالمغمس حتى   ظل يحبو كأنه معقور

لازما حلقة الجران كما قطر   من صخر كبكب محدور

حوله من ملوك كندة أبطال   ملاويث في الحروب صقور

خلفوه ثم ابذعرُّوا جميعا   كلهم عظم ساقه مكسور

كل دين يوم القيامة عند الله   إلا دين الحنيفة بور(يقصد هلاك)[671]

يحوي هذا الشعر الذي ينسبه ابن إسحاق لامية بن الصلت، أجزاءً من أفكار ابن إسحاق، مثل فكرة الفيل الواحد كآلة الهدم والحرب. وهي تتنافى مع أسلوب الجيوش الإثيوبية التي كانت تحوي فرقاً تقود عدداً كبيراً من الفيلة. ثم فكرة ان الفيل "ظل يحبو كأنه معقور": وهي فكرة ابن اسحق ان الفيل صار يهرول، ومرات يقعد كأنه معقور. كلها تدل على ان ابن إسحاق قد افتعل شعراً لكي يؤيد سرده، وهي عادته كما أكدّ الباحثون في زمانه.

وهناك آية قرآنية في الشعر المنسوب لامية "كل دين يوم القيامة عند الله   إلا دين الحنيفة بور". والآية القرآنية هي: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" سورة عمران أي 3 والآية 19. نعلم بان مصحف ابن مسعود كان به "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الحنفية" فكان ابن إسحاق ما زال متأثراً في ذلك المصحف. وايضا هناك قول محمد في حديث له: "أَحَبُّ الأَديان إلى اللّه الحنيفية السمْحةُ"[672]. من الواضح ان عندما اراد ابن إسحاق ان يؤلف هذه الأبيات

وينسبها لامية بن أبي الصلت، قد كان تحت تأثير آية سورة عمران وحديث محمد هذا. حيث ان أمية ابن الصلت لم يكن مسلماً لكي يكرِّر أفكار محمد.

هناك أمر آخر يستحق الاعتبار: وهو ان ابن إسحاق المتوفي عام 151 هجري هو أول من استشهد بالأبيات هذه التي نسبها لامية بن أبي الصلت. فموضوع مثل هذه الأبيات هو هام جدا، فلو كان موجوداً قبل ابن إسحاق، لاستشهد به المسلمون تأييدا للقرآن. ذلك سهم واضح يدل على ان ابن إسحاق هو كاتبه.

تفنيد لشعر ابن إسحاق الذي نسبه لرؤبة بن عجاج

وقد ذكر ابن إسحاق شعراً آخر لرؤبة بن العجاج (التميمي، الراجز من أعراب البصرة)، وهو مسلم توفي عام 145 هجري. وقد ولد هذا الشاعر في الإسلام، ولذلك لا يمكن اعتباره شاعراً من شعراء الجاهلية. ولكن الدكتور كامل النجار يدّعي ان هذا الشعر قد قيل قبل القرآن. الأمر الذي يكشف خلو الخرافة القرآنية من أي شهادة من الشعر الجاهلي، حتى أنهم تمسّكوا في شعر شاعر مات بعد 145 سنة من هجرة محمد، وعاش حياته في منطقة البصرة بعيداً عن منطقة مكة التي قيل ان القصة حدثت فيها. هذا إذا سلمنا ان شعر رؤبة بن عجاج هو أصيل ولم يؤلفه ابن إسحاق نفسه. والآن لنناقش هذه الأبيات المنسوبة لرؤبة:

"ومسهم ما مس أصحاب الفيل ترميهم حجارة من سجيل و لعبت طير بهم أبابيل.. "[673]

ونقل عنه كذلك القرطبي:

ومسهم ما مس أصحاب الفيل ترميهم حجارة من سجيل ولعبت طير بهم أبابيل فصيروا مثل كعصف مأكول[674]

تعليقي: نود ان نرى تعابيراً مختلفةً عما يقوله القرآن، لكي نضع احتمالاً ان ذلك الشعر أصلي ولم يؤلفه ابن إسحاق لتأييد القرآن. لاحظْ مثلا تعبير "أصحاب الفيل". فكان بالأولى للشاعر ان يقول أصحاب أبرهة أو الأحباش. ولكنه استخدم التعبير القرآني المُميَّز. "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ". ثم "ترميهم بحجارة من سجيل" هو مطابق للآية القرآن " تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ". ثم "ولعبت طير بهم أبابيلْ" مأخوذة من"وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ". ثم قوله "فصيروا مثل كعصف مأكول" وهي مماثلة للآية القرآنية "فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ". فلا يحتاج الأمر لمزيد من الإثباتات من ان الكاتب قد كتبها تحت تأثير القرآن.

ان حادثة مثل هذه لو حدثت لاستحقت في ان تُذكر من عدد كبير من شعراء الجاهلية، خاصة لأنها منسوبة لزمان قريب من الإسلام. فتكون أكثر حادثة دراماتيكية قد حدثت في شبه الجزيرة العربية. ولكن محاولات الإسلام توثيقها من شاعر مسلم مات

سنة 145 هجري، ومن أبيات وضعها ابن إسحاق في فم أمية، يدل على عجز المسلمين ان يجدوا لها توثيقاً في الشعر العربي الجاهلي.

هل الله ينصر الوثنيين على جيش مسيحي؟ ولماذا لم يتداخل الله عندما شنع القرامطة بالكعبة واخذوا الحجر الأسود؟!

ولكن هناك شيئا هاما للاعتبار: وهو كيف ينصر الله وثني قريش الذين كان لهم 360 صنما في الكعبة، اضافة لهبل، وكانوا يعبدون اللات ومناة والعزى. كيف ينصرهم على المؤمنين من مسيحي الحبشة بقيادة رجل مسيحي. ونحن نعلم كيف التجأ المسلمون في هجرتهم الأولى للحبشة الذين آووهم. ولو فعلاً قد قصد أبرهة ان يهدم الكعبة، لكان قد فعل اقل من القرامطة. فهدْم الكعبة ليس امرأ خطيراً، إذ كان بمقدور القرشيين إعادة بنائها بطريقة أفضل في أي وقت شاءوا. ولم يكن ليهمّ أبرهة الحجر الأسود، الذي يعرف ان كعبات شبه الجزيرة العربية كانت تحوي أحجاراً مثله. ولكن ما فعله القرامطة في أخذ الحجر الأسود وقتل الحجاج هو الأمر الأخطر. يبدو ان الله قد نسي ان يرسل تلك الطيور ضدهم.

بالنسبة للقرامطة. ففي سنة 317 هجري (929 م.) سار أبو الطاهر القرمطي ضد مكة، وقتل الحجاج حتى في المسجد، وقلع باب البيت. وعندما خرج إليه أمير مكة مع جماعة من الأشراف يسترحمون منه، قتلهم وطرح القتلى في بئر زمزم، ودفن آخرين في المسجد. ويكتب ابن تغري بردي عن ما عمل أبو طاهر القرمطي في الكعبة ومكة:

"وفيها سير المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمي، فوصلوا إلى مكة سالمين. فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي. فقتل الحجيج قتلا ذريعا في فجاج مكة وفي داخل البيت الحرام لعنه الله. وقتل ابن محارب أمير مكة، وعرى البيت وقلع باب البيت. وأقتلع الحجر الأسود وأخذه وطرح القتلى في بئر زمزم. وفعل أفعالا لا يفعلها النصارى ولا اليهود بمكة. ثم عاد إلى هجر ومعه الحجر الأسود. فدام الحجر الأسود عندهم إلى أن رد إلى مكانه في خلافة المطيع على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وجلس أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله في المسجد الحرام يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وهو يقول:

انا لله وبالله أنا   يخلق الخلق وأفنيهم أنا

ودخل رجل من القرامطة إلى حاشية الطواف وهو راكب سكران، فبال فرسه عند البيت. ثم ضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه. وكانت إقامة القرمطي بمكة أحد عشر يوماً"[675]

وبعد مضي عشرين سنة توسّط الخليفة الفاطمي حاكم مصر آنذاك، عارضاً على القرامطة مبلغاً كبيراً من المال فيما لو أعادوا الحجر الأسود. ولكن قد أعاد القرامطة 15 من الحصى الصغيرة، مدّعين انها بقايا الحجر الاسود. والحقيقة ان تلك الحصى لا تمت بصلة للحجر الأسود، ولكن من حيث ان القرامطة طمعوا في عرض المال، وهم لا شك

قد أفنوا الحجر الأسود، فلو أعادوا حجرا آخرا لتعرّف المسلمون عليه انه ليس الحجر الأسود الذي كان في مكة. لذلك أرسلوا مجموعة حصى مدّعين انها بقايا الحجر الأسود.

ومعروف ان هدف القرامطة كان تدمير الإسلام. فكانوا يحاربون الفرائض الإسلامية من حج وصيام وصلاة، ومنعوا تلك الفرائض في المناطق التي كانت تحت سيطرتهم. وكانوا يحرقون الجوامع. وكانت عقائدهم مغايرة للإسلام، منها اعتقادهم باحتجاب الله في صورة البشر. فكيف يسكت الله لهم عندما يأخذون الحجر الأسود ويحطمونه، ولا يرسل لهم الطيور لتضربهم بالحجارة.

لم يحارب الله الأمويين الذين ضربوا الكعبة بالمنجنيق

لم يكن القرامطة الوحيدين الذين شنّعوا بالكعبة. فقد ضرب الأمويون الكعبة بالمنجنيق مرّتين واحرقوها، وذلك بقيادة الحصين بن النمير في زمن يزيد بن معاوية. والمرة الثانية كانت في زمن عبد الملك بن مروان، الذي أرسل الحجّاج بن يوسف الثقفي لمحاربة عبد الله بن الزبير.

ففي عام 64 هجري أرسل يزيد بن معاوية جيشاً بقيادة الحصين بن النمير، لقتال عبد الله بن الزبير الذي تحصّن في الكعبة. فقام الجيش بمحاصرة الكعبة وضربوها حتى احترقت. وفي عام 73 هجري أرسل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الحجاز، وانتصر على جيش عبد الله بن الزبير وحاصر مكة. فأصاب أهل مكة مجاعة عظيمة بسبب الحصار. ونصب الحجاج المنجنيق على جبل أبي قبيس وصار يضرب الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت. لا شك بان المسلمين يعتبرون عبد الله بن الزبير هو الخليفة الشرعي، نسبة لنسبه وتمسكه في مبادئ الخلافة التي سار عليها الخلفاء الأربعة الأوائل. ولكن لم يقف الله معه ولا مع الكعبة التي أحرقت مرتين. فكيف نجعل الله يقف مع الوثنيين زمن أبرهة ويرسل لهم الطيور لتضرب جيش أبرهة المؤمن بالله، بينما يسكت عندما المقاومون للإسلام، مثل القرامطة يشنعون بالكعبة وبالحجر الأسود، وعندما الأمويون المُقاوِمون للخلافة الحقيقية بحسب الإسلام يحرقون الكعبة.

وقصة أبرهة وضربه من حجارة تحملها طيور ليس فقط ينقصها توثيق تاريخي، رغم انها موضوعةٌ في عصر حوادثه الرئيسية مُغطاة من المنقوشات والمؤرخون. ولكن محتواها يدل على انها قصةٌ قد حُبكت في عصر خلف موت محمد، وذلك لتبرير محاربة المسيحيين في الشرق الأوسط. وفي القصة مبادئ تخالف صفات الله في عدم وقوفه لحماية معبد وثني. إذ ان الله الذي تسبَّب في هدم هيكل سليمان عام 586 قبل الميلاد على يد الكلدانيين الوثنيين آنذاك، وذلك عندما ابتعد اليهود عن عبادته ودنّسوا الهيكل بوضع بعض الأصنام به، كيف يقف في حماية كعبة بها 360 صنم. وفي داخلها هبل وإساف ونائلة. ويُعبد بها اللات ومناة والعزى؟ في وقت كان يحاربها جيش مسيحي مؤمن به؟! ان قصة الفيل تتضارب مع صفات الله في عدم تحمله الأصنام ومحاربته لأي

شعب يتمسك بها حتى لو كانوا أصلا شعباً عابداً ينتمي إليه، كما كان الشعب العبري في العهد القديم.

الإسراء

إسراء محمد لهيكل القدس

الإضافات على القرآن هي حقيقة تاريخية

بعد ان احتل المسلمون مناطق في الشرق الأوسط وفي العصر الأموي بصورة خاصة، وصار قرآن حفصة الذي اعتمد عليه عثمان بن عفان في إصدار النسخة التي صححها زيد بن ثابت مع الآخرين الذين عينهم عثمان لهذه المهمة، تحت التمحيص والنقد من المسيحيين، قد رأى الخلفاء الأمويون أهمية تصحيح القرآن وحذف الأمور التي كانت موضوع انتقاد. أو اضافة آيات تخفِّف من وطأة آيات اخرى ذات معاني خرافية واضحة أو معاني غير منطقية، كما آية السجدة التي جعلت بُعد الأرض عن السماء يعادل مسيرة ألف سنة، فأضيفت آية أخرى وهي من سورة المعارج رقم 70 والآية 4، التي تجعل بُعد الأرض عن السماء مسافة 50 ألف سنة.

وهناك دوافع اخرى لإضافة الآيات. وهي ان المسلمين في تلك الآونة لم يقبلوا في تطبيق تشريع غير منبثق من القرآن أو منسوب لأحاديث محمد. الأمر الذي جعل الخلفاء ان يضيفوا آيات في القرآن وأحاديث ينسبوها لمحمد، وذلك لأجل خلق تشريع يناسب حاجات الأمة.

ورغم سياسية الأمويين في جمع المصاحف بحجة تنقيحها، ثم الخروج في مصاحف جديدة منقحة. إلا ان مصحف حفصة الذي أُعيد إليها بعد تنقيحه والنسخ منه، كان عائقا أمام خطة الأمويين في تطوير القرآن. إذ صار يُرجع إلى نسخة حفصة من كثير من المسلمين من اجل الحكم في الآيات. وكان لا بد ان الأمويين يتلفون مصحف حفصة، إذا أرادوا ان لا يكون هناك مصحف يُعاد إليه في الحكم في قرآنهم، الذي كانوا ينقحونه ويطورونه ويحذفون منه الآيات، ويزيدون آيات، مثل الآية الأولى من سورة الإسراء وهي رقم 17

"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير"

إذ نعلم ان المسجد الأقصى بُني في عصرهم.

ونستطيع ان نرى ان إضافتهم للآية في سورة المعارج، والتي أرادوا بها ان يوازنوا الآية في سورة السجدة التي تتحدث عن بُعد السماء على الأرض بمسيرة ألف عام، فجعلوها في الآية في سورة المعارج بخمسين ألف سنة مما يحتاجها المواطن المعاصر لهم ان يسيرها على قدميه، هي دليل آخر على الدوافع التي كانت وراء اضافة الآيات للقرآن.

وقد كانت نسخ القرآن قد تعددت واختلفت في زمن الخلفاء الراشدين، خاصة زمن عثمان، إذ ظهر قرآن لابن مسعود في الكوفة، وقرآن لموسى الأشعري في البصرة، وقرآين كثيرة في الحجاز، مثل قرآن علي وقرآن عائشة. فإذا كان هذا الميل في عصر أبي بكر وايضا في عصر عمر وعصر عثمان في تغيير القرآن، كم بالحري زمن الأمويين. الذين كانوا يشعرون في منافسة عظيمة من الهاشميين في موضوع السلطة الدينية والحكم. فعبد الله بن الزبير كان قد ثار ضدهم في مكة. فكان هناك خطر الحج الذي سوف يجعل من الهاشميين الساكنين في مكة قيمة عظيمة، واستقطاباً من الحجاج لقضيتهم وطموحاتهم في السيطرة على الإسلام. لذلك كانت الحاجة إلى خلق استقطاب ديني للحج نحو المسجد الأقصى، الذي بناه الأمويون في القدس. وهناك أيضا بعض الآيات القرآنية التي كانت لصالح أهل البيت، الذين هم عائلة محمد والمنحدرين من ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب. لذلك لا بد من حذف تلك الآيات. رغم انها ما زالت موجودة في القرآن الشيعي.

لذلك بينما كان مروان بن الحكم والياً على المدينة طلب من عبد الله ابن عمر ان يعطيه مصحف أخته حفصة، فرفضت طلبه بشدة[676]. ولكن بعد موتها أعاد مروان طلبه الرئيسي إلى عبد الله ابن عمر، فأعطاه ذلك المصحف، وأتلفه الأمويون.

وتنقيح القرآن وتطويره زمن الأمويين أمر مسلمٌ به. فبين الشخصيات الإسلامية التي نقّحت وغيّرت آيات قرآنية، نذكر الحجاج بن يوسف الثقفي. (ولد في الطائف وعاش بين سنة 660-714 ميلادي)، وكان شخصية عسكرية قوية، ثم أصبح والياً للعراق. فبحجة تحسين وتنقيح اللغة العربية للقرآن وبسماح بل بتكليف من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، قد غيّر الحجاج على الأقل 11 آية قرآنية. والمصادر الإسلامية تعترف بان الحجاج بن يوسف الثقفي قد جمع مصاحف القرآن التي كانت موجودة في زمانه، وأجرى على القرآن تعديلات. مثلاً كتاب المصاحف للساجستاني يتطرق لذلك[677]. كذلك فان الموسوعة القرآنية لإبراهيم الأبياري تؤكِّد حقيقة ان الحجاج قد جمع مصاحف القرآن وأسقط منه أشياء كثيرة[678]. ويقول الساجستاني ان عبيد الله بن زياد قد زاد في المصحف 2000 حرف[679].

ادعاء القرآن ان محمداً قد أسري به إلى "المسجد الأقصى"

ادعى القرآن ان محمداً قد أسري به إلى "المسجد الأقصى" في وقت قد بني المسجد الأقصى بعد موت محمد ولم يكن هناك هيكلا "بيت مقدس" في اوروشليم.

نقرأ في سورة الإسراء والآية الأولى:

"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"

والمسجد الحرام هو كعبة مكة. والمسجد الأقصى لم يكن موجوداً أثناء حياة محمد. وبعد بنائه في العصر الأموي أصبح أبعد مُسجد قد بُني من المسلمين آنذاك. إذ نعلم ان المسجد الأقصى بُني في العصر الأموي، إذ بناه الخليفة عبد الملك بن مروان عام 68 هجري، أي سنة 687 ميلادي. ثم أكمل البناء الخليفة الوليد بن عبد الملك في الفترة الواقعة بين 90-96 هجري، أي عام 709-714 م. أي بعد أكثر من 80 سنة من موت محمد.

لقد بني المسجد الأقصى على موقع هيكل سليمان، الذي كان قد هُدم عام 586 قبل الميلاد من نبوخذنصر. ولكن عندما عاد المسبيون بعد حوالي 70 سنة، بنوا الهيكل من جديد بصورة متواضعة. وأعاد الملك هيرودس الاول بناءه من جديد عام 18 ق.م. ولكن هدمه تيطس الروماني عام 70 ميلادي في حملته المشهورة ضد اوروشليم. ولم يعد بناؤه بعد ذلك التاريخ. ولم يكن موجوداً زمن محمد وما قبله من قرون. فنستنتج اذاً ان سورة الإسراء، أي رقم 17، والآية 1، قد أضيفت على القرآن بعد عام 691، أي بعد بناء المسجد الأقصى.

عدم إعادة بناء هيكل القدس حقيقة تاريخية معروفة. فبعد هدمه من تيطس عام 70 ميلادي لم يُبنى للآن. لقد حاول الإمبراطور جوليان الثاني Julian II عام 363 ان يبني الهيكل، وذلك في محاولته في تشجيع ديانات غير المسيحية، ولكنه فشل في إعادة بنائه. فقد كتب المؤرخ Sozomen (400 – 450) في كتابه المعروف بـ Historia Ecclesiastica، عن فشل جوليان الثاني في إعادة بناء الهيكل، كذلك المؤرخ Ammianus Marcellinus -مؤرخ روماني من القرن الرابع ميلادي-. وكان الفشل في البناء بسبب نشوب النار عند الأساسات. فلم يستطع العمال الاقتراب، والبعض منهم لحقه حروقٌ حتى ان المكلفين في البناء تراجعوا عن البناء. والبعض يعزي الفشل في بناء الهيكل لحدوث زلزال وتردد اليهود بالنسبة للمشروع. ولكن المؤرخين المسيحيين قد عزوا ذلك إلى تداخل إلهي[680].

تقول لنا المصادر التاريخية انه عندما احتل المسلمون مدينة القدس، وجدوا الموقع الذي كان مبنياً عليه الهيكل في الماضي مهجوراً ومليئاً بالنفاية... فأمر عمر في تنظيف الموقع حيث صلّى هناك[681]. من الواضح اذاً انه عندما احتل المسلمون مدينة اوروشليم لم يكن هناك هيكل مبني. وكان موقعه مليئاً بالزبالة والفضلات.

آيات أضيفت على القرآن لأهداف متعددة

ليس فقط هذه الآية القرآنية قد أضيفت على القرآن بعد وفاة محمد، ولكن هناك عدة آيات أخرى، مثل الآية في سورة البينة أي رقم 98 والآية 6:

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَـٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ".

هذه الآية قد أضيفت للقرآن عندما بدأ المسلمون يحتلون الشرق الأوسط، وذلك لتبرير الحرب ضد المسيحيين. والآية الأولى في سورة الإسراء تدل بوضوح على ان القرآن لم يستنزله محمد وحده، ولكن كان هناك آخرون عندهم أهداف أخرى وأضافوا آياتهم القرآنية.

سهو المنقح للقرآن ومحاولة المسلمين الخروج من المأزق

وهكذا نرى وقوع الذي صحح القرآن في العصر الأموي في خطأ جوهري؛ ففي رغبته ان يقدّم دليلاً على إسراء محمد على البراق، فاته ان يذكر "بيت المقدس"، إذ بات المكان بعد ان بُني به المسجد، يُدعى "بالمسجد الأقصى". فذكر المنقح "المسجد الأقصى" بدل "بيت المقدس". فهذا العدد واحدٌ من أدلة كثيرة تكشف تطوير القرآن من الأمويين.

بعض المسلمين للخروج من هذا المأزق يدّعون بان المسجد الأقصى في الآية لا يتكلم عن البناء، ولكن عن موقع هيكل سليمان. ولكن الآية القرآنية تتكلم عن مسجد معين وهو المسجد الأقصى، والذي رأينا انه قد بُني عام 691 م. والآية تقول بان محمداً قد أسري به من مسجد إلى مسجد. ثم الآية تقول بان الله "قد بارك حوله". مُميِّزا بين المسجد الذي أسري إليه محمد وبين الموقع والمدينة حيث بُني المسجد. إضافة لتفاصيل قصة الاسراء التي سوف نأتي على ذِكرها لاحقاً، والتي تجعل محمد ان يربط البراق في باب المسجد، ثم يضع جبريل صورة البناء على جناحيه، لكي يمكّن محمد من وصف بناء المسجد للقرشيين.

إيمان بعض الجاهليين بان هيكل سليمان كان موجوداً في زمانهم

بعض من سكان الجاهلية زمن محمد الذين كانوا يميلون لتصديق الخرافات، كانوا يؤمنون بان هيكل سليمان كان ما زال موجوداً في زمانهم. وكانوا يدعونه "بيت المقدس". وهذا الاسم العربي مشتق من العبرية Bet ha Miqdash. وكانوا يؤمنون بان هناك بيتَ عبادة موجود في زمانهم في اوروشليم قد بُني من سليمان. فاستخدام التسمية (بيت المقدس) قد أشار إليها امرؤ القيس في قوله:

فأدركته يأخذن بالساق والنسا
كما شبرق الولدان ثوب المقدس

و(ثوب المقدس) هنا بمعنى ثوب الراهب الذي يخدم بيت المقدس.

ولكن لم يُسمِّ قط الجاهليون هيكل سليمان بالمسجد الأقصى، ولكن ببيت المقدس. وذلك رداً لمحاولة المسلمين إيجاد حل لذكر القرآن "المسجد الأقصى" قبل مرحلة بنائه، إذ يقولون لأنه أبعد مسجد عن مكة. ولا نجد ذكراً لتعبير مسجد أقصى في الشعر العربي الجاهلي أو مصادر اخرى غير الأحاديث التي لا شك كُتبت بعد بناء المسجد الأقصى من الأمويين. كذلك لم يكن هناك بناء لهيكل في القدس تحت اسم مسجد الأقصى أو حتى بيت المقدس.

خرافات جاهلية عن "بيت المقدس"

وقد قامت خرافات حول هذا الهيكل المزعوم في زمانهم، منها خرافات حول الصخرة التي بُني حولها لاحقاً المسجد الأقصى. ونحن نرى بان الخرافات الإسلامية عن "بيت المقدس" قائمةٌ على خرافات جاهلية سابقة. ومن هذه الخرافات ان الصخرة في "بيت المقدس" معلقةٌ بين السماء والأرض. اعتقد بان الامام أبو بكر العربي كان تحت تأثير خرافات جاهلية سابقة عندما وصف الصخرة:

> "صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فإنها صخرة قائمة شعثاء وسط المسجد الأقصى، قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء من ان تقع على الأرض إلا بإذنه .. ومن تحتها -أي صخرة المقدس- المغارة التي انفصلت من كل جهة، أي فهي معلقة بين السماء والأرض وامتنعت من لهيبتها من ان ادخل تحتها، لأني كنت أخاف ان تسقط علي بالذنوب، ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب، تمشى في جوانبها من كل جهة، فتراها منفصلة عن الأرض، لا يتصل بها من الأرض شيء ولا بعض شيء، وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض"[682]

ولقد ادّعى محمد انه لما جلس على الصخرة مالت بسبب انها معلقة بين السماء والأرض[683]. وتخيّل بعض العرب ان كل الماء العذب في الأرض يخرج من تحت هذه الصخرة الخرافية:

> ففي العرائس قال أبي بن أبي كعب: ما من ماء عذب إلا وينبع من تحت الصخرة ببيت المقدس ثم يتفرق في الأرض[684]

كانت هناك اذاً بعض جماعات ساذجة في الجاهلية التي كانت تؤمن بان هيكل سليمان كان موجوداً في زمانهم، وأنها حقيقة لا يمكن دحضها. وقد تأثر محمد بهذه الجماعات.

محمد يدّعي انه زار هيكل سليمان كبناء وليس كموقع

عندما نتتبع وصف محمد لليلة التي ادّعي بها انه أُسري به إلى هيكل القدس، نتحقق من انه كان يفكّر في بناء موجود في زمانه، وليس فقط موقع الهيكل الذي لاحقا بُني المسجد الأقصى عليه. فكما نرى في سيرة ابن هشام، ان محمداً قد ادّعى انه بينما كان نائما قد أتى إليه جبريل وهزه بقدمه. ثم أخذه إلى باب كعبة مكة حيث كان هناك حيوان مجنح وهو البراق. فامتطى محمد البراق مع جبريل، وطارا إلى بيت المقدس في القدس[685].

وادّعى محمد انه عندما وصل إلى باب بيت المقدس، قد أوثق البراق بالحلقة التي بباب بيت المقدس:

"ثم انتهيت إلى بيت المقدس، فأوثقته بالحلقة التي بالباب"[686]

لاحظ انه يتكلم عن باب بيت المقدس. واضح انه ادّعى انه طار من باب الكعبة إلى باب بيت المقدس. وادّعى انه عندما دخل داخل بيت المقدس قد تعرّف على ابراهيم وموسى ويسوع بين جمهور من الأنبياء كانوا هناك. وانه قد أمّ بهم وقادهم في الصلاة[687].

هناك تقليد واضح من محمد لماني، مؤسس الديانة المانوية في القرن الثالث ميلادي، فقد ادّعى ماني انه قد عرج للسماء، وفي مزمور مانوي نقرأ ان جميع الأنبياء قد اجتمعوا لاستقبال ماني وانه حياهم[688]. وادّعى محمد بنفس ادعاء ماني، ولكنه أظهر كبريائه ورفعته فوق الأنبياء. وكل ذلك حدث في "بيت المقدس ". كما نرى من سيرة ابن هشام[689]. والسيرة الحلبية تكرر نفس ادعاء محمد في لقائه بالأنبياء. فيدّعي محمد:

"لما استوينا في المسجد أذن مؤذن ثم أقام الصلاة"[690].

فيتكلم اذاً عن بناء هيكل سليمان انه قامت به طقوس دينية وتأذين وصلاة. وعادة التأذين قد اقتبسها محمد من مسيلمة بن حبيب الذي كان كاهناً للجن. ومعروف ان مسيلمة قد سبق محمد في جعل مؤذّن يسير أمامه صارخاً (اشهد ان لا الله إلا الله ومسيلمة رسول الله). فكان لمسيلمة قبل ان يدّعي محمد بوحي مؤذّناً يُدعى عبد الله بن النوّاحة[691]. فكان يجعل الناس ينادون أمامه "رسول الله". فمحمد قد قلّده في الطقس والكلمات. ومعروف بان مسيلمة قد سبق محمد في الادعاء في النبوة، فيذكر الطبري عن رد فعل قريش لمناداة محمد بالرحمن:

[فلما قال لهم محمد: "اسجدوا للرحمن" قالوا: "أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة؟" يعنون مسيلمة][692].

ويكتب السهيلي عن تاريخ ادعاء مسيلمة:

"وكان يسمى بالرحمن فيما روي عن الزهري قبل مولد عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[693].

وبذلك فإن إعلانه عن الرحمن وادعائه النبوة يعود إلى منتصف القرن السادس الميلادي.

ومن المحتمل ان طقس التأذين ينتمي أصلا لكهنة ديانة الجن في شبه العربية. وعلينا ان نلاحظ ان محمداً قد ادّعى ان هذا الطقس جرى في داخل هيكل سليمان الذي كان متهدماً في زمانه.

هناك مقربين من محمد بما فيه بعض أقربائه كانوا يؤمنون بان هيكل سليمان كان موجوداً في زمانهم

وكان أبو بكر مؤمناً بوجود هيكل سليمان في القدس في زمانه، وادّعى انه قام بزيارته. وعندما ادّعى محمد انه أسري به لبيت المقدس، كان ينام في بيت أم هاني، التي بالنسبة لها بيت المقدس كان حقيقة قائمة في زمانها[694]. ونرى ابن عباس يتكلم عن الليلة التي أسري بها محمد لبيت المقدس[695]. اذاً هناك خرافة وجهل من جهة مدينة القدس بين أصدقاء وأقرباء محمد. وقد نشأ محمد في بيئة جاهلة كانت تؤمن بوجود هيكل سليمان في مدينة القدس في زمانهم.

محمد يدّعي ان جبريل قد أراه بناء هيكل القدس على جناحيه، وأبو بكر يثبت ادعاء محمد من خلال الكذب

كان يسهل على محمد ان يخدع تابعيه بالنسبة لادعائه في زيارة بيت المقدس ليلا. ولكن عندما سألته قريش ان يقدم تفاصيل عن المبنى، قد وقع في أزمةٍ كبيرةٍ. وبحسب قوله:

> "لما كذبتني قريش، أي سألتني عن أشياء تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها أي قالوا كم للمسجد من باب، فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط"[696]

والتزوير المعروف للكهان في خداع الآخرين نراه في أبو بكر. وذلك عندما ادّعى محمد بانه قد ركب في صحبة جبريل على البراق، وزار بيت المقدس في القدس. في الوقت الذي لم يكن هناك بيت مقدس في القدس، إذ قد هدمه تيطس القائد الروماني عام 70 ميلادي، ولم يُبنى إلى الآن. ولكن بعد ادّعاء محمد ذلك، ابتدأ كثيرون من المسلمين في الرجوع عن الإسلام. فأراد أبو بكر أن يثبّت ادعاء محمد والإسلام من خلال الكذب. فادّعى، أي أبو بكر، انه قد زار بيت المقدس في القدس. فجاء أبو بكر وقال لمحمد كما نرى في سيرة ابن هشام:

> "فقال: يا نبي الله، أحدثت هؤلاء القوم انك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم؛ قال يا نبي الله، فصفه لي، فإني قد جئته. فقال رسول الله، فرُفع لي حتى نظرت إليه، فجعل رسول الله يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر: صدقت، اشهد انك رسول الله، كلما وصف له منه شيئا، قال: صدقت اشهد انك رسول الله،

حتى إذا انتهى، قال رسول الله لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصديق؛ فيومئذ سمّاه الصديق"[697].

فقد ثبَّت أبو بكر من خلال الكذب ادّعاء محمد المُخالِف للتاريخ، مدّعياً انه قد زار الهيكل في القدس، وان محمداً قد وصفه تماماً كما رآه أبو بكر. وبذلك أصبح أبو بكر "الصديقَ". وصار خليفة لمحمد في وقت لاحق بعد موت محمد. وهذا ما كان يصبو إليه أبو بكر أصلاً من إتباع محمد والعمل على إنجاح تدينه. كل ذلك يؤكّد بصورة قاطعة لا تقبل الشك عن عدم أمانة الذين كانوا حول محمد، وعن حقيقة كذبهم. وان محمداً كان يعتقد بان هيكل القدس كبناء كان موجوداً في زمانه، وليس كموقع. فالمسلمون الذين يودون حلاً لهذا الخطأ التاريخي الجسيم، ولعدم مصداقية اختبارات محمد التي ادّعاها، ليس لهم أي حجة باقية للدفاع عن ذلك.

انتقال النفس بواسطة روح شيطاني ظاهرة معروفة في عالم السحر

هي ظاهرة معروفة في حياة كثيرين ممن يعبدون الأرواح في أيامنا. والأمثلة كثيرة في هذا المجال. ولكنني سوف اكتفي في بعضها.

Corinne Calvet كانت ممثلةً في هوليود. وادّعت انها لا توجد بعد، وأنها ولدت ثانية تحت اسم Corona. وصارت تمارس اليوغا Yoga وادّعت انه كان لها خارج جسمها رحلة نجمية إلى النجوم. ولقد كان عندها دائما رؤى وإعلانات[698].

وايضا المدعو مانغ Al G. Manning (لوس انجلوس – كاليفورنيا) قد اختبر في عام 1950 الانتقالَ من الجسد. وصار عنده في وقت لاحق القدرة على الارتفاع في الهواء. وقد اختبر رؤى النور مرات عديدة، كمحمد الذي "زُج بالنور فوق الطبقات السماوية السبعة". وكان معروفاً كساحرٍ محترف، وقد كتب كتباً عن معرفة أسرار الآخرين، الممارسة والقدرة السحرية المعروفة تحت اسم [699] Clairvoyance.

هناك أيضا أليستر هاردي Alister Hardy. كان بروفسوراً في جامعة أكسفورد، وتوفي عام 1985. كان متخصصاً في الحيوانات البحرية Marine Biology. وبعد ان أحيل على التقاعد قد أسس عام 1969 Religious Experience Research Center. كان هدفه جمع الاختبارات الدينية من كل نوع ثم تصنيفها. فيقول:

"في تصنيفنا اعتقد بأننا نميّز بين صنفين رئيسيين: الاول هو الصنف العام، والثاني ذلك الذي نسميه بالصوفي الغامض. بسرعة نتحقق من ان الأخير يُقسم إلى 12 فئة أو أكثر. ومن بين هؤلاء يقع أولئك الذين يتميزون برؤى وسماع أصوات ويجري لهم غشيان، وخروج من الجسد (أي رحلة النفس خارج الجسد او الاسراءات) . هؤلاء لهم طبيعة psychic (المقصود من خلال الاتصالات بالأرواح يصير لهم قدرات نفسية خاصة تختص في وسطاء الأرواح)"[700]

Alister Hardy نفسه مرّ في اختبار شعوذي خطير ظن انه متحد في الكون، وان الله مجرد قوة[701]. وهو اختبار معروف عند الجماعات وسطاء الأرواح الشريرة

وبعض الديانات الشرقية. لذلك نرى ان تصنيف ودراسة Alister Hardy تكشفه انه ضمن المجموعات التي تمارس وتؤمن بالشعوذة.

ان فكرة سماع الأصوات واختبارات الإسراء والغشيان هي اختبارات متكررة جدا، وهي تقع تحت صنف الاختبارات النفسية الشعوذية الغامضة. وهي نراها في حياة محمد.

يتحدث الدكتور كيرت كوخ، المختص بالأمراض النفسية وخبير علم الشياطين، عن Harry Edwards، كيف من خلال جلسات الأرواح سيطرت الأرواح عليه، ووعدته في الاستخدام، ومرّ من اختبارات الملبوسين بالشياطين. وصار يشفي من خلال سقوطه في الغشيان. وقد رافقت ممارساته أمور سحريةٌ، مثل انتقال الأشياء من مكان إلى آخر بدون لمسها. وكان يسافر خارج جسده لكي يزور المريض حيث هو موجود[702].

والشامانات (وسطاء الأرواح) في شمال آسيا وشمال روسيا وروسيا الأوروبية، ينالون وحيهم من خلال سقوطهم في حالة غشيان، حيث تظهر لهم الأرواح وتوصل لهم رسالةً. وهذه مؤكَّدة من وصف W. Radloff (في نهاية القرن التاسع عشر). يبدأ الاحتفال من خلال الصلوات للأرواح. ثم يبدأ الشامان برحلة عبر طبقات السماوات – حسب هؤلاء الشعوب السماوات مؤلفة من عدة مناطق – ذاك يذكّرنا بمعراج محمد لكي يأتي برسالة من الله. فيصعد الشامان إلى إله علوي لكي يتعلم عن الذبيحة ان كانت مقبولة أم لا، وعن توقعات عن الطقس، وعن المحاصيل. وإذا ما الإله Uelguen يتوقع تقدمات وما نوع التقدمات[703]. انها صورة لمعراج محمد الذي من خلاله ينال محمد تعليمات من الله.

والباحث Montague Summers يذكر كيف انه أحيانا قد افتخر السحرة في ادعاء الطيران على ظهر حيوانات لكي يؤثِّروا على سامعيهم[704]. وهي تنطبق على محمد. وأود ان استشهد بباحث اسمه Cirvelo Pedro Sanchez، وكان قاضياً في المحاكم. وقد كتب كتاباً بين عامي 1475 و1560م. وكان كتابه مرجعاً هاماً في اسبانيا. وقال عن ادّعاء السحرة أنهم يُحملوا ليلا بواسطة حيوانات، وان السحرة يتخيلون ذلك بواسطة الشيطان. ويُرجِع Cirvelo ذلك بسبب حالة الغشيان المُسبِّبة لمثل تلك الهلوسة[705].

وفكرة ادّعاء السحرة في ركبهم حيوانات والسفر إلى أماكن بعيدة هي أمر قديم. فكان السحرة يقولون انهم يسافرون برفقة الإلهة ديانا إلى أماكن بعيدة لكي يعبدوها[706]. ويقول Ulrich Molitor، بروفسور القانون في جامعة Constance- ألمانيا (عام 1489)، هذه العبارات عن موضوع نقل السحرة أو أرواحهم من أماكنهم إلى أماكن اخرى:

"سواء خلال النوم أو حالة الصحو، تستطيع الشياطين ان تخلق انطباعا حياً وقوياً يجعل (السحرة) ان يؤمنوا بأنهم يرون ويتصرفون حقيقة "[707]

وذلك بلا شك يعكس معرفة الباحثين، حتى في تلك القرون، على قدرة الشياطين ان تهلوس عقل الإنسان، وتجعله يظن انه يسافر إلى أمكنة بعيدة. يقول Jeff Harshbarger بان الترانس Trance تؤهِّل الشخصَ ان يترك الجسدَ، ويذهب لكي يكون في شركة مع الأرواح وينال معلومات. وكثيرون من هؤلاء الشامانات يدّعون في نوال نبوة من خلال رحلاتهم الشعوذية هذه[708].

لقد ذكر جامبتستا بورتا Giambattista Porta، وهو باحث ايطالي عاش في نابولي حوالي عام 1560، ومشهور تحت اسمGiovanni Battista Della Porta، عن ساحرة قد وعدته ان تأتي له بمعلومات. وسقطت في حالة غشيان Trance. ودخل الغرفة وحاول ان يوقظها ضارباً إياها ولم تستيقظ. أخيرا فاقت، وقالت كيف انها سافرت إلى جبال وبحار وأماكن بعيدة[709].

Jeffrey Russell وBrooks Alexander يتكلمان عن التشابه العجيب بين السحرة الأفارقة والأوروبيين. من بينها: تطير نفوسهم من اجل الاجتماع بمكان. يستخدمون معاجين لكي يغيِّروا أشكالهم. يملكون الجن. ويمارسون العربدة الجماعية. وهناك خمسين صفة للسحرة الأوروبيين موجودة في مجتمعات أخرى[710].

محمد كان يتعرَّض لمثل هذه الإسراءات قبل ادعائه بوحي

تذكر كتب السيرة على ان محمداً كان قد تعرّض "للإسراء" قبل ان يدّعي بوحي[711]. وتكشف كتب سيرة محمد على ان طبيعة هذا (الإسراء) هو "لان ذلك كان في نومه بروحه"[712]. وهي نظير ما يذكره العرافون من انتقال أرواحهم أثناء نومهم بواسطة روح شيطاني إلى "رحلة في عالم الأرواح".

متى حدث الادعاء بالإسراء، وما هي دوافعه الحقيقية؟

كان ذلك بعد بضعة أيام من رفضه من قبيلة ثقيف في الطائف. فكان محمد في حالة فشل كبير. وأراد الروح الذي انتحل هوية جبريل ان يعزّيه. فاختلق أمرين: أولهما ان الجن الشياطين جاءت إليه بعد ان كانت تُضرب بالنجوم، بينما كانت تتجسس على سقف السماء. جاءت إليه تسمع القرآن وصارت مسلمة. وصارت وفود الشياطين تأتي إليه لكي تسمع القرآن، وتقترح عليه في مقابلته في الحُجُون – وهي مقبرة كان محمد يمارس بها جلساته مع الجن. مما يؤكد بان هذه الشياطين هي نفسها الجن التي كانت تتقابل معه في الحُجُون سابقا.

ثم أتت ظاهرة الإسراء هذه. التي لا شك مُفتعَلة من نفس الروح المنتحل لهوية جبريل. وكأن محمداً لا يحتاج إلى دعم من مكة ومن القرى حولها، إذ مركزه هو فوق

كل الأنبياء. فهو يُستقبل من كل الأنبياء في هيكل سليمان، ويأمهم بالصلاة. اذاً هي ظاهرة مُفتعَلة لها نفس أهداف جعل الشياطين مسلمين، ومعمولة من نفس الأرواح التي ادّعت انها صارت مسلمة.

وكما يجري لوسطاء الشيطان بان أجسامهم تبقى على فراشهم، بينما نفوسهم تُخطف من الشيطان إلى رحلة خارج الجسد، نرى ذلك مؤكداً في اختبار محمد. فعن عائشة:

"ما فُقِد جسد رسول الله صلعم ولكن الله أسرى بروحه"[713].

فاختبار محمد متساوي مع اختبار العرافين، الذين تحت قوة هلوسة الشيطان، تُحمل أرواحهم إلى أمكنة، حيث تُخلق فيهم بواسطة هذه الهلوسة قناعات خادعة عن عظمتهم، وذلك للتأثير أيضا على من يتبعهم.

وتتميّز هذه الرحلات بأنها تحدث للعراف عدة مرات، الأمر الذي هو مسجل في حياة محمد. إذ تقول كتب سيرة محمد:

"إلى ان الإسراء وقع لمحمد ثلاثين مرة"[714].

ويقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان اسراءات محمد كانت أربعا وثلاثين[715]. إذ ما سمِّي بالإسراء هو جزء من اختبارات محمد القديمة، حيث كانت تُسرق روحه وهو نائم نحو رحلات هلوسة، نظير كل ما يتعرض له السحرة ومؤسسي ديانات تعبد الأرواح، كما سبق ورأينا بعض الأمثلة. لذلك فالحالة التي يود الشيوخ ان يعزوا لها معنى مختلفاً، كأنه أسري به في الجسد، هي من نفس الحالات السابقة. وهناك شهادة أم هانئ عن محمد انه بقي نائماً في بيتها في ليلة ادعائه في إسراء. أي لم يختفِ جسد محمد في الليلة التي ادّعى بها انه أُسري به، ولكن بقي نائماً في بيت أم هانئ بنت أبي طالب، أي بنت عمه، واسمها فاختة[716]. فهي تذكر نوم محمد في بيتها. ثم عندما فاقت وجدت محمداً يدّعي انه أثناء الليل قد أسري به، كما نلاحظ من كلماتها:

> "وعن أم هانئ قالت "ما أسرى برسول الله صلعم إلا وهو في بيتي. نام عندي تلك الليلة في بيتي، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا. فلما كان قبل الفجر أهبنا رسول الله صلعم : أي اقامنا من نومنا". ومن ثم جاء في رواية: "انبهنا، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانئ. لقد صليت معك العشاء الاخرة كما رأيت في هذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه. ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترين"[717]

وهنا نرى ان الرجل قد صلى العشاء آخر صلاة، ونام أمام ابنة عمه. ثم فاق باكراً لكي يقول انه أسري به.

وفي وقت لاحق صار المسلمون يجمعون قصة معراج مع الإسراء. أصبحت القصة تقول ان محمدا قد وعظ في الأنبياء في بيت المقدس، ثم عُرض عليه كأس لبن وكأس خمر، فاختار كأس اللبن. وهكذا خلصت امة محمد من الغرق من خلال اختياره

كأس اللبن، وانه اختار الحكمة. وهي قصة تحت تأثير فارسي، كما سنرى لاحقا. ونلاحظ انه في اعتراض قريش على قصة الإسراء لا يوجد أي ذكر للمعراج. قد يكون قد ادّعى محمد في وقت لاحق بمعراج. ولكن صياغة القصة ليست تعود إليه. حيث رُتِّبت القصة بطريقة تتفق مع معاريج فارسية ومندائية ونصرانية هرطوقية. ولا شك جاء هذا الحبك بعد موت محمد.

معراج محمد مُوحى من معاريج سابقة خاصة الزرادشتية

هناك نقاط تشابه كثيرة مع هذه المعاريج، منها زيارة العارج لطبقات سبعة يسكن بها نوعٌ من المؤمنين حسب تقواهم. وفي الغنوصية والنصرانية الهرطقية، هناك شخصية من الكتاب المقدس ترأس كل طبقة، وترحِّب بالعارج فاتحةً له باب تلك الطبقة. ثم مرافقة ملاك للعارج إلى حد لا يستطيع ذلك الملاك ان يجتاز، ولكن العارج وحده يدخل إلى مكان إقامة الالوهية في عزلتها. حيث تعطي هذه الالوهية العارجَ وصايا دينية لكي ينزل ويعمِّمها على التابعين. وهناك أمور اخرى قد نقلها محمد بكاملها. ولست أريد ان أخوض في تفاصيل ذلك، إذ الأمر يحتاج إلى متسع كبير، ولكنني أود ان أقدم ملخّصاً عن موضوع قد نُسب لمحمد: وهو انه قبل ان يعرج للسماء قد عُرِض عليه ان يختار بين ان يشرب كأسَ لبنٍ أو خمر. وان اختياره يقرِّر مصيرَ أمته الإسلامية. سوف نرى ان ذلك مأخوذٌ من الزرادشتية.

نقرأ في صحيح البخاري:

"عن أبي هريرة ان رسول الله صلعم قال أُتي ليلة أسري به بايلياء بقدحين من خمر ولبن. فنظر إليهما، ثم اخذ اللبن. فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة ولو أخذت الخمر غوت أمتك"[718]

وهذه أفكار زرادشتية. فالملك فيستاسبا، الذي دعم زرادشت من خلال الحروب لفرض الزرادشتية على الأمم الإيرانية آنذاك، يُعرض عليه كأس لكي يشربه. وقبول الديانة من الملك فيستاسبا يعني قبول الأمة كلها للديانة، وهي في شربه الكأس المُعطى من الملاك[719].

والملاك يعطي فيستاسبا ان يشرب كأساً بها يرى عالمَ الروح[720]. وهنا نرى ان فكرة الكأس التي يشربها القائد، هي الكأس التي لا بد ان يشربها من هو مُعد للسماء في ان يرى عالم الروح كما حدث لمحمد. ونرى أيضا بان زرادشت يُعطى كأس عسلٍ، فيرى السماء والجحيم[721]. وحقيقة عرض كأس لكل من يعرج في الزرادشتية للسماء، نراه في معراج فراز. فقد أُعطي لفراز كأساً لكي يشرب قبل المعراج[722].

أما لماذا يُوضع أمام محمد كأس حليب أو لبن، لكي يختاره قبل ان يعرج، فذاك من صلب بروتوكول العارج في الزرادشتية، وفكرتهم الخرافية عن الحليب أو اللبن. فهناك في سفر Sad Dar علاقة الفطنة بشرب الحليب[723]. وفي دنكارد الكتاب التاسع نجد ان

المحضرين لتجديد الكون يعطون حليب للشرب[724]. فكان هناك إيمان بقيمة الحليب السحرية في إعطاء حكمة خيالية خارقة. وكان المقاومون لتلك الفترة، أي تجديد الكون، يُعتبرون في الكتب الزرادشتية أنهم غير حكماء، بسبب أنهم عاجزون على اختيار الحليب[725]. من هنا اختيار الحليب هو علامة الفطنة والحكمة.

هنا نرى ان عرض الحليب على محمد واختياره الحليب -الفطنة، وبذلك كل الأمة الإسلامية قد نجت من خلال ذلك الاختيار، هو تكرار لمبادئ خرافية زرادشتية.

حقائق تفند ادعاء محمد

أولا: كما سبق ورأينا ان جسده بقي في بيت أم هاني، الأمر الذي أكدته أيضا عائشة. لذلك فاختباره كان ذا طبيعة شعوذية، معروف حدوثه لوسطاء الأرواح الشريرة المرتبطين بهذه الأرواح. وقد رأينا ان ما يُسمى الإسراء هو واحدة من هذه الرحلات الكثيرة التي تعرّض لها محمد قبل ادعائه بالنبوة.

ثانيا: اختبار محمد في امتطائه البراق المجنَّح مشتقٌ من الخرافات الزرادشتية. فنقرأ في كتاب دنكارد، وهو جزء من النصوص الفهلوية، عن Kai-Khusroi، وهو اسم صورة خرافية كنبي في الزرادشتية، قد حوّل Vae إله الهواء إلى جمل مجنح، وامتطاه ليذهب لزيارة "الذين نالوا الخلود" في أماكن بعيدة وأماكن سماوية[726].

لقد تصوّر الفرس الزرادشتيون ان السماء مرتبطة بالأرض من خلال "البحر السماوي". وظنوا ان هناك حاجزاً أو سقفاً يفصل السماء عن البحر السماوي الذي تحتها. فتصوروا خارطتهم للسماء والأرض، مدّعين أنهم يعرفون كل التفاصيل عن الطريق إلى السماء، وانهم يعرفون كيف يذهبون إلى " طبقات السماء المختلفة". واعتبروا السماء مساويةً في الحجم للأرض. لذلك ظنّوا انه يمكن الوصول للسماء من خلال بعض الطرق، مثل الامتطاء لجمل مجنح. الأمر الذي اقتبس محمد هذا المفهوم الزرادشتي. وقد ادّعى ان الأنبياء كانت تركب هذا الحيوان الخرافي –أي البراق- حتى تصل إلى السماء. فيقول:

"وكانت الأنبياء تركبها قبلي"، "وكانت تُسخَّر للأنبياء قبلي"[727]

وهي تكشف عن رغبته في تسخير ادعاءاته المُعتمِدة على خرافات زرادشتية وتلبيسها للأنبياء.

ثالثا: من متناقضات الإسراء ان محمداً قدم رحلتين متناقضتين للبراق، أولا جوية ثم برية. فقد ادّعى ان البراق طار به في لمحة، لكي يضعه أثناء غفوته في بيت أم هاني في هيكل سليمان المتهدم، الذي ادّعى انه قائمٌ بعكس التاريخي الرسمي المعروف. لكنه عاد يقدم عن إسرائه صورةً بريةً، تعكس سفر القوافل التي كانت تتطلب شهراً من الزمان للوصول للقدس. فجعل البراق يكرِّر إحدى رحلاته التي كان يقود بها قوافل خديجة نحو الشام. فلم ينتبه انه قدَّم لهم رحلة جوية سريعة على ظهر البراق الخرافي.

ولكنه في محاولة الدفاع عن ادعائه أمام قريش التي كذّبته، نزل إلى رحلة طويلة يمر بها بنفس الأودية التي كان ينزل بها أثناء سيره على جمله، كخادم يقود القافلة التجارية لخديجة قبل زواجه بها وبعدها.

وهكذا وقف في سرده على كل المحطات التي كان يعرفها في ماضيه. وكان يمر على عائلات يعرف أنهم كانوا يعيشون على خط القوافل التجارية. وكأنه في سرده مر عليهم مُتعباً من طول السفر وعطشاناً، حتى انه يشرب ماءَهم المُغطى وهم نيام دون ان يشعروا به، أو يعرفوا ان صاحبهم القديم الذي كان يمر بهم في قافلة خديجة، قد مرّ بهم الآن وهم نيام على ظهر براق. ففي كل المحطات التي ادّعى انه مر بها محمد في إسرائه جعل الناس نياماً. فيقول:

"مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا بشيء فكشفت غطاءه، وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان"[728]

ثم ادّعى انه قد مرّ بقافلة وقلب البراق الغطاء عن الماء التي كان صاحبها قد أعدها للتوضؤ. وشرب محمد من الماء[729]. وهكذا قدّم محمد صورةً لرحلة برية مرّ بها من محطات كان يعرفها في ماضيه، ولكنه لم يقدم علامات لهذه الرحلة البرية أيضا، والتي هي متناقضة مع سرده الجوي عن "الإسراء ". ففي كربه أمام قرشيين يسألونه ويفحصونه، لم ينتبه انه في رغبته ان يقدم علامات لجماعات باتت تواجهه قد نزل من رحلة في ومض البصر، أي رحلة جوية سريعة على حيوان خرافي يطير، نحو رحلة برية حاول ان يستخدم معرفته في أسماء أودية ومحطات قوافل، لتعضيد سرد رحلة، كان قد ذكر أصلا أثناء غفوته انها جوية. فبات في المدافعة يسرد رحلة معاناة وعطش في البرية عبر محطات رحلاته القديمة. ولكنه لم يجعل ولا شاهد من هذه المحطات لرحلته هذه. إذ جعلهم كلهم نياماً، لم يفيقوا على صوت حيوان خرافي كبير، يحمل ملاكا اسمه "جبريل" يركب خلفه محمد.

محمد يجعل ان جملاً قد برك أثناء رحلته، ويجعله علامة

وذكر ان قوافل قد خرجت من مكة باتجاه دمشق كان معروفاً انها تسافر أثناء تلك الفترة، ولا شك كان يعرف محمد في توقيت خروجها من مكة. وذكر ان جملاً قد برك عندما رأى البراق وجعله ذلك علامة[730]. ونحن نعلم ان الجمال كل يوم تبرك قليلاً أو كثيراً في سيرها في الصحراء، ولكنه لم يذكر ان أحدا من الناس في القافلة قد رأى البراق الذي بات يسير على الأرض بدل الجو.

رابعا: الأزمة المُحرِجة هي شخصية جبريل الذي يرسم على جناحيه صورة الهيكل غير الموجود آنذاك بعد هدمه من تيطس عام 70 م. ولكن جبريل يود ان يُنقذ محمداً من أزمة مُربِكة جدا، وهي فشله ان يصف للقرشيين الهيكلَ الذي ادّعى في زيارته على البراق في الليل. فيلجأ جبريل للكذب والتزوير مقدِّماً رسم بناء غير موجود. فجبريل اذاً ليس روحَ حق كما هي الملائكة، ولكن روح باطل وخداع وكذب. وإذا كان

محمد نبياً حقيقاً، لماذا لا يميِّز ان جبريل هذا المُتعامِل معه هو روح كذب. فكيف يثق المسلمون بفرد كنبي، يقوده روحٌ خادعٌ مثل جبريل؟!.

خامسا: كون المسجد الأقصى قد بُني عام 691 م وان الهيكل في القدس لم يكن موجودا. قد عرّت هذه الحقيقة التاريخية ليس فقط شخصية جبريل الذي دعم فكرة وجود بيت المقدس زمن محمد، وعرت قرآنه ومحمد نفسه، ولكن سلطت الأنوار من جديد على تابعي محمد المقربين في زمانه، مثل أبو بكر الذي ليس هدفه الحق، ولكنه يلتجأ للكذب والتزوير مدّعياً انه زار بيت المقدس، وان وصْف محمد المُستنِد على تزوير جبريل هو صادقٌ ودقيقٌ. وسلَّطت الأنوار على باقي التابعين الذين كانوا جهلة في الحقائق التاريخية في زمانهم، حتى إنهم خُدِعوا من جبريل ومحمد وأبو بكر. وظنّوا ان بيت المقدس كبناء كان موجوداً في زمانهم، وان محمداً قد زاره وجبريل قد وصفه جيدا، وأبو بكر قد زاره وأثنى على وصف محمد القائم على وصف جبريل لرسم الهيكل على جناحيه. فهل يود المسلمون الحاليون ان يبقوا في صف الخداع هذا. ويدافعوا عن مشروع وحيٍ لمحمد مهما كانت مراحل الخداع الذي تبناه جبريل ومحمد وأبو بكر في تثبيت فكرة الوحي هذا؟!

الخضر

قصة الخضر (الشخصية الخالدة التي تعيش على أرضنا) التي أدرجها محمد ضمن سورة الكهف

نجد في نفس سورة الكهف التي بها ذكْر لرحلة ذي القرنين المأخوذة من كتاب المنتحل لكلستنيس، ان هناك ذكراً لقصة موسى والخضر. فيدّعي القرآن ان الله قد أمر موسى ان يحمل حوتاً أو سمكة كبيرة (والتي من خلال أحاديث محمد نعرف انها سمكة مملحة)، لكي يسافر في البحث عن عبد من عبيد الله الذي هو احكم من موسى. فيسافر موسى مع خادمه يشوع بن نون حامِلاً هذه السمكة. ولقد أعطى الله علامةً لموسى: وهي انه عندما يُفتَقد الحوت (أي ينال حياةً وينساب في الماء)، فهناك يجد موسى هذا الإنسان، الذي وُصف من الباحثين المسلمين انه خالد. وموسى بحسب هذه الآيات من القرآن قد سافر مسافةً كبيرةً حتى تعب. وفي نهاية المطاف تحيا السمكة. وكان خادم موسى قلقاً لأنه قد فَقَدَ الحوت أو السمكة. ولكن موسى قال لخادمه انه ذلك ما كنا نبتغيه، أي ان يحيا الحوت لكي يجدا هذا الرجل الحكيم في نفس المنطقة.

فيجد موسى ذلك الرجل الذي سمّاه محمد في أحاديثه بالخضر. وموسى طلب من الخضر ان يرافقه من أجل أن يتعلم من حكمته المُعطاة له من الله. ولكن الخضر عارض ذلك، مُفصِحا لموسى ان موسى لا يستطيع أن يحتمل تصرفاته التي لا يفهمها. ولننقل كلمات القرآن كما جاءت في سورة الكهف والآيات 60-82:

> وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا. قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا. قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ

خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا. فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا. أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا. وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا. أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا

ان رحلة موسى مع خادمه حاملا سمكة مملحة، التي في وقت لاحقا قد أحييت، مأخوذة من كتاب المنتحل لكلستنيس. لقد شرح محمد في حديث له هذه القصة، بطريقة جعلت مصدر القصة واضحاً وهو كتاب المنتحل لكلستنيس. ونضع أمام القارئ حديث محمد، كما هو منقول من الطبري، لكي يتأكد مما نقول:

"... قال ابن عباس: حدثني أبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ مُوسَى هُوَ نَبِيّ بَنِي إسْرَائِيلَ سأَلَ رَبّهُ فَقالَ: أيْ رَبّ إنْ كانَ فِي عِبادِكَ أحَدٌ هُوَ أعْلَمُ مِنّي فادْلُلْنِي عَلَيْهِ، فَقالَ لَهُ: نَعَمْ فِي عِبادِي مَنْ هُوَ أعْلَمُ مِنْكَ. ثُمّ نَعَتَ لَهُ مَكانَهُ، وأذِنَ لَهُ فِي لُقِيّهِ. فخَرَجَ مُوسَى مَعَهُ فَتاه وَمَعَهُ حُوتٌ مَلِيحٌ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: إذَا حَيِيَ هَذَا الحُوتُ فِي مَكانٍ فصاحبُكَ هُنالكَ، وَقَدْ أدْرَكْتَ حاجَتَكَ. فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتاهُ، وَمَعَهُ ذلكَ الحُوتُ يَحْمِلانِهِ. فَسارَ حتى جَهَدَهُ السّيْرُ، وَانْتَهَى إلى الصّخْرَةِ وَإلى ذلكَ الماءِ، ماءِ الحَياةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ خَلَدَ، وَلا يُقارِبُهُ شَيْءٌ مَيّتٌ إلاّ حَيِيَ. فَلَمّا نَزَلا، وَمَسّ الحُوتَ الماءُ حَيِيَ."[731]

جذور قصة الخضر والسمكة في كتاب المنتحل لكلستنيس

هذه القصة نجدها في كتاب المنتحل لكلستنيس، كما في الكتابات السريانية المبنية على ذلك الكتاب الخرافي. كان الاسكندر المقدوني يبحث عن نبع الحياة من اجل ان يحصل على الخلود. ولقد قيل له ان نبع الحياة موجود في "ارض الظلام" التي تحوي عدداً كبيراً من الينابيع. ولقد نصح رجلٌ شيخٌ الاسكندرَ ان يجعل رجلاً يحمل سمكةً مملحةً، ويغسلها في كل نبع، فعندما تعود السمكة للحياة يكون ذلك نبع الحياة[732]. وأمر الاسكندر طباخه في ان يحمل سمكةً مملحةً. وبينما كان الطباخ يغسل السمكة في الينابيع المختلفة الموجودة في ارض الظلام، غسل السمكة في نبع ماء ورجعت للحياة وهربت في النبع[733]. وعاد الاسكندر لكي يستحم في نبع الحياة، ولكنه لم يجده. فلم يسمح الله له ان يستحم في نبع الحياة، لأنه لم يكن يريد له ان ينال الخلود على الأرض[734].

وقد سبق وذكرت ان أصل هذه الخرافة هي من النسخة اليونانية لكتاب المنتحل لكلستنيس[735]. وهذه النسخة اليونانية تُعرف ب β (بيتا) وتعود إلى ما بين القرن الثالث، وما قبل عام 550 م[736]. ومن بين الكتابات التي ذكرت الخرافة هي الكتابة السريانية التي تُنسب ليعقوب السروجي وتعود للقرن السادس م.

وفي نسخ اخرى من كتاب المنتحل لكلستنيس، فالذي أمر ان يحمل سمكةً مملحةً كان قائدا في جيش الاسكندر. فبعد ان غسل السمكة في النبع أو العين المائي وحييت، هربت السمكة في الماء. فأغطس هذا القائد نفسه في الماء يبحث عن السمكة، ولكنه تغيّر، إذ أصبح لون وجهه اخضراً. وبات بدون عطش وجوع للطعام، فعرف انه قد نال الخلود. وأصبح حكيماً جدا، فصار يميز النهار من الليل وهو يسير في ارض الظلام[737].

المنتحل لكلستنيس وملحمة جلجامش

لقد تتبع المنتحل لكلستنيس ملحمة جلجامش. فقد كان جلجامش يبحث عن الخلود، وذهب لكي يستشير Utnapishtim (Uta-Napishti)، الذي يوصف في الميثولوجيا الرافدية بانه خالدٌ وأحكم إنسان على الأرض. وهو الناجي من الطوفان السومري الذي قد منحته الآلهة الخلود، لأنه قد نجّى الإنسانية. ويُدعى أيضا زيوزورا (Ziusura). ثم بعد الطوفان ذهب لكي يعيش في Dilmun التي هي البحرين. وفي السرد الأكادي للطوفان يتحوّل اسمه إلى Atra-hasis الذي يعني The very wise، أي الحكيم الكبير أو صاحب الحكمة اللامتناهية[738].

وتقول عالمة الآثار Stephanie Dalley بان Atrahasis انه اسمٌ مشهورٌ في عدة منقوشات في الشرق الأوسط. بالنسبة لقائمة ملوك سومريين، نجد بان Atrahasis مدعواً باسمه السومري أي Ziusudra، معنى اسمه الحكيم فوق العادة Extra-wise. وفي ملحمة جلجامش اسمه Utapishtim وUta-na'ishtim كلمة تعني "وجد حياة". الكلمة السومرية لـ Ziusudra هي ترجمة تقريبية للاسم الأكادي Utapishtim. كلمة sudra تقابل لقب كلمة Ruqu المعطى لـ Atrahasis وهي "البعيد جدا". واسم Atrahasis مستخدم في الميثولوجيا الأوغاريتية Ugaritic كإله الحِرَف تحت اسم Kothar-wa-hasis:، كجذر للخضر الحكيم جدا في منطقة الشرق الأوسط قديما[739].

الناجي من الطوفان في الكتابات العربية

نستطيع ان نتتبع آثار الناجي من الطوفان ألرافدي في الكتابات العربية، ذلك الذي أصبح خالداً، والذي أصبح اسمه الخضر في بعض مناطق من الشرق الأوسط. فيقول ابن كثير بان الخضر كان يعيش أيضا في عصر الطوفان وتولى دفن ادم[740]. ويقول العيني بان الخضر قد دفن ادمَ بعد خروجه من الطوفان[741]. (هنا التقاء في الخرافة الرافدية)، أي انه شخصية باقية بعد الطوفان ونالت الخلود.

وهناك تنبير على انه خالد، كما نقرأ في لسان العرب لابن منظور:

"والخَضِرُ: نَبيٌّ مُعَمَّرٌ محجوب عن الأَبصار".[742]

وايضا يتراءى للناس. فهو يعرف أسماء الناس ويتراءى لهم. فالخضر يأتي إليهم ويسلِّم عليهم، ويعرف أسماءَهم ومنازلهم ومحلاتهم. فهو شخص مُخلَّد يعيش في كل العصور، بحيث انه كان يعمل مع ذي القرنين، كما نجد في كتابات الحلبي وابن كثير: "وكان الخضر صاحب لوائه الأكبر"[743]، وانه نال الخلود من خلال شربه من عين الحياة[744]. ويقول ابن حجر:

"وقيل أنه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر... وإنه بلغ مع ذي القرنين الذي ذكر أن الخضر كان في مقدمته نهر الحياة، فشرب من مائه وهو لا يعلم ولا يعلم ذو القرنين ومن معه، فخلد. وهو عندهم حي إلى الآن".[745]

لاحظ بان الخضر قد شرب من ماء الحياة وصار مخلداً وبقي هناك، أي بجانب نبع الحياة. من هنا نرى ان السمكة المملحة التي حملها خادم موسى، قد حييت حيث يقيم الخضر، أي بقرب ماء الحياة.

وفكرة انه كان صاحب لواء ذي القرنين هي مأخوذةٌ من بعض نسخ كتاب المنتحل لكلستنيس، التي جعلت الذي يحمل السمكة المُملَّحة صاحب لواء ذي القرنين بدل الطباخ. وقد نال الخلود بعد ان غطس في نبع الحياة يفتش عن السمكة التي حييت.

وكون فكرة الخضر هو شخص خالد نجدها أيضا في أحاديث محمد. فقد جعله محمد مُعاصِراً أيضا في زمنه. كقوله عن الخضر انه يحج كل عام في زمنه.[746]

يقول الزبيدي ان الخضر خالد لأنه شرب من ماء الحياة، وان لونه وإشراق وجهه مثل النبات الأخضر الغض[747]. ذاك يذكِّرنا في لون الخضر الأخضر كما جاء في النسخة الحبشية من كتاب المزور لكلستنيس، والتي هي والعربية مأخوذتان من النسخة الفهلوية المفقودة.

الخضر في الميثولوجيا العربية

ونجد الخضر في الميثولوجيا العربية يشترك في عناصر هامة مع الميثولوجيا السابقة التي تطرقنا إليها. فهو يحرس نبع الحياة، وأعطى منها للملك صخر الذي بسبب ذلك نال الخلود. وهذه قصة التي من ضمن قصص ألف ليلة وليلة هي صورة عربية مُستمَدة من ملحمة جلجامش: بولوقيا الذي كان يسافر عبر بلاد كثيرة قد أضاع مستشاره الأمين عفان، وذلك في بحثه غير المجدي عن خاتم سليمان، الذي كان بواسطته يستطيع ان يسافر لكي يصل إلى نبع الحياة، لكي يشرب من مائه وينال الخلود[748].

جوانب خرافية عن الشخص الخالد ألرافدي التي قلّدها المنتحل لكلسثنيس صارت في القرآن

نستنتج اذاً بانه يوجد بحسب الميثولوجيا الشرق أوسطية رجلٌ حكيمٌ وخالدٌ، يعيش بالقرب من "نبع الحياة". وان هناك بعض الرجال قد حاولوا ان يصلوا إليه لكي يستفيدوا من حكمته وينالوا الخلود. وهذه الفكرة التي ظهرت أولاً في ملحمة جلجامش، إذ سافر جلجامش لكي يستشير اوتنا بشتيم Utapishtim من جهة نبتة الخلود التي تعطي الخلود لمن يأكل منها. وكتاب المنتحل لكلسثنيس قد جعل الاسكندر ان يسافر بدل جلجامش في البحث عن الخلود. وبدل من الرجل الخالد الذي ذهب جلجامش لكي يستشير، قد خُلِق ذلك الرجل الخالد من خادم الاسكندر (وفي بعض النسخ من صاحب لواء الاسكندر)، فجُعِل ذلك ان يجد "نبع الحياة" بدل نبتة الحياة التي نراها في ملحمة جلجامش. وحيث ان جلجامش قد فشل ان يأكل من نبتة الحياة حتى بعد أن وجدها، وذلك لأن الحية قد سرقتها وأكلت منها وخلدت. فقد أظهرت ملحمة جلجامش ان الآلهة لم تكن تريد له ان ينال الخلود، كذلك فالمنتحل لكلسثنيس جعل الاسكندر ان يفشل في الشرب من نبع الحياة، إذ ان الآلهة لم تكن تريد له الخلود أيضا.

ولكن الطريقة التي بها جعل المنتحل لكلسثنيس ان يكتشف نبع الحياة هو من خلال غسل السمكة المملحة في النبع وعودة السمكة للحياة. وذلك قد اقتُبس تماما في القرآن.

وهناك جوانب اخرى منقولة من القرآن من ملحمة جلجامش كما تطورت في منطقة الشرق الأوسط. فقد رأينا مما استشهدت به الباحثة في علم الآثار ستفاني دالي Stephanie Dalley، بان رجل الخلود السومري قد عاش تحت أسماء مختلفة في الميثولوجيا الشرق أوسطية. فقد كان اسمه في ميثولوجيا أوغاريت خُضر –وا- هاسيس Khothar-wa-hasis (أوغاريت مدينة بالقرب من اللاذقية – نشأت بها حضارة عريقة). من هنا فالخضر كشخصية خالدة في منطقة الشرق الأوسط قد تركت تأثيرها على بعض النصارى، وذلك قبل زمن محمد بقرون. فلقد أعُطي هذا اللقب لإيليا الذي صار يُدعى من النصارى بلقب الياس، وهو ترجمة الاسم في اللغة اليونانية.

هناك عنصر آخر في ملحمة جلجامش، قد قلّدها كتاب المنتحل لكلسثنيس وصار في القرآن. فالرجل الخالد الذي كان بحسب الخرافة السومرية ناجياً من الطوفان، قد ذهب بحسب ملحمة جلجامش لكي يعيش في دلمون التي هي البحرين. فقد كان يرى السومريون بان دلمون هي بمثابة جنتهم. وفكرة الخالد الذي يعيش في البحرين قد تركت تأثيرها على المنتحل لكلسثنيس كما نقرأ:

> " الملاك قال للإسكندر: ان الله قد وضع في العربية ظلاما حيث يوجد هناك أيضا كنز وهناك أيضا نبع الحياة، كل من شرب منه حتى قطرة واحدة لن يموت، وخلال شرب ذلك الماء يكتسب الإنسان حكمة ومعرفة لم يسبق ان أحدا قد نالها. ويكتسب قوة الطيران عبر السماوات كما تطير الملائكة. وسوف يخلد للأبد، إلى ان يطلب بنفسه من الله ان يموت "[749]

من الواضح بان في تقليد المنتحل لكلستنيس لملحمة جلجامش، قد انتبه للمكان الذي بحسب الملحمة يوجد بها نبتة الخلود، وهي في العربية (من حيث ان دلمون هي جزء من شبه الجزيرة العربية). ولكن نجد القرآن أكثر دقة في تحديد أين يسكن الخضر الرجل الخالد، المكان الذي يوجد به نبع الحياة الذي أحيا السمكة أو الحوت المملح. فقد سافر موسى بحسب القرآن إلى مجمع البحرين، وذلك لكي يتقابل مع الخضر، ذلك الخالد الذي يعيش بالقرب من المكان حيث حييت السمكة. ولقد فسّر محمد في أحد أحاديثه بانه المكان حيث يوجد نبع الحياة.

المكان الذي وجد به موسى الخضر هو نفس المكان الذي تعيش به الشخصية الخالدة في أسطورة جلجامش وهو دلمون – البحرين – جنة السومريين.

أين هو "مجمع البحرين" المكان الذي بحسب القرآن قد وجد فيه موسى الخضر؟

من السهل رؤية انه نفس المكان الذي بحسب ملحمة جلجامش قد ذهب لكي يعيش به الرجل الخالد، وهو البحرين، أي دلمون جنة السومريين. يظن بعض المسلمين انه "اجتماع بحر فارس ببحر الروم". فنقرأ في تفسير الطبري:

"عن قتادة، قوله: مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ قال: بحر فارس وبحر الروم."[750]

انه من المستحيل ان القرآن قد قصد ذلك الموقع، وذلك لأن بحر فارس-وهو الجزء من المحيط الهندي المقابل لإيران-لا يجتمع مع بحر الروم، الذي هو البحر الأبيض المتوسط. وموسى بحسب القرآن كان مستعداً ان يسافر "حقبا". والحقب بحسب ان عباس هو دهر[751]. وبحسب آخرين هو ثمانون سنة أو سبعون سنة[752]. وذلك لا يتناسب مع مكان قريب من فلسطين مثل البحر المتوسط. ثم ان بحر فارس لا يلتقي مع البحر المتوسط. البحران اللذان يتلقيان معا هما بحر فارس مع الخليج العربي. ولقد كان الخليج العربي قديما يُعتبر انه بحر. فكان يُدعى سابقا ببحر القطيف.

هناك شيء آخر يدل على ان القرآن قد قصد بالمكان الذي التقى به موسى بالخصر انه البحرين. وهو ان مفسري القرآن قالوا بان موسى التقى في الخضر في جزيرة. فهناك اتصال أكثر في الصيغة الرافدية ولفكرة البحرين. حيث نرى موسى يتبع أثر الحوت حتى وصل إلى جزيرة لكي يتقابل مع الخضر، كما نرى في الطبري:

"وجعل الحوت لا تمسّ شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة. فجعل نبيّ الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخَضِر بها فسلم عليه"[753]

ونرى نفس الفكرة مُعبَّراً عنها من ابن عباس:

"عن ابن عباس: فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى. وجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء يتبع الحوت. وجعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس عنه الماء حتى يكون صخرة. فجعل نبي الله يعجب من ذلك حتى

انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر فلقي الخضر بها، فسلم عليه فقال الخضر..."[754]

من الواضح ان موسى بحسب القرآن قد وصل إلى التقاء بحر فارس بالخليج العربي. ثم ان السمكة عملت طريقاً في البحر حتى وصلت بموسى وخادمه إلى الجزيرة الرئيسية للبحرين، حيث تقابل بالخضر.

هناك شيء آخر يشير على ان القرآن قد قصد بالمكان الذي اجتمع به موسى بالخضر انه بلاد البحرين. نرى ذلك من المعنى المعطى "للبحرين" من الالوسي:

"والمراد بالبحرين الماء الكثير العذب والماء الكثير الملح من غير تخصيص ببحرين معينين"[755]

هذا التعريف من الالوسي لكلمة البحرين في القرآن يتفق مع بلاد البحرين، حيث ان البحرين كبلاد قد أخذت اسمها من وجود المياه العذبة داخل الماء المالحة كما نقرأ:

والذي يعتقد انها سميت بذلك لسبب وجود ماء الينابيع العذبة والتي تسمى كواكب وسط ماء البحر المالح[756]

لقد جمع القرآن الوجوه المتعددة عن ذلك الرجل الخالد الذي بحسب الميثولوجيا الرافدية قد عاش في البحرين، حيث يوجد أيضا نبتة الخلود التي أصبحت، كما رأينا في كتاب المنتحل لكلستنيس، نبع الحياة. من حيث ان الحوت المملح الذي حُمل من موسى وخادمه قد حيي في تلك المنطقة، فالقرآن ضمنياً يعبِّر عن انه حيث يعيش الرجل الخالد هناك يوجد نبع الحياة، وهو ما يتفق مع الميثولوجيا الرافدية. وموسى الذي يسافر طويلا حتى انه أعيا من طول السفر، ذلك أيضا يعبّر عن ناحية من ملحمة جلجامش. حيث ان جلجامش قد سافر طويلا مُخاطِرا في حياته، وذلك لكي يستشير الرجل الخالد الحكيم جدا. ولقد وجده في ارض دلمون أي البحرين. واخيراً فان فكرة السمكة التي حييت في ذلك المكان، هي مطابقة لكيف اكتشف الاسكندر نبع الحياة كما جاء في كتاب المنتحل لكلستنيس. الأمر الذي يشير على ان ملحمة جلجامش قد عاشت في شبه الجزيرة العربية زمن محمد، وذلك في صيغة قد جمعت بين فكرة المنتحل لكلستنيس وخرافات جلجامش من جهة الرجل الخالد الذي سكن البحرين، وما يتعلق في سكناه من وجود نبع الحياة الذي يحي كل ما يتصل به.

تطور صيغ لملحمة جلجامش في منطقة الشرق الأوسط

السؤال الذي قد يخطر على بال القارئ: كيف وصل ذلك المزيج من ملحمة جلجامش وما تطورت إليه من خرافات، إلى شبه الجزيرة العربية زمن محمد؟

لقد أكَّد الباحثون انتشار خرافات جلجامش تحت صيغ وتطورات مختلفة، وذلك في أمكنة في الشرق الأوسط وعصور مختلفة. وفي الحقيقة بان صيغ من ملحمة جلجامش قد وجُدت في العصر الفارسي المسمى بـ أرشيكون Arsacid (السلالة أرشيكون قد

وحّدت إيران وحكمتها مشكِّلة الإمبراطورية أو العصر البارثي وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد. وقد سيطروا بصورة متقطعة على بلاد ما بين النهرين بين عامي 150 و224 قبل الميلاد). وهذه النسخ لملحمة جلجامش كانت تعود للقرن الاول أو الثاني قبل الميلاد. وقد وُجدت في أجزاء من الخط المسماري المسماة الآن بـ (BM 35174 and 35628) [757].

عندما نعرف بان الإمبراطورية البارثية قد سيطرت على مناطق من شبه الجزيرة العربية، فإننا نستطيع ان نفهم كيف انتشرت ملحمة جلجامش في شبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور.

هناك أيضا ظهور شخصيات من ملحمة جلجامش في كتاب الجبابرة القمراني. من هذه الذاتيات جلجامش، وهُمبابا Humbaba والرجل الخالد Utnapishtim. (هُمبابا قد ظهر في ملحمة جلجامش كمارد هائل وقد قُتِل من جلجامش ومن صديقه انديكو Enkidu). هذا يدل على ان صيغ آرامية لملحمة جلجامش قد انتشرت بين أوساط مثقفة في الشرق الأوسط [758]. ومن حيث ان ماني قد اعتمد في كتابة كتابه المسمى بالجبابرة على كتاب الجبابرة (الذي وُجد أيضا في كهوف قمران)، لذا فإننا نعرف بان ملحمة جلجامش كانت معروفةً من المانويين ومُتبناه منهم في كتاباتهم. بدون شك فزيارة جلجامش إلى Utnapishtim لكي يطلب الحكمة وينال الخلود، كانت معروفةً جيدا من المانويين. نعلم بان المانوية قد وصلت شمال شبه الجزيرة العربية. كما سبق وذكرنا سابقا.

لقد استمر جلجامش ان يكون له شعبية خاصة بين المسيحيين النسطوريين. ومعروف عن النسطوريين في إرسالهم بعثات تبشيرية إلى شبه الجزيرة العربية. ولقد أدرج ثيودور كونيا Theodore bar Konai، الأسقف النسطوري من القرن التاسع ميلادي، في تعليقه على سفر التكوين، قائمةً بالملوك الذين حكموا ما بعد الطوفان، وذلك في توافق للأجيال بين فالج وإبراهيم. ولقد كان الاسم العاشر في قائمته هو جلجامش[759].

كل هذه المعطيات تدلنا على ان خرافات عن جلجامش كانت شائعةً في الجهات التي كان لها علاقات في شبه الجزيرة العربية، وبالتالي انتشرت في شبه الجزيرة العربية نفسها. وقد كانت قد انتشرت كما كتاب المنتحل لكلستنيس قبل محمد بقرون. لذلك فان مزج تلك الخرافات مع أسماء من الكتاب المقدس في زمن محمد مثل موسى ليس امرأ مُستغرَباَ.

إيليا – الياس كالخضر

لقد سبق وذكرت ان الإنسان الخالد الناجي من الطوفان الرافدي، قد عاش في حضارات متعددة في منطقة الشرق الأوسط تحت اسم Atrahasis. وكان اسمه في كتابات أوغاريت خضر –وا- هاسيس Khothar-wa-hasis. وهو إله الصناعات

الحكيم الحاذق. والباحثين مثل ستيفني دالي Sephanie Dalley ، اعتبروا اسمه هذا كالجذر للخضر[760].

على انه مع ان اسم الخضر كان مرتبطاً بالرجل الخالد ألرافدي الذي استقر بعد الطوفان في دلمون – البحرين، ولكن تحت تأثير الميثولوجيا اليهودية قد أصبح إيليا. والسبب في ذلك يعود لكون إيليا قد أُخذ إلى السماء دون ان يموت. لذلك فبعض اليهود قد اعتبروه كرجل خالد، ما زال يظهر من حين إلى آخر من اجل ان يحل عقداً ومشاكل. كذلك اعتماداً على عدد في سفر ملوك الاول (من كتب العهد القديم)، حيث ان إيليا الذي بعد ان اختبأ، وذلك بعد ان أعلن انه لن يكون هناك مطر في الأرض إلا عند قوله، قد خرج من مكان إقامته. وتقابل مع عوبديا الذي كان يعمل مع الملك آخاب ملك إسرائيل. وقال له انه سوف يتقابل مع الملك. ولقد أجاب عوبديا:

"وَيَكُونُ إِذَا انْطَلَقْتُ مِنْ عَنْدِكَ أَنَّ رُوحَ الرَّبِّ يَحْمِلُكَ إِلَى حَيْثُ لاَ أَعْلَمُ. فَإِذَا أَتَيْتُ وَأَخْبَرْتُ أَخْآبَ وَلَمْ يَجِدْكَ فَإِنَّهُ يَقْتُلُنِي. وَأَنَا عَبْدُكَ أَخْشَى الرَّبَّ مُنْذُ صِبَايَ." (ملوك الاول 18:12)

ذلك قد خلق خرافةً عند البعض من ان إيليا مُقادٌ من الله لكي يتراءى في كل العصور، وانه يجول من مكان إلى مكان محمولاً من روح الله. كذلك من حيث ان إيليا قد عُرف في سفر ملوك الاول في إعلانه عن حجب المطر لمدة ثلاث سنوات. ثم انه بعد مضي الثلاث سنين قد صلّى إلى الرب من اجل عودة المطر، وقد عاد المطر بحسب النبوة التي ذكرها إيليا. فقد أصبح كالذي يأتي بالمطر، وصار يُتشفّع إليه لكي يأتي بالمطر. فصار يُنسب إليه انه يأتي بالاخضرار حيث كان هناك قحط وقفر.

ولقد أصبح لقب الخضر بالنسبة للمسيحيين الشرقيين في منطقة الشرق الأوسط هو الياس،[761] وهو الاسم اليوناني لإيليا. ويقول هاملتون Hamilton M. عن الرجل الخالد ألرافدي الذي يعيش بحسب الأسطورة في البحرين:

"اكتشافه لنبع الحياة جعل مكانه بالقرب من النبع، ولكنه نسبةً لوظائفه ومساعدته في حل العقد، جعل هناك التباساً من نحو شخصيته وتحقيقه في شخصية الياس-إيليا كما هو في النصرانية الذي يأتي بالمطر.[762]

واعتقد ان ذلك هو الجذر للخضر في القرآن: فقد حافظ على إقامته كالرجل الخالد بالقرب من نبع الحياة في البحرين، ولكن نسبةً للسفر مع موسى والحوار معه، قد عَكَسَ الفكرةَ الخرافية اليهودية والنصرانية التي كانت تدور حول إيليا – الياس، الذي يسافر متجولاً من مكان إلى آخر، وذلك لكي يقدِّم حلولاً للمشاكل الصعبة.

الحقيقة ان تأثير فكرة إيليا-الياس كالخضر على محمد مؤكَّدةٌ من أحاديث محمد، التي بها يقول بان الخضر هو الياس. كما نرى من هذا الحديث المنقول عن ابن عباس:

"عن بن عباس قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضر هو الياس"[763]

وهناك أقوال لابن عباس يؤكّد بها ان الخضر هو الياس[764]. ولكن كان محمد يجهل بان إيليا قد عاش في القرن التاسع قبل الميلاد، بينما موسى قد ولد في القرن السادس عشر قبل الميلاد. فكيف يكون الخضر – الياس أو إيليا معاصراً لموسى، ويذهب موسى ليزوره في البحرين ؟!

ولقد ارتبط تكريم الياس في التقليد المسيحي في الأماكن العليا والتلال الخضراء[765]. وهذه أيضا كان لها تأثير على نظرة محمد للخضر. ففي أحد أحاديثه يقول:

> "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله إنما سمي الخضر خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء ... وقال مجاهد إنما سمي الخضر لأنه إذا صلى اخضر ما حوله."[766]

مار جرجس وسرجيوس والخضر

وفي وقت لاحق قد تقاسم لقب الخضر في منطقة الشرق الأوسط شخصيتان أخريتان: مار جرجس، الذي بحسب تقليد بعض المسيحيين كان جندياً في الجيش الروماني في فلسطين، وقد اضطُهِد بسبب إيمانه المسيحي ووقوفه مع المُضطَهدين المسيحيين. هناك أيضا سرجيوس، المُكرَّم من الأرمن وسكان آخرين في آسيا الصغرى، فقد اشترك أيضا هو في لقب الخضر[767].

لقد ورث مار جرجس، المُسمَّى أيضا بالقديس جورج، ما كان يُنسب لإلياس من صفات، وصار حامي للأشجار والبيئة. فنعرف من Hewitt Garth، وهو مرجع فخري للكاتدرائية الانجليكانية (الأسقفية) في القدس An Honourary Canon of St George's Anglican Cathedral in Jerusalem، بان " القديس جورج أو جرجس قد سُمِي بالخضر لأنه حامي الشجر والبيئة".

وانتقال اللقب من الياس إلى مار جرجس أو جورج هو ملاحظٌ ببعض الكنائس التي بُنيت للخضر، كما في قرية الطيبة (في الضفة الغربية). فالقرية قد ذُكرت في الكتاب المقدس كعفرة. وهناك بقايا كنيسة تعود للعصر البيزنطي. فقد كانت الكنيسة قد بُنيت للخضر الياس. ولكن في وقت لاحق أصبح مار جرجس أو القديس جورج هو المُكرَّم في الكنيسة كالخضر.

قد رأينا مما سبق بان الخضر هو شخص بحسب الميثولوجيا الشرقية، يظهر لكي يحل عقداً ويأتي بالمطر والاخضرار. فهذه هي الصورة الخرافية زمن محمد وما سبقه من عصور. ففي بعض المناطق كان التركيز على إيليا – الياس كالخضر، ثم مار جرجس (القديس جورج). ولكن في مناطق أخرى فخرافة المنتحل لكلستنيس عنه، اضافة لخرافة الرجل الحكيم الخالد لملحمة جلجامش، هي الصورة التي كان يُرى بها الخضر. فالصورة التي نراها في القرآن هي مزيج من تلك الصورتين.

الجذر للحوار بين موسى والخضر في القرآن

قد جعل بعض اليهود من إيليا رجلاً خالداً، يظهر في الأرض من اجل ان يحل عقداً ومشاكل. لقد أصبح الحكيم جدا الذي يعجز معلمو المجامع ان يستوعبوا حكمته. يذكر التلمود حالات كثيرة يظهر بها إيليا لأشخاص ومعلمي مجامع، مقدِّماً لهم حلولاً وحكمة.

ومن بين هذه اللقاءات هناك واحد بين المعلم يوحنان وإيليا، الذي بدون شك هو الأساس أو الجذر للسرد القرآني بين موسى والخضر. أقدم للقارئ تفاصيل اللقاء بين يوحنان وإيليا:

يوحنان ابن لاوي صام وصلى إلى الرب لكي يسمح له ان يرى الملاك. وإيليا الذي صعد حياً إلى السماء قد ظهر له. وتضرع الحبر يوحنان "دعني أرافقك في رحلاتك وأراقب إعمالك واحصل على حكمة ومعرفة". لا: أجاب إيليا: "فتصرُّفي لا تستطيع ان تفهم. فان أفعالي سوف تزعجك، كونها فوق قدرتك على الاستيعاب". ولكن الحبر توسل قائلا: "سوف لن أزعجك أو أجادلك. فقط دعني ان أرافقك في طريقك". قال له إيليا: تعال، ولكن اجعل لسانك ان يخرس. فانه في أول سؤال لك، وأول علامات الاندهاش لك، معناه مفارقة بيني وبينك".

وهكذا ترافق الاثنان معا في السفر. واقتربا إلى بيت رجل فقير، الذي كل ما كان يملك كوسيلة لإعالته هي بقرة. وعندما اقتربوا من البيت، استعجل الرجل وزوجته في استقبالهما، وترجوهما ان يدخلا في كوخهما، لكي يأكلا ويشربا من أفضل ما كان بإمكانهما ان يقدِّما، وان يمضيا الليلة تحت سقف بيتهما. وقَبِلا ذلك، وحصلا على كل اهتمام من المضيفين الفقراء ولكن الكريمين. وفي الصباح الباكر أفاق إيليا وصلى لله، وعندما انتهى من صلاته، قد سقطت البقرة لتلك العائلة وماتت. واستمر المسافران في رحلتهما.

وكان الحبر يوحنان متحيراً ومرتبكاً جدا. فقال لإيليا: "ليس فقط قد أهملنا ان ندفع لهما بدل ضيافتهما وخدمتهما الكريمة، ولكننا قد قتلنا بقرتهما. فلِما قتلتَ بقرة ذلك الرجل الصالح الذي..." "سلام" أجاب إيليا، "انظر ذلك وكن صامتاً، فإذا أجبت سؤالك يجب ان نتفارق".

واستمرا في طريقهما. وعند المساء وصلا إلى منزل فخم وكبير، كان منزلاً لرجل غني ومتغطرس. ولقد استُقبلا ببرود. ووُضع أمامهما قطعة من الخبز وكأس ماء، ولكن صاحب البيت لم يرحّب بهما ولم يتكلم معهما. وبقيا طيلة الليلة مُهملين. وفي الصباح أوضح إيليا ان جداراً في البيت كان بحاجة إلى تصليح. وأستدعى نجاراً، ودفع بنفسه بدل التصليح. وقال ان ذلك بدل الضيافة التي نالاها.

والحبر مع اندهاشه من ذلك، لكنه لم يستطع ان يضيف شيئاً. وعندما مال الظلام دخلا مدينة كان بها مجمعsynagogue كبير للعبادة. وعندما كانت خدمة المساء، دخلا

المجمع، وفرحا في الزينة الغنية والوسائد المخملية والمنقوشات الذهبية في الداخل. وبعد خدمة العادة، وقف إيليا وصرخ بصوت عالي: "من هنا راغب في إطعام واستضافة رجلين فقيرين لهذه الليلة؟" ولكن لم يتجاوب أحد. ولم يكن هناك أي احترام للمسافرين الغريبين. وفي الصباح، دخل إيليا المجمع، وصافح الأعضاء بيديه وقال لهم: "إنني لأرجو ان تصبحوا كلكم رؤساء".

وفي مساء اليوم الثاني دخل الاثنان مدينة أخرى. وعندما حضر شماس المجمع لكي يتقابل معهما لكي يخبر أعضاء المجمع في وصول غريبين، قد فُتح لهما أفضل فندق، وجميعهم تسارعوا ان يُظهِروا لهما اهتماماً وتكريماً. وفي الصباح عند توديع الجماعة، قال لهم إيليا "ليضع الرب عليكم رئيساً واحداً فقط". ولم يستطع يوحنان بعد ان يضبط حب الاستطلاع عنده. فقال لإيليا "أخبرني عن معنى كل هذه الأفعال التي شهدت لها. للذين استقبلونا ببرودة قد عبّرت لهم عن أماني طيبة، بينما للذين كانوا معنا كرماء ولطفاء فإنك لا تقابل جميلهم في مكافئة مناسبة. حتى ولو إننا سوف نتفارق، اطلب منك ان تشرح لي معنى تصرفاتك هذه".

أجاب إيليا: "أصغي، وتعلم ان تثق بالله، حتى ولو انك لم تستطع ان تفهم طرقه. فإننا قد دخلنا أولا إلى بيت الرجل الفقير، الذي عاملنا بلطف. أعلم بانه كان قد قُرِّر بانه في ذلك اليوم بالذات، ان تموت زوجته. وصليت للرب ان تُفتدى المرأة بتلك البقرة. ولقد استجاب الله لصلواتي. بالنسبة للرجل الغني الذي استقبلنا ببرود وأصلحت حائطه، فلقد أصلحته بدون أساس جديد، وبدون ان يُحفر الأساس القديم. لو كان الرجل بنفسه قد أصلح الجدار، لحفر واكتشف كنزاً مدفوناً من تحت، ولكن الآن الكنز مخفيٌ عنه للأبد. ولأعضاء المجمع الذين كانوا غير مضيافين قد قلت لهم "لتكونوا كلكم رؤساء". فحيث يحكم هناك عدة أشخاص لن يكون هناك سلام. ولكن للآخرين قلت "عسى ان يكون بينكم رئيس واحد". فبرئيس واحد لن يكون هناك عدم تفاهم. الآن عندما ترى الشرير ينجح، لا تكن حسوداً. وعندما ترى البار في حالة فقر وانزعاج، لا تُثار أو تشك في عدالة الله. الرب بارٌ وجميع أحكامه صادقة؛ عيناه تراقبان كل الجنس البشري، ولا أحد يستطيع ان يقول "ماذا تفعل". بهذه الكلمات قد اختفى إيليا، وبقي يوحنان وحده."[768]

والسرد اليهودي عن رحلة الحبر يوحنان بن لاوي مع إيليا، هي قريبة جدا من السرد القرآني عن المقابلة والحوار بين موسى والخضر. الأمر الذي يرفع الستار عن القصة اليهودية انها هي الجذر لسرد محمد. ولكن سذاجة السرد القرآني يدل على ان الخرافة اليهودية قد وصلت إلى منطقة مكة مُحرَّفةً، حتى انها أصبحت غير منطقية. وهناك احتمال آخر: وهو ان محمداً قد سمع القصة ولم يستطع ان يتذكَّر تفاصيلها، فأتت هذه الصيغة القرآنية المُتضاربة مع المنطق. ولكننا نلاحظ بان كلا السردين (اليهودي والقرآني) مبنيتان على اللقاء مع رجل حكيم الذي كان يعمل الأشياء بطريقة غير متوقَّعة، رافضاً ان يدلي في تفسيرات وإلا سوف يوقف صحبته. وفي النهاية فالشخص الذي كان قد سأل رفقته من أجل ان يتعلم من حكمة هذا الحكيم، يفقد صبره إلى درجة انه

يفضِّل ان ينال تفسيراً، على حساب فقدان رفقة ذلك الرجل الخالد الحكيم. بعد ذلك تأتي التفسيرات.

ضعف الخرافة القرآنية نسبة للخرافة اليهودية الأصلية

في مقارنتنا أو تقييمنا للسردين، فإننا نلاحظ بان فكرة ان إيليا في الصيغة اليهودية للبقرة التي تموت، أكثر قبولاً من الفكرة القرآنية عن قتل الخضر للصبي. أي ان إيليا يصلي، ثم تموت البقرة للعائلة الفقيرة، ثم تفسير إيليا للحادثة وهو من اجل فداء الأم التي كان من المفترض ان تموت تلك الليلة، أقول هذه الفكرة أكثر قبولاً من الفكرة القرآنية في ان الخضر يقتل الصبي مجرد انه سوف يكون كافراً في المستقبل. فالفكرة القرآنية تتعارض مع نعمة الله التي هي قادرة على تغيير أولاد المؤمنين من خدامه، وذلك من خلال قوة الله. الأمر الذي هو مشهود له في الكتاب المقدس (آمن بالرب تخلص أنت وأهل بيتك). ومشهود له أيضا عملياً، حيث كل يوم يشهد المسيحيون في تغيير أولادهم البعيدين عن الإيمان؛ فمن خلال نعمة المسيح وعمل روحه يتحولون إلى كائنات مُجدَّدة تحيا حياة الإيمان والمحبة للرب.

هناك أمر آخر، وهو انه لم يسبق ان نبياً قد قتل رجلاً بدون سبب، فكيف يكون قتل ولد تحت حجة انه سوف يصير شريراً في المستقبل. كذلك فالله لا يوكِّل مخلوقات سواء كانوا أنبياء أو ملائكة ان يتصرفوا آنيا في حكمته. ان ذلك سوف يجعلهم آلهة، يملكون دائماً فكراً إلهيا، ويتصرفون كل حين نيابةً عن الله. الأمر الذي لم يسبق ان حدث في كل تعاملات الله عبر التاريخ. كما نستطيع ان نتأكد من ذلك من خلال كتابات جميع الأنبياء في العهد القديم، وكتابات الرسل في العهد الجديد.

اعتقد ان محمداً، كما هي عادته في إحداث تغييرات على الخرافات التي كان يسمعها، من اجل ان يبرر أعماله، انه قد أحدث تغييرات في هذه القصة اليهودية أيضا. ففي قتله للذكور في غزواته، كان يقتل الصبيان الذين أنبتوا، أي الذين زاد عمرهم على العشرة سنين، مُعتبِراً إياهم أنهم كفرة ومشركون. كما فعل في قطع رؤوس الذكور من قبيلة بنو قريظة، بما فيه الصبيان الذين كانوا في سن عشرة سنين وما فوق. مُوزِّعاً الأطفال على تابعيه كعبيد، والإناث بما فيه الطفلات كسراري. لذلك في تغيير السرد اليهودي للخرافة، أراد ان يجعل من تصرفاته الإجرامية كأنها حكمة أعلى من شريعة موسى التي أُعطيت له في الكتاب المقدس، والتي تمنع قتل أي إنسان ما لم يكن قد اقترف جرماً، كما تمنع قتْل عن تعمد أي إنسان. ومحمد أراد ان يفتعل حكمةَ "إنسان خالد، عبد لله" هو بحسب ادعائه أعظم من موسى. وبذلك فمحمد في قتله أطفال المشركين، يُرى انه يتصرف من خلال نوع من الحكمة الفائقة التي هي أعلى من حكمة شريعة الله المُعطاة لموسى. وهي خدعة شيطانية جهنمية تسري فقط على الذي رفض كلمة الله في الكتاب المقدس، وبات يصدّق ان كلمات محمد في القرآن هي وحي من "الله".

الجزء من الخرافة التي تتعلق في جعل السور ان يقف من جديد، تشير على ان محمداً قد فشل ان يفهم أو يتذكر السرد الأصلي اليهودي. أو انه أراد ان يغيِّر نص الخرافة، لكي تظهر وكأنها سردٌ خاصٌ قد أتى من "الله". ولكن في تغييرها قد أصبحت غير منطقية ومتضاربة في معانيها. فإنك تحتاج للعودة للأصل اليهودي للخرافة من اجل ان تفهم الحكمة وراءها.

لنستمر في تحليل الصيغتين: اليهودية والقرآنية:

"بالنسبة للرجل الغني الذي استقبلنا ببرود وأصلحت حائطه، فلقد أصلحته بدون أساس جديد، وبدون ان يُحفر الأساس القديم. لو كان الرجل بنفسه قد أصلح الجدار، لحفر واكتشف كنزا مدفوناً من تحت، ولكن الآن الكنز مخفي عنه للأبد"

نلاحظ بان تصرف إيليا في القصة اليهودية هو قصاص للرجل الغني الذي لم يستقبل إيليا والحبر بطريقة لائقة. كان بصدد ان يكتشف كنزاً تحت حائطه لو انه قد أصلح الحائط بنفسه، وحفر أساساً لذلك الحائط. الكنوز لا توجد تحت الجدران، لكنها تُخفى بعمق في الأرض. فهي مخفية عن عيني كل إنسان ما عدى صاحبها، الذي يحفر بالأرض بعمق لكي يخفيها. لذلك بدون الحفر في الأرض بعمق كان يستحيل ان يوجد الكنز. لذلك نلاحظ منطقية السرد اليهودي انه في انسجام مع عادات القدماء من سكان الشرق الأوسط، في المحافظة على كنوزهم من خلال الحفر بعمق في الأرض وإخفائها.

هناك شيء آخر وهو ان السرد التلمودي يعكس الفكرة اليهودية في الانتقام ضد الشخص الذي يتصرف بطريقة غير لائقة. والتي هي ضد روح العهد الجديد في مباركة الذين يضطهدون المسيحي المؤمن، ووجوب عمل له الخير بدل إيذائه.

ولكننا عندما نأتي للسرد القرآني للخرافة نجدها بدون ربط في أجزائها وبدون معنى. انها تعبِّر عن فوضى في السرد، وعدم فهم للسارد للأصل اليهودي للخرافة. أضع من جديد الصيغة القرآنية لكي يتحقق القارئ مما أقول.

"انطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ".

لاحظ هنا انه قد أبدل الرجل الغني الذي لم يستقبل إيليا والحبر في طريقة لائقة، بسكان قرية. فلا يمكن ان تخفي القرية كنزاً. فعادةً الذي يخفي كنزاً هو فرد أو عائلة. ثم في القصة اليهودية كان يجب ان ينتقم إيليا من سكان القرية من خلال تصليح الجدار بدون ان يُحفر الأساس، من اجل منعهم من ان يجدوا الكنز. ولكن محمداً لم يفهم هذه الجزئية من الخرافة اليهودية. ولم يعطِ تفاصيل عن الحفر في الأرض كالطريقة لاكتشاف الكنز، فترك سكان القرية الذين لم يعطوا أهمية للضيفين بدون قصاص، الأمر الذي يتعارض مع الخرافة الأصلية. ولكن عاد القرآن وجعل الجدار ليتيمين. فصارت القصة في القرآن متضاربة بين إقامة الجدار كقصاص لسكان المدينة لكيلا يجدوا الكنز

وبين إقامته لصالح اليتيمين لكي يجداه عندما يكبران. الأمر الذي يدل على التشويش في السرد من قبل محمد وعدم فهمه للخرافة اليهودية. فيستمر القرآن:

" وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ".

إذا كان ذلك الجدار لليتيمين، وقد أصلحه الخضر، فعندما يبلغا عمر الشباب أو الرجولة لن يستطيعا ان يجدا الكنز، ذلك لأنهما سوف يجدا الجدار قائماً. لكي يوجد كنز مخبأ في الأرض تحت جدار، لا بد من الحفر في الأرض بعمق. فتصليح جدار قديم معناه إخفاء الكنز للأبد عن أعين الشعب الذي يملك الجدار. فالجدران تثبت عادة لمئات السنين. كذلك ولو حدث ان هُدم فمن يضمن ان العامل المكلَّف في حفر الأساس سوف يصل إلى الكنز، وان وجده ما الذي يضمن انه سوف يقدمه للشابين أو الرجلين الذين كانا يتيمين؟

اذاً نرى بان سرد محمد لهذه الخرافة اليهودية هو في الحقيقة ضعيفٌ، ويعوزه المنطق والناحية العملية. انه ليس من السهل تغيير خرافة مشهورة قد أُلفت لكي تعبِّر عن شيء، تغييرها من شخص مثل محمد الذي كان مُعتاداً في قص الخرافات بدون احترام للأصل، إذ كان يغيّرها أحيانا عن جهل، أو لكي تظهر بأنها موحاةٌ من الله بواسطة الملاك جبريل.

الخرافة اليهودية مُؤكَّد قِدمها كالأصل للخرافة القرآنية

هناك خرافة مماثلة منسوبة لمقابلة بين حبر اسمه يشوع بن لاوي وإيليا. لقد عاش يشوع بن لاوي في النصف الاول من القرن الثالث ميلادي. وكان رئيساً لمدرسة اللد في جنوب فلسطين. وقد جعل منه التقليد المدراشي مراراً كمرافق لإيليا في تجواله في الأرض[769]، ومُحاوِر لإيليا[770]. ونجد في التلمود البابلي ان يشوع بن لاوي يتعامل مع ملاك الموت[771]. وكثير من الخرافات المتعلقة بيشوع بن لاوي قد جُمعت في كتب صغيرة من المدراش تحت أسماء مثل "Ma'aseh de-Rabbi Yehoshua' ben Lewi" التي تعني "تاريخ الحبر يشوع بن لاوي". وهناك كتاب آخر يُدعى "Masseket Gan 'Eden we-Gehinnom." الذي يعني "الفردوس والجحيم". الأمر يفسِّر الخرافات عنه، وما نُسب عنه من قصة مع إيليا، المماثلة لتلك التي سبق وذكرناها عن لقاء يوحنان بن لاوي مع إيليا، والتي صارت في القرآن.

كان نسيم بن شاهين باحثاً يهودياً مرموقاً يعيش في مدينة القيروان (في تونس) في القرن الحادي عشر ميلادي. وهو معروف كباحث هام في تفسير التلمود وكتب المدراش. ولقد ذكر في كتابه المدعو "Hibbur Yafe me-ha-Yesua," لقاءً بين يشوع بن لاوي وإيليا، مُشابِهاً للذي سبق ودرسناه والمعزي حدوثه بين يوحنان وإيليا، والذي قد اقتُبس في القرآن. وبالإضافة للنسخة اليهودية المكتوبة من نسيم بن شاهين، فقد وُجدت النسخة العربية لكتابه أيضا.

والباحث جوليان اوبرمان Julian Obermann قد بيّن ان كثيراً من خرافات التلمود قد وصلت ألينا من خلال يهود شمال إفريقيا. ويؤكد اوبرمان عن أصالة القصص التي قصها نسيم بن شاهين نقلاً عن الكتب التلمودية والمدراشية المنتشرة في زمانه. ان تصريحات نسيم بن شاهين تشهد لهذه الحقيقة. فهو يقول بان معظم الدروس التي قصها في كتابه، بما فيه القصص والأمثال، انه يمكن التحقق من وجودها في التلمود وكتب المدراش[772].

حقيقة ان القصتين قد وُجِدتا في كتاب يهودي يعود للقرن الحادي عشر، لا يلغي قِدمهما، أو يشكِّك في إنهما كانتا موجدتين في كتب تلمودية ومدراشية تعود إلى عصر سبق ذلك. فمثلا هناك باحث اسمه Gaster قد وجد مواداً كثيرةً مُسجَّلةً خارج التلمود تعود للقرن الرابع ميلادي. وقد نشرها من مخطوطة تعود للقرن 12 أو 13 ميلادي[773].

بالنسبة لقصة حوار يشوع بن لاوي مع إيليا، يقول Obermann في دعم انها من أصل يهودي، وذلك من خلال أسلوب مخاطبة إيليا في القصتين بطريقة أسلوب الأحبار، وغيرها من الأدلة؛ كلها تدلنا ان القصتين هما من أصل كتابات يهودية وغير عربية. ومن ناحية أخرى يقول نسيم ابن شاهين بان "المعلومات تناقلها أعظم حكمائنا من أصحاب المرجعية". فهو يقول باللغة الانكليزية:

> “The masters and the most excellent authorities from among our Sages.” [774]

مما يشير لكون تلك المواد أو القصص انها تعود إلى أصحاب المرجعية في التلمود والمدراش.

ويقول اوبرمان:

> "الصيغتان للقصة القرآنية والقصة المذكورة في كتاب نسيم بن شاهين متشابهتان في الجوهر، ويسهل تحقيق أنهما ذات الخرافة. ولكنهما في اختلاف في التفاصيل، مما يدل على ان لا أحد منهما اعتمد على الثاني. وذلك طبيعي إذا اعتبرنا أنهما قصتان يهوديتان قديمتان قد سُردتا في اللغة العبرية أو الآرامية، وتناقلتا في عصور وبيئات مختلفة، وتُبنتا لأهداف مختلفة وتحت ظروف مختلفة تماما"[775]

والحقيقة بان الأصل هو الأجمل وذات المعنى الأدق. والصيغ غير المنطقية والمبهمة والمتضاربة في القصد والمعنى، كما هي الصيغة القرآنية، هي عادة تحريف للأصل، يحدث عادةً في بيئة متخلفة كما هي منطقة مكة والمدينة.

ويستمر اوبرمان في الدفاع عن أصالة وقِدم القصة المسرودة من نسيم بن شاهين قائلاً:

> "انه خارج تماما عن الشك ان باحثاً مثل نسيم بن شاهين، الذي هو واحد من أهم المفسرين للأدب التلمودي والمدراشي، ومؤلف تفسير للتلمود ما زال لليوم يحضا باعتبار كبير، ان يكون قد وضع في كتابه قصة ابكروفية شفهية، أقول

في كتابه الذي هو ذات صبغة دينية روحية ناقلة للتراث العبري القديم، كان قد تعهد ان يستخدم مواداً قد وصلت إليه كما يقول من سادة وارفع مرجعية من حكمائنا" [776]

أراد الباحث ان يقول بان نسيم بن شاهين لم يستخدم قصة متناقلة شفهياً، ولكن كانت موجودة في عصره بين كتب التلمود والمدراش.

هذه الحقائق تدل على ان الحوار الذي نسبه القرآن انه جرى بين موسى والخضر، كان بالأصل قصةً شعبيةً يهودية، تُنسب أحيانا انها حدثت بين الحبر يوحنان بن لاوي وإيليا، وأحياناً أخرى بين يشوع بن لاوي وإيليا. وهي نموذج من لقاءات كثيرة قد نسبها التلمود انها حدثت بين الحبر يشوع بن لاوي وإيليا. وحقيقة إننا نجدها قد وصلت وانتشرت بين المجموعات اليهودية في مدينة نائية، مثل مدينة القيروان في تونس، وان باحثاً يهودياً هاماً مثل نسيم بن شاهين قد اعتبرها قطعة هامة قد وصلت إليهم من المرجعية الرفيعة، يقصد به كتّاب التلمود والمدراش، تشير على انتشار القصة بين المجموعات اليهودية زمن محمد في أماكن مثل شمال شبه الجزيرة العربية، التي هي أقرب إلى فلسطين من مدينة القيروان.

تفنيد للقصة القرآنية

نسبة لجذور قصة الخضر القرآنية من ثلاث ثلاثة مصادر. أولا: الرجل الخالد الناجي من الطوفان ألرافدي الذي صار يعيش في دلمون البحرين. ثانيا: من سرد المنتحل لكلسثنيس عن رحلة الاسكندر، باحثاً عن نبع الحياة من اجل الحصول على الخلود. مع خادمه الذي حمل سمكةً مملحةً التي حييت في نبع الحياة في ارض الظلام في مكان ما في العربية. ثم ان الطباخ نفسه قد أصبح خالداً، وذلك عندما غطس في ماء نبع الحياة. ثالثا: مرافقة حبر يهودي مع إيليا وحواره معه كجذر واضح لرفقة موسى مع الخضر وحواره معه. هذه الجذور الثلاث تجعل من السرد القرآني عن الخضر انه خرافي لم يأتِ من الله.

اضافة لذلك. لو كان الخضر شخصيةً حقيقيةً قد تقابل معها موسى وتعلّم من حكمتها، لماذا لم يذكر موسى شيئاً عنها، وهو قد كتب خمسة أسفار من العهد القديم؟ فمن حيث ان الله قد أمره بحسب القرآن ان يسافر طويلا من اجل ان يتقابل مع الخضر ويتعلم من حكمته. فلو كان ذلك الأمر حقيقة، لكان قد احتل الخضر مكانةً مركزيةً في كتب موسى التي أُوحيت إليه من الله. ومع ذلك فإننا لا نجد في الكتب التي أُوحيت لموسى أيَّ ذكْرٍ عن ذلك الرجل الخالد والواسع أو المرتفع الحكمة.

ثم لماذا يظهر هذا الرجل الخالد فقط لموسى، وليس لأي شخصية اخرى من شخصيات العهد القديم أو الجديد؟ لو كان شخصية حقيقية لكانت حكمته وتداخلاته على درجة بالغة من الأهمية لكل عصر. ولماذا لم يذكر أي من كتّاب العهد القديم والجديد أي

شيء عن ذلك الرجل الخالد. فقد ذكروا أسماء شخصيات غير عبرية قد سبق ونالت مدحاً خاصاً من الله. مثل أيوب الذي قال عنه الله:

"هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ" أيوب 1:8.

نرى اذاً انه رغم ان أيوب لم يكن إسرائيلياً، فقد مُدح فوق أنبياء إسرائيل في جيله. وفي سفر حزقيال نجد الرب يشدِّد على حقيقة بر ثلاثة رجال، اثنين منهم كانوا ليسوا بعبرانيين، وهما نوح وأيوب، اللذين شهد لهما الرب في ارتفاع مسلكهما فوق جميع سكان الجنس البشري في جيلهما. فنقرأ في سفر حزقيال:

"أَوْ إِنْ جَلَبْتُ سَيْفاً عَلَى تِلْكَ الأَرْضِ وَقُلْتُ: يَا سَيْفُ اعْبُرْ فِي الأَرْضِ، وَقَطَعْتُ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، وَفِي وَسَطِهَا هَؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ، فَحَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ إِنَّهُمْ لاَ يُخَلِّصُونَ بَنِينَ وَلاَ بَنَاتٍ، بَلْ هُمْ وَحْدَهُمْ يَخْلُصُونَ. أَوْ إِنْ أَرْسَلْتُ وَبَأً عَلَى تِلْكَ الأَرْضِ وَسَكَبْتُ غَضَبِي عَلَيْهَا بِالدَّمِ لأَقْطَعَ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، وفِي وَسَطِهَا نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَحَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ إِنَّهُمْ لاَ يُخَلِّصُونَ ابْناً وَلاَ ابْنَةً. إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ "حزقيال 14 : 17-20

هذا يدل على ان كتبة الوحي في الكتاب المقدس لا يخفوا كلمة الله عندما ترفع رجالاً من جنسيات أخرى فوق أنبيائهم. لذلك لماذا إخفاء شخصية الخضر، إذا فعلاً قد وُجدت في التاريخ ؟!.

والحقيقة لا شيء يقدر ان يحوّل الخرافات المشهورة والمنتشرة في الشرق الأوسط زمن محمد، ويجعلها كلمة الله. فكلمة الله موثقة عبر التاريخ من خلال الكتب التي أوحيت للأنبياء في عصور مختلفة، وموثقة من خلال مخطوطات قديمة، البعض منها يعود للقرن الثاني قبل الميلاد، مثل مخطوطات قمران من جهة العهد القديم، ومن خلال آلاف النسخ اليونانية بالنسبة للعهد الجديد. بحيث انه من المستحيل محاولة إدخال خرافات مشهورة مثل خرافة الخضر إلى هذه الميراث المقدس والموثَّق.

أخيرا نقول بان شخصية الخضر تتضارب مع فكرة النبي في الكتاب المقدس. فهي عكس نظرة الكتاب المقدس للشخصيات الحقيقية المدعوة من الله لمركز النبوة أو الحكمة أو عمل المعجزات، إذ هي مكشوفة وسط شعبها ومعروف أين تسكن، وهي تمارس مهامها ومواهبها بصورة علنية إظهاراً لحق الله. وليست ذاتيات متوارية مثل الأرواح الغامضة الخفية التي ظهورها مرتبط في لغز سحري أو خرافي. ذلك هو الخضر في القرآن الذي هو عكس فكرة النبي الحقيقي.

قارون

السرد الخرافي للقرآن من جهة قورح الذي صار قارون في القرآن

ان إحدى صفات الخرافات الشرقية، مثل الفارسية والعربية والصابئية المندائية، هي في وصف الأشياء والذاتيات بطريقة مُبالغة جدا. فتنمو الخرافات عادة في مناطق وبين مجموعات ذات معرفة بدائية وتقليد خرافي. فالقصص الخرافية التي كانت تُقص فقط من اجل تسلية الأطفال، لكنها في بعض المجتمعات ذات التقليد الذي يصدِّق الأسطورة، تتحول تلك الخرافات بسهولة إلى حقائق، وفي وقت لاحق تصبح جزءاً من النظام الديني لتلك المجتمعات.

ومن أصناف تلك الخرافات هي مثلا: سجادة سحرية ذهبية تطير حاملة أبطالاً، أو ريح تحمل جيشاً أو ملكاً يطير مع جيشه إلى أماكن بعيدة. هذا النوع من الخرافات الذي نجده أيضا في القرآن مثل الريح الذي يحمل سليمان مع جيشه. وهناك نوع آخر من القصص الخرافية كالقصر الذهبي الموضوع في مكان بعيد، لا يصل إليه سوى ملك خرافي أو بطل. أو بناء خيالي مبني في مكان بعيد متواري عن عالمنا. فنرى مثل ذلك السرد في القرآن ممثَّلاً في سد الحديد المطلي من نحاس قد نُسب بنائه للإسكندر ذي القرنين، وذلك من اجل سجن جوج وماجوج إلى آخر يوم في التاريخ.

هناك أيضا نوع آخر من الخرافات الشرقية: وهو نسب لإنسان قُوى سحرية خيالية أو غنى كبير جدا، بحيث ان التاريخ لا يستطيع ان يحتمل مثل ذلك الغنى. والقرآن عنده عيِّنة من مثل ذلك السرد البدائي، الذي هو من طبيعة الخرافات العربية والفارسية والمندائية القديمة. فالقرآن ينسب إلى فرد إسرائيلي، قد سبق وتذمَّر على موسى وحُكم عليه من الرب في البرية، غنىً خيالياً بحيث انه كان أغنى رجل في مصر، وأنه كان شخصيةً قياديةً هامةً زمن فرعون. وهذا الرجل هو قورح، الذي يسمّيه القرآن بـ قارون.

التحقيق من ان قارون هو بالحقيقة قورح

والتحقيق من ان قارون المذكور في القرآن هو قورح هو أمر واضح من الحقائق التالية:

أولا: ان قارون على وزن هارون. فهناك عادة في القرآن في تغيير أسماء في الكتاب المقدس على أوزان أسماء أخرى.

ثانيا: القرآن يقول من ان "قارون كان من قوم موسى" (سورة القَصَص أي 28 والآية 76). نجد كتّاباً مسلمين، كما نرى في الطبري، يؤكِّدون من ان قارون كان ابن عم لموسى. ولقد حاول أشخاص، مثل ابن إسحاق ولو بطريقة خاطئة، ان ينسخ سلالة موسى وأعمامه كما وردت في الاصحاح السادس من سفر الخروج[777].

ذلك يؤكد بصورة قاطعة من أن القرآن قد قصد بقارون قورح، الذي ذُكر في سفري الخروج وعدد. ونقرأ عن جد موسى في الاصحاح السادس من سفر الخروج كما يلي:

وَبَنُو قَهَاتَ: عَمْرَامُ وَيِصْهَارُ وَحَبْرُونُ وَعُزِّيئِيلُ. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ قَهَاتَ مِئَةً وَثَلاثا وَثَلاثِينَ سَنَةً. وَابْنَا مَرَارِي: مَحْلِي وَمُوشِي. هَذِهِ عَشَائِرُ اللاوِيِّينَ بِحَسَبِ مَوَالِيدِهِمْ. وَاخَذَ عَمْرَامُ يُوكَابَدَ عَمَّتَهُ زَوْجَةً لَهُ. فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُونَ وَمُوسَى. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ عَمْرَامَ مِئَةً وَسَبْعا وَثَلاثِينَ سَنَةً. وَبَنُو يِصْهَارَ: قُورَحُ وَنَافَجُ وَذِكْرِي. (خروج 6: 18-21)

فقورح كان ابن يصهار الذي كان عماً لموسى.

ثالثا: الأمر الثالث الذي يدل على ان القرآن قد قصد بقارون قورح هو ما نراه في سورة القصص عن قورح:

"فخسفنا به وبداره الأرض..." 28: 81.

وهذه منقولة من الاصحاح السادس عشر لسفر العدد لِما حصل لقروح والدينونة التي أتت عليه، إذ نقرأ:

فَقَال مُوسَى: «بِهَذَا تَعْلمُونَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلنِي لأَعْمَل كُل هَذِهِ الأَعْمَالِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي. إِنْ مَاتَ هَؤُلاءِ كَمَوْتِ كُلِّ إِنْسَانٍ وَأَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ فَليْسَ الرَّبُّ قَدْ أَرْسَلنِي. وَلكِنْ إِنِ ابْتَدَعَ الرَّبُّ بِدْعَةً وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلعَتْهُمْ وَكُل مَا لهُمْ فَهَبَطُوا أَحْيَاءً إِلى الهَاوِيَةِ تَعْلمُونَ أَنَّ هَؤُلاءِ القَوْمَ قَدِ ازْدَرُوا بِالرَّبِّ». فَلمَّا فَرَغَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِكُلِّ هَذَا الكَلامِ انْشَقَّتِ الأَرْضُ التِي تَحْتَهُمْ. وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُل مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الأَمْوَال. فَنَزَلُوا هُمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لهُمْ أَحْيَاءً إِلى الهَاوِيَةِ وَانْطَبَقَتْ عَليْهِمِ الأَرْضُ فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ الجَمَاعَةِ. وَكُلُّ إِسْرَائِيل الذِينَ حَوْلهُمْ هَرَبُوا مِنْ صَوْتِهِمْ لأَنَّهُمْ قَالُوا: «لعَل الأَرْضَ تَبْتَلِعُنَا». (سفر العدد 16: 28-34)

فمن خلال تلك الحقائق لا يبقى أي شك من ان القرآن قد قصد بقارون اسم قورح الذي ثار ضد موسى في البرية.

أين حدثت منازعة قورح

الآن نأتي إلى مناقشة أين حدثت منازعة قورح. لقد سرد سفر العدد منازعة قورح هذه والقضاء الذي تمّ به وعائلته، انها تمت رأساً بعد ان أرسل موسى اثني عشر جاسوساً لكي يتجسسوا ارض كنعان، بينما كان الشعب في برية فاران في سيناء. لذلك نرى بان قورح بدأ ينازع ويتذمر ضد موسى، فقط عندما وصل الإسرائيليون إلى برية فاران، في الجهة الشرقية الشمالية من سيناء على الحدود الجنوبية لفلسطين.

وهذا ضد ادّعاء القرآن من ان قورح، الذي يسميه محمد بـ قارون، قد قاوم موسى في مصر، وذلك عندما قاوم فرعون موسى. فقورح لم يكن شخصيةً هامةً كما أراد القرآن ان يرسمها. فقد كان عبرانياً عادياً كباقي العبرانيين الذين خرجوا من مصر تحت قيادة موسى. وكعبد في مصر، لم يكن لأي من العبرانيين أي حرية لكي يكون له عمله المستقل ويجمع ثروة.

صورة قورح في القرآن هي صورة شخص أهم من فرعون وأكثر غنى منه

بعكس تلك الحقائق، نجد القرآن يجعل من قورح انه كان أغنى إنسان في مصر، وانه كان له كنوز في مصر بكميات خيالية، حتى ان القصص الأسطورية تستعفي عن سردها. فنقرأ في سورة القصص أي رقم 28 والآية 76:

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ. وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

والصابوني يفسر الجزء الأخير من الآية بهذه الكلمات:

"أي أعطي من الكنوز الكثيرة ما يثقل على الجماعة أصحاب القوة حمل مفاتيح خزائنه وثقلها"[778]

فبحسب القرآن، ان كل ما كُشف للان من كنوز كانت تنتمي للفراعنة، لا يملأ مستودعاً واحداً من مئات وآلاف المستودعات التي كانت تخص قورح هذا العبراني. أقول آلاف المستودعات، لأنها لو كانت فقط بعض المئات، لكان يسهل على الجماعة الكبيرة القوية من الرجال ان تحمل مفاتيحها. لذلك فانه حتى كل غنى وكنوز الفراعنة في كل تاريخهم يُعدّ تافهاً نسبةً للغنى المنسوب لقورح في القرآن.

هذا السرد الخيالي للقرآن جعل الكتّاب القدماء المسلمين يصفون كيف حمل قورح-قارون مفاتيح مستودعات كنوزه. فبعض كلمات هؤلاء الكتّاب مدونة في تاريخ الطبري:

"مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلا"[779]

ولقد جعلوا قارون يبني بيته من ذهب، وله قصور مصنوعة من ذهب[780]. ومع ذلك، فان تلك الأوصاف الخيالية هي عاجزة ان تعكس الغنى الخرافي والكنوز التي

جعلها القرآن لقورح. لدرجة اننا لا نجد وصفاً مماثلاً حتى في أقدم القصص الخرافية في الشرق، التي تعزي لملوكها الأسطوريين غنىً خرافياً جزيلاً.

وفي الحقيقة لم يسمح الفراعنة لأي أحد غيرهم ان يكون له كنوزا في مصر. فكيف يسمحون لعبد عبراني ان يكون غنياً أكثر منهم. فهم بالعكس قد أذلّوا العبرانيين مُستعبدين إياهم للأشغال الشاقة في بناء المدن والهياكل والقبور، دون إعطائهم أجرة. فقط تاركين لهم ان يتناولوا طعام الفقر، كأغلب العبيد المُحتقَرين الذين هم بلا قيمة لمستعبديهم.

الخرافات اليهودية كمصدر لغنى قارون الفاحش في القرآن

تتكلم خرافات التلمود عن قورح انه مُعطى غنى غير طبيعي. إذ انه بحسب الخرافات في التلمود قد وجد أحد الأبنية التي ملئها يوسف في الجواهر في مصر. ويقول التلمود بان مفاتيح خزائن قورح كانت تُحمل على 300 بغل[781]. وكانت هذه المفاتيح مصنوعة من جلد[782]. ونجد في المدراش بان قورح وهامان موضوعان كمثال للغنى كما ان جُليات الجبار هو مثال للقوة[783].

فبحسب الخرافات اليهودية عندما خزّن يوسف خلال سنوات الغلة، ومن خلال بيع القمح، كنوزاً عظيمة، قد بنى ثلاثة مباني عظيمة؛ كانت 100 ذراع عرضاً و100 ذراع طولاً و100 ذراع ارتفاعاً. وقد ملأها بالأموال وسلمها إلى فرعون، إذ كان نزيها جدا، فلم يترك لأبنائه حتى خمسة شاقل من الفضة. ولقد وجد قورح إحدى تلك المباني المليئة بالكنوز."[784]

وهناك خرافة اخرى تقول بان يوسف قد بنى أربعة أبنية ملئها بالكنوز ودفنها:

> "في أربعة أماكن: واحد في الصحراء بالقرب من البحر الأحمر، وواحد بالقرب من الفرات، وآخرين في مكانيين في الصحراء بالقرب من مادي وفارس. ولقد وجد قورح واحداً من هذه القصور. ووجد الإمبراطور الروماني انطونيوس ابن سفيروس قصراً آخرا"[785].

وهذه الخرافة مأخوذة اصلاً من التلمود البابلي حيث نقرأ:

> "الرباي حما ابن حنينا قال: لقد خبأ يوسف ثلاث كنوز في مصر. واحداً قد كُشف لقورح. وواحداً الى انتونيس ابن سفيروس. والثالث مخزونٌ للبار في المستقبل"[786]

فالخرافة اليهودية تتفق مع سرد القرآن. ولكنها بعيدة عن الواقع التاريخي. فكيف كان سوف يسمح فرعون ان يمتلك عبدٌ مبنىً قديماً مليئاً بمثل تلك الكنوز الخيالية، حتى ولو وجدها هذا العبد. كما ان الكنوز الفرعونية، كما استدلت عنها الحفريات في مصر والأبحاث التاريخية، لم تكن لتصل إلى جزءٍ بسيطٍ من هذا السرد الخرافي اليهودي الذي اعتمد عليه القرآن.

ثم ان الخرافة اليهودية لا تتفق مع حالة قورح الذي خرج من مصر خلف موسى كعبد. فلو كان هو أغنى إنسان في مصر وفي العالم كما تصوره الخرافات اليهودية، لبقي في مصر. فكيف له ان يحمل مثل تلك الكنوز في الصحراء، ويعيش حياة الفقر. ومن هو الذي كان سوف يحافظ على كنوزه في صحراء قاحلة، ومُحاط بمئات الآلاف من العبرانيين الذين لا شك كانوا سوف يسرقونه.

قارون صاحب السلطة السياسية العظيمة في مصر

ليس فقط قد جعل القرآن فرعونَ كفقيرٍ نسبة لغنى قورح الخيالي والخرافي، ولكن قد جعل القرآن قورحاً في ان يكون في مقامٍ وعلو فريد، لدرجة انه قد وُضع في سورة العنكبوت قبل فرعون، وكأنه الشخصية الهامة في مصر زمن موسى. فتقول الآية 39 من سورة 29 أي العنكبوت:

"وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين".

نرى اذاً في تلك الآية من سورة العنكبوت بانه قد وُضع قورح قبل فرعون. وكأن قورح كان أهم شخصية في مصر، وله السلطة السياسية الرئيسية في مصر. الأمر الذي هو بعكس تاريخ الفراعنة، الذين اعتبروا أنفسهم آلهة، وطلبوا من الناس ان تعبدهم. فكيف كان يمكن ان يسمحوا لشخص من بين عبيدهم الذين احتقروهم، ان يقفز إلى مقام أعظم من مقامهم ؟!. ومع ذلك فالقرآن قد جعل مهمة موسى في مصر ان تكون نحو مواجهة قورح وفرعون وهامان. ذلك لان القرآن قد جعل قورح الرقم الاول في مصر.

نلاحظ أيضا في الآية القرآنية السابقة ان القرآن قد جعل هامان كشخصية هامة في مصر: الثاني بعد فرعون. فقد سمع محمد عن هامان الذي كان بمثابة رئيس وزراء للملك الفارسي احشويروش (راجع سفر أستير 1 :1) الذي ملك خلال القرن الخامس ق. م. فارتكب محمد خطأً تاريخياً جسيماً في جعل هامان رئيس وزراء لفرعون زمن موسى، أي القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

الميثولوجيا المندائية كأساس لقارون ذي السلطة في مصر كما رسمها القرآن

شخصية قارون في مصر كما رسمها القرآن، تدل على ان محمداً كان تحت تأثير الأساطير المندائية. لقد سعى المندائيون في تقليد العبرانيين، ناسبين لأنفسهم ما قد حدث للعبرانيين. ففي الأساطير المندائية القديمة نجد ادعاءهم بأنهم كانوا الشعب المتدين في مصر. وانه كان لهم ملكا في مصر تحت اسم اردبان ملكا Ardban Melka، الذي بحسب ادعائهم قد أُعطي رؤيا في ان يُخرِج المندائيين من مصر. (هذا مع العلم ان المندائيين لم يسبق لهم ان كانوا في مصر، لكنهم ظهروا لأول مرة في القرن الثاني ميلادي، وذلك في شرقي الاردن). ولقد ادّعى المندائيون بان الملك اردبان قد أتى بهم عبر البحر الأحمر. وان البحر قد انشقّ جاعلاً لهم طريقاً عبر المياه المحاطة في جبال

من الماء. هنا نراهم يقلّدون المعجزة التي حدثت لموسى وباقي الإسرائيليين عندما انشق البحر الأحمر لكي يعبروا من خلاله.

تستمر الأسطورة المندائية لتقول بان أخا اردبان، الذي جعلوه تحت اسم فيروخ ملكا Firukh Melka، قد بقي في مصر. واسم ملكا هو اسم ملوكي في الكتابات المندائية. الأمر الذي يعكس مكانة فيروخ ملكا كملك في أساطيرهم. وبناء على ادعائهم فقد قاوم فيروخ هذا موسى وحاربه. ولكنه قد انهزم وهرب نحو البحر الأحمر. وعندما وجد البحر ما زال منشقاً، قد سار به. ولكن جبال الماء قد تراجعت وسقطت عليه وعلى من كان معه فغرقوا[787].

لقد جعل المندائيون في أسطورتهم هذه ان يحل ملكهم الخرافي اردبان ملكا، مكان موسى الذي قاد الإسرائيليين من مصر. ولقد جعلوا "فيروخ ملكا" أخا لاردبان كشخصية ملكية اخرى. ومؤلف القرآن يعرف في فكره ان الذي قاد الإسرائيليين من مصر هو موسى. فأصبح فيروخ كأخ وقرابة لموسى.

وهذه الشخصية الملكية أي فيروخ قد حلت مكان فرعون في الأسطورة المندائية، فبقي فيروخ كشخصية السلطة التي حاربت موسى. فيروخ الذي قد غُلب من موسى، قد صار له نفس المصير الذي وصفه سفر الخروج لجيش فرعون الذي عندما حاول ان يتتبع الإسرائيليين عبر البحر الأحمر بعد شقه. ولكن المياه قد رجعت على الجيش ومركباته وأغرقتهم.

ففي هذه الخرافة بالذات فيروخ كان شخصية السلطة في مصر بدل فرعون. ولكن في صيغة اخرى نراها في كنزا ربا نجد ان فرعون يتبع اليهود ويغرق جميع جنوده ما عدى فرعون وخدامه. فنرى اذاً ان هناك شخصية مندائية لها سلطة كملك وهناك فرعون أيضا. من هنا أصبح التباس المندائيين في موضوع السلطة في مصر. وهذا يفسّر لماذا محمد قد جعل قارون كأغنى رجل في مصر، ووضعه قبل فرعون في المقام، جاعلاً إياه الشخصية الرئيسية التي قاومت موسى في مصر. كان من السهل على محمد تحقيق الشخصية الخرافية الملكية المندائية فيروخ بقورح المذكور في الكتاب المقدس. من حيث ان فيروخ قد وُصف من المندائيين بانه أخ للقائد الذي بحسب ادعائهم قد أخرجهم من مصر. وكلمة أخ للشعوب السامية تعني قرابة. من الواضح بان محمداً قد كان قد أُخبر من اليهود بان قورح كان أخا لموسى. كل هذه المعطيات قد حذت بمحمد ان يوحِّد سرد الكتاب المقدس عن قورح بالأسطورة المندائية عن فيروخ الذي نسبة للأسطورة قد قاوم وحارب موسى.

وهناك شيء آخر للاعتبار، وهو ان القرآن قد كُتب في لغة بدون تشكيل ونقاط على الحروف. فكلمة "فيروخ" كانت ممكن ان تُقرأ ب "قيروح" وهي مشابهة لكلمة لقورح. فاحتمال كبير ان المندائيين قد قرئوا قورح كفيروخ. أو ان محمداً قد ظنّ ان المندائيين يتكلمون عن قورح الذي سمع ان اليهود يتكلمون عنه انه موجود في الكتاب

المقدس. لذلك فاعتماد محمد على الخرافة المندائية، التي ربما هي تحريف للسرد في العهد القديم، هو مؤكَّد.

الغنى الخرافي لقورح – قارون ممكن تفسيره على ضوء الأسلوب الخرافي المندائي الذي ينسب كنوزاً خياليةً لشخصيات ذُكرت في الكتاب المقدس كذلك لشخصياتهم الأسطورية

فالغنى المنسوب لقورح–قارون في مصر، يمكن تفسيره على ضوء الأساطير المندائية التي بها تُنسب مثل هذه الكنوز للذاتيات الخرافية المذكورة في كتاباتهم. فمثلا، السفر المندائي المعروف بـ ديوان مالكوتا لايتا Diwan Malkuta Laita، ينسب لأحد ذاتياتهم الخرافية بناء جدران من الماس النقي[788]. وتنسب الكتابات المندائية لشخصياتهم الخرافية بأنها قد بنت قصوراً وهياكل من حجارة كريمة وكريستال بلور شفاف. فهناك مثال عن هيكل يدّعي كتابهم المدعو بـ The Great First World or Alma Risaia RBA, أي العالم الاول العظيم أو الما رزايا ربا، انه قد بُني من كريستال[789]. وينسب المندائيون لشخصيات ذُكرت في الكتاب المقدس مثل آدم بأنهم بنوا بيوتاً من كريستال[790].

فهذا الغِنى الخرافي المنسوب من المندائيين لشخصياتهم الأسطورية كما لشخصيات ذُكروا في الكتاب المقدس، يتوافق مع الغنى الخرافي المنسوب من القرآن لقورح–قارون. فليس من الغريب ان المندائيين زمن محمد قد نسبوا إلى فيروخ ملكا في مصر غنىً خيالياً، مثل ذلك المذكور في القرآن لقارون من ان مستودعات الكنوز لقارون لم يكن بالإمكان حملها من جماعة من أقوى الرجال. أو ما نسبه الصحابة رفقاء محمد لقارون بان بيوته كانت مبنيةً من الذهب. فوصف المندائيين لفيروخ يتفق تماما مع وصف القرآن والوصف الإسلامي لقارون.

لا بد ان محمداً قد سمع من مراجعه الصابئية في جيله، ان فيروخ ملكا ليس فقط كان أهم من فرعون، ولكن كان يملك غنىً خيالياً، بطريقة تتفق مع السرد المندائي الخرافي. وعندما كانت تُقَص هذه الأساطير على مجموعات من الجاهليين زمن محمد، لم تواجه أي اعتراض في قبولها كحقائق. ذلك لأنها كانت جماعات تصدق الخرافة، وتميل إلى استقبال مثل تلك القصص، بدون الاعتراض على عناصرها غير العقلانية وطبيعتها الأسطورية. ولكن ماذا بالنسبة لأصدقائنا المسلمين في أيامنا. هل سوف يستمرون في تصديق الأساطير غير التاريخية للمندائيين وللجماعات الأخرى، التي تتصف كتاباتهم بالخرافة والمبالغة، والذين شكّلوا أهم مراجع محمد، وإليهم كان يرجع وجود الخرافات في القرآن ؟!

لقمان

لقمان في القرآن والميثولوجيا

سوف أعالج موضوع لقمان في هذه الكتاب، بأكثر تفصيل. وذلك لأجل إثبات ان محمداً كان يستخدم المصادر الخرافية دون تمييز أصلها. جاعلاً من أبطالها مثل لقمان، نبياً وحكيماً مُرسَلاً من الله، دون ان يعرف انها شخصيةٌ خرافيةٌ وهمية، ليس لها وجود في التاريخ.

فهناك سورة في القرآن وهي سورة لقمان، رقم 31، تستشهد في بعض وصايا "لقمان" كرجل حكيم. تعرّف السورة في الآية الأولى لقمان كرجل قد أعطاه الله الحكمة: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ". فمَنْ يا تُرى يكون لقمان هذا. وهل نملك الآن المعرفة والمراجع التي تساعدنا ان نحقق هويته؟

لقمان في الشعر الجاهلي

لقد كان لقمان معروفاً خارج القرآن لدى الجاهليين قبل الإسلام. وكان في الشعر الجاهلي شخصاً حكيماً. وبعض الأشعار جعلته من قبيلة عاد. قال الصريم بن معشر بن ذهل الملقب بـ "أُفنون التَّغلبي":

لو أنني كنتُ من عادٍ ومن إرَمٍ   ربيَتُ فيهِمْ ولُقْمانٍ وذِي جدَنِ[791]

وهي تعكس خرافة جاهلية من ان عاد امةٌ قديمة. وهناك أيضا ذِكراً عن لقمان في شعر "لَبيد بن ربيعة " الذي أدرك الإسلام. يقول الجاحظ:

وقال لبيدُ بن ربيعةَ الجعفريّ:

وأخْلفَ قُسّاً ليتَني ولو أنَّنِي   وأعْيَا على لُقمانَ حُكْم التدبُّر[792]

حيث الشاعر يصف لقمان بحسن التدبير، وهي انعكاس لخرافة أحيقار الموصوف بانه قادر على التدبير في حالة الأزمات لصالح أشور وملك أشور. (أحيقار هو شخصية خرافية – أي لم تُوجد في التاريخ، وسوف نناقشها بأكثر تفصيل في هذا الفصل).

وتقول الخرافات العربية بان لقمان قد طمح إلى الخلود، فخُيِّر. فاختار ان يرتبط خلوده ببقاء سبعة نسور على قيد الحياة، آخر نسر اسمه (لبد)، ويعني الدهر. لكن النسور ماتت واحد تلو الآخر، حتى جاء دور لبد الذي مات وانتهت حياة لقمان بموته[793]. ونرى انعكاسات ذلك على الشعر العربي:

"يقول الشاعر وهو أعشى بن قيس بن ثعلبة: وأنت الذي ألهيت قيلا بكأسه ولقمان إذ خيرت لقمان في العمر" [794]

تخبط المسلمين في تحديد هويته

هناك أفكار متضاربة عن لقمان في أقوال الكتّاب المسلمين. فالبعض يقول انه ابن أخت أيوب، والبعض انه من النوبة أو السودان. وهنا حديث على لسان ابن عباس ينسبه لمحمد:

عن ابن عباس قال "قال رسول الله : اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من أهل الجنة: لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن"[795].

والبعض يقول بانه كان معاصراً لداود وقبره في فلسطين. والبعض يقول بانه كان قاضيا في بني إسرائيل.

فإذا كان لقمان ابن أخت أيوب، كيف يكون من سكان النوبة. وإذا كان معاصراً لداود وقبره في ارض فلسطين، لماذا أغفل الكتاب المقدس عنه، وقد ذكر الكتاب المقدس كل الأنبياء الذين كانوا زمن داود، مثل جاد وناثان وغيره. فليس للكتاب المقدس ان يقدم رسالة لنبي دون ان يذكر هويته وأين يسكن. حتى أيوب الذي هو ليس عبرياً قد حدَّد الكتاب المقدس انه من أهل المشرق ومن شعب عوص. وحدد سفر أيوب جنسيات أصدقائه. ولكن هنا نرى القرآن يقدّم سورة باسم "حكيم أو نبي" دون ان يحدد هويته. مما يشير لكون محمد يستخدم الرائج في زمانه من أسماء، مع عدم قدرته ان يحدد هويتها في القرآن مباشرة. فإذا كان نبياً أو حكيماً يُوحى إليه من الله، كيف يُوضع بدون تحديد لمكان عيشه وزمانه وتحديد هويته وعائلته؟

أقوال منسوبة لمحمد عن لقمان

ومن حيث ان القرآن لم يحدِّد هذه المعلومات عن لقمان، فهل يُترك موضوع تحديده لمراجع اقل أهمية، مثل الأحاديث التي كما نعلم تتعارض كثيراً في كثير من معلوماتها. لا يوجد هناك أحاديث لمحمد عن لقمان في كتب الأحاديث المثبتة مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم. ولكن نجد حديثاً يُنسب لمحمد من ابن منظور، الذي ولد

بعد 630 عاماً من هجرة محمد. وأحاديث بعد ذلك التاريخ أيضا. لذلك فهذه الأحاديث هي في الحقيقة مُضافة في وقت لاحق من المسلمين، من اجل محاولة تغطية الفراغ الذي تركه القرآن ومحمد من جهة هوية لقمان. فيقول الحديث المنقول من ابن منظور انه بينما كان لقمان نائماً سمع صوتاً: يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفةً في الأرض فتحكم بين الناس بالحق. فتردّد لقمان ان يقبل ذلك خوفاً من ان يُفتتن من محبة الدنيا. فنام نوماً وفاق وإذا هو يغط بالحكمة. وعُرض على داود نفس الأمر فقَبِلَه، ولكن سقط في الخطيئة أكثر من مرة. فقال له داود: طوبى لك يا لقمان. أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية. وأوتي داود الخلافة وابتلي بالرزية أو الفتنة"[796].

ولكننا لا نجد زمن داود ان هناك حكيماً تحت اسم لقمان. والقصة هي تحت تأثير حادثة في سفر إخبار الأيام الثاني عن سليمان. الذي تراءى له الرب في الليل وقال له [اسْأَلْ مَاذَا أُعْطِيكَ]. وطلب سليمان من الله الحكمة (إخبار الأيام الثاني 1: 7-12)

أحاديث منسوبة لمحمد وأصحابه عن هوية لقمان المتقاربة مع فكرة ايسوب

وشخصية لقمان، كما سوف نرى لاحقا، هي شخصية أحيقار الخرافية التي ظهرت للمرة الأولى في كتابات يهودية باللغة الآرامية، تعود للقرن الخامس قبل الميلاد. وقد انتشرت حِكم أحيقار في شبه الجزيرة العربية تحت اسم صحيفة لقمان. وكان لشخصية أحيقار تأثير على اليونانيين حتى أنهم نسبوا ما لاحيقار إلى ايسوب، التي يُشَك إذا ما كانت شخصية حقيقية.

وهناك أحاديث منسوبة لمحمد عن لقمان كعبد سوداني أو نوبي أو حبشي، وهي تحت تأثير شخصية ايسوب.

وشخصية ايسوب معروفة من خلال fables، أي خرافات ذات مغزى. وتتصف كلها بتنطيق الحيوانات. بعكس أمثال أحيقار التي نجدها منسوبة للقمان. والتي كما سوف نرى متساوية مع أمثال لقمان، ومع أمثال موجودة في صحيفة لقمان، ومستشهد بها من أفراد من عائلة محمد ومن محمد. والتي بعض الآيات القرآنية التي تُنسب للقمان مشتقة كما سوف نرى من أمثال أحيقار. كل ذلك يؤكد بان لقمان ما هو إلا الاسم العربي لاحيقار.

وإذ كان هناك شيء بسيط من التشابه بين ما نُسب لايسوب وبين بعض الأحاديث التي تُنسب لمحمد ولبعض الصحابة عن لقمان، فهو بسبب ان اليونانيين قد نسبوا لايسوب قصة أحيقار. فغدت الشخصيتان الخرافيتان كأنهما مترادفتان.

والتقليد اليوناني يصف ايسوب انه كان عبداً وحُرِّر، ثم قتله سكان دلفي Delphi (مدينة يونانية كان فيها معبد مشهور). ويرى البعض ان اسم ايسوب هو الكلمة اليونانية القديمة المُتقارِبة مع إثيوبيا. ونرى في بعض القصص اليونانية انه كان عبداً لشخص يوناني اسمه Iadmon، الذي كان يعيش في جزيرة ساموس Samos اليونانية. وانه قد

أُعتق، لأنه قد دافع علناً عن شخصٍ اسمه Samian demagogue ساميان ديماجوجوي[797].

وهناك تقارب بين الفكرة المنسوبة لمحمد والصحابة عن لقمان مع التقليد اليوناني عن ايسوب.

عن ابن عباس قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من أهل الجنة: لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن"[798].

ويذكر ابن عباس ان لقمان كان عبداً حبشياً:

> "عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حبشياً."[799] ويقول ابن قتيبة "وكان لقمان عبداً حبشياً لرجل من بني إسرائيل فأعتقه وأعطاه مالاً. فكان في زمن داود النبي عليه السلام، واسم ابنه ثاران"[800].

صحيح ان هناك نقاط تشابه بين ايسوب ولقمان، من حيث الأمور التالية:

1-كليهما حكيمان 2-كانا عبدين وأُعتقا بسبب حكمتها 3-كانا من الحبشة أو النوبة. ولكن كون ابن قتيبة يذكر ان اسم ابن لقمان هو ثاران. وهو مشتق من ابن أحيقار ناران، فذلك يدل على ان لقمان هو أحيقار، وأضيفت عليه بعض المزايا اليونانية الآتية من شخصية ايسوب.

أحيقار

أحيقار هو اسم خرافي في قصة يهودية عن شخصية وهمية أشورية. وهو في التلمود "ايقار" وفي العربية "اح- يقار" و"احي يقار". وفي الأشورية "احي يقار". وفي اليونانية Akikarus or Achiacharos والاسم مركب: اح أو احي (أخ في العربي) و(يقار) يقابلها وقار. فيكون المعنى اخو الفضل أو الرزانة أو الوقار[801].

وأقدم نص لخرافة أحيقار كان الآرامي، الذي وُجد في ألواح بجزيرة الفيلة بالقرب من أسوان. فقد وجدت الألواح البعثة الألمانية تحت قيادة الدكتور Rubensohn أثناء الحفريات بين عامي 1906 و1908. ونُشرت في عام 1911 بواسطة Sachau E.. والألواح الآن موجودة في برلين. وقد وُجدت بين مجموعة من ورق البردي التي كانت تنتمي لمستعمرة يهودية كانت تعيش هناك. وقصة أحيقار تقع بين اللوحة رقم 40 ورقم 50. ويعود زمن كتابة القصة إلى حكم داريوس واحشويروش (في القرن الخامس قبل الميلاد).

وقد أضيفت للقصة في كل عصر أمثالاً وتفاصيل تتفق مع عقائد الأشخاص التي وصلت إليهم القصة. ويبدو ان القصة هي خرافة يهودية، وقد أضاف الكاتب اليهودي في القرن الخامس قبل الميلاد بعض المعرفة التي كانت له في الأدب العبري. كذلك فقد أضيفت لها فيما بعد الميلاد بعض المعرفة المسيحية.

يعتقد Conybeare بان الخرافة اليهودية عن أحيقار قد انتقلت من كتّاب يونانيين إلى خرافة ايسوب[802].

ان انتقالها للعربية سابقة لمحمد، وذلك بسبب ان النسخة السريانية كما سوف نرى لاحقاً تعود على الأغلب للقرن الثاني ميلادي. ونعرف كيف ان السريان كانوا يحملون كتباً خرافية إلى شبه الجزيرة العربية، وذلك بين الكتب الأخرى التي كانوا يحملونها في محاولتهم تبشير بعض المدن في العربية. كما هناك وجود لكثير من الأمثال لقصة أحيقار التي نراها في النسخة الآرامية (التي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد) في أقوال ووصايا لقمان، كما نراها في أقوال بعض أفراد من عائلة محمد، وفي أقوال وهب بن منبه (الذي ولد في سنة 34 هجري)، وكان قد اطّلع على صحيفة لقمان.

أحيقار في اليونانية

يقول كلمنت Clement الاسكندراني، اللاهوتي المعروف الذي عاش بين 150 – 215م، في كتابه Stromata، بان الفيلسوف اليوناني Democritus ديمقريطس (المتوفي عام 370 قبل الميلاد):

"Democritus قد تبنى الحكم البابلية، وانه قال انه قد أضاف لمؤلفاته ترجمة من اجزاء قصة أحيقار"[803]

ويقول كلمنت بان Democritus الذي تميّز في رحلاته، ادّعى انه زار بابل وفارس ومصر وجلس عند أقدام المجوس والكهنة حتى يستعير من النصوص الفارسية. ولا شك انه استعار حتى من هذا البردي الآرامي، (أي البردي الآرامي لاحيقار)[804].

ويذكر Theophrastus -فيلسوف يوناني عاش بين عامي 370 و285 قبل الميلاد- اسم Akicharus. نجد ذلك في كتابات "Diogenes Laertius, الذي في القرن الثالث ميلادي كتب عن حياة الفلاسفة اليونانيين[805]. ويذكر المؤرخ اليوناني سترابو، الذي عاش حول العصر الميلادي، اسم حكيم من الشرق تحت اسم Achaicarus[806]. لا شك ان انتقال خرافة أحيقار لليونانيين كان بسبب انتشار الخرافة في مصر.

وهناك جزئية من قصة أحيقار نجدها لأول مرة في حياة ايسوب، وهي رحلة أحيقار لمصر. فتلك الجزئية معروفة في كونها مسجلةً لأول مرة في حياة ايسوب[807]. وهذه الجزئية غير موجودة في النص الآرامي الذي يعود للقرن الخامس قبل الميلاد. ولكن في النص السرياني وباقي النصوص التي ظهرت بعد العصر الميلادي. فمن المحتمل انه صار هناك تطور لخرافة أحيقار بعد العصر الميلادي، قد سجلها

اليونانيون. وان السرد الآرامي الذي يعود للطائفة اليهودية حيث وُجدت قصة أحيقار هي ناقصة، وان المُنقِّح اليوناني لقصة ايسوب كان عنده نسخة أكمل عن أحيقار[6].

من جهة فكرة ايسوب كحبشي، هي مشتقةٌ غالبا من رومانس ايسوب. وكاتب رومانس ايسوب قد جعل ايسوب يذهب إلى بابل والى مصر، ويحل مشاكل لملك بابل، ويأخذ جزيةً من ملك مصر لصالح ملك بابل. وهي مأخوذة من قصة أحيقار. ويبدو ان كاتب رومانس ايسوب في القرن الاول ميلادي قد استفاد من ترجمة يونانية سابقة لقصة أحيقار[808]. كما سبق وذكرنا يعتقد الباحث Conybeare بان الخرافة اليهودية عن أحيقار قد انتقلت من كتّاب يونانيين إلى خرافة ايسوب .

نسخ قصة أحيقار

هناك نسخ كثيرة لقصة أحيقار، نجدها في لغات شرق أوسطية وأوروبية. وفيما يلي أهم تلك النسخ:

النسخة العربية

يعتقد كثيرون من الباحثين ان النسخة العربية قد تُرجمت مباشرةً من السريانية. وتعطي الموسوعة الكاثوليكية إثباتات لذلك: منها بقاء بعض تعابير سريانية في النسخة العربية. كذلك النسخة الأرمنية قد أتت من السريانية.

والنسخة العربية ظاهرة في مخطوطات موجودة في برلين وكمبردج وكوبنهاجن وباريس ولندن وروما وGotha جوثا[809]. وهناك عن القصة في كتاب ألف ليلة وليلة. والمخطوطات العربية الأصلية المكتوبة بخط عربي هي قليلة. وأكثرها وصل ألينا مكتوباً بالحرف السرياني، وهو المعروف بالكرشوني. والمراد بالكرشونية كتابات عربية بحروف سريانية. (وهذا النوع من الكتابة تفرَّد به الموارنة والسريان). ولا شك في انها مترجمة من السريانية ومن المترجمين الذين كانوا على معرفة وثيقة بالتوراة والأناجيل، ولقد تركوا لنا في الترجمة تراكيب وألفاظا سريانية[810].

النسخة السريانية

النسخة السريانية هي قديمة، إذ تعود إلى القرون الأولى بعد الميلاد. ونملك الآن نسخة من السريانية، آتية من مخطوطات (البعض منها مؤلف من شظايا) محفوظةٍ في

---

[6] ذهاب ايسوب الى مصر موجود في رومانس ايسوب The Aesop Romance المعروف ايضا تحت اسم

Vita or The Life of Aesop or The Book of Xanthus the Philosopher and Aesop His Slave

يعود للقرن الاول او الثاني ميلادي.

بـرلين وكـامبردج ولنـدن وUrmia وفـي ديـر بـالقرن مـن الموصـل[811]. ويكتـب الباحث Leonhard Rost:

"ان الخصائص المسيحية التي تظهر في مادة الأمثال في نهاية التنقيح للنسخة السريانية من المحتمل انها تمثل التطوير النهائي، وبذلك فان التنقيح السرياني يجب ان يكون في العصر المسيحي، ومن المحتمل في القرن الثاني ميلادي"[812].

ونجد كثيراً من النصوص السريانية لاحيقار في الأمثال العربية وفي أمثال منسوبة للقمان. مما يدل على قِدم النص السرياني إلى ما قبل العصر الإسلامي، وان النسخ السريانية تعتمد على نسخ سريانية أقدم تعود إلى ما قبل العصر الإسلامي. وهناك إثباتات اخرى تدل على ذلك، نقدم منها المثل التالي: فمن النسخة السريانية نقرأ انه بعد ان ربط أحيقار ابن أخته قال له هذا المثل:

> "يا بني، ان فخا أقيم في دمنة، فأتى عصفور وعندما رأى الفخ قال له: ماذا تعمل هنا؟ فقال له الفخ: إني أصلي. فقال العصفور: وما هذا الذي في فيك؟ قال الفخ: خبز للضيوف. فاقترب العصفور منه ونقر من الخبز شيئا فأطبق عليه الفخ واصطاده. فقال له العصفور وهو ينتفض: إذا كان هذا هو خبزك للضيوف فاني اضرع إلى الله الذي تصلي إليه ألا يستجيب لك"[813].

هذا المثل لاحيقار قد كرره وهب بن منبه كما نراه في العقد الفريد:

> "قال نصب رجل من بني إسرائيل فخاً، فجاءت عصفورة فوقعت عليه، فقالت: ما لي أراك منحنيا؟ قال: لكثرة صيامي بدت عظامي. قالت فما لي أرى هذا الصوف عليك؟ قال: أتوكأ عليها واقضي بها حوائجي. قالت: فما هذه الحبة في يدك؟ قال: قربان ان مر بي مسكين ناولته إياه. قالت: إني مسكينة قال: فخذيها. فقبضت على الحبة فإذا الفخ في عنقها، فجعلت تقول قَعِي قعي. قال الحسن: تفسيره: لا غرّني ناسك مراء بعدك أبد"[814].

لا شك بان صيغة المثل كما نقله وهب من منبه، موضوعة بلغة وهب نفسه، وما استطاع ان يتذكره من المثل. ولكن جوهر المثل هو نفسه كما نراه في مثل أحيقار باللغة السريانية. من حيث أن وهب بن منبه قد قال انه قد قرأ من صحيفة لقمان عشرة آلاف باب (كما سوف نرى لاحقا)، فذاك تثبيت على انه قد اقتبس من كتاب أو صحيفة أحيقار (التي نحن نقرأها في النسخة السريانية). مما يدل على وجود نسخة عربية لاحيقار والتي كانت صحيفة لقمان تعبِّر عنها أو تحويها. وان النسخة السريانية الحالية لاحيقار قائمة على نسخة سريانية قديمة. ولا شك بان النسخ السريانية هي قديمة قبل القرن السادس م.، وذلك بسبب ان صحيفة لقمان التي هي حكم أحيقار كما سوف نثبت ذلك كانت شائعة في عصر محمد. ولا بد انها تُرجمت من السريانية.

يجب الانتباه ان كثيراً من أمثال أحيقار قد زيد عليها في العصر المسيحي. كما نجد أمثالاً بها كلمات مثل الخطيئة المميتة والسعادة الأبدية وملكوت السماء الخ. ولكن نفهم ان تلك الأمثال كانت قد انتشرت قبل محمد.

ونستطيع ان نرى بان كثيراً من الأمثال في النسخة السريانية مطابقةٌ للآرامية التي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد. ولكن كثيراً من الأمثال فيها بعض الاختلافات بسبب الترجمة والإضافات من السريان. ولكن هناك أمثال في النسخة السريانية لاحيقار مطابقةٌ حرفياً للنسخة الآرامية لاحيقار التي تعود للقرن الخامس ق. م.(كما سوف نرى لاحقا)، مما يثبِّت قِدم الترجمة السريانية لحكم أحيقار لتاريخ يعود للقرن الثاني ميلادي، كما سبق وذكرنا.

النسخة الأرمنية

يعتقد الباحثون مثل Leonhard Rost بان النسخة الأرمنية تعود إلى حوالي عام 450 م. وهي موجودة في عدة مخطوطات محفوظة في Edshmiatsin وأكسفورد وباريس والبندقية[815]. بالنسبة للأمثال فهي متشابهة في معظم النسخ. إلا انها مقتصرة في النسخة الأرمنية[816].

قبل اكتشاف البردي الآرامي كانت القصة معروفة في ألف ليلة وليلة وفي الهند أيضا[817].

النسخة الآرامية -أمثال أحيقار- التي تعود للقرن الخامس ق.م.

أقدم نص لقصة أحيقار وأمثاله يعود إلى نهاية القرن الخامس ق.م، قد عُثر عليه كما ذكرنا سابقاً من البعثة الألمانية بين عامي 1906 و1908، وذلك أثناء الحفريات في جزيرة الفيلة القريبة من أسوان -في مصر-، مدونة على إحدى عشرة ورقة من أوراق البردي، تنتمي إلى مستعمرة يهودية. وقصة أحيقار تقع بين اللوحة رقم 40 ورقم 50.

بالنسبة للمخطوطات الآرامية التي وُجدت هنا، فهي تنتمي إلى فترة حكم الفرس في مصر. البعض يعود لفترة متأخرة عن ذلك إلى ما قبل 300 ق.م.[818]. لم تكن اللغة العبرية مُستَخدمة من الطائفة العبرية آنذاك. وكانت الآرامية هي اللغة الرسمية في المحاكم[819]، وهي لغة الاتصال والتجارة إلى عصر البطالمة Ptolemaic times، حيث حلّت اللغة اليونانية مكانها. وكان اليهود في تلك المستعمرة يدعون أنفسهم بـ"القوة أو الفرقة اليهودية". وعندما صار الحكم للفرس أصبح هؤلاء المُرتَزقة تحت سلطة الفرس، يعملون لصالح ملك فارس[820].

كاتب رسالة Letter of Aristeas (التي تعود للقرن الثاني ق.م.) يذكر عن Psammetichus، وهو لقب لثلاث فراعنة من السلالة السادسة والعشرين، انه يستخدم مرتزقة يهود ضد الحبشة. إذا كان هو Psammetichus الثاني المذكور من هيرودوتس فيكون بدء استخدام اليهود يعود إلى 595 – 590 ق.م. في وقت لاحق قد وُضع اليهود في الفيلة وفي Syene للدفاع عن حدود مصر مع الحبشة. فلما جاء Cambyses إلى مصر عام 525 ق.م. كانوا في الفيلة، فعندما صار الحُكم للفرس

أصبح هؤلاء المُرتَزقة تحت سلطة الفرس[821]. وقد أصبح هؤلاء اليهود (يهود منطقة الفيلة) مع زوجاتهم وأولادهم مجتمعاً، يشترون أراض ويمارسون حقوقاً[822].

بالنسبة لعباداتهم: كانوا يعبدون يهوه الله، ولكن كان عندهم آلهة أخرى. يقول Cowley بان وصف ارميا عن العبادات الغريبة التي كانت عند اليهود في عصره، واستمرت لفترة عند اليهود في مصر، نراها الآن بعد قرن في مصر عند هذه المستعمرة اليهودية[823]. الأمر الذي يكشف صدق كلمة الله تاريخياً، إذ ان الله قد أدان اليهود في عصر ارميا بسبب تفشي الوثنية فيهم، رغم أنهم كانوا يدّعون في إكرام يهوه – اسم الله في العهد القديم، الكلمة التي تعني الكائن الحي.

العوامل التي ترجِّح أصل الخرافة اليهودي والتأثير الفارسي عليها

واسم أحيقار موجود في التلمود البابلي. و"أخيش" الاسم الذي سمّى أحيقار نفسه في مصر هو اسم عبري. اخيش قد ورد في أسفار العهد القديم في صموئيل الاول 21: 10 "أَخِيشَ مَلِكِ جَتَّ" حيث هرب داود.

وهناك تأثيرات فارسية على القصة. من حيث ان الكاتب اليهودي قد كتب في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كانت مصر تحت حكم الفرس. لذا نفهم تواجد أسماء فارسية في القصة. ذلك يلغي كونها قصة أشورية أو بابلية سابقة للعصر الفارسي، الذي بدأ من احتلال كورش لبلاد بابل وذلك عام 539 ق.م. فاسم زوجة أحيقار هو "اشفغني" وهو اسم فارسي[824]. ونادان ابن أخت أحيقار الذي تبناه في الأصل الآرامي نادِن، يبدو اسماً فارسياً، معناه "الجاهل والأحمق". أما انيس فريحة يقول انه اسم سامي كما في الآرامية نادِن معناه عطاء أو المعطي[825]. والاسم الفارسي يبدو أكثر احتمالاً، من حيث انه يتناسب مع مغزى القصة، وهي ان نادان ابن أخت أحيقار بحسب القصة كان جاهلاً وأحمقاً.

ونرى نادان في أساطير لقمان الجاهلي كابن للقمان اسمه ثاران، او تاران أو ناران[826]. من حيث ان الكلمات كانت تُكتب بدون تنقيط. مما يكشف أصل خرافة لقمان انها من أحيقار.

تاريخ كتابة البردية الآرامية وحقيقة قِدم الكتابات الآرامية للكتاب المقدس وسفر الأمثال منها

يقول Cowley بان البردي الآرامي كُتب قبل عام 400 ق.م. ويمكن 430 قبل الميلاد، وان الأصل الآرامي لا يمكن ان يكون سابقاً لعام 668 ق.م. كما هو موضوع بالآرامي[827].

في موضوع قِدم أسفار العهد القديم، وبصورة خاصة سفر الأمثال، على مجموعة البردي في الفيلة. البردية رقم i تعود إلى سنة 495 ق. م. يجب ان تكون زمن داريوس

الاول. وهي أقدم بردية في المجموعة. وايضا رقم 3 يبدو انها بحسب الباحث Sachau تحوي كلمات تشبه العهد القديم في التهجئة (يقصد بعض الإصحاحات القليلة المكتوبة في الآرامية مثل سفر دانيال). تتعلق البردية في اتفاق ناتج عن محاكمة سابقة في المحكمة. والاتفاق بين امرأتين يدل على ان النساء كن يملكن أملاكاً بأسمائهن ويذهبن للمحاكم[828]. ان كانت هذه البردية التي ليس لها علاقة بقصة أحيقار هي الأقدم، وهي تقترب قليلا من التهجئة في العهد القديم. معناه ان كتب العهد القديم (يقصد التي جزئيا كُتبت في الآرامي مثل سفر دانيال) هي أقدم بكثير من أقدم بردية في هذه المجموعات. وإذا كانوا قد حققوا هذه البردية لعام 495 ق. م. (والتي لا تحوي قصة أحيقار)معناه ان أسفار العهد القديم التي تحوي فقرات في الآرامي هي أقدم من ذلك التاريخ، وممكن إعادة مثل هذه الأسفار للزمن الذي عاش به الكتّاب، مثل دانيال وغيره ممن كتبوا في الآرامية.

هناك عشرة أوراق من البردي تحوي قصة أحيقار. وهي تتشابه مع البرديات المتأخرة زمنياً في المجموعة. والقصة غير كاملة في البرديات. ويقول Cowley بان هذه البرديات التي تحوي قصة أحيقار تعود إلى الجزء الأخير من القرن الخامس ق.م. وهي أقدم جزئية من كتابات الحكمة خارج العهد القديم[829]. واضح اذاً ان كتب الحكمة- مثل سفر الأمثال والجامعة - في العهد القديم أقدم منها.

والباحث Cowley يعترف بان اسم أشور Assyria مكتوب في هذه البرديات كما نجد في كتب الترجوم المختلفة (وهي متأخرة نسبة لأسفار العهد القديم القانونية)، وليس بحسب الكتابات الأشورية القديمة مثل Sinjirli inscriptions التي تعود إلى حوالي 850 قبل الميلاد[830].

بالنسبة لسفر الأمثال، فكثير منها يعود إلى سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد. وعُرف سليمان بالحكمة، حتى ان ملوك الأرض قد جاءوا لسماع حكمته. ويقول سفر ملوك الاول:

وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الأَرْضِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِهِ.(ملوك الاول 4 : 34)

وقد جاءت ملكة سبا من اليمن إلى اوروشليم لكي تسمع حكمته. من الطبيعي اذاً ان يكون لسليمان أمثالا مُدوّنه في زمانه.

يقول Cowley ان هناك أمثالاً بابلية تشبه أمثال أحيقار، مما يوحي بان بعض أمثال أحيقار من أصل بابلي وليس فارسي[831]. وكون اليهود قد سبق وسُبوا إلى بابل، فلا بد ان صار عند بعضهم معرفة في الثقافة والأمثال البابلية.

استبعاد العصر الأشوري للقصة

يذكر كتابُ أحيقار الملكَ سنحاريب وابنه اسرحدون. ونحن نعلم ان سنحاريب قد خلف أباه سرجون عام 705 ق.م. واسرحدون خلف والده سنحاريب لاحقا حيث تغلب اسرحدون على الجيش المصري عام 670 ق. م.

رغم ان هناك بعض الأسماء الأشورية، مثل أسماء الولدين الذين صعدا فوق النسر، و(نبو زرادان) (اخو نادان) معناه "الإله نبو أعطى نسلاً". ولكن ذلك لا يثبت ان القصة أشورية. فلا بد ان الكاتب العبري كان على اطلاع على أسماء أشورية في زمانه، من حيث ان الأشوريين كانوا شعباً معروفاً آنذاك في منطقة الشرق الأوسط. ومن حيث ان الكاتب أراد ان تكون القصة أشورية، لذلك عَمَد على إدخال أسماء أشورية في قصته. ولكن الذي يجعلنا ان نستبعد ان تكون الخرافة أصلها أشوري، هو عدم وجود أي تلميح أو ذِكر للخرافة في الكتابات الأشورية وحتى في البابلية. فكان بالأولى ان تكون معروفة للأشوريين والبابليين، بدل ان يكون نصها الوحيد قبل العصر الميلادي آتياً من اليهود في منطقة قريبة من أسوان في جنوب مصر. وان نرى هذا الاسم في التلمود وفي بعض الكتابات اليونانية ولا نراه في الكتابات الأشورية أو حتى البابلية.

ويقول Cowley لا نحتاج ان نضع القصة للعصر الأشوري من حيث ان الحوادث حدثت في عصر ملك فارسي. ولا نجد هناك اسم نينوى أو بابل. كما يضيف Cowley قائلا بان لغة البردي الآرامية متأثرة بالفارسية. وكان الآرامي شائعاً أكثر من العبري بين اليهود[832].

عدم تاريخية القصة

نلاحظ بان البردي الآرامي يجعل أحيقار وكأنه شخصيةٌ مشهورةٌ جدا، حتى ان اسرحدون يقول "ليعش أحيقار طويلاً، الذي هو الكاتب الحكيم، مشير كل مملكة أشور". وكأن أحيقار شخصية مشهورة في عصر سنحاريب واسرحدون، وان ملوك العالم يحسبون حسابها ويخافون حكمتها، حتى ان فرعون بعد ان عرف بموت أحيقار، قد تحدّى ملك أشور. ولكن لا نجد أثراً لذلك في التاريخ.

نص السرد في البردي الآرامي

السرد الآرامي ناقص لا يوجد به ذهاب أحيقار إلى مصر . ما يلي ملخص للنص الآرامي:

> قد كان أحيقار قد أصبح عظيماً كمستشار لكل أشور وحامل ختم سنحاريب Senacherib ملك أشور. وعندما كبر أحيقار، قد طلب من اسرحدون الذي خلف سنحاريب، في ان يكون ندين بدله. وهو ابن أخته الذي تبناه وعلّمه الحكمة. ومدح اسرحدون أحيقار في ذلك، وعاد أحيقار إلى بيته. ولكن خطَّط ندين ضد أحيقار قائلا لأسرحدون بان أحيقار قد خرّب أشور متآمراً ضده.

فغضب الملك واستدعى Nabusumiskun وأمره ان يذهب مع رجال آخرين لقتل أحيقار. ولكن أحيقار قد ذكّر Nabusumiskun: "لقد سبق وخلصتك من موت غير مستحق. وذلك عندما غضب عليك سنحاريب والد اسرحدون، وأراد ان يقتلك، لقد أخذتك إلى بيتي. إلى ان أتى وقت انني أخذتك أمامه ونزعت الاهانات التي كانت ضدك". فطلب أحيقار من Nabusumiskun ان يُعامل بالمثل، وان يأخذه Nabusumiskun إلى بيته إلى ان يحتاج اسرحدون إلى حكمته.

ولقد سمع Nabusumiskun إلى نصيحة أحيقار، وطلب من اثنين من مساعديه في قتل خصي كان عبدا له، بدل أحيقار. حتى إذا ما أرسل الملك ليرى جثة أحيقار، يرون جثة العبد، مُوهمين الملك بان أحيقار قد تم فيه حكم الموت.

واخذ Nabusumiskun أحيقار إلى بيته مُخبِّئاً إياه، ومُقدِّماً له كل يوم الطعام. وذهب وقال للملك بانه قد أجرى حكم القتل في أحيقار. وسأل الملك الرجلين اللذين عيّنهما مع Nabusumiskun في مهمة قتل أحيقار. فقالا بان الأمر قد حدث كما قال Nabusumiskun.

تنتهي القصة هنا في النص الآرامي، إذ يتبع ذلك السرد أمثال أحيقار. ولكن نجد تكملة السرد في نسخ أخرى. إذ يكتشف ملك مصر بان أحيقار الذي كان يعطي الحكمة لأشور قد مات، ولذلك سارع في تقديم تحدي إلى ملك أشور، طالباً منه مهندساً يبني قصراً مُعلَّقاً بين السماء والأرض. ووعد ان يقدِّم لملك أشور كمية كبيرة من المال كل سنة، إذا نجح في ان يرسل له شخصاً قادراً على بناء مثل ذلك القصر. وفي حالة فشل ذلك، على ملك أشور ان يقدِّم له جزية. عندها تأسف الملك بسبب قتله لاحيقار، وكشف Nabusumiskun السر ان أحيقار حي. ففرح الملك، وأمر أن يؤتى به، وأعاده إلى منصبه.

ودرّب أحيقار ولدين على ان يركبا نسراً يطير بهما، ونزل بهما إلى مصر. وقال لملك مصر انه مستعد لبناء قصر في الهواء. فترك النسر لكي يحلق بالولدين في الجو، وكما سبق أحيقار وعلّمهما، صرخا بصوت عالي: هاتوا حجارةً ولبناً لكي نبني. فعرف ملك مصر انه قد خسر الجولة. وعرف ان ذلك الرجل الذي نجح في التحدي كان أحيقار. فحمّله من خيرات مصر، وأعاده إلى سيده ملك أشور. وطلب أحيقار ان يأخذ ندين ويقيده. فكانت الأمثال تُقال من أحيقار لندين قبل ان يموت ندين كمعاتبة ودينونة.

تشابهات بين صفات أحيقار ووصف سكان الجاهلية للقمان

نعرف ان لقمان هو أحيقار، وذلك بسبب ان العرب سموه بلقمان نسبة لصفة أحيقار الرئيسية، وهي إفحام الخصم بحكمته. فكلمة لقمان في العربية معناها الذي يعلو الخصوم ويفحمه. وذلك نراه من خلال لسان العرب: فيستشهد ابن منظور بـ:

"أبو تراب: سمعت عَرّاماً يقول رجل فَقِمٌ فَهِمٌ إذا كان يعلو الخصوم، ورجل لَقِمٌ لَهِمٌ مثله."[833]

اذاً كلمة "لقمان" مشتقة من "لَقِمٌ" رجل يعلو الخصوم، وهي صفة لاحيقار الذي دائما يعلو الخصوم بحكمته. أما كيف أتت كلمة لقمان من لقم . فهي مثل:

"قمد: الليث: القُمُدُّ: القويُّ الشديدُ. ويقال: إِنه لَقُمُدٌّ. وقيل: القُمُدُّ اسم له. ورجل قُمْدٌ وقُمُدٌّ وقُمْدُدٌ وقُمُدَّانٌ"[834]

بمعنى آخر كما قمدان مأخوذة من قمد، فان لقمان مشتقة من لقم. ويضيف ابن منظور:

واللَّقْمُ، بالتسكين: مصدر قولك لَقَمَ الطريقَ وغير الطريق، بالفتح. يَلْقُمه، بالضم، لَقْماً: سدَّ فمه. ولَقَمَ الطريقَ وغيرَ الطريق. يَلْقُمه لَقْماً: سدَّ فمه. واللَّقَمُ، محرَّك: مُعْظم الطريق. الليث: لَقَمُ. الطريق مُنْفَرَجُه، تقول: عليك بلَقَمِ الطريق فألزمه.[835]

هنا اذاً بمعنى "أفحمه". وهي صفة أحيقار الذي يفحم الخصوم ويسكتهم بحكمته. ومن حيث ان العرب قديما كانوا يسمّون الأسماء الأعجمية نسبة لصفاتهم، لذلك فسمّوا أحيقار باسم لقمان بصفته يعلو الخصوم بحكمته ويفحمهم.

ويقر جواد علي بأصل حكمة لقمان من أحيقار قد صاغوها الجاهليين بلسانهم. ونجد في الحكم المنسوبة إلى "أحيقار"، شبهاً لها في الحكم العربية القديمة، إذ أحيانا هي ترجمة أصيلة لبعض حكمه. ويستشهد جواد علي في مثلٍ عربي معروف ومأخوذ من أحيقار:

"يا بني إذا أرسلت الحكيم في حاجة، فلا توصه كثيراً، لأنه يقضي حاجتك كما تريد. ولا ترسل الأحمق، بل امضِ أنت واقض حاجتك"[836].

ولو درست بقية حكمه، وما ورد في الحكم المنسوبة إلى الجاهليين، ترى شبهاً كبيراً في المعنى بل في اللفظ في الغالب، مما يدل على انها ترجمة أُخذت من السريانية فعربت ونسبت إلى الجاهليين، أو أن الجاهليين وقفوا عليها فصاغوها بلسانهم، فنسبت إليهم. وأكثر حكمه موجهة إلى ابن أخته "نادان"، حيث يعظه فيقول: "يا بني"[837].

ومن التشابهات بين لقمان واحيقار: الاثنان يُرفض لهما طلب من الآلهة ويوجهان إلى بديل. فاحيقار يطلب من الآلهة ولداً. ويُرفض طلبه، ولكنه يُنصح ان يتبنى ابن أخته ويعلمه الحكمة. ولقمان يطلب الخلود ويُرفض طلبه، ولكنه يُخير بين ان يعيش عمر سبعة بقرات أو سبع نسور[838]. وقد ضربت العرب به الأمثال في أشعارهم. قال الأعشى:

ألم تر لقمان أهلكه ما مر من سنة ومن شهر

وبقي نسر كلما انقرضت أيامه عادت الى نسر

ما مر من أمد على لبد وعلى جميع نسوره السمر

قد ابلت الأيام نضرته وأودعت لقمان في القبر[839]

وكان اسم أحيقار أو حيقار او الحيقار معروفاً للجاهليين. فيمكن ان نستدل من شعر عدي بن زيد عن ذكرٍ للمؤامرة على أحيقار بحسب الخرافة الأصلية. فيكتب لويس شيخو في كتابه النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية:

" قال عدي بن زيد (حماسة البحتري ص86) في بلايا الدهر:

عصفنَ على الحيقار وسط جنوده وبيتّن في لذاته ربَّ ماردِ[840]

نرى ان أحيقار في شعر عدي بن زيد موضوعٌ بين الأشخاص الذين قد تآمر عليه الآخرون وسلبوه سلطانه، وهو يتفق مع الخرافة الأصلية.

ونرى تخبط العرب في الاسم، وعزيه كملك إما للجزيرة أو للحبشة. فيقول الفيروزآبادي:

"الخَفْتارُ: مَلِكُ الجَزيرَةِ، أو مَلِكُ الحَبَشَةِ، أو الصوابُ: الحِيقارُ أو الجِيفارُ، بالجيمِ والفاءِ"[841]

نرى اذاً تسرب فكرة الحيقار كحبشي مثل لقمان وايسوب. ونرى الزبيدي يحقِّق شخصية الحيقار، التي ذكرها عَديَ بن زيد، انه إما ملك الجزيرة أو الحبشة[842]. ويقول ابن منظور عنه انه ملك الحبشة[843].

ونرى لقمان عند العرب يحل المعضلات العظيمة لسيده، مثلما يحل أحيقار معضلات أشور وملكها. فروي عن لقمان أن مولاه سكر يوماً فخاطر قوماً أن يشرب ماء بحيرة. فلما أفاق عرف ما وقع فيه. فدعا لقمان وقال له: لمثل هذا كنت أختبئك. فقال لمولاه: أخرج أباريقك ثم اجمعهم. فلما اجتمعوا قال: على أي شيء خاطرتموه. قالوا: على أن يشرب ماء هذه البحيرة. قال: فإن لها مواد فاحبسوا عنها موادها. قالوا: وكيف نستطيع ذلك. قال لقمان: وكيف يستطيع هو أن يشربها ولها مواد[844].

نلاحظ ان سيد لقمان يقول له: "لمثل هذا كنت أختبئك". وهي تعكس أزمة ملك أشور الذي عندما تحداه فرعون، قال لمثل هذا اليوم كان أحيقار منقذاً. الأمر الذي جعل السياف ان يعترف بان أحيقار ما زال حياً وهو مختبئ في بيته.

ولقمان يوصي ابنه كاحيقار الذي يعلّم ابن أخته الذي تبناه:

وقال الصَّلَتَان السعديُّ، وهو غير الصَّلتان العبْديِّ: ألم تَرَ لقمان أوصى بنيهِ وأوصيت عمرًا فنعم الوَصي"[845]

تشابهات بين نادان ابن أخت أحيقار الذي تبناه وبين ابن لقمان

هناك إثباتات أخرى هامة تثبت ان لقمان في شبه الجزيرة العربية ما هو إلا شخصية أحيقار، الشخصية الخرافية كما رأينا. منها ان اسم ابن لقمان على وزن نادان ابن أحيقار ومتقارب له. فنقرأ عن اسم ابن لقمان:

"(قال لقمان لابنه) اسمه باران بالموحدة، وقيل داران".[846] وهناك من يقول ان اسمه ثاران أو ماثان[847].

ولعل أقرب تسمية لابن لقمان نجدها في الروض والأنف للسهيلي وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري، حيث نرى اسم ابن لقمان مُسمى ثاران او "ناران"[848]. من حيث ان الكلمات كانت تُكتب بدون تنقيط. لذلك فان ثاران وناران كانت تُكتب بنفس الحروف. وكان حرف الراء في الخط العربي القديم شبيه في حرف الدال، الأمر الذي جعلهم يقرئوا نادان انها "ناران".

ويذكر وهب بن منبه كيف انه أصاب للقمان عشرة آلاف كلمة من الحكمة (وفي مرجع آخر باب)، وكان لقمان يعظ ابنه ماثان. نلاحظ بان وهب بن منبه الذي اطلع على صحيفة لقمان، يقول عن ان اسم ابن لقمان هو ماثان. وهو لا شك سوء ترجمة أو عدم نقل لاسم نادان بدقة. وهذا يكشف بان صحيفة لقمان ما هي إلا حِكم أحيقار، قد عُرِّبت وأعطي لاحيقار اسما آخر وهو لقمان. فيكتب المقدسي:

"وذكر وهب أنه أصاب للقمان عشرة آلاف كلمة من الحكمة وقد اسُتعملت في خطبهم ووصاياهم. قال ولم يزل يعظ ابنه ماثان حتى قناع قلبه فمات[849].

ولقمان بدون أولاد مثل أحيقار فيذكر ابن كثير:

"وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا، فلم يبك عليهم، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر، فبذلك أوتي ما أوتي"[850].

وابن أخت لقمان في الشعر الجاهلي اسمه لقيم:

"وقد سمّت العرب لُقْمان ولُقَيْماً..."[851].

والشعر العربي يذكر صيغةً تفسِّر بها ان ابن لقمان هو ابن أخته، مُكرِّراً بذلك فكرة خرافة أحيقار. ولكن بدل التبني يقدم صيغة اخرى. فنرى الميداني يسرد قصة نوم أخته بحيلة معه مُستشهِداً بشعر النمر بن تولب:

"وذلك أن أخته كانت تحب رجلاً ضعيفاً، وأرادت أن يكون لها ابن كأخيها لقمان في عقله ودهائه. فقالت لامرأة أخيها: إن بعلي ضعيف وأنا أخاف أن أضعف منه، فأعيريني فراش أخي الليلة. ففعلت.... وقد ذكره النمر بن تولب في شعره فقال:

لقيم بن لقمان من أختـه   فكان ابن أخت له وابنما

ليالي حمق فما استحقبت إليه فغر بها مظلما

فأحبلها رجـل نـابـه فجاءت به رجلاً محكما[852]

ويذكر ابن منظور ان لُقيم هو ابن أخت لقمان وابنه في نفس الوقت، ويستشهد بشعر النمر بن تولب في كيف حدث ذلك"[853]. ونرى في كتابات البغدادي نقلا عن العيني في قصة ولادة ابنا للقمان ما هو أقرب لخرافة أحيقار. فلقمان لم يكن يأتيه ولد.

وانه كان عظيماً وقوياً وعظيمَ الخلق. واقترحت زوجته على أخته ان تلبس ثيابها لكي يقع عليها في الظلمة[854]. وهذه صيغة أقرب لقصة أحيقار تشير لنقل العرب لخرافة أحيقار، من حيث ان أحيقار لم يكن له ولد، وكان عظيماً وتبنّى ابن أخته. ولا بد ان فكرة التبني لم تكن أليفة على شعراء الجاهلية. فلم يستطيعوا ان يوفِّقوا في كيف يكون ابن أحيقار هو ابن أخته في نفس الوقت. لذلك اختلقوا قصة نوم أخته معه، وإنها أنجبت له ولداً.

حسد ابن أخت أحيقار لخاله ومحاولة قتله معكوسٌ في التقليد العربي بحيث لقمان يحاول ان يقتل لقيماً

لقد استعارت الخرافة العربية قبل الإسلام من قصة أحيقار، ولكن حوّلتها إلى اتجاه آخر. فبدل فكرة قصة أحيقار في مقاومة ابن أخت أحيقار له، وان أحيقار تبنّى ابن أخته وعلّمه الحكمة. جعلت ان أخت لقمان طلبت ان ينام معها ليلة لكي يأتيها ابن حكيم. وولد لها لقيم. وقد تبناه لقمان وصار يسافر معه. ولكن بدل ان يحسد ابن أخت أحيقار خالَه، جعلت لقمان يحسد ابن أخته الذي تبناه ويحاول ان يقتله. ولكن نستطيع ان نرى ان القصة أصلها واحد. وان لقمان الجاهلي هو أحيقار. ويسرد الميداني عن اضطهاد لقمان للقيم، ويستشهد بشعر خُفاف بن نُدْبة:

> "وهي صخر بنت لقمان. كان أبوها لقمان وأخوها لقيم، خرجا مغيرين، فأصابا إبلاً كثيرة، فسيق لقيم إلى منزله. فعمدت صخر إلى جزور مما قدم بها لقيم، فنحرتها وصنعت منها طعاماً يكون معداً لأبيها لقمان إذا قدم، تتحفه به. وقد كان لقمان حسد لقيماً لتبريزه عليه. فلما قدم لقمان وقدمت صخر عليه الطعام، وعلم أنه من غنيمة لقيم لطمها لطمة قضت عليها؛ فصارت عقوبتها مثلاً لكل من يعاقب ولا ذنب له. ويضرب لمن يجزى بالإحسان سوءاً. قال خفاف ابن ندبة: وعباس يدب لي المنـايا وما أذنبت إلا ذنب صخر"[855].

فبعكس خرافة أحيقار، نرى هنا ان لقمان يضطهد ويضرب ويتصرف بحماقة في البيت، بينما العكس في خرافة أحيقار، حيث نادان يضرب زوجة أحيقار والخدام ويتصرف بحماقة. وابن منظور يسرد كيف ان لقمان كان يخطط في قتل لقيم[856].

وهناك نصوص عربية اخرى تقول بان لقيم كان يدبر المكايد ضد لقمان، وهو يتفق تماما مع خرافة أحيقار. فيكتب الجاحظ: "ولو دبَّرها لقيم بن لقمان على لقمان بن عاد"[857]. ونرى في كلام البغدادي ان:

> "لقيما سلك طريق غير مناسبة" : "وقوله: لقيم بن لقمان من أخته .. الخ، ترك ما كان فيه، وسلك طريقاً أخرى بلا مناسبة "[858].

وهناك في أمثال لقمان لابنه:

> "قاله لقمان الحكيم لابنه يعظه حين سافر. لما اشتد ساعده رماني. يُضرب لمن يسيء إليك وقد أحسنت إليه."[859]

المثل يعكس كلام أحيقار لابن أخته الذي لما قوي رمى باحيقار وتآمر على قتله. وهو أصلا من جملة الأمثال التي ذكرها أحيقار لابن أخته في المعاتبة، ونجدها في النسخة الآرامية التي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد.

صحيفة أو مجلة لقمان

معنى صحيفة ومجلة

صحيفة هي مجلة أو كتاب تحوي الحكمة كما نرى في تاج العروس:

"والمجلة: الصحيفة فيها الحكمة، وكل كتاب عند العرب مجلة "[860]

يذكر الزمخشري عن لقاء محمد بسويد بن صامت وعرْض سويد له مجلة لقمان (وسوف آتي على تحليل ذلك اللقاء لاحقا):

"قدم سويد بن الصامت مكة. فتصدى له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فدعاه. فقال له سويد: لعل الذي معك مثل الذي معي! قال صلى الله عليه وآله وسلم: وما الذي معك؟ قال: مجّلة لقمان. كل كتاب حكمة عند العرب مجلَّة. قال النابغة: مَجَلَتُهُمْ ذَاتُ الإْلـهِ ودِينُـهم قَوِيم فما يَرجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ"[861]

اذاً مجلة لقمان التي عُرضت على محمد هي كتاب حكمة، فيها أمثال وحِكم. ويقول الزبيدي في تاج العروس:

" المجلة، بفتح الميم، الصحيفة فيها الحكمة"[862]

والمجلة من الألفاظ المعروفة عند الجاهليين. فإضافة إلى اقترانها في مجلة لقمان، فقد كانت تُستخدم للتعبير عن أسفار الكتاب المقدس. وقد وردت في شعر للنابغة كما سبق ورأينا بأنها تتعلق في كتب مقدسة لديانة. نفهم من ذلك انه في استخدام كلمة مجلة لـ (صحيفة لقمان)، فهو يُقصد بها أسفار مقدسة عند الجاهليين في مستوى أسفار الكتاب المقدس.

ونرى كلام خيشو عن معنى كلمة صحيفة ومجلة ومصدرها السرياني، ان كتب الوحي كانت تُدعى مجلة أو صحيفة. ويستشهد بأمرؤ القيس وقوله "كخطِ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ". وقد دعوا أيضاً كتب الوحي "مجلّة"، وعلى هذا روي بيت النابغة في بني غسّان:

مجَّلتهم ذات الإلـهِ ودينـهم قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقب

قال أمرؤ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب وعرفان ورسمٍ عفتْ آياتهُ منذ أزمان

أتتْ حججٌ بعدي عليهِ فأصبحتْ كخطِ زبورٍ في مصاحفِ رهبان.

وأصل الكلمة من الحبشيّة هي كلمة سريانية "مصحف" من "صحف"، أي كتب[863].

اذاً كان يُنظر لصحيفة لقمان من البعض انها موحاة من الله. من هنا نسخ محمد لبعض أقوالها في قرآنه. ويذكر كل من ابن منظور وابن أثير عن مجلة لقمان ويقول:

"قيل إنها معَرّبه من العبرانية."[864]

صحيفة لقمان ككتاب الحكمة المنتشر زمن محمد

ويقول ابن كثير بانه كان هناك كتاب يسمى بحكمة لقمان:

"وقد وردت آثار كثيرة في أخباره (أي أخبار لقمان) ومواعظه، وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بحكمة لقمان"[865].

ويستشهد ابن كثير ببعض أمثال لقمان الموجودة في كتاب حكمة لقمان هذا. نرى اذاً بان مجلة لقمان أو كتاب أو صحيفة لقمان كان معروفاً للعرب، وكان يُسمى أيضا بـ "حكمة لقمان". وكان كتاب "حكمة لقمان"، الذي لا شك هو حكمة أحيقار، معروفاً للكثيرين في جيل محمد. حتى انه في حادثة مذكورة في صحيح البخاري، يذكر أحد الصحابة حديثاً لمحمد عن الحياء، وينبري بشير بن كعب مُستشهِداً عن الحياء في صحيفة الحكمة:

"عن قتادة عن أبي السوار العدوي قال سمعت عِمْران بن حُصَيْن قال: قال النبي صلعم الحياء لا يأتي إلا بخير. فقال بشير بن كعب مكتوب في الحكمة ان من الحياء وقارا وان الحياء سكينة. فقال له عمر انُ أُحدّثك عن رسول الله صلعم وتحدثني عن صحيفتك"[866]

لقد غضب عمر ان بشيراً بن كعب يكشف مصادر حديث محمد، انها من صحيفة الحكمة الموجودة في زمانه في الجاهلية. والمهم بالأمر ان المثل الذي استشهد به بشير وهو "ان من الحياء وقارا"، هو مثلٌ معروفٌ للقمان، كما نقرأ في الطبقات الكبرى لابن سعد:

"إن في قصص لقمان أن بعض الحياء ضعف وبعضه وقار لله"[867].

مما يدل على ان صحيفة الحكمة التي كانت معروفة لبعض الصحابة ما هي إلا صحيفة لقمان، التي كان محمد يستقي منها كثيراً من أحاديثه، وأدخل بعضها في سورة لقمان. ومعروف ان موضوع " الحياء" هو من المواضيع التي كانت حكم أحيقار تتطرق إليها، كما نرى مثلاً في النسخة السريانية لاحيقار، وهو مثل رقم 14، يوصي أحيقار ابنه: "يا بني، حتى الخبز لا تأكله مع قليل الحياء."

وعن حقيقة وجود كتاب عند الجاهليين اسمه "الحكمة" وكان يحوي أمثال لقمان، فابن كثير يستشهد بكتاب "الحكمة" ويستشهد منه بأمثال كثيرة للقمان[868].

وهب بن منبه وصحيفة لقمان

لم يكن محمد الوحيد الذي استخدم مجلة أو صحيفة لقمان. فيذكر وهب بن منبه انه قرأ عشرة آلاف بابٍ من كتاب حكمة لقمان، وكيف دخلت كلماته في أقوال الناس:

"وقال وهب بن منبه: قرأت من حكمته نحواً من عشر آلاف بابٍ، لم يسمع الناس كلاماً أحسن منها. ثم نظرت فرأيت الناس قد أدخلوها في كلامهم، واستعانوا بها في خطبهم ورسائلهم، ووصلوا بها بلاغاتهم"[869]

وقد ولد وهب بن منبه عام 34 هجري. لذلك فهو لا شك كان يقرأ في صحيفة لقمان التي كانت منتشرةً زمن محمد. وذاك يدلنا على مدى انتشارها وسط العرب في جيله. ومن حيث ان وهب بن منبه قد قرأ آلاف الأمثال في صحيفة لقمان، نراه يستشهد بأمثال كثيرة للقمان قد سجّلها الإخباريون.

صحيفة لقمان معروفة لكثيرين آخرين بما فيه الأحناف وأمية بن أبي الصلت

ويقول جواد علي ان الحنفاء كانوا يقرأون الكتب والصحف والزبور ومجلة لقمان[870]. فجماعة الأحناف كانت تدرس كتباً دينيةً وصحفاً كانت موجودة بين أيديهم، لا بد انها كتب غنوسية أو مانوية أو صابئية، وكتباً يهودية غير قانونية، مثل حكم أحيقار. وبالنسبة لصحيفة لقمان التي كانت تحوي خرافات كثيرة كما نعلم من حديث محمد في الطبري (سأعود إلى ذلك لاحقا)، فإنها كانت بمثابة مرجع لهم، وكأنها موحاة من الآلهة أو الله. وهنا سر تعلق محمد بها واستشهاده بلقمان، من حيث ان تعاليمها والخرافات التي فيها كانت معروفة في زمن محمد ومقدَّرة جدا.

وقد ثبت للباحثين عن اعتماد أمية على صحيفة تُسمَّى أيضا (مجلة)، تتضمن أحاديث وقصصاً قديمة. وان محمداً قد كان يدرس نفس المصدر أي نفس المجلة. ومن هؤلاء الباحثين نذكر فردرش شولثيس Friedrich Schulthetz، وهو ناشر ديوان أمية بن أبي الصلت[871]. الأمر الذي يجعل محمداً مستقياً من هذه المصادر التي أخذ أمية كثيراً من عقائده منها وذلك قبل محمد. ولا شك هذه المجلة هي نفسها مجلة لقمان.

كانت هناك كتب يملكها أصحاب محمد تعالج بالكي، تماما كما نرى في أقوال لقمان. فيذكر صحيح البخاري عن كتاب كان مكتوباً به عن الكي للمعالجة[872]. والحقيقة ان لقمان له وصايا في أهمية العلاج بالكي. ويقول الزمخشري:

"الدواء الكي: لأنه إنما يقدم عليه بعد أن لا ينفع كل دواء وقيل: آخر الطب وقيل: آخر الداء العياء، أي إذا أعضل وأبى قبول كل دواء حسم بالكي. آخر الأمر وقائله لقمان بن عاد"[873]. ويذكر الميداني "فقال لقمان: آخر الدواء الكي فأرسلها مثلاً."[874]

وهناك نصائح صحية من لقمان لابنه كما يذكرها الدينوري[875]. هذه الأمور تجعلنا نرجّح ان صحيفة لقمان كانت تحوي أيضا نصائح في المعالجات، وان الكتاب المذكور في صحيح البخاري هو صحيفة لقمان.

وقد بقيت صحيفة لقمان كمصدر يُعاد إليها في عصور لاحقة. فكانت هناك حِكم لقمان موجودة في صحيفة أو كتاب قد قرأ منها ابن قتيبة، المولود في الكوفة عام 213 هجري أي 828 م. وهذا يفسّر كيف ان كتاب ابن قتيبة مليء في أمثال لقمان.

تحقيق مجلة أو صحيفة لقمان بأنها كتاب أو حكم أحيقار

هناك ما يشير على ان مجلة لقمان أو حكمة لقمان ما هي إلا كتاب حكم أحيقار. فيقول المقدسي عن قول وهب بن منبه الذي ولد عام 34 هجرية (وقد سبق واستشهدنا به) انه أصاب للقمان عشرة آلاف كلمة من الحكمة، وكان لقمان يعظ ابنه "ماثان". وماثان اسم قريب من نادان ابن أخت أحيقار الذي تبناه. مما يدل على ان صحيفة لقمان كانت هي نسخة من كتاب أو حكم أحيقار. أعود استشهد بكلمات المقدسي:

"وذكر وهب أنه أصاب للقمان عشرة آلاف كلمة من الحكمة وقد استعملت في خطبهم ووصاياهم قال ولم يزل يعظ ابنه ماثان حتى قناع قلبه فمات"[876]

وهي نفس الفكرة التي نجدها في صحيفة أحيقار، من ان أحيقار استمر يعظ ابنه حتى سقط قلب ابنه ومات. وفي مقارنة أقوال وهب بن منبه التي استقاها من مجلة لقمان مع أقوال أحيقار، نتحقّق من حقيقة مجلة لقمان انها كتاب أو حِكم أحيقار. فقد سبق وذكرنا عن مثل في النسخة السريانية لاحيقار انه بعد ان ربط أحيقار ابن أخته قال له مثل الفخ والعصفور[877]. وقد ذكرنا ان نفس المثل قد قيل من وهب بن منبه[878]. من حيث ان وهب بن منبه قال انه قد قرأ من صحيفة لقمان آلاف الأمثال، فذاك تثبيت على انه قد اقتبس من هذه الصحيفة (التي نحن نقرأها في النسخة السريانية). مما يدل على انه كانت هناك نسخة عربية لاحيقار والتي كانت صحيفة لقمان تعبِّر عنها أو تحويها.

وفي مقارنتي بين أمثال لقمان وأمثال أحيقار وجدت هناك تماثلاً كبيراً بينهما. والاختلافات أحيانا بسيطة هي بسبب الترجمة. فمثلا يذكر كل من ابن كثير والثعالبي مثلا للقمان ضد الكذب:

"قال لقمان لابنه: يا بني إياك والكذب فإنه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه."[879]

وهو لا شك مشتق من مثل أحيقار السرياني التالي وهو رقم 23:

"يا بني، إن كلام الكذاب كعصافير السمينة، ومن ليس فيه حكمة يأكلها."

وهناك مثل للقمان مطابق لمثل أحيقار مع اختلاف بسيط ناتج عن الترجمة:

"وقال ضرب الوالد لولده كالمطر للزرع وسيأتي على هذا زيادة واسم ابنه ثاران"[880]

نلاحظ بان اسم ابن لقمان هنا هو ثاران. ومن حيث انه لم يكن هناك تنقيط في الكتابة العربية، فقد قُرأت ناران ب ثاران. وبسبب تقارب الدال بالراء في الخط العربي القديم، نجد انه بدل الدال في نادان قُرئت راء. ونفس المثل للقمان يستشهد به الدينوري في صيغة اخرى وهو:

"من حكم لقمان بلغني عن أبي الحسن العُكْلي عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المُزنيّ قال: سمعت أبي يقول قال لقمان: ضربُ الوالدِ وَلَده كالسمَاد للزرع."[881]

ونرى نفس المثل لاحيقار في النسخة السريانية تحت رقم 20:

"يا بني، لا تضن على ابنك بالتأديب (بالضرب) لأن ضرب الولد كالزبل للحديقة، وكالرسن للحمار، أو لأي حيوان آخر، وكالقيد في رجل الحمار."

نلاحظ مثل لقمان يقول "ضربُ الوالدِ وَلَده كالسمَاد للزرع" بينما مثل أحيقار "ضرب الولد كالزبل للحديقة". وهو نفس المثل. واستخدام السماد للزرع أقرب لفكر سكان العربية من الزبل للحديقة، حيث لم يكن يوجد حدائق كثيرة في العربية.

وهناك من المبادئ المشتركة بين أقوال لقمان وأقوال أحيقار: منها هناك نصيحة في أقوال لقمان في عدم معارضة صاحب السلطان، وعدم الاقتراب إليه عندما يغضب:

"يا بني، لا تقرب السلطان إذا غضب، والنهر إذا مد."[882] وايضا " يا بني: لا تقرب السلطان إذا غضب والبحر إذا مد يا بني"[883].

نرى نفس المثل في أمثال أحيقار السريانية وهو رقم 63، والاختلافات بسيطة هي نسبة للترجمة:

" يا بني، لا تخاصم رجلا في أوج عزه (حرفيا: في يومه) ولا تقف ضد نهر في طغيانه".

فلقمان يحذر من الاقتراب من ذي سلطان في حالة غضب مثل الاقتراب إلى النهر إذا مد. واحيقار يحذر من الاقتراب من صاحب سلطان في حالة غضب انه مثل نهر في طغيانه. ونرى في كلمات أحيقار من النسخة الآرامية مبدأً مشابهاً:

فإن كلمة الملك في غضب القلب. لماذا يعاند الحطب النار، واللحم السكّين، والإنسان الملك؟[884]

ويذكر الثعالبي مثلاً للقمان:

"وقال لقمان: " لا تأمنن امرءاً على سر"[885]. وهناك مثل للقمان ينقله الدميري به يفسِّر أهمية كتمان السر: "يا بني كتمان السر صيانة للعرض"[886]

أي كتمان السر حفظ للعرض والسمعة. ونجد نفس المثل لاحيقار في النص الآرامي الذي يعود للقرن الخامس قبل الميلاد:

"لا تبح بأسرارك أمام أصدقائك، لئلا يكون اسمك يُقدّر بخفة منهم"[887].

أي لكيلا تفقد سمعتك عند أصدقائك. فهو اذاً نفس المثل، ولكن بسبب الترجمة ربما من الآرامية للسريانية ثم ربما العبرية ثم العربية قد حدث تغيير طفيف فيه. والمثل السرياني لاحيقار وهو رقم 50 مشابه له:

" يا بني، أحفظ الكلام في قلبك أفضل لك. فإنك عندما تفضي بما في صدرك تخسر صديقك"

يذكر الدميري مثلاً للقمان يوصي ابنه في عدم إرسال رسول جاهل، وفي حالة عدم وجود رسول حكيم ان يذهب هو بنفسه:

"يا بني لا ترسل رسولاً جاهلاً، فإن لم تجد حكيماً، فكن رسول نفسك"[888].

وهو مطابق لمثل أحيقار في النسخة السريانية رقم 39:

"يا بني، أرسل (رسولا) حكيماً ولا تُوصِه، وإن كنت لترسل جاهلا فالأفضل أن تذهب أنت بنفسك"

وفي النسخة السريانية لاحيقار هناك مثل آخر في نفس المعنى:

"يا بنيّ، إذا أرسلت الحكيم في حاجة فلا توصه كثيراً لأنّه يقضي حاجتك كما تريد. ولا ترسل الأحمق، بل امضِ أنت واقضِ حاجتك"[889]

ونرى اطلاع عم محمد (الزبير بن عبد المطلب) على مثل أحيقار هذا المنسوب أيضا للقمان. فيقول أيضا الزبير: "أرسل حكيماً ولا توصه" فنقرأ شعر الزبير كما جاء في كتاب جمهرة الأمثال:

"المثل للزبير بن عبد المطلب، في أبيات له معروفة، أولها:

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيماً ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيباً ولا تعصه

فهذا هو قول الزبير"[890]

وهناك أمثال كثيرة للقمان متشابهة مع أمثال أحيقار، لكنني سأكتفي في ذكر بعض الأمثال التي هي متطابقة تماما في أمثال لقمان واحيقار: فمن الأمثال المتطابقة تماما هناك مثل للقمان:

"يا بني لا تكن حلواً فتبلع، ولا مراً فتلفظ."[891]

ونجد هذا المثل أيضا من أمثال أحيقار في النسخة الآرامية والتي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد:

لا تكن حلواً فيبلعك الناس ولا تكن مرّاً فيمجّك الناس[892].

وهناك مثل ضد الدَين نراه متطابقاً بين أمثال لقمان والنسخة السريانية لاحيقار والنسخة الآرامية التي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد. فيذكر الثعالبي مثلاً للقمان:

"ويروى أن لقمان قال لابنه: يا بني، حملت الصخر والحديد، فلم أحمل أثقل من الدين"[893].

نرى نفس مثل لقمان في مثل أحيقار رقم 43 في النسخة السريانية:

" يا بني، لقد حملت الملح ونقلت الرصاص، ولكني لم أر أثقل من وفاء المرء لدَيْن مستحق لم يقترضه"

ونفس المثل نراه في أمثال أحيقار باللغة الآرامية التي تعود للقرن الخامس ق.م. ولكنه أقرب إلى مثل لقمان من السريانية:

لقد رفعت الرمل وحملت الملح ولكني لم أجد أثقل من الدَّين[894].

فذلك برهان على ان نص لقمان مُترجم عن النص الآرامي عن طريق إما اللغة العبرية أو أحيانا السريانية. وان النص السرياني مُترجم عن الآرامي. ومن السهل رؤية التطابق مع اختلافات بسيطة في الترجمة.

وهناك تطابق بين مثلين للقمان واحيقار من جهة الفقر.

"قال لقمان لابنه: قد ذقت المرار فلم أذق شيئاً أمر من الفقر. وحملت كل حمل ثقيل فلم أحمل أثقل من جار السوء"[895].

ونقرأ في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري:

عن الحسن، أن لقمان قال لابنه: "ذقت المرار كله فلم أذق شيئاً أمر من الفقر"[896].

وايضا نفس المثل للقمان نراه في المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي:

"وقال لقمان لابنه: يا بني أكلت الحنظل وذقت الصبر، فلم أر شيئاً أمر من الفقر"[897].

نرى مثل لقمان مطابقاً لمثل أحيقار، كما نراه في النسخة الآرامية التي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد:

"لقد ذقت الحنظل المر ولكني لم أجد أمرّ من الفقر"[898].

نوع الأمثال التي تُعبَّر في تنطيق الحيوانات متشابهة بين أمثال لقمان واحيقار. الاختلافات هي عادة في تغيير نوع الحيوان بحسب البيئة. فمثلا هناك في النسخة السريانية لاحيقار:

" كنت لي يا بني كالحية التي ركبت عوسجاً وطرحت في النهر. فرآهما ذئب وقال لهما: شر ركب شراً، و شر من كليكما يقودهما (أي النهر). قالت له الحية: لو جئت إلى هنا لحسبت حساب المعزى وبنيها"[899].

ولقمان يتكلم عن حيتين تقتلان فيُصلح بينهما ثالثة، فقال رجل كان يشاهد للحادث للحية المصلِحة: لو لم تكوني أشر منهما لما استطعت ان تصلحي بينهما.[900]

فالتشابه والتطابق أحيانا كثيرة بين أقوال لقمان وبين أقوال أحيقار، سواءً في النسخة السريانية أو الآرامية، لهو دليل على ان حكمة لقمان التي هي صحيفة أو مجلة لقمان ما هي إلا كتاب حِكم أحيقار. وان لقمان هو أحيقار، إنما العرب قد أعطوه اسماً آخراً.

محمد وصحيفة لقمان

تحليل لمقابلة محمد مع سويد بن الصامت حول صحيفة لقمان

هناك مناسبة قد ذُكرت بها صحيفة لقمان لمحمد. كان ذلك أثناء مقابلته لسويد بن الصامت، كما جاء في كتب السيرة، مثل ابن هشام والحلبية وغيرها. فمن جملة الأشخاص الذين ظهر اهتمام محمد بهم هو سويد بن الصامت، وهو من الأوس. وكان ابن خالة عبد المطلب جد محمد "لان أمه أخت سلمى أم عبد المطلب "[901]. وكان معروفاً في شعره وجلده[902]. ونقرأ عن هذه المقابلة:

"فتصدى له رسول الله حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؛ فقال له رسول الله وما الذي معك؟ قال مجلة لقمان -يعني حكمة لقمان- فقال له رسول الله اعرضها علي، فعرضها عليه؛ فقال له إن هذا لكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى علي"[903].

السؤال الذي يأتي على ذهن المحلل: لماذا تبادر لذهن سويد ان محمداً يمكن انه كان معه نفس صحيفة لقمان التي معه؟ لا شك انه بسبب كون مجلة لقمان كانت منتشرةً ومعروفةً عند بعض الشخصيات التي كانت تدّعي بالنبوة. فكانت ترى في أمثال لقمان مادة ترفعها فوق العامة من الناس. فيدخلونها في أشعارهم وسجعهم. فتوقَّع سويد ان يكون محمد قد ارتكز جزئياً في قرآنه على هذه الصحيفة. كما كان يقرأها أُمية بن أبي الصلت الذي هو سابق لمحمد في الادعاء بالنبوة.

هنا نرى الاختلاف بين سويد وبين محمد: وهو ان سويداً كان يقرّ بان أصل شعره هو مستندٌ على صحيفة معروفة في زمانه، وهي صحيفة لقمان. وقد أصبح السويد بن الصامت شاعراً حكيماً لا بد بسبب قراءته لصحيفة لقمان. فنقرأ عنه في ابن أثير:

"وكان شاعراً محسناً كثير الحكم في شعره، وكان قومه يدعونه الكامل، لحكمة شعره وشرفه فيهم"[904].

ومع شهرة حكمته لا يخفي مصدرها وهو صحيفة لقمان. ولكن محمداً يدّعي بان الذي معه أفضل من صحيفة لقمان وحكم لقمان، مع انه استخدم في قرآنه بعض الأمثال الموجودة في الصحيفة (كما سنرى لاحقا). وهي باعتراف شيوخ الإسلام أفضل آيات القرآن. فكيف يدّعي بانه يملك أفضل منها؟!

ولكننا نرى محمداً كقارئٍ جيد، يطّلع بسرعةٍ على بعض أمثال لقمان في الصحيفة ويقول عنها "جيد". وفي فحص محمد لصحيفة لقمان التي كانت بين يدي سويد، هناك احتمالان: الاول انه تعرّف لأول مرة على هذه الصحيفة، وانتبه إلى قيمتها كمصدر يستخدمها في قرآنه. والاحتمال الثاني هو انه قد تأكد من فحصه للصحيفة أنها نفس الصحيفة التي كان يقرأها الأحناف، وكانت معروفة لديه وهي أحد مصادره. وهذا الاحتمال هو الأصح برأيي. ولكنه لم يرد ان يعترف أمام سويد في تلك اللحظة في ان أمثال لقمان هي من مصادره، لئلا يظهر كباقي المُدعين بالنبوة الذين اعتمدوا على صحيفة لقمان، كما أمية بن الصلت وغيره. لذلك نرى محمداً أمام رجل يعرف جزءاً هاما من بضاعته ومصدرها، لا يستطيع ان يخالف أهمية ما هو متعارف في أقواله وأقوال سويد من مادة معروف مصدرها: وهي صحيفة لقمان. فيقول عنها "حسن". انه لو حاربها لحارب كثيراً من أقوال القرآن الموجودة في تلك الصحيفة، التي كانت مصدراً رئيسياً لكل مدعي في النبوة في تلك الحقبة. ولكنه كان يود ان يقنع سويد بانه يملك شيئاً أفضل: أي انه فوق الحسن الموجود عند لقمان، عنده حسن موجود من مصادر اخرى أفضل. وهو لا شك يستند على آيات تعلمها من الكتاب المقدس بصورة محرفة، اضافة لخرافات زرادشتية وصابئية الخ. والحقيقة لو ان صابئياً قد واجه محمد في ان أقوال محمد هي مثل أقواله، لانبرى محمد مادحاً أقوال الصابئ أنها "حسنة"، إذ لن يستطيع ان يخفِّف من أهميتها لأنها موجودة في قرآنه، ولكنه لادّعى انه يملك شيئاً أفضل، اضافة للحسن الذي يملكه مُحاوِره الصابئي، وهي أقوال أخذها من لقمان أو من غيره. وهكذا محمد يوازن نفسه دائما نسبة للأشخاص الذين يتكلم معهم ومدى اطلاعهم على خرافاته. فهو يعترف في المدى الذي يُجبَر عليه وسط العارفين طبيعة أقواله، ويبقى يساوم نسبة لجهل الآخرين فيما هو معروف عن باقي مصادر قرآنه.

محمد قد ترك لعلي صحيفتين نرجِّح ان أحداهما صحيفة لقمان

هناك قدرة لمحمد على الاستشهاد بأقوال لقمان، وتركيب أحاديث مبنية على أقوال لقمان، كما سوف أناقش ذلك لاحقا. وقدرته على ذلك ناتجة عن امتلاكه صحيفة لقمان. فقد اعترف علي بن أبي طالب بان محمداً قد ترك على الأقل صحيفتين. لا شك بان صحيفة لقمان هي واحدة منها. فنقرأ في صحيح مسلم:

"عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال خطبنا علي بن أبي طالب. فقال: من زعم ان عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة. قال وصحيفة معلقة في قراب سيفه"[905].

وحديث علي يدل على معرفة معاصري محمد ان محمداً كان قارئاً وكان عنده صحف يقرأها، حتى ان علياً حاول ان يتخلص من اطلاع الكثيرين القريبين من محمد على حقيقة تفرغ محمد للمطالعة، واعتماده في نسج قرآنه على كتب مختلفة، معترفاً في صحيفتين غير القرآن. ولا شك بان صحيفة لقمان هي إحدى تلك الصحيفتين. ذلك بسبب كثرة اعتماد محمد على أقوال لقمان في نسج كثير من أحاديثه، وايضا نجد بين أقوال علي بن أبي طالب حِكماً مرجعها حكم أحيقار، الذي هو لقمان عند العرب.

محمد يستشهد بأمثال لقمان

من الأمور التي تؤكِّد قراءة محمد لصحيفة لقمان واطّلاعه على محتواها هو استشهاده بأمثال لقمان، واعتماد كثير من أحاديثه على أقوال لقمان. وسأبدأ في استشهاد محمد بأقوال لقمان:

هناك مثل للقمان:

"إن لقمان الحكيم قال: إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه"[906].

ونرى هناك حديث لمحمد يستشهد بقول لقمان هذا:

"عن ابن عمر، قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله إذا استودع شيئاً حفظه)[907].

ويذكر ابن كثير:

" ... عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني إياك والتقنع فإنه مخونة بالليل مذمة بالنهار)[908].

وذاك نراه في أمثال لقمان:

"يا بني إياك والتقنع فانه بالنهار شهرة والليل ريبه"[909]

اعتماد كثير من أحاديث محمد على مجلة أو صحيفة لقمان.

فمحمد كدارس لأقوال لقمان، التي لا بد كانت موجودة في صحيفة أو مجلة لقمان، هو أمر مُسلَّم به من أحاديثه. مثل قوله:

"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". هذا المثل يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم. ويروى عن لقمان الحكيم أنه سئل: أي عملك أوثق؟ فقال: تركي ما لا يعنيني"[910]

ونرى مثل لقمان موضوع أيضا في الصيغة التالية:

"يا بني، لا تضحك من غير عجب، ولا تَمْش في غير أرب، ولا تسأل عما لا يَعْنيك"[911].

وفكرة لقمان هذه نجد لها مثيل في أقوال أحيقار، كالمثل الثالث في النسخة السريانية:

"يا بني لا تحل عقدة ربطت ولا تعقد عقدة حُلت"

ولقمان ينصح بالنَسل أي الإسراع في المشي ببعض الحالات[912]: ونرى محمد في أحد أحاديثه ينصح بذلك[913].

وفكرة جلد العبد هي فكرة من أمثال أحيقار. فنقرأ من النسخة الآرامية لاحيقار عن جلد العبد:

"جلدة لعبد وتوبيخ لخادمة، وتأديب لكل خدامك. الرجل الذي يشتري عبداً فاسقاً أو خادمة مختلسة، يجلب لبيته القلق ويخزي اسم والده ونسله في سمعة الإعواز"[914].

ولا شك بان مثل أحيقار قد ترك تأثيره على محمد، الذي كما نرى في صحيح البخاري، قد منع الشهادة عن العبد إلا إذا جُلد[915].

وهناك مثال لقمان ومحمد عن القلب واللسان (في حديث محمد المضغة) التي هي أطيب ما في الجسد وأخبث ما فيه (إذا صلحت يصلح الجسد وان فسدت فسد الجسد). فيكتب الدميري:

"ومما تواتر من حكمة لقمان وهو لقمان بن عنقاء بن بيرون وكان نوبياً من أهل آيلة، أن سيده أعطاه شاة وأمره أن يذبحها، ويأتيه بأطيب ما فيها، فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها. ثم أعطاه في يوم آخر شاة أخرى وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث ما فيها، فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها. فسأله عن ذلك. فقال: هما أطيب ما فيها إن طابا، وأخبث ما فيها إن خبثا. وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[916]

وبين الامثال من صحيفة لقمان التي يستشهد بها وهب بن منبه هي:

" قال لقمان لابنه: يا بنيّ... وأنفع الغنى غنى النفس"[917].

ونرى محمد في حديث له يكرر ذلك:

"ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس"[918]

وهناك أمثال للقمان واحيقار عن ضبط اللسان نجدها في حديث محمد. هناك مثل لاحيقار بالنسخة السريانية وهو رقم 52 عن دفن (أو خزن الكلمة):

"يا بني، إن سمعت كلمة سوء فادفنها في الأرض على عمق سبعة أذرع"

وفي النسخة الآرامية لاحيقار نجد فكرة خزن الكلمة أو إحكام الإقفال عليها:

يا بني، لا تكن ثرثاراً، ولا تنطق بكلمة قبل ان تفكر بها، لان لكل مكان آذاناً. راقب فمك لئلا يكون سبب هلاكك. ما تسمعه اقفل عليه صدرك، لان الكلمة

كالطائر إذا أفلت من القفص فانه يعسر عليك ان تقبض عليه ثانية. أحصي أسرار فمك، بعد ذلك تقدم نصيحة لأخيك، إذ ان فخّ الفم اشدّ خطراً من فخ الحرب[919].

وفي كلام لقمان هناك فكرة خزن اللسان أو الكلام:

"وقال لقمان لابنه: إذا كان خازِنك حفيظاً وخِزانتك أَمينةً رَشدْتَ في أَمرَيْكَ دنياك وآخرتك، يعني اللسان والقلب"[920]

وفكرة خزن اللسان التي نراها في حكم أحيقار ووصية لقمان قد كررها محمد:

"وعن أَنَس بن مالك رضي الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يستكمل أحدكم حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه"[921].

اذاً نلاحظ بان أحاديث محمد المنقولة من أحاديث لقمان-أحيقار، أحيانا تكون حرفياً، ومرات اخرى تكون الفكرة اللقمانية الاحيقارية موضوعة في صيغة اخرى، ولكن تحتفظ في بعض خصائص تدل عليها مثل "خزن اللسان".

آيات سورة لقمان ومصادرها

12-وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

13-وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

نلاحظ ان هذه الآيات التي تُنسب للقمان انه قد قالها لابنه، تكرِّر نفس الصيغة الموجودة في حِكم أحيقار، حيث انها كلها قد قالها لابنه. مما يؤكِّد ان محمداً كان ينهل من صحيفة لقمان التي رأينا انها حِكم أحيقار.

14-وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ

15-وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.

الجزء الاول من الآية مأخوذ من سفر تثنية الاصحاح 13:

«وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرّاً أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ أَوِ ابْنُكَ أَوِ ابْنَتُكَ أَوِ امْرَأَةُ حِضْنِكَ أَوْ صَاحِبُكَ الذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلاً: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلا آبَاؤُك ، مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الذِينَ حَوْلكَ القَرِيبِينَ مِنْكَ أَوِ البَعِيدِينَ عَنْكَ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلى أَقْصَائِهَا، فَلا تَرْضَ مِنْهُ وَلا تَسْمَعْ لهُ(تثنية 13: 6-8).

لا بد ان هذه الأعداد قد أضيفت في العصر الميلادي لصحيفة لقمان التي هي حكم أحيقار. من حيث ان محمداً قد نسبها للقمان الذي رأينا انه أحيقار. فهو لم يأتِ بشيء من

"الله"، ولكنه قد نقل شيئاً كان موجوداً في صحيفة أحيقار، التي كانت تُدعى صحيفة لقمان في شبه الجزيرة العربية.

ولكن الآية القرآنية رقم 14 هي في تناقض مع ما فعل المسلمون في معركة بدر في قتل البعض آبائهم، بتحريض من بعض الآيات القرآنية. فبعد ان هاجر محمد إلى المدينة، جنّد أتباعه للتربُّص بقوافل قريش الذاهبة إلى سوريا، أو العائدة من هناك إلى مكة. كذلك في التربص لقوافل قريش العائدة من اليمن. وفي إحدى غزواته خرج مع أتباعه لسرقة قافلة لقريش كانت عائدة من سوريا وبها أموال التجارة. عرفت قريش بأن محمداً قد خرج مع جماعته لكي يعترض قافلتهم. ومع ان القافلة قد أخذت طريقاً قريباً من البحر ونجت، إلا ان محمداً أراد ان يحارب القرشيين الذين خرجوا لحماية قافلتهم.

عرف محمد انه من بين الخارجين من قريش نحوه كان هناك آباء وأخوة وأقرباء للمسلمين الذين تبعوه من مكة. فأراد ان المسلمين يقتلون آباءهم واخوتهم. فاستنزل آية قرآنية وهي:

"لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ "(المجادلة:22).

ويذكر كثيرون من المفسرين ان الآية نزلت في بدر في قصة قتل أبي عبيدة لأبيه في معركة بدر. وممن ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في سورة المجادلة. ولقد استنزل محمد الآية لكي يشحن المسلمين بروح عداوة لذويهم، ولا يترددوا في قتلهم. ولا بد ان محمداً قد عرف ان قريشا في حلمها المعروف لن تتقسى لدرجة ان الآباء يقتلون أولادهم. ولذلك نرى المسلمين مشحونين من هذه الآية القرآنية وكأنها صادرة من الله الحقيقي، يندفعون لقتل ذويهم. وكانت النتيجة ان أبا عبيدة عامر بن الجراح قتل أباه في نفس المعركة[922]. ونرى محمداً يقبل في قتل المسلمين لآبائهم، كما نقرأ عن هذه الحادثة:

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْفَضْلِ الْقَطَّانُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سُمَيْعٍ الْحَنَفِيِّ عَنْ مَالِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنِّي لَقِيتُ الْعَدُوَّ وَلَقِيتُ أَبِي فِيهِمْ، فَسَمِعْتُ لَكَ مِنْهُ مَقَالَةً قَبِيحَةً فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى طَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ أَوْ حَتَّى قَتَلْتُهُ. فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم. ثُمَّ جَاءَهُ آخَرُ فَقَالَ: إِنِّى لَقِيتُ أَبِى فَتَرَكْتُهُ وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَلِيَهُ غَيْرِى فَسَكَتَ عَنْهُ. وَهَذَا مُرْسَلٌ جَيِّدٌ."[923]

نلاحظ ان محمد لم ينكر عليه صنيعه. أي لم يعترض عليه بل استحسنه.

والحقيقة ان قتل الآباء كان أمراً في قلب محمد، اذ يضعه موضوع الامتحان الأهم في إتباعه، كما نرى من هذه الحادثة:

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ: مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ سَعِيدٍ الأَنْصَارِىِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ وَحْوَحٍ: أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ

الْبَرَاءِ رضي الله عنه لَمَّا لَقِيَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُرْنِي بِمَا أَحْبَبْتَ وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَعَجِبَ لِذَلِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ غُلاَمٌ فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ: فَاقْتُلْ أَبَاكَ. قَالَ: فَخَرَجَ مُوَلِّيًا لِيَفْعَلَ فَدَعَاهُ قَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِقَطِيعَةِ رَحِمٍ.[924]

فتظاهر انه لم يُبعث لقطيعة رحم. ولكنه قد أظهر انه يستند على محاربة الاهل والاباء وقتلهم.

وفي نفس معركة بدر قد قتل عمر ابن الخطاب خاله، كما أنه هو نفسه يشهد بذلك مفتخرا: "وَلَقَدْ قَتَلْت خالي بيدي الْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ"[925]. وعمر ابن الخطاب وهو الخليفة الثاني بعد موت محمد، هو موضوع إعجاب المسلمين، إذ يُلقَّب بالفاروق. ويلقِّنون المسلمين الطلاب عن "عبقرية عمر"، جاعلين إياه كواحد من أهم شخصياتهم في التاريخ. ولكنني لا أرى ان ما يُنسب لعمر هو يقوم على أي حق. فعبقريته هي جهنمية. فمن يقتل خاله الذي صعد لكي يدافع عن ماله، هو أقل حكمة وفضيلة من باقي البشر.

ونرى أَبُو حُذَيْفَةَ المسلم يساهم في نفس المعركة في قتل أبيه. فأعان من بارز أبيه بان ضرب أبيه ضربة، كما نقرأ في الواقدي:

وَكَانَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ حِينَ دَعَا إلَى الْبِرَازِ قَامَ إلَيْهِ ابْنُهُ أَبُو حُذَيْفَةَ يُبَارِزُهُ ... فَلَمّا قَامَ إلَيْهِ النّفَرُ أَعَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ عَلَى أَبِيهِ ضَرْبَةٍ[926]

أي أراد أبو حُذَيْفَةَ ان يبارز أبيه، ولكن سبقه غيره في المبارزة. فما كان من أبي حذيفة إلا ان ساعد في قتل أبيه من خلال ضرب أبيه ضربة، جعلت المسلم الذي كان يبارز أبيه ان يقتله. لا شك من ان الآية القرآنية التي استنزلها محمد في معركة بدر قد شحنت الأبناء المسلمين الشباب ان يسارعوا في قتل آبائهم واخوتهم وأعمامهم وأخوالهم إطاعة "لله ولرسوله". ومعروف بان عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ كان من قادة قريش المهمين وكان معروفاً في فضائله.

وَلَمَّا أَمَرَ محمد أَنْ يُلْقَوْا فِي الْقَلِيبِ:

"أُخِذَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَسُحِبَ إلَى الْقَلِيبِ، فَنَظَرَ محمد فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ، فَإِذَا هُوَ كَئِيبٌ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا حُذَيْفَةَ، لَعَلَّكَ قَدْ دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: لا، وَاَللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا شَكَكْتُ فِي أَبِي ولا فِي مَصْرَعِهِ، وَلَكِنَّنِي كُنْتُ أَعْرِفُ مَنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إلَى الإِسْلامِ"[927].

فلم يكن محمد ليسمح لأبي حذيفة ان يحزن على موت أبيه، ولكن أبا حذيفة أراد ان يتجنب غضب محمد، وسارع فوجد الحجة لدخول بعض الحزن إلى قلبه. فكان يعرف ان أباه ذو فضل وحلم وحسن رأي وصاحب صفات جيدة. فهل يُقتل مثل هذا الرجل؟ أليس ان أباً مثل هذا هو أفضل من الصعاليك المجرمين الذين خرجوا خلف محمد لكي

يسرقوا قافلة. ولا شك هو أفضل من القتلة المسلمين ومن الذي شحنهم في الكره والعداء وخطَّط لقتل الآباء.

ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم بدر[928]. ومعروف بان مصعب بن عمير هو الذي أرسله محمد إلى المدينة يثرب، بعد بيعة العقبة الأولى، حيث تعاهد ممثلو الأوس والخزرج على هجرة محمد إلى المدينة. واستعدوا كشرط الاتفاق ان يفرضوا الإسلام على أعضاء القبيلتين. فكان عمير هو الذي أرسله محمد لكي يصبغ القبيلتين بصبغة الإسلام نسبة لبنود تلك البيعة. والآن مصعب بن عمير يشير لطبيعة الإسلام الحقيقية بقتله أخيه. أي ما دعا أعضاء القبيلتين إليه وهو إسلام محمد، قد وضعه عمير عملياً أمام الملأ. وهو يدل على ان ما يدعوه المسلمون وسط المجتمعات وهو "لا إله إلا الله ومحمد رسول الله" هو في الحقيقة مقدِّمة لممارسات عنف وقتل ضد الناس والبلاد التي يسكنون بها، وقد تصل إلى درجة التآمر لقتل الأهل. وهذا ما يحدث، ان الذين يقبلون الإسلام في الغرب، نجد من بينهم من ينضم للقاعدة ويتجندون في عمليات التخريب والقتل ضد شعبهم وبلادهم وأبناء جنسهم. وينفصلون عن أهاليهم ويُشحنون بروح قتل ضدهم.

> 16-يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ

نرى تشابهاً بين هذه الآية القرآنية وحديث للقمان. فلقمان يقول بان الله يبصر أثر النملة في الحجر الأيَرّ. نقرأ في تاج العروس ولسان العرب:

> " وفي حديث لقمان: إنّه ليُبصِرُ أَثَرَ الذَّرِّ في الحجرِ الأَيَرّ، ... وقال أبو عمرو: الأَيَرّ: الصَّفا الشديدُ الصّلابةِ"[929]

وهناك حديث آخر للقمان:

> "ويروى أن ابن لقمان الحكيم سأَل أَباه لقمان فقال: أَرأَيت الحَبَّة التي تكون في مَقْل البحر أَي في مَغاص البحر، فأَعلمه أَن الله يعلم الحَبَّة حيث هي، يعلمها بعِلمه ويستخرجها بلُطفه؛ وقوله في مَقْل البحر، أَراد في موضع المَغاص من البحر"[930].

والأفكار المنسوبة للقمان هي لا بد مُضافة في صحيفة لقمان-أحيقار في وقت لاحق من السريان، وهي تتفق مع أفكار موجودة في العهد القديم، حيث نقرأ:

> " إِذْ أُخْفِيَتْ عَنْ عُيُونِ كُلِّ حَيٍّ وَسُتِرَتْ عَنْ طَيْرِ السَّمَاءِ؟ اَلْهَلاَكُ وَالْمَوْتُ يَقُولاَنِ: بِآذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا خَبَرَهَا. اَللهُ يَفْهَمُ طَرِيقَهَا وَهُوَ عَالِمٌ بِمَكَانِهَا. لأَنَّهُ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ يَرَى." (أيوب 28: 21-24). وايضا" يَكْشِفُ الْعَمَائِقَ مِنَ الظَّلاَمِ، وَيُخْرِجُ ظِلَّ الْمَوْتِ إِلَى النُّورِ." (ايوب 12: 22). ودانيال 2: 22 هُوَ يَكْشِفُ الْعَمَائِقَ وَالأَسْرَارَ. يَعْلَمُ مَا هُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَعِنْدَهُ يَسْكُنُ النُّورُ."

واضح التشابه بين هذه الأفكار والفكرة المنسوبة للقمان. وبين فكرة لقمان والآية القرآنية. فالجسر بين أمثال لقمان أحيقار في النسخة السريانية هم السريان أنفسهم الذين اخذوا بعض أفكارهم من الكتاب المقدس، وأضافوها إلى نسخة أحيقار.

17-يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ.

وهنا نرى أيضا كما في حكم أحيقار انه يخاطب ابنه. والآية القرآنية نراها مُجمَّعة من عدة أعداد في الكتاب المقدس، مثل:

"صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ. "(1 تسالونيكي 5 :17)؛ "حِدْ عَنِ الشَّرِّ (وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ)، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ). اطْلُبِ السَّلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا."(مزمور 34 :14)؛ وايضا "عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً"(رومية 5 :3 و4)(في نسخ اخرى من الكتاب المقدس العدد في رومية مترجم (والصبر ينشئ عزما)

هنا نرى نفس الآية القرآنية ولكنها مجمّعة من عدة أعداد من الكتاب المقدس. وحيث ان القرآن ينسبها للقمان. فهي بلا شك اضافة سريانية على حِكم أحيقار التي صارت في شبه الجزيرة العربية تُدعى صحيفة لقمان.

18-وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

فكرة ان الله يكره الكبرياء نراها في أكثر من عدد في الكتاب المقدس مثل:

لأَنَّ الرَّبَّ عَالٍ وَيَرَى الْمُتَوَاضِعَ، أَمَّا الْمُتَكَبِّرُ فَيَعْرِفُهُ مِنْ بَعِيدٍ (المزمور 6:138)؛ مَخَافَةُ الرَّبِّ بُغْضُ الشَّرِّ. الْكِبْرِيَاءَ وَالتَّعَظُّمَ وَطَرِيقَ الشَّرِّ وَفَمَ الأَكَاذِيبِ أَبْغَضْتُ (الأمثال 13:8)

ومن النسخة الآرامية لاحيقار:

"إذا أردت ان ترفع فتواضع أمام الله الذي يخفض المرتفع ويرفع المتواضع"[931]

19-وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ

وهذه الآية مشتقة بلا شك من وصية أحيقار لابن أخته نادان في النص السرياني والمثل السادس:

"يا بني، انظر بعينيك إلى أسفل واخفض صوتك وتطلع إلى تحت. فإنه لو كان المرء يستطيع أن يبني بيتا بالصوت العالي المرتفع لكان الحمار يستطيع أن يبنى دارين في يوم واحد. ولو أن القوة الشديدة (وحدها) هي التي تجر المحراث لكان النير لا يفارق كتف الجمل."

إلا ان وصية أحيقار هنا أكمل. والآية القرآنية هي تلخيص لترجمة غير دقيقة لنفس المثل الاحيقاري.

33- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ. فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ

الجزء الاول من الآية مشتقٌ من سفر حزقيال:

اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ. (حزقيال 18 :20)

والجزء الثاني من الآية القرآنية موحاة من أفكار من الكتاب المقدس مثل:

اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِل، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. (كولوسي 2: 8)؛ وَهُمُومُ هذَا الْعَالَمِ وَغُرُورُ الْغِنَى وَشَهَوَاتُ سَائِرِ الأَشْيَاءِ تَدْخُلُ وَتَخْنُقُ الْكَلِمَةَ فَتَصِيرُ بِلاَ ثَمَرٍ. (مرقص 4: 19)

34-إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"

وهذه الآية مشتقة من عدد من سفر الجامعة وعددين من رسالة يعقوب:

كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ مَا هِيَ طَرِيقُ الرِّيحِ، وَلاَ كَيْفَ الْعِظَامُ فِي بَطْنِ الْحُبْلَى، كَذلِكَ لاَ تَعْلَمُ أَعْمَالَ اللهِ الَّذِي يَصْنَعُ الْجَمِيعَ (الجامعة 11 :5)" هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ:«نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ». أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ."(رسالة يعقوب: 4: 13-14)

نلاحظ ان الأفكار هي نفسها، فالسريان الذين قد أضافوا أفكارا من الكتاب المقدس إلى حكمة أحيقار، التي صارت صحيفة لقمان في العربية، قد اختزلوا أعدادا من الكتاب المقدس بشكل ملخص، ووضعوا الفكرة. ثم ان المترجم إلى اللغة العربية قد صاغها بطريقته، فصارت تلك الأمثال التي نقلها محمد ربما بأكثر اختصاراً.

اذاً من الواضح ان محمداً كان يقرأ صحيفة لقمان التي هي حكم أحيقار، والتي قد زاد عليها السريان أمثالاً كثيرةً مشتقة من الكتاب المقدس. ومن حيث انه في السورة قد

اعترف ان الأمثال هي للقمان. فقد دلّ محمد على المصدر، الذي رأينا بعض هذه الآيات مثل الآية 19 هي مطابقة لمثل أحيقار رقم 6.

عائلة محمد وأقوال أحيقار ولقمان

هناك ما يدل على ان أقوال لقمان المطابقة لأقوال أحيقار كانت معروفة لعائلة محمد، بدليل ان صحيفة لقمان كانت أليفة لديهم. وقد سبق وتطرقنا لشعر الزبير بن عبد المطلب عم محمد انه كان يحوي مثلاً معروفاً انه من حكمة أحيقار. لقد عُرف الزبير في قول الشعر. وكان يجير الصعاليك وينزل عليه الخلعاء، أي المجرمين الذين خلعتهم قبائلهم، ورؤساء الصعاليك وشعرائها مثل ابو الطمحان[932]. (في وقت لاحق قد احتوى محمد مجموعات الصعاليك واستخدمهم في حروبه ضد القبائل والمدن العربية –راجع كتبانا النجم الأكبر الجزء الثاني). فهو أي الزبير، كما رؤساء الصعاليك، يحب الشعر ويلقيه. ونقدم هنا الأبيات التي يقولها الزبير، والتي مطلعها مأخوذٌ من مثل لقمان المساوي لمثل أحيقار:

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيماً ولا توصـه

وإن باب أمر عليك التـوى فشاور لبيباً ولا تعـصـه

فهذا هو قول الزبير"[933]

وكما سبق وذكرنا فالشطر الاول من قصيدة الزبير وهو: (إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيماً ولا توصـه) هو مثلٌ معروفٌ من أمثال لقمان واحيقار. فيقول لقمان لابنه:

"يا بني لا ترسل رسولا جاهلا فإن لم تجد حكيماً، فكن رسول نفسك"[934].

وهذا المثل كما سبق وذكرنا مطابقٌ لمثل أحيقار في النسخة السريانية. وهو مثل رقم 39:

"يا بني، أرسل (رسولا) حكيما ولا تُوصِه، وإن كنت لترسل جاهلا فالأفضل أن تذهب أنت بنفسك"

وايضا لمثل أحيقار في النسخة السريانية:

"يا بنيّ، إذا أرسلت الحكيم في حاجة فلا توصه كثيراً لأنّه يقضي حاجتك كما تريد، ولا ترسل الأحمق بل امضِ أنت واقضِ حاجتك"[935]

مما يكشف ان محمداً كان يعيش في بيئة عائلية في اطلاع على أمثال أحيقار التي كانت في منطقة مكة، وكانت موجودة في مجلة لقمان ومنسوبة للقمان، الاسم المُعرَّب لاحيقار. فإذا كان عم محمد -وهو الزبير بن عبد المطلب- يقول الأمثال التي أصلها ليست عربية، فلا نستغرب ان كانت عادة جمع الأمثال مُمارَسة في مكة وفي عائلة محمد. ومن حيث ان المثل موجودٌ على الأقل في النسخة السريانية لاحيقار، فهذا يدل

على ان النسخة السريانية سابقة للعصر الإسلامي. كما سبق وبيّنّا انها تعود للقرن الثاني الميلادي.

وهناك مثل في الأصل الآرامي لاحيقار الذي يعود للقرن الخامس قبل الميلاد:

"يا بني، لا تكن ثرثاراً، ولا تنطق بكلمة قبل ان تفكر بها، لان لكل مكان آذاناً. راقب فمك لئلا يكون سبب هلاكك. ما تسمعه اقفل عليه صدرك، لان الكلمة كالطائر إذا أفلت من القفص فانه يعسر عليك ان تقبض عليه ثانية. أحصي أسرار فمك، بعد ذلك تقدم نصيحة لأخيك، إذ ان فخّ الفم اشدّ خطراً من فخ الحرب"[936]

ونرى علي بن أبي طالب يكرر نفس فكرة لقمان التي نراها أيضا في أمثال أحيقار:

وقال لقمان لابنه: يا بني إن من الكلام ما هو أشد من الحجر. وأنفذ من وخز الإبر. وأمر من الصبر. وأحر من الجمر. وإن القلوب مزارع فازرع فيها طيب الكلام. فإن لم ينبت فيها كله نبت بعضه. وقال علي: ما حبس الله جارحة في حصن أوثق من اللسان. الأسنان أماه والشفتان من وراء ذلك. واللهاة مطبقة عليه والقلب من وراء ذلك. فاتق الله ولا تطلق هذا المحبوس من حبسه إلا إذا أمنت شره[937].

نلاحظ بان حبس الطير الجارح في حصن أوثق من اللسان. وهي التشبيه المشابه لحكمة أحيقار التي سبق وذكرنا. وواضح ان مثل علي متصل باسم لقمان. ولا بد ان مثل أحيقار من النسخة الآرامية قد عبر أولا إلى النسخة السريانية، ثم العربية في صحيفة لقمان، ثم قدَّم عليٌّ الفكرةَ بأسلوبه وما استطاع ان يتذكر منه. ومع ذلك فان الفكرة الرئيسية للمثل الأصلي واضحة في كلمات علي.

وهناك نقل علي بن أبي طالب من صحيفة لقمان تعابير محددة مثل قول لقمان:

"وفي حديث لقمان: أَكلتُ المَقِرَ وأَكلت على ذلك الصَّبِر"

ويقول ابن منظور

"المَقِرُ: الصَّبِرُ وصَبَرَ على أَكله. وفي حديث عليّ: أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ والمَقِرِ"[938]

وابن أثير يكرر المثل ويحدد ان حديث علي مشتق من مثل لقمان:

"في حديث لقمان أكلتُ المَقِرَ وأطَلْتُ على ذلك الصَّبر المَقِرُ الصَّبِرُ وهو هذا الدواء المُرُّ المعروفُ وأمْقَرَ الشيءُ إذ أمَرَّ يريد أنه أكَل الصَّبِر وصَبَرَ على أكْلِه. وقيل المَقِرٌ شيء يُشبه الصَّبِر وليس به. ومنه حديث عليّ أمَرُّ من الصَّبِر والمَقِر"[939].

خرافات صحيفة لقمان والخلق

هناك في الآية العاشرة من سورة لقمان خرافة عن الخلق، لا شك مصدرها صحيفة لقمان، من حيث ان السورة كلها تختص بأفكار مأخوذة من لقمان. فالآية الرابعة تمدح الذين يقيمون الصلاة. وفي الآية 17 ينصح لقمان ابنه ان يقيم الصلاة. وفي الآية العاشرة والحادية عشر نرى موضوع الخلق، يتبعها رأسا في الآية الثانية عشر قوله "وأتينا لقمان الحكمة". فالسورة كلها أفكار لقمانية متصلة. تحوي أفكارا عن كيف خلق الله السماء والأرض، ثم تحوي حِكماً قد علّمها لقمان لابنه. ولا شك هي خرافات سريانية ومانوية وعربية قد أضيفت لاحقا للنص الآرامي لحكم أحيقار، فصارت صحيفة لقمان، التي رأينا ان عائلة محمد كانت تدرسها وتستشهد بحكمها. والآية العاشرة من سورة لقمان تقول:

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا. وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ. وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ.

والرواسي التي خلقها "الله" لكيلا تميد الأرض بالناس هي الجبال. وفكرة ان الأرض قد باتت تميد بالخليقة بعد خلقها هي فكرة أصلا زرادشتية. فالفرس يصوّرون ان هناك أزمة حدثت عند بداية الخليقة، حيث ان إله الشر اهريمان يسكن بحسب الميثولوجيا تحت الأرض، ولذلك فانه قد هزَّها [940]. ولقد عالج اهورا مازدا إله الزرادشتية اهتزاز الارض بعد ذلك الهجوم في بدء الخليقة من خلال خلق الجبال. فبعد ان القى الجبال في الارض، نمت كأوتاد وصارت بمثابة عقد أو مراسي ثبتت الأرض[941]. والجبال في الميثولوجيا الهندية هي لتثبيت الأرض من الاهتزاز. ويقدِّم لنا السفر الهندوسي المدعو Mahabharata أسطورة ضرب أحد الآلهة للجبال بالأسهم، مما جعلها تهرب. ونتيجة لذلك تزعزعت الأرض في كل أرجائها، وصارت تميد. الأمر الذي جعل الآلهة ان تعمل سلاماً مع الجبال وتتصالح معها. ولم تعد الأرض إلى استقرارها إلاّ بعد عودة الجبال إلى مواقعها كأوتاد[942].

واشتركت الميثولوجيا العربية زمن محمد في رؤية الجبال كمراسي وأوتاد لتثبيت الأرض. من الذين تأثر بهم محمد نذكر قس بن ساعدة. لقد أبدى محمد إعجابه بأقوال قس بن ساعدة وأعلن عن سماعه له وتأثُّره به، وذلك في فترة سبقت ادعاء محمد في النبوة. وبقي يستشهد بأقواله بعد ادعائه في النبوّة. وبين أقوال قس هناك عبارات عن الجبال كمرساة للأرض لتثبيتها[943].

ونرى صحيفة لقمان تكرر نفس الخرافة الشرقية من ان الجبال تثبت الأرض. وهي الفكرة التي تبناها محمد في سورة لقمان. ان كل الذين تبنوا فكرة تثبيت الأرض بالجبال، كان بسبب إيمانهم بوجود كائن تحت الأرض يهزها أو يحملها.

وفي القرآن هناك ذكر لحوت يحلف به "الله". وهو بحسب محمد والصحابة الحوت الذي وضع "الله" الأرض عليه.

فمحمد في سورة القلم يجعل الله يحلف في ال "ن" و"القلم". وال"ن" هو مختصر للنون الذي هو الحوت. إذ قد استخدم القرآن تعبير "النون" كالحوت في مواقع اخرى، مثل سورة الأنبياء أي 21 والآية 87. وتسمية السورة بالقلم هي تسمية متأخرة تخالف التسمية التي سمّاها محمد. ففي حديث لمحمد نراه يسمي السورة "بنون والقلم "[944]. وحلفان الله بحرف مجرد أمر ليس له معنى. لماذا جُعِل الله ان يحلف بحرف النون والقلم. ولكن ابن عباس وغيره من خيرة مفسري القرآن، فسّروا أساس ذلك الحلفان كما نرى في الطبري:

> " فخلق الله الأرض على حوت والحوت هو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ن والقلم - أي سورة القلم ... فتحرك الحوت فاضطرب، فتزلزلت الأرض، فأرسى عليها الجبال فقرت، فالجبال تفخر على الأرض فذلك قوله تعالى "وألقى في الأرض رواسي ان تميد بكم - مُستشهداً محمد من سورة النحل 15"[945] .

فهو ليس حلفاناً بحرف ولا بحوت عادي، ولكن بحوت عظيم قد وضع الله عليه الأرض. وعندما اضطرب الحوت تزلزلت الأرض، فثبت الله الأرض من خلال الجبال.

ويذكر الالوسي حديثا لمحمد رواه الضياء والحاكم بان الحوت الحامل للأرض اسمه اليهْموت[946]. واسم الحوت كما رأيناه في حديث محمد، مشتقٌ من الميثولوجيا الشرق أوسطية في زمانه. فملكة الظلام في المندائية هي "الروهة". وتُدعى أيضا "هيواث". ويقول كورت رودولف بان المؤنث من "هيواث" يعني "حيوان" (في الآرامية: حيوا، حيوتا)[947]. ويقول أيضا بان مملكة العالم السفلي الفينيقية تدعى "حوت"[948]. والجدير بالذكر بان ابن الروهة ملكة الظلام في المندائية يُدعى أور، ويُسمى أيضا "هيواث نمروس"[949]. ومن حيث ان "هيواث" أو حيوان في الآرامية هو حيوتا، ولذلك اسمه في الآرامية "حيوتا نمروس". وتصفه الكتب المندائية مثل كتاب ديوان ابتور Diwan Abatur انه يحمل على ظهره العالم[950]. من هنا نرى هذا الحيوان – حيوتا – هو يحمل الأرض.

والتنين هذا المدعو "هيواث نمروس" أو "حيوتا نمروس" قادرٌ ان يهز محور الأرض، كما نرى من كتاب المندائيين الرئيسي كنزا ربا[951].

ففي اشتراك أقوال لقمان في القرآن، في خرافة تثبيت الأرض بالجبال، يكشف على ان صحيفة لقمان قد حوت خرافات شرقية متنوعة، قد أضيفت إلى حِكم أحيقار في وقت لاحق. فأصبحت الصحيفة غنيةً بخرافات كانت تجد عند الجاهليين قبولاً.

صخرة لقمان والمصادر المانوية وصحيفة لقمان

لقد استشهد أصحاب محمد في حديث، يمكن ان يكون مصدره محمد. عن كيف الأرض حُملت من حوت، والحوت حُمل من عناصر أخرى. نميِّز بينها عناصر اعُتبرت آلهة من سكان الشرق الأوسط القدامى، مثل الماء – الإلهة الأولى عند سكان ما بين

النهرين، والصخرة، ملاك حمّال وملاك. ونحن نعلم ان ماني- مؤسس الديانة المانوية- قد جعل الأرض والكون محمولاً على ملاك. والملاك الحامل للكل في هذا الحديث يقف على صخرة: "والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء، ولا في الأرض". الأمر الذي يجعلنا ان نعتقد بان صحيفة لقمان هي المرجع الحقيقي لهذه المعلومات الخرافية. وهذا هو نص الحديث:

"وعن أناس من أصحاب رسول الله .... وعن أبي مالك عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، وعن ابن مسعود في قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) قال: إنّ الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء، فلما أراد أنْ يخلق الخلق أخرج من الماء دُخَاناً فارتفع فوق الماء. فسما عليه فسماه سماء. ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين يوم الأحد ويوم الاثنين. فخلق الأرض على حوت، والحوت النون الذي ذكره الله تعالى في القرآن في قوله (ن والقلم). والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة. والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء، ولا في الأرض. فتحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الأرض، فأرسى عليها الجبال فقرت. فالجبال تفخر على الأرض، فذلك قوله تعالى: (وجعلنا فيها رواسي أن تميد بكم)"[952].

الجزء الاول من الحديث هو تحت تأثير الأفكار المندائية الصابئية كيف خُلقت السموات من خلال تكثيف بخار الماء الصاعد من الماء الأولية. والأرض من خلال تكثيف الماء الباقية. وان هناك سبعة ارضين، أرضنا هي الأولى. الفكرة التي تركت تأثيرها على القرآن. كما الآية:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (سورة الطلاق أي 65 :12)

ويقول السيوطي عن هذه الصخرة الحاملة للملاك الحامل الكل:

"ثم خلق الله تعالى صخرة كغلظ السماء والأرض، وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه (انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة) الآية واسم الصخرة صيخور"[953].

ويقول أيضا المسعودي بأنها الصخرة التي ذكرها القرآن في قول لقمان[954]. ويقول أيضا السيوطي:

"وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله تعالى: (فَتَكُن في صَخرَةٍ) "لقمان: 16" قال: هذه الصخرة ليست في السموات ولا في الأرض، هي تحت سبع أرضين عليها ملاك قائم"[955].

هذه الأفكار الخرافية عن حمل الكون والأرض، وموضوع الصخرة والملاك الخ، متشابهة مع أفكار مانوية. ومن حيث ان المانويين كانوا يعتبرون الكتب العبرية الخرافية والابوكريفا انها قانونية، وكانوا يضيفون عليها بعض خرافاتهم. فلا بد أنهم قد تبنّوا

كتاب حِكم أحيقار أيضا، ووزّعوه في شمال شبه الجزيرة العربية. فهناك تأثير لقصة أحيقار على الكتابات المانوية. والباحث John Reeves في كتابه Jewish Lore in Manichaean Cosmogony الذي يبحث في تأثير الكتابات اليهودية على المبادئ المانوية عن نشأة الكون، يلفت الانتباه للتشابه الكبير بين شخصية جلجامش المذكور في كتاب الجبابرة – الذي قد نسخ ماني نسخة منه- وبين شخصية أحيقار في النسخة الآرامية[956]. فكان المانويون يقتبسون من هذه الكتب، ويستشهدون بها ويحملوها وينشروها ككتب موحاة من آلهتهم.

وعندما نقارن أفكار المانويين من جهة حمل الكون، نتيقن بان هذا الحديث المنقول من أصدقاء محمد -مثل ابن عباس وابن مسعود- هو مشتقٌ من هذه الإضافة، التي نرجح بان المانويين قد أضافوها إلى نسختهم لصحيفة أحيقار، التي صارت تُدعى في شبه الجزيرة العربية بصحيفة أو مجلة لقمان.

ويدّعي ماني بان هناك ثلاث صخرات كبيرة موضوعة في العالم الخارجي[957]. ويدّعي أيضا ان هناك ثلاث ارضين تحت الأرض محمولات على رأس الملاك الحمّال، ولكن يضع الحمال قدميه على أرض أخرى[958]. فهي تعادل فكرة الصخرة في الحديث المنقول من أصحاب محمد التي يقف عليها الملاك الحامل لكل شيء، والتي بحسب حديث أصحاب محمد هي الصخرة التي تحدث عنها لقمان. والتي بحسب المحدثين المسلمين موجودة تحت الأرض السابعة. من هنا قول القرآن في الآية 16 من سورة لقمان، ان الله قادر ان يأتي بحبة الخردل سواء كانت في صخرة أو في السموات أو الأرض. انها تعكس ثلاث أبعاد كونية بحسب الميثولوجيا. أولا تلك الصخرة التي هي أبعد من الأرض لأنها في المانوية موجودة خارج الكون. وفي أحاديث أصحاب محمد هي تحت الأرض السابعة. وثانيا السموات. وثالثا الأرض. مما يدل ان تلك الصخرة ليست في السموات ولا في الأرض.

ويتحدث سفر The Kephalaia Of The Teacher المانوي عن خنادق ماء تصل حتى أقدام حامل الأرضين[959]، ربما ان فكرة أصحاب محمد من ان في سلسلة العناصر الحاملة للأرض هناك ماء في صفاة ان أصلها من كلام ماني. وهنا نرى إمكانية ان صحيفة لقمان التي هي حكم أحيقار قد تعرّضت في شمال العربية إلى تنقيح مانوي.

خاتمة الموضوع

لم يكن محمد يعرف ان لقمان هو أحيقار، وان صحيفة لقمان هي حكم أحيقار، التي كانت معروفةً في الأجيال التي سبقته. وكان الناس في جيله يظنون بان أحيقار شخصية تاريخية وانه حكيمٌ مُعطى حكمة من الله. وكانت هناك بعض جماعات سريانية ويهودية اضافة للمانويين الذين قد اعتبروا مجلة لقمان-أحيقار كحكمة إلهية موحاة من الله. وكان محمد يهمه أن يجمع في قرآنه كلَّ ما أُعتبر في شمال شبه الجزيرة العربية انه هامٌ

ومٌوحى من الله أو الآلهة. فلا يُرى ان قرآنه ناقصٌ من أي جهة، سواء يهودية أو سريانية أو مانوية أو صابئية.

ونستطيع ان نتأكد من ميل محمد هذا في اقتباسات اخرى من خرافات شائعة في زمانه. فمثلا: كانت هناك خرافات مصدرها المنتحل لكلسثنيس وتبناها وطوّرها السريان عن أطراف الأرض، وبناء الاسكندر سدا قد سجن به جوج وماجوج لآخر الأيام كما سبق ورأينا. الذين جعلوا الاسكندر شخصاً تقياً يعمل حروباً لنشر كلمة الله في الأرض. ظن محمد ان الاسكندر هو نبيّ، وأدخل ذلك في قرآنه. مع ان الاسكندر هو من أكثر الشخصيات التاريخية تعلّقاً بالأصنام، وكان قد شجَّع كلَّ بلاد قد احتلها ان تكرم آلهتها.

فهناك في القرآن تجميع لما كان مُعتبراً من مجموعات ساذجة زمن محمد انه كلمة أنبياء وحكماء قد أقامهم الله. ولقمان- أحيقار هو مثال واضح لكل من يريد ان يتأكد من هذه الحقيقة.

ولا شك بان أمثال أحيقار هي على الأغلب حِكم علمانية، آتية من تجميع من أمثال لشعوب وثنية زمن الكاتب العبري في القرن الخامس ق.م. لذا هي خالية من الروحانية. وقد أضاف عليها السريان في القرن الثاني بعد الميلاد وفي القرون اللاحقة بعض أمثال من الكتاب المقدس. والقرآن قد احتوى بعضا من هذه الأمثال كما رأينا في سورة لقمان. فكيف يمكن لهذه الأمثال الاحيقارية وبعض الأمثال من أصل الكتاب المقدس في سورة لقمان ان تحل مكان الحكمة الإلهية التي أوحى بها الله في العهد القديم في أسفار الحكمة الأدبية ؟!. فهناك 31 إصحاحا في سفر الأمثال الذي معظمه قد أوحي إلى سليمان. وهي تحوي نبوات عظيمة عن المسيح كحكمة الله الأزلي كما في الاصحاح الثامن وعدد 23 "مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ مُنْذُ الْبَدْءِ". ودوره في الله الواحد المثلث الأقانيم في تخطيط الكون، كما في العدد 27:

"لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ أَنَا. لَمَّا رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ"

أي ان الآب السماوي قد خطّط الكون من خلال رسم دوائر هي مدارات للمجرات والنجوم، وهي الفكرة العلمية لكون قائم على مدارات، بعكس فكرة القرآن كما جاءت في عدة سور، عن السماء انها سبعة طبقات كبناية كما نرى في سورة المُلك:

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ. فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (سورة الملك آي 67 :3)

المقصود ان هذه الطبقات متساويةٌ وليس فيها شقوق. وهي فكرة بناية بسبعة طبقات، يعيش في كل واحدة نوع من المؤمنين، كما نرى في معراج محمد. وهي أصلاً من أفكار غنوصية. وايضا مثلما رأينا في سورة الطلاق عن سبعة طبقات للسماء وسبعات ارضين وأرضنا هي العليا. الفكرة المأخوذة من المندائيين[7].

[7]- تنسب الاسفار المندائية لهيبل زيوا، المدعو منهم لاحقا بجبريل، بخلق سبعة ارضين، ارضنا هي العليا (في بعض النصوص هي ثمانية ارضين). ويقول انه نصب عليها سبع

كذلك هناك في العدد 30 اعلان عن دور المسيح في خلق الكون "كُنْتُ عِنْدَهُ صَانِعا"(أمثال 8:30). أي مهما خطّط الله المثلث الأقانيم ان يعمل، فان المسيح الأزلي كواحد من أقانيم الله، قادر أن يخلق تلك الأبعاد المُخطَّطة. ونفس العدد يتكلم عن المسيح انه لذة الله، وموضوع الشركة الروحية الأزلية لله.

وفي الاصحاح 30 من سفر الأمثال هناك اعلان عن شخصية الله الواحد الذي يحوي في جوهره أقانيمه:

"كَلاَمُ أَجُورَ ابْنِ مُتَّقِيَةِ مَسَّا. وَحْيُ هَذَا الرَّجُلِ إِلَى إِيثِيئِيلَ. إِلَى إِيثِيئِيلَ وَأُكَّالَ: إِنِّي أَبْلَدُ مِن كُلِّ إِنْسَانٍ وَلَيْسَ لِي فَهْمُ إِنْسَانٍ. وَلَمْ أَتَعَلَّمِ الْحِكْمَةَ وَلَمْ أَعْرِفْ مَعْرِفَةَ الْقُدُّوسِ. مَن صَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ؟ مَن جَمَعَ الرِّيحَ في حُفْنَتَيْهِ؟ مَن صَرَّ الْمِيَاهَ في ثَوْبٍ؟ مَن ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الأَرْضِ؟ مَا اسْمُهُ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتَ؟ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ نَقِيَّةٌ. تُرْسٌ هُوَ لِلْمُحْتَمِينَ بِهِ. (أمثال 30: 1-5).

فبعد ان قدَّم أجور شخصيةَ الله في وحدانيته بقوله "مَعْرِفَةَ الْقُدُّوسِ"، أعلن انه قبل ان ينال إعلانا عن أقانيم الله في ذلك الإله الواحد كان جاهلاً. ثم أعلن عن الأقنوم المُخطِّط في ذلك الإله وهو الآب، وعن الأقنوم موضوع المحبة فيه وهو الابن الأزلي. إذ فكرة الوحدانية عن الله نستطيع ان نشتقها من الفلسفة ومن التأمل في عظمة الكون، ولكنها ليست معرفةً كاملةً في شخصية الله الحقيقي، إذ الوحدانية هي صفة من صفاته. ولكنها لا تعرّف هويته الحقيقية للنفس. ولا تؤهل النفس للعلاقة الروحية معه.

هذا من جهة بعض النبوات في سفر الأمثال. والسفر في مجموع إصحاحاته، أي 31 إصحاحا، هو ذخيرةٌ عظيمةٌ من الله في كيف نعيش ونتعامل مع ظروف الحياة المختلفة. وهي سراج لأرجلنا في الحياة، كما يقول المزمور 119وعدد 105:

سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي.

ملائكة كاملين ـ مثل الالهة السومرية التي كانت تحكم العوالم السفلية ـ راجع نصوص كنزا ربا الايمن الجزء 15 ص 303 . والعالم السفلي يمتلك مياه جارية "بردني" خاصة به . وهناك رحلة منداهيي، اهم الشخصيات النورانية عندهم، الى عوالم الارض السفلى، حيث بها انهار. والنصوص المندائية تدل على عوالم مرتبة. وبعض الاشجار في تلك الارضين مرٌ مثل شجرة الزقوم القرانية.

ويتحدث كنزا ربا الايمن 3 ص 70 عن انهار تجري في عوالم الارض السفلى. ويصف سكان العوالم السفلى بان بينهم اشرار، اذ يتحدث منداهيي -مرسل الحياة عند الصابئيين- عنهم في رحلته الى الارضيين السفلى قائلا: "شاهدت المتمردين الاشرار، كيف هم يرتدون سلاح الشر، ويخططون بخبث ضد ملكوت النور". وبحسب رأي ردولف عن المياة التي تجري في العوالم السفلية وتركيب الحياة فيها، انها مأخوذةٌ من تصورات سومرية سامية قديمة، راجع النشؤ والخلق في النصوص المندائية ص 69 . ولقد وضُع عالم الظلام كإحدى طبقات العالم السفلي السبعة. وتذكر بعض النصوص عن انواع الكائنات والبشر التي تعيش في العوالم السفلية (راجع كنزا ربا الايمن 12 ص 277 وكنزا ربا الايمن 1، 2). كذلك فان بعض تلك العوالم حيث يسكن الاشرار "طعم اشجارهم كطعم السم والمرارة وعصيرهم يشبه النفط والزفت ". وهي ما تشبه شجرة الزقوم الموصوفة من محمد في سورة الصافات.

وهناك 150 مزمورا معظمها لداود، تحوي عشرات النبوات. فمثلا مزمور 22 يصف المسيح وهو جالس على الصليب. ومن بين نبوات هذا المزمور:

لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ. (مزمور 22 :16-18)

وهذه النبوة قد تمت بحذافيرها. فبعد ان ثقبوا يدي ورجلي المسيح واضعين إياه على الصليب، قد اقتسم الجنود الرومان ثياب المسيح مقترعين عليها. فنقرأ في الاصحاح التاسع عشر من انجيل يوحنا:

ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْمًا. وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضًا. وَكَانَ الْقَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ، مَنْسُوجًا كُلُّهُ مِنْ فَوْقُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض:«لاَ نَشُقُّهُ، بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ». لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ:«اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». هذَا فَعَلَهُ الْعَسْكَرُ.

والمزامير توحي للإنسان في عظمة الله وأهمية الفرح به وعبادته.

وسفر الجامعة هو أحد الأسفار الأدبية في الكتاب المقدس، وهو يُعتبر كدليل في فلسفة الحياة، وتجنُّب مغرياتها. وسفر ايوب هو فريد في معالجة موضوع الألم.

فبعض الجمل لاحيقار في القرآن لا يمكن لها ان تحل مكان هذا الكم العظيم من حكمة الله وإرشاداتها، كما هي في الأسفار الأدبية في العهد القديم. اضافة لكونها أمثال مرتبطة في شخصية خرافية لم توجد في التاريخ، فهي ثمر خيالِ شخصٍ يهوديٍ عاش في القرن الخامس ق.م. جعلها في قصة خرافية، كما سبق ورأينا. فاستخدام محمد لحِكم أحيقار الذي في جيله كان يُسمَّى لقمان، هو تثبيت لحقيقة ان محمداً كان أسيراً للثقافة المنتشرة في جيله، وبدون فهمٍ وتمييزٍ للأسفار الحقيقية المُوحَاة من الله. فكل كتابٍ كان منتشراً في شبه العربية وكل خرافة كان لها رواج، كانت تُرى منه كمصدر للقرآن. فقد أراد ان يؤسس ديانةً مبنيةً على كثيرٍ من معلومات كانت تؤمن بها جماعات مختلفة. وكانت صحيفة لقمان أكثر الكتب انتشاراً في العربية. لهذا السبب تبنّى محمد بعض أفكارها وأدخلها القرآن، وجعل لقمانَ كحكيمٍ مرسلٍ من "الله".

المسخ الى قردة وخنازير

خرافة تحويل اليهود إلى قردة وخنازير وبعض تابعي المسيح إلى خنازير

يدّعي القرآن ان الله قد مسخ جماعةً من اليهود إلى قردة. نرى ذلك في سورة البقرة وسورة الأعراف. تقول سورة البقرة:

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ، فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ. فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (سورة البقرة 65-66)

وسورة الأعراف تفسِّر أكثر هذا الادعاء:

وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ. كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا. قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(سورة الأعراف أي رقم 7: 163-166

وهي بحسب المفسرين ان جماعة من اليهود في ايله (على البحر الأحمر) صارت تصطاد الحيتان يوم السبت. فغضب الله عليها ومسخها قردة.

ومحمد يوهم القارئ ان موضوع المسخ هو مشهور بين اليهود بقوله "وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ.."، في الوقت الذي ليس هناك ذِكر لهذه الخرافة، سواء في الكتاب المقدس أو في أي كتاب عبري. فهي خرافة محمدية.

وسورة المائدة تتحدث عن مسخ إلى قردة وخنازير. وهي بحسب المفسرين تعبِّر عن حادثة أخرى:

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ، مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ، أُولَـٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (سورة المائدة أي 5 : 60)

ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لهم: يا إخوة القردة والخنازير[960]. ويقول مجاهد مُفسِّراً للآية:

"عن مجاهد: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [سورة المائدة 78/5]قال: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى فصاروا خنازير"[961]

وهناك قول آخر:

قال ابن جريج وقال آخرون: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ} على عهده فلعنوا بدعوته. قال: مر داود عليه السلام على نفر منهم وهم في بيت فقال من في البيت؟ قالوا: خنازير قال: اللهم اجعلهم خنازير! فكانوا خنازير؛ ثم أصابتهم لعنته. ودعا عليهم عيسى عليه السلام فقال: اللهم العن من افترى علي وعلى أمي واجعلهم قردة خاسئين[962].

وهناك من يقول انه بعد ان أنزل المسيح مائدةً من السماء. ثم أمر الله أن يقصرها على الفقراء دون الأغنياء، فساء ذلك على كثير من الناس وتذمروا فرُفعت. ومسخ الله الذين تذمروا خنازير.

ونرى محمداً يهدد اليهود إذا لم يؤمنوا به ان يمسخهم قردةً، كما حدث لأصحاب السبت:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (سورة النساء أي 4: 47)

مع شكنا كما يدّعي المسلمون ان سورة الأعراف هي مكية، وان محمداً قد وصف اليهود بالقردة بينما كان بعد في مكة، خالقاً في قلوب المسلمين عِداءً واحتقارا لهم، لماذا أخفى موضوع المسخ للقردة والخنازير حتى بعد ان هاجر إلى المدينة، من حيث ان سورة المائدة هي مدنية وليست مكية؟ لماذا جعل قوماً من أتباع المسيح ان يصبحوا خنازيراً؟. ذلك يكشف عن رغبة محمد في محاربة يهود المدنية من بني قريظة وبني النضر وبني قينقاع. وكان يعدّ العدةَ لطردهم وقتلهم وسلب نسائهم وأموالهم. فلا بد من جعلهم في مرتبة القردة والخنازير، التي يجب قتلها لأنها حيوانات نجسة. فإذا كان الله قد مسخ اليهود في إيله إلى قردة لأنهم تعدّوا سبت، فان معاداة يهود المدينة لله و"رسوله" يجعلهم مثل قردة وخنازير، أي كائنات نجسة يجب قتلهم.

وهناك أكثر من ذلك. فمحمد كان يستعد لغزوة تبوك ومهاجمة معقل المسيحيين في شرق الاردن. فلا بد من لعنهم قبل محاربتهم. ولا بد من جعلهم كائنات نجسة يحلّ قتلهم. لذلك أتى بسورة المائدة التي تجعل الله انه قد مسخ بعض تابعي المسيح إلى خنازير. ولكن لماذا انتظر محمد كل هذه المدة قبل ان يلعن المسيحيين بهذه الطريقة. الحقيقة انه لم يجرؤ ان يتكلم بهذه اللغة في مكة عن المسيحيين، بسبب مسايرته للأحباش الذين استضافوا جماعته عندما أهل مكة اضطهدوهم. ولكن الآن باتت الحاجة لخلق روح عداءٍ

عظيمٍ ضد المسيحيين، وجعلهم اقل من بشر، لكي يسهل كرههم من تابعيه والرغبة في محاربتهم وقتلهم.

وهناك سؤال يفرض نفسه: ان كان الله يسخط بسبب عدم احترام يوم. فلماذا لا نراه يسخط اليوم على اليهود الذين يصطادون سمكاً يوم السبت، وعلى المسيحيين الذين يصطادون سمكاً يوم الأحد، وعلى المسلمين الذين يصطادون سمكاً يوم الجمعة ؟!.

الجذور الجاهلية للخرافة القرآنية

الحقيقة ان خرافة المسخ لم يكن لها ان تجد رواجاً إلا في مجتمع الجاهلية في شبه الجزيرة العربية. إذ ان فكرة مسخ البشر أو الجن إلى كائنات اخرى نراها خاصةً مُميَّزةً للميثولوجيا العربية في شبه الجزيرة العربية، وليس في أي مكان آخر. فالتقمص الذي كان شائعا في الهند وفي مناطق اخرى في آسيا كان يرتكز على إيمانهم في تحول الإنسان بحسب سلوكه أثناء حياته بعد موته إلى خليقة اخرى، بينما المسخ كان تحول الإنسان فجأة أثناء حياته إلى كائن حيواني أو حجر أو حشره الخ. فعندما كانت الآلهة تغضب على إنسان كانت تمسخه إلى صورة أخرى، مثل مسخ إساف ونائلة إلى حجرين بسبب انهما زنيا في الكعبة. ويضع الجاحظ بعض أفكار العرب عن المسخ:

> فالجرَّيِّ والضِّباب كانتا أمَّتين مُسختا، وروى بعضهم في الإرْبيانة أنَّها كانت خيّاطة تسرق السُّلوك، وأنَّها مُسِخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتكون علامةً لها ودليلاً على جِنْس سرقتها. وعن الفأرة أنَّها كانت طحّانة، وفي الحيَّة أنّها كانت في صورة جَمَل، وأنَّ الله تعالى عاقبها حتى لاطَها بالأرض، وقسم عقابَها على عشرة أقسام، حين احتملت دخولَ إبليس في جوفها حتَّى وَسوَس إلى آدم مِنْ فِيها، وزعموا أنّ الإبل خُلِقَت من أعنان الشياطين، وأنَّ الكلابَ أمّةٌ من الجنّ مُسخت[963].

وفي حديث لمحمد منقول من ابن منظور:

> "صلى الله عليه وسلم، سئل عن الإبل فقال: أَعْنانُ الشَّياطين لا تُقْبِلُ إلاَّ مُوَلِّية ولا تُدْبِرُ إلاَّ مُوَلِّية"[964].

مما يؤكد تأثير خرافات المسخ العربية على فكره. ويقول الراغب الأصفهاني:

> "قال بعض: إن الممسوخ لا يتناسل ولا يبقى إلا بقدر ما يصير موعظة وعبرة، وبعض أجاز تناسله حتى جعلوا الضب والكلاب من أولاد تلك الأمم... والحية كانت صورة إبل، فلما أعانت إبليس مُسِخت. وقالت العرب: إن الله تعالى مسخ ملاكين أحدهما ضبعاً والآخر ذئباً. وقالوا: سهيل كان عشاراً وزهرة امرأة اسمها أباهيد"[965]

وادّعوا "ما مسخ الله من شيء فكان له عقب ونسل"[966]. بمعنى آخر الفئران هي من نسل المرأة التي مُسخت فأرة. وقد ركب محمد على هذه الخرافات العربية الجاهلية

لكي يستخدمها في حرب اليهود. فنراه يدّعي بان الفئران هي أصلا امةٌ من بني إسرائيل قد مُسخت:

"عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ألا ترونها إذا وُضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وُضع لها ألبان الشاء شربته"[967]

وكان العرب يؤمنون بان الثعابين أصلها جن، فيكتب ابن منظور:

"ان العرب كانوا يؤمنون "أَن الحيَّاتِ مِن مَسْخِ الجِنِّ، ولهذا سموه شيطاناً وحُباباً وجانّاً"[968]

الأمر الذي كرَّره محمد، إذ قال:

"الحيات مسخ الجن، كما مسخت القردة والخنازير من بني إسرائيل"[969]

وكانوا يرون الكلاب السود انها جن أو شياطين خطرة. ونرى محمداً يتبنى هذه الخرافة الجاهلية:

"الكلب الأسود البهيم شيطان. لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، اقتلوا منها الأسود البهيم. عن عبد الله بن مغفل. لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها. فاقتلوا منها كل أسود بهيم، وما من أهل بيت يربطون كلبا إلا نقص من عملهم كل يوم قيراط، إلا كلب صيد أو كلب حرث أو كلب غنم."[970]

ورأينا كيف ان العرب كانوا يعتقدون بان الضب هو مسخ من إنسان. ويذكر الراغب الأصفهاني عن حادثة بها الضب يتكلم مع آكله:

"وقال فقيه لرجل كان يأكله: اعلم أنك أكلت شيخاً من مشيخة بني إسرائيل يعني أنه مسخ"[971]

ونرى محمداً يشارك أهل الجاهلية في هذه الخرافة. فيكتب القرطبي نقلاً عن مسلم:

"وبحديث الضب رواه مسلم أيضا عن أبي سعيد وجابر. قال جابر: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بضب، فأبى أن يأكل منه. وقال: (لا أدري لعله من القرون التي مُسخت)"[972]

فالمسخ بالنسبة لسكان الجاهلية كان حقيقةً. اذ كانوا يرون الحيوانات كأمم تتكلم ولها لغات. وان هذه الأمم سوف تُحشر مع الناس يوم الدينونة لكي تُحاسب على أعمالها. الأمر الذي جعل الجاهليين ان يربطوا ناقة عند قبر آبائهم، لكي يركبها الأب يوم الحشر. كما نرى في شعر لجريبة بن أشيم، حاثًّا ابنه على اختيار ناقة صالحة لكي يُحشر معها ويركبها يوم "الحشر":

يا سعد اما أهلكن فإنني أوصيك أن أخا الوصاة الاقرب

لا أعرفن أباك يحشر خلفكم تعبا يخرَ على اليدين وينكب

واحمل أباك على بعير صالح وتقى الخليئة انه هو أصوب
ولَقَلَّ لي مما جمعت مطيّة   في الحشر أركبها إذا قيل: اركبوا[973]

ولقد تركت هذه الخرافة العربية الجاهلية تأثيرها على القرآن:

"وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم. مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ. ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"
(سورة الأنعام أي 6: 38)

ويشترك محمد معهم في تأييد معظم أنواع المسخ، مثل المسخ إلى الكلب والى الفأرة والضب والحية. فكيف لا يكون المسخ إلى القردة والخنازير ليس مُستمَداً من الميثولوجيا العربية، ونحن نعلم بان المسخ إلى نسناس (نوع من القرود) كان منتشراً في شبه الجزيرة العربية زمن محمد وقبل عصره أيضا.

خرافات تحويل أناس إلى نسناس

النسناس هي القرود، كقول النويري:

"وباليمن قرود كثيرة في نواحٍ متعددة؛ منها في ذَمار من بلاد صنعاء في براريَّ وجبالٍ كأنها السحب؛ وتكون القرود أيضاً بأرض النوبة وأعلى بلاد الحبشة. وهذا الصنف من القرود حسن الصورة، خفيف الروح، مدوّر الوجه، مستطيل الذنب، سريع الفهم، ويسمونه النسناس"[974].

والنسناس بحسب القواميس عبارة عن الغوريلا GORILLA. ويقول المسعودي: وقد زعم كثيرٌ من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة أجناس: ناس، ونَسْناس، ونَسانِسُ[975]. نفس الزعم نراه في أقوال الجاحظ[976]. وقد جُعل النسناس من نسل آدم. فيذكر ابن منظور ان هناك من يؤمن بان النسناس من بني آدم:

"وقيل: هم من بني آدم. وجاء في حديث: أَنَّ حَيّاً من قوم عاد عَصَوْا رسولهم فمسخهم الله نَسْناساً"[977]

وهناك فكرة ان النسناس كونهم أصلا بشر، فهم يتكلمون. فيقص كل من الابشيهي والقزويني قصصاً عن عربٍ يصطادون النسناس، بينما النسناس يحاول ان يهرب منهم من خلال الكلام معهم واسترحامهم[978].

وبسبب قُرب شكل القرود من الإنسان، فإنهم اعتقدوا ان "النسناس" انه أصلاً سكان حي من قبيلة عاد العربية، قد غضب عليهم نبيهم فمسخهم إلى نسناس[979]. وان بعض الأمم تحوَّلت إلى قردة؛ وكانوا يقولون في إمكانية أن يتحوّل الإنسان إلى قرد محافظاً على طول جسمه وعرضه[980]. لذلك نرى ان محمداً قد بنى على ميثولوجيا عربية جاهلية مقبولة من كثيرين في جيله، فكان يسهل عليه ان يدّعي ان الله قد مسخ اليهود إلى قردة وخنازير. فلو أي رجل قد ادّعى نفس الادعاء في أي منطقة أخرى في العالم، لاعتُبر انه رجل يهذي.

ونرى ان المسخَ من إنسان إلى قرد أو نسناس هو بسبب غضب الله أو الآلهة عليه. فقد نظر العرب ان تحويل الناس إلى نسناس انها نقمة من الله، كما نرى في قول ابن الأثير:

> "وكان أهل البحرين وعمان منهم ويسمون جاشم، وكان منهم بنو أميم بن لاوذ أهل وبار بأرض الرمل، وهي بين اليمامة والشحر، وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقيّة، وهم الذين يقال لهم النسناس"[981]

ويكتب ياقوت الحموي عن ارض وبار هذه:

> "وكانت أرض وبار أكثر الأرضين خيراً وأخصبها ضياعاً وأكثرها مياهاً وشجراً وثمراً. فكثرت بها القبائل حتى شُحنت بها أرضهم وعظمت أموالهم، فأشروا وبطروا وطغوا. وكانوا قوماً جبابرة ذوي أجسام. فلم يعرفوا حق نعم اللهَ تعالى، فبدل اللهَ خلقهم وجعلهم نسناساً للرجل والمرأة منهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة رجل واحدة. فخرجوا على وجوههم يهيمون في تلك الغياض إلى شاطئ البحر يرعون كما ترعى البهائم"[982]

وهم بحسب ياقوت الحموي من نسل النسناس بن أميم بن عمليق:

> "يقال إنهم من ولد النسناس بن أميم بن عمليق بن يلمع بن لاوذ بن سام. وهم فيما بين وبار وأرض الشحر وأطراف أرض اليمن، يفسدون الزرع، فيصيدهم أهل تلك الأرض بالكلاب، وُينْفرونهم عن زروعهم وحدائقهم"[983].

فنسبةً لإيمان الجاهليين فالقردة أصلها بشرٌ قد مُسخت. وقد شاعت قصص؛ مثل ان القردة ترجم قردةً زانيةً. مثل هذه القصة التي نقلها كل من البخاري والقرطبي:

> "قال نعيم بن حماد، حدثنا هشيم عن أبي بلج وحصين عن عمرو بن ميمون: رأيت في الجاهلية قردةً اجتمع عليها قرود فرجموها فرجمتها معهم"[984]

فطالما ان الله بحسب الجاهليين قد مسخ أمماً وجعلهم قردةً. فكان يسهل على أتباع محمد ان يصدِّقوا ادّعاءه من ان الله مسخ اليهود إلى قِردة، رغم غباء هذه الفكرة. وهذا ما يجعل ادعاءات محمد هي وليدة الميثولوجيا العربية الجاهلية في زمانه.

المسخ إلى خنازير

نجد في الميثولوجيا اليونانية شيئاً عن مسخ الناس إلى الخنازير. ولكن يُنسب ذلك للإلهة Circe. كانت Circe إلهة ساحرة، وذلك بحسب هوميروس Homer، شاعر إغريقي شهير وهو كاتب الملحمتين: الإلياذة و(الأوديسا). ففي Odyssey يصوِّر هوميروس ان الإلهة Circe تعيش على جزيرة Aiaia الخرافية (التي ادّعى بعض الكتّاب اليونانيين انها تقع على الشاطئ الغربي من ايطاليا). وهي تعيش في قصر في غابة كثيفة مُحاطة بحيوانات، مثل اسود ونمور، كانت قد حولتهم إلى حيوانات أليفة غير مؤذية. وحوّلت حاشية الملك Odysseus ملك Ithaca (وهو اسم خرافي) إلى خنازير،

وذلك بعد ان دعتهم إلى احتفال، وجلسوا على مائدتها، وأكلوا من طعامها الذي كانت قد خلطته بسائلٍ سحري.

ولكن بالنسبة للعرب في شبه الجزيرة العربية، فالمسخ هو بنظرهم حقيقة وليس أموراً سحريةً خيالية، أو حيلة من كائنات سحرية، بل انه فرض إلهي على الكائنات كعقوبة لها. ويقول الجاحظ عن سبب المسخ إلى خنازير:

> بعض أسباب مسخ الإنسان فأمَّا قُبْحُ وجهِه، فلو أنَّ القُبح والإفلاس والغَدْر والكذب تجسَّدت ثمَّ تصوَّرتْ لَمَا زادتْ على قُبح الخنزير. وكلّ ذلك بعضُ الأسباب التي مُسخ لها الإنسان خنزيراً. وإنَّ القرد لَسَمِجُ الوجْه، قبيحٌ كلِّ شيء، وكفاك به أنَّه للمثل المضروب ولكنَّهُ في وجهٍ آخَرَ مليحٌ، فمِلْحُه يعترض على قُبْحه فيمازجُه ويُصلِح منه. والخنزيرُ أقبح منه لأنَّه ضربٌ مُصمَتٌ بهيم، فصار أسمجَ ببعيدٍ[985].

وكأن العقاب من خلال المسخ إلى خنزير هو جلب الإنسان أدبياً إلى درجة مُنخفِضة يصعب على الإنسان ان يصل إليها في حياته الإنسانية الطبيعية. وكأن الله يريد ان يعاقب للأسوأ، مُخلِياً الإنسان من صفاته الإنسانية ومن إمكانية ان يتحسن ويتحرر، نحو صيغة جامدة أدبياً ونفسياً يفقد بها إنسانيته للأبد أثناء عيشه على الأرض، وينتمي لعالم الحيوانات غير الناطقة.

الأمر الذي هو ضد صفات الله الحقيقي الذي يسعى إلى ان يقود الإنسان إلى التوبة، وإعطائه نعمته لكي يتحول إلى إنسان أفضل أدبيا، ومتحرِّرٍ من الذنب بناء على غفران الله من خلال الفداء. فبرنامج الله هو تحويل الإنسان إلى كائنٍ إنساني ذي وزنٍ روحي. وليس إلى حيوان منخفض. فالذي يتبنّى أفكار المسخ للجاهليين لا يملك معرفةً في مخطط الله العجيب لأكثر الناس قبحاً وجُرما، في تحويلهم من خلال الفداء الى قديسين، والى أفضل سكان الأرض والسماء.

ويقدم الجاحظ بحثاً عن المسخ، ويستشهد بأقوال عن نبطيين لهم إذناب. ويقول:

> "وقد خبَّرَنَا من لا يُحصَى من النَّاس أنّهم قد أدركوا رجالاً من نبَط بَيسان، ولهم أذنَابٌ إلاّ تكنْ كأذنَاب التماسيح والأسد والبقر والخيل؛ وإلاَّ كأَذْنَاب السَّلاحف والجِرْذان، فقد كان لهم عُجوبٌ طِوالٌ كالأذنَاب."[986]

عجوب من عُجب. ويقول ابن منظور:

> "المَغْروز في مؤخر العَجُز؛ وقيل: هو أَصلُ الذَّنَبِ كُلُّه. وقال اللحياني: هو أَصْلُ الذَّنَبِ وعَظْمُه، وهو العُصْعُصُ؛ والجمعُ أَعْجابٌ وعُجُوبٌ. وفي الحديث: كُلُّ ابنِ آدمَ يَبْلَى إلا العَجْبَ؛ وفي رواية: إلاَّ عَجْبَ الذَّنَب. العَجْبُ، بالسكون: العظم الذي في أسفل الصُّلْب عند العَجُز، وهو العَسِيبُ من الدَّوابِّ. وناقة عَجْباءُ: بَيِّنَةُ العَجَبِ، غلِيظةُ عَجْبِ الذَّنَب، وقد عَجِبَتْ عَجَباً"[987]

فكان مجتمع شبه الجزيرة العربية قديماً مليئاً بقصص المسخ، وشهادات عنه وكأنه حقيقة. فلم يكن يواجه محمد استغراباً من أصحابه عندما كان يتحدث عن المسخ إلى قردة

وخنـازير. ولـم يكتـفِ محمـد بـان مسـخ اليهـود قـردة وخنـازير وبعـض النصـارى أتبـاع المسـيح إلـى خنـازير، ولكنــه تنبـأ علـى ان بعـض المسـلمين سـوف يُمسـخ خنـازير فـي المستقبل:

"وفي المستدرك عن أبي إمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو، فيصبحون وقد مسخوا خنازير. وليخسفن الله بقبائل منها ودور منها حتى يصبحوا، فيقولوا قد خسف لليلة بدار بني فلان. وليرسلن عليهم حجارةً كما أرسلت على قوم لوط. وليرسلن عليهم الريح العقيم بشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير، واتخاذهم القينات وقطعهم الرحم". ثم قال: صحيح الإسناد"[988]

إلا أننا لا نرى نبوة محمد هذه تتحقق رغم انه قد عبر على المسلمين عصورٌ مليئـةٌ بـاللهو، مثـل العصـر العباسـي. وهنـاك اللهـو فـي الـدول العربيـة البترولية. وهنـاك سـير السكارى وأصـحاب اللهـو فـي كـل زمـان ومكـان فـي التـاريخ الإسـلامي. ولـم نـرَ حادثـةً واحدةً من ذلك المسخ إلى خنازير.

رغم ذلك فخرافة المسخ مـا زالـت فـي عقول المسلمين، إذ يستخدمها الشيوخ من أجل ترهيب المسلمين. فنسمع بين الحين والآخر أخباراً كاذبةً عن فتى قد مُسخ إلـى قـرد لأنه ارتكب معصية، أو فتـاة مُسخت قردة لأنهـا كانـت تستمع إلـى الأغـاني بـدل القـرآن. فصار المسخ سلاحاً بيد شيوخ الجوامع لترهيب المسلمين وإخضاعهم إليهم. ولكن هـي ادعاءات بلا دليل. فمسخ فتاة كقردة أو فتى كخنزير أمر كان سوف يهز العالم كله. فكـان بـالأولى لأصـحاب تلك الادعـاءات ان يُحضِروا الأهـل إلـى نـدوةٍ تلفزيونيـة، ويُحضِروا ايضا الشخصَ الذي تحوّل إلى قرد أو خنزير، لكي يكون هناك توثيق أمام الملا. ولكن لا يوجد مثل ذلك.

ولماذا أخبار هذه المسخ نسمعها فقط على ألسنة الشيوخ، ولا نجد فـي أي دولـة فـي العالم ان هناك حالة مسخ واحدة. فالأولى ان الله يمسخ النـاس فـي الـدول غيـر الإسـلامية لأنهم كفرة.

الإجابة على الحجج التي يستند عليها المسلمون في تبرير المسخ

يستند المدافعون عن المسـخ فـي القـرآن علـى حجتـين رئيسـيتين فـي دعمهـم لهـذه الخرافة. الأولى: ان عشرة أسباط إسرائيل قد اختفت ولـم يبقـى غيـر سبطين، همـا سبط يهوذا وسبط بنيامين. فيقولون من الأرجح ان العشـرة أسباط هـي التـي تحولـت إلـى قـردة وخنازير.

والمتبنين هذه الحجة هم بلا ثقافة تاريخية. أو ان بعضـهم يملك معرفـة عـن هـذا "اللغـز"، ولكـنهم يـودون ان يسـتخدموا موضـوع العشـرة أسـباط فـي دعـم القـرآن عنـد البسطاء الجهلة من المسلمين.

ففـي عـام 930 قبـل الميـلاد، قـد رفضـت عشـرة أسـباط حُكـمَ رحبعـام ابـن سـليمان، وجعلت يربعام ملكاً عليها. بينمـا اسـتمرت المملكـة الجنوبيـة: وهـي مملكـة يهـوذا المؤلفـة من سبط يهوذا وبنيامين، وعاصمتها اوروشليم. وكوّنت الأسباط العشرة مملكـةَ إسـرائيل الشمالية وعاصمتها السامرة.

نسبة لتلوث ملوك السامرة بالأصنام، قد كان أفراد الأسباط المؤمنين ينظمـون إلـى مملكة يهوذا، وذلك في كل مرة كان يحكم يهوذا ملكٌ صـالح. كمـا حـدث زمـن الملـك آسـا ملك يهوذا. إذ نقرأ:

"وَجَمَعَ- أي الملك آسا- كُلَّ يَهُوذَا وَبِنْيَامِينَ وَالْغُرَبَاءَ مَعَهُمْ مِنْ أَفْرَايِمَ وَمَنَسَّى وَمِنْ شَمْعُونَ، لأَنَّهُمْ سَقَطُوا إِلَيْهِ مِنْ إِسْرَائِيلَ بِكَثْرَةٍ حِينَ رَأَوا أَنَّ الرَّبَّ إِلَهَهُ مَعَهُ." (أخبار الأيام الثاني 15: 9)

أي كانت مملكـة يهـوذا تتقـوى وتـزداد علـى حسـاب مملكـة إسـرائيل الشـمالية. وفـي عام 720 ق.م. احتل سرجون الثاني ملك أشور مدينـة السـامرة، وسـبى سـكانها إلـى بـلاد مادي شمال العراق. وكتابات سرجون الثاني تدل على انه كـان الـذين سباهم الأشـوريون إلى بلاد مادي هم فقط من سكان السامرة. لا شك الأغنياء والمُقرَّبين للملك وقـادة الجـيش الخ. وليس كل سكان المملكة الشمالية. وكثيـرون مـن سـكان المملكـة الشـمالية قـد التجئـوا إلى مملكة يهوذا.

وقبـل هـذه الحادثـة كـان الأشـوريون عـام 732 ق.م. وتحـت قيـادة تغـلات بلاصـر الثالث، قد حاصر دمشق وإسرائيل وسبى كثيرين من سكان مدن القبائل الإسرائيليين إلى ارض أشور:

"فِي أَيَّامِ فَقْحَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، جَاءَ تَغْلَثَ فَلاَسِرُ مَلِكُ أَشُّورَ وَأَخَذَ عُيُونَ وَآبَلَ بَيْتِ مَعْكَةَ وَيَانُوحَ وَقَادِشَ وَحَاصُورَ وَجِلْعَادَ وَالْجَلِيلَ وَكُلَّ أَرْضِ نَفْتَالِي، وَسَبَاهُمْ إِلَى أَشُّورَ" ملوك الثاني 15 : 29

وبقيت المملكة الشمالية بحجم اقل إلى ان أنهاها سـرجون الثـاني. وفـي وقـت لاحـق أصبح لقب "يهود" ملصقاً بكل الإسرائيليين. ونجد ان هناك انتشاراً لهم في مناطق كثيرة فـي العـالم، مثـل مصـر حيـث كـانوا يشكّلون حاميـة يحرسـون الحـدود الجنوبيـة لصـالح الفرس. وأكبر انتشـار لليهـود كـان فـي منـاطق فـي الاتحـاد السـوفيتي القـديم، ففـي ارمينيـا وحـدها كـان هنـاك مـدن يهوديـة. حيـث ان وجـود كثيـرين مـن اليهـود فـي منـاطق الاتحـاد السوفيتي يعود لزمن السـبي البـابلي ومـا قبـل ذلـك التـاريخ. فـلا نسـتغرب ان كثيـرين مـن الذين سباهم الأشوريون إلى ارض مادي وارض أشور، قد هاجروا شمالاً نحـو المنـاطق التي صارت لاحقا جزءاً من الاتحاد السوفيتي.

من الواضـح ان العبـرانيين بعـد سـقوط المملكـة الشـمالية، قـد رأوا فـي مملكـة يهـوذا هويتهم، إذ بقيـت هـذه المملكـة فـي نـوع مـن السـلطة حتـى عـام 70 م. عنـدما هـدم تيتـوس الرومـاني مدينــة اوروشـليم. وكـانوا ينتظـرون مجـيء المسـيا مـن نسـل يهـوذا بحسـب النبـوات، وان يولـد فـي بيـت لحـم فـي ارض يهـوذا. لـذا كانـت مملكـة يهـوذا رجـاءَهم، أي

عودتها لكي تكون دولة قوية تمتد حتى خارج حدود مملكة إسرائيل التي حكمها داود وابنه سليمان.

هناك شعوب كثيرة اضمحلت من التاريخ دون ان نستطيع ان نتتبع مصيرها. فأين هم العمونيون مثلا، حيث عاصمتهم ربة عمون (في موقعها عمان) كانت بدون سكان إلى القرن الثامن عشر ميلادي. وأين هم الحيثيون الذين كانوا مملكة عريقةً تسيطر على كل آسيا الصغرى، وفي فترات امتدت سيطرتها على شمال سوريا. فكيف نتكلم عن العشرة أسباط أنهم صاروا قردة وخنازير، ونحن نستطيع بسهولة ان نتتبع كثيرا من تاريخهم حتى عصرنا هذا؟!.

أما الحجة الثانية: فهي ان الكتاب المقدس قد تكلم عن مسخ زوجة لوط إلى عامود ملح، فكيف نستغرب ان الله يمسخ اليهود إلى قردة وخنازير.

الجواب على ذلك هو ان الله لم يمسخ زوجة لوط إلى عامود ملح. ولكن الكتاب المقدس في سفر التكوين 19: 26 يقول "وَنَظَرَتِ امْرَاتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ!"

ولكن كيف صارت امرأة لوط عمود ملح؟

علينا ان نحلل القصة كما جاءت في سفر تكوين والإصحاح 19 لكي نفهم ذلك. لقد كان الملاكان قد أمرا لوط ان يهرب للجبل، بسبب ان لحظة دينونة سدوم ومدن وادي الاردن قد جاءت. وقالا له "لا تَنْظُرْ إلى وَرَائِكَ". إذ نظرة للوراء تؤخِّر من الركض باتجاه الجبل، حيث ان النيران تسقط بسرعة نحو السهول كلها.

أمرْ الملاكين هو أن لا يكون عند لوط وعائلته حساب للأمور الخاسرة المُدانة الضائعة في سدوم، سواء كانت أملاكاً لهم، أو أقرباء أو أصدقاء. ذلك يؤخِّر من نجاتهم وخروجهم من الخطر. وأضاف الملاك: وَلا تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إلى الْجَبَلِ لِئَلَّا تَهْلِكَ.

الترجمة "لا تقف في كل الدائرة" nor stay in all the plain; don't stop in the valley. الفكرة انه لا أمان في أي مكان في سهول سدوم وما حولها من مدن. وعليه ان يستمر نحو الجبل ولا يقف في مكان في تلك السهول. إذ هناك هلاك لمن يبقى في السهول. فالدينونة تصل لمن يعمل في الحقول أو يبيت هناك.

ونقرأ في العددين 18 و 19:

فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: «لا يَا سَيِّدُ. هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ الَيَّ بِاسْتِبْقَاءِ نَفْسِي. وَانَا لا اقْدِرُ انْ اهْرُبَ الَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَامُوتَ."

فلوط يرى ان هربه الى الجبل قد يأخذ وقتاً كثيراً لكي يصل، اذ يرى نفسه في حالة خوف وتشويش وعاجزاً ان يصعد الجبل بالسرعة التي تجنّبه نار سدوم، ولذلك يقترح

خطة أخرى. فلم يرى ان أمر الرب له في الهرب للجبل هو ضمان وصوله الى أعلى الجبل قبل نزول الدينونة على منطقة سدوم.

واضاف في العدد 20:

هُوَذَا الْمَدِينَةُ هَذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ الَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. اهْرُبُ الَى هُنَاكَ. (الَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟) فَتَحْيَا نَفْسِي

وفي العدد 22 يقول له:

"اسْرِعِ اهْرُبْ الَى هُنَاكَ".

ونقرأ في العدد 24:

" فَامْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتا وَنَارا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ."

يضع كلارك Clarke العناصر التالية التي ساهمت في نزول النار على المدن:

1- جزيئات من Nitrous أو Nitrous Oxide التي تزيد في الاحتراق. والتي نزلت بكمية كبيرة من الجو. 2-الكميات الكبيرة من الإسفلت التي ذكر سفر التكوين بوجودها تحت اسم "آبار الحَمَر" القار أو الزفت. 3-الشحنات الكهربائية الكبيرة للبروق العظيمة التي شحنت المواد وبدأت النيران. هذا اضافة للكبريت.

يقول الباحثون بان الكبريت موجودٌ بكميات كبيرة في شاطئ البحر الميت. وهو أيضا موجود في كميات كبيرة بالقرب من البراكين. وله لون اصفر ليموني. وليس له رائحة إلا إذا سُخِّن، فتصبح عندها رائحته خانقة. وفي الحرارة يصبح سالباً كهربائياً.

والعدد 25 يقول:

"قَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ وَكُلَّ الدَّائِرَةِ وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ وَنَبَاتَ الأرض"

البعض يرى ان زلزالاً كبيراً قد حدث، اذ قلْب مدينة يحدث عادةً في الزلزال. ورافق نزول هذه المواد الكيميائية. ونلاحظ ان كل الدائرة بكل سكانها قد قُلبت. والحقيقة انه للان ما زال الجفاف موجود حول البحر الميت، بينما كانت زمن لوط، أي في القرن العشرين قبل الميلاد، من أخصب مناطق ارض كنعان وما حولها من مناطق. ويبدو ان نزول كميات كبيرة من المواد المشتعلة على الأرض قد كان أحد الأسباب في خرابها.

والعدد 26 يقول:

"وَنَظَرَتِ امْرَاتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ!"

كانت تسير خلف لوط، فكان لا يراها وهي تنظر خلفه وإلا لكان قد منعها. يبدو ان امرأة لوط كانت تراقب إذا ما بناتها المتزوجات قد هربن من سدوم، أو تراقب دمار المدينة ودمار بيتها، وقد تكون نظرتها الى الوراء قد جعلتها تتأخر في الهرب، وتقف تراقب. الأمر الذي جعل نزول المواد الكيميائية ان تصيبها. وتترسب على جسمها.

يقول Grill بان Aventinus قد ذكر انه قد حدث عام 1348 في Bavaria (منطقة في ألمانيا تقع في الجنوب الشرقي منها)، ان أكثر من 50 فلاح قد ضُرِبوا مع أبقارهم أثناء زلزال من هواء Pestilential (مزعج، وبائي)، وتجمدوا بشكل تماثيل من ملح. وانه قد رأى هذه الظاهرة بنفسه[989].

هناك من يفكر ان امرأة لوط قد أصيبت من البرق، وتغطت من الكبريت والمواد التي نزلت أو كانت موجودة، ولكنها لم تتعرض للنار، فصارت هذه المواد دائمة على جسدها المائت. فجسد امرأة لوط صار مُماثلاً لأجساد أهل سدوم الذين تغطوا في المواد الكبريتية والمعدنية النازلة عليهم من السماء.

ويقارن روبيرت بويد ,Robert.T. Boyed في كتابه "Tells, Tombs and Treasure" بين مصير امرأة لوط وما حدث في مدينة بومبيه في ايطاليا التي ثار عليها بركان فيزوف عام 79 م.:

> "الحفريات التي أجريت في مدينة بومبيه Pompeii في ايطاليا، تعطي نوراً على موضوع امرأة لوط. مدينة Pompeii مثل سدوم وعمورة تُري ترسبات بركانية واسعة. فعندما في عام 79 م. دُمرت مدينة بومبيه، لم يكن دمارها ناتجاً عن الحمم البركانية الذائبة. ولكن كان قد استقر على المدينة غاز بركاني ، خانقا الناس في نومهم. من ثم قد تغطت المدينة بحمم بركانية بارتفاع 20 قدم. وقد نُسيت تفاصيل ذلك الى ان جاء عالم الاثار ليعمل هناك...الامر المدهش هو انه قد وجد هناك أشكال بشرية وحيوانات.

ما الذي حدث حتى ان الناس والحيوانات قد حافظت على شكلها؟ هاري ريمر Harry Rimmer عنده ما يقول في تفسير تلك الظاهرة:

> "الرماد البركاني مشبع بغنى في المواد الكيميائية والتي هي قابلة الذوبان في الماء. مع مرور الزمن، قد تغير الرماد البركاني الى حجر طري، يشبه حَجَرُ الخَفَّاف. "زجاج بركاني مسامّيّ خفيف جدّاً يُستعمَل في الصقل". من حيث انه مسامي، فقد تخللها الماء بسهولة. وعملت المواد الكيميائية في الرماد البركاني بسرعة في أشكال المائتين، مُحدِثة تغييراً كيميائياً مُحوِّلةً الاجساد الى مادة بلورية ذات تصلب كاف بسماح للرماد المحيط في ان يحتفظ في قالب كامل للأجساد المدفونة، والتي ببطء تتحول الى حجر لين. وتحت تأثير الماء، التي تتسرب من خلال المسامات في التصلب، فان تركيز المواد الكيماوية التي كانت بشكل فيزيائي، قد ذابت ثم اختفت. ولكن الرماد المتصلب حافظ على صفات وحتى على ملامح تلك الاجساد الميتة. وبعد مرور قرون، نحن الان قادرون في ان نتطلع ونرى ملامح سكان بومبي مرة اخرى. وفي كلمات بسيطة، فان الاجساد المُكتشفة في بومبي لا بد انها قد تحولت الى عمود ملح من نوع معين. .. فالتعبير "عامود ملح" لا يمكن تحديده في معنى كلورايد الصوديوم، ولكن يجب ان يُفهم في معناه الاوسع والاشمل كمواد كيماوية." [990]

فكل العلامات تشير على ان سحابةً غازيةً معدنية قد غطّت جسدَ امرأة لوط أثناء وقوفها تراقب المدينة. فلا تصح هذه الحالة لكي تؤيد فكرة المسخ التي ليس لها تثبيت في

التاريخ وفي الكتاب المقدس. بل بالعكس هي مخالفة للمبدأ الإلهي. فان الله لن يلغي فرصة الإنسان في التوبة طالما قرَّر له العيش. والله ليس كائناً مشوشاً يلعب بمعايير الخليقة التي وضعها لكل صنف من كائناته. وهو ليس كائناً ساخطاً يزدري فجأةً في قيمة الإنسان، ومرتبته كتاج الخليقة، لكي يساويه بالكائنات الحيوانية التي هي بلا نفس وروح. ويبقى الله ينتظر الى آخر لحظة في حياة الإنسان، لكي يعود الإنسان إليه تائباً. فهؤلاء الذين نُسخوا قردة وخنازير بحسب ادعاء محمد، ألم يتب على الأقل واحد منهم عبر تلك السنين بعد كل المعاناة التي حدثت لهم. إنني متأكد انه لو كان الأمر صحيحا، لتابوا جميعا اذ رأوا أنفسهم في صورة قردة وخنازير. فلما لا نجد ولا واحد منهم يعود الى صورته الإنسانية، تمشياً مع رحمة الله الذي يعيد للتائب بركته؟ لماذا لا نجد واحداً يعود ويخبِّر عن اختباره، وكيف تحوّل الى قرد أو خنزير، وكيف أعاده الله لطبيعته البشرية بعد ان تاب ؟!

ان قصص محمد المسخية المبنية على الميثولوجيا العربية الجاهلية، لا تقف أمام التاريخ، وعلم اللاهوت المختص في الله الحقيقي وفي صفاته. وكان يجب أن تُدفن هذه القصص في جيل محمد وفي مجتمعه الجاهلي، وخرافاته عن المسخ التي هي متدنية في تاريخ العالم عن باقي الميثولوجيا العالمية. وحيث ان باقي سكان العالم قد دفنوا خرافات أجدادهم منذ آلاف السنين، فكم بالأولى هذه الخرافات المتدنية كان يجب ان تُدفن منذ آلاف السنين، ولا يُجاهر بها حتى هذا الزمان.

إبراهيم في القرآن والكتاب المقدس والتاريخ

هل نستطيع ان نقدِّر المرحلة التاريخية التي عاش بها ابراهيم؟

لقد عاش ابراهيم في المرحلة الأولى من حياته في مدينة أور. وهي مدينة سومرية عريقة تعود للألف الرابع قبل الميلاد. اسمها السومري هو Urim والأكادي هو Uru، تقع في تل المقير – جنوب غربي مدينة الناصرية في العراق. كانت مدينة أور قديما مبنيةً على الفرات. ولكنها الآن بسبب تغيُّر في مجرى الفرات تبتعد عن النهر.

يظن البعض ان ابراهيم قد عاش في المرحلة الأولى من حياته زمن السلالة الثالثة لأور، التي بدأت حوالي عام 2212 ق.م. وانتهت بسقوط أور عام 2004 ق.م. لقد وحّدت هذه السلالة المدن السومرية وامتدت لتحتل كل مناطق أرض بلاد ما بين النهرين وشمال العراق ومنطقة الفرات الأعلى. وتغلغلت في شمال سوريا، حتى يظن البعض انها وصلت البحر الأبيض المتوسط.

الإله الرئيسي لأور هو نانا إله القمر، الذي في وقت لاحق صار يدعى أيضا سن. وقد بُنيت زاقورة Ziggurat أور لتكريم الإله نانا هذا.

من الصعب تحديد متى ولد ابراهيم. هل ولد زمن حكم الملك الثاني للسلالة الثالثة لأور وهو شولجي Shulgi، الذي حكم من عام 2095- الى عام 2047 قبل الميلاد. وقد عُرف الملك شولجي في تنفيذ مشاريع عمرانية في مدن سومر وأكاد، وبنائه عدد من الزاقورات بما فيه زاقورة أور الشهيرة. وتوسيع رقعة مملكته حتى ضمت أيضا عيلام التي كانت عاصمتها آنذاك سوسة. ولقد توسَّع أيضا في منطقة الخليج العربي.

بعد موت شولجي حكم أخوه شوسين (2036 – 2028) ق.م. وبعد وفاة سوشين حكم ابنه إبيسن، وهو الملك الخامس والأخير في أسرة أور الثالثة. حيث سقطت مدينة أور تحت هجوم عيلام عام 2004 ق.م.

رحلة ابراهيم من أور وتحديد الفترة التي عاش بها ابراهيم وإسحاق ويعقوب في ارض كنعان

لقد خرج ابراهيم مع زوجته ومع ابن أخيه لوط وأبيه تارح الى حاران. ثم بعد موت والده ذهب مع زوجته ولوط الى ارض كنعان.

نستطيع ان نحدد الفترة التي عاش بها ابراهيم وإسحاق ويعقوب في كنعان. ومن العوامل التاريخية التي تساعدنا على ذلك هو معركة السديم، اذ يذكر الاصحاح 14 من سفر التكوين عن غزو كدرلعومر ملك عيلام، مع ثلاثة ملوك حلفائه، مدن دائرة الاردن. ونحن نعلم بان عيلام قد تحررت من حكم مملكة أور عام 2004 ق.م. وأصبحت بعد ذلك التاريخ القوة التي تقود تحالفات في منطقة الهلال الخصيب. لذلك فان ابراهيم قد كان يعيش في ارض كنعان بعد عام 2004 ق.م.

وهناك عامل آخر يحدد لنا الفترة التي عاش بها يعقوب حفيد ابراهيم، وهي تاريخ مدينة حاران التي عاش بها ابراهيم فترة من الزمن. ثم عاد لكي يعيش بها يعقوب بعدما هرب من وجه أخيه عيسو، وسكن مع خاله لابان الذي كان يعيش في حاران. لقد كانت حاران مركزاً تجارياً زمن ابراهيم وأبنائه، ولكنها هُجرت في الفترة ما بين 1800 الى 800 ق.م. [991] لذلك نستطيع ان نحدد الفترة التي عاشها ابراهيم وإسحاق في ارض كنعان انها تقع في الفترة ما بعد 2004 ق.م. الى 1800 ق.م. أما يعقوب فيصعب تحديد متى خرج مع أولاده من ارض كنعان الى مصر لكي يسكن في مصر. من حيث انه بعد خروجه من حاران عاش فترة من الزمن في كنعان.

اذاً سرْد سفر التكوين عن الفترة التي عاشها ابراهيم تتفق مع المعطيات التاريخية، الأمر الذي سوف أناقشه لاحقا بأكثر تفصيل. ذلك بعكس ادعاء القرآن ان ابراهيم كان ينازعه الملك نمرود الذي قد عاش قبل ابراهيم بآلاف السنين. وفكرة القرآن مقتبسةٌ من كتاب يهودي اسمه مدراش ربا كما سوف نرى لاحقاً.

محمد والعهد القديم

كانت معلومات محمد في العهد القديم ترتكز على مراجع ضعيفة، منها اليهود الذين أسلموا، الذين معرفتهم في الكتاب المقدس عبارة عن قصص قد سمعوها، ولم يكن لهم معرفة في العهد القديم. ثم هناك مرجع آخر وهو زيد بن ثابت:

> عن زيد بن ثابت قال: لم قدم صلعم المدينة قال لي: تعلّم كتاب اليهود فاني والله ما آمن اليهود على كتابي، قال فتعلمته في اقل من نصف شهر [992]

فزيد بن ثابت كمرجع لمحمد للعهد القديم هو ضعيف. ذلك لأنه ادّعى انه قد تعلّمه في نصف شهر، ذاك يفسر ضعف معلومات محمد بالنسبة للعهد القديم. وتقديمه قصص العهد القديم بطريقة مغلوطة. وعدم فهمه لقصد كل نص استند عليه في العهد القديم.

القصة القرآنية فيها مغالطات من جهة علاقة ابراهيم بأبيه

نلاحظ انه لا يوجد هناك نزاع بين ابراهيم وأي من إفراد عائلته، بل كان هناك انسجام، كما نرى أنّ تارح يخرج مُصطحِباً ابراهيم (تكوين 11: 31 و32). وكانت قد جاءت دعوة لإبراهيم وهو في أور بالخروج (تكوين 11 :31). ونرى والده يخرج معه، بدليل تأييده لدعوة ابنه ابراهيم، ومحاولته ان يساعده ويكون معه. وذلك بعكس ادعاء القرآن عن والد ابراهيم انه كان عابداً للأوثان، وانه كان هناك نزاعٌ بين ابراهيم ووالده. فيدّعي القرآن في سورة الانعام:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
(سورة الانعام 6: 74)

ونرى ادعاء سورة مريم ان أباه قد قرر رجمه:

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا
(سورة مريم (19: 46)

وأيضاً يدّعي القرآن أن ابراهيم قد تبرَّأ من أبيه:

"وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ"

(سورة التوبة أي 9: 114)

القصة القرآنية على ضوء تفسير مُفسِّري القرآن

ونرى القصة بأكثر تفصيل مذكورة في سورة الأنبياء ابتداء من آية 51:

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ. قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ. وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ. قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ. قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ. أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ. قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن

كُنتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ. (سورة الأنبياء أي 21: 51-70)

ويجمع كافة المفسرين للقرآن بأنّ الملك الذي حاج ابراهيم ووضعه في النار هو نمرود. فنقرأ في تفسير الطبري:

"وإذا هم قد جعلوا طعاماً، فوضعوه بين أيدي الآلهة. قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكَلْنا. فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قالَ ألا تَأْكُلُونَ؟ فلما لم تجبه، قال: ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبا بالْيَمِينِ. فأخذ فأس حديد، فنقر كلّ صنم في حافتيه، ثم علّق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج...عن ابن إسحاق قال: بلغ ما فعل إبراهيم بآلهة قومه نمرود وأشراف قومه... لما أُتِي به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود قالُوا: أأنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بآلِهَتِنا يا إبْراهِيمُ. قالَ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فأسلوهم إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ. غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها، فكسرهن... أجمع نمرود وقومه في إبراهيم فقالوا: حَرّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ أي لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار إن كنتم ناصريها... فأوقدوا له نارا ليحرّقوه، ثم ألقوه فيها. فقلنا للنار: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وذُكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنياناً... وقال ابن عباس: فلما طُفئت النار نظروا إلى إبراهيم فإذا هو رجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق. وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظلّ. وأخرجوا إبراهيم... وقال قتادة: لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ. وقال الزهري: أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بقتله، وسماه فُوَيسقاً."[993]

وأيضاً يكرر القرطبي نفسَ الحديث. ويقول أيضاً أنّه بينما كان ابراهيم في النار

"رآه نمرود من الصراح وهو جالس على السرير يؤنسه ملك الظل. فقال: نعم الرب ربك! لأقربن له أربعة آلاف بقرة وكف عنه."

تفسير القرطبي للآية القرآنية

القصة القرآنية مأخوذة من كتاب مدراش ربا

وهذه القصة القرآنية مأخوذةٌ من كتاب مدراش ربا. يُسمى أيضا Bereshit Rabbah. ويُنسب كتابة مدراش ربا الى Hoshaiah أو Osha'yah (المتوفي عام 350 م). وتعتقد الموسوعة اليهودية بانه قد نُقّح ليس بعد التلمود الاوروشليمي، أي في القرن الرابع أو الخامس م. وهنا النص من مدراش ربا:

"كان تارح والد ابراهيم وحران تاجراً في الأصنام وعابداً لها. ومرة قد خرج وترك مسؤولية بيع التماثيل الى ابراهيم في غيابه. وجاء رجل مُسنٌ خلال النهار لكي يشتري. وسأله ابراهيم عن عمره. وأجاب الرجل انه بين 50 وستين. وقد سخر ابراهيم به من كونه قد دعا عمل إنسان آخر قد عمله بيديه في بعض ساعات انه إلهه. فوضع الرجل كلمات ابراهيم في قلبه وتخلّى عن عبادة الأصنام. ثم جاءت امرأة وبيديها حفنة

طحين لكي تهبها الى أصنام تارح، التي كانت الآن تحت سيطرة ابراهيم. اخذ ابراهيم عصا وحطّم كل التماثيل ما عدى الأكبر فيها. ووضع العصا التي حطَّم بها الأصنام بيد هذا الصنم الأكبر. وعندما عاد أبوه ورأى الخراب الذي حلّ في "آلهته" وفي متجره، طلب توضيحاً من ابنه الذي تركه مسئولاً عن المتجر. وبطريقة ساخرة شرح ابراهيم انه عندما أُتي بتقدمة من الطحين لهذه الآلهة، تعاركوا بينهم لأجل مَنْ يكون المستلم. الى انه أخيراً الأكبر بينهم، غاضباً على المشاحنة، اخذ عصا لكي يؤدب المنازعين، وبفعله ذلك قد حطّمهم جميعاً. ولم يكن تارح مقتنعاً من هذا التفسير، ففهم انه ضربٌ من السخرية. وعندما عرف من الزبائن الذين خسرهم بسبب ابراهيم، اغتاظ جدا وأخرج ابراهيم من بيته وسلّمه الى نمرود.

ومن حيث أنّ ابراهيم قد رفض أن يعبد أصنام أبيه بسبب إعوازها للقوة، اقترح نمرود عليه أن يعبد النار التي هي قوية جدا. ولكن ابراهيم أشار على أن الماء لها قوة على النار. أجاب نمرود: "حسنا، لنعلن أنّ الماء هو إله." ولكن أجاب ابراهيم: "الغيوم تتشرب الماء، وهي مُبدَّده من الريح". فأجاب نمرود "لنعلن اذاً أنّ الريح هو إلهنا". ولكن ابراهيم استمر يقول: انتبه بان الإنسان اقوى من الريح، فهو قادر أن يقاومها ويقف ضدها".

وتعب نمرود من محاججة ابراهيم وقرّر ان يطرحه في النار إلهه، وان يتحدى إله ابراهيم إن كان ينقذه. ولكن الله قد أنقذه من أتون النار. وأيضاً حران قد تُحدي في أن يعلن عن إلهه، ولكنه توقف بين رأيين. وتأخر في الإجابة الى أن يرى نتيجة مصير ابراهيم. وعندما رأى ابراهيم أنه قد نجا، أعلن أنه بجانب إله ابراهيم، ظاناً أنّه بسبب أنّه الآن أصبح ملتصقاً بالله، سوف ينجو بنفس المعجزة. ومن حيث أنّ إيمانه لم يكن حقيقياً، ولكن اعتمد على مجيء معجزة، قد هلك في النار التي كان نمرود قد طرح ابراهيم فيها. ذلك مُشار إليه في تكوين 11: 28 "وحران مات قبل والده تارح في ارض ميلاده أور الكلدانيين".

كاتب مدراش ربا قد اقتبس من الاصحاح الثالث من سفر دانيال قصة شَدْرَخ وَمِيشَخ وَعَبْدَنَغُوَ، الذين رفضوا ان يعبدوا تمثالَ الملك نبوخذنصر، وطرحهم الملك مُوثَّقين في أتون النار. ولكن الرب نجاهم. وشاهد نبوخذنصر ابن الله معهم في النار وهم محلولون والنار لم تؤذيهم. وأمرهم في الخروج وأكرمهم.

المحاجاة بين نمرود وإبراهيم في القصة المدراشية موضوعة في القرآن في صيغة أخرى، كما نرى في الآية 258 من سورة البقرة:

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ".

الفترة التي عاش بها نمرود

لقد أخطأ كاتب مدراش ربا خطأً تاريخياً فادحاً عندما جعل نمرود هو المالك في عصر ابراهيم. ونمرود هو بحسب سفر التكوين 10:8 هو حفيد حام ابن نوح. وهو يسبق ابراهيم بآلاف السنين. فقد كان أول مُلكه في بعض مدن بلاد ما بين النهرين، ويذكر السفر اسم مدينة أرَك Erech (تكوين 10: 10) كإحدى المدن التي بناها نمرود. وأرك مُحقَّقة بمدينة سومرية قديمة تُعرف في الأكادية تحت اسم Uruk وفي الآرامية ك Erech. فموسى يستخدم الاسم الآرامي لها. والعصر القديم للمدينة يسمى بـ Uruk XVIII Eridu period ويعود الى قرابة 5 آلاف سنة قبل الميلاد. فنمرود سابق لذلك العصر. وممكن ان يكون 5500 ق.م. فيكون بين نمرود وإبراهيم الذي عاش في القرن العشرين ق.م. قرابة 3500 سنة. فكيف يكون نمرود معاصراً لإبراهيم؟!

فوقع محمد في هذا الخطأ بسبب اعتماده على خرافات مدراش ربا التي كانت منتشرةً بين العرب المتهودين في زمانه. وايضا بسبب جهله في الكرونولوجيا التي يقدمها الكتاب المقدس.

إذاً بينما نرى الكتاب المقدس يقدّم أور كالمدينة التي ولد بها وعاش بها ابراهيم في الجزء الاول من حياته، (ونحن نعرف بفضل الاكتشافات التي حدثت ابتداءً من عام 1854بواسطة J.E. Taylor وما تبعها من اكتشافات، بأنها كانت مدينةً عظيمةً، واحتلت مكانتها في تاريخ ما بين النهرين. اذ كانت تسيطر على بلاد ما بين النهرين وشمال سوريا وجزءً من الخليج الفارسي) نرى القرآن لا يقدم اسم المدينة التي عاش بها ابراهيم، ولكنه يقدِّم خطأً تاريخياً تحت تأثير كتاب مدراش ربا ان ابراهيم كان في عصر نمرود وتحت حكمه، في وقت سبقه نمرود بثلاثة آلاف من السنين على الأقل.

كان الله معروفاً من عائلة ابراهيم، وليس ان الإيمان في الله قد أتى من خلال تأمل ابراهيم في الأجرام السماوية كما يدّعي القرآن

ونرى الكتاب المقدس يعلن بأنّ إله ابراهيم كان معروفاً عند عائلة ابراهيم. فكانت كلمة "الرب" على لسان أفراد من عائلته مثل لابان ووالده بتوئيل ابن ناحور، أخي ابراهيم، في أكثر من مناسبة: كقولهما لخادم ابراهيم الذي طلب رفقه زوجةً لإسحاق:"فَأَجَابَ لاَبَانُ وَبَتُوئِيلُ وَقَالاَ: «مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ خَرَجَ الأَمْرُ. لاَ نَقْدِرُ أَنْ نُكَلِّمَكَ بِشَرّ أَوْ خَيْرٍ". ورفقة ابنة بتوئيل وأخت لابان التي صارت زوجةً لإسحاق هي عابدة للرب، ولا يوجد أي رائحة للوثنية في سيرتها. وهو ما يُظهِره الكتاب المقدس أنّه دائما كان هناك خط الإيمان التوحيدي عبر التاريخ القديم الذي وصل الى نوح. ومن نسل نوح قد استمر هناك، عبر بعض نسل سام، وجود جماعات مؤمنة، التي كان والد ابراهيم هو واحد منها. فقد ولد ابراهيم في عائلة تعبد الله. وذلك يدل على أنّ إيمان ابراهيم ليس ظاهرةً منفردةً أتت لإبراهيم من خلال التأمل في النجوم والقمر والشمس كما يدعي القرآن:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ. فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا. وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(سورة الانعام 76 _79)

التأمل في الطبيعة او النجوم قد يصل الانسان من خلاله الى وجود خالق عظيم للكون. كما حدث للاغريق. ولكنه لن يؤدي الى معرفة حقيقية عن هوية هذا الخالق والعلاقة به. بينما إبراهيم كان له علاقة حقيقية بالرب.

انسجام سفر التكوين مع تاريخ العصر الذي يتكلم عنه

حرب السديم

جاءت دعوة الرب لإبراهيم للمرة الثانية في مدينة حاران. وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ:

«اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ». (تكوين 12 : 1-7)

فذهب ابراهيم الى ارض كنعان مُصطحِباً زوجته سارة ولوطاً ابن أخيه. ويسرد الاصحاح الثاني عشر كيف حدث جوعٌ في ارض كنعان. وانحدار ابراهيم الى ارض مصر ثم رجوعه الى ارض كنعان. وفي الاصحاح 13 يفترق لوط عن ابراهيم، ويذهب الى سدوم في وادي الاردن.

وسفر التكوين يتكلم عن عيلام كقائدة لتحالف في المنطقة، وذلك بانسجام مع التاريخ الرسمي لعصر ابراهيم، أي بداية الألف الثاني ق.م. ففي الاصحاح 14 نرى هناك سرداً لحرب أربعة جيوش ضد خمسة ملوك مدن وادي الأردن:

"وَحَدَثَ فِي أَيَّامِ أَمْرَافَلَ مَلِكِ شِنْعَارَ، وَأَرْيُوكَ مَلِكِ أَلاَّسَارَ، وَكَدَرْلَعَوْمَرَ مَلِكِ عِيلاَمَ، وَتِدْعَالَ مَلِكِ جُويِيمَ، أَنَّ هؤُلاَءِ صَنَعُوا حَرْبًا مَعَ بَارَعَ مَلِكِ سَدُومَ، وَبِرْشَاعَ مَلِكِ عَمُورَةَ، وَشِنْآبَ مَلِكِ أَدْمَةَ، وَشِمْئِيبَرَ مَلِكِ صَبُويِيمَ، وَمَلِكِ بَالَعَ الَّتِي هِيَ صُوغَرُ. جَمِيعُ هؤُلاَءِ اجْتَمَعُوا مُتَعَاهِدِينَ إِلَى عُمْقِ السِّدِّيمِ الَّذِي هُوَ بَحْرُ الْمِلْحِ. اِثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً اسْتُعْبِدُوا لِكَدَرْلَعَوْمَرَ، وَالسَّنَةَ الثَّالِثَةَ عَشَرَةَ عَصَوْا عَلَيْهِ. وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشَرَةَ أَتَى كَدَرْلَعَوْمَرُ وَالْمُلُوكُ الَّذِينَ مَعَهُ وَضَرَبُوا ... (تكوين 14 : 1-16)

فهل الظروف السياسية لتلك الفترة تؤيد هذا السرد للإصحاح الرابع عشر من سفر تكوين؟

بعد سقوط أور عام 2004 ق.م. أصبح هناك فراغ سياسي كبير في منطقة الهلال الخصيب. إذ كانت أور هي الإمبراطورية المسيطرة على أجزاء كثيرة من الهلال الخصيب، بشكل خاص ما بين النهرين وشمال سوريا. فظهرت حالاً مدن يملك على كل

واحدة ملكٌ. وظهرت مقاطعات صغيرة حول المدن، يحكم بكل منها ملكٌ. وكان سقوط أور يعود الى هجوم الأموريين على مدن الشمال، وهجوم العيلاميين في الجنوب. وكانت عيلام هي القوة المُنظّمة الوحيدة في المنطقة، وسط تلك الصورة التي كان يسودها مدن ومقاطعات صغيرة مستقلة، تتحالف مع بعضها من حين لآخر. فظهور عيلام كقوة ترأس تحالفات في تلك الآونة هي الصورة التي تنطبق مع ما ذكره سفر التكوين عن هذا التحالف الذي قاده العيلاميون. وتوقيت خروج عيلام كالقوة المنتصرة على أور التي كانت القوة العظمى في الهلال الخصيب، أقول خروجها لكي تنهب وتظهر قوتها في تلك المنطقة، يتفق مع الفترة التي ذكرها الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين عن هجوم هذا التحالف على مناطق متعددة، بما فيها وادي الاردن.

والمدن والمواضع التي ذكرها سفر التكوين والتي هاجمها هذا التحالف الذي كانت تقوده عيلام، معظمها مذكور في منقوشات متعددة في منطقة الشرق الأوسط. فليس هنا المجال لذكرها. ولكنني أريد ان أركز على أسماء الملوك التي كانت ضمن هذا التحالف.

Chedorlaomer كدُرْلَعوْمَرَ ولقب كدر وسيطرة العيلاميين

الجزء الاول من الاسم هو مُحقق بـ Kutir، وهو معروفٌ كلقب لملوك عيلاميين في قائمة طويلة لهؤلاء الملوك، كما يستشهد Kenneth Anderson Kitchen بعدد من الباحثين[994]. بعض الباحثين يقولون أن لَعوْمَرَ laomer من الممكن ان يكون Lagamar، المعروف أيضا في نصوص Mari ماري[995]. وهناك أيضا فكرة ان يكون كدر لعومر-أي كامل اسمه- هو لقب مُميِّز لأحد ملوك عيلام، وانه Kudur-Lagamar أي خادم Lagamaru، إله عيلامي قد ذُكر من Assurbanipal. وهذه الفكرة مؤيدة من David Rohl الباحث البريطاني المشهور في كتابات الشرق الأوسط. وايضا من Sayce [996].

كما سبق وذكرت بأنّ عيلام قد حاولت أن تحل الفراغ الذي تركه سقوط أور. وكانوا نشطين في تلك الفترة في اتصالاتهم مع المدن الهامة في تلك المنطقة من اجل خلق تحالفات، وكان مبعوثو عيلام يصلون حتى قطنا Qatna [997]. بالنسبة لقطنة هي حاليا "المشرفة". مركز آثار عن حضارة امورية قديمة، تبعد حوالي 18 كم شمال شرقي حمص. وتعود كأقدم تاريخ الى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

وسيطرة عيلام على مناطق في سوريا وفلسطين نراه واضحاً في دراسة تاريخ المنطقة. مثال لذلك نذكر كدر مابوج Kudor-Mabug، وهو ملك عيلامي قد حكم في مدينة لارسا Larsa، التي كانت تقع 25 كم جنوب شرق مدينة يورك Yuruk في جنوب بلاد ما بين النهرين. وكان حكمه بين عامي 1770-1754 ق.م. واستشهد بكلمات Abert Tobias Clay عالم الآثار الأمريكي (المتوفي عام 1925):

"يسمّي Kudur-Mabug نفسه في عدد من الكتابات المنقوشة بـ Adda Martu، التي تعني "أمير ارض Amurru (فلسطين وسوريا)." بمعنى آخر فالمنقوشات قبل سقوط عيلام ولارسا تسجِّل سيطرة عيلام على المنطقة. وذلك في توافق دقيق مع سفر التكوين"[998]

لاحظ بأنّ اسم هذا الملك العيلامي يبدأ بـ "كدر"، تماماً كإسم "كدرلعومر". فسفر التكوين يسمّي اسم ملك عيلام بلقب ملوك عيلام قديما وهو كدر. ويكشف عن ان عيلام لها سيطرة من خلال التحالفات على المنطقة، الأمر الذي يعبّر عن الصورة التاريخية زمن ابراهيم.

تدعال كلقب حثي

الملك الآخر في التحالف هو تدعال Tidal. وتدعال بحسب النص هنا "تِدْعَالَ مَلِكِ جُويِيمَ" Goyim أو الشعوب. فهو يحمل لقبا حثياً. وايضا قوله "ملك الشعوب" يدل على انه ليس ملكاً في مملكة، ولكنه ملك جماعة أو قبيلة. فكان الحثيون شعباً يعيش في الأناضول– آسيا الصغرى، وفي فترة من الزمن احتلوا شمال سوريا، وكان لهم تغلغل في ارض كنعان أيضا. ولكن قبل تكوين مملكتهم في الأناضول في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، كانوا معروفين كمجموعات محاربة.

Tudkhala هو لقب لرؤساء كانوا معروفين في الأناضول بين القرن العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد، كرؤساء مجموعات محاربة[999]. ويقول Victor P. Hamilton بان الارتباط بين الكلمة العبرية تدعال tid'al والكلمة الحيثية Tudhalia، موضَّحة من التهجئة في الكتابات الأوغاريتية للقب ملوك الحثيين بأنها تدغل Tdg'l.[1000]

اذاً نرى سفر التكوين يذكر تدعال كلقب لقائد الشعب الحثي، كان معروفاً في عصر ابراهيم.

امرافل كلقب لبعض ملوك الأموريين

بالنسبة لامْرَافَلَ مَلِكِ شِنْعَارَ Amraphel king of Shinar . كانت مملكة شنعار في بابل (تكوين 10: 10)، ونجدها أيضا في المصادر الحثية والسورية والمصرية في الجزء الثاني من الألف الثاني قبل المسيح[1001]. وهي اسم لبلاد النهرين خاصة بابل[1002]. ويبدو ان اسم شنعار مشتقٌ من Shene nahar، أي نهرين[1003]. ونجد في رسائل تل العمارنة كما في كتابات مصرية اخرى اسم Sanhar سنعار او Sangar (Sankhar)، محقق بالباحثين بشنعار. وهي تشير الى المنطقة الشمالية من بلاد ما بين النهرين[1004].

لذا نرى ان استخدام هذه الكلمة لا يمكن ان يعود لعصر لاحق لعصر موسى الذي كتب سفر التكوين، وإذ أراد موسى ان يصف ملك منطقة في بلاد النهرين قد كانت جزءاً

من التحالف مع عيلام في الهجوم على وادي الاردن، استخدم اسم شنعار الاسم المعروف في زمانه لبلاد النهرين.

يقول كشن Kitchen بان أمرافل Amraphel يمكن ان يكون Amudpiel أمودبيل[1005]. ويقول K.Jaritz بان Amudpiel زعيم أموري، معنى اسمه enduring the command of El[1006]. والظاهر هنا ان الاسم عبارة عن لقب كان يتلقب به بعض ملوك الأموريين.

اريوك كلقب ملكي معروف لتلك الحقبة الزمنية

بالنسبة لأريوك مَلِكِ الَّاسَارَ Arioch king of Ellasar. فهو لقب معروف لمجموعة من الملوك في بلاد ما بين النهرين. وواحد من هؤلاء محقق اسمه في بداية الألف الثاني قبل الميلاد في Mari Archive أرشيف مدينة ماري[1007]. واسم Ariukki نجده في Nuzi نوزي[1008]. ونوزي هي مركز بالقرب من حاران. لا بد بان اريوك هو ملك لشمال ما بين النهرين. ونجد اسم مماثل للاسم المذكور في الكتاب المقدس في Execration texts وبالتحديد فيExecration texts, Mirgissa F. 3[1009](كتابات سحرية مصرية كانت تحوي أسماء ممقوتة من المصريين تنتمي للدول المجاورة التي كانت تزعج مصر)[1010]. وكانت تُكتب هذه الكتابات على تماثيل لمثل هؤلاء الأشخاص أو على آنية ثم تُحطَّم وتدفن. وكانوا يظنون ان ذلك سوف يؤثر سحرياً على الشخصيات التي كانت تمثلها هذه الأسماء. وهذه الكتابات لها أهمية خاصة في كشف بعض أسماء الحكام في منطقة الشرق الأوسط بين 1800 – 2000 ق.م.، مما يدل على أنّ أحد الملوك الذي كان له لقب اريوك كان معروفاً من المصريين كملك مُزعج، كان ينافسهم في منطقة سوريا وفلسطين.

بالنسبة لموقع الَّاسَارَ llasar : البعض يقول بأنها Larsa، كانت أصلا مدينة سومرية تقع على بُعد 25 كم من يورك Uruk في جنوب العراق. واستمرت لارسا كمدينة هامة حتى بعد انهيار مملكة أور. وآخرون حققوا الَّاسَارَ في Alsiya في شمال العراق بالقرب من دجلة. وايضا هناك ILansura (مملكة في شمال العراق تقع بين كركامش وحران)[1011]. وهناك أيضا تَلَسَّارَ Telassar مذكورة في الكتاب المقدس في اشعياء 37 :12.

ألقاب الملوك الاربعة وتحالفهم يتفق مع الحالة السياسية زمن ابراهيم

إذاً نرى تحالفاً بين أربعة ملوك هم ملك عيلام وملك لقبيلة حثية، وملك أموري، وملك من شمال بلاد النهرين يبدو بالقرب من حاران. فأسماء ملوك التحالف تتفق مع الألقاب في ذلك العصر. ويقول كتشن:

"إن الأسماء تناسب المناطق التي حكموها، وتتفق تماما مع الأسماء الحقيقية والألقاب. حتى ولو أنّ الأشخاص لم تُحقق بعد في مصادر خارجية. وذلك ليس

أمر مفاجئ من حيث نقص المعلومات في منطقة الشرق الأوسط خلال الألف الثالث والجزء الاول من الألف الثاني قبل الميلاد، حتى ان سجلات مدينة ماري تغطي فقط حقبة تتراوح بين 50 الى 70 سنة فقط "[1012]

والحقيقة بعد سقوط مملكة أور حوالي عام 2004 قبل الميلاد، انقسمت بلاد النهرين الى ممالك صغيرة مثل Isin, Larsa, Eshnunna, Assyria، وهناك ممالك ومدن في الشمال الغربي مثل ماري. واستمر الأمر كذلك حتى ظهر حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد في بابل، وسيطر على المنطقة. ثم بدأ الأشوريون يسيطرون ابتداء من 1600 قبل الميلاد. لذلك فظهور التحالفات مثل التي ذكرها سفر التكوين كانت في الفترة بين 2000 – 1700 قبل الميلاد. وتشهد أرشيف ماري عن هذه التحالفات:

"لا يوجد ملك قوي بحد ذاته. كان هناك عشرة الى خمسة عشر ملك يتبعون حمورابي ملك بابل . وهكذا أيضا بالنسبة Rim-Sin ملك Larsa و Ibalpiel ملك Eshnunna و Amutpiel ملك قطنة. ولكن نجد 20 ملك يتبعون Yarim-Lim ملك Yamha "[1013]

لذلك كما يقول Kitchen بان الفترة بين 2000- 1700 قبل الميلاد هي الفترة الوحيدة التي عيلام قد دخلت في سياسات بلاد النهرين وفي جيوشها: وهذه كلمات Kitchen:

"انه فقط في هذه الفترة بالذات التي بين 2000- 1700ق.م. بان مملكة عيلام من الشرق قد تداخلت بجيوشها في سياسات بلاد ما بين النهرين، وأرسلت مبعوثيها باتجاه الغرب الى قطنة. لم يحدث ثانية ان عيلام قد اتبعت مثل هذه الاتصالات البعيدة في سياستها. لذلك من جهة الجغرافية السياسية، فان التحالف للممالك الشرقية كما هو مذكور في سفر التكوين يجب ان يُعامل بجدية كمذكرات قديمة تاريخية في هذا الكتاب المحفوظ أي سفر التكوين"[1014]

هل حُقِّقَت المدن التي ذُكرت أثناء حرب السديم ؟

من بين المدن المذكورة في الحرب بين الأربعة ملوك وملوك وادي الاردن:

1-مدينة هام: يتحدث البرايت عن مكان وهو "هام" الذي كان قد احتله كدرلعومر مع الملوك الذين تبعوه، كما نجده في تكوين 14: 5. وقد وُجد المكان في شرقي جلعاد. وبعد دراسة الموقع تبيّن انه يعود للعصر البرنزي. واسم المدينة مذكور بين المدن التي احتلها الفرعون تحتمس الثالث Tuthmosis III حوالي عام 1480 ق.م. ويقول البرايت ان هناك إثباتات تدل على ان سرد حرب السديم هو تاريخي[1015].

2-عَشْتَارُوثَ قَرْنَايِمَ: لقد حقق Nelson Glueck عَشْتَارُوثَ قَرْنَايِمَ، Ashteroth Karnaim المذكورة في تكوين 14 : 6 التي هي مؤلفة من كلمتين، تعبّران عن موقعين متقاربين في جنوب سوريا تعرفان بـ تل العشترة والشيخ سعد Tel Ashtarah and Sheikh Sa'ad. وكانت شيخ سعد Sheikh Sa'ad تُعرف

بالعصر المسيحي بـCarnaim. ويقول البرايت بأن عَشْتَارُوثَ قَرْنَايِمَ كانتا قد احتلتا في نفس تلك الفترة كما تبينه الحفريات الأثرية[1016].

3-"مِشْفَاطَ الَّتِي هِيَ قَادِشُ": وهي مذكورة في العدد الذي يتلو "ثُمَّ رَجَعُوا وَجَاءُوا إِلَى عَيْنِ مِشْفَاطَ الَّتِي هِيَ قَادِشُ. وَضَرَبُوا كُلَّ بِلاَدِ الْعَمَالِقَةِ، وَأَيْضًا الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي حَصُّونَ تَامَارَ"، قد حُققت بالنبع المعروف بـ"عين القديرات" Ain el-Qudeirat التي في سيناء[1017].

وجود المدن الحاكمة وزعماء القبائل الشعبية في عصر ابراهيم واسحق ويعقوب

تكشف الكتابات المصرية المسماة بـ Execration texts، والتي سبق وأشرنا إليها، عن الحالة في كنعان في النصف الاول من الألف الثاني قبل المسيح، انها كانت مؤلفة من مدن يرأسها أشخاص. وهناك أيضا رؤساء جماعات أو عشائر رعاة شعبية tribesfolk، تشبه تماما حالة ابراهيم. وتذكر هذه الكتابات حوالي 30 قبيلة أو رئيس قبيلة Chieftains من نفس هذه المناطق[1018].

وهناك القصة المصرية المعروفة باسم قصة سينوهيthe story of Sinuhe. الموضوعة في الفترة التي مات فيها الفرعون أمنمحات الاول Amenemhat I، مؤسس السلالة رقم 12، في بداية الألف الثاني ق.م. فعندما بدأ المصريون الحرب ضد ليبيا، قد رافق Sinuhe في الحملة على ليبيا ولي عهد مصر Senwosret I. وعندما مات أمنمحات الاول فجأة، ربما في مؤامرة، رجع Senwosret الى مصر يطالب بعرشه. فخاف سينوهي من حدوث مشاكل وصراعات، وهرب الى ارض كنعان وسوريا لكي يبدأ حياته هناك. حيث قد أُنقذ من أميوننشي Ammunenshi، احد زعماء جماعات الرعاة الساكنين هناك. وأميوننشي هو مثال لإبراهيم وإسحاق.

فكانت السلطة بيد حكام أو ملوك مدن ورؤساء مثل هؤلاء. وهؤلاء الرؤساء نراهم يتنقلون بخيامهم من مناطق كنعانية نحو الجنوب وبالعكس، تماما مثل ما كان يفعل ابراهيم بتنقلاته. وهذا الوضع، أي وجود رؤساء رعاة متنقلين ومتحالفين أحيانا مع رؤساء المدن وحكامها، نراه أيضا في مناطق أخرى. ففي بابل في بداية الألف الثاني قبل الميلاد، كانت السلطة مشتركة بين الملك المحلي لمدينة مع رؤساء عشائر يعيشون بالخيام بجانب المدينة. وهذا الوضع مُحقَّقٌ من جهة مدن أو (الممالك التي في مدن)، مثل Kish, Babylon, Sippar, Isin, Kisurra. وهؤلاء الرؤساء كانوا يُلقبون بـ rabianu ربيانو[1019].

وهذا الوضع الذي كان في كنعان في تلك الآونة يختلف عنه في عصر السلطة المصرية على كنعان التي تعود بين 1460 -1160 ق.م. وقد أدى وجود رؤساء العشائر أو رؤساء الرعاة أمثال ابراهيم، الى ظهور معاهدات بين هؤلاء الرؤساء وحكام أو ملوك المدن في بلاد ما بين النهرين وكنعان وسوريا. ونرى من خلال مدينة ماري

وألواحها التي تعود الى 1750 ق.م. صورةً عن علاقات المدينة مع مجموعات كانت تعيش في الخيام في المناطق حولها. وكانت تجري معاهدات بين القبائل والمدينة[1020]. ونرى مثل تلك التحالفات تجري بين ابراهيم ورؤساء اموريين (هم ممرا وإخوته). وكذلك في وقت لاحق نرى معاهدة بين ابراهيم وابيمالك ملك جرار. ثم بين إسحاق وابيمالك.

تجول رؤساء الرعاة أو القبائل

كانت هناك قبائل تتمركز حول المدن، وتتجول من اجل البحث عن مراعي. فنعرف من كتابات ماري ان قبيلة Mare- Yamina قد تمركزت حول مدينة ماري والبعض كانت تجول شرق نهر دجلة وجنوباً نحو Uruk, larsa and Sippar. وهناك قبائل كانت حول حاران (تماما كما كان تارح والد ابراهيم). وكانت هناك قبائل تتجول الى شمال سوريا وحتى سلسلة جبال لبنان[1021]. واتصفت ارض كنعان وشرق الاردن في هجرة رعاة وقبائل متنقلة Nomadic or semi-nomadic. وذلك بين الفترة 2000 الى 1800 قبل الميلاد[1022].

في الفترة التي عاش بها ابراهيم كانت المدن الكبيرة قد هُجرت. واتصفت الفترة بهجرات لأرض فلسطين، كانت على الأكثر رعاة، من مناطق مختلفة مثل بلاد النهرين. ونشأت مدن صغيرة حولها، مع زعماء على مستوى ابراهيم، حتى انه تقوم هناك معاهدات بين ابراهيم وبين بعض قادة هؤلاء المدن الصغيرة كما سبق وذكرنا. فهناك ما يؤيِّد الكتاب المقدس في سرده، مثل قلة الإشارات الاركيولوجية عن أبنية ضخمة وتحصينات ومدن ضخمة في تلك الفترة[1023]. الأمر تبدل في زمن إسحاق ويعقوب. فعندما مثلا زار ابراهيم شكيم، كانت تسمى "مكان" (تكوين 12 :6). وعندما عاد يعقوب الى شكيم، قد أصبحت مدينة (تكوين 33 : 18)

يستحيل افتعال مثل هذا السرد المتفق مع المعطيات التاريخية من أي كاتب متأخر، بعكس سرد القرآن.

اذاً سرد سفر التكوين عن حياة ابراهيم يتفق مع الوضع السياسي الذي نراه في علم الآثار بجميع عناصره. ولكن عندما نأتي الى قصة ابراهيم في القرآن فهو سرد بسيط بدون أي إشارة تاريخية يمنحه مصداقية. وكل ما ذكره هو خرافة عن كتاب مدراش ربا، والتي ربطها كاتب مدراش ربا في نمرود الذي عاش قبل ابراهيم بآلاف السنين. فلا يمكن ان يكون سرد مُوحى من اله التاريخ. ولكنه سردٌ نابعٌ من أفكار خرافية بلا أي دعم تاريخي يجعله يستحق انتباه الباحث والإنسان المفكِّر. فيسهل سرد قصة تحت تأثير سرد خرافي كما نرى قصة ابراهيم في القرآن. ولكن يستحيل افتعال سرد من أي كاتب عاش في أي عصر، سرد يعبِّر عن الحالة السياسية في القرن العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد بهذه الدقة. الأمر يدل على ان موسى، كاتب سفر التكوين، قد اعتمد على

معلومات مكتوبة أتت من عصر ابراهيم وإسحاق ويعقوب، ونقلها يوسف وحافظ عليها العبرانيون في مصر حتى وصلت موسى.

الأسماء في عصر الآباء وتماثلها مع أسماء الآباء

يقول كايزر عن أهمية الأسماء:

"إثبات عن حقيقة العصر الذي عاش به الآباء –ابراهيم وإسحاق ويعقوب- يأتي من صيغة الأسماء المذكورة في ذلك العصر. فالأسماء تعبِّر عن وضع اجتماعي فريد للزمن المذكورة فيه. تماما كما الإنسان يقرر العصر لصورة حديثة من خلال ملاحظة الأسلوب وشكل السيارة- اذا كانت موجودة في الصورة- وايضا من خلال ملاحظة موديل اللباس الذي ترتديه المرأة في الصورة. فالأسماء عادة هي معبِّرة عن العصر"[1024]

نفهم من قائمة أجداد ابراهيم في تكوين 11 ان أسماء جده الثالث هو Serug سروج وجده هو ناحور ووالده هو تارح. وهذه الأسماء نجدها كما هي في الكتابات الأشورية والبابلية القديمة، وذلك في منطقة الفرات الأعلى في بلاد ما بين النهرين حول منطقة حاران حيث عاشت العائلة. ذلك لا يمكن اعتباره صدفة[1025]. فالأسماء من عائلة ابراهيم تدل على انتماء العائلة أكثر الى منطقة شمال العراق في المنطقة التي كانت عاصمتها حاران منها من أور. ولذلك فالاعتقاد ان أصل العائلة هو من حاران، ثم هاجرت الى أور بسبب الحياة الاقتصادية فيها. ثم عادت الى حاران وطنها الأصلي في وقت لاحق، ربما بعد سقوط مملكة أور. ومن أدلة علاقة عائلة ابراهيم بحاران هو ان أخا ابراهيم كان اسمه Haran هاران وأخيه الثاني اسمه ناحور، وهي اسم مدينة مذكورة في ألواح ماري التي تعود الى القرن الثامن عشر ق.م. واسم أبوه تارح وهو اسم بلدة هي في موقع Tel-Turakhi. وجده سروج هو اسم بلدة Sarugi، وجده الأسبق وهو فالج Peleg على اسم phaliga.

وهناك أسماء موجودة في سفر التكوين، مثل إسحاق وإسماعيل ويوسف ويعقوب الخ، موجودةٌ في كثرة في بداية الألف الثاني ق. م. نراها موجودة في كتابات ماري التي تعود الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ولقد جمع الباحث Ignace J. Gelb ستة آلاف اسمٍ آتيةٍ من تلك الفترة. ورغم ان من هذه الأسماء نجدها في كل فترة، ولكن استخدامها بشكل كبير جدا يأتي من تلك الفترة التي عاش بها الآباء، يعني ابراهيم وأولاده وأحفاده. وهي أسماء سامية غربية West Semitic، مثل امورية تبدأ في حرف الألف، مثل إسماعيل وإسحاق (في الانكليزي هي I). وأسماء مثل يوسف ويعقوب تبدأ بحرف أليا (في اللغة الانكليزية J). كانت هذه الأسماء منتشرةً في النصف الاول من الألف الثاني قبل الميلاد، أي زمن الآباء. ولكنها انخفضت نسبة 55% في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. كذلك فان اسم بنيامين ابن يعقوب الصغير موجود بين أسماء تلك الفترة[1026].

الرحلات بين بلاد النهرين وسوريا ومناطق اخرى وبالعكس

يقول علماء الآثار انه ليس فقط أصحاب مواشي الغنم قد كانوا يتنقلون بين جنوب العراق مروراً بحاران الى شمال سوريا وكنعان، ولكن أيضا ممثلين الحكام والتجار، الذين ليس فقط كانوا يذهبون الى كنعان وشمال سوريا، ولكن الى الأناضول ومواقع اخرى. وكانت هناك مواقع استراحة في تلك الرحلات واعلانات للمسافرين عن خط الرحلات أيضا itineraries [1027]. فلقد وُجد بين كتابات ما بين النهرين عقد استئجار للعربات Wagon، يعود للجزء الاول من الالف الثاني ق.م. بين شروط الاستئجار هناك بند يقول بان العربة لا يجوز ان تُقاد نحو شواطئ البحر الأبيض المتوسط. وهذا هو نص هذا العقد:

A wagon

From Mannum-balun- Shamash,

Son of Shelibia,

Khabilkinum,

Son of Appani {bi},

On a lease

For one year

Has hired.

As a yearly rental

2/3 of a shekel of silver

He will pay.

As the first of the rent

1/6 of a shekel of silver

He has received.

Unto the land of Kittim

He shall not drive it.

In the presence of Ibku- Adad,

Son of Abiatum;

In the presence of Ilukasha,

Son of Arad-Ilishu

In the presence of Ilishu…….

Month Ululu, day 25,

The year the king Erech from the flood

Of the river as a friend protectd.[1028]

كما نعلم من عدة اعداد من العهد القديم مثل حزقيال 27: 6 بان كتّيم Kittim كان يُقصد بها البحر الابيض المتوسط. لقد كُتب هذا العقد في مدينة Sippar التي كانت تُسمى قديما ب Agade وكانت تقع على نهر الفرات شمال بابل[1029]. من الواضح انه كان هناك استئجار للعربات بسبب كثرة المواصلات بين بلاد ما بين النهرين وفلسطين وسوريا. ومنع العربات ان تصل الشاطئ لا شك بسبب خوف أصحاب العربات من ان تتلف العربة اذ تفيض مياه البحر عليها.

ذلك يفسِّر سهولة رحلات عائلة ابراهيم المذكورة في سفر التكوين. واتجاه الباحثين هو ان ناحور (وبالتالي عائلة ابراهيم ككل) كانت تسكن أولا في منطقة حاران، ثم هاجرت الى أور، ثم عادت الى حاران موطنها الأصلي. ومن حيث ظاهرة هجرة كانت معروفة آنذاك من منطقة حاران الى الجنوب نحو أور ثم العكس من الجنوب نحو حاران، هكذا يُرى رجوع تارح الى حران[1030]، وسهولة سفر ابراهيم وزوجته مع ابن أخيه لوط من حاران الى ارض كنعان.

ادعاء القرآن في رحلة ابراهيم الى مكة هي مُضادة للتاريخ وأسس الجغرافيا

اذاً رحلة ابراهيم من أور الى حاران ثم الى ارض كنعان، كما هي مذكورة في سفر التكوين، هي من واقع الحياة في تلك الفترة من الزمن. وليست أمراً غريباً عن الواقع التاريخي لعصره. ذلك بعكس ادعاء القرآن من أن ابراهيم ذهب الى مكة، كما نرى في الآيات التالية:

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (سورة البقرة 126)

ويدّعي ايضا القرآن أنّ ابراهيم قد صلّى في مكة وبأنّه قد أسكن في واديها من ذريته، أي الاسماعيليين، عند البيت المحرم- أي الكعبة. وطلب أنّ الناس تذهب إليهم، أي تحج إليهم:

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ. فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (سورة ابراهيم أي رقم 14 : 37)

ولكن ادّعاء القرآن هذا هو ضد أسس التاريخ والجغرافيا. أي الادّعاء في ذهاب ابراهيم لمكة. اذ نعلم ان مكة لم تكن موجودةً في عصر ابراهيم كما سوف نناقش ذلك لاحقاً، ولم يكن هناك خط تجاري أو شبه تجاري بين فلسطين واليمن، لكي يبرِّر بناء مكة على الخط، كما حدث لاحقاً بعدما ظهر الخط البري. ولم يذكر التاريخ ان أحداً قد قطع ذلك الطريق من قبل. اذ ان غرب شبه الجزيرة العربية كان لغزاً مجهولاً لسكان العراق وكنعان. ولم يوجد هناك أي ذكرٍ حتى لليمن قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد. حيث نجد هناك أول كتابةٍ مصريةٍ تتحدث عن اليمن (أو الصومال). تتعلق بزعيم اسمه Genebtyu يقدِّم جزيةً لفرعون Thutmose III تحتمس الثالث الذي حكم من عام 1479 الى عام 1425[1031]. والآن يُشك ان Genebtyu كان قائداً يمنياً، والاتجاه السائد انه كان صومالياً. كذلك لا يوجد عندنا أي إشارة عن غرب شبه الجزيرة العربية واليمن في أي كتابات رافديه أو سورية أو كنعانية. مما يدل على ان غرب شبه الجزيرة العربية كانت مجهولةً تماماً على سكان الهلال الخصيب ومصر. اذ لم ينشأ هناك أي معرفة في تلك المناطق عن غرب شبه الجزيرة العربية، قبل ان ظهر السبئيون والمعينيون في اليمن بين القرن الثالث عشر والحادي عشر ق.م.، وصارت هناك علاقة تجارية بين اليمن ومنطقة الهلال الخصيب. فكيف يذهب ابراهيم الى مكان لم يذهب إليه احدٌ من قبل، ولم يسمع به احدٌ في جيله ؟!

كذلك فتلك الرحلة المزعومة من القرآن لم يتطرق إليها سفر التكوين، الكتاب الوحيد الذي عرف العالم من خلاله عن حياة ابراهيم. ولماذا يخفي العبرانيون رحلة ابراهيم لغرب شبه الجزيرة العربية لو كانت قد حدثت. فقد تطرق سفر التكوين لرحلة ابراهيم الى مصر، مع ما احتوت تلك الرحلة من أمور سلبية، اذ كان ابراهيم قد كذب قائلاً عن سارة انها أخته، حتى ان فرعون قد أخذها الى قصره كسرية، لولا تداخل الرب في تحريرها. ومع ان الله قد دعاه لكي يعيش في ارض كنعان وليس في أي مكان آخر، وانه قد ذهب هناك بعكس مشيئة الله. فلماذا إخفاء رحلة ابراهيم المزعومة الى غرب شبه الجزيرة العربية؟! ليس عادة كتّاب الكتاب المقدس ان يخفوا أي شيء، عن أعلام مهمة في الكتاب مثل ابراهيم وموسى وداود، مهما كانت أموراً سلبية، أو غير مُحببة لديهم، مثل سقوط داود في الزنا، أو تنكر ابراهيم لحقيقة زواجه من ساره مرتين خوفاً على نفسه، مدعياً انها أخته، أو قتل موسى للمصري وهربه الى ارض سيناء. فكيف يخفي هؤلاء الكتّاب ذهاب ابراهيم لمكة لو فعلاً قد حدث؟!.

القبائل في كنعان زمن ابراهيم

يذكر سفر التكوين أسماء بعض القبائل أو المجموعات في ارض كنعان. فهل التاريخ وعلم الاركيولوجيا يصادق على وجود مثل تلك القبائل في عصر ابراهيم، أم

انها أسماء مُفتَعلة من كاتب لاحق؟ ذلك الأمر له أهمية خاصة، من حيث غياب ذِكر القرآن لأي قبيلة أو أمة تعيش زمن ابراهيم في غرب شبه الجزيرة العربية، حيث بُنيت مكة لاحقا، لكي يؤكد تاريخية ما ادّعى القرآن به.

من بين القبائل أو الشعوب المذكورة في سفر التكوين، نذكر: الكنعانيين والحيثيين والْحُورِيِّينَ والامُورِيِّينَ واليبوسيين والْجِرْجَاشِيِّين والْقَدْمُونِيِّينَ. (راجع تكوين 14: 6 ؛ و15 : 19-21)

الكنعانيون

لقد سكن الكنعانيون في منطقة الساحل وايضا في الأراضي المنخفضة باتجاه نهر الاردن. وأصل القبائل المنحدرة من كنعان ابن حام، انها كانت في بلاد ما بين النهرين، ثم احتلت مناطق من شمال سوريا وفلسطين. والموجودات الأثرية الكنعانية الآتية من عصر ابراهيم هي كثيرة. ولغتهم كان لها تأثير كبير على اللغة العبرية.

الحثيون

لقد كان موطن الحثيين في بلاد الأناضول في آسيا الصغرى، ومن هناك امتدوا الى شمال سوريا وارض كنعان. وقد وصلت الإمبراطورية الحثية أوجها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ولكن تجزأت الإمبراطورية في بداية القرن الثاني عشر ق.م. وهناك نقاش حول ما اذا كان الحثيون في آسيا الصغرى هم نفسهم الحثيون في أرض كنعان زمن ابراهيم.

لقد اكتشف البروفسور هيوجو ونكلر من برلين Hugo Winckler عام 1906في Boghaz-keui عاصمة الحثيين 20 ألف لوح[1032]. ويقول كشن بانه:

"حوالي عام 1800 ق.م. نجد اسم Kukun’ son Luqqa (اللسياني) على مسلة في مدينة الجبيل Byblos. هؤلاء هم جدود السيانيين Lycian، مثل لغة Luvian التي هي لهجة متقاربة للحثية "[1033]

ويقول أيضا أنه ان كان مثل هذا ممكن أن يكون في مدينة Byblos، أي الجبيل في فينقيا. فانه من السهولة ان نجد Nesites (أي الحثيين سكان الأناضول) في مسافة أبعد بـ 160 ميل[1034] (يقصد بني حث الذين باعوا الحقل لإبراهيم). وهناك من المؤرخين من يضع تلك المسلة التي تحوي أسماء Kukun’ son Luqqa، والتي وُجدت في الجبيل انها أصلا مسلة مصرية، وانها تنتمي للقرن الحادي والعشرين قبل الميلاد[1035].

وعن تغلغل الحثيين في أرض كنعان وقِدمهم: فقد تداخلوا في سوريا في القرن الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد[1036]. وهناك تغلغل أناضولي مُبكِّر قد وُجد في فينيقيا وفلسطين.[1037]

الحوريون

يذكر سفر التكوين عن الحوريين في أكثر من موقع، مثل 14 : 6 و36 : 20. والحوريون تاريخياً مذكورون لأول مرة في وثيقة تعود لعصر سرجون الأكادي في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد. اذ كان لهم مملكة خلف نهر دجلة. وقد توسّعوا في القرن التاسع عشر ق.م. في بلاد ما بين النهرين واحتلوا أشور. ثم انتقلوا الى سوريا وتغلغلوا في سوريا وفلسطين.

وفي عام 1931 خلال حفريات في Yorghan Tepe بالقرب من كركوك، وهو موقع المدينة التاريخية Nuzi نوزي، تمّ اكتشاف آلاف الألواح مكتوبة بالخط المسماري، تعود للقرن الرابع عشر والخامس عشر ق.م. وسكان Nuzi كانوا Hurrians وهم حوريين العهد القديم. لقد كان اسم المدينة سابقا Gasur وهي أصلا مدينة أكادية قديمة. وفي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد احتل الحوريون المدينة وسموها Nuzi نوزي.

الامُورِيِّونَ

يعتقد الكثيرون من الباحثين ان الأموريين هم سبب سقوط مملكة أور. وفي حوالي عام 1900 ق.م. سيطر الاموريون على جزء كبير من بلاد ما بين النهرين. وقد سيطروا على بابل بين 1800-1530 ق.م.-الحقبة التي عُرفت في الحقبة البابلية القديمة. وكان حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد واحداً منهم. وقد امتدوا الى شمال سوريا وجزء من أرض كنعان. وكانت مدينة ماري عاصمة هامة للاموريين.

تقع ماري على بعد 200 ميل جنوب شرق حاران. وكانت مدينةً كبيرةً مزدهرة بين 2800 – 1760 قبل الميلاد. وُجد هناك قصر مؤلف من حوالي 300 غرفة، ويحوي على أرشيف Archive أي سجلات مؤلفة من 15 ألف نص، من رسائل ومعاهدات ونصوص دينية الخ. من هذه الرسائل نرى عادات متطابقة مع سفر التكوين. مثلا ذبح حيوانات عند إقامة عهود. وهناك أسماء آلهة مذكورة في العهد القديم. وهناك أسماء مثل ابرام، نوح، لابان، يعقوب. أي كانوا يسمّون في ذلك العصر نفس الأسماء التي نراها في سفر التكوين. ونرى أسماء مدن مثل حاران، ومدينة ناحور التي من المحتمل قد سُميت على اسم جد ابراهيم، ومدينة حاصور. والرسائل تثبت التطابق الاجتماعي لعصر ابراهيم وباقي الآباء.

الْقَدْمُونِيِّينَ

يقول التقليد العبري انهم بني قدم "بني المشرق"، أي شعب كان يعيش شرق أرض كنعان. وكما سبق وذكرت انه هناك ذِكر في الكتابات المصرية لرجل سياسي وهو Si-nuhe قد هرب من مصر زمن العائلة الثاني عشر الفرعونية، ووجد حماية في ارض كنعان في بلاد Qedem [1038]. وعلى الأغلب كانت عبارة عن قبيلة كنعانية كانت تسكن شرق ارض كنعان.

الْجِرْجَاشِيَّون

ينحدرون من جرجاش الابن الخامس لكنعان. وقد سكنوا في شرق الاردن. ولهم ذِكر في الكتابات الحثية كـ Qaraqisha أو Marisa. كذلك في الكتابات المصرية تحت اسم كركاش Kirkash [1039].

اليبوسيون

قبيلة منحدرة أيضا من كنعان (تكوين 10 : 16). وقد سكنوا مدينة اوروشليم. كان ملكهم زمن ابراهيم ملكي صادق. وعندما وصل بنو إسرائيل الى أرض كنعان كان يحكم اليبوسيين ادوني صادق، كما نرى في سفر يشوع 10: 1. ورغم انهم كُسروا من يشوع ، إلا انهم بقوا في مدينتهم جبوس Jebus أي اوروشليم، الى ان احتلها داود وجعلها عاصمةً له. ونعلم ان السكان اليبوسيين قد بقوا في عهد داود، وان داود قد اشترى البيدر من أرنان اليبوسي حيث بنى مذبحاً للرب. وقد وُجد اليبوسيون في رسالة في الخط المسماري في مدينة ماري تحت اسم يابوسيوم Yabusium.

غياب ذِكر القرآن لأي قبيلة زمن ابراهيم لكي يعطي لسرده أي مصداقية تاريخية

نرى اذاً ان معظم الشعوب المذكورة في سفر التكوين زمن ابراهيم هي مُحقَّقة تاريخية، وإنها كانت تسكن مُعاصِرةً لزمانه. فهي ليست قصة مُدخَلة على التاريخ من عصر لاحق. فسرد سفر التكوين هو سرد لحقائق قد حدثت فعلا في الزمان والمكان. فكل ما تقدمنا في المعرفة وفي علم الآثار نكتشف معلومات أكثر عن الشعوب التي كانت تعيش زمن ابراهيم، والتي سبق سفر التكوين ان ذكرها، مُعطِياً إيانا ثقةً في دقة سرد سفر التكوين عن حياة ابراهيم، وعن الظروف السياسية والاجتماعية والسكانية التي عاش فيها وكان قريباً منها. ولكننا عندما نفحص ادعاء القرآن عن ذهاب ابراهيم الى أواسط غرب شبه العربية حيث بُنيت مكة لاحقاً، لا نجد هناك ذِكراً في القرآن لأي إشارة تاريخية، تدل على ان الكاتب كان مُقاداً من روح الله العارف في تفاصيل التاريخ. فمحمد لا يذكر اسم قبيلة كانت موجودة في غرب شبه الجزيرة العربية، لكي يدعونا ان نبحث ونحقِّق ادعاء وحيه انه من إله التاريخ.

ملء الفراغ من خلال ابتداع كتّاب لاحقين

ولقد انتبه المسلمون منذ القرون الأولى من قيام الإسلام الى وجود هذا الفراغ الكبير في القرآن. وراحوا يحاولون كتابة تاريخ لمكة، جاعلين ان مكة كانت مسكونة من قبائل، قبل مجيء ابراهيم وإسماعيل إليها، مثل العمالقة. وجعلوا ان هناك قبيلة اسمها جُرهم هاجرت من اليمن وسكنت في مكة بسماح من هاجر. وكأن هاجر المرأة العزل أصبحت مالكة مكة، وتسيطر على العملاقة الذين جُعلوا سكان مكة زمن مجيء ابراهيم لزيارتها. وكل هذا التاريخ نشأ بعد محمد، ولم يُعرف قبله لا في كتاب أو في نقش. وبين أسماء المبتدعين، نذكر ابن إسحاق وابن عباس وعبيد بن شريه وابن الكلبي ووهب بن منبه وكعب الأحبار.

ومن بين الذين ادّعوا بان عماليق كان من سكان مكة نذكر ابن عباس. كذلك فان ابن إسحاق قد ادّعى بان بعض نسل عماليق ذهب ليسكن في الشام، وان الفراعنة هم من نسل عماليق أيضا[1040]. ومعروف ان عماليق هو ابن اليفاز ابن عيسو ابن إسحاق ابن ابراهيم (راجع سفر التكوين 36 : 9-13) وهو اذاً قبيلة أدومية. وسكنوا القسم الشرقي من سيناء. ولكن ابن إسحاق ربطهم كالنسل الثالث من سام ولقد اتَّبَع ادعاءات ابن عباس اذ جعلهم سكان مكة[1041]. كل ذلك من اجل خلق تاريخ قديم لمكة، مع ان التاريخ يقول لنا أنّ مكة لم تظهر قبل القرن الرابع ميلادي. (راجع كتابي الإسلام على ضوء التاريخ المنشور باللغة الانكليزية تحت اسم Islam in Light of History). ثم جعلهم ابن إسحاق أصل الفراعنة. وللأسف ما زالت هذه الافتعالات لابن عباس وابن إسحاق أساساً يُبنى عليه تاريخ مكة من المسلمين، ظانين فعلاً ان العمالقة سكنوا مكة أولا قبل آلاف السنين من الميلاد.

أما من جهة جُرهم. فقد جعلوه ابنا لقحطان الذي حققوه بيقطان، المذكور في سفر التكوين 10 : 25 و 26 كابن لعابر. الاول في افتعال مثل ذلك كان عبيد بن شرية. وقد رأينا سابقا ان اسم قحطان مشتقٌ من قبيلة قحطن، التي كانت تابعة لقبيلة كندا. فنرى في النقوش في العربية ان ربيعت Rabi'at ملك كندا يُدعى بملك كندا وقحطن[1042]. فواضح في محاولة نسب الإخباريين المسلمين بان يقطان سكن اليمن، وجدوا قبيلة قحطن قريبة نسبياً من يقطان. ثم غيّروا قحطن بقحطان وادّعوا انه يقطان. وقد جُعل قحطان هذا أبا لكل اليمن. مع ان نسل يقطان في الكتاب المقدس قد سكن في منطقة الخليج العربي وجنوب شرق العربية. ورأينا في الفصل عن الأصنام الخمسة ان ابن الكلبي قد ادّعى بان جرهم هو هدورام[1043] المذكور في سفر التكوين، الاصحاح 10 والعدد 27، كابن ليقطان ابن عابر ابن ارفكشاد ابن سام. مع انه هناك اختلاف بين الكلمتين.

معاوية وعبيد بن شريه

وكان معاوية بن سفيان يستدعي عبيد بن شريه لكي يقص عليه كل ليلة "أخبار الأقدمين". فكان عُبيد بن شريه يهرج عليه كل ليلة، دون ان يكون لعبيد سنداً يؤكّد

ادّعاءاته أو مرجعاً مكتوباً يعود إليه. ثم دوّن معاوية هذه القصص، وصارت للمسلمين أقدم مرجع لهم عن التاريخ المُبتدع الذي حلّ مكان التاريخ الرسمي. وصار المادة التي بها يدعمون القرآن في سرده. واشتهرت الأنساب التي ابتدعها عبيد، وصارت كتاباته مُصدّقةً من الكتّاب المسلمين اللاحقين عن أصل المدن والممالك وعن الأنساب والتواريخ. فكان الكتّاب المسلمون يودون التأريخ عن الماضي البعيد الذي لم يتطرق إليه حتى التاريخ الرسمي. ولم يجدوا أقدم مما ادّعاه عبيد بينما كان يسلي معاوية بن سفيان. كما نرى المسعودي يعطي لعبيد أهمية فوق باقي الكتّاب المسلمين في هذه الكلمات:

" ولم يصح عند كثير من الإخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية بأخبار الماضين وسير الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين فيها، إلا خبر عبيد بن شَرِية وإخباره إياه عما سلف من الأيام، وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الأنساب. وكتاب عبيد بن شرية متداول في أيدي الناس مشهور "[1044]

ومن الأمور المُضحِكة هو ان عبيد بن شريه وضع سلسلةً لملوك السبئيين، تبدأ من سبا الذي جعله ابن "يعرب بن قحطان". ثم تعبر السلسلة من الحميريين الذين وضعهم بعد رحبعام ابن سليمان مباشرة، أي في نهاية القرن العاشر قبل الميلاد. مع ان الحميريين قد ظهروا وملكوا ابتداء من عام 115 قبل الميلاد في منطقة من جنوب اليمن، بينما استمر السبئيون يملكون حتى القرن الثالث ميلادي. فهو يخترع بدون إلمام في الهيكل التاريخي بتاتاً.

والطريف ان عبيد بن شريه وضع سلسلة لملوك اليمن السبئيين. في وقت لم يضع احد غيره من قبل سلسلة قديمة للملوك للفترة التي وضعها عبيد بن شرية . اذ لا نجد كتابا قبله أو كتابات مُسند تتحدث عن الفترة التي ذكرها عبيد بن شريه. ولكن السلسلة التاريخية المبنية على علم الآثار تبدأ من منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وهي دقيقة جدا وليس بها فراغات. ولم ينجح عبيد ان يذكر حتى واحد من تلك السلالات السبئية القديمة التي نعرفها الآن. ولكن بأي حق يتجرأ عبيد بن شرية ان يضع سلالة لملوك سبأ من أول ملك فيها حتى النهاية، بينما يؤكِّد علماء الآثار بان السبئيين في اليمن قد استخدموا الكتابة منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد كأقدم حد، رغم ان أقدم كتابة سبئية معروفة تعود لسنة 820 قبل الميلاد[1045]. فلو افترضنا ان عبيداً كان عالماً عظيماً في الاركيولوجيا، فانه لا يستطيع ان يعرف شيئا عن السبئيين قبل العصر العاشر قبل الميلاد، إلا إذا كان نبياً عظيماً مثل موسى. فهل يود المسلمون اليوم ان يعتبروا عبيد أهم نبي ظهر في التاريخ. أو انهم يتركوا كتابات هذا المهرج ولا يعتمدوا عليها كما يفعلون في تاريخهم وحتى اليوم.

هل كان معاوية بن سفيان مقتنعاً في تهريج عبيد. ولماذا تفرغ معاوية في تدوين تهريجه؟

طبعا لم يكن معاوية مقتنعاً بتهريج عبيد. ولكن معاوية كان داهية. اذ كان يعرف ان كثيرين من المسلمين كانوا ينظرون إليه كمختطف الخلافة. خاصة بعد انتصاره على علي بن أبي طالب. فأراد إلهاء المسلمين عن السياسة وجعل تركيزهم على أمور جديدة جذابة، تكون هي موضوع نقاشاتهم ودراساتهم. ووجد في قصص عبيد بن شرية وكعب الأحبار، زخماً خرافياً كبيراً، من ممكن لو دونه ان يصبح في نظر المسلمين كتاريخ رسمي سوف يحوّل تركيز المسلمين إليه. وسوف يُنظر الى معاوية انه شخصية قد أحرزت مكاسب كبيرة لصالح الإسلام.

"التاريخ" الحكوكي

كتب د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، قسم التاريخ كلية الآداب-جامعة الملك سعود مقالاً تحت عنوان :التاريخ الشعبي – نجد المقال في موقع جامعة سعود:

http://faculty.ksu.edu.sa/834/Pages/topicacd2.aspx#_ftn23

به يندد بالتاريخ الحكوكي الذي ابتدعه عبيد بن شريه، وكيف انه قُبل من مؤرخين مسلمين مثل الطبري وابن خلدون رغم عدم اقتناعهم به. فنفهم من ذلك ان المؤرخين المسلمين قد قبلوا حكايات عبيد بن شرية وزملائه، واستخدموها رغم عدم قناعاتهم بها. فالمهم عندهم ليس الحق التاريخي، ولكن استخدام أي شيء حتى لو كانت قصصاً أسطورية ابتدعها عبيد بن شريه وزملائه، من اجل تثبيت القرآن.

ما مكانة هذه الخرافات في كتابات المؤرخين المسلمين. وهل ما زال العرب يعانون من هذا التزوير ؟

يقول الدكتور عبد الله العسكر:

"وقد نتج عن خلط التاريخ الشعبي الحكواتي بالتاريخ الرسمي المدون أن التاريخ الشعبي أثّر أولاً في العقلية العربية ولا يزال يؤثر فيها، فلا تزال تلك العقلية تعاني من هذا الأمر إلى الآن، ...ومن الرواة الذين أدوا دورًا بارزًا في التمهيد لهذا النوع من جعل التاريخ الشعبي تاريخًا رسميًا مدونًا الراويان: ودغفل بن حنظلة الدوسي البصري (ت 60هـ) عبيد بن شرية الجرهمي (70هـ). ولعل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان قد مهد السبيل لهما ولمجموعة من إخباريي بلاد الشام ليقوموا بهذا الدور .. ولكن ما أقدموا عليه أثّر في العقلية العربية وفي الخطاب العربي وفي الثقافة العربية، وفي النظر إلى التاريخ"

اذاً قد أهمل المؤرخون المسلمون التاريخ الرسمي، وتبنّوا القصصَ الشعبية وخرافاتها. وما حدث قد أثّر في العقلية العربية وفي نظرة المسلمين للتاريخ. فصاروا

ينظرون للتاريخ من وجهة نظر عبيد بن شريه الخرافي. وفاتهم التاريخ الرسمي الذي لو درسوه وأهملوا تاريخ عبيد وزملائه لنجحوا في اكتشاف أخطاء القرآن والتزوير القائم عليه.

جرهم وقطوراء ومكة

وجعل الكتّاب المسلمون ان إسماعيل قد ذهب الى مكة، وتزوج هناك امرأة من جُرهم، سمّاها ابن عباس السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي[1046]. وحوّل ابن إسحاق اسمها الى "رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي"[1047]. ولا يعرف كلٌّ من ابن عباس وابن إسحاق، ان الاسمين اللذين اختاراهما لزوجة إسماعيل هما اسمان عربيان متأخران من العصر الذي ولدا فيه. وان زمن إسماعيل في القرن العشرين قبل الميلاد لم يكن هناك لغة عربية – لغة الحجاز الذي كُتب بها القرآن، والتي صارت لغة العالم العربي بعد ان انتشر الإسلام في الشرق الأوسط.

واستمرت هذه الرواية تقول انه بينما كانت جرهم منهزمةً أمام خزاعة (القبيلة التي بنت مكة في القرن الرابع م.) وتاركةً مكة، قد خبأت الحجر الأسود مع غزالين ذهبيين في بئر زمزم. ثم طمروا البئر والحجر الأسود والغزالين بالتراب من اجل إخفاء الحجر الأسود والغزالين[1048]. قد ابتدعوا هذه القصة لكي يبرروا غياب الحجر الأسود من مكة عبر العصور القديمة، وغياب بئر زمزم الذي حفره لاحقاً عبد المطلب جد محمد. فطمْر بئر في غرب شبه الجزيرة العربية عن البدو الذين كانوا يستقون هم وجمالهم منه هو أمر مستحيل، اذ أسهل إخفاء البحر الأحمر عن أعينهم من إخفاء موقع البئر. فإنهم سوف يعودون في اليوم الثاني لحفره. وبناء على تلك القصص يكون جرهم قد عاش في مكة الى الوقت الذي أصاب الخراب سد مأرب، حيث خرجت قبيلة خزاعة من اليمن أي عام 150 ميلادي، والى وقت متأخر عن ذلك، أي عندما جاءت خزاعة نحو الجبال المحيطة بمكة في القرن الرابع ميلادي.

وجعل ابن إسحاق أولادَ عمٍ لجرهم تحت اسم "قطوراء"[1049]، وأنهم جاءوا من اليمن وصاروا سكان مكة واقتتلوا، وصار الأمر لجرهم، وخرجت قطوراء من مكة. نجد أقدم كلام عن هذه النزاع وعن اسم قطوراء موجودٌ في الكتاب الذي ألّفه ابن إسحاق "أي السيرة بحسب ابن هشام"[1050]. ومن حيث انه لا نجد ذِكراً لقطوراء قبل ان ابتدع عنهم ابن إسحاق، فواضح انه هو أصل تلك القصص.

ويدعي ابن إسحاق ان إسماعيل قد تعلم العربية من جرهم وسكن مكة[1051]. ولكننا نقول بان لغة اليمن في القرن الثالث عشر ق.م. هي اللغة السبئية القريبة من اللغة الأكادية والأمهرية، وبعيدة عن العربية. فكيف تكون لغة جرهم في اليمن في القرن العشرين ق.م. هي عربية وان جرهم قد علّم إسماعيل العربية ؟!

ولكي يدعم ابن إسحاق خرافته هذه ادعى ان قطوراء أول من تكلم العربية عند تبلبل الألسنة في بابل[1052]. مع ان اللغة العربية هي لغة حديثة نسبياً، وأقدم لهجة لها هي الثمودية، التي تعود للقرن الثامن ق.م. وهي غير مفهومة نسبة للغة قريش، التي هي لغة القرآن. ووضع ابن إسحاق شعراً قد نَسَبَه لجرهم. ولكن الشعر هو بلغة عربية حديثة من عصر ابن إسحاق[1053].

القبائل التي ادّعى المحدثون المسلمون في وجودها في مكة غير مُحققَّة في التاريخ من أي مصدر بعكس القبائل الأخرى

لو كانت جرهم أو القبائل الإسماعيلية هم سكان لمكة منذ أقدم العصور، لكانوا مكشوفين أولا لموسى، كاتب سفر التكوين، الذي ذكر تشعب القبائل من نوح. وقد ذكر قبائل متعددة في شبه الجزيرة العربية، ولكنه لم يذكر جرهم أو أي وجود لقبائل إسماعيلية في منطقة أواسط شبه الجزيرة العربية، مع انها كانت قريبة منه جغرافياً أكثر من غيرها من القبائل التي ذكرها. ثم نجد القبائل التي على الخط التجاري البري بين اليمن والهلال الخصيب، مثل سبا والمديانيين، مذكورة في الكتابات الأشورية. حتى قبيلة المديانيين الرئيسية وهي عيفة Ephah هي موثَّقة، وهي قبيلة قد انحدرت من واحد من أبناء ابراهيم في زواجه من قطورة، التي تزوجها بعد موت سارة. ويعتقد الباحثون بان قبيلة Hayappa المذكورة في كتابات تغلاث بيلصر الثالث وسرجون الثاني بأنها قبيلة عيفة Ephah. ولكن لا نجد أي ذِكرٍ لجرهم. فنجد قبائل إسماعيلية مذكورة من الأشوريين في مناطق مختلفة، دون ان يذكروا ان أي قبيلة إسماعيلية قد سكنت في أواسط غرب العربية، حيث بُنيت مكة في وقت لاحقاً.

ونجد الكتّاب الكلاسيكيين، سواءً كانوا جغرافيين أو مؤرخين، يذكرون القبائل على الخط البري الذي كان يربط اليمن بالهلال الخصيب، وكان كثيرون منهم يسيرون ذلك الخط. فذكروا الأنباط والمديانيين والثموديين واللحيانيين وغيرهم من القبائل. ولكن عندما وصلوا الى المنطقة التي بُنيت عليها مكة لم يذكروا أي قبيلة، مما يدل على انها كانت خالية من السكان الى فترة قريبة من العصر الميلادي. فمثلا استطلاع بلني لم يهمل أي منطقة من شبه الجزيرة العربية كانت مسكونة في زمانه. ولقد كان بلني مفصِّلاً في كتاباته لدرجة انه ذكر عن القبائل التي كانت تسكن الصحراء المعروفة اليوم بالنفود ؛ من هذه القبائل ذكر قبيلة Agraei. ولكن لم يذكر مكة، أو أي قبيلة تسكن في الموقع الذي بُنيت عليه مكة لاحقاً. ان غياب تلك القبائل التي ادّعاها المسلمون من الاستطلاع الجغرافي لبلني، كما من باقي الاستطلاعات الجغرافية السابقة لمثل أرتميدوروس واجاثارخيديس وسترابو، لدليل واضح على ان المسلمين أرادوا دعم القرآن في ادعائه المزيف من جهة مكة. فلقد افتعل المسلمون أسماء قبائل تسكن مكة، كذلك تاريخاً مزيفاً للمدينة لا يتفق مع التاريخ الرسمي والموثَّق من أعلام جغرافيين ومؤرخين يونانيين ورومانيين. فلو كانت تلك الادعاءات صحيحة، وان جرهم قد عاشت في مكة منذ عصر ابراهيم، وان القبائل الإسماعيلية قد سادت شبه الجزيرة العربية، لكانت جرهم أعظم من

الأمم التي حقق التاريخ وجودها بصورة غنية، مثل سبا ومعين. ولكان وجود القبائل الإسماعيلية في مكة مُحقَّقاً من حقائق التاريخ وعلم الآثار ورحلات الجغرافيين والمؤرخين. ولكن لا نجد المؤرخين والجغرافيين يذكرون جرهم، أو يذكرون ان قبائل إسماعيلية قد عاشت في المنطقة التي بُنيت عليها مكة لاحقاً.

اذاً فالقرآن لا يقدِّم لنا تاريخاً لعصر ابراهيم، وخاصة في منطقة مكة حيث ادّعى القرآن ان ابراهيم قد ذهب، وأسكن إسماعيل فيها وبنى الكعبة. ونجد ان ابتداع المسلمين في القرن السابع والثامن ميلادي لتاريخ لمكة ولسكان فيها هو غير موثَّقٍ ومخالفٍ للتاريخ الرسمي.

علم الاركيولوجيا والمدن المذكورة في سفر التكوين اثناء حياة ابراهيم واولاده

لقد سبق وذكرنا اسماء بعض المدن التي هاجمها كدرلعومر ملك عيلام مع الملوك حلفائه. وبينّا شهادة علم الاركيولوجيا لها. وذكرنا عن مدينة اور في جنوب ما بين النهرين، حيث ذكر سفر التكوين ان ابراهيم قد خرج منها اولاً. فهي مدينة غنية في الآثار وتاريخها مُحقَّقٌ من علماء الآثار. ثم رحل ابراهيم الى مدينة حاران. وذكر سفر التكوين اسماء مدن كانت موجودة اثناء حياة ابراهيم، مثل ساليم (اوروشليم) ودان-لايش وجرار. وذكر سفر التكوين ارتباط اسحاق في بئر السبع، ويعقوب في بيت ايل وشكيم ودوثان. فهي مدن مُحقَّقةٌ زمن ابراهيم واسحاق ويعقوب.

ويقول عالم الآثار البرايت Albright:

> "كل المدن المذكورة في السرد عن الآباء (ابراهيم وإسحاق ويعقوب) كانت موجودةً في العصر البرونزي المتوسط، كشكيم وبيت إيل اوروشليم (ساليم) وجرار ودوثان وبئر السبع"[1054]

وفيما يلي دراسة عن تلك المدن:

حاران: مدينة حاران كانت مركزاً تجارياً زمن ابراهيم وأبنائه، ولكنها هُجرت- كما سبق وذكرت في بداية هذا البحث- من الفترة بين 1800 الى 800 ق.م. فلو كان مؤلف سفر التكوين، كما يدّعي البعض، قد عاش في وقت متأخر جدا، فلن يختار حاران كالمدينة التي أقامت بها عائلة ابراهيم[1055].

دان أو لايش: الأمكنة التي كان ابراهيم وبقية الآباء يقفون بها كانت موجودة في العصر البرنزي المتوسط. مثلاً Laish لاَيِش التي في وقت لاحق كانت تُدعى "دان"، وكانت مدينة بأسوار. وذِكْرُها باسم دان في تكوين 14:4 هو تنقيح متأخر يعود الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أو ما بعد ذلك التاريخ. ونقرأ عن ذلك في سفر القضاة 18 : 29 ان اسمها كان لايش:

> وَدَعَوْا اسْمَ الْمَدِينَةِ «دَانَ» بِاسْمِ دَانٍ أَبِيهِمِ الَّذِي وُلِدَ لإِسْرَائِيلَ. وَلكِنَّ اسْمَ الْمَدِينَةِ أَوَّلاً «لاَيِشُ».

واسم لايش يأتي في الكتابات المصرية المعروفة باسم Execration texts، والتي تعود للقرن التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد[1056].

دوثان: دوثان المذكورة في تكوين 37 : 17، تبعد حوالي عشرة أميال عن السامرة. وكانت مدينةً في العصر البرونزي المتوسط. حفريات بواسطة البروفسور Joseph P. Free of Wheaton college ابتداء من عام 1953 أثبتت وجود طبقات تعبّر عن احتلالات للمدينة في عصور ما بين 3000 -100 سنة ق.م.[1057]

شكيم: كانت معروفة تحت اسم Sakmum في مسلة Stela of Khu -Sobec زمن فرعون سنوسرت الثالث (Sesostris III (Senusret III، وذلك حوالي عام 1860 ق. م. اذ كان الفرعون الخامس من السلالة الثانية عشر[1058].

بيت ايل: هي لوز في تكوين 28 : 19:

وَدَعَا اسْمَ ذلِكَ الْمَكَانِ «بَيْتَ إِيلَ»، وَلكِنِ اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوَّلاً كَانَ لُوزَ.

وكانت بيت ايل مدينةً معروفةً في العصر البرونزي المتوسط الاول والثاني.[1059] والحفريات التي أجريت في موقعها تدل على انها كانت موقعاً كنعانياً منذ حوالي 2500 سنة قبل الميلاد. وقد دُمِّرت عندما دخل الإسرائيليون ارض كنعان ثم أُعيد بنائها. واحتُلت عدة مرات حتى العصر البيزنطي[1060].

اوروشليم: مذكورة في سفر التكوين 14 : 18 تحت اسم ساليم، وكانت مدينةً هامةً زمن ابراهيم[1061]. ولقد بيّنت الحفريات التي أجريت في اوروشليم عام 1909تحت إدارة Parker، ان المدينة كانت قد بُنيت عدة قرون قبل ابراهيم[1062].

جرار: يعتقد الباحثون وعلماء الآثار ان جرار على الأغلب هي موقع Tel abu Hureirah(Tel Haror)، وبحسب الحفريات الحديثة كانت جرار بحجم كبير في العصر البرونزي المتوسط[1063].

حبرون: كانت حبرون موقعاً بأسوار في العصر البرونزي المتوسط. وتُعتبر بين المراكز الهامة في ارض كنعان. ووُجد هناك لوح مكتوب عليه بالخط المسماري، وعليه أسماء غرب سامية اضافة لاسم ربما حوري (من الحوريين)[1064].

نرى اذاً ان سفر التكوين يعطي صورةً واقعيةً وتاريخيةً لأسماء مدن كانت في بلاد ما بين النهرين وكنعان؛ البعض منها قد ازدهر في عصر ابراهيم. والبعض الآخر قد غاب في وقت لاحق، ثم ظهر في فترة متأخرة جدا، مثل بيت ايل ومدينة حاران. فلا يمكن ان تكون حياة ابراهيم قد جاءت الينا من كاتب متأخر عن عصر موسى، الذي استفاد من مذكرات ابراهيم التي وصلت إليه مروراً بيوسف ابن يعقوب، الذي كان قد أوصى بان عظامه تُحفظ وتُدفن في ارض كنعان، فكيف لا يحتفظوا في مذكرات عائلته – أي مذكرات جده الأكبر ابراهيم وجده إسحاق ووالده يعقوب.

انعدام المعلومات المُرافقة لادعاء محمد في القرآن عن ابراهيم

ولكننا عندما نأتي للقرآن نرى فقراً، بل انعداماً لذِكْرِ مدن في سرده لعصر ابراهيم، سوى هذه الأعداد من القرآن التي تدّعي في وضع ابراهيم ذريته في وادي جاف بدون زرع:

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37 "(سورة ابراهيم 14 : 36-37)

كل ما نفهمه من القرآن ان ابراهيم قد وضع من ذريته، يقصد إسماعيل، في وادي بدون زرع، أي وادي قاحل لا يُزرع فيه أشجار ومحاصيل، عند "بيتك الحرام"، يقصد به الكعبة. فلو ذهب ابراهيم الى منطقة مكة لكانت ستكون رحلةً هامةً، وموضوع تثبيت الرحلة سوف يكون ذا أهمية عظيمةٍ لدعم ديانة تدّعي انها قائمةٌ على ابراهيم، وعلى ذهابه الى غرب شبه الجزيرة العربية وبنائه هيكل لله هناك من اجل ان يضع أساسات ديانة قامت عليها الإسلامية بحسب القرآن ومحمد. ألا يُستحق ان يُعطى لهذه الرحلة قسطاً من التوضيح التاريخي والجغرافي ؟!.

حياة ابراهيم في الكتاب المقدس الغنية في الحقائق التاريخية واللاهوتية مقابل انعدام المعلومات في القرآن لديانة تدّعي في الارتكاز على ابراهيم

فحياة ابراهيم في الكتاب المقدس ورحلاته من أور وحاران وفي مدن كنعان ومصر، ثم رجوعه لأرض كنعان وسكناه هناك قد أُعطي لها 14 إصحاح في سفر التكوين. ابتداء من الإصحاح الحادي عشر الذي سجّل لنا سلسلة الجدود التي خرج منها ابراهيم ثم من إصحاح 12-24 التي احتوت حياة ابراهيم، بما فيها من حوادث وذِكر مدن وقبائل وتحالفات وحروب ومعاهدات وزيارات الرب له الذي أعطاه الوعود. والنبوات التي ذَكَرت عن ذهاب نسله لكي يُستعبد في ارض غريبةٌ لمدة أربعة قرون، ثم يعود لكي يمتلك ارضَ كنعان بعدما يدين الله الأمة التي سوف تستعبده. ونبوات عن مجيء المسيح من نسله لكي تتبارك به كل الشعوب، الأمر الذي كُرِّر لإسحاق ويعقوب في وقت لاحق. والنبوة الفريدة الرمزية التي ارتبطت في أمر الرب له ان يقدم ابنه وحيده الذي بقي معه أي إسحاق، وذلك بعد ان صرف إسماعيل والجارية من بيته، ان يقدمه على جبل المريا، أي على جبال اوروشليم. ثم فُدِي إسحاق بكبش نازل من السماء، إشارة للمسيح الذي أصله سماوي، ومات على نفس الجبل فداءً للبشرية. فكيف نجعل الآية رقم 37 من سورة ابراهيم ان تنسخ الحق المُعلن في أربعة عشر إصحاحا من سفر تكوين، بما فيها من حقائق تاريخية وجغرافية ولاهوتية فريدة، هي الأساس الحقيقي للإيمان الذي أراد الله ان يضعه للجنس البشري؟!.

خطورة قصد كاتب القرآن

هنا نرى ان موحي القرآن أراد إلغاء الأساسات التاريخية والروحية التي وضعها الله في سفر التكوين، لكي يزيغ قارئيه عن الحق، وعما به من مصداقية تاريخية وروحية عن وعوده التي ترتكز على تحضيره لمجيء المسيح وموته الفدائي عن الجنس البشري. وبذلك لا يعود يهتم القارئ في أساس خلاصه الأبدي من الخطية القائم على مجيء المسيح وموته على جبل المريا في اوروشليم. وينصرف القارئ لكذبة ان ابراهيم قد ذهب الى مكة وبنى معبداً، فيتحول القارئ عن البحث في شخصية الفادي وعمله الحقيقي في الفداء، نحو تدين وفرائض دينية وحج في منطقة مكة التي لم تكن موجودة زمن ابراهيم، كما سوف نبيِّن في الفقرات اللاحقة.

عدم وجود مكة قبل القرن الرابع ميلادي

مكة غائبة في استطلاعات الجغرافيين والمؤرخين الكلاسيكيين عصور ما قبل الميلاد

كانت البعثات التي أرسلها الاسكندر الى شبه الجزيرة العربية ذات أهمية خاصة، من حيث انه كان يخطط ان يحتل العربية، ولكنه مات قبل ان يحقِّق هذا الهدف. ونفهم من المؤرخ اليوناني أريان بأنّ الاسكندر قد أرسل ثلاث بعثات بحرية من بابل إلى شبه الجزيرة العربية. كانت أهم بعثة من الثلاثة هي البعثة الثالثة، وكانت تحت إمرة هيرون Hieron، الذي أبحر حول معظم سواحل شبه الجزيرة العربية[1065]. ثم وعلى غاية كبيرة من الأهمية البعثة الاستكشافية التي أرسلها الاسكندر بينما كان في مصر. فقد أرسل انكسيكريتوس Anaxicrates الذي انطلق من مدينة Heroopolis لكي يستكشف غرب شبه الجزيرة العربية. ويعتبر الباحثون بان استطلاع انكسيكريتوس كان ناجحاً جداً. فكما يقول الدكتور Himanshu Prabha Ray في كتابه The archaeology of seafaring in ancient South Asia الذي نشرته جامعة كامبردج: "لقد استكشف جميع المناطق الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية"[1066]. ويقول Burstein، الخبير في الجغرافية القديمة لشبه الجزيرة العربية، بان انكسيكريتوس قد زوّد "بسرد دقيق عن الحالة السياسية لغرب شبه الجزيرة العربية"[1067]. بمعنى آخر عن الممالك والمدن والقبائل التي كانت تسيطر على غرب شبه الجزيرة العربية. وكانت بعثة انكسيكريتوس مرجعاً هاماً للجغرافيين اليونانيين اللاحقين، الذين قد ضمّوا نتائج بعثته الى كتاباتهم. فمن حيث ان مكة غير مذكورة في أي من كتاباتهم، نستنتج بان مكة في القرن الرابع قبل الميلاد، تاريخ تلك الحملات، كانت غير موجودة. كذلك لا يوجد ذكر لأي قبيلة في المنطقة التي بُنيت عليها مكة لاحقاً.

وحقيقة غياب مكة مُكرَّرة في استطلاع أجاثار شيدس Agatharchides، الذي كتب بين عامي 145 و132 قبل الميلاد. وقد درس اغاثار شيدس كتابات الجغرافيين الذين كانوا قد أُرسلوا من الملوك البطالمة [1068]. وقد اعتمد أيضا على شهودَ عيانٍ؛ من

بينهم مبعوثين من الملوك، ومكتشفين وتجار الذين زاروا منطقة البحر الأحمر وما حولها من مدن[8]. واهم ملخّص لكتابه نجده في كتاب فوتيوس المدعو Bibliotheca [9].

وأهمية استطلاع أجاثار شيدس يكمن في انه قد وصف الساحل الشرقي للبحر الأحمر، بما عليه من أقوام وقبائل كانت تبعد عن الساحل أكثر مما كانت تبعد مكة عن الساحل. وذلك ابتداءً من خليج العقبة في أقصى الشمال إلى اليمن. ولكنه عندما وصل في وصفه المنطقة الوسطى من غرب شبه الجزيرة العربية، حيث بُنيت مكة في وقت لاحق، فلم يجد أي مدينةٍ أو قريةٍ تثبت انها كانت مسكونةً. فتلك المنطقة الجرداء لم يكن بها أي قرية أو معبد.

نفس الحقيقة نراها في استطلاع أرتميدورس Artemidorus من مدينة افسس في أسيا الصغرى. عاش أرتميدورس حوالي عام 103 قبل الميلاد. وقد جمع معلومات كثيرة من جغرافيين، كذلك من رحلاته الشخصية.[1069] ولقد وصف أرتميدورس كما فعل أجاثار شيدس الشريط المحاذي للبحر الأحمر. وعندما وصل للجزء حيث بُنيت مكة في وقت لاحق، لم يجد هناك أي سكان. فقد كان من الواضح من أنّ ذلك الجزء كان في زمانه غير مسكونٍ. فقد سار كثيراً إلى الجنوب لكي يجد ميناءً صغيراً. وجنوب ذلك الميناء كان هناك أرض مسكونة من شعب تحت اسم Debae. فكان هناك بعض البدو الرحل وقليل من المزارعين. ولكن لم يكن هناك مدن في تلك المنطقة. وكان عليه أن يسافر كثيراً باتجاه الحدود اليمنية لكي يجد بحسب كلماته "شعبا متمدنا"[1070]. بمعنى آخر فان الجزء الأوسط من غرب العربية، حيث بُنيت مكة في وقت لاحق، كان غير مسكون حوالي عام 103 قبل الميلاد. وهذا الجزء يفصل بين الشمال واليمن وكان مسكوناً فقط من بدو رحل.

الحملة الرومانية تؤكّد عدم وجود مكة في زمانها

والحملة الرومانية التي كانت حوالي عام 25 ق.م. أكدت نفس الحقيقة. اذ أراد الرومان احتلال غرب شبه العربية لمنع القرصنة، واحتلال اليمن للسيطرة على طريق التوابل. وقاد الحملة جالوس Gallus الحاكم الروماني لمصر آنذاك. ورافق الحملة المؤرخ والجغرافي المشهور سترابو. الذي كتب عن الحملة في كتابه السادس

[8] - مقاطع متعددة من كتاب On the Erythraean Sea تشير على ان أجاثار شيدس قد استشار شهود عيان واخرين كانوا قد زاروا المنطقة. انظر بشكل خاص الى مقطع fragment 41

[9] - مع ان كتاب اجاثار شيدس غير موجود الان، ولكن حُفظت معلوماته من خلال نقل الكتاب الكلاسكيين خاصة فوتيوس Photius وديودوروس Diodorus وسترابو. ونجد ملخصاً جيدا للكتاب الخامس لاغاثار شيدس في كتاب ديودوروس (Library of History) والاصحاحات 12-48 . وهناك تلخيص في كتاب Bibliotheca لفوتيوس، خاصة Codex 250.

عشر.(راجع تفاصيل الحملة في كتاب سترابوThe Geography of Strabo, Book (XVI. 4. 24

نسبة لاشتراك المؤرخ سترابو في الحملة، قد وصف زحف الجيش من مدينة Leuce Come لويكي كومي، التي تعني "القرية البيضاء" على البحر الأحمر. والقرية البيضاء كانت تقع بالنسبة لخارطة شبه الجزيرة العربية في أيامنا، في الحوراء وهي تبعد حوالي 280 ميل عن المكان الذي بُنيت به مكة في وقت لاحق. ثم زحف الجيش إلى مدينة الحجر التي كانت تحت سيطرة الأنباط. ومرَّ بأواسط غرب العربية حيث بنيت مكة في وقت لاحق، حيث وصف سترابو أراضي قاحلة. ومن هناك يصف سترابو:

> "البلد التالي الذي عبر به جالوس كان للبدو ومعظمه صحراوي . ويُدعى بـ Ararene . ولقد استغرق جالوس خمسون يوما حتى وصل إلى نجراني".

ونجراني هي مدينة نجران الواقعة على الحدود اليمنية، وتبعد 385 ميلا عن مكة. وحوالي 125 ميلاً عن شاطئ البحر الأحمر.

هناك شيء آخر يدعو للاعتبار: وهو أنه بعد أن فشل جالوس من احتلال مدينة مأرب، قد استبدل سيليوس Syllaeus النبطي كدليل. واعتمد على خبراء محليين للعودة لنجران، ثم إلى القرية النبطية لوكي كومي Leuce Come. ونتيجة لذلك جعل عملية الرجوع بأكثر سرعة. ماراً من خلال القرى التي كانت مبنيةً على خط القوافل البري حيث بُنيت مكة في وقت لاحق. ولقد ذكر سترابو كل تلك القرى بالاسم، ولكنه لم يذكر مكة. فقد مرّ بقرية تدعى هبتا فرياتا Hepta phreata، ثم تحرك إلى مدينة أخرى تدعى Chaalla. ثم إلى قرية تدعى مالوثا Malotha، والتي هي مالوثان Malothan، التي كانت تقع بالقرب من المدينة الحالية جدة، التي تبعد حوالي 30 ميل عن مكة. ولكن بين مالوثا أو مالوثان و Egra أو الحجر (التي تقع شمال المنطقة التي بُنيت عليها مكة في وقت لاحق) لم تكن هناك قرى قد ذكرها سترابو الجغرافي والمؤرخ المُرافِق للحملة. لقد احتاج جالوس بصورة طارئة إلى تزويدٍ في الماء والطعام. ولكنه لم يجد قرىً لكي تعطيه شيئاً من الراحة، وتزوِّد جنوده في المئونة، وذلك في المنطقة التي بُنيت عليها مكة في وقت لاحق.

كتاب الطواف حول البحر الارثري يؤكِّد غياب مكة في القرن الاول الميلادي

وحقيقة غياب مكة في القرن الاول م. نستدلّه من أكثر من مصدر. مثل كتاب الطواف حول البحر الارثري – أي البحر الأحمر. وقد كُتب بين عامي 58 و 62 ميلادي[1071]. كان الكاتب مجهول الاسم، وكان يقطن في مدينة Berenice على الساحل الغربي من البحر الأحمر، مقابل أواسط غرب العربية. وتلك المدينة كانت تبعد حوالي 200 إلى 220 ميلا عن المكان حيث بُنيت مكة في وقت لاحق. ونسبةً لمكان سكنى

الكاتب، فكان لا شك خبيراً في المنطقة. ولقد ذكر جميع القرى والمدن على الشريط بعمق 100 ميل عن البحر الأحمر، ولكنه لم يذكر مكة.

استطلاع بلني يؤكد حقيقة غياب مكة في القرن الاول ميلادي

وهناك أيضا كتاب بلني، المؤرخ الروماني. واسم كتابه "التاريخ الطبيعي" Natural History، ويعود الى ما بين عامي 72 و 76 ميلادي[10]. وغطّى بلني في استطلاعه المشهور جميع شبه الجزيرة العربية. ففي الكتاب السادس من التاريخ الطبيعي، وفي الفصلين الطويلين 32 و 33، كتب بتفصيل عن شبه الجزيرة العربية. وقد ذكر 92 بلداً وقبيلةً في شبه الجزيرة العربية. وذكر عدداً كبيراً من المدن والقرى كانت في شبه الجزيرة العربية في زمانه. ولكنه لم يذكر مكة، ولم يذكر أي قبيلة تسكن في المنطقة التي بنيت عليها مكة في وقت لاحق. ولم يذكر أي من القبائل التي ادّعى الكتّاب الأوائل المسلمين انها عاشت في مكة في القرون الأولى بعد الميلاد، مثل جرهم.

استطلاع بطليموس في القرن الثاني م يؤكد ان مكة لم تكن موجودة

كذلك فبطليموس، الجغرافي اليوناني المشهور الذي عاش في الإسكندرية في القرن الثاني م. قد ذكر أسماء المدن في شبه الجزيرة العربية في زمانه، ولكنه لم يذكر مكة. وفي الكتاب السادس من "جغرافية" والإصحاح السابع، يسجل بطليموس خطوط العرض والطول لعدة مواقع في شبه الجزيرة العربية [1072]. في دراسة تلك المواقع والخطوط، نجد انه لا يذكر مكة. كذلك فانه لم يذكر أي مدينة في الشريط حيث مكة قد بُنيت لاحقاً.

ماكوربا ليست مكة

لقد ذكر بطليموس ماكوربا كقرية أو مدينة في العمق. ورغم ان المسلمين يودون ان يحققوا تلك القرية بمكة. إلا ان بطليموس قد وضعها بالقرب من الساحل العُماني. اذ وضعها كخط طول شرق مدينة Lathrippa التي هي Yathrib يثرب، أي المدينة. ووضعها على خط طول على بُعد 3 درجات وثلث شرق من يثرب، بينما مكة هي غرب يثرب. لذلك لا يمكن ان تكون ماكوربا هي مكة، ولا أن تكون مدينة باتجاه المكان الذي بُنيت عليه مكة لاحقاً. بالنسبة لخط العرض لقد ذكر بطليموس ماكوربا ليس كالمدينة

[10] - يتفق الباحثون على ان بلني قد كتب Natural History بعد تاريخ كتابة كتاب The Periplus of the Erythraean Sea . ذلك بسبب ان بلني قد ادخل في كتابه عناصر متعددة موصوفة في الكتاب الاخير، خاصة عن العربية السعيدة اي اليمن. ومعروف بان بلني قد انهى كتابه Natural History بين عامي 72-76 م.

الثانيـة جنوبـاً مـن يثـرب، ولكـن كالمدينـة السادسـة جنوبـاً. فقد حـدَّد مدينـة قارنـا Carna كالمدينة الأولـى جنوبـاً مـن يثـرب، وحـدَّد ماكوربـا كالسادسـة جنوبـا. وقارنـا كانـت مدينـة معروفـة جيـدا كمدينـة يمنيـة معينيـة ذكرهـا سترابو[1073]. اذ كانـت فـي ماضـيها عاصـمة للمعينيين. ونستنتج بأنّه بحسب خط العرض، كانت ماكوربا تقع في جنوب شبه الجزيـرة العربيـة، جنـوب مدينـة قارنـا. ولقد ذكـر بلنـي مدينـة تحـت اسـم موكوربـا Mochorbe. وقال عنها انها ميناء لعمان على شاطئ حضرموت في جنوبي شبه الجزيرة العربيـة[1074]. من المحتمل جدا أن ماكوربا مشتقة من موكوربا.

ومن حيث أنّ ماكوربا لم تظهر في أي كتابة أو كتاب غير كتـاب بطليمـوس، لا بـد أنّها كانت موقعاً صغيراً أو قرية صـغيرة قد ظهـرت فـي عصـر بطليمـوس وتلاشـت فـي القرن الثاني م.

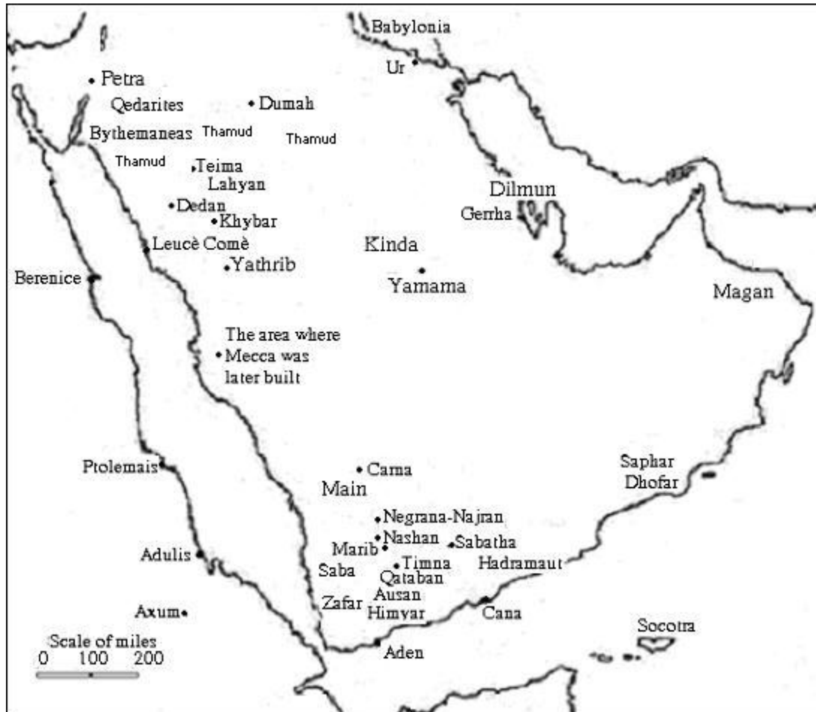
وغياب مكة في القرن الثالث م. مؤكَّدٌ من الكتابـات الإثيوبيـة والسـريانية والآراميـة والقبطية التي تطرقت كلها للحديث عن شبه الجزيرة العربية ومـدنها. فذاك مُسلَّم بـه مـن كل الباحثين مثل البحاثة كرون وغيرها ممن تطرقوا لتاريخ مكـة. فمكـة لـم تكـن مـذكورة من أي من تلك الكتابات[1075].

المعبد الشمالي الذي وصفه أجاثار شيدس في منطقة خليج العقبة

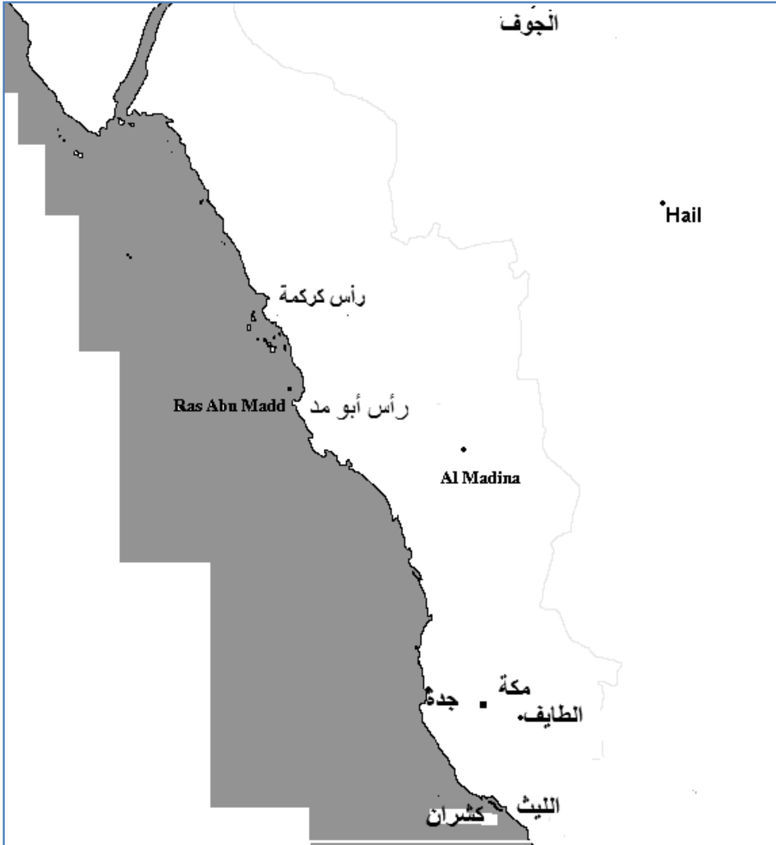
في غيـاب مكة ومعبدها من كتابات الجغرافيين اليونـانيين والرومـان، يحـاول بعـض المسلمين ان يجعلوا معبداً في شمال شبه الجزيرة العربية انه كعبـة مكـة ، اذ ذكـر أجاثـار شيدس – كما نفهم مـن Diodorus ديـودوروس عـن معبـد قريـب مـن إيـلات فـي منطقـة خلـــيج العقبـــة. وصـــفه بـــأرض تســـكن بهـــا قبيلـــة تحـــت اســـم باتميزومـــانيس Batmizomaneis. وانه "كان موقّرا بصورة خاصة من جميع العرب" [1076]

ولتحديد بدقة مكان هذا المعبد، لا بد مـن إتبـاع سـرد أجاثـار شـيدس نفسـه، كمـا هـو منقول من فتيـوس وديودوريـوس. فقد بـدأ أجاثـار شيدس فـي وصـف المنـاطق التـي تقـع شمال المعبـد، بمـا فيـه الأنبـاط حـول خلـيج العقبـة (الجـزء الشـمالي مـن خلـيج العقبـة كـان يُسمّى فـي زمانـه خلـيج Laeanites Gulf). ثـم وصـف المنـاطق جنـوب المعبـد وهـم الثموديين، الذين نعلم انهم كانوا في منطقة خليج العقبة. وهم يبعدون جدا عن مكة.

خارطة رقم 1


Babylonia
Ur
Petra
Qedarites
Dumah
Bythemaneas
Thamud
Thamud
Thamud
Teima
Lahyan
Dedan
Khybar
Leucè Comè
Yathrib
Dilmun
Gerrha
Kinda
Yamama
Berenice
Magan
The area where
Mecca was
later built
Ptolemais
Carna
Main
Saphar
Dhofar
Negrana-Najran
Nashan
Sabatha
Marib
Adulis
Timna
Saba
Qataban
Hadramaut
Zafar
Ausan
Himyar
Cana
Axum
Socotra
Scale of miles
0 100 200
Aden

خارطة رقم 2


الجوف
Hail
رأس كركمة
Ras Abu Madd
رأس أبو مد
Al Madina
مكة
جدة
الطايف
الليث
كشران

وبعدما ذكر فوتيوس منطقة الثموديين، أتى لكي يصف الجزء الذي يقع جنوبهم[1077]. لقد حقق الباحثون ذلك الجزء كالجزء الممتد بين رأس كركمة Ras karama ويقع في خط (طول-شمال 25 : 54) و(عرض – شرق 36 : 39) و(راس ابو مد) Ras Abu Madd (شمال 24 :50 وشرق 37 :08)[1078] . وراس ابو مد حوالي 450 كم من مكة. وهذه الدراسة الدقيقة تبين بوضوح من ان المعبد المذكور من ديودوروس كان في منطقة خليج العقبة، شمالي منطقة الثموديين ولا يمكن تحقيقه بكعبة مكة (انظر خارطة رقم 2). فكان المعبد الشمالي مبنياً على طريق القوافل المتجهة الى بترا عاصمة الأنباط. لذلك كانت القوافل تستريح هناك وتتعبد فيه. وقد ذكره نونوسوس Nonnosus في القرن السادس م. انه في واحة Phoinikon، وان سكانه كانوا السراسنة [1079] وكانوا في القرن السادس يسكنون في خليج العقبة وجنوب شرق الاردن. ويعتقد الباحثون ان المعبد كان في تبوك، وكان محمد قد زاره في غزوة تبوك.(راجع البحث عن المعبد الشمالي في كتاب النجم الأكبر للدكتور رأفت عماري).

علم الآثار وغياب مكة

بعكس المدن والممالك في شبه الجزيرة العربية، مكة لا تملك موجودات أثرية

مكة بدون موجودات أثرية يدعم ادّعاء وجودها من عصر ابراهيم. فكل الحضارات التي نشأت في العربية مُحقَّقة بصورة كبيرة من خلال غنى الآثار. فمدن الشمال مثل ديدان وتيما محقق وجودها من خلال الآثار، رغم انهما قد بُنيتا في القرن التاسع ق.م. أو بعده. كذلك الأمر بالنسبة لقبيلة ثمود التي ظهرت في القرن الثامن ق.م. ولحيان التي ظهرت في القرن الرابع ق.م. ولكن مكة التي يدّعي المسلمون انها موجودة من قبل عصر ابراهيم، لا تملك أي أثر اريكيولوجي يدل على انها أقدم من القرن الرابع م. كذلك فان الممالك جنوب مكة باتجاه اليمن مُحقَّق وجودها بغزارة. فنستطيع أن نتحقق بوضوح من بعض أسماء ملوكها. والبعض من هذه الممالك هي صغيرة، ومع ذلك لها موجودات أثرية تعطي تفاصيل عنها. ومن هذه الممالك نذكر مملكة Haram، التي تملك سلالة ملوكية تبدأ من الملك Yaharil عام 600 قبل الميلاد[1080]، وتنتهي بالملك معد كارب ريدان الذي حكم من عام 190 إلى 175 قبل الميلاد[1081]. وهناك مملكة Inabba، ومن ملوكها البارزين Waqahil Yafush الذي حكم بين عامي 550 و 530 قبل الميلاد [1082]. وهناك ممالك يمنية أكبر وأهم، ونجد بها سلالات الملوك تقريبا متكاملة مثل مملكة قتبان. ولمن هو مهتم في متابعة هذه الدراسة فإننا ننصحه بالرجوع إلى كتابي Islam in Light of History "الإسلام على ضوء التاريخ". سيجد القارئ مثلا بأنّ سبا (وفي وقت لاحق حمير) لها سلسلة من الملوك تبلغ 102 ملكا تبدأ من القرن التاسع قبل الميلاد، وفي قرون بعد الميلاد تستمر سلالة الملوك السبئيين حتى سقطت سبا عام 275 م. وتستمر سلالة ملوك حمير حيث تنتهي في القرن السادس الميلادي. فتقريبا نجد في كل قرن أسماء الملوك الذين حكموا. وهنا نرى استحالة ان

مكة كانت موجودة في العصور الغابرة. فلو كانت حقاً موجودة لكانت تملك تحقيقاً لأسماء ملوكها في كل قرن. خاصة عندما نعرف نسبة أن الأمطار في منطقة مكة أقل بكثير منها في اليمن حيث نشأت تلك الممالك. ذلك عامل مهم في الحفاظ على الموجودات الأثرية.

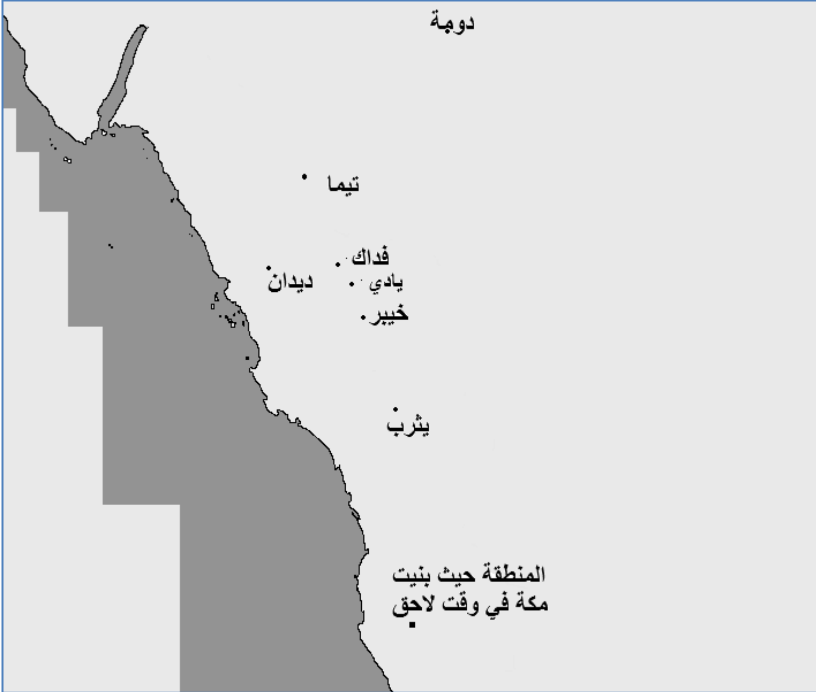
أيضا الممالك القديمة في شرق شبه الجزيرة العربية، مثل مملكة دلمون في البحرين ومملكة مجن في عمان، والتي جميعها تعود إلى عدة آلاف سنة قبل الميلاد، وكانت موجودة زمن إبراهيم، تملك موجودات أثرية ونقوشاً بغنى.

مكة غير مذكورة في الكتابات المنقوشة لمدن وممالك أخرى

ومكة غائبة في الكتابات المنقوشة اليمنية كما في الكتابات في مدن شمال العربية. ذلك رغم إننا نملك ذِكراً لمدن عربية في تلك الكتابات المنقوشة. كذلك فإننا نرى أن مكة غائبة في دراستنا لسجلات ونقوش الدول التي احتلت المنطقة سواءً من ممالك عربية أو خارجية. لا نجد ذِكراً لمكة في الكتابات المعينية أو النبطية أو اللحيانية أو الحميرية، رغم ان تلك الشعوب قد توسعت في انتشار تجارتها في تلك المنطقة، وذكرت أسماء مدن موجودة في شمال شبه الجزيرة العربية.

ولقد احتل الأشوريون والبابليون والفرس والرومان مناطق من شمال ووسط شبه الجزيرة العربية. ولكن لم تذكر سجلات ومنقوشات هذه الإمبراطوريات القديمة مدينة مكة. كذلك الأمر بالنسبة للمنقوشات الكلدانية. فمثلا نبونيدوس الذي حكم بين عامي 556 و539 قبل الميلاد، قد احتل شمال العربية ومعلومات عن هذا الملك وحملاته العسكرية نجدها في منقوشات مدينة حاران والمعروفة تحت اسم H2 و Nabonidus and the Royal Chronicles وأيضاً المنقوشات المعروفة تحت اسم Verse Account of Nabonidus. فقد ترك نبونيدوس زمام سلطة الإمبراطورية بيد ابنه بلشصر، وسافر إلى مدينة تيما في شمال شبه الجزيرة العربية، واحتلها وجعلها مركز إقامته[1083]. ومن خلال المنقوشات التي تسمى The Harran Inscriptions of Nabonidus نعرف أنّه خلال إقامته في تيما قد احتل ديدان و(فدك)، ثم احتل خيبر و(يادي) ويثرب أي المدينة[1084]. ومع أنّه قد سيطر على جميع المنطقة بما فيه الحجاز، لم يذكر مدينة مكة في كتاباته. لو كانت مكة موجودةً في زمانه لكانت هدفاً رئيسياً هاما له، إذ لكانت المدينة الوحيدة في المنطقة التي لم يحتلها. (انظر الخارطة رقم 3 في الصفحة التالية)

خارطة رقم 3


دومة
تيما
فداك
يادي
ديدان
خيبر
يثرب
المنطقة حيث بنيت
مكة في وقت لاحق

مكة غائبة في الحركة التجارية

لـم تكن مكـة غائبـة فـي السجلات العسكرية لممالـك الأشـوريين والكلدانيين فقط، حيث كانت الممالك والمدن والقبائل على الخط التجاري تعمل تحالفات عسكرية وتهاجم حدود تلك الإمبراطوريـة، ولكنهـا كانـت غائبـة أيضـاً فـي الحركـة التجاريـة لمدن ودول وقبائـل تلـك المنطقـة. فقد كانـت المـدن والقبائـل علـى الخطـوط التجاريـة تقدم جزيـة للأشوريين والكلدانيين لكي تسهِّل حركتها التجارية. ولكن لا نجد أي ذِكرٍ لمكة رغم ان أساس حياتها هو التجارة.

وهناك أيضا عنصر آخر يدل على عدم وجودها في تلك العصور. وهي أنّنا نجد المنقوشات والسجلات للدول الكبيرة، مثل الأشورية والمصرية، تذكر أسماء تجار كانوا يتاجرون معهم من مدن وقبائل في شبه الجزيرة العربية، ولكننا لا نجد أي تاجر مذكور من مدينة مكة. (راجع كتابي: الإسلام في ضوء التاريخ).

بعكس مدن وقبائل اخرى في العربية، مكة غير مذكورة في الكتاب المقدس

كذلك فإننا نجد مدناً مثل ديدان وتيما وقيدار مذكورة في الكتاب المقدس عشرات المرات. وقبائل مثل السبئيين والمعينيين مذكورة في الكتاب المقدس مرات كثيرة. فالكتاب المقدس يُعتبر مرجعاً هاماً لكثير من المعلومات التاريخية القديمة. وعدم ذِكر مكة في فترة كبيرة من عصر إبراهيم حتى آخر زمن لآخر سفر وهو ملاخي في القرن الخامس قبل الميلاد، هو في الحقيقة تأكيد كبير على أنّ مكة لم تكن موجودة خلال تلك الأحقاب الزمنية الكبيرة.

بعض المسلمين يتطلعون الى مزمور 84 والعدد 6 الذي يقول :"عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ، يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعًا. أَيْضًا بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ"، جاعلين ان صاحب المزمور قصد بكلمة البكاء التي هي في العبرانية بكا، انها بكة (اسم آخر لمكة في القرآن). ولكنهم يتناسون العدد الذي يتلو من المزمور والذي يقول "يَذْهَبُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ. يُرَوْنَ قُدَّامَ اللهِ فِي صِهْيَوْنَ". اي انهم هم ذاهبون الى جبل صهيون حيث بُني هيكل سليمان لكي يعبدوا الرب هناك، وليس الى مكة.

ادّعاء القرآن ان إسماعيل ونسله أي الاسماعيليين قد عاشوا في مكة

لقد ذكر الكتاب المقدس ان هاجر الجارية وابنها إسماعيل، قد عاشا في برية فاران بعد ان صُرِفا من بيت ابراهيم. وبرية فاران تقع في الجهة الشمالية الشرقية من سيناء، كما نفهم ان موسى أرسل اثني عشر جاسوساً من فاران لكي يتجسسوا ارض كنعان. فكان من المستحيل ان هاجر تسافر لأرض لم تكن معروفة في جيلها. اذ لم يكن هناك خطوط برية في زمانها تتصل في غرب العربية، من حيث ان الخطوط البرية قد ظهرت فقط بعد بناء مدن شمال العربية، مثل ديدان وتيما وقيدار في القرن التاسع ق.م. والتي صارت تموّن القوافل بالماء والطعام. ومعروف ان تلك الخطوط البرية كانت توصل

اليمن بالهلال الخصيب. ولم يكن هناك أي اتصال بين الهلال الخصيب واليمن قبل ظهور مملكة سبا في اليمن التي ظهرت في القرن الثالث عشر ق.م.

فكيف تسير جارية مع ابنها عبر صحراء قاحلة ولآلاف الكيلومترات، في عصر لم يكن أحد قبلها قد سار تلك الطريق. وقد كانت القوافل بعد ظهور الطرق البرية بين اليمن والهلال الخصيب تسير في آلاف من الإبل، محروسةً جدا بسبب المخاطر الكثيرة من قراصنة وبدو متوحشين، ومزوَّدة بكميات كبيرة من الماء والطعام لطول الطريق التي كانت تتطلب شهوراً. فهل تستطيع امرأة وحدها، في قربة ماء صغيرة، ان تقطع تلك الصحاري القاحلة، وتسير لمدة شهور لوحدها، لكي تصل أرضا غير مسكونة؟!.

إسماعيل والاسماعيليون قد عاشوا في صحراء سيناء

وإسماعيل قد عاش في برية فاران طيلة حياته. ونعرف انه كان له علاقة مع عيسو ابن إسحاق، حيث ان عيسو قد تزوج ابنة إسماعيل. وقد اشترك إسماعيل مع إسحاق في دفن ابراهيم (تكوين 25 : 9). فلو كان يسكن في مكة لما استطاع ذلك، من حيث ان الدفن كان يجري بنفس اليوم بسبب عدم وجود البرادات.

ولقد عُرف الاسماعيليون في سكناهم في سيناء عبر كل تاريخهم. فقد ذكر موسى عن أسباطهم ألاثني عشر انهم يسكنون سيناء في زمانه، أي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد (راجع سفر التكوين 25: 12-18). وعندما ندرس الكتابات الأشورية نجدهم يسكنون سيناء حتى القرن العاشر قبل الميلاد، حيث كثير من قبائلهم نزحت من سيناء إلى مختلف صحاري الهلال الخصيب. فقط قبيلتا قيدار وتيما قد رحلتا إلى داخل شبه الجزيرة العربية، على مقربة من الحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية. ولكن لا يوجد أي قبيلة من قبائل الاسماعيليين قد هاجرت باتجاه المنطقة التي بُنيت عليها مكة في وقت لاحق.

لم يظهر اسم ابراهيم وإسماعيل في شبه الجزيرة العربية قبل تهوّد وتنصّر بعض القبائل فيها

وهناك أمر آخر يستدعي الانتباه. وهو كون الإسرائيليون من نسل ابراهيم هي حقيقة مشهود لها في كل جيل إسرائيلي. فنرى مثلاً اسم ابراهيم وأفراد السلالة المسيانية المنحدرة منه معبَّراً عنها في الكتابات العبرية في كل عصر. وحقيقة ان ابراهيم كان أبا للعبرانيين قد ترك أثره في الحياة الروحية والثقافية والاجتماعية الإسرائيلية عبر مراحل التاريخ، محرِّضاً إياهم على إتباع إيمانه.

ولكننا في المقابل، لا نجد في تاريخ العربية ذِكراً لإبراهيم. لا نجد ذلك حتى في العصر الجاهلي. وما ظهور بعض أسماء شخصيات الكتاب المقدس وسط العرب إلا لان

بعض القبائل العربية قد تهوَّدت أو تنصرت. ونجد ابن الكلبي يذكر شخصين فقط قد تسمّيا باسم ابراهيم وأيوب، ويعزي ذلك لانتشار النصرانية بين القبائل:

"وأول من سمِّي بهذا الاسم – يقصد ايوب - من العرب جد عدي بن زيد بن حمان ابن زيد بن أيوب، من بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم، قاله أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني. قلت: وأيوب الذي ذكره: بطن بالكوفة، وهو ابن مجروف بن عامر ابن العصبة بن امرىء القيس بن زيد مناة، فولد أيوب إبراهيم وسلم وثعلبة وزيد، منهم عدي بن زيد بن حمان ابن زيد بن أيوب بن مجروف الشاعر ومنهم مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب الذي نسب إليه قصر مقاتل، وقال ابن الكلبي، لا أعرف في الجاهلية من العرب أيوب وإبراهيم غير هذين، وإنما سميا بهذين الاسمين للنصرانية، كذا قال البلاذري"[1085]

وعندما ندرس الوضع قبل دخول اليهودية والنصرانية الى شبه الجزيرة العربية، لا نجد هناك في الكتابات المنقوشة في شبه الجزيرة العربية أي اسم من أعلام الكتاب المقدس، بما فيه ابراهيم وإسماعيل. من ناحية تاريخية، آباء الأمم مرارا ما يُذكروا عبر الأجيال. فلو كان العرب من نسل ابراهيم وإسماعيل يبدو أمراً مُستغرَباً كيف ان العرب لم يذكروا هذين الاسمين في كل تاريخهم القديم. نجد مثلاً ان اسم إسرائيل، وهو الاسم الذي دعا الله يعقوب به، مذكوراً في الأدب والثقافة والكتابات العبرية عبر كل العصور. وذكر الإسرائيليون أيضا اسم إسماعيل مرات كثيرة في تاريخهم، ذلك رغم انه لم يكن أبا لهم. كذلك فان أسماء ابراهيم وإسحاق ويعقوب عبارة عن أسماء عامة في التراث العبري، تشهد لأصل الإسرائيليين من نسل ابراهيم.

وليس تلك الظاهرة محصورة على الإسرائيليين. نجد مثلاً في سفر التكوين 10: 8-11 ان نمرود هو أب البابليين والأشوريين. وفي الحقيقة اسم نمرود هو شائع في التراث الأشوري والبابلي. فهناك أسماء أشخاص وأمكنة مُسمّاة على اسم نمرود. فعاصمة الأشوريين القديمة كانت تسمى نمرود. وهذا يشهد لكون الأعلام الهامة مثل أب الأمة ، يبقى مذكورا عادةً من الأجيال اللاحقة.

بعكس ذلك، نجد ان الكتابات في شبه العربية لم تتحدث عن ابراهيم وإسماعيل. لكنها بدل ذلك تذكر أسماء رجال وآلهة مميزة تختص في الثقافة الوثنية لشبه الجزيرة العربية. كيف ممكن ان يكون إسماعيل أبا للعرب، في وقت لا نرى اسمه مذكوراً في أي كتابة منقوشة عربية ؟!. الجواب واضح وهو انه يستحيل ان يكون إسماعيل أباً للعرب. ثم كيف يكون إسماعيل قد أسس ديانة توحيدية في مكة وشبه الجزيرة العربية، بدون ان نرى أي أثر لاسمه في أي كتابة في شبه الجزيرة العربية؟!

ادعاء في دعوة للنبوة في العرب بدون أساسات سابقة مُحضِّرة لذلك

والأكثر من ذلك كيف يكون هناك دعوة للعرب في النبوة في وقت لم يسبق ان الله قد زرع في شبه الجزيرة العربية وعوداً إلهية وأنبياء وأسفاراً موحاة منه. فهل يختار الله

نبيا في الصين لكي يكون رأس ديانة خاتمة للعالم وهو قد اختار كل الأنبياء في التاريخ من إسرائيل ؟! فقد اختار الله كل الأنبياء من إسرائيل لكي يحضّروا لمجيء المخلص الذي أتى من نسل ابراهيم الموعود وداود الموعود أيضا، وهذا المخلص هو المسيح. ومنافسة خطة الله وترتيبه في خط آخر لم يُعرف له تداخل الله في نبوة هو عمل مقلّد للحق وسهل تمييز تزييفه.

شهادة عن اسم ابراهيم خارج الكتاب المقدس

نجد اسم ابراهيم أب العبرانيين في القائمة المصرية للملك Shoshenq I (Shishak)، والتي تعود لعام 925 ق. م. ويقول كشن بان اسم ابراهيم خارج الكتاب المقدس نراه في هذه القائمة كرقم 71-72 وهو مكان كان قد احتله شيشق وموضوع تحت اسم حظيرة أو تطويق ابراهيم. ويقول أيضا ان المكان هو النجف. وهو يتفق ذلك مع المكان الذي كان يعيش به ابراهيم واسحق[1086]، كما نقرأ في سفر التكوين:

"وَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ، وَتَغَرَّبَ فِي جَرَارَ.(تكوين 20 : 1)؛ "وَكَانَ إِسْحَاقُ قَدْ أَتَى مِنْ وُرُودِ بِئْرِ لَحَيْ رُئِي، إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ"
تكوين (24 :62)

مما يوحي بان المكان قد تُسمى على اسم ابراهيم. وعالم الآثار Yohanan Aharoni يعتقد بان المصريين كانوا يعرفون بان مدينة بئر السبع كانت معروفة بهذا الاسم القديم. الأمر الذي يشير على انها كانت مُسماة بهذا الاسم، بسبب ان ابراهيم كان المؤسس الأصلي لهذه المدينة، كما نرى من سفر التكوين 21 :31-32. واقترح Roland Hendel:

"بانه عندما تبني دولةٌ أبنية مُحصَّنةً، من الطبيعي ان تسمِّيها باسم أشخاص مشهورين أو أبطال الأمة. وإبراهيم كاسم في الكتاب المقدس يتفق مع ذلك"[1087]

هل ابراهيم وإسماعيل قد بنيا الكعبة ؟

يدّعي القرآن في سورة البقرة 127 ان ابراهيم وإسماعيل قد رفعا قواعد الكعبة، أي هما البانيان:

"وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ. رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "

إلا ان تاريخ بناء الكعبة لا يوافق على هذا الادعاء. فكانت الكعبة عبارة عن خيمة كما نعرف من الازرقي كاتب تاريخ مكة[1088]، وذلك في القرن الخامس الميلادي عندما احتل مكةَ الملكُ الحميري أسعد أبو كرب، الملَّقب بتبع الأكبر (حكم حمير بين عامي 410 – 435 ميلادي).

لقد خرجت قبيلة خزاعة من اليمن بعد خراب سد مأرب حوالي 150 م. ثم في القرن الرابع م. بنت مكة على الجبال وليس في الوادي. ذلك بسبب ان الوادي كان ينجرف في بعض الفصول من سيول المطر. وكانت خزاعة في الجبال أكثر أماناً، من حيث السكن في الوادي كان يتطلب بناء سور وحصون. وبقيت مكة على الجبال الى ان احتلها قصي بن كلاب الجد الخامس لمحمد، اذ طرد خزاعة. فيقول جواد علي الباحث العراقي المشهور:

"ويظهر من سكوت أهل الأخبار عن الإشارة إلى وجود أُطم أو حصون في مكة للدفاع عنها، إن هذه المدينة الآمنة لم تكن ذات حصون وبروج ولا سور يحميها من احتمال غزو الأعراب أو أي عدو لها. ويظهر إن ذلك إنما كان بسبب إن مكة لم تكن قبل أيام "قصيّ" في هذا الوادي الذي يتمركزه "البيت"، بل كانت على المرتفعات المشرفة عليه"[1089]

الحجر الأسود وقدسية جبل ابو قبيس

وكان الحجر الأسود صنماً معبوداً من قبيلة خزاعة الوثنية على جبل ابو قبيس، أحد جبال مكة. فقد كان يُدعى جبل أبو قبيس بالأمين لأنّ الرّكن أي الحجر الأسود كان مستودعاً فيه[1090]. ويؤكد الزبيدي بأن جبل ابو قبيس كان يُدعى الأمين وهو مشرف على الصفا[1091]. هنا نرى بأن قدسية الصفا للوثنيين كانت نسبةً لقربها من جبل ابو قبيس، الجبل المقدس عندهم. فلا بد بان قبيلة خزاعة كانت تمارس طقس الطواف بين الصفا والمروة وتعود لكي تقبّل وتعبد الحجر الأسود على جبل ابو قبيس. ولكن بعد بناء الكعبة ونقل الحجر الأسود إليها، صار الطواف بين الصفا والمروة مرتبطاً بالكعبة. ويبدو ان اختيار موقع الكعبة هو نسبة لقربها من جبل قُبيس. فيقول ابن منظور:

"وأَبو قُبَيْس: جبل مُشرِف على مَكة، وفي التهذيب: جبل مشرف على مسجد مكة"[1092]

وجبل ابو قبيس كان من المواضع المقدسة عند الجاهليين، لذلك نفهم كيف ان الحجر الأسود كان فيه قبل نزوله للكعبة. ذلك يلغي ادعاء الإسلام عن ان ابراهيم استند عليه لبناء الكعبة. ويكتب جواد علي عن قدسية جبل ابو قبيس عند الوثنيين:

"ويظهر انه كان من المواضع المقدسة عند الجاهليين، فقد كان نُسّاك مكة وزهادها ومن يتحنف ويتحنث ويترهب من أهلها في الجاهلية يصعده ويعتكف فيه. ولعله كان مقام الطبقة المترفة الغنية من أهل مكة قبل نزوح "قريش" إلى الوادي"[1093].

قصي أول من أنزل قريش والحجر الأسود للوادي

والذي أنزل بعض العائلات من الجبال لكي تسكن وادي مكة هو قصي بن كلاب، الجد الخامس لمحمد الذي احتل مكة وطرد خزاعة منها. ولكن حيث ان قصياً قد أنزل

بعض قبائل قريش لكي تسكن الوادي، فالظاهر انهم كانوا يعبدون في خيمة كما سبق وعرفنا من الازرقي انه كانت هناك خيمة قبل بناء الكعبة. وعندما أخرج قصي الحجرَ الأسود من جبل ابو قبيس، لم يكن هناك بناء كعبة، حتى ان قصياً لم يضع الحجر الأسود في الكعبة. الأمر الذي كان قد فعله لو كانت الكعبة موجودةً في زمانه. فنقرأ في كتب الأخبار ان الحجر الاسود كان مدفونا من قبيلة إياد في الجبل الا ان أظهره قصي، فأخرجه من الجبل واستمر عند جماعة من قريش حتى بنت قريش الكعبة فوضعوه بركن البيت[1094].

واضح من انه لم يكن هناك كعبة حتى يضع قصي الحجر الأسود فيها، وبقي الحجر الأسود عند جماعة من القرشيين الذين أنزلهم قصي من الجبال لكي يسكنوا الوادي. والسبب في ذلك ان العائلات المنبثقة منه أو من إخوته هي التي سكنت الوادي، فأراد ان هذا الصنم المعبود في جبل ابو قبيس يكون في حوزة أقربائه الألزمين. اذ كان يُنظر لمن يملك السيطرة على الأصنام الرئيسية ويقوم بمراسيمها أنّه صاحب الوجاهة في العشيرة. وتصرُّف قصي هذا جعل بعد بناء الكعبة أن يكون هذا الامتياز لمن انحدر منه من عائلات.

ولم يكن قصي رجل توحيد. لكنّه كان متعلقاً بالأصنام، ورأى الحجر الأسود كواحد من تلك الأصنام. فقد سمّى قصي أولاده على أسماء أصنامه، فكيف يكون عابداً لإله ابراهيم؟!. فيكتب الطبري:

> "ويذكر الإخباريون انه كان لقصي أربعة أولاد، ورووا قولاً زعموا انه قاله. فقد ذكر انه قال: "ولد لي أربعة، فسميت اثنين بصنمي"[1095] .

ويذكر الاخباريون أسماء أولاد قصي، ومنهم: "عبد مناف"، واسمه "المغيرة"، و"عبد العزّى"، وهي تعكس أسماء أصنام كان يعبدها، مثل مناف والعزى.

تحول الرموز الوثنية الى رموز إبراهيمية

والحجر الأسود الذي عبدته خزاعة على جبل ابو قبيس، وأنزله قصي بن كلاب الى وادي مكة، والبئر الذي حفره عبد المطلب، أصبحا عنصرين هامين في التعبُّد الوثني في مكة. ولكن أصبح الحجر الأسود في الإسلام جوهرةً قد نزلت من الفردوس السماوي وارتكز عليه ابراهيم لكي يبني الكعبة. والبئر صار يُنسب لعصر ابراهيم وان الملاك جبرائيل قد حفره بقدمه لكي يشرب منه الغلام إسماعيل، الذي بحسب المحدثين المسلمين قد وصل مع هاجر أمه الى مكة وهو على حافة الموت. مقلِّدين بذلك سرد الكتاب المقدس من انه قد نفذ الماء من قربة هاجر وإسماعيل، بينما كانا يعبران من برية بئر السبع في طريقهما الى برية فاران في شمال شرق سيناء، حيث استقر إسماعيل وعاش نسله. وان الله كشف عن عيني هاجر فرأت بئر ماء.

تقدير تاريخ بناء الكعبة. وتُبّع الحميري كباني للكعبة للمرة الأولى

يذكر الالوسي بان قصياً قد أصاب المُلك في أيام المنذر بن النعمان ملك الحيرة، وملك الفرس الساساني "بهرام جور"[1096] وهو بهرام الخامس. وقد كان "بهرام جور" Bahram Gur قد حكم من سنة 421 الى 439 ميلادي[1097]. فيكون حكم قصي في النصف الأول من القرن الخامس للميلاد. ومن حيث ان اسعد ابو كرب قد حكم حتى سنة 435 م، فمن السهل افتراض ان اسعد ابو كرب قد احتل مكة في عصر قريش، بعد موت قصي مباشرة أو ببضع سنين. وانه جاء وبنى الكعبة عندما رأى بعض قريش التي كان أنزلها قصي من الجبال لكي تسكن الوادي، انها تعبد في خيمة. فأراد ان يجتذب هذه العائلات القرشية التي أصلها أيضا يمنية حميرية مثله، فبنى لها معبداً صغيراً هو الكعبة. وقد اعترف الكثيرون من الكتّاب المسلمين من ان تبعاً قد بنى كعبة مكة. ونجد في سيرة ابن هشام:

"قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَتُبَّانُ أَسْعَدُ أَبُو كَرِبٍ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَسَاقَ الْحِبْرَيْنِ مِنْ يَهُودِ (الْمَدِينَةِ) إلى الْيَمَنِ، وَعَمَّرَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَكَسَاهُ، وَكَانَ مُلْكُهُ قَبْلَ مُلْكِ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ" [1098]

ونقرأ في كتب الإخباريين ان تبع هو أول من فتح بابا للكعبة وأغلقها بقفل[1099]. ويؤكّد المؤرخون والباحثون المسلمون من ان تبعاً كان أول من عمل مفاتيح للكعبة[1100]. والسؤال المنطقي هنا: من هو الذي يفتح باباً في بناء ويغلقه بمفاتيح، أليس انه الذي بنى ذلك البناء أولا ؟ كيف يمكن ان تكون الكعبة التي بحسب المسلمين كانت موجودةً منذ آلاف السنين من عصر إبراهيم، بدون باب، وان يكون بابها بدون مفتاح، أي غير محروسة بتاتا، عِلْماً بانه كان الشعب يرمي تقدماته من الذهب والهدايا الثمينة في بئر الكعبة ؟! وهل يمكن ان يبقى مكان مقدس مهجوراً من أي حراسة، ومُعرَّضاً للسرقة، وذلك منذ عصر إبراهيم كما يدّعي المسلمون ؟!

ولقد أكد الباحثون والمؤرخون المسلمون ومفسرو القرآن ان تبعاً كان أول من كسا الكعبة[1101]. وايضا كان أول من وضع ولاةً مسئولين عن الخدمة الدينية في الكعبة[1102]. كيف يكون هيكلٌ مبنياً من عصر إبراهيم بدون جماعة دينية مسئولة عن إجراء الطقوس الدينية فيه ؟! واضح هنا انه بعد ان بنى تُبّع الكعبة قد عيّن ولاةً مسئولين عن الخدمة الدينية فيها. وان بناء الكعبة والخدمة الدينية فيها قد بدأها تبع، وانه لم يكن هناك أي معبد في مكة قبل احتلاله للمدينة. ثم وضع لها ولاةً على الخدمات الدينية، فقد شرّع القوانين الدينية والشرائع التي يجب ان يُعمل بها داخل الكعبة. فمثلاً كان على العابدين الامتناع عن تقديم تقدمات حيوانية ميتة. ومُنعت النساء في حالة الحيض من الدخول في الكعبة وتقديم تقدمات [1103]. فالتشريع الذي سنّه تبع يدل على انه ليس فقط باني الكعبة، ولكنه مؤسس الطقوس الدينية فيها. فلو كانت مكة من عصر ابراهيم لكانت غنيةً بالطقوس والتراث التوحيدي وكتب الأنبياء. ولكن كل شيء بدأه اسعد ابو كرب. ذلك بعكس العبادة التوحيدية في العهد القديم، فهي تغتني بعدد كبير من الكتب المُوحاة من الله التي تشكّل

كتب العهد القديم، وهناك أسماء عدد كبير من الأنبياء. ولكن عندما نأتي للكعبة نرى ان المؤسس لكل شيء فيها هو تبع. إذ كان هدفه ربط مكة باليمن من خلال بناء معبد فيها على غرار الكعبات الكثيرة التي كانت في اليمن وفي الشمال أيضا، والتي معظمها كان يحوي حجراً اسوداً يُطاف حوله. إذ رآها المدينة الوحيدة بدون كعبة، وانها كانت تعبد في خيمة. ذلك يدل أصلاً على انها كانت قد بُنيت كمدينة في عصر قريب منه، أي في نهاية القرن الرابع الميلادي.

هل كان ابراهيم مؤسسا لديانة اسمها الحنفية؟

يدّعي القرآن ان ابراهيم كان على ديانة اسمها الحنفية. وان كل رجالات الكتاب المقدس كانوا مسلمين حنفاء. وان الله قد دعا محمد لكي يتبع ديانة ابراهيم وان يكون حنيفا مثله، كما نرى في الآيات القرآنية التالية:

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا. قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(سورة البقرة اي 2 : 135). "قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا. وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (سورة الانعام 6 : 61). ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا (سورة النحل أي 16: 123).

وإبراهيم ونسله كمسلمين نراه في سورة البقرة:

"إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ. فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(سورة البقرة 131-133)

ولكن لم يعرف بني إسرائيل ديانة منفصلة لإبراهيم اسمها الحنفية. كذلك لا نرى في أي نقوش عربية أو حتى في الشعر الجاهلي أي ذِكر لهذه الديانة.

المؤسس الرئيسي لجماعة الأحناف

وجماعة الأحناف قد تأسست من أربعة أشخاص: هم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث؛ اتفقوا على الآراء[1104]. وكان جميع هؤلاء الأربعة أقرباءً لمحمد، ينحدرون من جد من جدود محمد وهو لؤي. وكان المتقدم فيهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي هو المؤسس الفعلي لهذه المجموعة. إذ ادّعى انه وهو يبحث عن الديانة قد التقى براهب في دمشق الذي وجهه الى "ديانة ابراهيم":

"إنك لتطلب دينا ما يوجد اليوم أحد يدين به، وهو دين إبراهيم. كان حنيفا لم يكن يهوديا ولا نصرانيا"[1105].

وعاد زيد بن عمرو يبثّ فكرة الحنفية، مُدّعياً لأول مرة ان ابراهيم قد بنى الكعبة وأسس الحج حول تلال الكعبة. وصار زيد يتجه بقبلته لمكة بدل اوروشليم.

براهين اضافية دالّة على ان زيد بن عمرو كان مؤسس الحنفية

إنّ ادعاء هذه الجماعة من ان إبراهيم كان مؤسس نوع تدينهم قد نشأ من زيد بن عمرو بن نفيل المؤسس، وقد ترك تأثيره على محمد. ولقد قال محمد في حديث له عن زيد بن عمرو بن نفيل:

"يُحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى ابن مريم" [1106]، و"يُبعث امة وحده"، و"هو أمة وحده يوم القيامة"[1107].

هذا الادعاء لمحمد يكشف أنّ زيداً بالنسبة لمحمد وباقي أعضاء جماعة الأحناف كان رأس ومؤسس الأحناف، تماما كما كان يُنظر لموسى أنّه رأس ومؤسس اليهودية وليسوع المسيح كرأس ومؤسس المسيحية. وأنّه، أي زيد بن عمرو، كان وحده على هذا الاعتقاد.

هناك أمر آخر يكشف زيد بن عمرو كمؤسس للأحناف وهو تصريحه أنّه وحده على ديانة إبراهيم[1108].

علاقة الأحناف بالجن، وعلاقة محمد مع المؤسس

وهناك ما يدل على علاقة الأحناف بالجن. فنقرأ في كلمات جواد علي نقلاً عن أقدم ناقلي الأخبار:

"وقد أورد أهل الأخبار كلاما ذكروا ان الأحناف قالوه، هو من نوع كلام الكهّان المُرتب على طريقة السجع أوردوه بنصه على ما ذكروه"[1109] .

لقد انضم محمد لجماعة الأحناف في وقت مُبكِّر من شبابه. وكان يقضي معهم أوقات في كهوف حراء. ويذكر زيد بن حارثة، الابن المُتبنى من محمد، عن لقاء تم بين محمد وزيد بن عمرو بينما كان محمد وزيد بن حارثة يطوفان حول صنمين من نحاس لإساف ونائلة:

"قدَّمنا إليه (إلى زيد بن عمرو) السُفرة التي كان فيه الشواء. فقال: ما هذا؟ قلنا هذه الشاة ذبحناها لنصب كذا وكذا. فقال إني لا آكل شيئا ذُبح لغير الله. ثم تفرقنا، وكان صنمان من نحاس يقال لهما إساف ونائلة. فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفت معه"[1110].

زيد ينسب الحج الوثني في منطقة مكة الى ابراهيم

وهناك بعض الشرائع والطقوس الوثنية قد نسبها زيد بن عمرو إلى إبراهيم وتبنّاها محمد (راجع موضوع الأحناف في كتابي النجم الأكبر). ولقد تبنى زيد فكرة الحج في التلال حول مكة، ناسباً إياه لإبراهيم وإسماعيل. مع أن الحج كان طقساً دينياً لبعض القبائل الوثنية حول مكة للاستمطار. فقد كان الحج ينتهي في محطة منى حيث

كانت تُعبد مناة ابنة "الله". وكانت محطة عرفة أو عرفات لعبادة الشمس ومزدلفة لعبادة القمر والشيطان قزح. (راجع الإسلام على ضوء التاريخ للدكتور رأفت عماري).

زيد بن عمرو بن نُفيل وتديُّن الحلة الإباحي

وزيد بن عمرو بن نُفيل قد خالف قريش في موضوع الحج. فكانت العرب التي تطوف حول الكعبة فريقين: فريق يُدعى بالحلة. وكان يطوف عارياً بما فيه النساء. وفريق آخر وهو متحفظ ومتشدد وكان يُدعى الحمس، وكان يطوف في ثيابه. وكانت قريش تنتمي للحمس.[1111]

والحلة كلمة مشتقة من حل. ويقول ابن منظور:

"وحَلَّ المُحْرِمُ من إحرامه يَحِلُّ حِلاًّ وحَلالاً إِذا خَرج من حِرْمه. وأَحَلَّ: خَرَج، وهو حَلالٌ. قال ابن الأَثير: وأَحَلَّ يُحِلُّ إِحْلالاً إِذا حَلَّ له ما حَرُم عليه من مَحْظورات الحَجِّ ... والحَلال: ضد الحرام"[1112]. ويقول أيضا ابن منظور" وفي حديث دُرَيد بن الصِّمَّة: قال لمالك بن عوف أَنت مُحِلٌّ بقومك أَي أَنك قد أَبَحْت حَرِيمهم وعَرَّضتهم للهلاك"[1113].

إذاً الذي يتبع الحلة هو الذي يبيح لنفسه المحرم حتى نساء الغير. ويبيح لنفسه المحظورات الدينية. من هنا طوافهم عراة. ويقول ابن حجر أنه في الجاهلية كانت هناك جماعة تدّعي انه:

"يجوز للطائف فعل ما خف من الأفعال وتغيير ما يراه الطائف من المنكر وفيه الكلام في الأمور الواجبة والمستحبة والمباحة"[1114].

والمقصود منها إجازتها الطواف عراة.

ولكن هناك شيئا آخر يفرِّق الحلة عن الحمس: وهو أنّهم كانوا يقفون في "عرفة"، بينما قريش الحمس كانوا لا يقفون في عرفة، بل في نمرة بجانب الكعبة. ولا يعتبرون عرفة كمحطة للحج. نستشهد في كلمات الأزرقي:

"فتنزل الحمس أطراف الحرم من نمرة يوم عرفة وتنزل الحلة عرفة ... فتقف الحلة على الموقف من عرفة عشية عرفة، وتقف الحمس على أنصاب الحرم من نمرة. فإذا دفع الناس من عرفة وأفاضوا، أفاضت الحمس من أنصاب الحرم وأفاضت الحلة من عرفة، حتى يلتقوا ب(مزدلفة) جميعاً ...، فإذا كان هذا الوقت دفعت الحلة من عرفة ودفعت معها الحمس من أنصاب الحرم"[1115].

ونرى زيد بن عمرو بن نفيل يشترك مع الحلة في الوقوف على عرفة. نستشهد عن زيد بالحافظ ابن كثير وابن سعد:

"فيقف بعرفة، وكان يلبى فيقول: لبيك لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفع من عرفة"[1116].

الأمر الذي يكشف انتماء زيد أصلاً للحلة، وهي جماعة إباحية كما رأينا أنّها تطوف عارية حول الكعبة بما فيها النساء. والتعري هي صفة معروفة للتدينات الشعوذية.

محمد يشارك زيد بن عمرو والحلة في الوقوف على عرفة

وانضمام محمد لزيد بن عمرو هو مثبت من كونه، أي محمد، كان يخالف قبيلته قريش ويقف في عرفة. فعن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، وهو قرابة لمحمد:

> أضللت بعيراً يوم عرفة. فخرجت أقصه واتبعه بعرفة، إذ أبصرت محمداً بعرفة فقلت: هذا من الحمس ما يوقفه ها هنا. فعجبت له[1117] .

كان جبير يظن ان محمداً من الحمس، ولكنه تفاجئ انه مثل الحلة وزيد بن عمرو بن نفيل يقف على عرفة.

زيد تزوج بامرأة أبيه

ومن الأمور التي تدل على صفة الإباحية في حياة زيد أنّه تزوج من زوجة أبيه[1118]. مع أنّ زواج الإنسان من زوجة أبيه كان مكروها في الجاهلية. ويقول الأصفهاني: [وكان يسمى تزوُّج الرجل امرأة أبيه نكاح المقت]. ويعرّف الأصفهاني كلمة مقت بـ "المقت: البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح"[1119]. ويقول أبي الفداء أنّ الجاهليين كانوا يعيبون المتزوج بامرأة أبيه ويسمونه الضّيزن[1120]. الضيزن معناها جائر (انظر إلى القاموس العربي المنجد صفحة 457). وهنا نرى أنّ زيداً بن عمرو بن نفيل هو شاذٌ أدبياً ومنحرف، ويُرى أنّه يتعاطى القبيح حتى من مجتمع مثل الجاهلية، فكيف يكون مقداماً ومؤسساً لتديّن يدّعي الانتماء لإبراهيم ؟!

وتأثير زيد بن عمرو بن نفيل على القرآن كان كبيراً. راجع كتابنا "النجم الأكبر".

محمد بدأ نشاطه كقائد للأحناف وكمروّج لديانة تحت اسم الحنفية السمحة

وورقة بن نوفل- الذي صار قائد جماعة الأحناف بعد موت زيد - قد أعدَّ محمداً لكي يقود جماعة الأحناف بدلا منه، من حيث ان ورقة قد كبر في السن وأصبح أعمى. ونسبة لعلاقته بخديجة ابنة عمه رأى في زوجها الشاب خلفاً له لقيادة الأحناف. ولقد كانت بداية دعوة محمد هي "الدين الأحناف". وكان في دعوته لقريش قبيلته عبارات تحوي "دين الحنفاء"، كالأساس الذي يدعو إليه[1121]. وكان يدّعي أنّ الله خلق الناس "حنفاء مسلمين"[1122]. وكانت الجن الشياطين تنشد شعراً (مسموعاً بشكل هواتف) لتشجيع محمد في دعوته مُسمِّية المسلمين بالحنيفيين، كما حدث بعد وقعة بدر[1123]. وكان محمد يقول [بُعِثْتُ بالحنفية السَّمْحة السَّهْلَةِ][1124]. والسمحة هي التي لا تضع على

المسلمين قيوداً أدبية. لذلك نجد في القرآن آيات تحثّ المسلمين على الامتلاك والاحتفاظ بأي عدد من النساء التي يحصّلون عليهن من الحروب. كما في سورة النساء:

"فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع .. أو ما ملكت أيمانكم"
سورة النساء رقم 4 وآية 3 .

ونستطيع ان نقول بأنّ محمداً هو مصلح للدين الذي أسسه زيد بن عمرو بن نفيل. فزيد أسس الحنفية. وورقة أضاف إليها عقائد الهراطقة النصارى، ومحمد بنى على ذلك التدين نفسه أركان تدينه، وسمّاه "الحنيفية السمحة السهلة". واستخدم محمد تعابير زيد مثل "ان إبراهيم لم يكن نصرانياً ولا يهودياً ولكن كان حنيفاً". الأمر الذي قد كرَّره محمد في سورة آل عمران:

"ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً" 3: 67.

وهذا التبرير في إقامة ديانة جديدة، هي على أساس ادّعاء زيد أنّ نصرانياً في الشام قال له ان إبراهيم لم يكن نصرانياً ولا يهودياً بل حنيفاً.

محمد لم يفهم دعوة ابراهيم

لم يفهم محمد دعوةَ ابراهيم. وكل ما عرف عن ابراهيم هي قصص كان يتناقلها العرب المتهودون الذين كانوا يجهلون أسفار العهد القديم. البعض منها وصل إليهم عن طريق كتب يهودية متأخرة، كما رأينا قصة ابراهيم وكسره أصنام أبيه ورميه من نمرود بالنار، والتي رأينا انها مأخوذة من كتاب مدراش ربا.

الخرافة القرآنية المبنية على عدم فهم للميثاق الذي قطعه الله مع ابراهيم

وبعض القصص قد اعتمدت على نص مُحرَّف من سفر التكوين نحو الخرافة. كما هي الآية 260 في سورة البقرة:

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي. قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا. ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (سورة البقرة 260)

أي ان ابراهيم أراد ان يعرف كيف يحي الله الموتى. فأمره الله ان يأتي بأربعة طيور ويجزئها الى أقسام، ويضع كل جزء على جبل. ثم يدعو الطيور، فسوف تأتي إليه مُسرعة. هذه الخرافة مشتقةٌ من قصة وردت في سفر التكوين الاصحاح 15، حيث ظهر الرب لإبراهيم وأعطاه وعداً:

"وَقَالَ لَهُ: «انَا الرَّبُّ الَّذِي اخْرَجَكَ مِنْ اورِ الْكِلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هَذِهِ الارْضَ لِتَرِثَهَا». اي ان نسله سوف يرث ارض كنعان حيث كان ابراهيم يسكن .

فأجاب ابراهيم : «ايُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ بِمَاذَا اعْلَمُ انِّي ارِثُهَا؟» فَقَالَ لَهُ الرب: فَقَالَ لَهُ: «خُذْ لِي عِجْلَةً ثُلاثِيَّةً وَعَنْزَةً ثُلاثِيَّةً وَكَبْشا ثُلاثِيّا وَيَمَامَةً وَحَمَامَةً». فَاخَذَ هَذِهِ كُلَّهَا وَشَقَّهَا مِنَ الْوَسَطِ وَجَعَلَ شِقَّ كُلِّ وَاحِدٍ مُقَابِلَ صَاحِبِهِ. وَامَّا الطَّيْرُ فَلَمْ يَشُقَّهُ."

فنرى السرد القرآني قد حوّل سؤال ابراهيم "ايُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ بِمَاذَا اعْلَمُ انِّي ارِثُهَا؟" الى سؤال آخر "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى؟"

كان هناك عادة عند عمل ميثاق في ذبح حيوانات عن طريق شقها من الوسط الى نصفين[1125]. وهناك إشارة في ارميا 34 لكون شطْر العجل الى قسمين كعلامة لميثاق قد استمرت في شعب إسرائيل (ارميا 34: 18 و19):

"وَأَدْفَعُ النَّاسَ الَّذِينَ تَعَدُّوا عَهْدِي الَّذِينَ لَمْ يُقِيمُوا كَلاَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعُوهُ أَمَامِي. الْعِجْلَ الَّذِي قَطَعُوهُ إِلَى اثْنَيْنِ وَجَازُوا بَيْنَ قِطْعَتَيْهِ. رُؤَسَاءَ يَهُوذَا وَرُؤَسَاءَ أُورُشَلِيمَ الْخِصْيَانَ وَالْكَهَنَةَ وَكُلَّ شَعْبِ الأَرْضِ الَّذِينَ جَازُوا بَيْنَ قِطْعَتَيِ الْعِجْلِ".

وتقسيم الحيوانات الى قسمين تمثّل طرفي الميثاق، وسير احدهم بين الطرفين يشير للالتزام في الميثاق. والحيوانات هنا تمثّل نسل ابرام، وما سوف يحدث له لاحقا. ووضْع القسمين مقابل بعضهما، بحيث تُرى الذبيحة وكأنها واحدة يسهل إعادة أجزائها، كان يعني وحدة الطرفين في ميثاق واحد، يلتزم الأقوى على الالتزام في البقاء في حماية الطرف الضعيف، والاتحاد به. وفي النص في سفر التكوين هي رمز لضمان الرب القوي ان تتم مقاصد الميثاق: وهي ولادة أمة عابدة من نسله، ومجيء المسيح حسب الجسد من نسله لخلاص العالم.

وقوله: "وأما الطَّيْرُ فَلَمْ يَشُقَّه "، له معنى نبوي خاص. اذ نرى في سفر اللاويين 1 : 17 بان الطير تُقدَّم كاملة دون ان تُجزّأ الى أجزاء. وهي إشارة لجسد الرب يسوع المسيح الذي لا يُجزّأ على الصليب، رغم الآلام المبرحة والطعنات والمسامير. كذلك لا يعاني في الأرض تحلُّلاً. والحيوانات الثلاثية التي تُقسم كل واحدة الى جزأين، تشير لنسل ابرام اي إسرائيل التي سوف تُجزأ. ولكن الله يعيدها كأمة واحدة رغم عبورها في التاريخ في حالة تجزئة متفرقين في العالم كله.

وفي العدد 11 نقرأ "فَنَزَلَتِ الْجَوَارِحُ عَلَى الْجُثَثِ وَكَانَ ابْرَامُ يَزْجُرُهَا". لا شك كان ابرام يتوقع علامة تحدث من الله الذي أمره ان يقدم هذه الحيوانات والطيور. قد أطاع ابرام ترتيبات الرب. ولكن كانت هناك قوى معادية تريد ان تأكل عناصر الميثاق وهي إسرائيل. والجوارح هي صقور وبواشق وكانت طيور غير طاهرة بحسب الناموس. وهي إشارة لأمم مُعادية وعابدة للأوثان، تريد ان تبيد إسرائيل كما حدث في مصر ولاحقاً من أمم أخرى. ويستمر الاصحاح يقول لنا ابتداء من العدد 12:

"وَلَمَّا صَارَتِ الشَّمْسُ الَى الْمَغِيبِ وَقَعَ عَلَى ابْرَامَ سُبَاتٌ. وَاذَا رُعْبَةٌ مُظْلِمَةٌ عَظِيمَةٌ وَاقِعَةٌ عَلَيْهِ".

سبات deep sleep اي نوم عميق. يقول Clarke ان الكلمة العبرية المُستخدمة Tardemah اي النوم، هي نفسها المُستخدَمة عندما أوقع الله على آدم نوماً لكي يُخرِج حواء من أحد أضلاعه. والعدد الذي يتلو يفسّر معنى هذه الرعبة المظلمة العظيمة. فقد أراد ابراهيم ان يعرف كيف يرث الأرض. ونرى الرب يعلن له برؤيا عمّا يسبق ارث الأرض من نسله، وهو انه سوف يعاني مرحلة مُرعبة تمر عليه. الأمر الذي حدث في مصر لمدة أربعة قرون، اذ قد استُعبد الإسرائيليين من المصريين، وعانوا عبودية مُرعِبة تحت يد الفراعنة.

ووعد الرب لإبراهيم لا يتم له كأنه ينتمي له شخصياً ومُلكٌ له في عصره. ولكن كونه الموعود أولا ينال رؤيا كاشفة لما يحدث لنسله قبل ان يرث الأرض. لكي لا ييأسوا أثناء العبودية في مصر ومن الذل عندما تقع عليهم الفترة المُرعبة المُظلِمة، ولكن يروا هناك رجوعاً لأرض الموعد كما أُعلن في الرؤيا لجدهم ابراهيم. ويستمر في العدد 13:

فَقَالَ لابْرَامَ: «اعْلَمْ يَقِينا انَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبا فِي ارْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ فَيُذِلُّونَهُمْ ارْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ".

أي ان الميراث يسبقه عبودية، لكي يشير لحالة الإنسان الذي هو مُستعبَد للشيطان والخطية. ويحتاج الى تحرير من خلال المسيح، لكي يسير مع الله روحياً ويرث الحياة الأبدية. فلم تكن ارض الموعد لنسل ابرام هي مبادرة عطاء الهي فقط، لكن كان الشعب العبري مدعواً من الله لكي يتم فيه مثالٌ، تتعلم الإنسانية من خلاله عن حالة العبودية القاسية بسبب الخطية والشيطان القاسي، وقدرة الله على التحرير، وأسس خلاص الإنسان وهو فداء المسيح، الذي رمز إليه حماية العبرانيين في مصر من الملاك المُهلِك من خلال رش دم الخروف على العتبة والقائمتين. ثم مسيرة المؤمن في برية الحياة، التي رمزت إليها قيادة الرب للإسرائيليين في برية سيناء. ثم دخول أرض كنعان من خلال يشوع، الذي يشير ليسوع الذي يقود النفس لامتلاك الشركة مع الله ثم سماء الله.

وقوله "اعلم يقينا" هي إجابة لقول ابرام "بماذا اعلم إني ارثها". والرب هنا يعطيه يقيناً مبنياً على علامة: وهي رضوخ الإسرائيليين لمدة 400 سنة تحت عبودية في أرض غريبة. لا بد ان موسى استند على هذه العلامة عندما وهو أمير مُتبنى من ابنة فرعون، قد انتبه لهذه النبوة، وان الأربع مائة سنة قد قاربت على الانتهاء. يستمر في العدد 14:

ثُمَّ الامَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا انَا ادِينُهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِامْلاكٍ جَزِيلَةٍ.

لكي لا ييأس نسل ابرام تحت عبودية المصريين القاسية، ويظنوا ان القسوة والاستعباد من القوي ليس من ردع له، وان لا رجاء في التحرُّر من أمة قوية مثل المصريين، فالرب يترك لهم وعداً على انه سوف يكسر ذراع الأمة التي تستعبد الشعب المُرتب له ان يخرج لكي يكون أمة مقدسة عابدة للرب. وذلك الوعد هو قبل ان يأتي هذا النسل للوجود. وقد كان الرب قد أمر الإسرائيليين ان تذبح كل عائلة خروفا بلا عيب- وهو يشير للمسيح الذي هو كإنسان كامل بلا عيب- وترش الدم على العتبة والقائمتين –

اي مثل إشارة صليب- فعندما يمر الملاك المُهلِك الذي يريد ان يدين مصر ويقتل أبكارهم، يرى الدم ويعبر عنهم. وهو إشارة لعبور الهلاك عن كل من احتمى بفداء المسيح. وفي العددين 16 و 17يستمر الرب يقول لإبراهيم:

"وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ الَى هَهُنَا لانَّ ذَنْبَ الامُورِيِّينَ لَيْسَ الَى الْانَ كَامِلا». ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ فَصَارَتِ الْعَتَمَةُ وَاذَا تَنُّورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطَعِ".

وتنور الدخان، يشير لدخول نسل ابرام في تنور الضيق في مصر. كما دخل أصدقاء دانيال في تنور بابل. ولكن مع كونها آلاما مُحرقة، إلا ان حضور الله كمصباح نار يضيء لهم الطريق. ولكنه يأكل المقاومين لهم، كما حصل في مصر ان نزلت الضربات العشرة على مصر. وهو يقودهم بعامود نار في الليل وفي النهار بعمود سحاب (خروج 13 : 21)

والمصباح الناري الذي يجوز بين قطع الحيوانات، إشارة لحضور الله في العهد لنسل ابراهيم ان يرثوا الأرض ويكون معهم أثناء الضيقة. والوصف يعبِّر عن إبرام عهد كما كانت العادة آنذاك في عصر ابراهيم. ان يجوز طرفي العهد بين قطع الحيوانات. ولكن حضور الله وحده يجوز بين طرفي الحيوانات، مما يدل على ان الرب هو ضامن للعهد وليس ابرام. ان خلاصنا مضمون من التزام الله في عهده في خلاصنا بناء على فداء المسيح الذي قدّمه عنا، وليس في قدرتنا على الخلاص. ويستمر الاصحاح في العدد 19:

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ ابْرَامَ مِيثَاقاً.

كان الميثاق أو العهد يُقطع على الحيوانات المقطوعة نصفين، وعبور الاثنين بين القطع. ونرى ان الله يجيز حضوره بين القطع، إشارة لنيته ان ينزل في نفسه بصورة إنسان لكي يكون فدية العهد وضحيتها الكبير، وذلك في الصليب. فيُقطع في الصليب. كما تنبأ سفر دانيال في القرن السادس ق.م. عن الزمن الذي يأتي به المسيح ويُقطع (دانيال 9 :26). وهي إشارة لما كان سيحدث له عندما أصبح خروف العهد بين الله والإنسان. والحقيقة ان العهد لابرام ثم لموسى ثم لداود كلها كانت قد قُطعت على أساس الذبائح التي أشارت لموت المسيح الذبيحة المُرتبة من الله لفداء البشرية. فهنا نرى قطع الذبائح، ولكن في قطع العهد مع موسى نرى الدم يُرش. ولو ان العهد هنا مع ابراهيم هو لإعطاء الأرض لنسل ابراهيم، ولكنه مرحلة للإعداد لمجيء المسيح الذي يقيم العهد الجديد بدمه لخلاص البشرية.

شتان بين المغزى الروحي لمحتوى الكتاب المقدس وما سجَّله القرآن عن جماعات لم تفهم المغزى.

ولكن جماعات جاهلة في العهد القديم، على الأغلب من العرب المتهودين، قد تناقلت لهم قصة الميثاق بين الله وإبراهيم بشكل قصة خرافة كما هي مسجلة في سورة

البقرة 260. وهي صيغة القرآن الذي يعتمد على ما يسمع محمد من قصص يقصها أشخاص لم يطّلعوا على العهد القديم ولم يدرسوه، ولكنهم يحفظون قصصاً منتشرةً من جماعات تدرس كتب الأبوكريفا، أو تسمع قصصاً من العهد القديم وتحولها الى قصص خرافية تتناسب مع ذوق الجاهليين.

ولكن هناك فقرات قليلة في القرآن تحوي بعض تلخيص وتعريب للنص، ذلك بسبب علاقة محمد مع جماعات كان عندها العهد القديم. ومن بين هذه الفقرات قصة يوسف وايضا قصة زيارة ضيوف ابراهيم السماويين. وموضوع امتحان الرب لإبراهيم في تقديم ابنه كمحرقة، رغم ان القصة الأخيرة هو تلخيص لا يذكر المكان حيث أُمر ابراهيم ان يُقدم ابنه. فنبدأ في مناقشة زيارة الضيوف السماويين

عدم فهم محمد لشخصية الزائر لإبراهيم عندما بُشر بإسحاق

نقرأ في سورة الحجر:

"وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ. قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ. قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ. قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ. قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ" سورة الحجر 15 :60

والقصة مُكررة كالتالي في سورة الذاريات.

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ. فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ. قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ. قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ" سورة الذاريات: 24-34

لا بد ان محمداً قد سمعها تُقرأ من احد اليهود. ولخّصها بحسب اجتهاده في سجعه القرآني المعروف. فيذكر كيف دخل ضيوفٌ على ابراهيم، وكيف ذهب ابراهيم الى امرأته وأتى بعجل سمين لكي يطعمهم، وبشروه بولادة إسحاق. وكيف ان زوجة ابراهيم شكّت في الوعد، وقالت انها عجوزٌ عقيم. وكيف سألهم ابراهيم عن إرساليتهم وهي تدمير المدينة، أو "القوم" حيث كان يسكن لوط. وان لوطاً وعائلته قد نجوا ما عدى زوجته. فهي تلخيص لزيارة ثلاث ذاتيات سماوية كما هي في الاصحاح الثامن عشر من سفر تكوين. مع جملتين عن قصة هلاك سدوم ونجاة لوط وابنتيه وهلاك زوجته (مذكورة في الاصحاح 19).

المُلاحظ ان محمداً لم يذكر عددهم، اذ كانوا ثلاثة. ولم يكن يعرف الذي قرأ لـه أو قصّ عليه ذلك شخصيةَ الذي كان يتوسط الملاكين: وهو الرب يهوى قبل التجسد، وهو المسيح. فقد عُرِّفت هذه الزيارة بسفر التكوين بهذه الكلمات:

"وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ. ويستمر سفر التكوين يصف هذه الزيارة : "فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَاذَا ثَلاثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ"

لا بد ان ابراهيم قد حسّ في رهبة المكان وقدسيته، حتى فجأةً رفع عينيه لكي يفسّر ظاهرة أحاسيسه، في كون المكان قد وطأ عليه مجدٌ لم يُرى في حياته. مجيء في صورة بشر، رغم انهم شخصيات سماوية. وكون الرب قد ظهر مع ملاكين بصورة بشر لم يكن ليُخفي تأثيرَ حضوره اللاهوتي، وان يغيب على الناظر التعرُّف على هويته اللاهوتية. اذ ان ابراهيم عرفه انه الذي دعاه وكان يكلّمه من قبل. كما عرفه بطرس عندما جلس في سفينته وعمل معجزة إخراج السمك، كما نقرأ في انجيل لوقا:

"فَلَمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطْرُسُ ذلِكَ خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً:«اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ، لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ!». لوقا 5 : 8.

ثم ركض ابراهيم للاستقبال. وسجد للذي في وسطهم على الأرض. انها فرصة لكي يكون له شركة مباشرةً مع الذي دعاه ويقوي العلاقة به، ويكرمه في خيمته. فذهب ابراهيم نحوهم وسجد للمتصدر بين الملاكين وهو الرب. ويقول العدد الثالث:

وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ انْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلا تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ".

وكلمة "الرب" هي "ادوناي" في العبرية في هذا العدد. لقد عرفه ابراهيم انه الرب لأنه قد سبق ورآه، اذ ظهر له في الماضي أكثر من مرة. فإبراهيم لـه اختبارات مع الله، رآه وتكلم معه. ولو اننا لا نعرف كيف كان يظهر له الرب، إلا انه الآن الشخصية اللاهوتية ورفعتها بارزة فيه، حتى ولو ظهر بصورة إنسان بين ملاكين في صورة بشر. ذات رهبة القداسة قد أحسّها ابراهيم في رؤية الله في صورة إنسان كسابقة نبوية للتجسد. وهذا ما أحسّ به الكثيرون في الجيل الميلادي، حتى ان ييارس رئيس المجمع اليهودي الذي لم ينحنِ قط لإنسان في حياته، اذ السجود هو لله وحده، قد انحنى ساجداً للمسيح، إذ رأى في المسيح الرفعة الروحية التي تنتمي لله وحده.

إن وجود زيارة سماوية يتصدرها سيد السماء نفسه قريبة من خيمته، هي فرصةٌ فريدةٌ لم تُختبر في مستواها من ابراهيم في الماضي. اذ كان الرب يظهر له للإعلان بسرعة، ولكن هنا صاحب الإعلانات يطأ الأرض ويسير عليها، وهو بصورة توحي بانه يود أن يكون أقرب من الماضي لإبراهيم. انه على عتبة خيمته يسير على الأرض بصورة إنسان. فنرى عزم ابن الله في الوجود في عالمنا كانسان هي رغبةٌ قديمةٌ له.

وفي معاينة ابراهيم لوجود الخالق في قرب منه في صورة إنسان، أراد ان لا تضيع منه فرصة إلفة معه، أن يجلس معه لأول مرة، وان يعاين مجده. ان يستغل فرصةً

نادرةً في ان يدخل الرب الى خيمته ويبارك عائلته. فلا تضيع هذه الفرصة النادرة منه. لأنه إذا لم يلح قد يتجاوزه الرب.

ويعرض ابراهيم في العددين 4 و5

لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا ارْجُلَكُمْ. وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ. فَاخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ لانَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ.

ابراهيم رأى صورة عما سوف يكون التجسد قبل ألفين سنة من حدوثه

فإبراهيم الذي يتحدث بلغة متواضعة أمام الرب، وفي لغة بشرية "كسرة خبز فتسندون قلوبكم"، اذ ان ظهور الرب والملاكين كان في صورة بشرية كاملة لدرجة ان ابراهيم ظنّ ان لهم أجساد تحتاج الى الطعام، أو ان هذه الأجساد التي بدت كالرجال، تستطيع ان تأكل، كما تسير على أقدامها.

وإبراهيم الذي رأى الفداء على جبل المريا قبل مجيئه بألفي عام، رأى التجسد كيف سوف يكون واقعه العملي قبل ألفي عام من حدوثه. إذ ان الرب الذي ظهر له بصورة إنسان، يمشي على الأرض ويستعد ان يأكل مع من يحبه ويخدمه، قد جاء عملياً في الجسد بعد ألفي سنة، وصار يمشي في أرضنا ويأكل مع التلاميذ، وايضا مع الخطاة لكي يخرِجهم من الخطية ويجذبهم لشخصه المبارك.

ونرى موافقة الرب الذي ظهر بصورة إنسانية كسابقة نبوية للتجسد على عرض ابراهيم هذا. فبيت ابراهيم هو حيث يريد الرب ان يجلس ويأكل ويعطي سابقةً نبويةً عن عزمه في التجسد والتآلف مع بني البشر.

في سماعه موافقة الرب على برنامج التكريم. نرى ابراهيم يسرع في العمل. كم مناسبة جلوس الرب مع ملاكيه تحت بلوطته التي أمام خيمته فرصة لم يسبق ان أحدا في جيله قد حصل عليها. ونرى ان الرب قد أكل تحت الشجرة من يد ابراهيم. اذ هو يعبِّر عن قصد الهي في أن تكون مثل تلك الخدمة النادرة، كما كان موضوع جلوس الرب لكي يأكل تحت شجرة ابراهيم، هو أمر نادر في التاريخ قبل التجسد، مثالاً نبويا عن حقيقة تجسُّده.

محمد لم يفهم هوية الشخص اللاهوتي الذي تراءى لإبراهيم وقصد الرؤيا

ثم يقدم الرب وعداً في انه بعد عام من هذه الزيارة سوف يكون لسارة زوجته ولداً. ولكن سارة ضحكت مُستبعدة تحقيق كلمات الوعد نسبة لعقمها وشيخوختها. وفي العددين 13و14:

فَقَالَ الرَّبُّ لابْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: افَبِالْحَقِيقَةِ الِدُ وَانَا قَدْ شِخْتُ؟ هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ ارْجِعُ الَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ».

الرب هنا في النص هو يهوه ذلك يؤكّد هوية الذي كان يتصدر الملاكين انه الرب يهوه نفسه، وهو المسيح قبل التجسّد. وكشف لها كم فكرتها عن قوة الله وقدرته محدودة وغير صحيحة. وتساؤل الرب:"هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟" هو رفع نظر سارة نحو شخصية الواعد انه القادر على كل شيء، الذي لا يستحيل عليه أي أمر في الحياة وفي الكون، فكم يكون عجزها الطبيعي أمراً تافهاً نسبة لقدراته العظيمة غير المحدودة. ونرى المسيح في سفر الرؤيا يؤكِّد انه القادر على كل شيء:

«أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.(رؤيا 1:8)

اذاً فمحمد لم يفهم هوية الزائر الإلهي الذي تصدر الملاكين، ولم يفهم لماذا ظهر بصورة إنسان وهو كما ذكرنا كسابقة نبوية للتجسد.

نبوة المريا العظيمة وعدم فهم محمد لها

ثم يلخِّص محمد في القرآن في بعض عبارات الاختبارَ النبوي العظيم لابراهيم المذكور في الاصحاح 22 من سفر التكوين، دون ان يدرك معناه، أو يذكر ما ذكره النص في سفر التكوين عن المكان الذي دُعي ابراهيم ان يقدِّم به اسحاق، وهو جبل المريا. اي سلسلة جبال اوروشليم حيث صُلب المسيح كفدية عن الجنس البشري. فنقرأ في سورة الصافات:

"فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى. قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (سورة الصافات اي 37: 101-107)

فيذكر محمد ان الله قد فدى ابراهيم "بذبح عظيم" كما نرى من الآية رقم 107. فلا بد انه قد سمع تلك العبارة من أحد المسيحيين في منطقة مكة. اذ الكبش الذي أنزله الله عندما أوقف يد ابراهيم عن ان تهوي على عنق إسحاق، لا يمكن ان يُقال عنه "ذبح عظيم". ولكن العبارة تشير لكون الفادي شخصاً عظيماً، وهي إشارة للمسيح. فمحمد لم ينتبه أو تجاهل تلك العبارة التي تشير للمسيح. والتي قد سمعها دون ان ينجح ان يفهم مدلولها النبوي الواضح.

وامتحان ابراهيم هذا مُسجّلٌ في الاصحاح 22 من سفر التكوين. وهذه كلمات الاصحاح:

"وَحَدَثَ بَعْدَ هَذِهِ الامُورِ انَّ اللهَ امْتَحَنَ ابْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ: «يَا ابْرَاهِيمُ». فَقَالَ: «هَئَنَذَا». فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ اسْحَاقَ وَاذْهَبْ الَى ارْضِ الْمُرِيَّا وَاصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى احَدِ الْجِبَالِ الَّذِي اقُولُ لَكَ». فَبَكَّرَ ابْرَاهِيمُ صَبَاحا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ وَاخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ وَاسْحَاقَ ابْنَهُ وَشَقَّقَ حَطَبا لِمُحْرَقَةٍ

وَقَامَ وَذَهَبَ الَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ ابْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَابْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ. فَقَالَ ابْرَاهِيمُ لِغُلامَيْهِ: «اجْلِسَا انْتُمَا هَهُنَا مَعَ الْحِمَارِ وَامَّا انَا وَالْغُلامُ فَنَذْهَبُ الَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ ثُمَّ نَرْجِعُ الَيْكُمَا». فَاخَذَ ابْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى اسْحَاقَ ابْنِهِ وَاخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاهُمَا مَعا. وَقَالَ اسْحَاقُ لابْرَاهِيمَ ابِيهِ: «يَا ابِي». فَقَالَ: «هَئَنَذَا يَا ابْنِي». فَقَالَ: «هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ وَلَكِنْ ايْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟». فَقَالَ ابْرَاهِيمُ: «اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي». فَذَهَبَا كِلاهُمَا مَعا. فَلَمَّا اتَيَا الَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ بَنَى هُنَاكَ ابْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ اسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. ثُمَّ مَدَّ ابْرَاهِيمُ يَدَهُ وَاخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. فَنَادَاهُ مَلاكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «ابْرَاهِيمُ ابْرَاهِيمُ». فَقَالَ: «هَئَنَذَا» فَقَالَ: «لا تَمُدَّ يَدَكَ الَى الْغُلامِ وَلا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئا لانِّي الْانَ عَلِمْتُ انَّكَ خَائِفٌ اللهَ فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». فَرَفَعَ ابْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَاذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ فَذَهَبَ ابْرَاهِيمُ وَاخَذَ الْكَبْشَ وَاصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضا عَنِ ابْنِهِ. فَدَعَا ابْرَاهِيمُ اسْمَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْاهْ». حَتَّى انَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى». وَنَادَى مَلاكُ الرَّبِّ ابْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «بِذَاتِي اقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ انِّي مِنْ اجْلِ انَّكَ فَعَلْتَ هَذَا الامْرَ وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ ابَارِكُكَ مُبَارَكَةً وَاكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ اعْدَائِهِ وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ امَمِ الارْضِ مِنْ اجْلِ انَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي".

جانب أساسي من دعوة ابراهيم وهو ان يرسم الله من خلال طاعته جوانب هامة عن الفداء والله الباذل وشخصية الفادي.

دعوة ابراهيم ليست ان ينال ابناً يحبه، أو حتى ان تأتي أمما منه. دعوته أهم من ذلك. وهو ان يرسم الله من خلال طاعته جوانب هامة عن الموعود المبارك الذي يولد من نسله وهو المسيح: موضوع علاقة المسيح بالآب السماوي، وموضوع قبول الأب تقديمه على جبل المريا، حيث يُؤمر ابراهيم ان يقدِّم ابنه الوحيد الذي يحبه. وموضوع طاعة الابن لترتيب الآب في ان يكون خروف المحرقة.

ورغم ان ابراهيم كان شيخاً آنذاك وحصل على إسحاق بمعجزة الذي يأتي من نسله امة إسرائيل التي يأتي منها الأنبياء في التاريخ قبل المسيح، إلا ان مسيرته الطويلة مع الله لم تكن قد وصلت بعد جبل المريا، أهم رسالة نبوية في التاريخ عن الفداء ومحبة الله الباذل لابنه الوحيد على نفس الجبل، وذلك من خلال صفة الطاعة التي دعا الله ابراهيم ودرّبه عليها، إذ أن نبوة المريا تتطلب طاعة عظيمة من فرد قد دعاه الرب وأعدّه إليها.

اختبار ابراهيم كاشف عملياً لقلب الآب المعطي والباذل بالفداء

وفي العدد الثاني من الاصحاح يقول له الرب:

«خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً ".

لماذا يقدِّم الله صيغة "ابنك وحيدك" و"الذي تحبه"؟. ذلك الذي يشكِّل أزمة قلبيه لإبراهيم انه بقي مع ابن وحيد بعد صرف اسماعيل. وانه موضوع محبته كونه ابنه الذي هو رجاء الوعد في ان يرث من خلاله، اي في نسله. فهي كلمات تشكِّل أزمةً عظيمةً على قلب شيخ بات يرى موضوع دعوته وحياته واستمرار الوعد له هو في إسحاق. هي أزمة أكبر من أن يحتملها إنسان. ولكنها صورة لما كانت شخصية إلهية تعبر فيها زمن ابراهيم وقبل ابراهيم، وهي ان الابن المحبوب فيها كان مُكرَّساً لكي يُقدَّم كمحرقة على نفس الجبل. تلك مشاعر كان يمر بها ابراهيم لمدة ثلاثة أيام، ولكن مسيرة الأزل كانت كلها تحمل قبولاً لتلك التقدمة للابن المحبوب الأزلي على نفس الجبل.

فالمطلوب ليس نبوة حرفية كباقي النبوات التي يزخر بها العهد القديم. ولكن عبور النبي – ابراهيم هنا- في ثقل تقدمة على قلبه، انها أعظم ما في كيانه من أهمية ومحبة، لكي يرى العالم من خلال آلام ابراهيم لمدة الثلاثة أيام، قلب المُعطي الحقيقي وهو الآب السماوي، الذي استعد ان يبذل ابنه الوحيد الذي يحبه، على نفس الجبل للازدراء والإهانة ثم الموت في الجسد.

جبل المريا المكان المُحدَّد من الله للفداء مُعلن في صفحات العهد القديم

ولماذا يؤمر ابراهيم أن يسافر لمدة ثلاثة أيام من المكان الذي يسكن به، اي بئر السبع في الجنوب، نحو ارض المريا؟ . يقول الاصحاح الثالث من أخبار الأيام الثاني والعدد الاول :

"وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا فِي بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ"

اذاً أرض المريا هي حيث جبل المريا، حيث في وقت لاحق بعد 1000 سنة، عندما سقط داود في عد الجيش مُعتمِداً على نفسه، بدل ان ينسب نجاحه للرب، وجاء الوبأ على إسرائيل، قد أمره الرب ان يبني مذبحاً في بيدر أرنان اليبوسي، الذي هو على جبل المريا في القدس. وعندما قدّم داود ذبيحة رُفع الوبأ عن إسرائيل. فعرف عندها ان ذلك الجبل هو المكان المُحدَّد من الله لكي يُفتدى الشعب. اذاً كان الرب يعلن في العهد القديم عن المكان الذي به كان مزمعاً ان يقدِّم ابنه فيه كفدية عن الجنس البشري، وقيمة ذلك المكان في رفع الخطية ووبأها الشرير عن الإنسان.

فكان حيث يعرف ابراهيم ثم العالم عن المكان الذي تجري به أعظم تضحية، هي موضوع قلب الله، هو مُحدَّد. وليس على ابراهيم ان يذهب لكي يقدِّم إسحاق في أي مكان آخر في الأرض، بل جبل المريا. هنا نرى العهد القديم له قصد واضح وهو رسم نبوي لخارطة سير المسيح على الأرض وتعريف في هويته وعمله الفدائي وتفاصيل عن

علاقته بالآب السماوي كابن أزلي محبوب، والمكان الذي يُقدَّم به فدية عن الجنس البشري. وكلمة المريا تعني " رؤيا يهوه" أو يهوه يُرى"[1126].

هناك إشارات أخرى عن مكان الضحية لالهية لكل شعوب الأرض نجدها في اشعياء 25 : 6-9 . وهو جبل صهيون في اوروشليم، اسم حديث لجبل المريا:

"وَيَصْنَعُ رَبُّ الْجُنُودِ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ فِي هذَا الْجَبَلِ وَلِيمَةَ سَمَائِنَ، وَلِيمَةَ خَمْرٍ عَلَى دَرْدِيّ، سَمَائِنَ مُمِخَّةٍ، دَرْدِيّ مُصَفًّى. وَيُفْنِي فِي هذَا الْجَبَلِ وَجْهَ النِّقَابِ. النِّقَابِ الَّذِي عَلَى كُلِّ الشُّعُوبِ، وَالْغِطَاءَ الْمُغَطَّى بِهِ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ. يَبْلَعُ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ، وَيَمْسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الدُّمُوعَ عَنْ كُلِّ الْوُجُوهِ، وَيَنْزِعُ عَارَ شَعْبِهِ عَنْ كُلِّ الأَرْضِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ. وَيُقَالُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: «هُوَذَا هذَا إِلهُنَا. انْتَظَرْنَاهُ فَخَلَّصَنَا. هذَا هُوَ الرَّبُّ انْتَظَرْنَاهُ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِخَلاَصِهِ».

فنرى عار الخطية يُنزع على ذلك الجبل. والموت الروحي الذي يعاني منه الإنسان بسبب الخطية، ينزع أيضا. والنقاب على وجه الشعوب يزول هناك. حيث بموت المسيح يتعرف الإنسان على إلهه الحقيقي الذي فداه.

بدون نور العهد الجديد لا يُفهم امتحان ابراهيم على حقيقته

ان يضع ابراهيم السكين على حنجرة ابنه ويقتله ثم يحرق الحطب فوقه، لكي يكون محرقة هو عمل شنيع لكي يعمله أب لابنه. كيف لأهم دعوة في التاريخ القديم ان يُطلب من المدعو ان يقوم بعمل لم يتوقعه إنسان ان يكون: ان يُطلب من أب ان ينحر ابنه ويقدمه كمحرقة لله. ان ذلك العمل كان مستحيلاً إدراكه بدون العهد الجديد، فبقي تفسيره كامتحان فقط عبر ألفي سنة قبل المسيح. وكان لإبراهيم قبل ان يسمع صوت الرب بعدم ذبح إسحاق وتقديم كبش فدية عنه، أمام أمر ليس يرى منه فائدة سوى خسارته لأهم ما يملك، وهو ابنه الوحيد الذي يحبّه. وانه يسلك بعكس محبته وعاطفته كأب، في قسوة وضراوة وكأن ابنه خروف حقيقي. الطاعة فقط جعلت ابراهيم ان يكون جزءاً من ترتيب نبوي، في دور الآب الذي كان مزمعاً ان يقف به بعد 2000 عام.

ليس أي جبل، الأمر الذي لم يفهمه المسلمون

كانت هناك عدة جبال في أرض المريا، أي منطقة القدس، ولكن لم يكن ابراهيم ليحدِّد الجبل، إذ أنها ليست تقدمة عادية بحيث أي جبل ممكن ان تُقبل به التقدمة. ولكن كان كل الأمر يتعلق في تتبُّع رسم نبوي لمسيرة قادمة بها يُحمل الابن المحبوب من الآب، بل يحمل صليباً نحو ذلك الجبل عينه، حيث يُقدَّم عن الجنس البشري فديةً. فإبراهيم يذهب بابنه إلى ذلك الجبل. إشارة لكون الآب نفسه بإرادته يرتّب ان يُجر ابنه نحو ذلك الجبل، لكي يقدّمه. فالباذل هو الله الآب:

لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" يوحنا 3 : 16.

وللأسف الإسلام لم يفهم أمر الله لإبراهيم في تقديم ابنه على جبل المريا في القدس، ولذلك تبعوا زيد بن عمرو بن نفيل مؤسس جماعة الأحناف الذي جعل ابراهيم يذهب إلى مكة. وجعلوا ابراهيم يحاول ان يقدم إسماعيل هناك. ولم يعرفوا ان الله الذي يحارب تقديم الأولاد له، إنما قصد ان يقدِّم نبوةً عن مكان به يقدِّم ابنه فديةً عن الجنس البشري.

قرار الله في الفداء لم يضعف عبر الأزل والتاريخ

ويقول الاصحاح بان ابراهيم قد بكّر واخذ ابنه إسحاق وغلاميه وشقق حطب. ثم نقرأ في العدد 22:

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ

كانت رحلة لمدة ثلاث أيام كافية لكي تتبخّر منه مواقف مُتطرفة في الطاعة، لو كان ذلك اندفاعاً منه بدون ادراك لإرادة الله. كان ممكن ان المسافة نحو اوروشليم تعرّض قراره في تقديم أعز ما عنده، وهو ابنه الوحيد، للتراجع. وهكذا امتُحنت متانة قراره من خلال ثباته في مدة كافية مثل ثلاث أيام.

ان قرار الآب في تقديم ابنه لم يضعف خلال الأزل والتاريخ، فقد أظهره للأنبياء في عصور مختلفة. وقرار المسيح في تقديم نفسه لم يضعف أبدا طيلة حياته، إذ وبَّخ بطرس الذي قال له مُحاوِلاً ان يثنيه عن الذهاب للصليب:

«حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!». فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ:«اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ».متى 16 : 22 و 23

البُعد النبوي لقول الكتاب "اليوم الثالث"

وقوله "اليوم الثالث" هي تشير عادةً في الكتاب المقدس للمسافة التي يعاني منها الإنسان حُكم الامتحان والانتظار بعد حكم صعب، لكي يأتي الحل في اليوم الثالث. وهو إشارة للقيامة بعد الصليب الذي عانى منه يسوع. فهناك أمثلة تدل على ذلك. ففي سفر الخروج 5 : 3 رحلوا ثلاث أيام قبل ان يجدوا ماء. وفي سفر يشوع 1 :11

"لأَنَّكُمْ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ هذَا لِكَيْ تَدْخُلُوا فَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ لِتَمْتَلِكُوهَا».

أي ينتقلوا للامتلاك، رمز لانتقالنا من خلال موت المسيح الذي أشار إليه نهر الاردن، وقيامته لامتلاك الروحي.

وهنا إسحاق قد اعُتبر كميت من لحظة قبول ابراهيم تقديمه. والآن في اليوم الثالث على الجبل يستعيده ابراهيم كرمز لقيامة المسيح، كما نرى من سفر العبرانيين.

"بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ. الَّذِي قِيلَ لَهُ:«إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا، الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضًا فِي مِثَال.(عبرانيين 11: 17-19)

إسحاق الذي يحمل الحطب على ظهره رمز ليسوع الذي حمل الصليب في طلوعه إلى جبل الفداء

وفي العدد 5 يأمر ابراهيم الغلامين ان يبقيا مع الحمار بينما يضع الحطب على ظهر إسحاق ويصعد للجبل. ألم يكن الحمار ضرورياً لحمل الحطب إلى الجبل؟. لماذا ترك الحطب لكي يحمله إسحاق المُتعب من طول الرحلة على رجليه. كان ابراهيم مُساقاً في رحلة نبوية، حيث قد وصل الى المكان الذي تبدأ به آلام اسحاق الذي يشير إلى آلام يسوع الذي يحمل الصليب باتجاه الجلجثة، الذي أشار إليه حمْل إسحاق الخشب على ظهره نحو رأس الجبل لكي يُقدَّم من أبيه للرب.

إيمان ابراهيم بقيامة إسحاق هو قد أشار لقيامة المسيح

في حزن ابراهيم وخضوعه لأقسى طاعة في حياته، لكن كان عنده إيمان انه لم يكن مأموراً في خسارة الوعد الذي ناله في ولادة إسحاق في شيخوخته. إذ ان وعد الله ثابت حتى عندما يأمر الله بموت إسحاق. وهنا نرى ان الله يقيم ايماناً في قلب ابراهيم في القيامة لإسحاق، دون ان يعرف ان ذلك جزءاً من المشهد والمسيرة النبوية الذي دُعي لكي يرسمها في حياته عن مسيرة الآب في تقديم ابنه، دون ان يعرف ابراهيم عن قيامة المرموز إليه وهو المسيح ابن الله. فكاتب الرسالة للعبرانيين – كما سبق وذكرنا الأعداد – قد كشف عن إيمان ابراهيم الذي أشار به إلى قيامة المسيح. (عبرانيين 11: 17-19)

مسؤولية الفداء وُضعت على المسيح لأنه الوحيد القادر ان يفدي كل البشرية

يقول العدد 6:

فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ"

أي وضعه على ظهره. فقد أخذ المسؤولية التي كان يجب ان تكون للحمار والعبدين، ووضعها على كتفي ابنه إسحاق. فقد كان ابراهيم يُقاد من روح النبوة، حيث إسحاق رمز للمسيح الذي يحمل خشبة الصليب. وهو ايضا يحمل خطايانا كما نقرأ في 1 بطرس 2 : 24

"الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ"

لماذا على إسحاق وليس على احد خادميه؟ لان العبد لو حمله لكان يشير لملاك كعبد لله. والملاك لا يقدر ان يحمل خطايا البشرية، إذ هو كائن محدود. الحاجة إلى ذاتية إلهية، الخالق بذاته وهو المسيح غير المحدود. ولماذا ليس على الحمار، لان الحيوانات والذبائح الحيوانية لا يمكن ان ترفع خطايا الإنسان وتحل مكانه.

هنا نرى إسحاق الوحيد الذي يملك خصائص تتفق مع صفات المسيح: كان وحيداً محبوباً بريئاً يحمل الحطب. والمسيح الذي وحده يقدر ان يحمل خطايا البشر، إذ وحده كامل وغير محدود في القيمة، ومقبول من الآب كفدية عن الكل، يقبل المسؤولية في حمل خشبة الصليب.

عدالة الله نزلت على النائب عن البشرية

والجزء الثاني من العدد 6 يقول:

"وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ"

النار والسكين التي بها تُذبح الفدية هي بيد ابراهيم الأب. وهي تشير لكون نار العدالة الإلهية وسيفها هي بيد الله الآب. وهو ان الله الآب في قبول المسيح ان يذهب كنائب عن الجنس البشري لدفع ثمن التعدي، لا يرمي جانباً بعدالته وقداسته وحقه في قصاص النائب الذي جلس على محرقة الفداء. والنبي زكريا قد تنبأ عن عزم الآب ان يجعل سيف العدالة الإلهية تهوي على المسيح، راعي الكائنات واقنوم العلاقة الأزلية مع الآب في التثليث. الذي جلس على محرقة الفداء عن الخراف البشرية التي خلقها وهذه نبوة زكريا:

«اِسْتَيْقِظْ يَا سَيْفُ عَلَى رَاعِيَّ، وَعَلَى رَجُلِ رِفْقَتِي، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. اِضْرِبِ الرَّاعِيَ فَتَتَشَتَّتَ الْغَنَمُ، وَأَرُدُّ يَدِي عَلَى الصِّغَارِ" (زكريا 13 : 7).

رحلة العهد القديم كانت تتجه نحو هدف مُحدَّد وهو الفداء على نفس الجبل

لم يكن يعرف إسحاق ان السكين والنار كانت لذبحه وحرق جسده كفدية، فكان يسير في جهل في هدف الرحلة. ولكن الابن الأزلي كان يعلم ان العدالة الإلهية ونارها سوف يواجهها كونه قد قَبِلَ منذ تكوين العالم ان يفدي الإنسان الخاطئ. فربما لو عرف إسحاق لكانت رحلته مؤلمة منذ البداية. ولكن أخفى ابراهيم ذلك عن ابنه لكي لا يجعل آلام إسحاق تبدأ من اللحظة التي ترك بها بئر السبع. ولكن الابن الأزلي كان يعلم انه يوما سوف يُحترق من الكائنات التي خلقها، ويُبصق عليه ويُذلّ. لم يهرب من ذلك، إذ كان ينظر لرفع الدينونة عن الإنسان كأمر هام وأساسي.

وفي العدد 7 يسأل إسحاق أبيه:

"فَقَالَ: «هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟»

ترتيبات التقدمة من حطب ونار حاضرة منذ بداية الرحلة، ولكن بدون الذبيحة وهي الأساسية. كانت الذبيحة في رحلة الشعب القديم وتاريخ عباداتهم غير ظاهرة للشعب، سوى لعدد من الأنبياء، مثل اشعياء وداود وزكريا ودانيال الذين تنبأوا عن مجيء المسيح كخروف يُذبح من اجل الشعب. تماما كما كان إسحاق غير مميِّز ذلك في رحلته مع أبيه ابراهيم. واستعدادات كثيرة بدون ذبيحة هي رحلة بلا هدف. الفدية هي موجودة ومُعدَّة من ابراهيم، وهي أثمن من هو مُرافِق في الرحلة، أي إسحاق الابن المحبوب منه. نعم رحلة الشعب القديم لم تكن بدون هدف. بل كانت تتجه نحو محرقة أساسية وهي فداء الإنسانية من الخطية. ومع ان الإنسان كان يجهل الفدية المناسبة التي ترفع عنه خطاياه، لكن الفدية كانت مُرافِقة للشعب، ترعى وتقود وتدبِّر، وهي المسيح ابن الله الخالق، هو نفسه الفادي الذي يُوضع على المحرقة. ويجيب ابراهيم ابنه :"فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي».

أي أنها محرقة الله: الله يقدِّم خروف وليس ابراهيم. انه كلام نبوي عظيم. عبارة ابراهيم تدل على ان ابراهيم كان عنده قناعة روحية انه يذهب نحو مكان سوف يكون به في المستقبل تقديم فدية يدبّرها الله، فدية عظيمة أعظم من ابنه. لذلك قال الرب يسوع في انجيل يوحنا 8 : 56

"أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ».

سؤال مُحرج لإبراهيم المزمع ان يقدِّم ابنه فدية. ولكن كون الله قد أمر بذلك، في وقت قد وعد ان يكون له نسل من إسحاق، فإبراهيم يرى قيامة لإسحاق من الموت، ولا بد ان تكون هناك فدية دائمة حقيقية بدل إسحاق يراها الله. الله يرى الخروف، اذ رأى في إسحاق رمزاً لخروف عظيم هو ابنه الوحيد.

موافقة إسحاق على ان يكون خروف المحرقة رمز لقبول المسيح مشروع فدائنا

فكان عدم مقاومة إسحاق لأبيه عندما أراد ان يربطه هو ثقته ان والده كان يتمم أمراً إلهياً في تقديمه ذبيحة لله. فكأنه قد قَبِلَ من ذاته ان يقدم نفسه لله. وهو هنا رمز حقيقي للمسيح الذي من ذاته قدّم نفسه فدية كما قال:

" لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي».
(يوحنا 10 : 18) .

يجمع المفسرون على موافقة إسحاق السابقة لكي يكون خروف المحرقة في جبل المريا، ربما عند وصلوهما الجبل. إذ ليس هناك أي علامة مقاومة أو حوار مع والده على ربطه ووضعه فوق الحطب. فهو يستمر يجلس على الحطب في هدوء في انتظار ان السكين تهوي عليه. وذلك رمز لجلوس يسوع الذي لم ينزل عن الصليب، عندما تحداه رجال الدين في متى 27 : 42

«خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيب فَنُؤْمِنَ بِهِ!

ابراهيم الذي يمد بسكينه نحو عنق إسحاق يشير إلى مشهد حقيقي على نفس الجبل

والعدد 10 يقول لنا:

ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ.

ذبح إسحاق لن يؤدي بنتيجة، إذ لا فائدة من موت خاطي، انسان قد وُلد بالخطية مثل باقي البشرية، في مجال فداء إنسان آخر في خطيته. ولكن في نزول السكين نحوه هو مشهد يدل على مشهد حقيقي، به ينزل سيف العدالة الإلهية على النائب وهو يسوع، الذي جلس طوعاً عن المذنبين أمام عدالة الله. لذلك يقول الرب في زكريا كما سبق واستشهدنا به "اِسْتَيْقِظْ يَا سَيْفُ عَلَى رَاعِيَّ، وَعَلَى رَجُلِ رِفْقَتِي، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. اِضْرِبِ الرَّاعِيَ فَتَتَشَتَّتَ الْغَنَمُ، وَأَرُدُّ يَدِي عَلَى الصِّغَارِ" (زكريا 13 : 7).

ثم ناداه الله ان لا يؤذي الغلام :

«لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا"

كان الرب عالماً بطاعة ابراهيم، وإلا لما كان قد اختاره لهذه الدعوة النبوية الحساسة. ولكنه قد تركه لكي يسير إلى جبل المريا ويضع ابنه على حطب المحرقة ويمسك السكين بيده فوق حنجرته، لكي يرسم ابراهيم صورة نبوية دقيقة عن المشهد الحقيقي وهو تقديم الآب ابنه فدية على نفس الجبل.

ويقول له في العدد 12 إني علمت انك َلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي».

لم تتمسّك في أعز كيان تحبّه عندما كان الأمر ان تقدّمه لي. لم تختر الأبوة لابن وحيد على مشيئتي في تقديمه لي على المذبح. لم تختر مشاعرك كأب على إرضائي. ولم تحاول ان تشفق على ابنك وتعمل على سلامته أمام أمر في تقديمه للألم والموت. فوُجد ابراهيم في مشهد يشير الى مشهد حقيقي به فعلاً الآب لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كما نقرأ في رومية 8 : 32

"اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟"

الكبش الذي قدمه الله على الجبل لإبراهيم هو الرمز لخروف الفداء العظيم

ثم نقرأ في العدد 13:

"فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ، مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ"

رفع عينيه نحو الصوت الذي كلّمه، فرأى الكبش الذي كان ترتيباً مُعداً من الله قبلاً. فإسحاق لا يفي بكل حاجة المشهد النبوي لكي يرمز للفادي بشكل كامل. لا بد من تكميل المشهد من خلال ذبح كبش تقدِّمه السماء. والكبش مذكور في سفر اللاويين 9: 2-4 عند مسح الكهنة. وايضا في يوم التكفير أو الكفارة (لاويين 16 : 1 ، 3). فالتكفير تدبير الهي سماوي وليس مبادرة بشرية بوسائل وتقدمات بشرية أو حيوانية. فكان الكبش المربوط على جبل المريا رمزاً مُعبِّراً عن هوية الفادي السماوي المسيح يسوع، الذي أشار المشهد إليه. فكانت مسيرة ابراهيم قانونيةً رغم آلامها، لأنها ترسم ملامحاً نبويةً هامة، لكنها لا تحمل الجوهر لفدية جبل المريا الحقيقية. فتنتهي اذاً دون تقديم إسحاق، الذي حمله ابراهيم في رحلته.

ان أهم ما نحمل من تقدمات لله عاجز ان يفي في شروط الفداء والكفارة. إذ الفادي هو له صفات الخروف الوديع، وهو ينزل من السماء وهو يسوع المسيح؛ بلا خطية وقادر نسبة لعظمة لاهوته ان يكفّر عن خطايا كل البشر. فرأى ابراهيم ان رحلته كانت لرسم ملامح مشهد نبوي، حيث يقدّم الله كبش الفداء على ذلك الجبل. من هنا رأى ابراهيم بروح النبوة فادي جبل المريا قبل مجيئه بألفين سنة.

المسيح قد أمسك نفسه طوعاً في قيود الفداء

ويقول الجزء الثاني من العدد 13 عن الكبش "مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ"

ما نوع القيود التي أمسكت الكبش بقرنيه؟ العدد لم يوضِّح ذلك. ولكن لا يوجد إنسان يُرى يسخِّر الكبش ويربطه لكي يُقدَّم إلى ابراهيم لكي يذبحه. وهي إشارة ليسوع الذي قبل ان يُمسك في الطبيعة الانسانية كخروف لكي يُقدَّم على مذبح الفداء في جبل المريا. ليس من قوة قادرة ان تغلب يسوع وتجبره على موت الصليب. فقد أثبت يسوع قدرته في تجنب اليهود عندما أرادوا ان يرموه من على جبل في الناصرة، واجتاز من وسطهم. وكذلك في الجسماني قد جثوا على الأرض عندما قال لهم "أنا هو". فكان يمكن له أن يتركهم وينسحب من المشهد المؤلم القادم. ولكنه وضع نفسه تحت تصرفهم، مُنتظِراً ان يلقوا القبض عليه. إذ أمسك نفسه ككبش المريا.

رحلة نبوية كاملة الإشارة لفداء المسيح على جبل المريا

ثم يستمر العدد 13:

فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ .

لم تكن إعدادات ابراهيم لمحرقة بدون تتمة. فقد قيد لكي يقدّم محرقةً تشير للمسيح الفادي حمل الله. من حيث انه قد أطاع في مسيرة ذات معنى نبوي هام، في تقديم ابنه الوحيد الذي يحبه، إشارة لعزم الآب ان يقدم ابنه المحبوب على نفس الجبل. فقد أطاع في دوره كاملاً، ولكن كان يحمل رمزاً لا يحمل كل معاني المثال للمسيح. فهو أي

إسحاق ليس بلا عيب كما الفادي يسوع بلا عيب. وهو أيضا بحاجة إلى فداء، إلى رمز يشير إلى الفادي، فيُحسب له بناء على قبول المرموز إليه ان ينزل من السماء في نفس المكان ويموت عن الخطاة في العالم. لذلك يُعطى ان يقدّم الذبيحة المناسبة كبش ممسوك بقرنية إشارة للمسيح المتجسد بطبيعة إنسانية مُعدة للذبح، في المكان المُعد ان يُذبح المسيح الفادي به. فكان ابراهيم قد أُعطي ان يكمّل رمز الرحلة التي دُعي ان يسيرها. بحيث ظهرت خصائص الفادي في طاعته وفي تداخل الله في تكميل الرمز على جبل المريا من خلال الكبش الممسوك بقرنيه.

الله يُرى من النفس في صليب الفداء

ثم يقول العدد 14:

فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ».

الترجمة هي Jehovah will see or Jehovah will provide والمعنى هو انه سوف يرى ويدبِّر الحاجة المطلوبة. فالله كان يرى حاجة الإنسانية إلى فداء عبر رحلة التاريخ القديم، وجاء تدبير الآب في ملء الزمان في نفس المكان الذي كان ابراهيم سوف يقدم ابنه المحبوب. في نفس المكان الذي دبَّر الله كبشا للمحرقة. في نفس المكان قدّم ابنه بدل خطايا البشر. يقول هملتون:

النسخة السبعينية تعطي in the mountain the Lord is seen (على الجبل يُرى الله)، وهي انه في تقديم كبش بدل إسحاق قد شُوهد أو ميَّز ابراهيم تدبير الله البديل لاسحاق وبدل كل خاطئ. إذ الله يُرى على جبل الجلجثة، نفس المكان، كنائب ومُصالح بين الإنسان وبينه. ويُعرف الله من النفس عندما روحياً تأتي النفس الى الفادي المصلوب في الجلجثة.

فالذهاب من إنسان نحو الصليب لنوال الخلاص هو طاعة لأمر الرب، ولكن ظهور المسيح لمن يأتي للصليب هو الخلاص والأمر المُدهش. تقديم نفوسنا على مذبح التكريس إطاعة للرب هو أمر حلو، ولكن مجيء المسيح في حياتنا المُكرّسة له واستخدامها هو الأمر المدهش الذي يُذكر منا ويراه الآخرون.

محمد لم يفهم هدف دعوة ابراهيم

محمد في عدة جمل من (سورة الصافات أي 37: 101-107) يدل على انه لم يفهم قصد الله من امتحان ابراهيم، انه ليس مجرد امتحان، ولكنه لرسم نبوة هامة عن مكان الفداء، وهو جبل المريا في اوروشليم حيث صُلب المسيح. ولم يفهم هوية الفادي وهو المسيح موضوع محبة الله الأزلي، موضوع المحبة في الثالوث الأقدس.

وهناك أمر آخر لم يفهمه محمد ولم يفهمه الإسلام عبر تاريخه. وهو ان ليست هناك بركة في حياة ابراهيم لأمم الأرض. ولا يمكن ان تقوم عليه ديانة، مستقلة عن ترتيب الله وقصده في التاريخ وفي الوحي لكل الأنبياء. فقصد الله في التاريخ هو الإعداد لمجيئه في الجسد، لكي يكون الإنسان الغالب على الشيطان من اجلنا.

يسوع هو المولود من خلال الولادة العذراوية من امرأة الذي يتمم اولى نبوات الكتاب عن الصليب

وهذا المخطط الإلهي قد أعلن من لحظة سقوط الإنسان في الخطية في جنة عدن:

وأضع عداوة بينك (الحديث للحية التي تشير للشيطان) وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك ، وانت تسحقين عقبه
(تكوين 3 : 15)

قد أعلن الله في جنة عدن عن مبادئ النصرة بعد الهزيمة التي حدثت لآدم: وهذه النصرة هي في مجيء فرد واحد من نسل المرأة، أي بدون مجامعة رجل، لكي يسحق ادعاءات الشيطان في المُلك على الإنسان. وتنطبق هذه النبوة فقط على يسوع، إذ هو الوحيد المولود من نسل امرأة بدون تداخل رجل، وعاش حياةَ الكمال، وقَبِلَ موت الصليب كفادٍ، دافعاً بدل تعديات وخطايا الإنسان. لذا سحق ادعاءات الشيطان الذي استعبد البشرية من خلال سقوط كل إنسان في الخطية. فجرَّد يسوع الشيطانَ من ادعاءاته في السلطان على إنسان ساقط ضعيف ومتمرد على الله، وبالتالي غير مستحق العلاقة مع الله. ولكن يسوع في عيشه كانسان كامل، وفي موته البديلي بدل خطايا الإنسان سحق كل ادعاءات الشيطان، وضمن حق رجوع كل إنسان يؤمن بعمله الفدائي للشركة مع الله. ولكن قد سحق الشيطان عقب يسوع على الصليب بحسب النبوة .(وانت تسحقين - أو تثقبين عقبه). وهذه النبوة هي أولى نبوات الكتاب المقدس عن الصليب، الذي كان قد أعدّه الله من خلال إعلانه عن مجيء الفادي من نسل امرأة كما جاء المسيح مولوداً من امرأة بغير تداخل رجل.

إذا كانت تعدياتنا بحسب فرائض الناموس هي موضوع شكوى الشيطان وحجته ان الله القدوس لا يقبلنا، ففي الصليب جرّد المسيح قوة الشيطان وشكواه، اذ به محا صك تعدياتنا على ناموس الله، وسحق قوةَ العدو وحرَّر الإنسان من نير عبوديته، اذ في آلامه وموته الفدائي اعتق الإنسان من عبودية إبليس.

والإشارة عن تلك النبوة في العهد الجديد، نراها في الرسالة الى غلاطية وكولوسي:

"ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة ، مولودا تحت الناموس، يَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ"
(غلاطية 4 : 4 -5).
"اذ محى الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدنا وقد رفعه من الوسط

مسمّرا أياه في الصليب. اذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهارا ظافراً
بهم فيه"
(كولوسي 2 : 14 ، 15)

ابراهيم رأى بروح النبوة النسل الذي تتبارك به كل أمم الأرض والذي أصله ذاتية إلهية

فمخطط الله سابق لدعوة ابراهيم. وهو مجيء ذلك الموعود الذي تتبارك به كل أمم الأرض. واستمر الله قبل ابراهيم لا يقبل المجيء إليه سوى من خلال الذبائح التي كانت تشير لموت المسيح الفدائي. ولنا في رفض الله لتقدمات قايين التي تشير لمحاولة المجيء لله عن طريق الأعمال، وقبوله تقدمة هابيل، التي كانت ذبائح من خراف، تأكيدٌ على ان مخطط الله في فداء البشرية هو قديمٌ منذ خلق الإنسان وسقوط الإنسان في الخطية. وأُعلن الله بوضوح لإبراهيم عن ولادة الشخص الذي تتبارك به كل أمم الأرض، كما نرى كلام الله إليه في عدد 18 من نفس الاصحاح، الذي أمره ان يقدِّم ابنه إسحاق على جبل المريا. فحيث رأى ابراهيم الفادي الذي رمز إليه الكبش ورمز إليه إسحاق، لا بد انه عرف ان ذلك الفادي الذي سوف يقدم نفسه فدية عن الإنسانية على نفس جبل المريا، سوف يأتي بحسب الجسد من نسله. وذلك من خلال كلمات الله له في تلك المناسبة:

"وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ"

ولنا في غلاطية 3 :16 توضيح لهذه النبوة:

"وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ:«وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ:«وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ"

لا يمكن ان كل البشر يكون لهم بركة في إنسان، سواءً كان نبي أو ملك. ولكن البركة تأتي لكل البشر من الخالق. ولذلك فالوعد يدل في ذاته على ان الموعود بركة الأمم هو ذاتية إلهية هو الخالق نفسه. الذي أتى من نسل ابراهيم حسب الجسد.

الشخص الإلهي الموعود مجيئه قد تكرر لبعض أفراد السلالة المسيانية

وقد تكرر الوعد لإسحاق كما نرى في سفر تكوين 26: 4

"وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ".

نراه قد تجدد إلى ابنه يعقوب في تكوين 28 : 14

"وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ"

وهو المسيح. ونراه يتجدد في ابن يعقوب الرابع وهو يهوذا. فنرى الوعد ليهوذا الابن الرابع ليعقوب:

"لا يزول قضيب من يهوذا، ومشرع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب" تكوين 49 : 10 .

وسفر التكوين مُوحى بالروح القدس لموسى في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

أهمية نبوة يعقوب ليهوذا عن المسيح في إظهار ان إله الكتاب المقدس هو إله التاريخ الحقيقي

لا شك ان هذه النبوة تدل على أن الموحي للكتاب المقدس هو إله التاريخ المُشرف على تفاصيله، والقابض كل شيء في إرادته. فنرى يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم يدعو أولاده ألاثني عشر لكي يباركهم قبل وفاته. وفي إعطائه أوصاف لبركات عادية لكل منهم، بل أوصاف عبّرت عن حقيقة عبور الأسباط التي كانت ستخرج منهم في ظروف خاصة، مع أوصاف لطبيعة كل سبط، ومكان سكنى بعض الأسباط. إلا ان يعقوب المُقاد من روح النبوة، قد انفرد في وصف بركات خاصة قيادية لسبط يهوذا الذي يولد المسيح منه بحسب الجسد. فهو يصف يهوذا:

"يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ. يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ، مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي، جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ. مَنْ يُنْهِضُهُ؟".(سفر التكوين 49: 8 و 9)

لا شك لا احد قد سجد ليهوذا ابن يعقوب. فقد كان أخا عادياً وسط اخوته، بينما قد نال التكريمَ أخوه يوسف، اذ صار الرجل الثاني في مصر. فلم تتم هذه النبوة في زمانه. إنما هي نبوة لشخص كان سيولد من نسله حسب الجسد وهو المسيح، الذي سوف تسجد له كافة الأسباط يوما من الأيام.

الأسد من سبط يهوذا

كما ان يهوذا لم يكن شبلَ أسد، بل كانت نبوة عن شخصٍ يولد من نسله حسب الجسد: وهو المسيا الذي وُصِف في العهد الجديد بانه "الأسد الغالب من نسل يهوذا". اذ قد كان يوحنا الرائي في صعوده للسماء قد رأى سِفراً، ولم يستطع احد ان يفك ختومه. فصار يبكي لأن لا أحد في السماء أو على الأرض قدر ان يفك ختوم هذا السفر. فجاء اليه وَاحِدٌ مِنَ الشُّيُوخِ، وقال له:

«لاَ تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السِّفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ».(رؤيا 5 :5)

ورأى يوحنا "خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ" إشارة على ان آثار جراح الصليب ما زالت باقية على جسد المسيح المُمجَّد في السماء، لكي تذكِّر الصاعدين في السماء سبب وجودهم فيها وهي فداء المسيح. قد رآه يوحنا انه جاء وفتح السفر وبدأ يفك ختومه (راجع الاصحاح الخامس من سفر الرؤيا). والحقيقية ان السفر يشير لاستحالة المخلوقات ان تتعامل مع أبعاد الدينونة والقضاء على الشر، من حيث ان العدل الذي

يحكم على الجنس البشري يجب ان يفكه كائنٌ عاش في الأرض، ولكن لم يتلوث في شر العالم. ولكن جاء الأسد الذي تنبأ عنه يعقوب من سبط يهوذا، أي المسيح، وأعلن حقه في القضاء على الشر، اذ قد عاش في الأرض مطيعاً لوصايا الله، ومنفصلاً على الشر كانسان كامل. كما انه الذي له الحق ان يرفع الدينونة عن المؤمنين به وفي فدائهم، اذ هو الذي دفع بدمه بدل تعدياتهم ومن اجل تبريرهم، وذلك في محفل السماء البارة المُراقِبة للقضاء على الشر في الأرض وموضوع تبرير المؤمنين.

ونرى الوعد يتجدد إلى داود، أي أن يأتي المسيح من صلبه بحسب الجسد. ثم يتجدد الوعد مع أفراد من السلالة المسيانية أي التي يولد المسيح منها بحسب الجسد.

يعقوب يتنبأ عن بقاء السلطة التشريعية في سبط يهوذا حتى مجيء المسيح

ولكن نرى يعقوب يستمر متنبِأً عن بركات سوف يتمتع سبط يهوذا في القيادة والسلطة، واصفاً استمرار السلطة التشريعية التي عبّر عنها القضيب بقوله:

لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ.(تكوين 49:10)

أي يبقى سبط يهوذا في السلطة حتى مجيء المسيح الذي وصفه في كلمة شيلون، التي تعني "الشخص الذي له السلطة"، أي تستحق السلطة له، كونه صاحبها أزليا بصفته الله. وله الحق بها ايضا بصفته إنسان كامل بلا خطية غالب على الخطية والشيطان، ومُسترجِع الميراث المفقود من أبوينا آدم وحواء: وهي الشركة الروحية مع الله.

ونجد يعقوب يصف بقاء السلطة التشريعية في يهوذا حتى مجيء المسيح بهذه الكلمات "لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون" أي سلطة التشريع ووضع قوانين.

وفي مراجعتنا لتاريخ إسرائيل ويهوذا نتحقق من صدق هذه النبوة ودقتها. فقد كانت المملكة بأسباطها ألاثني عشر مجتمعةً في ارض إسرائيل. ولم يكن احدٌ يظن في أمكانية ان تكون يهوذا منفصلةً عن باقي الأسباط، ولها سلطة منفصلة تدوم عبر التاريخ حتى بعد توقف إسرائيل عن السلطة. ولكن الله الذي يعد ويضبط الحاضر والمستقبل تحت يديه قد تداخل في تاريخ الأمة زمن ابن سليمان الملك رحبعام. وقسم المملكة عن ابن سليمان وأعطاها لعبده يربعام. وبقي نسل داود يحكمون سبط يهوذا وحده استعداداً لتميم النبوة. ونجد ان الأشوريين عام 722 ق . م. يحتلون السامرة عاصمة إسرائيل الدولة الشمالية، ويسبون باقي أسباط إسرائيل إلى بلاد مادي. من ثم انتشر الاسرائيليون في مناطق كثيرة من العالم آنذاك. وبقي سبط يهوذا وحده في السلطة تحت حكم الملوك الخارجين من نسل داود. اذ لا بد لهذا السبط ان يبقى مالكاً تحت قيادة السلالة التي يأتي المسيح منها حسب الجسد.

ولكننا نجد تمرد الشعب على الرب مما جعله يدفع المدينة للكلدانيين عام 586 ق.م. ولكن حتى في سبي أغنياء الشعب، تُرك هناك بقية من اليهود، وتُرك هناك عليهم واليٌ من اليهود. وبقي الاستقلال التشريعي لسبط يهوذا، حتى في بقاء البلاد تحت نفوذ مملكة الكلدانيين وما تبعها من ممالك، أي المادية الفارسية وغيرها. ونجد ان نسل داود المدعو زروبابل يصبح والياً على أورشليم، ويمارس السلطة الكاملة والتشريعية. ونعلم ان زربابل هو شخص هام في السلالة المسيانية التي أتى منها المسيح. واستمرت السلطة التشريعية في سبط أورشليم مُمارَسةً في يد السبط زمن الممالك التي تعاقب نفوذُها على يهوذا، مروراً في العصر المكابي، حيث كان اليهود المكابيون متسلطين تماما وفي يدهم كامل السلطة، وكان المتسلّطون في الحكم هم من نسل زروبابل الموعود ان من نسله يأتي المسيح. وقد حكموا من عام 142 ق.م. إلى عام 63 ق.م.

وحتى عندما هزم Pompey القائد الروماني المكابيين واحتل اوروشليم، بقيت يهوذا تتمتع في سلطة خاصة إلى سنة 6 قبل الميلاد، حيث قد ضمَّ الرومان مملكة يهوذا إلى الإمبراطورية كولاية رومانية. وهذا التاريخ يتطابق مع تاريخ ميلاد يسوع. فإنجيل متى ولوقا يكشفان بان يسوع قد ولد زمن حكم هيرودس الكبير الذي يجمع المؤرخون انه مات عام 4 ق.م. فيكون يسوع قد ولد قبل ذلك التاريخ. فميلاد يسوع من السهولة انه كان عام 6 ق.م.

نعرف اذاً أننا أمام تحقيق للنبوة في سفر التكوين. ولأول مرة يصبح هناك والي ليس يهودياً بل رومانياً. وانتهت يهوذا تماما عام 70 م. عندما ثار اليهود واحتل الرومان أرضهم وسبوهم عن أرضهم.

لا يمكن شرخ ابراهيم عن مخطط الله وتوظيفه في ادّعاء زيد مؤسس الأحناف

لا يمكن شرخ ابراهيم من مخطط الله الواضح من دعوته، من حيث ان الله قد اختاره لكي يشير في طاعته في تقديم ابنه الوحيد على جبل المريا- التي هي الجلجثة حيث صلب المسيح- الى عمل المسيح الفدائي. ثم اختاره الرب لكي يجيء المسيح فادي البشرية من نسله حسب الجسد. الأمر الذي تأكد نبوياً في تأكيد الوعد لأفراد السلالة المسيانية، وكما تأكد تاريخياً في علامات واضحة: كما رأينا بقاء سبط يهوذا في السلطة حتى ولادة المسيح. فلا يمكن شرخ ابراهيم عن مخطط الله، وتوظيفه في مخطط زيد بن عمرو بن نفيل، ذلك الرجل الاباحي الذي ينتمي لجماعة الحلة الإباحية. الذي أسس جماعة الأحناف لكي ينافس اليهود في انتمائهم لإبراهيم. وينافس المسيحيين الذين نادوا في المسيح كتتمة جميع النبوات، وكشخصية الموعود الذي وُعد في مجيئه قبل ولادة ابراهيم ولابراهيم ولنسل ابراهيم. فزيد بن عمرو بن نوفل قد اختار ان يقيم ديانة عربية. وشلخ ابراهيم من الكتاب المقدس، وجعله مؤسسَ تلك الديانة. وأتى به إلى مكة وربط اسمه في طقوس التدين في الكعبة، وطقوس الحج في التلال حول مكة. فقد تعامى عن

كل الأنبياء في العهد القديم الذين تنبأوا جميعا وفي عصور مختلفة، اذ اجتمعوا على تتبع وعد الله في مجيئه في الجسد، وموته كانسان على جبل المريا في اوروشليم، ثم قيامته من بين الأموات. فذلك تراث ليس وليد ادعاء نبي واحد، ولكنه إعلان الهيٌ غني عبر عصور التاريخ القديم. وقد تقين التاريخ منه عندما تجسد المسيح، وظهر من خلال قدرته في إحياء الموتى وقداسته التي ليس لها نظير في التاريخ، وكماله الأدبي المنفرد عن كل البشر، انه ذات الموعود الإلهي الذي وُعد لإبراهيم ولنسله كما وُعد من قبل ان يوجد ابراهيم. فذاك تراثٌ يستحيل تمييله نحو بلادٍ اخرى، وسرقته لكي يستوظف من زيد بن عمرو بن نفيل ومن تلميذه محمد. فهو مثل الذي يسلخ جلد أسد ويضعه على قط ويدّعي ان ذلك القط هو الأسد. فذلك التزييف يؤخذ به من لم يرَ أسداً في حياته، أو لم يدرس عن صفاته. ومثل ذلك التزييف الذي ابتدعه زيد بن عمرو بن نفيل وأذاعه محمد يسري فقط على من لا يدرس صفات المخطط الإلهي والكرونولوجيا التاريخية التي أعلنت به من الله.

استحالة ان تقوم مصداقية تاريخية تؤكد وحي الله على ادعاء فرد واحد

ولن ينجح أي مدّعي يخلق ديانةً في عصر مثل عصر محمد، أي في بداية القرن السابع ق.م.، في ان يقلِّد المصداقية التاريخية التي يتمتع بها الكتاب المقدس. إذ هو فردٌ واحدٌ ليس مرتبطاً في أنبياء الكتاب المقدس. فكيف يُقدِّم مصداقيةً تاريخيةً عبر التاريخ القديم تدل على ان الله قد تكلم به. انه مثل فرد يعيش في جيلنا ويدّعي انه وريث عرش روما. فلن يصدقه سوى من يجهل تاريخ الرومان. اضافة لذلك قد رأينا ان قرآن محمد يعكس أخطاء الجاهليين ومجموعات اخرى من العرب المتهودين الذين يجهلون الكتاب المقدس. اضافة لنظرة مجموعات جاهلة من الفرس والمندائيين في نظرتهم للتاريخ والحوادث التاريخية. فهو يبتعد عن الكرونولوجيا التاريخية الرسمية والتي هي موازية لسرد الكتاب المقدس.

ونظرا لأخطاء محمد التاريخية الفادحة والجسيمة لا يمكن ان يكون مرجعاً في قرآنه للتاريخ القديم. ولا يمكن ان يُعطى الكتّاب المسلمين الذين جاؤا بعده أية ثقة كمراجع للتاريخ، من حيث أنهم ابتدعوا قصصاً بدون أي إسناد من كتابة موثقة قد سبقتهم.

ان البحث الذي قدّمته بخصوص الأخطاء التاريخية في القرآن، يؤكِّد خلو محمد من الثقافة من جهة التاريخ الرسمي الموثَّق، والمتعارف عليه في عصرنا العلمي. فلا يستطيع المسلمون ان يعتمدوا على أقوال محمد من اجل تقرير الحقيقة والحق. ان كل ما قاله محمد عن الأعلام التاريخية والأمم هو غير صحيح ومتناقض مع التاريخ الرسمي الموثَّق. وايضا من حيث ان أقوال محمد لها الطابع الأسطوري البدائي، والتي تعكس قناعات مجموعة جاهلة في زمانه، فكيف نُسلّم بأقوال أخرى لمحمد عن الجنة الجنسية والسماء والله ونزول الوحي إليه الخ.

ونحن نعلم بان لا مصدر تاريخي يصادق على ما ادّعى محمد من جهة مكة وإبراهيم وإسماعيل. بل إننا نعلم بان التاريخ الرسمي يبيّن عكس ما ادّعى محمد. فإذا كنا لا نستطيع ان نثق بمحمد نسبة ما رأينا من جهل وفوضى في تطرقه لأبسط المواضيع التاريخية، فكيف نسلّم في أقواله كحقائق عن أي شيء آخر قد تطرّق إليه. أو نسلّم انه مرشدٌ للإنسان من جهة الأمور الروحية، ويستحق ان يسلم المسلم مصيره الأبدي إليه كقائد روحي، ولأقواله في القرآن كدليل للحياة الحاضرة والأبدية.

وأخيرا أقول بان التيقن من مخطط الله في التاريخ كما أعلنه لأنبيائه عبر كل العصور، والذي تم في المسيح، هو في متناول كل من يدرس الكتاب المقدس بنزاهة ورغبة في معرفة الحق، بعيداً عن تأثيرات زيد بن عمرو بن نفيل الذي أضلَّ مع محمد العرب وغيرهم من الشعوب.

رموز المراجع

AAB: Robert G. Hoyland, *Arabia and the Arabs: from the Bronze Age to the coming of Islam*, (Routledge. Taylor & Francis Group: London and New York), 2002
ABB: George Barton, *Archaeology and the Bible*, seventh edition, (American Suday-School Union: Philadelphia, 1937)
ABE : *The Alexander book in Etheopia, the Etheopian book of Pseudo Callisthenes*, translated by Ernest A. Wallis Budge, (Oxford University Press: London, 1933)
ABF: Joseph Free, *Archaeology and Bible History*, (Zondervan: Grand Rapids-Michigan, 1969)
ABH : James K. Hoffmeier, *The Archaeology of the Bible*, (Lion Hudson plc: Oxford, England, 2008)
AFI: Niklas Holzberg, *The ancient fable: an introduction*, (Indiana University: Bloomington & Indianapolis, 2002)
AFR: ibn Rabbuh al Andalusi, *al Ekd al Farid*, (Dar al kutub al Ilmiyah: Beirut-Lebanon, 1983
العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1983
AGH : Abi Faraj al-Asfahani, *Al Aghani*, in 25 volumes, (Dar Sader: Beirut, 2008)
الاغاني لأبي فرج الا صفهاني، في 25 جزء ، دار صادر بيروت، طبعة 2008
AGHS: ibn al Atheer, *Asad al ghabah fi maarifat al sahabah*, (Dar al Kutub al Ilmiyah: Beirut-Lebanon, first edition 1996)
أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الاثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى 1996
AHJ: Bader al Deen al Shabli, *Ahkam al-Jin*, (Dar ibn Zeidun, Beirut, 1985)
احكام الجن ، بدر الدين الشبلي، دار ابن زيدون، بيروت، 1985
AHK: Anis Freheh, *Ahikar Hakim men al Sharq al Qadim*, (American University: Beirut, 1962)
أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم، أنيس فريحة ، الجامعة الاميركية بيروت 1962م
AHM : Kuhrt and Heleen Sancisi-Weerdenburg, *Achaemenid History* III. *Method and Theory*, (Netherland Instituut nVoor Het Nabue Oosten: Leiden, 1988)
AJ : *The Apocryphon of John; Synopsis of Nag Hammadi Codices II,1;III,1 And IV,1* with BG 8502,2, Edited by Waldstein and Wisse, (E.J.Brill: Leiden, 1995)
AJF: *Antiquities of the Jews*, Flavius Josephus, Translated by William Whiston
AKHZ : Al-Masudi, *Akhbar al Zaman*, (Abdel Hamid Ahmad Hanafi press: Cairo, 1938
اخبار الزمان، للمسعودي، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي، القاهرة، 1938 ،

AKM: Al Imam Abi al Walid Mohammad bin Abdellah Al Azruqi, *Akhbar Meccah wa ma jaa fiha men Athar*, published by Abdel Malek bin Abdellah bin Daheesh, 2003
ALF: Ibn Nadim, *Alfahrest*, Maktabet Khayyat, Beirut- Lebanon
AM: De Lacy O'Leary, *Arabia before Muhammed*, (AMS Press: New York), 1973
AN: Bert Hölldobler and Edward O. Wilson, *The Ants*, (The Belknap Press of Harvard University Press: Cambridge, Massachusetts, 1990)
ANET : James Bennett Pritchard: *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament* , second ed., (Princeton University Press: Princeton, New Jersey, 1955)
AOO: K. A. Kitchen, Ancient Orient and Old Testament, (InterVarsity Press: Downers Grove, Illinois, 1975)
AP: *Aramaic Papyri of the fifth century B.C.*, edited with translation and notes by A. Cowley, (Oxford University Press: Oxford, 1923)
APB: W. F. Albright, *The Archaeology of Palestine and the Bible*, (The American Schools of Oriental Research, Cambridge, Massachusetts, 1974)
APC : *The Romance of Alexander the Great by Pseudo-Callisthenes*, Translated from the Armenian Version with introduction by Albert M. Wolohojian, (Columbia University Press: New York and London 1969)
AR : F.V.Winnett and W.L.Reed, *Ancient Records from North Arabia*, (University of Toronto Press: Toronto and Bufalo, 1970)
ARN: Arrian, *Anabasis of Alexander*, translated by P.A. Brunt, Harvard University Press, 1983
ASSA: Himanshu Prabha Ray, *The archaeology of seafaring in ancient South Asia*, Press of the University of Cambridge, 2003
BA: Irfan Shahîd, *Byzantium and the Arabs in the fourth century*, (Dumbartun Oaks: Wathington), 2006
BAS : John H. Sailhamer, *Biblical Archaeology*, (Zondervan: Grand Rapids, Michigan, 1998)
BE: The Book of Enoch, From-The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament, R.H. Charles Oxford: The Clarendon Press
BEA: Mahmud Shukri Al Ayyusi, *Bulug al Erab fi Maarifat Ansab al Arab*, Dar al Kutub al Ilmiyah, Beirut
محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
BG: Victor Hamilton, *The Book of Genesis , two vol.* ,(Grand Rapids: Eerdmans, 1995)
BNH : Ibn Katheer, *al Bidayah wa al Nihayah*, first ed., (Dar al Hadith: Cairo, Egypt, 1992)
ابن كثير، البداية والنهاية، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الاولى، 1992
BNK: ibn Katheer, *al Bidayah wa al Nihayah*, second ed., Dar ibn Katheer, Damascus, 2010
ابن كثير، البداية والنهاية، دار ابن كثير، دمشق، 2010، طبعة ثانية
BT :Al-Jaheth, *al Bayan wa al tabiyeen*, (Maktabat al Khanji, seventh edit., Cairo, 1998)
الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة سابعة عام 1998
CEI: Cyril Glassé, *The Concise Encyclopedia of Islam*, Harper & Row, 1989
CIS: F.W. Hasluck, *Christianity and Islam under the Sultans*, 2 vols. (Oxford University Press: Oxford, 1929)
CP: *The Canonical Prayerbook of The Mandaeans*, translated with notes by E.S. Drower, (E. J. Brill: Leiden 1959)
DA : Maria Vittoria Cerutti, *Dualismo e Ambiguita', Creatori a creazione nell dottrina mandea sul cosmo*, (Edizioni dell'ateneo s.p.a.: Roma, 1981)
DAA : K.A. Kitchen, *Documentation For Ancient Arabia*, Part I, (Liverpool University Press: Liverpool, 1994)

DAB : *Diwan Abatur,* or Progress Through The Purgatories, Text with translation notes and appendices by E.S. Drower, (Biblioteca Apostolica Vaticana: Citta' Del Vaticano, 1950)
DL: Jeff Harshbarger, *From Darkness to Light*, (Bridge-Logos : Gainesville, Florida, 2004)
DTZ: R.C. Zaehner, *The Dawn and Twilight of Zoroastrianism*, (Weidenfeld And Nicolson: London), 1975
DUBS: *Diwan Umiayah bin Abi Al –Salt*, edited by Dr. Saje' Jamil al Jubeili, first edition,(Dar Sader: Beirut- Lebanon, 1998)
ديوان امية بن ابي الصلت، جمعه الدكتور سجيع جميل الجبيلي، دار صادر بيروت، الطبعة الاولى 1998
EFTS: Ahmad bin Ali bin Hajar, *al Esabah fi Tamyeez al Sahabah*, in 8 volumes, (Dar al Jeel: Beirut-Lebanon, 1992)
احمد بن علي بن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، في ثمانية اجزاء، دير الجيل ، بيروت- لبنان، 1992
EI: *Encyclopedia of Islam*, in 12 volumes, Leyden, Brill, Lond. Luzae, 1911-14
EIM: *Encyclopedia of Islam and the Muslim world*, edited by Richard C. Martin, Gale Group.
ERE : James Hastings, *Encyclopedia of Religion and Ethics*, edited by James Hastings with the assistance of John A. Seible,in 13 volumes,(Charles Soribner's Sons, New York)
ES : *Agatharchides of Cnidus, on the Erythraean Sea*, translated and edited by Stanley Burstein, (The Hakluyt Society: London, 1989)
ETQ : Al-Sayuti, *al Etqan fi Ulum al Quran*, (Majma' al Malek Fahed litibaat al mashaf : Saudi Arabia, 2005)
السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2005
EW: Rossell Hope Robbins, *The Encyclopedia of Witchcraft and demonology*, (Crown Publishers: New York, 1959)
FAH: Bin Hajar al Askalani, *Fateh al Bari bisharh al Bukhari*, (Dar al Maarifah: Beirut-Lebanon)
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت
FB: Al Balathri, *Futuh al Buldan*, (al Maaref: Beirut- Lebanon, 1987)
البلاذري، فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987
FBAS :Ibn Taimiyah, *al-Furqan bein auliya allah wa auliya al sheitan*, (Dar al Fathila: Riyad, Saudi Arabia)
ابن تيمية، الفُرْقَان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، دار الفضيلة، الرياض- المملكة العربية السعودية
FBH:Al Hanbali, *Fateh al Bari sharh Sahih al Bukhari*, in ten volumes, (Maktabat al Ghuraba' al Athariyah: Medina- Saudi Arabia, 1996)
فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحنبلي، في عشرة اجزاء، مكتبة الغرباء الاثرية، المدينة – السعودية، 1996
FQJ : Mohammed al Shokani, *Fateh al qadeer bein fini al riwayah wa al dirayah men Ilem al tafseer*, in five volumes, (Dar al Wafa', Egypt)
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، في خمسة مجلدات، دار الوفاء، مصر
FQS : Al-Manawi, *Feith al qadeer shareh al-jame' al saghir*, (Dar al Maarifah: Beirut-Lebanon, second edit., 2012
المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة ببيروت، الطبعة الثانية، 2012
FVQ: Jeffery, Arthur, *The Foreign Vocabulary Of The Qur'an*,(Oriental Institute, Baroda: 1938)
GA: Stoneman, Richard, *The Greek Alexander Romance*, (Penguin Books, UK., 1991),
GAS: Howard F. Vos, *Genesis and Archaeology, (*Moody Press: Chicago, 1963)
GD: Gods، Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia Jeremy black and Anthony green, (University of Texas Press: Austin, 1995), p.162
GMM: Richard F. Burton, *The Gold Mines of Midian*, (Dover Publications, INC., New York, 1995)

GP: Claudius Ptolemy, The *Geography,* Translated by Edward Luther Stevenson, (Dover Publications, INC.:New York), 1991
GR: *Ginza Rba*, translated by Yousef Matta Khuzi and Sabih Madlul al-Suheiri, Bagdad, 2001
GS: *The Geography of Strabo*, with an English translation by Horace L. Jones, in eight volumes, (Harvard University Press: Cambridge, Massachusetts;William Heinemann LTD: London),1966
HCV : By A. H. Sayce, *The Higher Criticism and the Verdict of the Monuments,* (Society for promoting Christian Knowledge: London 1894)
HE : *A history of Ethiopia*, by Harold G. Marcus, (University of California Press: Berkeley, Los Angeles, 2002)
HFAM: Al-Sayuti, al Habaek fi akhbar al malaek, (Dar al Kutub al Ilmiyah: Beirut-Lebanon, second edition 1988)
الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية 1988
HG ; *Haran Gawaita*, (Citta del Vaticano, Biblioteca Apostolica, 1953,)
HGA: Charles Forster, *The Geography of Arabia*, THE PATRIARCHAL EVIDENCES OF REVEALED RELIGION, in two volumes
HGR: John C.Reeves, *Heralds of that good realm*, (E.J. Brill: Leiden-New York-Koln, 1996)
HJ : *Kitab al Haywan*, al Jaheth, in 8 volumes, second edition, published by Mustafa al Halabi, second edition, 1965 كتاب
الحيوان، تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، بثمانية اجزاء، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ، 1965
HJA: *Tarikh al Yahud fi bilad al Arab, (The History of Jews in Arabia Pre-Islamic and Early Islam*, Dr. Ben Zeev
اسرائيل ولفنسون : تأريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، مطبعة الاعتماد، القاهرة 1927
HM: *Hindu Myths*، a sourse book translated from Sanskrit، with an introduction by Wendy Doniger O'Flaherty, Penguin books, 1975
HTT: Shungunny Menon, *History of Travancore From the Earliest Times,* (Forgotten Books: Madras- India, 2012)
HW: Jeffrey Russell & Brooks Alexander, *A New History of Witchcraft*, (Thomas & Hudson: London, 2007)
HWS: Montague Summers, *The History of Witchcraft and Demonology*, Citadel Press, Carol Publishing Group 1993
IAA; Israel Eph'al, *The Ancient Arabs,* (E.J.Brill: Leiden), 1982
IAI : S.M. Zwemer, *The Influence of Animism in Islam*, Macmillan Company, New York, 1920
ION : C. M. White, *IN SEARCH OF … THE ORIGIN OF NATIONS,* (1stBooks: 2003)
ISBE : *The International Standard Bible Encyclopedia.,* The Howard-Severance company: Chicago, 1915)
JAD : Ibn Duraid, *Jamharet al-lugha*, (Daerat al Maaref: Hyder Abad, India, 1924)
جمهرة اللغة، ابن دريد، دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند، 1924 ،
JAM: Abu Hilal al Askari, *Jamharat al amthal*, (Dar al Kutub al Ilmiyah: Beirut-Lebanon, first edit, 1988)
جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة اولى 1988
JCF: Hans-Joachim Schoeps, Jewish Christianity: Factional Disputes in the Early Church, pages 136-140, (Fortress Press: Philadelphia, 1969)
JMC: John Reeves, *Jewish Lore in Manichaean Cosmogony*, (Hebrew Union College Press: Cincinnati), 1992,
JOC: Leonhard Rost, *Judaism Outside the Hebrew Canon*, An Introduction to the Documents, (Abingdon: Nashville 1976)

KA : Alaa al Deen al Mutaqi al Hindi, *Kinz al Ummal fi Sunan al Aqwal wa al Afaal*, (Muassasat al Risalah: Beirut- Lebanon, 1989)
علاء الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1989
KFT : Ibn al Atheer, *al Kamil fi al Tarikh*, in 10 volumes, (Dar al Kotob al-ilmiyah, Beirut Lebanon)
ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، في عشرة مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،
KL : Sinasi Gunduz, *The Knowledge of Life*, (Oxford University Press: Oxford, 1994)
KMS : al Sajestani, *Kitab al Masahef*, (Muassat Qurtubah, Cairo)
كتاب المصاحف للساجستاني، مؤسسة قرطبة، القاهرة
KMW: al-Waqidi, Kitab al maghazi, (Oxford University Press: London, 1966)
كتاب المغازي للواقدي، جامعة اكسفورد للنشر، لندن عام 1966
KT: *The Kephalaia Of The Teacher*, the edited Coptic Manichaean Texts, translated by Lain Gardner, (E.J.Brill, Leiden, New York, Koin, 1995)
LA: ibn Manthur, *Lisan al Arab*, (Dar Ehyaa al Turath al Arabi: Beirut- Lebanon, 1999)
ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1999
LOT: Albert T. Clay, *Light on the Old Testament from Babel*, (The Sunday School Times Company: Philadelphia, 1907)
MA: Andrew Welburn, *Mani, the Angel and the Column of Glory*, An Anthology of Manichaean Texts, (Floris Books: Edinburgh, 1998)
MAE : Geraldine Pinch, *Magic in Ancient Egypt*, (British Museum Press: London, 2006)
MAHA: Louis Cheikho, *Majani al- adab fi Hadaiq al- Arab*, (the Jesuite fathers Press: Beirut-Lebanon 1912)
لويس شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، 1912
MAQ : Mohammed bin Habib al Baghdadi, *almonammaq fi akhbar Quraysh*, (Dar al Maaref al Uthmaniah, Haidar abad-India, 1964
محمد بن حبيب البغدادي، المنمق في أخبار قريش، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد-الهند، 1964
MAR : Ibn Qutaibah al-Deinuri, *Al Maaref*, (Dar al Maaref: Cairo-Egypt, fourth edit.)
المعارف، ابن قتيبة الدينوري، دار المعارف، القاهرة ، الطبعة الرابعة
MAS:Al Hafeth Abi Abdellah al Hakem al Nisabori, *Al-Mustadrak 'ala al-Sahîhayn* (Egypt, 1997-Dar al Haramyen, Cairo)
المستدرك على الصحيحين، الحافظ ابي عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، 1997
MAY: Yaqut al Hamawi, *Maajam al Buldan*, (Dar Sader: Beirut, 1977)
ياقوت الحموي، معجم البلدان، في خمسة مجلدات، دار صادر –بيروت- 1977
MBH: *Musnad al Imam bin Hambel*, (Muassat Qurtuba, Cairo) in six volumes
مسند الإمام أحمد بن حنبل، في ستة اجزاء، مؤسسة قرطبة - القاهرة
MF: Jawad Ali, *al Mufassal Fi Tarikh al Arab Qabl Al-Islam*, in nine volumes, (Dar al Elm: Beirut), 1968,
الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، في تسعة مجلدات، دار العلم للملايين، بيروت، 1968
MFAA: al Zamekhshari, *al mustaqsa fi amthal al arab*, (Daerat al Maaref al Uthmaniyah: Heidarabad- India, 1962)
المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد- الهند، 1962
MFM: Shihab al Deen al Abshihi, *al Mustatref fi killi fannen Mustathref*, (Dar Maktabat al Hayat: Beirut- Lebanon, 1992)
شهاب الدين أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، في مجلدين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992
MFTB : Abi al Fida', *al Mukhtasar fi tarikh al basher*, four volumes, (al Matbaah al Huseiniya al Misriya: Cairo, 1909)
ابي الفداء، المختصر في تاريخ البشر، في اربعة اجزاء، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، 1909
MH: Bin Habib al Bagdadi, *Al Mahber*, (Dar al Afaq al Jadideh, Beirut-Lebanon)
المحبر، لابي جعفر بن حبيب البغدادي، دار الافاق الجديدة- بيروت
MIS: Ibn Sedu, *al Mukhassas*, in 18 volumes (Dar al Kutub al Ilmiyah: Beirut-Lebanon)
المخصص، ابن سيده، في 18 مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،

ML : *Manichaean Literature* , translated by Jes P. Asmussen, (Scholars' Facsimiles & Reprints: Delmar,New York, 1975)
MM: Geo Widengren, *Mani and Manichaeism*, by Geo Widengren, translation into Arabic by Dr. Suhail Zakkar, (Dar Hassan: Damascus, 1985 ,
ماني والمانوية ، جيو وايدنغرين ، ترجمة الدكتور زكار ، دمشق ، دار حسان للطباعة ، 1985
MMC: Stephanie Dalley, *Myths from Mesopotamia: creation, the flood, Gilgamesh and others*, Revised edition, (Oxford University Press, Oxford, New York, 2000),
MME : Al-Bakri al-Andalusi, *Maajam ma Istaajam*, (Alam al Kutub: Beirut, third edit., 1983)
البكري الاندلسي ، معجم ما استعجم، عالم الكتب بيروت، الطبعة الثالثة، 1983
MNS: Al Shahrastani, *al Milal wa al Nahil*, Maktabat al Anglo al Masriyah, first ed., Cairo-Egypt, 1977
الشهرستاني، الملل والنحل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، طبعة اولى ، 1977
MP: *A Manichaean Psalm-Book*, Part II, edited by C. R. C. Allberry, Manichaean Manuscripts in the Chester Beatty Collection, Volume II, (W. Kohlhammer: Stuttgart, 1938)
MSM: Najia Murani, *Mafahim Sabieh Mandaeh*, (Sharikat al-Times: Bagdad, second edition1981)
ناجية مراني، مفاهيم صابئية مندائية، شركة التايمس للطبع والنشر، بغداد- 1981 ، طبعة ثانية
MT: Patricia Crone, *Meccan Trade*, (Princeton University Press: Princeton, New Jersey, 1987)
MTD : Ibn Manthur, *Mukhtasar tarikh Dimashq*, in 29 volumes, (Dar al Fiker: Damascus- Syria, 1996)
مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، في 29 مجلد، دار الفكر، دمشق- سوريا، 1996
MTM: al Masudi, *Muruj al thahab*, first edit., (al Aalami: Beirut-lebanon, 1991)
المسعودي، مروج الذهب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، طبعة اولى 1991
NA: Abi Al Abbass Ahmad al Qalqashindi, *Nihayat al Arab fi Maarifat Ansab al Arab*, (Dar al Kitab al Lubnani, Beirut-Lebanon, 2nd edit., 1980)
نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، ابي العباس احمد القلقشندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1980
NAFA : Shihab al Deen al Nuwairi, *Nihayat al Arab fi funoon al Adab*, (Dar al Kutub al Elmeyyeh: Beirut- Lebanon, 2004)
شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004
NH: Alois Musil, *The Northern Hejaz*, A Topographical Itinerary, (Published under the Patronage of the Czech Academy of Science and arts and of Charles Crane: New York), 1926
NHCVII: *Nag Hammadi Codex VII*, Volume editor: Birger A. Pearson, (E.J. Brill: Leiden, New York, Koln, 1996)
NM : Sabaih al Suhairi, *al Nushu wal Khalq Fi al Nusus al Mandaeah*, Mudamedan ala Kurt Rudolph, al Lahut wa Khalq al Kawain wa al Insan Fi al Kitabat al Mandaeah, (University of Bagdad, Bagdad, 1994)
صبيح السهيري، النشؤ والخلق في النصوص المندائية، جامعة بغداد، بغداد 1994 ، معتمدا على كتاب كورت رودولف " اللاهوت وخلق الكون والانسان في الكتابات المندائية "
NZM: ben Taghri Bardi al Atabaki, *al-Nujum al zahirah fi muluk messer wa al qahirah*, (Dar al Kutub al Ilmiyah: Beirut-Lebanon, first edit., 1992
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، بن تَغْري بَرْدي الاتابكي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، طبعة اولى 1992
OB: Dr. Kurt Koch, *Occult Bondage and Deliverance*, (Kregel Publications: Grand Rapids, Michigan, 1972)
OC: Origen, *Contra Celsum*, early Christian, writings
OTD: Walter C. Kaiser Jr., *The Old Testament Documents*, (InterVarsity Press, Downers Grove, Illinois, 2001)

PC: *A pair of Nasoraean Commentaries*, Two Priestly Documents, The Great "First World" And The Lesser " First World", translated by Drower, (E. J. Brill: Leiden, 1963)
PD: T. K. Oesterreich, *Possession Demoniacal And Other*, London, Kegan Paul, Trench, Trubner & CO., LTD. : (London, Great Britain, 1930)
PEC: *The Periplus of the Erythraean Sea*, translated by Wilfred H. Schoff, (Munshiram Manoharial Publishers Pvt Ltd.:New Delhi, 1995)
PM: Vesta Sarkhosh Curtis, *Persian Myths*, (University of Texas Press: Austin, 1993)
PNH : *The Natural History* of Pliny, Tr. With copious notes and Illustrations, by the late John Bostock and H. T. Riley, (Published London: H.G. Bohn, 1855-57)
PPS: A. H. Sayce, *Patriarchal Palestine,* (The Echo Library: Teddington, 2006)
PPW: Procopius, *History of the Wars, The Persian War, Books I & II*, H..B. Dewing, Translator, Cosimoclassics: New York), 2007
RA: Al-Suhaili, *al Rauth al Anuf*, in seven volumes, (Maktabet ibn Taimiyah: Cairo-Egypt, 1990)
الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لامام عبد الرحمن السهيلي، في سبعة اجزاء، مكتبة ابن تيمية، القاهرة 1990
RC: *The Recognitions of Clemen*t, Edited & Revised by Douglas F Hatten, (Lulu.com: 2007)
RD: Brad Steiger, *Revelation The Divine Fire*,(Foresthill, CA: Reality Press, 2006)
RDS: Nelson Glueck, *Rivers in the Desert*,(Farrar Strauas and Cudahy: New York, 1959)
ROTK : K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, (William B. Eerdmans Publishing Company: Grand Rapids, Michigan/ Cambridge, U.K., 2006)
SA : E.S. Drower, *The Secret Adam, A Study of Nasoraean Gnosis*, (the Clarendon Press: Oxford, 1960)
SAH: *The Story of Ahikar, from the Aramaic, Syriac, Arabic, Armenian, Ethiopic, Old Turkish, Greek and Slavonic Versions*, by F. C.Conybeare, J. Rendel Harris, and Agnes Smith Lewis (Glasgow, 1898).
SAN: Sheldon Oberman, *Solomon and the Ant*, (Boyds Mills Press: Honesdale, Pennsylvania, 2006)
SBE *Sacred Books of the East Series*, Motilal Banarsidass:Delhi, 1969-1970
SC: *The Stromata, or Miscellanies*- Clement of Alexandria, Early Christian Fathers
SE : *The Scroll of Exalted Kingship*, Diwan Malkuta Laita, translated by J. J. Buckley, (American Oriental Society: New Haven, Connecticut, 1993)
SHB: al Sira al Halabiya, Ali bin Burhan al Deen al Halabi, in three volumes, Dar al Maarifa: Beirut- Lebanon
السيرة الحلبية ، علي بن برهان الدين الحلبي، في ثلاث مجلدات، دار المعرفة، بيروت- لبنان
SHC: Samuel Noah Kramer, *The Sumerians Their History, Culture, And Character*, The University of Chicago Press:London, Chicago, 1971
SHM: Rushdi Iliayyan, *al-Sabiun Harraniyyen wa Mandiyen*, (Matabaa Dar al Salam: Bagdad, 1976)
رشدي عليان، الصابئون حرانيين ومندائيين ، مطبعة دار السلام-بغداد 1976
SHSL : Wright, *A Short History of Syriac Literature* (Adam and Charles Black: London, 1894),
SIH: *al Sirah al Nabawiya ibn Hisham*, Dar al Khair, Beirut, 1992 :
السيرة النبوية لابن هشام، دار الخير، بيروت، 1992
SIHT: Leon James Wood, *Survey of Israel's History*, (Zondervan: Grand Rapids, Michigan, 1986)
SIM: A. Jamme, W.F., *Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib)* ,(The Johns Hopkins Press: Baltimore, 1962)
SJA : al-Hamadani, *sifat jazirat al arab*, (Maktabat al irshad: Sanaa, Yemen, 1990
الهمداني، صفة جزيرة العرب، مكتبة الارشاد، صنعاء، اليمن، 1990

SKB:Al-Bahiqi, *al Sunan als Kubra*, in 11 volumes, (Dar al Kutub al Elmiyah: Beirut-Lebanon, third edit., 2003)
السنن الكبرى للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ثالثة، 2003
SKH : A. Sreedhara Menon, *A survey of Kerala history*, (DC books: Kottayam, Kerala State, India, 2012)
SKN: Ahmad bin Shuaib al Nisai, *al Sunan al Kubra*, in six volumes, (Dar al Kutub al Elmiyah: Beirut- Lebanon, 1991)
أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، في ستة اجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1991
SKS: Muhammed Abedel Hamid al Hamad, *Sabiat Harran wa Khwan al Safa*, (al Ahali: Damascus-Syria, 1998)
محمد عبد الحميد الحمد ، *صابئة حران واخوان الصفا* ، (الاهالي ، دمشق سوريا 1998)
SNK: ibn Katheer, *al Sirah al Nabawyah*, the electronic version by Shabaket Mishkat al Islamiyah, 1976
السيرة النبوية لابن كثير، النسخة الالكترونية شبكة مشكاة الإسلامية، 1976
SPC: Ernest A. Wallis Budge, *The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes*, (Gorgias Press: New Jersey, 2003)
STE: *Second Targum of Esther*, an Explanatory Commentary on Esther, with four Appendices, consisting of The second Targum translated from the Aramaic, Paulus Cassel, (Edinburgh, T. & T. Clark, 1888)
STS : Mohammed Ali al Sabuni, *Safwat al Tafaseer*, in three volumes, (Dar al Quran al Kareem: Beirut, 1981)
محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، في ثلاثة مجلدات، دار القرآن الكريم، بيروت 1981
SUT: Mohammed bin Isa al Tarmathi, *Sunan al Tarmathi*, (Dar Ihya' al Turath al Arabi, Beirut- Lebanon
محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
TA: Mohammed Murtatha al Huseini al Zubeidi, *Taj al Aruss*, in 40 volumes, (al Majles al watani lelthaqafa wa al funun wa Adab, Kuwait, 2004)
محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، في اربعين جزءا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، 2004
TAT : Jaafar Mohammed bin Jarir al Tabari, *Jamea al Bian an Taweel al Quran, known as Tafseer al Tabari*, (Dar al Feker, 1995)
جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995
TES : Julian Obermann, " Two Elijah Stories In Judeo-Arabic Transmission", *Hebrew Union College Annual*, 1950-1951, Volume XXIII (Part I),
TFMH : Wahab bin Munabbeh, *Kitab al Tijan fi Muluk Himyar*, (Daerat al Maaref al Uthmaniyah: Heidar Abad, India, first edit., 1928)
كتاب التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، طبعة اولى سنة 1928 ،
TFR: Al Razi, *Tafseer al fakher al razi*, in 32 volumes (Dar al Feker : Beirut-Lebanon, 1981)
الرازي، تفسير الفخر الرازي، في 32 جزء، دار الفكر، بيروت، 1981
TFS : Ibn Salam al Jamhi, *Tabaqat Fuhool al Shuara'*, Dar Almaaref, Second Edition, prepared by Abu Faher Mahmood Mohammed Shaker, (Dar al Maaref-Cairo-Egypt, 1974)
طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق ابو فهر محمود محمد شاكر، طبعة ثانية (دار المعارف- القاهرة- مصر، 1974م)
TFT: Ibn Jezy al Kalbi, *al tasheel fi Ulum al tanzeel*, (Matbaat Mustafa Mohammed: cairo- Egypt, first edit., 1936
التسهيل في علوم التنزيل لابن جزيّ الكلبي، مطبعة مصطفي محمد، طبعة اولى، القاهرة، 1936
TIK : Ibn Khaldun, *Tarikh ibn Khaldun*, in 8 volumes, (Dar al Fiker: Beirut-Lebanon, 2001)
ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، في ثمانية مجلدات، دار الفكر، بيروت- لبنان، 2001

TKB : al Buchari, *al Tarikh al Kabeer*, (Dar al Kutub al Elelmiyah: Beirut-Lebanon)
البخاري، التاريخ الكبير، في ثمانية مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان

TKIS: ibn Saad, *al Tabaqat al kubra*, (Maktabat al Khanji: Cairo, 2001
كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الاولى 2001

TMD: Ibn Asaker, *Tarikh Madinat Dimashq*, (Dar Al-Fiker: Beirut-Lebanon, first edit., 1997
ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى 1997

TMTH: al Thaalibi, *al Tamtheel wa al muhathara*, (al dar al arabiya lelkitab: cairo, Egypt, 1983)
التمثيل والمحاضرة ، الثعالبي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 1983

TQTH: al Thaalibi, *Thimar al Qulub fi al muthaf wa al mansub*, (Dar al Maaref: Cairo-Egypt, 1965
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، دار المعارف، القاهرة، 1965

TS: H. Polano , *The Talmud Selections*, (Frederick Warne& CO., LTD: London and New York, 1978)

TSE: Bernard Grossfeld, *Targum of Sheni to the Book of Esther*, (Sepher-Hermon Press: New York, 1993)

TSK: *Testament of Solomon*, translated by F. C. Conybeare, Originally Published as The Testament of Solomon The Jewish Quarterly Review, Vol II, No 1. (October, 1898)

TTA : *Tarikh al Tabari*, Tarikh al Rusul wa al Muluk, Abi Jaafer bin Jarir al Tabari, in 10 volumes, second edition, Dar al Maarif, Egypt.
تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، في عشرة اجزاء ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر،

TTB : *Tarikh al Tabari*, Tarikh al Rusul wa al Muluk, Abi Jaafer bin Jarir al Tabari, in 5 volumes, (Dar al Kutub al Elmeyiah: Beirut-Lebanon, 1991)
تاريخ الطبري ، تاريخ الامم والملوك، لابي جعفر بن جرير الطبري ، في خمسة مجلدات ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، الطبعة الثالثة 1991 ،

TTH: Abed al Rahman Al Thaalibi, *Tafsir al Thaalibi al musamma bil-jawaher al hisan fi tafseer al quran*, (Dar Ehya' al Turath al-arabi: Beirut-Lebanon, first edition, 1997)
عبد الرحمن الثعالبي، تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان الطبعة الاولد - 1997

TTL : Mohsin Ashraf , *Top Ten- Lives of the Greatest Monarchs of History*,(Lulu Publications: London, 2007)

TTQ: *The Thousand and Twelve Questions, Alf Trisar Suialia*,Translation by E.S. Drower, (Akademie-Verlag: Berlin, 1960)

TTT : Robert T. Boyd, *Tells, Tombs and Treasure*,(published by Bonanza Books by arrangement with Baker Book House, New York)

UQ : Bader al Deen al Aini, Umdet al Qari Shareh Sahih al Bukhari, in 25 volumes, (Dar al Kutub al Ilmiyah: Beirut-Lebanon, 2001)
بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، في 25 مجلد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، طبعة اولى، سنة 2001

WQ : Al-warraq, electronic version
النسخة الالكترونية لموقع الوراق

ZMT:ibn al Jozi, *zad elmaseer fi elm al tafseer*, (al Maktab al Islami: Beirut-Lebanon, 1984)
زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، طبعة الثالثة، (المكتب الاسلامي، بيروت، 1984)

ZS : A.V. Williams Jackson, Zoroastrian Studies, The Iranian Religion And Various Monographs, AMS Press, New York, 1965

ZT : *Textual sources for the study of Zoroastrianism*, edited and translated by Mary Boyce, (The University of Chicago Press: Chicago, 1990)

فهرس الكلمات

المراجع

[1] Charles Forster, The Geography of Arabia, Vol. 2, HGA, page 32
[2] Wellhausen: cited by encyclopaedia of Islam, EI, volume 1, page 169
[3] مُستشهد من الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الاول، MF، صفحة 308
[4] ابن هشام، SIH، 1 : 8
[5] مقدمة لكتاب ابن هشام، SIH، صفحة ل ، م
[6] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، TIK، المجلد الاول ، صفحة 19 ؛ الجزء الثاني ، صفحة 21 و 22
[7] ديوان امية بن ابي الصلت ، طبعة بشير يموت ، صفحة 58 ، بيروت 1938
[8] الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الاول، MF، صفحة 75
[9] الطبري، TTA، 1 : 217
[10] I Enoch 7:3, (BE)
[11] Haran Gawaita, (HG), page 13
[12] E.S.Drower, A Mandaean Book of Black Magic, Journal of the Royal Asiatic Society. 1943, page 169 ; cited by Maria Vittoria Cerutti, Dualismo e Ambiguita',(DA), page 96
[13] John Reeves, Jewish Lore in Manichaean Cosmogony, (JMC), page 88
[14] المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجواهر، MTM ، الجزء الاول ، صفحة 258 و259 ؛ فيروز آبادي، القاموس المحيط، الجزء الثالث، فصل الزين ؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، FAH، الجزء الثاني عشر، صفحة 270 و 271 ؛ الزبيدي، تاج العروس، الجزء السادس، تحت نشج والجزء السابع ، تحت "زند" و الجزء الثاني والعشرين ، تحت"زنديق" ؛ ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء السادس، حرف الزين، تحت "زندق"
[15] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الثاني، صفحة 24
[16] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، MFM، المجلد الثاني، صفحة 83
[17] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، MAS، الجزء الثاني، صفحة 643، رقم 4068
[18] اليعقوبي 1،صفحة 101 بحسب نسخة موقع الوراق
[19] جيو وايدنغرين، ماني والمانوية، MM ، صفحة 162و163
[20] جيو وايدنغرين، ماني والمانوية، MM، 163
[21] Manichaean Literature, (ML), translated by Jes P. Asmussen, page 2

[22] Manichaean Literature, (ML), translated by Jes P. Asmussen, page 17
[23]العيني، عمدة القاري، UQ، الجزء 15 ، صفحة 311
[24] البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، MME، الجزء الاول، صفحة 119
[25] "Hud and other Pre-Islamic prophets of Hadramaut" (Muséon, 67{1954}, pages 121-179; see especially pages 166-171;F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, (AR), page 45
[26] F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, (AR), page 45
[27] Von Kremer, Uber die Suedarabishe Sage, S., 21
مستشهدا من الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الاول، MF، صفحة 312
[28] راجع الصابوني، صفوة التفاسير، STS، 2 : 309
[29] الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، MFM، المجلد الثاني، صفحة 83
[30] اليعقوبي 1، WQ، صفحة 101
[31] Ram Yast I, 2 and 3, SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, page 250
[32] Ram Yast V, 20, SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, page 254
[33] Dinkard,VII, chapter II, 44-46, SBE, Volume 47, Pahlavi Texts part V, page 28
[34]انظر الشهرستاني في الملل والنحل، MNS، صفحة 259
[35]مُستشهد من الصابوني، صفوة التفاسير، STS، الجزء الثالث صفحة، 199
[36] Inscriptions of Sargon, (Ta-mu-di, Lie, The Inscriptions of Sargon II, King of Assyria, 20:120; quoted by I. Eph'al, The Ancient Arabs, IAA, page 230
[37] De Lacy O'Leary, Arabia before Muhammed, AM, page 51
[38]صحيح البخاري، كتاب الأنبياء ، باب: قول الله تعالى: {وإلى ثمود أخاهم صالحا} ؛ صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق ، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين
[39]القلقشندي، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، NA، صفحة 198
[40] F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, AR, page 130
[41] The Geography of Strabo, Book XVI. 4. 24 (GS volume vii, page 359)
[42] F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, AR, page 130
[43]F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, AR, page 117
[44] K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, page 237
[45] A. Jaussen and R. Savignac, Mission archéologique en Arabie, II, (Paris 1914), page 56 and 57 cited by F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, AR, page 42
[46]تفسير الطبري، TAT، الجزء الثاني عشر، تفسير للايتين 67 و68 من سورة هود. رقم الحديث 14187
[47] Van den Branden, in Le Museon, LXIII, (1950) 1-2, pages 47-51; Cited by Jawad Ali, al Mufassal Fi Tarikh al Arab Qabl Al-Islam, vol. I, MF, page 328
[48] Preislamiques p. 23; Cited by Jawad Ali, al Mufassal Fi Tarikh al Arab Qabl Al-Islam, MF, vol. vi, p. 324
[49] F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, AR, page 44

[50] Enno Littmann, JESUS IN A PRE-ISLAMIC ARABIC INSCRIPTION, The Muslim World, Volume 40, Issue 1, January 1950, Pages: 16–18, Article first published online : 3 APR 2007

[51]تفسير القرطبي، في تفسير سورة الاعراف؛ تفسير الطبري، TAT، جزء 19، في تفسير سورة الشعراء، رقم 20322

[52]عبد الرحمن الثعالبي، تفسير الثعالبي، TTH ، الجزء الثالث، صفحة 49 ؛مروج الذهب، المسعودي، MTM، الجزء الثاني، صفحة 45و 46

[53]تفسير ابن كثير، في تفسير سورة الاعراف

[54]تاريخ الطبري، TTBا، لمجلد الاول، صفحة 140

[55] ديوان امية بن ابي الصلت، DUBS، صفحة 76

[56] ديوان امية بن ابي الصلت، DUBS، صفحة 76

[57] See: R.C. Zaehner, The Dawn and Twilight of Zoroastrianism, DTZ, page 142

[58]الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، AKM ، باب ما جاء في اللات والعزى، صفحة 198

[59]الاغاني للاصفهاني، AGH، 16 : 260

[60] محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،BEA ، 2 : 307 و 308

[61] Selection of Zad-Sparam, Chapter XII:7-19, SBE, V.47, Pahlavi Texts, Part V, pages 135- 137

[62] Selections of Zad-Sparam, Chapter XII, 7-9, SBE, V.47, Pahlavi Texts, Part V, page 135

[63] Dinkard, book VII, Chapter II: 63-66, SBE, V.47, Pahlavi Texts, Part V, page 32

[64] Selections of Zad-Sparam, Chapter XII, 19, SBE, V.47, Pahlavi Texts, Part V, page 137

[65] F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, AR, pages 130-131

[66]Irfan Shahîd, Byzantium and the Arabs in the fourth century, BAFO, pages 393- 394

[67] Notitia Dignitatum, OR. 28.17, 34.22; cited by Robert G. Hoyland, Arabia and the Arabs: from the Bronze Age to the coming of Islam, Routledge. AAB, p. 69

[68]Notitia Dignitatum, 52.5

[69] F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, AR, page 70

[70] F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records fom North Arabia, AR, page 138

[71] Ptolemy, Geography, book VI, chapter 7, GP, page 137

[72] Alois Musil, The Northern Hejaz, NH, page 279

[73] Eusebius, Onomasticon, section M, Genesis, Madiam

[74] Procopius,Persian War, I, xix, PPW, p. 181

[75] Richard F. Burton, The Gold Mines of Midian, GMM, pages 317-369

[76] السيرة لابن هشام، SIH، الجزء الرابع، صفحة 196

[77]ياقوت الحموي ، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس، صفحة 78

[78]ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء الثالث، حرف الجيم، تحت "جحل"

[79] القرطبي في تفسير سورة هود

[80]الالوسي، روح المعاني، في تفسير سورة الاعراف اي رقم 7 ؛ تفسير بن كثير، تفسير سورة الاعراف ؛ تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 198
[81] المسعودي، مروج الذهب، MTM، 1991 ، الجزء الأول، صفحة 66
[82]تفسير بن كثير ، بن كثير، تفسير سورة يس
[83]الالوسي، روح المعاني، في تفسير سورة يس
[84]تفسير القرطبي، تفسير سورة يس
[85]القرطبي، الجامع الاحكام القرآن، تفسير سورة يس
[86]ابو حيان، تفسير البحر المحيط، في تفسير سورة سورة يس وهي رقم (36)
[87]بن كثير، تفسير بن كثير، سورة يس
[88]المسعودي ، مروج الذهب، MTM، الجزء الاول ، صفحة 73 و 74
[89] ابن جزئ الكلبي، التسهيل في علوم التنزيل، TFT، 3: 161
[90]بن كثير، تفسير بن كثير، سورة يس
[91]المسعودي، مروج الذهب، MTM، الجزء الاول ، صفحة 73
[92] المقدسي، البدء والتاريخ، WQ ، صفحة 164 ؛ الطبري، TTB ، المجلد الاول، صفحة 379 و 380؛ ابن كثير، البداية والنهاية، BNH، الجزء الاول، صفحة 235
[93]تفسير القرطبي، تفسير سورة يس
[94] تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 379 و 380
[95] تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 379 و 380
[96]صحيح البخاري، تحت باب : سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق ، رقم الحديث [3043]
[97]العيني ، عمدة القاري ج:1 ص:53
[98]ابن منظور، لسان العرب تحت "سأب"
[99]النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير المحدث ، الصفحة : 392
[100]الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لامام عبد الرحمن السهيلي، الجزء الثاني، RA، صفحة 399
[101]ابن هشام 1 : 190
[102]قاموس المنجد ، صفحة 544
[103]الحلبية، 1، 385
[104]تاريخ الطبري، المجلد الاول، صفحة 531
[105]الحلبية 1 : 384 و 385 ابن هشام 1 : 190
[106] Hyppolytus, The Refutation of All Heresies, book VI , Chapter xiv
[107] Irenaeus, Against Heresies, Chapter XXIV: 4, Ante-Nicene Fathers, Volume I, Hendrickson, Peabody, Massachusetts, 1995, page 349
[108]صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، 1- باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله
[109] بن هشام، SIH، 2 : 26
[110] تفسير الطبري، TAT ، رقم 16554-16556 ؛ الالوسي، روح المعاني، في تفسير سورة النحل
[111]ابن هشام، SIH، 1 : 147-148
[112]ابن هشام، SIH، 1 : 147، ملاحظة رقم 6
[113]ابن هشام، SIH، 1 : 148
[114] Tranquillus, Gaius Suetonius (2011-03-24). The Lives of the Twelve Caesars, Volume 06: Nero. Kindle Edition
[115] Tacitus, The Annals, book 15.22
[116] Bundahis XIX :1,2, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, pages 67-8
[117] Darmesteter, (Ormazd et Ahriman), page 148-151 quoted by West in his comment on Palavi Texrs part I page 67
[118] *Bubdahis* XIX: 3, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, page 68

[119] *Bundahis* XIX ,7, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, page 68
[120] *Bundahis* XIX,8,9, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, page 69
[121] Introduction to Vendidad , SBE, Volume 4, Zenda Avesta Part I, pages lxxv-lxxvi
[122] Bahman yast III: 59,60, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, page 235
[123] *Bundahis* VII : 12, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, page 28
[124] *A Manichaean Psalm-Book*, MP, page 138
[125] *Paraphrased of Shem*, chapter 6: 2-6, *Nag Hammadi Codex VII*, NHCVII, page 39
[126] John C.Reeves, *Heralds of that good realm*, HGR, page 179
[127] *The Thousand and Twelve Questions*, 231, TTQ, P.168
[128] كنزا ربا اليمين،الكتاب الخامس، GR، صفحة 109
[129] *The Thousand and Twelve Questions*, 256, TTQ , P. 179
[130] *The Thousand and Twelve Questions*, 256, TTQ , Pages. 179-180
[131] The Great First World (Alma Risaia RBA), VII, 435, *A pair if Nasoraean Commentaries*, PC, page 32
[132] *The Thousand and Twelve Questions*, 83, TTQ, P.133
[133] *The Scroll of Exalted Kingship*, Diwan Malkuta Laita, SE, page 66
[134] كنزا ربا الايمن، كتاب 17 التسبيح السابع، GR ، صفحة 293 (كنزا ربا 15 ص 351 بحسب كورت رودلف MN، صفحة 68 و 107 حيث يترجم جيدا صيحة بدل نادى)
[135] ابن هشام، SIH ، الجزء الاول، صفحة 186
[136] السيرة النبوية، الحافظ بن كثير، SNK، الجزء الاول ، صفحة 157
[137] السيرة النبوية ، الحافظ بن كثير، SNK، الجزء الاول ، صفحة 156)
[138] السنن الكبرى ، للنسائي، SKN، رقم 8188
[139] عمدة القاري، العيني، UQ، الجزء الرابع، صفحة 49
[140] giving a passage from Thabit b. Kurra, quoted by Barhebraeus, Chronicum Syriacum,Paris 1890,168); cited by Encyclopaedia of Islam, EI, volume III , page 166
[141] (cf. N. A. Faris and H. W.Glidden,The development of the meaning of the Koranic Hanif, in Journal of the Palestine Oriental Society, xix (1939), 1-13, esp. 6-9; cited by Encyclopaedia of Islam, EI, volume III, page 166
[142] Noldeke, Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft, xli, 721; de Goeje, Bibl. Geogr. Arab, viii, Glossary, p. xviii.;cited by Jeffery, Arthur, *The Foreign Vocabulary Of The Qur'an*, FVQ, page 114
[143] (ابن هشام، SIH، 1 : 173 ؛الحلبية، SHB، 1 : 303
[144] الحلبية، SHB، 1 : 310
[145] Dinkard-Book IX,Chapter XXXIII, 5, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, page 262-see note 2
[146] *Sad Dar*,Chapter XCVIII, 2-3, SBE, Volume 24, Pahlavi Texts part III, page 360
[147] Dinkard-Book VIII, Chapter XXXVIII, 49-51, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, page 128-9
[148] Introduction to Vendidad , SBE, Volume 4, Zenda Avesta Part I, pages lxxv-lxxvi .

[149] Bahman Yast (part of Pahlavi Texts) Chapter III: 47, 48 , SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, pages 231-2

[150] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، 40 - باب: طلوع الشمس من مغربها.؛ 8 صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب 26

[151] Comment on Mihir Yast , XXIV: 95 , SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, page 143-fotenote 5

[152] Mihir Yast, XXIV: 95, SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, page 143, see also fotenote 5

[153] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، 4 - باب: صفة الشمس والقمر بحسبان.

[154] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، 22 - باب: {وكان عرشه على الماءوهو ربُّ العرش العظيم}

[155] Dinkard book VII, chapter X, 2, SBE, Volume 47, Pahlavi Texts part V, page 112

[156] Introduction to Pahlavi Texts, 12-13, SBE, Volume 47, Pahlavi Texts part V, page XIII

[157] R.C. Zaehner, *The Dawn and Twilight of Zoroastrianism*, DTZ, Weidenfeld And Nicolson, London 1975, page 318

[158] صحيح البحاري، كتاب الانبياء، 5 - باب: قول الله تعالى: {إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم}

[159] Farvardin Yast, XVI: 57, SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, page 194

[160] Introduction to Pahlavi Texts, SBE, Volume 47, Pahlavi Texts part V, page XIII, 12

[161] Sikand-Gumanik Vigar, Chapter XIV, 39, SBE, Volume 24, Pahlavi Texts part III, page 225

[162] جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام*، MF، الجزء الثاني ، صفحة 384

[163] الحلبية، SHB ، 2 : 6 ؛ ابن هشام، SIH، 2 : 5 ملاحظة رقم 1 في الحاشية ، مصطفى السقا يستشهد بالسهيلي

[164] الحلبية، SHB ، الجزء الثاني ، صفحة 6

[165] البخاري، كتاب سجود القرآن، 4 - باب: سَجْدَة النجم.

؛ و 4 : 239؛ الحلبية، SHB ، 2 : 6

[166] *Bundahis*,Chapter XXX : 6, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, page 123

[167] Dinkard, book VII, Chapter I:9; SBE, Volume 47, Pahlavi Texts part V, page 6, see also fotenote number 2

[168] Dinkard, book VII, chapter II: 36, SBE, Volume 47, Pahlavi Texts part V, page 26

[169] Farvardin Yast I :11, SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, pages 182-3

[170] صحيح البخاري، كتاب التفسير، 415 - باب: {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا}

[171] Yasna LXV(LXIV): SBE, Volume 31, *Zenda Avesta Part III*, pages 317-320

[172] The Gathas, Yasna LI. ,9, SBE, Volume 31, *Zenda Avesta Part III*, page 182,see also fotenote 1; Dinkard-Book IX, Chapter XXXII, 25, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, page 259-260

[173] Dinkard-Book IX, Chapter XLIV,11, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, page 296

[174] *Bundahis*,Chapter XXX : 19-21, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, pages 125-6 ; *Dadistan-I Dinik*, Chapter XXXII, 12-13, SBE, Volume 18, Pahlavi Texts part II, page 73;

Dadistan-I Dinik, Chapter XXXVII, 110, SBE, Volume 18, Pahlavi Texts part II, page 115

[175] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، 2 - باب: قول الله تعالى
[176] صحيح البخاري، كتاب التعبير، 45 - باب: من كذب في حلمه.
[177] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، 24 - باب: قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة}
[178] صحيح البخاري، باب: فضل السجود.
[179] Oriental Institute of the University of Chicago, Revised: February 7, 2007; under : "Mud brick stamped with the cartouche of Rameses II"can be accessed at http://oi.uchicago.edu/museum/highlights/tools.html
[180] Can be accessed at : http://www.israelofgod.org/esther.htm
[181] *The International Standard Bible Encyclopaedia.*, ISBE, I, p. 80-81
[182] *The International Standard Bible Encyclopaedia.*, ISBE, I, p. 80
[183] Babylonian Talmud - Mas. Megilah 16b
[184] Babylonian Talmud, Mas. Megilah 15b, footnote 1 a
[185] A.L. MCMAHON For Esther Woodall From the Catholic Encyclopedia
[186] Babylonian Talmud, Mas. Megilah 10b, Footnote 42
[187] Babylonian Talmud - Mas. Megilah 16b
[188] Encyclopedia Judaica CD-ROM Edition 1.0 1997, under *Haman*
[189] Hyppolytus, The Refutation of all heresies, book VI , Chapter xii
[190] Hyppolytus, The Refutation of all heresies , Book X, Chapter VIII.—Simon Magus.
[191] Hyppolytus, The Refutation of all heresies, book X , Chapter VIII
[192] The Recognitions of Clement, book 2.1, RC, page 59
[193] Clementine Homilies, book 2. 22
[194] The Recognitions of Clement, book 2. Chapter 9, RC, pages 64-5
[195] Pseudo-Clementine Homilies, book 2, chapter 32,
[196] Pseudo-Clementine Homilies, book 4, chapter 4
[197] Pseudo-Clementine Homilies, book 2, chapter 26
[198] The Recognitions of Clement, book 2. Chapter 15, RC, page 69
[199] Epiphanius, Against Heresies (Panarion), xxx, 15
[200] Irenaeus, Against Heresies, book I, chapter.26.2,
[201] Epiphanius, Panarion 30:18,1
[202] Epiphanius, Panarion 30: 2,7-9
[203] الاغاني للا صفهاني، AGH، الجزء الثالث، صفحة 82؛ و الاشتقاق 164
[204] Epiphanius, Panarion XXX
[205] Irenaeus, Against Heresies, book I, chapter.26.2
[206] Epiphanius, Panarion 30: 2,4-5
[207] Epiphanius, Panarion 30: 3,7
[208] Epiphanius, Panarion 30: 13, 2
[209] Epiphanius, Panarion 30: 15, 3
[210] Epiphanius, Panarion 30: 21,2
[211] Epiphanius, Panarion 30: 26,1
[212] Epiphanius, Panarion 30:18,4
[213] Epiphanius, Panarion 30:18, 2
[214] Epiphanius, Panarion 30:18, 3

[215] Hans-Joachim Schoeps, Jewish Christianity: Factional Disputes in the Early Church, JCF, pages 136-140

[216] تفسير الطبري، TAT ، رقم 18338

[217] القرطبي في تفسير سورة طه

[218] The Epistula Apostolorum, chapter 1, section 9

[219] صحيح البخاري، كتاب الحيل، 14 - باب: احتيال العامل ليهدى له.

[220] تاريخ الطبري ، TTB، المجلد الاول ، صفحة 251

[221] تفسير الرازي، TFR، 22 : 103

[222] تفسير القرطبي للاية 148 لسورة الاعراف

[223] تفسير الطبري، TAT، جزء 16، تفسير للاية 148 من سورة الاعراف، حديث رقم 18313

[224] Bundahis,Chapter XXXI : 32, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, page 138

[225] Pseudo-Clementine Homilies, book 18, chapter 12

[226] محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، STS، الجزء الثاني، ص 245 .

[227] كنزا ربا، الكتاب الاول ،التسبيح الثاني، GR ، صفحة 8

[228] The Canonical Prayerbook of the Mandeans, CP , chapter 379, pages 294-5

[229] كنزا ربا ،الكتاب الخامس ،GR، صفحة 94 و 95 -100

[230] ابن كثير في البداية والنهاية، BNH، 1 : 19

[231] كنزا ربا ،الكتاب الخامس عشر،GR ، صفحة 250

[232] كنزا ربا، الكتاب الثاني عشر، الضياء الثاني، GR ، صفحة 198

[233] The Apocryphon of John, AJ, page 59

[234] The Kephalaia Of The Teacher, KT, Introduction page xxviii

[235] كنزا ربا اليمين، الكاتب السابع عشر، التسبيح السابع، GR صفحة 292

[236] A.G. Lie, The Inscriptions of Sargon II, King of Assyria, I: The Annals, Paris, 1929, 22: 120; The Ancient Arabs, I. Eph'al, IAA, page 230

[237] Antiquities of the Jews, Flavius Josephus, Book xi,chapter 8. (AJF)

[238] Antiquities of the Jews, Flavius Josephus, xi, chapter viii (AJF)

[239] قاموس الكتاب المقدس ، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، باب م، 196 ارض المريا

[240] www.Jewishvirtuallibrary.org

[241] Lambert Dolphin, www.templemount.org.

[242] تاريخ الطبري ، TTB ، المجلد الاول، صفحة 251

[243] راجع المنجد صفحة 107 قاموس الاعلام

[244] روح المعاني، الالوسي، في تفسير سورة طه

[245] تفسير الرازي، TFR، 22 صفحة 48

[246] تفسير الطبري، TAT،جزء 16، حديث رقم 18339

[247] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تفسير سورة طه

[248] الحلبية، SHB، 2 : 109

[249] Haran Gawaita , (HG), page 3

[250] Haran Gawaita , (HG), page 8

[251] تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 345

[252] صحيح البخاري، كتاب التيمم، 5 - باب: الصعيد الطيب وضوء المسلم، يكفيه من الماء ؛عمدة القاري، العيني، UQ، الجزء الرابع، صفحة 38 ؛ الحنبلي ، فتح الباري ، FBH، الجزء الثاني ، صفحة 270 حديث رقم 344

[253] الاغاني، للاصفهاني، AGH، جزء 17: صفحة 46

[254] كورت ادولف منقول في كتاب صبيح السهيري، النشؤ والخلق في النصوص المندائية MN ، صفحة 127

[255] مُستشهد من محمد عبد الحميد الحمد ، صابئة حران واخوان الصفا، SKS ، صفحة 30

[256] الصابئة المندائيون لدروور ,E.S. Drower مستشهد من الدكتور رشدي عليان، الصابئون حرانيين ومندائيين، SHM ، صفحة 27

[257] ناجية مراني، مفاهيم صابئية مندائية، MSM، صفحة 180

[258] مُستشهد من محمد عبد الحميد الحمد ، صابئة حران واخوان الصفا SKS ، صفحة 37

[259] تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 346 و347

[260] تاريخ الطبري، TTB ، المجلد الاول، صفحة 347

[261] تاريخ الطبري، TTB ، صفحة 347

[262] - تاريخ الطبري، TTB ، المجلد الاول، صفحة 495

[263] الصابوني، صفوة التفاسير، STS، 2 : 270

[264] الجاحظ، الحيوان، HJ، 6 : 225-272

[265] Gods، Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, Jeremy black and Anthony green, GD, p.162

[266] A.V. Williams Jackson, Zoroastrian Studies, ZS, page 83

[267] A.V. Williams Jackson, Zoroastrian Studies, ZS, page 83 ؛ Persian Myths، Vesta Sarkhosh Curtis, PM, page 32

[268] تاريخ الطبري،TTB، المجلد الاول ، صفحة 298

[269] Targum to Ecclesiastes. i. 13;Babylonian Talmud Pesachim 110a

[270] Testament of Solomon, translated by Conybeare, TSK, verses 2-11, pages 15-17

[271] Testament of Solomon, translated by Conybeare, TSK, verses 13-15, page 18

[272] Testament of Solomon, translated by Conybeare, TSK, verses 124-125, pages 43-4

[273] كنزا ربا ، الكتاب الثاني، التسبيح الاول، GR ، صفحة 28

[274] ديوان الاعشى صفحة 243؛ تفسير القرطبي، صفحة 2261 ، WQ ؛ المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، صفحة 1236، WQ

[275] تاج العروس تحت "جن" مستشهد من جواد على في المفصل، MF، الجزء السادس صفحة 722 و 723

[276] الجاحظ، الحيوان، HJ ، 6، صفحة 223

[277] المسعودي، مروج الذهب، MTM، الجزء الأول، صفحة 283

[278] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، NAFA، الجزء 14 صفحة 110

[279] تفسير الطبري، TAT، جزء 22، رقم 21967

[280] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، NAFA، الجزء 14 صفحة 108 و 109

[281] Midrash Tehillim (in Yalḳ., I Kings, 182); cited by Jewish Encyclopedia

[282] تفسير الطبري، TAT، جزء 23، تفسير لسورة ص الايات 30-33 رقم الحديث 22949 و 22951

[283] تفسير القرطبي في سورة ص الايات 30-33

[284] Pliny the Elder, Natural History 8. XXX

[285] مشكاة المصابيح، باب عشرة النساء

[286] تفسير الطبري، TAT، جزء 23، في تفسير سورة ص والاية 34، رقم الحديث 22967

[287] تفسير الطبري، TAT، جزء 23، في سورة ص والاية 34، رقم الحديث 22971

[288] (Sanh. l.c.; Giṭ. 68b; Ecclesiastes Rabbah, i. 12; Cited by Jewish Encyclopedia on Solomon

[289] Midrash (Ruth Rabbah 5:6)

[290] (Giṭ. 68; parallel passages, Midrash Tehillim on Ps. lxxviii. 45; Yalḳ. ii. 182; compare Num. R. xi. 3; Targum Ecclesiastes, i. 12, and the extract from a manuscript Midrash in "Z. D. M. G." xxi. 220, 221); cited by Jewish encyclopedia

[291] (Yer. Sanh. ii. 6; Pesiḳ., ed. Buber, 169a; Tan., ed. Buber, iii. 55; Eccl. R. ii. 2; Simon b. YoḦai of the middle of the second century is quoted as the authority);cited by Jewish Encylopedia

[292] Zohar Lev. pp. 19a, 43a; ib. Num. 199b, ed. Wilna; cited by Jewish encyclopedia.

[293] Tobit iii. 8; vi. 13 and14

[294] Emeḳ ha-Melek, 14a-15a

[295] Irenaeus, Against Heresies, Chapter XXV : 3 , Ante-Nicene Fathers, Volume I, page 350

[296] Origen, Contra Celsum, (OC) sixth book, chapters 28-30

[297] ابن هشام، SIH، 1 : 128

[298] صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، 16 - باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينا

[299] التبريزي، مشكاة المصابيح ، باب الوسوسة ؛ انظر ايضا ابن كثير ، البداية والنهاية، BNK، الجزء الاول، صفحة 84 و 85

[300] الحلبية، SHB، 2 : 65

[301] الحلبية، SHB، 2 : 66

[302] تاريخ الطبري ، TTB، المجلد الاول ، صفحة 573 ، 574

[303] Creation of the Physical Earth, Turfan Fragments M 98 and 99, cited by Andrew Welburn, Mani, the Angel and the Column of Glory, MA page185

[304] Testament of Solomon, translated by Conybeare, TSK, verses 122, page 43

[305] الحيوان للجاحظ، HJ، 6 : 190

[306] Sheldon Oberman, Solomon and the Ant, SAN, page 18

[307] The Ants, by Bert Hölldobler and Edward O. Wilson, AN, page 259

[308] The Ants by Bert Hölldobler and Edward O. Wilson, AN, page 257

[309] The Ants by Bert Hölldobler and Edward O. Wilson, AN, page 258

[310] The Ants by Bert Hölldobler and Edward O. Wilson, AN, page 254- 255

[311] Deuteronomy/Devarim Rabbah 5.2

[312] The Ants by Bert Hölldobler and Edward O. Wilson, AN, page 256

[313] The Ants by Bert Hölldobler and Edward O. Wilson, AN, page 257

[314] Vendidad,Fargard X :14 , SBE, Volume 4, Zenda Avesta Part I, page136 ; Look also to fotenote 7

[315] Appendix to Pahlavi Texts, Part II, SBE, The Sacred books of the East, Volume 18, page 372, footnote 2

[316] Bundahis,Chapter XXVIII : 24, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, page 110

[317] Appendix to Pahlavi Texts, Part II, SBE, The Sacred books of the East, Volume 18 , p. 377

[318] Aban Yast XXVIII, 120, SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, page 81
[319] تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول ، صفحة 109
[320] Dinkard-Book IX, Chapter XXIII, 2-7, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, pages 224-225
[321] Testament of Solomon, translated by Conybeare, TSK, verses 117-123, pages 41-43
[322] مروج الذهب، المسعودي، MTM، الجزء الثاني صفحة 263
[323] John C.Reeves, Heralds of that good realm, HGR, page 184
[324] The paraphrase of Shem, chapter 34:6-12, Nag Hammadi Codex VII, NHCVII, page 97
[325] The Thousand and Twelve Questions, 243, TTQ, P.173
[326] The Scroll of Exalted Kingship, Diwan Malkuta Laita, SE, page 41
[327] كنزا ربا- اليسار،الكتاب الاول ، التسبيح الاول، GR اليسار صفحة 7
[328] The Kephalaia Of The Teacher, chapter 8, KT, page 41
[329] R.H. Charles and M. Whittaker, "the Life of Adam and Eve," 153, cited by John C.Reeves, Heralds of that good realm, HGR, page 193. See also note 56, page 203
[330] Quoted by Jewish Encyclopedia
[331] Ecclesiastes Rabbah. ii. 25; cited by by Jewish Encyclopedia
[332] الجاحظ، الحيوان، HJ، 6، صفحة 223
[333] Bet Hamidrash, ed. Jellenek - collection of smaller midrashim] V, 22–26 ; Louis Ginzberg, The Legends of the Jews, volume iv, chapter 5, Solomon;
[334] تفسير ابن كثير في تفسير سورة سبا
[335] كتاب الحماسة للبحتري 90
[336] مروج الذهب، المسعودي، MTM، 1991 ، الجزء الاول صفحة 283
[337] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، TIK، المجلد الثاني ، صفحة 203
[338] الحلبية، SHB، 1 : 252
[339] الحلبية، SHB، 1 : 252
[340] الروض الانف ، نسخة موقع الوراق الالكترونية ، صفحة 418 تحت فصل "وفد بني حنيفة ونسب مسيلمة"
[341] مروج الذهب، المسعودي، MTM، الجزء الاول صفحة 79 ؛ابن كثير، البداية والنهاية، BNH ، 2 : 231 و232
[342] ابن كثير، البداية والنهاية، BNH ، 2 : 231
[343] صحيح البخاري، كتاب اللباس، 2 - باب: التشمير في الثياب.
[344] الحلبية، SHB، 1 :469
[345] صحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم}
[346] الحلبية، SHB، 1 : 253
[347] الزبيدي، تاج العروس ، تحت "حمر"
[348] ابن سعد في الطبقات الكبرى،TKIS الجزء العاشر، صفحة 201
[349] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، TMD، المجلد الرابع، صفحة 232
[350] ابن تيمية، الفُرْقَان بين أولياء الله وأولياء الشيطان،FBAS ، صفحة 324
[351] مروج الذهب، المسعودي، MTM، الجزء الاول صفحة 80
[352] بدر الدين الشبلي، احكام الجن، AHJ ص 66
[353] الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، AKM ، باب ما جاء في مقبرة مكة وفضائلها، صفحة 828

[354] صحيح البخاري، كتاب الحج، 22 - باب: ما يلبس المحرم من الثياب والأردية والأزر.
[355]الحلبية، SHB، 2 : 63؛ البخاري، التاريخ الكبير ، TKB، الجزء الثاني، صفحة 200 و 2001، رقم 2191
[356]الحلبية، SHB، 2 : 63
[357] صحيح البخاري، كتاب الحج، 22 - باب: ما يلبس المحرم من الثياب والأردية والأزر.
[358]الحلبية، SHB ، 2 : 63
[359]الحافظ بن كثير، السيرة النبوية، SNK ، الجزء الاول، صفحة 373
[360] Cf. Das Targum Sheni Scheni zum Buche Esther, Frankfurt a.M., 1893, page 12; cited by Bernard Grossfeld, Targum of Sheni to the Book of Esther, TSE , page x
[361] Targum Ketubim {Hebrew}, New York, 1945, p. 233, cited by Bernard Grossfeld, Targum of Sheni to the Book of Esther, TSE, page xi
[362] Second Targum of Esther, chapter V, Paulus Cassel, STE, page 288
[363] Second Targum of Esther, chapter 1, Paulus Cassel, STE, page 263
[364]تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول ، صفحة 142 و 143
[365] ديوان امية بن ابي الصلت ، صفحة 26
[366]ابن حجر، فتح الباري، FAH، الجزء السادس، صفحة 384 و 385
[367]تاريخ الطبري ، TTB، المجلد الاول ، صفحة 426
[368] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الثالث، صفحة 110 ؛ تاريخ الطبري ، TTB، المجلد الاول، صفحة 426 ؛ اليعقوبي، WQ،1 : 101
[369] De Lacy O'Leary, D.D., Arabia before Muhammed, London, AM, page 172-173
[370]اسرائيل ولفنسون : تأريخ اليهود في بلاد العرب، HJA، ص 13
[371] Second Targum of Esther, chapter IV, Paulus Cassel, STE, page 276-278
[372] Second Targum of Esther, chapter IV, Paulus Cassel, STE, page 278
[373] Second Targum of Esther, chapter IV, Paulus Cassel, STE, page 279, 280
[374] Second Targum of Esther, chapter IV, Paulus Cassel, STE, pages 282-3
[375] تفسير القرطبي في تفسير سورة التوبة ؛ تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 128؛ بن كثير، تفسير بن كثير، تفسير سورة البقرة
[376]تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 144 - 146؛ تفسير الطبري، TAT، حديث 16291 و 16681
[377]تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 142 و 143
[378]ابن كثير، البداية والنهاية، BNH، الجزء الاول، صفحة 152؛ تفسير القرطبي، في تفسير سورة الكهف ؛ البحر المحيط ، لابن حيان، في تفسير سورة النمل
[379] *Second Targum of Esther*, chapter 1, Paulus Cassel, STE, page 263
[380] *Second Targum of Esther*, chapter 1, Paulus Cassel, STE, page 266
[381] *Second Targum of Esther*, chapter 1, Paulus Cassel, STE, page 267
[382] Agatharchides of Cnidus, on the Erythraean Sea, book I, 17, ES, page 52
[383] The Geography of Strabo, Book XVI .I. 11, Volume VII, (GS), page 211
[384] Discourse of Jacob of Serugh, 185-190, SPC, page 174
[385] Pseudo-Callisthenes, II. chaps. xxxix.-xli. (version B)
[386] Stoneman, Richard, The Greek Alexander Romance, GA, page 28
[387] The Alexander book in Ethiopia, the Ethiopian book of Pseudo Callisthenes, EPC, page 156-159
[388] تفسير الطبري، TAT 17552 حديث رقم 16، ،

[389] Syriac version of the Pseudo Callisthenes, book III, VII, SPC, page100
[390] Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page civ
[391] A Christian Legend concerning Alexander, SPC, page148
[392] تفسير القرطبي في تفسير سورة الكهف؛ انظر أيضا الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
[393] A Christian Legend concerning Alexander, SPC, pages 144-145
[394] A Christian Legend concerning Alexander, SPC, page 146
[395] A Christian Legend concerning Alexander, SPC, page 147
[396] A Christian Legend concerning Alexander, SPC , page 148
[397] Discourse of Jacob of Serugh, 80-85 , SPC, page 167
[398] The Alexander book in Ethiopia, the Ethiopian book of Pseudo Callisthenes, EPC, page xxviii
[399] المسعودي، مروج الذهب، MTM ، الجزء الاول صفحة 172
[400] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الاول، صفحة 20
[401] نشوان الحميري، خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار، نسخة الوراق، صفحة 39
[402] The Alexander book in Ethiopia, the Ethiopian book of Pseudo Callisthenes, EPC, page xxviii
[403] A discourse composed by Jacob Sarugh, 130-160, SPC, page170 -172
[404] Dinkard-Book VIII, Chapter XXXI, 30, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, page 103
[405] Syriac version of the Pseudo Callisthenes, book III, VII, SPC, pages 104 and 105; The Armenian version of Pseudo-Callisthenes, 224; The Romance of Alexander the Great by Pseudo-Callisthenes, APC, pages128 -129
[406] Syriac version of the Pseudo Callisthenes, book III, IV- V, SPC page 92
[407] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 148
[408] روح المعاني، المعروف بتفسير الألوسي، الألوسي – في تفسير سورة الكهف، اي رقم 18
[409] تفسير الطبري، TAT، 16، حديث 17577- 17580
[410] تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، في تفسير سورة الكهف ؛ الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
[411] تاريخ الطبري، TTB، 1 : 49
[412] فهرست ابن النديم، ALF، صفحة 350
[413] بتفسير الطبري، TAT، جزء 16، حديث رقم 17591
[414] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الثالث ، صفحة 198
[415] الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
؛ ابن هشام، SIH، الجزء الاول، صفحة 244
[416] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ZMT ، في تفسير سورة الكهف
[417] تفسير القرطبي في تفسير سورة الكهف
[418] تفسير ابن كثير، في تفسير سورة الكهف؛ تفسير القرطبي في تفسير سورة الكهف ؛ تفسير الطبري، TAT، 16 حديث رقم 17580
[419] Aban Yast, IX, 34; SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, page 61; Bahman Yast III, 55-63, SBE, Volume V, Pahlavi Texts part I, pages, 234-5
[420] Dinkard-Book IX, Chapter XXI, 17- 19, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, pages, 216-7
[421] Dinkard-Book IX, Chapter XXI, 17- 19

[422] Dinkard-Book IX, Chapter XXI, 22-23, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, page 218
[423] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، 11 - باب: صفة إبليس وجنوده.
[424] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 151
[425] Dinkard-Book IX, Chapter XXII, 4-9, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, pages 220-221
[426] Pseudo-Callisthenes primum edidit Carolus Mullerus, Parisiis, 1877; cited by Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page Lii
[427] C.E. Wilson "The Wall of Alexander against Gog and Magog; and the Expedition Sent out To Find it by the Khaliph Wathiq, in 842 A.D." Hirth Anniversary Volume, Asia Major, London: Probsthain and Co, 1922, pp. 577-579.
[428] C.E. Wilson "The Wall of Alexander against Gog and Magog; and the Expedition Sent out To Find it by the Khaliph Wathiq, in 842 A.D." Hirth Anniversary Volume, Asia Major, London: Probsthain and Co, 1922, pp. 577-579.
[429] تفسير القرطبي في تفسير سورة الكهف
[430] ابو بكر الرازي، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، TFR، الجزء 21، صفحة 81
[431] تفسير القرطبي في تفسير سورة الكهف ؛ الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
[432] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ZMT، تفسير سورة الكهف
[433] صحيح البخاري، كتاب التفسير، 234 - باب: {وترى الناس سكارى}
[434] تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، في تفسير سورة الكهف؛ ابن حجر، فتح الباري، FAH، الجزء 13، صفحة 107 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY ، الجزء الثالث، صفحة 197
[435] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 153
[436] Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page lxxvii
[437] Pseudo-Callisthenes primum edidit Carolus Mullerus, Parisiis, 1877; cited by Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page Lii
[438] C.E. Wilson "The Wall of Alexander Against Gog and Magog; and the Expedition Sent out To Find it by the Khaliph Wathiq, in 842 A.D." Hirth Anniversary Volume, Asia Major, London: Probsthain and Co, 1922, pp. 577-579.
[439] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, pages 154-155
[440] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ؛ النهاية في غريب الحديث، ابن أثير، تحت " حلق"
[441] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ؛ تفسير ابن كثير، في تفسير سورة الكهف ؛ ابن حجر، فتح الباري، FAH ، الجزء 13 ، صفحة 107 و 108 ؛ النسائي، السنن الكبرى، SKN ، الجزء السادس، رقم 11311 و 11333
[442] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج ؛ تفسير ابن كثير، تفسير سورة الكهف
[443] فتح الباري، ابن حجر، FAH ، الجزء 13، صفحة 107 و 108
[444] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page151
[445] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ZMT، سورة الأنبياء

[446] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page151
[447]الطبري، TTB، 1: 49
[448] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 151
[449] تفسير الطبري، TAT، جزء 16، حديث 17592 ؛ الجامع الصحيح سنن الترمذي، الترمذي، SUT، الجزء الخامس، رقم 3153 ؛ الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
؛ تفسير ابن كثير، في تفسير سورة الكهف ؛ الجامع لأحكام القرآن، المشهور بـ "تفسير القرطبي، في تفسير سورة الكهف
[450] Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page152; quoting Knös, Chrestomathia Syr., page 80
[451] Dinkard-Book IX, Chapter XXI, 17-22, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, pages 216-8
[452] "تفسير القرطبي"، في تفسير سورة الكهف ؛ الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
[453] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 151
[454] تفسير القرطبي في تفسير سورة الكهف ؛ الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
[455] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 152
[456] Dinkard-Book IX, Chapter XXII, 4-9, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, pages 220-2
[457]تفسير ابن كثير، في تفسير سورة الكهف؛ تفسير الطبري، TAT، 16، حديث رقم 17552
[458] Wright, A Short History of Syriac Literature, SHSL, page 68
[459] Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page lxxvii
[460] Discourse of Jacob of Serugh, 520, SPC, page 191
[461] Discourse of Jacob of Serugh, 215- 250, SPC, pages 176-178
[462]ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تفسير سورة الكهف
[463] Discourse of Jacob of Serugh, 255-270, SPC, pages 178, 179
[464] تفسير الطبري TAT، 16، حديث رقم 17552
[465] Discourse of Jacob of Serugh, 290-335, SPC, pages 180-181
[466] Discourse of Jacob of Serugh, 340-380, SPC, pages 182-184
[467] Discourse of Jacob of Serugh, 375, SPC, page 184
[468] Discourse of Jacob of Serugh, 425-470, SPC, pages 186-188
[469] Discourse of Jacob of Serugh, 475-485, SPC, pages 189
[470] Discourse of Jacob of Serugh, 490-515, SPC, pages 189-191
[471] تفسير الطبري، TAT، 16، حديث رقم 17617
[472]المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، MAS الجزء الثاني، صفحة 452، رقم 3505
[473]الطبقات الكبرى لأبن سعدTKIS ، الجزء الثاني صفحة 309، باب زيد بن ثابت؛ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلي المتقي الهندي، KA، 37059، باب زيد بن ثابت، أبن أبي داود في المصاحف.
[474] تفسير الطبري TAT، 16، حديث رقم 17552 ؛ راجع ايضا : الجامع لأحكام القرآن، المشهور بـ "تفسير القرطبي"، في تفسير سورة الكهف ؛ فتح الباري، ابن حجر، FAH، الجزء السادس، صفحة 382 وما بعدها ؛ تفسير ابن كثير، في تفسير سورة الكهف
[475]ابن حيان، البحر المحيط ، في تفسير سورة الكهف
[476]ابو بكر الرازي، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، TFR، الجزء 21 صفحة 77

[477]الجامع لأحكام القرآن، المشهور بـ "تفسير القرطبي"، في تفسير سورة الكهف
[478]الألوسي، روح المعاني، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
[479]ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، في تفسير سورة الكهف
[480]السهيلي، الروض الانف، RA ، الجزء الثالث، صفحة 179
[481]تاج العروس، الزبيدي، تحت "صعب"
[482]فتح الباري، ابن حجر، FAH، الجزء السادس، صفحة 384
[483] الألوسي، روح المعاني، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
[484]ابن حجر، فتح الباري، FAH، الجزء السادس، صفحة 384 و 385
[485] K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, page 5
[486] K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, page14
[487] M. Boyce, “The Religion of Cyrus the Great,” in A. Kuhrt and Heleen Sancisi-Weerdenburg, Achaemenid History III. Method and Theory, AHM, pp. 15-31.
[488] James Bennett Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (ANET), pages 315 - 316
[489] Mohsin Ashraf , Top Ten- Lives of the Greatest Monarchs of History, TTL, page 1
[490] Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page 146
[491] Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes , SPC, page xi
[492] The Book of Ser Marco Polo the Venetian, Vol.I, Introduction, page 110; quoted by Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page xxxvi
[493] Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page xxxvi
[494] First book of Maccabees, I .1-9
[495] Josephus, Antiquities, book xi, chapter viii, (AJF)
[496] First book of Maccabees, I.1-9
[497] Muller, Pseudo Callisthenes, Introduction, p.vii.col.2, No.13, Paris, 1877; cited by Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page Lii
[498] The Alexander book in Ethiopia, the Ethiopian book of Pseudo Callisthenes, EPC, page xvii
[499] Müller, Pseudo Callisthenes, Paris, 1877; cited by Ernest A. Wallis Budge, The Alexander book in Ethiopia, the Ethiopian book of Pseudo Callisthenes, EPC, 1933, page xvii
[500]Stoneman, Richard, The Greek Alexander Romance, GA, pp. 28-29
[501] Historia Alexandria Magni (Berlin, 1926, repr. 1958); Bucephalus: various versions of Alexander's taming of his horse, AN EXTRACTION FROM: Ancient History Bulletin 9.1a, Volume 9.1 (1995) 1-13;The Alexander Romances within Alexander Historiography, by E. Baynham (University of Newcastle, Australia)
[502] Stoneman, Richard, The Greek Alexander Romance, GA, page 22-23

[503] Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC., page Liv
[504] Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page Liv
[505] The Romance of Alexander the Great by Pseudo-Callisthenes, APC, page 10 ; quoting S.Malxasian, The Armenian History of Movses Xorenaci, (Erevan, 1961), pp.53-58
[506] Dashian, Studies on Pseudo-Callisthenes' life of Alexander, (Viena, 1892), pp.56-60; 73-74; cited by Albert M. Wolohojian, The Romance of Alexander the Great by Pseudo-Callisthenes, APC, page 11-13
[507] Dashian, Studies on Pseudo-Callisthenes' life of Alexander, (Viena, 1892), p. 76; cited by Albert M. Wolohojian, The Romance of Alexander the Great by Pseudo-Callisthenes, APC, page 14
[508] K'nnaser, II, (1887), 7-28; cited by Albert M. Wolohojian, The Romance of Alexander the Great by Pseudo-Callisthenes, APC, page 13
[509] Pseudo-Callisthenes, p. 192; quoted by Ernest A. Wallis Budge, The history of Alexander the Great, being the Syriac version of the Pseudo Callisthenes, SPC, page lx
[510] Ernest A. Wallis Budge, The Alexander book in Ethiopia, the Ethiopian book of Pseudo Callisthenes, EPC, page xix; quoting 'Beiträge zur Geschichte des Alexanderromans', in the Denkschriften der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften in Wien, Bd. Xxxvii. Wien, 1890
[511] Dr. Ausfeld, Zur Kritik des griechischen Alexanderromans, Karlsruche, 1894 ; cited by Ernest A. Wallis Budge, The Alexander book in Ethiopia, the Ethiopian book of Pseudo Callisthenes, EPC, page xix
[512] Ernest A. Wallis Budge, The Alexander book in Ethiopia, the Ethiopian book of Pseudo Callisthenes, EPC, page xix
[513] الجامع لأحكام القرآن، المشهور بـ "تفسير القرطبي"، في تفسير سورة الكهف
[514] الألوسي، روح المعاني، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
[515] الجامع لأحكام القرآن، المشهور بـ "تفسير القرطبي"، في تفسير سورة الكهف
[516] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 154
[517] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 155
[518] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 154
[519] A Christian Legend Concerning Alexander, SPC, page 154
[520] Discourse of Jacob of Serugh, 521, SPC, page 191
[521] Discourse of Jacob of Serugh, 630, SPC, pages 196 and 197
[522] Aristotle, Physics., IV, xi
[523] Koch, Die Siebenschlafereigende, ihr Ursprung u. ihre Verbreitung (Leipzig, 1883), pp. 24-40, Quoted by the Adrian Fortescue, The Catholic Encyclopedia, Volume V
[524] Wright, A Short History of Syriac Literature, SHSL, page 68
[525] Tacitus, Annals XV, 44
[526] Lucian of Samosata, the Passing of Peregrinus, 11, 13
[527] Julius Africanus, Chronography, 18.1
[528] Babylonian Talmud, Sanhedrin 43a

[529]ابن هشام، SIH، 1 ، صفحة 240 ؛ تفسير القرطبي، تفسير سورة الانعام؛ تفسير بن كثير، في تفسير سورة الاعراف
[530]ابن هشام، SIH، 1، صفحة 239
[531] ابن هشام، SIH، 1، صفحة 282 ؛ تفسير القرطبي في تفسير سورة لقمان
[532] ابن هشام، SIH، 1، صفحة 239 و 282 ؛ تفسير القرطبي، تفسير سورة الانعام ؛ تفسير بن كثير، في تفسير سورة الاعراف
[533] ابن هشام، SIH، 1، صفحة 240
[534]تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 46 و47
[535]تفسير القرطبي، في تفسير سورة النور
[536]القاموس المحيط، للفيروزابادي، الجزء الاول، فصل النون
[537] ابن سعد، الطبقات الكبرى،TKIS الجزء العاشر، صفحة 113؛ العيني، عمدة القاري، UQ، ج:4 ص: 130؛ الحلبية، SHB ، 2: 587؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، MAS ، الجزء الرابع، صفحة 109 و110، رقم 6858 -6860 ؛ سنن ابي داود رقم 3931
[538]ابن هشام، SIH، 2 : 26
[539]صحيح البخاري، كتاب الشهادات، 8 - باب: شهادة القاذف والسارق والزاني
[540]صحيح البخاري، كتاب البيوع، 59 - باب: بيع المزايدة.
[541]صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، 14 - باب: هبة المرأة لغير زوجها وعتقها
[542] الالوسي، روح المعاني، في تفسير سورة الفرقان اي رقم 25 ؛ تفسير الطبري، TAT، جزء 14، رقم حديث 16558 و 16559
[543]الالوسي، روح المعاني، في تفسير سورة الفرقان اي رقم 25 والايات 3-5
[544] الألوسي، في تفسير سورة النحل اي رقم 16 ؛ تفسير الطبري، TAT، 14، حديث رقم 16553 و 16554
[545] الطبقات الكبرى لأبن سعد TKIS، الجزء الثاني، صفحة 309، باب زيد بن ثابت
[546]"كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلي المتقي الهندي،KA ، 37059، باب زيد بن ثابت، أبن أبي داود في المصاحف.
[547]تفسير الطبري، TAT، الجزء 15، التعليق على الاية 25 من سورة الكهف. رقم الاحاديث 17344-17347
[548]هشام بن الكلبي، الاصنام ، WQ ، صفحة 9
[549]هشام بن الكلبي، الاصنام، WQ، صفحة 9
[550]هشام بن الكلبي، الاصنام، WQ، صفحة 10
[551]ابن كثير، البداية والنهاية، BNH، الجزء الاول، صفحة 114
[552] The Sumerians Their History, Culture, And Character, Samuel Noah Kramer, SHC, page 151
[553] The Sumerians Their History, Culture, And Character, Samuel Noah Kramer, SHC, page 152
[554] ابن كثير، البداية والنهاية، BNH، 1، صفحة 114 ؛ ابن اثير، الكامل في التاريخ ، KFT، الجزء الاول، صفحة 56
[555]العيني، عمدة القاري، UQ، ج:15 ص: 300
[556]ابن كثير، البداية والنهاية، BNH ، 1، صفحة 114؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، MAS ، الجزء الثاني، صفحة 406، رقم الحديث 3369؛ ابن اثير، الكامل في التاريخ، KFT، الجزء الاول، صفحة 56
[557]ابن اثير، الكامل في التاريخ، KFT، الجزء الاول، صفحة 56؛ العيني، عمدة القاري، UQ، ج:15 ص: 300 ؛ ابن حيان، البحر المحيط، في تفسير سورة هود ؛ تفسير القرطبي، تفسير سورة هود
[558]العيني، عمدة القاري، UQ، ج:15 ص: 300؛ الزبيدي، تاج العروس، تحت "تنر"؛ ابن منظور، لسان العرب، LA ، الجزء الثاني، باب التاء، تحت "تنر"

[559] Rt. Ginza Rba, book 3, first Hymn, GR, page 51

[560]الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، AKM، باب ذكر ولاية اسماعيل ابن ابراهيم الكعبة بعده وأمر جُرهم، صفحة 140 و 141

[561]ابن هشام، SIH، 1 : 6

[562] تاريخ الطبري، TTB ، 1، 127

[563] القلقشندي، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ،NA ، صفحة 17

[564]ابن هشام، SIH، 1 : 94

[565] Jawad Ali, al Mufassal Fi Tarikh al Arab Qabl Al-Islam, volume 6, MF, page 299

[566] F.V.Winnett and W.L.Reed, Ancient Records from North Arabia, AR, page 118

[567] Wellhausen, Reste, Arabischen Heidentums, Berlin, 1927, S. 14; qouted by Jawad Ali, al Mufassal Fi Tarikh al Arab Qabl Al-Islam, volume I, MF, page 331

[568] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس، صفحة 386

[569]ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس، صفحة 365 ؛ البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، MME، الجزء الاول، صفحة 51 (انظر التعليق رقم 2 في الحاشية)

[570]الزبيدي، تاج العروس، تحت "س-و-ع"؛ هشام بن الكلبي، الاصنام، WQ، صفحة 1 ؛ البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، MME، الجزء الثاني، صفحة 679؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الثالث، صفحة 276

[571]هشام بن الكلبي، الاصنام، WQ ، صفحة 10

[572]هشام بن الكلبي، الاصنام، WQ ، صفحة 10؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، BNH، الجزء الثاني، صفحة 194

ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الثالث، صفحة 276

[573]الطبري، تاريخ الطبري، TTB، الجزء الثاني، صفحة 163

[574] S.M. Zwemer, The Influence of Animism in Islam, IAI, p. 5.

[575]ابن المنظور، لسان العرب، LA، الجزء السادس، حرف السين، تحت "سوع"

[576] ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الثالث، صفحة 276

[577]ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس : 439

[578]الطبري، تاريخ الطبري، TTB ، الجزء الثاني، صفحة 297

[579]تفسير القرطبي، في تفسير سورة نوح

الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن، في تفسير سورة نوح ؛ ابن حيان، البحر المحيط ، تفسير سورة نوح

[580] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس : 439؛ العيني، عمدة القاري، UQ، ج:7 ص: 57

[581] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس : 439

[582]ابن حيان، البحر المحيط ،في تفسير سورة نوح ؛ الالوسي ، روح المعاني، في تفسير سورة نوح اي رقم 71

[583] Tir Yast :VI, 27 , SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, page 100

[584] Tir Yast:VI, 27-34 , SBE, Volume 23, Zenda Avesta Part II, page 100

[585]ابن منظور، لسان العرب،LA ، الجزء التاسع، حرف العين ، تحت "عوق"؛ تاج العروس، الزبيدي، تحت "عوق"

[586] الالوسي، روح المعاني، في تفسير سورة نوح اي رقم 71 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، BNK، الجزء التاسع، صفحة 391

[587] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس : 439

[588] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس : 438

[589] the Syriac Doctrine of Addai,p.24,cited by James Hastings, Encyclopedia of Religion and Ethics, ERE volume I,662-663

[590] cited by James Hastings, Encyclopedia of The Talmud, ('Abodah zara, 116) Religion and Ethics, ERE volume I,662-663

[591] ابن منظور، لسان العرب، LA ، الجزء الرابع عشر، باب النون ، تحت "نسر" ؛ الاصفهاني، مفردات القرآن الكريم، كتاب النون، تحت "نسر"

[592] K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, page 5

[593] هشام بن الكلبي ، WQ ، صفحة 2 ؛ بن حبيب البغدادي، المنمق من اخبار قريش، MAQ، صفحة 407

[594] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: {ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق} ؛ لالوسي، روح المعاني، في تفسير سورة نوح اي رقم 71 ؛ تفسير ابن كثير، في تفسير سورة نوح ؛ الحافظ بن كثير، السيرة النبوية، SNK ، الجزء الاول، صفحة 68 و 69؛ السهيلي، الروض الانف، RA، الجزء الأول، صفحة 353؛ تفسير الطبري، TAT، جزء 29، ارقام 27107- 27110 ؛ الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن، في تفسير سورة نوح؛ الزبيدي ، تاج العروس، للزبيدي، تحت"نسر"

[595] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس : 284

[596] تفسير القرطبي، في تفسير سورة نوح

[597] بن حبيب البغدادي، المنمق من اخبار قريش،MAQ ، صفحة 405-407

[598] هشام بن الكلبي، الاصنام، WQ، صفحة 10

[599] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الرابع، صفحة 117-118

[600] ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس : 386

[601] Encyclopedia of Religion and Ethics,edited by James Hastings , I, ERE , page 387

[602] الرازي، تفسير الفخر الرازي" مفاتيح الغيب " ، TFR، الجزء 27 ، صفحة 55

[603] لسان العرب، ابن منظور، LA ، الجزء الثاني، باب التاء، تحت "تبع"

[604] تاج العروس ، للزبيدي، تحت "تبع"

[605] البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، MME، الجزء الثاني، صفحة 510

[606] الالوسي، روح المعاني ، في تفسير سورة الدخان اي رقم 44

[607] الجامع لاحكام القرآن ، تفسير القرطبي ، في تفسير سورة البقرة

[608] الحافظ بن كثير، السيرة النبوية SNK، الجزء الاول، صفحة 23؛ الروض الانف، السهيلي، RA ، الجزء الاول، صفحة 164

[609] تفسير ابن كثير، الحافظ ابن كثير، في تفسير سورة الدخان

[610] تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 331

[611] ابن اثير، الكامل في التاريخ ، KFT، الجزء الاول، صفحة 211.

[612] تفسير الطبري، TAT ، الجزء 25، رقم 24081

[613] تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 426

[614] البداية والنهاية، ابن كثير، BNH، الجزء الثاني، صفحة 167 و168

[615] تاريخ الطبري، TTB،المجلد الاول، صفحة 427 و 428

[616] تفسير الطبري TAT، الجزء 26 ، رقم 24657

[617] تفسير الطبري، TAT، الجزء 26 ، رقم 24659؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، MAY، الجزء الثالث، صفحة 108

[618] ابن هشام، SIH، 1 : 18-21

[619] الاصفهاني، الاغاني، AGH، الجزء 18، صفحة 187

[620] لسان العرب، ابن منظور، LA ، الجزء الثاني، باب التاء، تحت "تبع"

[621]الرازي ، تفسير الفخر الرازي" مفاتيح الغيب " ، TFR ، الجزء 27 ، صفحة 55؛ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، في شرح سورة الدخان ؛لسان العرب، ابن منظور، LA ، حرف التاء، صفحة 16
[622]الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، MAS ، الجزء الاول، رقم 104
[623]تفسير بن كثير، الحافظ ابن كثير، في تفسير سورة الدخان
[624]الالوسي ، روح المعاني المعروف بتفسير الالوسي ، في تفسير لسورة ق
[625] A. Jamme, W.F., Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), SIM, pages 136 and 137
[626] K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, page 226
[627] K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, pages 38,39 and 226
[628] تاريخ الطبري، TTA، الجزء الاول، صفحة 209
[629]جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، MF، الجزء الثاني، صفحة 18
[630]تفسير الطبري، للطبري، TAT، الجزء 25 ، رقم 24082
[631] K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, page 1
[632] A history of Ethiopia, by Harold G. Marcus, HE, page 10
[633] The Canonical Prayerbook of the Mandeans, CP, chapter 153, page 132
[634] كنزا ربا مُستشهد من كورت ادولف منقول في كتاب صبيح السهيري، النشؤ والخلق في النصوص المندائية MN ، صفحة 117 مستشهدا بكنزا ربا
[635]تاريخ الطبري، TTB،المجلد الاول، صفحة 47
[636]الحلبية، SHB، 1 : 410
[637]تاج العروس، للزبيدي، تحت "قنع"
[638]البداية والنهاية لابن كثير، BNK ، الجزء الثالث، صفحة 356
[639]الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، MAS ، ج4 ص 241، حديث رقم 7270
[640] History of Travancore From the Earliest Times, by Shungunny Menon, HTT , page 38
[641] History of Travancore From the Earliest Times, by Shungunny Menon, HTT , page 85
[642] History of Travancore From the Earliest Times, by Shungunny Menon, HTT , page 86
[643] A. Sreedhara Menon, A survey of Kerala history, SKH, page 25
[644] V.Nagam Aiya, Travancore State Manual, TSM, Volume I, page 223-4
[645] A. Sreedhara Menon, A survey of Kerala history, SKH, page 25
[646] A. Sreedhara Menon, A survey of Kerala history, SKH, page 25
[647]المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، FQS، الجزء الثاني، صفحة 187.
[648]البحر المحيط، لابن حيان، في تفسير سورة الفيل.
[649]تفسير الطبري، TAT، جزء 30، رقم29314و 29323- 29324
[650]فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، FQJ ، الجزء الخامس، صفحة 667، في تفسير سورة الفيل
[651] تفسير الطبري، TAT، جزء 30، رقم 29344
[652] Food habits of African elephant (Loxodonta africana) in Babile, Elephant Sanctuary, Ethiopia, Tropical Ecology 53(1): 43-52, 2012 ISSN 0564-3295 © International Society for Tropical Ecology, www.tropecol.com
[653] PROCOPIUS OF CAESAREA, HISTORY OF THE WARS: BOOK I THE PERSIAN WAR, chapter xx, PPW, pages 189-195

[654] Alexander Sima, "Abraha" in Siegbert von Uhlig, ed., Encyclopaedia Aethiopica: A-C (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2003), p. 42.; quoted from an article of Andrew Vargo
[655] Stuart Munro-Hay, "Abraha" in Siegbert von Uhlig, ed., Encyclopaedia Aethiopica: A-C (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2003); cited by Wikipedia "under Abraha."
[656] A history of Ethiopia, by Harold G. Marcus, HE, page 10
[657] E.J. Brill's first Encyclopaedia of Islam, 1913-1936, Volume 2, by Martijn Theodoor Houtsma, page 72
[658] E.J. Brill's first Encyclopaedia of Islam, 1913-1936, Volume 2, by Martijn Theodoor Houtsma, page 72
[659] Abraha in Dictionary of African Christian Biography. 2007, (DACB is a digital resource hosted by the Center for Global Christianity and Mission at Boston University School of Theology)
[660] Patricia Crone, Meccan Trade, MT, page, 197
[661] Pfannmüller, Handbuch der Islam-Literatur, (Berlin und Leipzig 1923), I, S. 232; cited by Jawad Ali, MF, VI, page 172
[662] ياقوت الحموي، مجمع البلدان، الجزء الرابع، MAY، صحفة 116 تحت " العزى"
[663] تاج العروس، للزبيدي، تحت " سند"
[664] الهمداني، صفة جزيرة العرب،SJA ، صفحة 286
[665] المفصل الدكتور جواد علي، MF، الجزء السادس ،صفحة 236
[666] أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، الازرقي، AKM، باب ما جاء في اللات والعزى، صفحة 199
[667] ياقوت الحموي، مجمع البلدان، MAY، 5 : 203(تحت مناة)
[668] الشهرستاني ، الملل والنحل، MNS ، صفحة 575
[669] طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، TFS، صفحة 11
[670] وفيات الأعيان لابن خلكان،WQ ، صفحة 476
[671] السيرة النبوية لأبن هشام، SIH، الجزء الاول، صفحة 51
[672] لسان العرب، ابن منظور، LA ، الجزء الثالث، باب الحاء، تحت "حنف"
[673] السيرة النبوية لأبن هشام، SIH، الجزء الاول، صفحة 46 .
[674] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي باب سورة الفيل
[675] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، بن تَغْري بَرْدي الاتابكي ، NZM، الجزء الثالث، صفحة 252 و253
[676] راجع كتاب المصاحف، للساجستاني، KMS، صفحة 24
[677] كتاب المصاحف للساجستاني، KMS، صفحة 49-50؛117-118
[678] الموسوعة القرآنية لابراهيم الابياري، الجزء الاول، صفحة 361 وما بعدها
[679] كتاب المصاحف للساجستاني، KMS، صفحة 117
[680] The Emperor Julian and the Jews,Michael Alder, The Jewish Quarterly Review
[681] Cyril Glassé, The Concise Encyclopedia of Islam, CEI, p. 102
[682] الحلبية، SHB، 2 : 81
[683] الحلبية، SHB ، 2 : 81
[684] نقلها الحلبية، SHB، 2 :82
[685] ابن هشام، SIH ، الجزء الثاني صفحة 30 و 31
[686] الحلبية، SHB، 2 : 79
[687] ابن هشام، SIH ، الجزء الثاني، صفحة 30

[688] Manichaean Literature , translated by Jes P. Asmussen, ML, page 66
[689]ابن هشام، SIH ، الجزء الثاني، صفحة 30
[690]الحلبية، SHB، 2 : 82
[691] تاريخ الطبري، TTB، 2 : 276
[692] تفسير الطبري، TAT، 19، حديث رقم 20070
[693] السهيلي، الروض الأنف، RA، الجزء الثالث، صفحة 195
[694]ابن هشام، SIH، 2 : 33
[695]صحيح البخاري، كتاب التفسير، 207 - باب: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس}
[696]الحلبية، SHB، 2 : 92
[697]ابن هشام، SIH، 2 : 31
[698] Brad Steiger, Revelation The Divine Fire, RD, page 45-6
[699] Brad Steiger, Revelation The Divine Fire, RD, page 62-63
[700] Brad Steiger, Revelation The Divine Fire, RD, page 22-24
[701] Brad Steiger, Revelation The Divine Fire, RD, page 22-24
[702] Dr. Kurt Koch, Occult Bondage and Deliverance, OB, page 44-6
[703] W. Radloff, Aus Sibirien, ii, pp. 49 sq. quoted by T. K. Oesterreich, Possession Demoniacal And Other, PD, pages 305- 306
[704] Montague Summers, The History of Witchcraft and Demonology, HWS, page 5
[705] Rossell Hope Robbins, The Encyclopedia of Witchcraft and demonology, EW, page 96 and 98
[706] Montague Summers, The History of Witchcraft and Demonology, HWS, page 121
[707] Rossell Hope Robbins, The Encyclopedia of Witchcraft and demonology, EW, page 511
[708] From Darkness to Light, Jeff Harshbarger, DL, page 105- 106
[709] Rossell Hope Robbins, The Encyclopedia of Witchcraft and demonology, EW, page 514
[710] Jeffrey Russell & Brooks Alexander, A New History of Witchcraft, HW, page 22
[711]السيرة الحلبية، SHB، 2 : 71
[712]الحلبية، SHB، 2 : 71
[713]ابن هشام، SIH، 2 : 31
[714]السيرة الحلبية، SHB، 2 : 71
[715]السيرة الحلبية، SHB، 2 : 71
[716]السيرة الحلبية، SHB، 2 : 72
[717]ابن هشام، SIH، 2 : 33 ؛ الحلبية، SHB ، 2 : 72
[718]صحيح بخاري، كتاب التفسير، 200 - باب: قوله: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام}
[719] Dinkard, book VII, Chapter IV: 85- 87, SBE, Volume 47, Pahlavi Texts part V, pages 71-2
[720] Dinkard, book VII, Chapter IV: 84, SBE, Volume 47, Pahlavi Texts part V, page 70
[721] Introduction to Pahlavi Texts part V, SBE, Volume 47, page, xxiii
[722] Mary Boyce, Textual sources for the study of Zoroastrianism, ZT, page 84

723 Sad Dar, Chapter XXIV, 2, SBE, Volume 24, Pahlavi Texts part III, page 287
724 Dinkard-Book IX, Chapter XLV, 6, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, page 300
725 Dinkard-Book IX, Chapter XLV, 7 , SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, pages 300-301
726 Dinkard-Book IX, Chapter XXIII, 2-7, SBE, Volume 37, Pahlavi Texts part IV, pages 224-225
727 الحلبية، SHB، 2 : 77 ؛ ابن هشام، SIH، 2 : 30
728 ابن هشام، SIH، 2 :34 ؛ الحلبية، SHB، 2 : 94.
729 الحلبية، SHB، 2 : 94
730 الحلبية، SHB، 2 : 96
731 تفسير الطبري، TAT، جزء 15، حديث رقم 17500
732 Discourse of Jacob of Serugh, 170
733 Pseudo-Callisthenes, II. chaps. xxxix.-xli. (version B); Discourse of Jacob of Serugh, 185-190
734 Discourse of Jacob of Serugh, 190-195
735 Pseudo-Callisthenes, II. chaps. xxxix.-xli. (version B)
736 Stoneman, Richard, The Greek Alexander Romance, GA, page 28
737 The Alexander book in Etheopia, the Etheopian book of Pseudo Callisthenes, ABE, page 156-159
738 Gods، Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, Jeremy black and Anthony green, GD, page 189
739 Stephanie Dalley, Myths from Mesopotamia, MMC, page 2.
740 ابن كثير البداية والنهاية، BNH، 1 : 336
741 العيني ، عمدة القاري، UQ، ج:2 ص: 91
742 ابن منظور ، لسان العرب ، LA ، الجزء الرابع، حرف الخاء ، تحت "خضر"
743 الحلبية، SHB، 1 : 500 ؛ابن كثير، البداية والنهاية، BNH، 2 : 108
744 ابن كثير البداية والنهاية، BNH، 1 : 338
745 ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، EFTS، 2272
746 ابن كثير في البداية والنهاية، BNH، 1 : 343
747 تاج العروس ، للزبيدي، تحت " خ-ض-ر"
748 Stephanie Dalley, Myths from Mesopotamia, MMC, page 2.
749 The Alexander book in Etheopia, the Etheopian book of Pseudo Callisthenes, ABE, page 156
750 تفسير الطبري، TAT، الجزء 15، في تفسير سورة الكهف 17467
751 تفسير الطبري، TAT، الجزء 15، 17473
752 تفسير الطبري، TAT، الجزء 15، 17471 و 17472
753 تفسير الطبري، TAT، الجزء 15، 17502
754 تفسير ابن كثير في تفسير سورة الكهف
755 الالوسي، روح المعاني، في تفسير سورة الفرقان اي 25
756 من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، تحت "البحرين"
757 Tigay, Gilgamesh, page 251 cited by John Reeves, Jewish Lore in Manichaean Cosmogony, JMC, page 158
758 John Reeves, Jewish Lore in Manichaean Cosmogony, JMC, page120

[759] John Reeves, Jewish Lore in Manichaean Cosmogony, JMC, pages 120 -121
[760] Stephanie Dalley, Myths from Mesopotamia, MMC, page 2.
[761]Palmer, Desert of the Exodus, p. 57
[762] F.W. Hasluck, Christianity and Islam under the Sultans, CIS, volume I, page 324
[763]ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، EFTS، رقم 246
[764]الهندي، كنز العمال، KA، رقم 34046
[765] F.W. Hasluck, Christianity and Islam under the Sultans, CIS, volume I, page 324-336
[766]الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، في تفسير سورة الكهف اي رقم 18
[767] F. W. Hasluck, Ambiguous Sanctuaries and Bektashi Propaganda, (Published by: British School at Athens, 1913/1914), page 102; quoting Molyneux-Seel, in Geog. Journ. xliv (1914), p. 66
[768] H. Polano, The Talmud Selections, TS, page 325-328
[769] Midrash Pesikta 36a; Babylonian Talmud, Sanhedrin 98a
[770] Babylonian Talmud, Sanhedrin 98a
[771] Babylonian Talmud: Tractate Berakoth- Folio 51a
[772] Julian Obermann, " Two Elijah Stories In Judeo-Arabic Transmission", TES, p. 388
[773] Exempla of the Rabbis(London and Leipzig, 1924) pp.39ff cited by Julian Obermann, "The Two Elijah Stories In Judeo-Arabic Transmission", TES, p. 388
[774] Julian Obermann, "The Two Elijah Stories In Judeo-Arabic Transmission", TES, p. 399
[775] Julian Obermann, "The Two Elijah Stories In Judeo-Arabic Transmission", TES, p. 400
[776] Julian Obermann, "The Two Elijah Stories In Judeo-Arabic Transmission", TES,p. 401
[777]تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول ، صفحة 262 و 263
[778] الصابوني، صفوة التفاسير، STS، 2 :445
[779]تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 263
[780]تاريخ الطبري، TTB،المجلد الاول، صفحة 265
[781] Pesachim 119a (part of the Babylonian Talmud) ; Babylonian Talmud, Sanhedrin. 110a, 30 and 31
[782] Babylonian Talmud, Pesachim, fol. 119a, 25.
[783] Exodus Rabbah, Sacred Texts Judaism, Midrash, page 83
[784] Louis Ginzberg, The legends of the Jews, volume iii, Chapter V, "The Rebellion of Korah"
[785] Louis Ginzberg, The Legends of the Jews, Volume II, chapter I, Joseph, "Joseph's Kindness and Generosity"
[786] Babylonian Talmud, Pesachim 119a, 21 and 22
[787] The Mandaeans of Iraq and Iran. Their cults , customs, Magic legends and Folklore, Drower,(Oxford 1937)pages 10, 261 (quoted by Sinasi Gunduz, The Knowledge of Life , KL, page 64
[788] The Scroll of Exalted Kingship, Diwan Malkuta Laita, SE, page 61

[789] The Great First World(Alma Risaia RBA), VI, 164, A pair of Nasoraean Commentaries, PC, page 10
[790] The Secret Adam, E.S. Drower, SA, page 71
[791] الجاحظ، البيان والتبيين، BT، الجزء الاول، صفحة 190
[792] الجاحظ، البيان والتبيين، BT، الجزء الاول، صفحة 189
[793] مجمع الامثال ، للميداني ، الباب الثالث فيما أوله تاء، مثل رقم 657
[794] المقدسي، البدء والتاريخ، WQ ، 134
[795] البداية والنهاية، ابن كثير، BNH، الجزء الثاني، 128 و 129
[796] ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،MTD، الجزء الثامن، صفحة 107 و 108
[797] Aristotle, Rhetoric, ii. 20
[798] البداية والنهاية، ابن كثير، BNH، الجزء الثاني، صفحة 129
[799] البداية والنهاية، ابن كثير، BNH ، الجزء الثاني، صفحة 125
[800] المعارف، ابن قتيبة الدينوري، MAR، صفحة 55
[801] أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم، أنيس فريحة ، AHK ، صفحة 152
[802] The Story of Ahikar, from the Aramaic, Syriac, Arabic, Armenian, Ethiopic, Old Turkish, Greek and Slavonic Versions, by F. C.Conybeare, J. Rendel Harris, and Agnes Smith Lewis, SA, introduction, Page XVII
[803] Clement of Alexandria, Stromata, book I, chapter 15, (SC)
[804] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page 206
[805] Diogenes Laertius, Lives of Eminent Philosophers, book V, 50
[806] Strabo, Geographica 16.2.39, Volume VII, (GS), page 289
[807] Leonhard Rost, Judaism Outside the Hebrew Canon, JOC, page 192- 193
[808] The ancient fable: an introduction, by Niklas Holzberg, AFI, page 78
[809] Leonhard Rost, Judaism Outside the Hebrew Canon, JOC, page 191
[810] أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم، أنيس فريحة ، AHK، صفحة 111
[811] Leonhard Rost, Judaism Outside the Hebrew Canon, JOC, page 191
[812] Leonhard Rost, Judaism Outside the Hebrew Canon, JOC, page 194
[813] ماخوذ من مثل من السريانية نقلها انيس فريحة في كتابه احيقار ، حكيم من الشرق الادنى القديم، AHK ، صفحة 103 ، نقل عن نسخة سريانية نشرتها جامعة كامبرج
[814] العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ،AFR 3 : 171
[815] Leonhard Rost, Judaism Outside the Hebrew Canon, JOC, page 192
[816] Leonhard Rost, Judaism Outside the Hebrew Canon, JOC, page 193
[817] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page 209
[818] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page xiv
[819] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page xv
[820] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page xv and xvi
[821] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page xvi
[822] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page xvii
[823] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page xix
[824] أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم، أنيس فريحة ، AHK، صفحة 153
[825] أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم، أنيس فريحة ، AHK، صفحة 155
[826] الروض الأنف، السهيلي، RA، الجزء الرابع، صفحة 67 ؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى تحت مادة شاة
[827] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page 207
[828] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page 1

[829] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page 204
[830] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page 205
[831] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page 207
[832] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, page 207-8
[833] لسان العرب ابن منظور، LA، الجزء العاشر، باب الفاء، تحت فقم
[834] لسان العرب، ابن منظور، LA، جزء 11، تحت قمد
[835] لسان العرب، ابن منظور، LA، الجزء الثاني عشر، تحت لقم
[836] أغناطيوس افرام الاول برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية ، حمص 1943 ، صفحة 67؛ جواد علي ، المفصل، MF، الجزء الثامن صفحة 341
[837] جواد علي ، المفصل،MF ، الجزء الثامن صفحة 341
[838] كتاب التيجان في ملوك حمير، TFMH، وهب بن منبه، صفحة 70
[839] اخبار الزمان، للمسعودي، AKHZ، صفحة 82
[840] النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، لويس شيخو،WQ ، صفحة 124
[841] القاموس المحيط، الفيروزآبادي، فصل الخاء
[842] تاج العروس ، الزبيدي، تحت خفتر
[843] ابن منظور، لسان العرب ، LA، الجزء الرابع، باب الخاء، تحت خفتر
[844] مجاني الأدب في حدائق العرب، لويس شيخو، MAHA، الجزء الاول، صفحة 60
[845] الجاحظ، الحيوان، HJ ، الجزء الثالث، صفحة 478؛ الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، WQ، صفحة 107
[846] الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ETQ، الجزء السادس، صفحة 2053 و 2054
[847] نزهة المجالس ومنتخب النفائس، الصفوري، WQ، صفحة 89؛ الروض الأنف، السهيلي، RA، الجزء الرابع، صفحة 67
[848] الروض الأنف، السهيلي، RA، الجزء الرابع، صفحة 67 ؛ والدميري في " حياة الحيوان الكبرى " تحت مادة شاة
[849] البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، نسخة موقع الوراق الالكترونية، صفحة 156
[850] ابن كثير، البداية والنهاية، BNH، الجزء الثاني، صفحة 126
[851] جمهرة اللغة، ابن دريد، JAD ، الجزء الثالث، صفحة 163
[852] مجمع الامثال، للميداني، الباب السابع والعشرون فيما أوله هاء، مثل رقم 4514
[853] ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء الثالث، باب الحاء، تحت حمق
[854] خزانة الادب، عبد القادر البغدادي، WQ، صفحة 1626
[855] مجمع الامثال ، للميداني ، الباب الرابع والعشرون فيما أوله ميم، مثل رقم 3760
[856] لسان العرب، ابن منظور، LA ، الجزء السابع، باب الشين، تحت "شرج"
[857] الرسائل، للجاحظ، WQ، صفحة 57
[858] خزانة الادب، عبد القادر البغدادي، WQ ، صفحة 1626
[859] مجمع الامثال ، للميداني ، الباب الثالث والعشرون فيما أوله لام، مثل رقم 3410
[860] تاج العروس، للزبيدي، تحت جلل
[861] الفائق في غريب الحديث و الأثر، الزمخشري،WQ ، صفحة 72
[862] تاج العروس، للزبيدي، تحت "جلل"
[863] النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، لويس شيخو،WQ ، صفحة 82
[864] لسان العرب لابن منظور، LA ، الجزء الثاني، تحت "جلل" ؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير، تحت " جلل"
[865] ابن كثير، البداية والنهاية، BNH، الجزء الثاني، صفحة 128
[866] صحيح البخاري، كتاب الأدب، 77 - باب: الحياء.
[867] الطبقات الكبرى لابن سعد ، TKIS، 9 : 66
[868] ابن كثير، البداية والنهاية، BNH، الجزء الثاني صفحة 126-129

869 ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، TQTH ، صفحة 125
870 المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الدكتور جواد علي، MF، الجزء السادس ، صفحة 508
871 Tar Andrea، Die Entstehung des Islams und das Christentums، Upsale، 1926 . S. 48
مستشهد من جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، MF، الجزء السادس ،صفحة 494 و 495
872 صحيح البخاري، كتاب الطب، 25 - باب: ذات الجَنْبِ
873 الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب ،WQ، صفحة 3
874 مجمع الامثال ، للميداني، الباب العاشر فيما أوله راء
875 ابن قتيبة الدينوري، عيون الاخبار، WQ ، صفحة 369
876 البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، WQ ، صفحة 156
877 ماخوذ من مثل من السريانية نقلها انيس فريحة في كتابه احيقار ، حكيم من الشرق الادنى القديم، AHK، صفحة 103 ، نقل عن نسخة سريانية نشرتها جامعة كامبرج
878 العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ،AFR ، 3 : 171
879 البداية والنهاية، ابن كثير، BNK، الجزء العاشر، صفحة 112؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي،TQTH ، صفحة 125
880 نزهة المجالس ومنتخب النفائس، الصفوري، WQ ، صفحة 89
881 ابن قتيبة الدينوري، عيون الاخبار ، WQ ، صفحة 200
882 ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، TQTH ، صفحة 125
883 التمثيل والمحاضرة ، الثعالبي،TMTH ، صفحة 35
884 Aramaic Papyri of the fifth century B.C., the words of Ahikar, plate 45 لوحة, lines 104, AP, page 223
885 الشكوى والعتاب، الثعالبي، WQ، صفحة 5
886 حياة الحيوان الكبرى، الدميري، تحت "شاة"
887 Aramaic Papyri of the fifth century B.C., the words of Ahikar, plate 47, lines 141, AP, page 224
888 حياة الحيوان الكبرى، الدميري، تحت "العصفور"
889 أغناطيوس افرام الاول برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية ، حمص 1943 ، صفحة 67
890 جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، JAM، الجزء الاول، صفحة 83
891 حياة الحيوان الكبرى، الدميري، تحت "العصفور"
892 Aramaic Papyri of the fifth century B.C., the words of Ahikar, plate 47, line 148, page 225, AP, 225
893 ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، TQTH ، صفحة 668
894 Aramaic Papyri of the fifth century B.C., plate 46 لوحة, lines 111, AP, page 223
895 البداية والنهاية، ابن كثير، BNK، الجزء العاشر، صفحة 81 و 82
896 حياة الحيوان الكبرى، الدميري، تحت "العصفور"
897 المستطرف في كل فن مستظرف، للابشيهي، MFM، الجزء الثاني، الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه، صفحة 28
898 Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, the words of Ahikar, plate 45, lines 105, page 223
899 الترجمة السريانية عن كتاب(احيقار الحكيم) للمطران غريغوريوس بولس بهنام
900 أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم، أنيس فريحة ، AHK، صفحة 202
901 الحلبية، SHB، 2 : 160

[902] الحلبية، SHB، 2 : 160؛ابن هشام، SIH، 2 : 51 و 52
[903] سيرة ابن هشام، SIH ، صفحة 146
[904] أسد الغابة، ابن الأثير، AGHS ، الجزء الثاني، صفحة 595
[905] صحيح مسلم، كتاب الحج، (85) باب فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة. وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها. وبيان حدود حرمها
[906] كنز العمال، المتقي الهندي، KA، 17475
[907] البداية والنهاية، ابن كثير، BNH، الجزء الثاني، صفحة 128
[908] البداية والنهاية، ابن كثير، BNK، الجزء الثاني، صفحة 348
[909] عرائس المجالس في قصص الانبياء، الثعلبي، مُستشهد من انيس فريحة، احيقار، حكيم من الشرق الادنى القديم، AHK، صفحة 190
[910] مجمع الامثال ، للميداني، مثل رقم 4115
[911] العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ،AFR ، الجزء الثالث، صفحة 96
[912] ابن منظور، لسان العرب، LA، جزء 14، باب النون، تحت "نسل"
[913] ابن منظور، لسان العرب، LA، جزء 14، باب النون، تحت "نسل"
[914] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, the words of Ahikar, plate 44 لوحة, lines 83-85, page 222
[915] صحيح البخاري، كتاب الشهادات، 8 - باب: شهادة القاذف والسارق والزاني
[916] حياة الحيوان الكبرى، الدميري، تحت "شاة"
[917] نور القبس، المرزباني، النسخة الالكترونية لموقع الوراق، صفحة 127
[918] البخاري، كتاب الرقاق، 15 - باب: الغنى غنى النفس
[919] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, the words of Ahikar, plate 45 لوحة, lines 96-100, page 223
[920] ابن منظور، لسان العرب، LA ، الجزء الرابع، باب الخاء، تحت "خزن" ؛ المخصص، ابن سيده، MIS، جزء 12 صفحة 273
[921] لباب الآداب، أسامة بن منقذ، نسخة الوراق الالكترونية، صفحة 79
[922] الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، MAS ، الجزء الثالث، صفحة 321، حديث 5218
[923] أبو داود السجستاني، المراسيل، رقم الحديث (328)؛ البيهقي في السنن الكبرى، SKB ، الجزء التاسع، صفحة 46، و 47 ، باب: الْمُسْلِمِ يَتَوَقَّى فِى الْحَرْبِ قَتْلَ أَبِيهِ وَلَوْ قَتَلَهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ بَأْسٌ، حديث رقم 17836
[924] البيهقي في السنن الكبرى، SKB ، الجزء التاسع، صفحة 46، باب: الْمُسْلِمِ يَتَوَقَّى فِى الْحَرْبِ قَتْلَ أَبِيهِ وَلَوْ قَتَلَهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ بَأْسٌ، حديث رقم 17834
[925] الواقدي المغازي، KMW، 1 : 92
[926] الواقدي، المغازي، KMW ، 1 : 70
[927] ابن هشام، SIH، 2، 213
[928] تفسير القرطبي في سورة المجادلة والاية 58
[929] تاج العروس ، الزبيدي ، تحت ي-ر-ر؛ لسان العرب ، ابن منظور، LA، الجزء 15، تحت يرر
[930] ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء الثالث عشر، تحت "مقل" ؛ تاج العروس ، الزبيدي، تحت " م-ق-ل"
[931] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, the words of Ahikar, plate 47 لوحة, lines 149, page 225
[932] راجع الاغاني للاصفهاني، AGH، 13 : 5
[933] جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، JAM، الجزء الاول، صفحة 83 و 84
[934] حياة الحيوان الكبرى، الدميري، تحت " العصفور"

[935] أغناطيوس افرام الاول برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية، حمص 1943، صفحة 67

[936] Aramaic Papyri of the fifth century B.C., AP, the words of Ahikar, plate 45 لوحة, lines 96-100, page 223

[937] لويس شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، MAHA، الجزء الثالث، صفحة 116

[938] ابن منظور، لسان العرب، LA ، جزء 13، باب الميم، تحت "مقر"

[939] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن اثير، تحت " مقر"

[940] Dadistan-I Dinik Chapter xxxvii : 45, SBE, Volume 18, Pahlavi Texts part II, page 94

[941] Dadistan-I Dinik Chapter lxx : 2, SBE, Volume 18, Pahlavi Texts part II, page 213

[942] Hindu Myths، with an introduction by Wendy Doniger O'Flaherty, HM, page 112

[943] نهاية الارب في معرفة انساب العرب - ابي العباس احمد القلقشندي، NA، صفحة 95 و96 ؛ انظر ايضا : الاغاني، AGH، 15 : 164 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، BNK، 2 : 538

[944] الثعلبي ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، في تفسير سورة القلم

[945] الطبري، TTB، 1 :40

[946] الالوسي ، روح المعاني، في تفسير سورة القلم اي رقم 68

[947] مُستشهد من كورت ادولف كما هو منقول في كتاب صبيح السهيري، النشؤ والخلق في النصوص المندائية MN ، صفحة 65، انظر ايضا ملاحظة 194 ؛ مستشهدا ايضا ب القاموس المندائي : ص 142

[948] مُستشهد من كورت ادولف منقول في كتاب صبيح السهيري، النشؤ والخلق في النصوص المندائية MN ، صفحة 65؛ انظر ايضا الى ملاحظة 194

[949] مُستشهد من كورت ادولف منقول في كتاب صبيح السهيري، النشؤ والخلق في النصوص المندائية MN ، صفحة 65

[950] Diwan Abatur, Appendix I, DAB, page 44

[951] كنزا ربا الايمن مُستشهد من كورت ادولف ومنقول من صبيح السهيري، النشؤ والخلق في النصوص المندائية MN ، صفحة 125

[952] ابن اثير ، الكامل في التاريخ ، KFT، الجزء الاول ، صفحة 20؛ تاريخ الطبري، TTB، الجزء الاول ، صفحة 40؛ تفسير القرطبي، في تفسير سورة البقرة ؛ البداية والنهاية، ابن كثير، BNH، الجزء الاول، صفحة 17

[953] بدائع الزهور في وقائع الدهور، السيوطي ، النسخة الالكترونية لموقع الوراق، صفحة 7

[954] مروج الذهب، المسعودي، MTM، الجزء الاول صفحة 33

[955] الحبائك في أخبار الملائك، السيوطي،HFAM ، صفحة 113 رقم الحديث 417

[956] John Reeves, Jewish Lore in Manichaean Cosmogony, JMC, pages 158 and 159-(in reference to note 366 in page 120)

[957] The Kephalaia Of The Teacher, chapter 62, KT, page 163

[958] The Kephalaia Of The Teacher, chapter 72, KT, page186

[959] The Kephalaia Of The Teacher, chapter 95, KT, page 249

[960] القرطبي، تفسير القرطبي، في تفسير سورة المائدة

[961] تفسير الطبري، TAT، الجزء السادس، رقم الحديث 9681

[962] تفسير الطبري، TAT، الجزء السادس، حديث 9681

[963] الجاحظ، الحيوان، HJ، الجزء الاول، الصفحة : 297

[964] ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء التاسع، باب العين، تحت عنن

[965] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، النسخة الالكترونية لموقع الوراق، الصفحة : 632

[966]المتقي الهندي، كنز العمال، KA، رقم 40024
[967]صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، 11 او (12)- باب في الفأر وأنه مسخ
[968] ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء الخامس، باب الراء، تحت "رأي"
[969] مسند أحمد، MBH، 1: 348 رقم الحديث 3254 إسناده صحيح على شرط البخاري؛ ابن حبان (1080) و الطبراني في " المعجم الكبير " (11946)
[970]المتقي الهندي، كنز العمال، KA، حديث رقم 40258 و 40037
[971]الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، النسخة الالكترونية لموقع الوراق، الصفحة : 625
[972]القرطبي، تفسير القرطبي، تفسير سورة البقرة
[973] محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، BEA، 2 : 307 و 308؛ ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء الخامس عشر، باب الهاء، تحت "هوم"
[974]النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، NAFA، الجزء التاسع، الصفحة : 209
[975]المسعودي، مروج الذهب ، MTM، الجزء الثاني، صفحة 230
[976]الجاحظ، الحيوان، HJ، 7، صفحة 178
[977]ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء الرابع عشر، باب النون، تحت "نسنس"
[978]الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، MFM، الجزء الثاني، الصفحة 162 و 163؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، النسخة الالكترونية لموقع الوراق، الصفحة : 17
[979](تاج العروس، الزبيدي، تحت " و-ب-ر"
[980]الحيوان للجاحظ، HJ، 4 : 73
[981]ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ، KFT، الصفحة : 61
[982]ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY ، الجزء الخامس، الصفحة 356-357
[983]ياقوت الحموي، معجم البلدان، MAY، الجزء الخامس، الصفحة 358
[984]البخاري، التاريخ الكبير، TKB، الجزء السادس، الصفحة 367 رقم 2659؛ القرطبي، تفسير القرطبي، تفسير سورة البقرة
[985]الجاحظ، الحيوان، HJ الجزء الرابع، صفحة 50 و51
[986]الجاحظ، الحيوان، HJ ، 4 ، الصفحة 72
[987]ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء التاسع، باب العين، تحت عجب
[988]الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحت " الخنزير البري"
[989] Annal. Bojor. apud Heidegger. Hist. Patriarch. tom. 2. exercitat. 8. p. 270. & Witsii Miscellan. tom. 2. exercitat. 7. p. 201. (i) Argonaut. Americ. l. 14. c. 2. apud Witsium, ib. p. 202.;quoted by Grill in his exposition on Genesis 19:26
[990] Robert T. Boyd, Tells, Tombs and Treasure, TTT, pp 85, 86
[991] Walter C. Kaiser Jr., Old Testament Documents, OTD, p.88
[992]الطبقات الكبرى لأبن سعدTKIS ، الجزء الثاني صفحة 309، باب زيد بن ثابت
[993]تفسير الطبري، TAT ، الجزء السابع عشر، تفسير لسورة الانبياء اي 21 والايات 51-70 رقم الحديث 18602، 18611، 18622،18612، 18624،18623، 18636
[994] Various editors, The Cambridge Ancient History, third edition, (Cambridge Univercity Press, 1973), II/1, pages 272 and 820-21; cited by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 568
[995] J. M. Sasson, Revue d’assyriologie et d’archeologie Orientale, 92, (1998): 114; after Mari, Annales de Recherches Interdisciplinaires, 7, {1993}: 372, no. 117; cited by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK , page 568
[996] A. H. Sayce, The Higher Criticism and the Verdict of the Monuments, HCV, page 164

[997] W.Hinz, in Various editors, The Cambridge Ancient History, third edition, (Cambridge Univercity Press, 1973), II/1, page 263; Cupper, Archives Royales de Mari, Textes(Tradutions) vi, (Paris: Imprimerie Nationale, I-XXII-XXVIII, 1954, letters 19,22; cited by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 568
[998] Albert T. Clay, Light on the Old Testament from Babel, LOT, page 137
[999] K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 320
[1000] Victor P. Hamilton, The Book of Genesis, 1-17 , BG, page 400
[1001] K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 320
[1002] Sir A.H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, I(Oxford: Oxford University Press, 1947, pages 209-212)
[1003] The New York Review, a journal of the ancient faith and modern thought, St Joseph's Seminary, 1907, p. 205.
[1004] A. H. Sayce, Patriarchal Palestine, PPS, page 24
[1005] K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 568
[1006] K. Jaritz, wer ist the Amraphel in Genesis 14, Zeitschrift fur die alttestament Wissenschaft, 70(1958), pages, 255-56; cited by Victor P. Hamilton, The Book of Genesis, 1-17 , BG, page 400
[1007] Cupper, Archives Royales de Mari, Textes(Tradutions) vi, (Paris: Imprimerie Nationale, XXVIII, (1998), pages, 221-28; cited by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK , page 568
[1008] K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK , page 320
[1009] cited by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK , page 568
[1010] Geraldine Pinch, Magic in Ancient Egypt, MAE, pp.92-93
[1011] Albright, Journal of the Palestine Oriental Society, 1(1920)74-75
[1012] K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 320
[1013] K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, pages 320 - 21
[1014] K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 321
[1015] W. F. Albright, The Archaeology of Palestine and the Bible, APB, p. 141-2
[1016] W. F. Albright, The Archaeology of Palestine and the Bible, APB, p.142
[1017] Nelson Glueck, Rivers in the Desert, RDS, page 73
[1018] John H. Sailhamer, Biblical Archaeology, BAS , page 45
[1019] K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 335
[1020] James K. Hoffmeier, The Archaeology of the Bible, ABH, p. 42
[1021] To see the wanderings of of these tribes, see Kupper, Nomads, 47, 53,49, 179; quoted by Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, p. 317
[1022] Albright, Archaeology of Palestine, APB, p. 82
[1023] John H. Sailhamer, Biblical Archaeology, Zondervan, BAS, page 41
[1024] Walter C. Kaiser Jr., Old Testament Documents, OTD, p.88
[1025] Walter C. Kaiser Jr., Old Testament Documents, OTD, p.88

1026 I. J. Gelb et al, computer-Aided Analysis of Amorite (Chicago: oriental Inst., 1980); quoted by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, pages 341-342
1027 For old Babylonian“itineraries”, cf. long ago W.W. Hallo. Journal of Cuneiform Studies, 18, (1964):57-88, with A. Guetze, 112-19, with schematic route maps, pp. 71, 87; see map, M. Roaf, Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East (New York and Oxford: Facts on File, 1990), 113.; quoted by Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, p. 317
1028 George Barton, Archaeology and the Bible, ABB, pages 346-7
1029 George Barton, Archaeology and the Bible, ABB, page 347
1030 Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, p. 317, 318
1031 Annals of Thutmose III, cited by Documentation For Ancient Arabia, Part I, K.A. Kitchen, DAA, page 110
1032 Howard F. Vos, Genesis and Archaeology, GAS, page 119
1033 See Albright, Bulletin of the American schools of Oriental Research, 155 (1959), pp. 33-34 along with , Bulletin of the American schools of Oriental Research 176 (1964), p. 42 n. 17 (on order of names); on date of Luqqa’s obelisk, cf. Helck, Die Beziehungen Ägyptens zu Vorderasien.... 1962, p. 646 to p. 64; S. H. Horn, Andrews University Seminary Studies, 1 (1963), pp. 58-59, and Kitchen, ‘Byblos, Egypt and Mari in Early 2nd Millennium BC’, Orientalia 36 (1967), in press. Helck’s doubts on the Asianic linguistic affiliation of the names are not justified.; quoted by K. A. Kitchen, Ancient Orient and Old Testament, AOO, p. 52
1034 K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 327
1035 I. E. S. Edwards, N. G. L. Hammond, C. J. Gadd, The Cambridge Ancient History, Cambridge University Press 1975, p, page 836; K. A. Kitchen, Ancient Orient and Old Testament, AOO, p. 52
1036 89 Note Albright, Bulletin of the American schools of Oriental Research, 14.6 (1957), PP. 30-31 (Zukrasi, etc.) and H. Otten, Mitteilungen Der Deutschen Orient-Gesellschaft zu Berlin, 86 (1953), pp. 61,63; Wiseman, New Bible Dictionary, (ed. J. D. Douglas, F. F. Bruce, J. I. Packer, R. V. J. Tasker, D. J. Wiseman), 1962, p. 66b. For nondocumentary data, cf. note 91 below.; quoted by K. A. Kitchen, Ancient Orient and Old Testament, AOO, p. 52
1037 K. A. Kitchen, Ancient Orient and Old Testament, AOO, p. 52
1038 James Bennett Pritchard: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, ANET, 19-21
1039 C. M. White, IN SEARCH OF THE ORIGIN OF NATIONS, ION, p. 292
1040 الطبري، TTB ، المجلد الاول، صفحة 126 و 127
1041 الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، AKM، باب ذكر ولاية اسماعيل بن ابراهيم الكعبة، صفحة 151 و 152
1042 A. Jamme, W.F., Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), SIM, pages 136-7
1043 تاريخ الطبري، TTB، 1، 127
1044 مروج الذهب، المسعودي، MTM ، الجزء الثاني، صفحة 269
1045 K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, page 135

[1046]الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، AKM، باب ما جاء في مسألة ابراهيم، صفحة 135
[1047]ابن هشام، SIH، 1 ، صفحة 6
[1048] تاريخ الطبري، TTB، المجلد الاول، صفحة 524
[1049] السيرة النبوية لابن هشام، الجزء الاول، صفحة 93، (SIH)
[1050]ابن هشام 1 ، وصفحة 93 و 94 (SIH)
[1051] القلقشندي، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، الجزء الاول، صفحة 9
[1052]تاج العروس 8 : 227 ؛ مُستشهد من الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الاول، MF، صفحة 361
[1053]الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، AKM ، باب ذكر ولاية اسماعيل بن ابراهيم الكعبة، صفحة 144
[1054] W. F. Albright, The Archaeology of Palestine and the Bible, APB, p. 133
[1055] Walter C. Kaiser Jr., Old Testament Documents, OTD , p.88
[1056] Ephraim Stern et al., eds., The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land, 1: 324-26; quoted by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, pages 335, 572 (note 67)
[1057] Howard F. Vos, Genesis and Archaeology, GAS, page 120
[1058] James B. Pritchard, The Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, ANET, p. 230
[1059] Ephraim Stern et al., eds., The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land, 1: 192-94: quoted by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK , pages 336, 573
[1060] Howard F. Vos, Genesis and Archaeology, GAS , page 118-9
[1061] Ephraim Stern et al., eds., The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land, 2: 701-2: quoted by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK , page 336
[1062] Jewish Quarterly Review, 1930, p. 165 f.; quoted by W. F. Albright, The Archaeology of Palestine and the Bible, APB, p. 35
[1063] Ephraim Stern et al., eds., The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land, 2: 580-82: quoted by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 336, 573
[1064] Ephraim Stern et al., eds., The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land, 2: 606-9: for the tablet, see M. Anbar and N. Naaman, Tel Aviv, 13/14, (1986/87):3-12, pl.1.; quoted by K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK, page 336, 573
[1065] Arrian, Anabasis, book vii, chapter 20: 7, 8, ARN, page 275
[1066] Himanshu Prabha Ray, The archaeology of seafaring in ancient South Asia, ASSA, pages 169- 170
[1067] Stanley M. Burstein, Agatharchides of Cnidus, On The Erythraean Sea, ES, pages 2-3
[1068] Peremans, W., Diodore de Sicile et Agatharchide de Cnide', pp. 447-55, cited by Burstein, Agatharchides of Cnidus on The Erythraean Sea, ES, page 32
[1069] Leopoldi, Helmuthus, De Agatharchide Cnidio (Diss.Rostow, 1892) pp.13-17 ; cited by Burstein, Agatharchides of Cnidus on The Erythraean Sea, ES, page 39.

Strabo made abridgement of Agatharchides's book, adding material from the lost book of Artemidorus. The work which Artemidorus developed, especially about Arabia, is contained in Strabo's chapters, especially 16.4.5-20, (GS), pages 315-349. See Bunbury, E.H. A History of Ancient Geography, 2nd ed. (London 1883), pages 61-69; cited by Burstein, Agatharchides of Cnidus on The Erythraean Sea, ES, page 38
[1070] The Geography of Strabo, Book XVI .4.18, Volume VII, (GS), pages 345
[1071] Wilfred Schoff, introduction to The Periplus of the Erythraean Sea, PEC, pages 14,15
[1072] Claudius Ptolemy, The Geography, GP, book VI chapter VI, page 137-138
[1073]) The Geogrophy of Strabo, Book 16, chapter iv, 2, Volume VII, (GS) page 311
[1074] Natural History of Pliny; Book VI, chapter 32, (PNH), page 85
[1075] Patricia Crone, Meccan Trade, MT, pages 134,135
[1076] From book 5 of Agatharchides of Cnidus, on the Erythraean Sea, excerption from Diodorus, Library of History, cited by Burstein, ES, page 153, fragment 92b
[1077] From book 5 of Agatharchides of Cnidus, on the Erythraean Sea,, excerption from Photius, Bibliotheca, cited by Burstein, Agatharchides of Cnidus on the Erythraean Sea, ES , page 155, fragment 95a
[1078] Burstein, Agatharchides of Cnidus, on the Erythraean Sea, ES, page 155, see note 2
[1079] Nonnosus cited by Photius, Bibliotheca, 1,5
[1080] C.Robin, Inventair des Inscriptions Sudarabiques, 1ff. Paris/Rome, 1992 ff.1, 67-68, Haram 3 & 4; Repertoire d'Epigraphie Semitique, esp.V-VIII, Paris, 1929-1968, 2751/M.15; quoted by K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, page 180
[1081] K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, pages 181; 239
[1082] C.Robin, Inventair des Inscriptions Sudarabiques, 1ff. Paris/Rome, 1992 ff.,1, 5-6, pls.2b,3a; Inabba; quoted by K.A. Kitchen, Documentation For Ancient Arabia, Part I, DAA, page 181; see also K.A. Kitchen, DAA, page 239
[1083] For "Verse Account of Nabonidus," see J.B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, ANET , page 313; Sidney Smith, Babylonian Historical Texts, London, 1924, Chapter III, pp. 27-97 ;quoted by F.V. Winnett and W.L. Reed, Ancient Records from North Arabia,AR, page 89
[1084] See C.J. Gadd "The Harran Inscriptions of Nabonidus," Anatolian Studies, 8 (1958) page 59; cited by F.V. Winnett and W.L. Reed, Ancient Records from North Arabia, AR, page 91; The exact part in the Harran Inscriptions is (Nab. H2 I 26; ii 11) see I. Eph'al, The Ancient Arabs, IAA, page 180
[1085] تاج العروس، للزبيدي، تحت " أ و ب"
[1086] Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, ROTK , p.313
[1087] Roland Hendel, "Finding historical memories in the Patriachal narratives, " Biblical Archaeology Review 21, no. 4 (July- August 1995): 58; quoted by Walter C. Kaiser Jr., Old Testament Documents, OTD , p. 89

[1088] الازرقي، اخبار مكة، AKM، الجزء الاول، صفحة 80-81
[1089] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، MF، الجزء الرابع، صفحة 8
[1090] تاج العروس، للزبيدي، تحت "قبس" ؛ عباس الموسوي المكي، نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس 1 : 27، مستشهد من جواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، MF، الجزء الرابع، صفحة 7
[1091] تاج العروس، للزبيدي، تحت " خ ش ب" "
[1092] ابن منظور، لسان العرب، LA، الجزء 11، باب القاف، تحت "قبس"
[1093] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، MF، الجزء الرابع، صفحة 8
[1094] البلاذري، أنساب الأشراف، صفحة 22 النسخة الالكترونية لموقع الوراق ؛ نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس، المكي العباس بن علي الحسين الموسوي 1 : 26 ؛ ونهاية الارب 16 : 31 مُستشهد من جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، MF، 4 : 54
[1095] تاريخ الطبري، TTB، الجزء الاول، صفحة 505
[1096] محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، BEA، 1 : 247
[1097] Encyclopedia Of Islam And The Muslim World, EIM , page 526
[1098] ابن هشام ، SIH، الجزء الاول ، صفحة 18 ؛ السهيلي، الروض الانف، RA، الجزء الاول، صفحة 159
[1099] روح المعاني، الالوسي، في تفسير سورة الدخان ؛ السيرة النبوية، الحافظ بن كثير، SNK ، الجزء الاول، صفحة 21 ؛ فتح الباري، للحنبلي، FBH، الجزء الثالث، صفحة 388
[1100] تاج العروس، للزبيدي، تحت "قلد" ؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، MAY ، الجزء الرابع، صفحة 465
[1101] معجم البلدان، ياقوت الحموي، MAY ، الجزء الرابع، صفحة 465 ؛ تفسير الطبري، TAT، 25 ، رقم 24082 ؛ تاج العروس، للزبيدي، تحت " خ ص ف" ؛ العيني، عمدة القاري، UQ، 4: 260 ؛ البداية والنهاية ، ابن كثير ، BNH، الجزء الثاني ، صفحة 170 ؛ ابن هشام، SIH، 1 : 18 و 22 ؛ السيرة النبوية،الحافظ بن كثير، SNK، 1 :21 ؛ روح المعاني، الالوسي، في تفسير سورة الدخان
[1102] ابن هشام، SIH، الجزء الاول، صفحة 22 ؛ السيرة النبوية، الحافظ بن كثير، SNK، الجزء الاول، صفحة 21 ؛ روح المعاني، الالوسي، في تفسير سورة الدخان
[1103] ا البداية والنهاية ، ابن كثير ، BNH، الجزء الثاني ، صفحة 168؛ ابن هشام، SIH، 1 : 22 ؛ روح المعاني، الالوسي، روح المعاني، في تفسير سورة الدخان
[1104] ابن هشام، SIH، 1 : 179-180 ؛ المحبر لابن حبيب البغدادي، MH ، صفحة 171
[1105] السيرة النبوية، الحافظ بن كثير،SNK ، 1: 157؛ ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، EFTS، الجزء الثاني: رقم 2925؛ ابن هشام، SIH، 1: 186؛ صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، 54 - باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل. ؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد، TKIS، 3 : 352 و 353
[1106] السيرة النبوية، الحافظ بن كثير، SNK، الجزء الاول، صفحة 161؛ السنن الكبرى، للنسائي، SKN ، رقم 8187؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، UQ، الجزء 16، صفحة 392
[1107] ابن هشام SIH ، 1: 181 ؛ السيرة النبوية، الحافظ بن كثير، SNK ، 1 :156؛ ابن كثير، البداية والنهاية، BNH، الجزء الثاني، صفحة 245 ؛ مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للاصفهاني، كتاب الالف، تحت "أم" ؛ ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة ، EFTS، الجزء الثاني، رقم 2925 ؛الطبقات الكبرى، ابن سعد، TKIS، الجزء الثالث ، صفحة 353
[1108] الطبقات الكبرى، ابن سعد، TKIS ، الجزء الثالث، صفحة 353 ؛ صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، 54 - باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل ؛ السيرة النبوية، الحافظ بن كثيرSNK ، 1: 154؛ اسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الاثير، AGHS ، الجزء الثاني صفحة 360 و 370 ؛ ابن هشام، SIH، 1 : 181؛ السنن الكبرى، للنسائي،SKN ، رقم 8187
[1109] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، MF، الجزء السادس، صفحة 461
[1110] السنن الكبرى، للنسائي، SKN ، رقم 8188
[1111] الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، AKM ، حج أهل الجاهلية، صفحة 272 و 273

[1112] لسان العرب، ابن منظور، LA ، الجزء الثالث، باب الحاء، تحت "حلل"
[1113] لسان العرب، ابن منظور، LA ، الجزء الثالث، باب الحاء، تحت "حلل"
[1114] فتح الباري، ابن حجر، FAH، الجزء الثالث، صفحة 482 و 483
[1115] الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، AKM، حج اهل الجاهلية، صفحة 281 و 282
[1116] السيرة النبوية، الحافظ بن كثير، SNK، الجزء الاول، صفحة 159 ؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد، TKIS ، الجزء الثالث، TKIS ، 3 : 353
[1117] الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، AKM ، حج اهل الجاهلية، صفحة 281 ؛ فتح الباري، ابن حجر، FAH، الجزء الثالث، صفحة 516
[1118] السيرة النبوية، الحافظ بن كثير، SNK، الجزء ا لاول، صفحة 153
[1119] مفردات القرآن، الاصفهاني، تحت " مقت "
[1120] ابي الفداء، المختصر في تاريخ البشر، MFTB، الجزء الاول ، صفحة 99
[1121] كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، الهندي، KA، الجزء الاول، رقم 1063
[1122] كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، الهندي ، KA، الجزء العاشر، حرف الفاء، رقم 32124
[1123] السهيلي، الروض الانف، RA ، الجزء الخامس، صفحة 224 ؛ ابن كثير، السيرة النبوية ، SNK ، 3: صفحة 478
[1124] لسان العرب، ابن منظور، الجزء الثالث، LA ، حرف الحاء، تحت "حنف"
[1125] E. Lipinski “Notes on the Mesa inscriptions,” or 40 (1971) 337 n. 50. Quoted by Victor P. Hamilton, The book of Genesis chapter 1-17, BG, p. 430
[1126] Victor Hamilton, The Book of Genesis Chapters 18-50, BG, page 103